

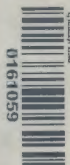
مكتبة
عبد السلام محمد هارون

مكتبة
عبد السلام محمد هارون
٧٥٥ - ١٥٠

رسائل الجاحظ

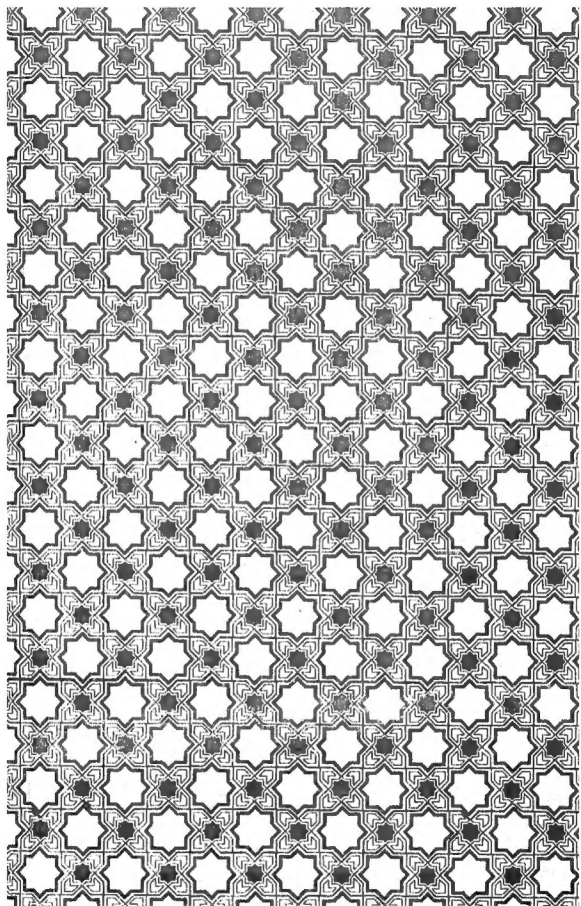
الجزءان، الثالث والرابع

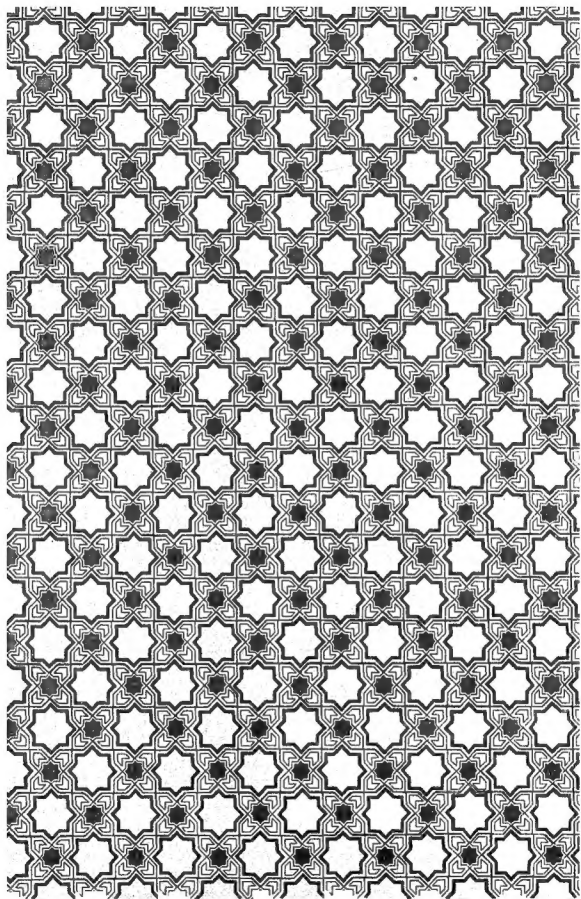
الناشر
مكتبة اشباح الطبع والنشر والتوزيع



0161059

Bibliotheca Alexandrina





عبد السلام محمد هارون

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

رسائل الجاحظ

الجزء الثالث

القسم الأول من

الفصول المختارة من كتب الجاحظ

اختيار الإمام عبید الله بن حسان



[الطبعة الأولى]

١٣٩٩ هـ ١٧٩١ ل
م

الناشر

مكتبة الخزانة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

أبدك الله ، وأسبغ عليك من عظيم فضله وجيل نعمته ، ماترضى به وتطمئن إليه . وحفظك أخاً كريماً ترعى الود ، وتقيم على العهد .

وكننت قد وعدتكم من قبل أن أتبع المجموعة الأولى من الرسائل ، وهى (مجموعة مكتبة داماد) ، بمجموعة أخرى لا تقل عنها قدراً إن لم تفقها ، وهى (مجموعة مختارات عبيد الله بن حسان) .

وعدت عواد أن أبادر بإنجاز هذا الوعد ، مع بقائى عليه ، علم الله ، وامتداد بصرى إلى صونه ورعايته .

فلما أذن الله ، وله الحمد ، أن أنهض بإتمام تحقيق هذه المختارات ، ضاعفت شكره ، وسعيت إلى نشرها بين يديك ، لتعلم أنى على موعدى .

وقد أشرت فى مقدمة الجزء الأول من رسائل الجاحظ إلى حصر أبرز المجموعات التى حفظت بها هذه الرسائل ، وهى :

١ - مجموعة مكتبة داماد (وقد نشرتها سنة ١٣٨٤ فى جزأين بهما ١٧ كتاباً ورسالة) .

٢ - مجموعة فان فلوتن .

٣ - مجموعة الفصول المختارة لعبيد الله بن حسان .

٤ - مجموعة محمد سامى المغربى .

٥ - مجموعة ريشر .

٦ - مجموعة حسن السنلوي .

٧ - مجموعة يوشع فنكل .

٨ - مجموعة بول كراوس وطه الحاجري .

ولست أعيد القول فيما اشتملت عليه كل مجموعة من هذه المجموعات الثمانية ، فإنها مسطورة بالتفصيل في مقدمة الجزء الأول من الرسائل .

ولنأما يعينى القول في مجموعة واحدة هي المجموعة الثالثة من هذه المجموعات ، وهي (الفصول المختارة من كتب الجاحظ) ، إذ هي الأصل الذى اعتمدت عليه في إخراج الجزأين الثالث والرابع من رسائل الجاحظ .

وقد طبعت هذه المجموعة من قبل محرفة مبتورة ، على هامش كامل المبرد بمطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ بعناية الشيخ على بن أحمد الهوارى .

وكان الذى حدانى إلى إعادة نشر هذه الفصول المختارة أمور :

أولها : ما لها من القدر الأدبى والتاريخى ، إذ أنها تشتمل على عيون من كتب الجاحظ ، هي في قمة ما أنشأه ، من حيث موضوعاتها المختلفة في الشئون الإنسانية العامة . فهي دراسات نفسية واجتماعية ، ودينية وكلامية وجدلية ، وأدبية عالية ، وثرفيية سامية ، وإن كانت معظم كتب الجاحظ تلم بأطراف مما ذكرت ، ولكن التناول العميق لهذه الدراسات ، مما اختصت به أفراد هذه المجموعة النادرة .

فلا ريب أن الجاحظ قد تكلم في الحاسد والمحسود في أثناء كتيبه كلاماً عابراً ، ولكنه حين يخص هذا الأمر بالدراسة والقول المستفيض ، يضىء لنا جميع الجوانب التى يمكن أن تحيط به ، بقدر ما يثير إعجابنا وإمتاعنا .

وهو حين يقدم دراسة عن المعلمين ، يبسطها لنا مستوعباً أقصى ما يمكن كتابته في هذا اللون الأدبى من الكتابة في طائفة عظيمة من طوائف الناس .

وحين يتكلم على النساء والمرأة يحلو صفحة عريضة من نظراته ونظرة

دنياء ، بل دنيانا نحن ، إلى نصف هذا البشر الذى يعاملنا ونعامل معه ، فى ثقة العالم وصراحة الدارس الموضوعى .

كما أن الدراسة التاريخية والسياسية فى « مناقب الترك » تطلعا على جوانب كانت غامضة على الكثير منا ، إذ فيها تبين نظرة الناس إلى هذا العنصر البشرى وغيره من عناصر الدولة الإسلامية فى ذلك العهد السحيق . وهى وثائق سياسية لها قدرها السياسى إلى جانب قدرها الاجتماعى والإنسانى . وهو الأمر الذى دعا أحد الأدباء^(١) إلى أن يضع كتاباً عنوانه : « الترك فى مؤلفات الجاحظ » ، وهو بحث له قدره ووزنه .

وكتابه فى « المعلمين » حلفت من قبل أن أكتب فى هذا الجانب دراسة مستفيضة نشرت فى مجلة « الكتاب » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ .

وآراء الجاحظ فى « حجج النبوة » ، و « خلق القرآن » جديرة بأن تلقى دراسة وتمحيصاً .

وكتاب « الرد على النصارى » مظهر مضىء من مظاهر الحركات الفكرية التى كانت سائدة فى أزهى العصور الإسلامية ، ونموذج رائع للجدال العلمى الرفيق مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن .

وفى الحقيق أن فى كل كتاب أو رسالة فى هذه المجموعة التى بلغ تعدادها ٢٩ تسعة وعشرين كتاباً أو رسالة ، مثاراً للبحث والتأمل ، والمتعة التى لا حلود لها .

ولنا لنجد بين القدماء من يغلو فى تقدير كتب الجاحظ ، ويتجاوز حلود الوقار فيقول^(٢) : « رضيت فى الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها » .

(١) هو الأديب زكريا الكلبى . وقد نشر كتابه فى دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٧٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن حمود التريشى الأندلسى ، تلميذ السيراقى والقاسمى والقال . بنية الوعاة ٨٢٢ .

والأمر الثانى : أن النشرة الأولى لهذه المجموعة نشرة غير علمية ، وإن كان لناشرها المغمور فضل السبق فى إظهارها ، وتمكين الباحث إلى قدر ما من الاستعانة بها فى المجال العلمى .

وثالثها : أن بتلك النسخة المطبوعة سقطة كبيرة تناول نحو عشر رسائل . وهو قدر كبير كان لابد من إثباته فى نشرة جديدة ، كتب الله لى فضل إخراجها .

وهذا السقط يبدأ من منتصف كتاب النصارى إلى أوائل كتاب « النبل والتنبل وذم الكبر » .

ورابعها : أن أصل النسخة المطبوعة غير معروف ، شأنها فى ذلك شأن كثير مما نشر من أفراد التراث العربى وأظهرته المطابع فى هذا العهد المتطلع إلى النهوض من عثرات التخلف .

وخامسها : أن مخطوطة التيمورية التى جعلتها أحد أصول التحقيق فى نسختى هذه ، تنتمى إلى أصل عتيق ، فى نهايتها نجد هذا النص :

« انتهاء الفصول التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة فى يوم الجمعة المبارك الموافق لثلاث خلت من شهر ذى القعدة من شهر سنة ١٣١٥ خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد تم نسخها بيد العبد الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد أهل السنة والجماعة ، الخاضع لله بالدعاء والطاعة ، الراجى لطف ربه الغنى ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمرانى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بيمينه وكرمه ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، والحمد لله وحده . تمت بمحمد الله وعونه وحسن توفيقه آمين .

وقد نقلت هذه النسخة المباركة من نسخة تاريخها فى أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة ، كتبها أبى القاسم (كلنا) عبيد الله بن على .

وهذه النسخة التيمورية وقرينتها نسخة الأزهر المودعة برقم [٢٣١] أباظة ٦٨٣٦ كتبها وراق واحد، هو محمد بن عبدالله بن إبراهيم الزمراني ، كتب نسخة التيمورية سنة ١٣١٥ ومن قبلها نسخة الأزهر سنة ١٣١٣ . وفي آخر نسخة الأزهر ما نصه :

« انتهاء القصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة خامس يوم شهر محرم الحرام افتتاح سنة ٣١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية ، بقلم العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن عبدالله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

وقد رجح لدى أن هاتين النسختين منقولتان من نسخة واحدة هي التي أشار إليها الناسخ في ختام التيمورية .

لذلك ، ولأن الكاتب للنسختين وراق واحد ، ولأن التحريف والأسقاط والزبادات فيهما واحدة اعتمدت على النسخة التيمورية ، واكتفيت بها عن صنوها نسخة الأزهر .

وهذه النسخة التيمورية تعد من حيث الصحة والكمال فوق نسخة المتحف البريطاني .

وعلى هذا فقد استقرت المقابلة في نشرتي هذه على ثلاثة أصول :

١ - الأصل الأول : نسخة المتحف البريطاني ، وهي أقدم الأصول الثلاثة تاريخياً ، وكتب على صلوها :

« هذا كتاب مختارات فصول الجاحظ عني عنه ، كتب برسم خزانة الأمير القاضل موسيو كريمير المنساوي^(١) ، بمحروسة مصر سنة ١٨٧٧ م » . وهي تقابل سنة ١٢٩٤ الهجرية .

(١) هو البارون المنساوي فون كريمير (١٨٢٨ - ١٨٨٩) . ولد في فيينا وتخرج في جامعتها ، فأرسلته دولته قصداً لها بمصر ثم بيروت سنة ١٨٧٠ . وكان من أصحاب النشاط =

ومنها نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ وهى فى ٢٩٩
لوحاً فى مجلدين ، تشتمل صفحة اللوح على ١٧ سطراً بكل سطر نحو ثمانى
كلمات . وقد ألزم فيها علامات الإلحاق فى أسفل الصفحات اليمنى .
وقد كتبت النسخة بخط نسخى جيد مجرد من الضبط . وجاء فى خاتمتها :

« انتهاء الفصول التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة
يوم الجمعة المبارك الثامن عشر من شهر صفر الخير من سنة ١٢٩٤ بعد
الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية ، على
يد كاتبها الفقير عبد الله المنصورى . اللهم اغفر له ولوالديه . آمين آمين .

وقد رمزت إلى هذه النسخة فى التعليقات والمقابلات بالرمز (ب)
إشارة إلى المتحف البريطانى .

٢- الأصل الثانى : نسخة المكتبة التيمورية ، وهى مودعة بدار الكتب
المصرية برقم ١٩ أدب تيمور . وكتب على صدرها :

« هذا كتاب مختارات فصول الشيخ الهام ، العالم العلامة والبحر الفهامة ،
أبى عثمان الجاحظ ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، بمنه وكرمه .
آمين » .

وهى كذلك مكتوبة بالخط النسخى الجيد ، مجردة من الضبط ، إلا
ما قام به المغفور له أحمد تيمور باشا من بعض الضبط والمقابلات فى الرسالة
الأولى منها ، وهى « رسالة الحاسد والمحسود » . وهى مقابلات على مطبوعة
السامى فى مجموع رسائله . وكذلك بعض المقابلات على تلك المطبوعة أيضاً
فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى « مناقب الترك وعامة جند الخلافة » .

= السياسى والاستشرافى . وقد اجتمعت مكتبة المتحف البريطانى مكتبته الشرقية ، كما ذكر نجيب
المغنى فى كتابه المشرقون ٢ : ٦٤١ . ومن منشوراته : المنازى للواقى بمقدمة وشروح
انجليزية (كلكتا وبرلين ١٨٥٥ - ١٨٨٨) ، والقصة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميرى
(ليدزج ١٨٦٥) .

وهي في ٢٠٨ ورقة عدد صفحاتها ٤١٧ صفحة ، بكل صفحة ٢١ واحد وعشرون سطرأ بكل سطر نحو ١١ كلمة .

وقد أشرت إلى ختام هذه النسخة قيا سبق .

ورمزت لهذه النسخة بالرمز (م) مقتبساً من التيمورية .

٣- الأصل الثالث : أصل استثنائي ، هو النسخة المطبوعة بهامش كامل المبرد في مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ وعنوانها : « الفصول المختارة من كتب الإمام أبي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هجرية ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين » .

وخاتمتها : « انتهت الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين » .

وهي في جزأين : الأول في ٣٩٦ صفحة ، والثاني في ٣٠١ صفحة . وهذه النسخة بها كثير من النقص كما أشرت إلى ذلك من قبل ، ولكنها مصححة محررة بشيء من العناية ، قام على تصحيحها مقرونة بكامل المبرد « راجى عفو البارى ، على بن أحمد الشير بالهوارى » .

ولا يعلم الأصل الذى طبعت منه ، ولاريب أنه غير النسخ التي سبق الكلام عليها ، أى النسخة الأزهرية ونسخة تيمور ، ونسخة المتحف البريطانى .

وقد أشرت إليها بالرمز (ط) .

والإليك فهرسها مقارناً بفهرس النسخة التيمورية ونسخة المتحف البريطانى :

فالرقم الأول لصفحات التيمورية ، يليه رقم ألواح مصورة نسخة المتحف البريطانى ، وبعده أرقام صفحات النسخة المطبوعة على هامش الكامل للمبرد :

مطبوعة هاشم الكامل	التحفة البريانية	التيمورية	
١٦-٢: ١	٢ و ٨- و	٢- ١٣	١- الحامد والخمود
٣٠- ١٧	٨ ظ- ١٩ و	١٣- ٣٢	٢- المعلمين
٩٧- ٣٠	٣١- ٩ ظ	٣٢- ٦٩	٣- الترييح والتدوير
١٢٠- ٩٧	٤٩- ٥٢ و	٧٠- ٨١	٤- ملح النبيل
١٣٠- ١٢٠	٥٢- ٥٤ و	٨١- ٨٦	٥- طبقات المعينين
١٦١- ١٣٠	٦٢- ٥٢ و	٨٦- ١٠٤	٦- التسماء
٢٧٥- ١٦٦	٨٨- ٦٢ و	١٠٥- ١٤٣	٧- مناقب الزرك
١١٧: ٣- ٢٧٥	٨٨- ١٢١ و	١٤٣- ١٩٠	٨- صحيح النبوة
١٤٨- ١١٧	١٢١- و ١٢٩ ظ	١٩٠- ٢٠٢	٩- خلق القرآن

(١) نشر أيضاً في صدر مجموعة الساسي ٢- ١٣ بأرقام مستقلة من المجموعة ، كما ورد في دراسات ديشر ١٨٠- ١٨٢ .

(٢) هو أيضاً في مجموعة ديشر ١٠١- ١٠٨ .

(٣) نشر في مجموعة ثلاث تليزن ٨٦- ٨٢ والساسي ١٥٦- ١٤٧ وديشر ٢١٢- ٢٥٥ والسنجوي ١٨٧- ٢٤٠ ، ونشره مستقلاً

شارك بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ .

(٤) السنجوي ٢٥٨- ٢٩١ وديشر ١١١- ١١٢ .

(٥) مجموعة الساسي ١٨٦- ١٩٠ وديشر ٢٠٤- ٢٠٦ .

(٦) أبو الشلق والشماء . مجموعة الساسي ١٦١- ١٦٩ وديشر ١٨٨- ١٩٤ والسنجوي ٢٦٦- ٢٧٦ .

(٧) سبق نشره من مجموعة طابلا في ٨٦: ١ . وهو في مجموعة ديشر ٢٠٧- ٢١١ باسم فضائل الأثرانك ، ذكرها عيونناك .

(٨) نشر أيضاً في مجموعة ديشر ١١٢- ١٥٩ والسنجوي ١١٧- ١٥٤ . وهو في الجيران ١: ١ باسم ه كتاب امنية في تثبيت النبوة .

(٩) لم ينشر منه شيء إلا في هاشم الكامل . وانظر الجيران ١: ٩ إذا أشار إليه .

مطبوعة هاشم الكامل	المتحف البريطاني	التيمورية	الرد على التصاري
١٤٨ - ١٨٤	١٢٩ ط - ١٥٥ ط	٢٠٢ - ٢٣٢	١٠ - الرد على التصاري
-	١٦١ ط - ١٥٥ ط	٢٢١ - ٢٤٤	١١ - الرد على المشبهة
-	١٦١ و - ١٧٥ و	٢٤٤ - ٢٦١	١٢ - مقالة العجائبة
-	١٧٥ ط - ١٨٥ ط	٢٦١ - ٢٧٥	١٣ - المسائل والجوابات في المعرفة
-	١٨٥ ط - ١٩٠ ط	٢٧٥ - ٢٨٢	١٤ - الامداد والماش
-	١٩١ ط - ١٩٤ ط	٢٨٢ - ٢٨٧	١٥ - الجدد والوزل
-	١٩٤ ط - ١٩٩ و	٢٨٧ - ٢٩٣	١٦ - الكوكلاء
-	١٩٩ ط - ٢١٩ ط	٢٩٣ - ٣١٩	١٧ - الاوطان والبلدان
-	٢١٩ ط - ٢٢٠ ط	٣١٩ - ٣٢٠	١٨ - البلاغة والايجاز

(١٠) جموعة بشر ٤٠-٦٧ وبيع لكل ١-٢٨ وقد أثار إليه الجحش في الجوران ١ : ٩ بقوله وركبني على الصاري واليبرده والكتاب يتنازلما ساء ، ولكن هكذا وردت تسميته خضيرة في الخضرعات والمطهرات .

(١١) لم تنشر قبل . ولكن نشر جليل حسا في التوضيح ، وهو في التثنية ه . انظر الجزء الأول من الرسائل ٢٨٢ - ٣٠٨ .

(١٢) نشر السميني خلاصتها في جموعه ص ١ - ١٢ . ونشرت كلمة يتحقق جبه السلام حارون . دار الكتاب العربي

١٩٤٤ - ١٩٥٥ . وانظر الجوران ١ : ١١ .

(١٣) لم يسبق نشر شيء منها . وهي راسيتا عما سقط من النسخة المطبوعة على هاشم الكامل . وانظر الجوران ١ : ٩ .

(١٤) سقط من النسخة المطبوعة على هاشم الكامل أيضا . وسبق نشره من جموعة داداد في الجزء الأول من الرسائل ١ : ٨٧ - ١٢٣ .

(١٥) سبق في جموعة داداد بالجزء الأول ص ٢٢٧ - ٢٧٨ . (١٦) جموعة الساسي ١٧٠ - ١٧٢ وبشر ١٩٤ - ١٩٥ .

(١٧) دمسي أيضا في الاصدار ومجائب البلدان ه . وهو غير كتاب ه الخين إلى الاوطان الذي سبق نشره في الرسائل بتحقيقنا ٢ : ٣٧٩ .

(١٨) لم تنشر من قبل .

أجمعت المخطوطات والمطبوعات أن جامع هذه الفصول ومختارها هو (عبيد الله بن حسان) لم ترد على ذلك شيئاً . فليس هناك ما يدل على بلده ، ولا على نسبته ، أو ما يدل على صفته العلمية بين أهل العلم من الفقهاء ، أو المحدثين أو المؤرخين ، أو المشتغلين بعلوم العربية . وليس هناك أيضاً ما يعين مولده أو ينص على سنة وفاته .

وقد بحث ما أمكنني البحث ، وتقصيت ما أمكن التقصي ، أن أعثر له على ترجمة أو خبر فيما لدى من المراجع ، وكذا في جميع المظان ، ولا سيما تلك التي تنفي بترجم الرجال من أهل الحديث أو الأدب أو علوم العربية ، وساءلت عنه فلم أجده له ترجمة أو خبراً .

ولكن ما لا ريب فيه أنه أديب قديم جداً ، أمكنه أن يظهر بمجهره عظيمة من كتب الجاحظ قبل أن تبديد ويعنى عليها الزمان ، فحفظها لنا ، واستحق بذلك أن يخلد اسمه على كتب صانها وانتزعها من أكف الأبي والضياع .

وإذا حاولنا أن نعرف زمنه استطعنا أن نقول : إن حياته لم تتجاوز القرن الخامس الهجري ، إن لم نقل الرابع ، أي إنه قريب عهده من عصر الجاحظ نفسه المتوفى سنة ٢٥٥ ، أي في النصف الثاني من القرن الثالث .

وهذا مستفاد مستخلص مما كتبه الوراق محمد بن عبدالله الزمراني في ختام النسخة التيمورية ، إذ نص على أنه نقل نسخته من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة ، كاتبها أبي القاسم (كذا) عبيد الله بن علي^(١) .

(١) أمكنني أن أعثر على ترجمة لهذا القاص القديم ، فهو أبو القاسم عبيد الله بن علي بن حيداه الرقي . قال الخليل : سكن بغداد في درب أبي خلف من قطيعة الربيع . وكان أحد العلماء بالنحو والأدب والفن ، عارفاً بالفرائض وقسمة الموارث ، وحدث شيئاً يسيراً عن أبي أحد القرصى كسبت منه وكان صدوقاً . وسأله عن مولده فقال : ولدت في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة . ومات في يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة . ودفن في يومه في مقبرة باب حرب . تاريخ بغداد ١٠ : ٣٨٧ - ٣٨٨ .

وما لا ريب فيه أيضاً أن عبيد الله بن حسان قد جمع فأحسن التأليف ،
واختار فأجاد الاختيار ، وكأنه لم يرتفع إلى القدر الذي يرقى به إلى أن
يوضع في دائرة المترجمين الأعلام .

وأما بعد ، فهذا جهد متواضع أضمه إلى ماسبق لي من جهود . وعسى
أن أوفق فيما أستقبل من دهرى إلى أن أقوم بنشر ما لم تمسه يد التحقيق منى
من مؤلفات شيخنا الجليل وأثارة الحسان ، مما أفلته عوادي الزمان وصار
إلينا كنزاً و ذخيراً .

والله الموفق والمستعان .

مصر الجديدة في } أول ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ
٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م } عبد السلام محمد هارون

١

من كتابه في
الحاسد والمحسود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفى

١ - فصل

من صلب كتابه

في الحاسد والحسود^(١)

وَهَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلامَةَ ، وَأَدَامَ لَكَ الْكَرامَةَ ، وَرَزَقَكَ الْاسْتِقَامَةَ ،
وَرَفَعَ عَنْكَ التَّنَادِمَةَ .

كُتِبَتْ لِي - أَيُّدِكَ اللَّهُ - تَسَالُتِي عَنْ الْحَسَدِ مَا هُوَ ؟ وَمَنْ أَيْنَ هُوَ ؟
وَمَا دَلِيلُهُ وَأَفْعَالُهُ ؟ وَكَيْفَ تُعْرِفُ أُمُورَهُ وَأَحْوَالَهُ^(٢) ، وَبِمِمْ يُعْرِفُ ظَاهِرَهُ
وَمَكْتُومَهُ ، وَكَيْفَ يَعْلَمُ مَجْهُولَهُ وَمَعْلُومَهُ ، وَلَمْ صَارِقِي الْعِلْمَاءِ^(٣) أَكْثَرَ مِنْهُ
فِي الْجَهْلَاءِ ؟ وَلَمْ كَثُرَ فِي الْأَقْرِبَاءِ وَقُلٌّ فِي الْبُعْدَاءِ^(٤) ؟ وَكَيْفَ دَبَّ^(٥)
فِي الصَّالِحِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْفَاسِقِينَ ؟ وَكَيْفَ خُصَّ بِهِ الْجِيرَانُ مِنْ بَيْنِ
جَمِيعِ أَهْلِ الْأَوْطَانِ^(٦) .

وَالْحَسَدُ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - دَائِمٌ يَنْهَكَ الْجَسَدَ ، وَيُفْسِدُ الْوَدَّ^(٧) ، عِلَاجُهُ

(١) نُشِرَتْ كَامِلَةٌ مِنْ قَبْلِ فِي مَجْمُوعَةِ رِسَالَتِ الْجِلَاطِ نُشْرَةُ السَّامِيِّ ١٣٢٤ . وَقَدْ أَثَرْتُ إِلَيْهَا
بِالرَّمْزِ « م ج » .

(٢) م ج : « وَكَيْفَ تَفَرَّقَتْ » . وَفِي ب : « لِمُورِهِ أَحْوَالُهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) ب : « وَلَمْ صَارِقُوا الْعِلْمَاءَ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٤) م ج : « وَقُلٌّ مِنْهُ فِي الْبُعْدَاءِ » .

(٥) م ج : « مِنْ جَمِيعِ الْأَوْطَانِ » .

(٦) م : « الرَّدُّ » تَحْرِيفٌ . وَفِي ط ، م ج : « الْأَوْدُ » ، وَهِيَ بِقِطْعِ الْوَاوِ جَمْعُ وَدٍ بِالْكَسْرِ

وَهُوَ الْخَيْبُ ، مِثْلُ قَتَحٍ وَأَنْهَضَ .

صير^(١)، وصاحبه ضجر^(٢). وهو بابٌ غامضٌ وأمر متعلِّدٌ، وما ظهر منه فلا يُدَوَّى، وما بطن منه فمُداوِيهِ في عَناء. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ^(٣) مِنْ قَبْلِكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ». [وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِحُجَلَاتِهِ: أَيْ النَّاسِ أَقَلُّ غَفْلَةً؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَاحِبُ لَيْلٍ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يُصْبِحَ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَكَاذٌ وَلَيْسَ كَاذًا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَسَافِرُ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَقْطَعَ سَفَرَهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَكَاذٌ وَلَيْسَ كَاذًا. فَقَالُوا لَهُ: فَاتَّخِرْنَا بِأَقَلِّ النَّاسِ غَفْلَةً. فَقَالَ: الْحَاسِدُ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَنْزِعَ اللَّهُ مِنْكَ النِّعْمَةَ الَّتِي أَعْطَاكَهَا، فَلَا يَغْفُلُ أَبَدًا.]

ويروى عن الحسن أنه قال: الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس^(٤).]

وما أُنْهِىَ المحسودُ من حاسده إلا من قبل فَضْلِ اللَّهِ عنده ونعمه عليه^(٥) قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(٦)﴾.

والحسد عقيدُ الكُفْرِ، وحليفُ الباطل، وضدُّ الحقِّ، وحرِبُ البيان. فقد ذمَّ الله أهل الكتاب به فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(٧)﴾.

(١) ب : «و علاج صير » م « علاج صير » ، وأثبت ما في ط ، وج .

(٢) م « صير » ، تحريف .

(٣) داء الأمم ، ساقطة من ب . والحديث رواه أحمد والترمذي . الجامع الصغير ١ : ٥٦٣ .

(٤) هذه التكلة من ط ، ج .

(٥) ج : « من قبل فضل الله تعالى إليه ونعمته عليه » .

(٦) الآية ٤٠ من سورة القصص .

(٧) من الآية ١٠٩ من سورة البقرة .

منه تتولد العداوة^(١) ، وهو سببُ كلِّ قطيعة ، ومُنتج^(٢) كلِّ وحشة ،
ومفرق^(٣) كلِّ جماعة ، وقاطع كلِّ رحمة بين الأقرباء^(٤) ، ومُحدث التفرُّق
بين القرناء ، ومُلْقِح الشرِّ بين الخلطاء^(٥) ، يَكْمُن في الصدر كَمُونُ
النَّارِ في الحجر .

ولو لم يدخل على الحاسد بعد^(٦) تراكم الغموم على قلبه ، واستمكان^(٧)
الحزن في جوفه ، وكثرة مَضَضِه ووسواسِ ضميره ، وتنقُص^(٨) عمره
وكثرِ نفسه ونكد عيشه^(٩) ، إلا استصغاره^(١٠) نعمة الله عليه^(١١) ، وسخطه
على سيِّده بما أفاد غيره^(١٢) . ونمَّيه عليه أن يرجع في هبته إِيَّاه ، وأن
لا يَرْزُق أحداً سواه ، لكان عند ذوى العقول مرحوماً^(١٣) ، وكان للهِمِ^(١٤)
في القياس مظلوماً . [وقد قال بعضُ الأعراب : ما رأيتُ ظالماً أشبه
بمظلومٍ من الحاسد : نَفْسٌ دائمة ، وقلبٌ هائم ، وحزنٌ لازم^(١٥)]

(١) مع : « لته » ، ب فقط : « يتوله » .

(٢) ب : « وسخ » بإممال الحرف الثاني ، ولعلها « سنخ » بكسر السين ، بمعنى الأصل .
« أثبت ما في سائر النسخ » .

(٣) ب ، ط : « من الأقرباء » .

(٤) ب ، ط : « بين الخلفاء » .

(٥) م : « غير » .

(٦) ب ، ط : « واستكان » ، تحريف .

(٧) مع : « وتنقص » .

(٨) مع : « ونكد الدأنة معائه » .

(٩) م : « إلى » .

(١٠) ط ، م : « نعمة الله فقط ، وفي مع : « لنعمة الله عنده » ، وأثبت ما في ب .

(١١) مع : « بما أفاده الله عيه » .

(١٢) م ، ط : « مرحوماً » بالميم . وفي هامش م : « لعله مرحوماً » .

(١٣) مع : « وكان عندهم » وكذا أثبت بخط غالف فوقها في م .

(١٤) التكلة من ط ، مع .

والحاسد مخنول ومزور^(١) ، والمحسود محبوب ومنصور . والحاسد -
مغموم ومهجور ، والمحسود مَغشَى ومَزُور^(٢) .

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات - وأول
معصية حدثت في الأرض ، خُصَّ به أفضل الملائكة فعصى ربه ،
وقايسه في خلقه^(٣) ، واستكبر عليه فقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِنْ طِينٍ^(٤) ﴾ ، فلعنه وجعله إبليساً ، وأنزله من جواره بعد كان أنيساً ،
وشوه خلقه تشويهاً ، وموه على نبيه^(٥) تمويهاً نسي به عزم ربه فواقع
الخطيئة ، فارتدع المحسود^(٦) وتاب عليه وهدى ، ومضى اللعين الحاسد .
في حسده^(٧) فُشِقِيَ وَغَوَى .

وأما في الأرض فابنا آدم^(٨) حيث قتل^(٩) أحدهما أخاه ، فعصى
ربه وأكل أباه . وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح
من الخاسرين .

لقد حمله الحسد على غاية القسوة^(١٠) ، وبلغ [به^(١١)] أقصى حدود

-
- (١) مزور ، من الوزر ، وهو الذنب والإثم ، ويقال مأزور ، أيضاً بالإبدال ، ومنه
في الحديث : « ارجس مأزورات غير مأجورات » . وفي معجم : « ومأزور » على الإبدال .
(٢) مَغشَى : يشاء الناس ويؤزونه . م : « مغمور ومسرور » ويخط مخالف فوقها :
« مَغشَى ومزور » كما في معجم . وفي ب : « مَغشَى ومسرور » .
(٢) مع وتعليقات م : « وقايسه بخلق » .
(٤) من الآية ١٢ من الأعراف ، ٧٦ من سورة ص .
(٥) ب : ط : « على مثله » ، م : « على تمثيله » ، معجم : « على أنبيائه » ولعل وجه ما أثبت -
(٦) ب : « فارتدع » ، وأثبت ما في سائر النسخ .
(٧) مع ويخط مخالف في م : « على حسده » .
(٨) ب فقط : « فابناء آدم » ، تحريف .
(٩) ب : ط : « حسد » موضع « حيث قتل » .
(١٠) ب : ط : « فقد حمله الحسد إلى غاية القسوة » .
(١١) التكلفة من م ، معجم .

«العقوق ، فأنساه من رَحِمِهِ جميع الحقوق» ، إذ آتَى الحجر عليه شادخا^(٧) وأصبح عليه نادماً صارخاً .

ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبِّخه على المال . فيقول^(٨) : جَمَعَهُ حراماً ومنعه أثاماً^(٩) . وألَبَ^(١٠) عليه محايِجَ أقاربه . فتركهم له خُصَماً^(١١) ، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر وقال له^(١٢) : لقد كُفِرُوا بِمَعْرِفِكَ ، وأظهروا في الناس ذمَّكَ ، فليس^(١٣) أمثالهم يُوصِلُونَ ، فإنهم لا يَشْكُرُونَ . وإن وجد له^(١٤) خصماً أعانته عليه^(١٥) ظلماً ، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشَّه ، أو تَفَضَّلَ عليه بِمَعْرِفٍ كَفَرَه^(١٦) ، أو دعاه إلى نصر خذله ، وإن حَضَرَ^(١٧) مَنَحَهُ ذمَّه . وإن سُئِلَ عنه همزه ، وإن كانت^(١٨) عنده شهادة كسبها ، وإن كانت منه إليه زَلَّةٌ^(١٩) عَظُمَها ، [وقال : إنه^(٢٠)] يحب أن يعاد ولا يعود ، وَيُرى عليه العُقُود^(٢١) .

(١) ب ، ط : « من رَحِمِهِ » ، وأثبت ما في م ، وهذه العبارة ساقطة من ج .
(٢) التَّنْخِص : الكسر والتَّهْمِيس . ما عدا ج : « تنادى » ، والمبروف القذخ ، قدخه يفدخه ودخداً : شدخه .

- (٣) م ، ج : « وقال » .
(٤) الأثام ، كسحاب : الإثم والذنب . ما عدا ج : « أثاماً » .
(٥) ألَبَمَ تَأْلِيماً : جمعهم على علوته . ما عدا ج : « وغلب » .
(٦) خصمه : جمع خصم ، وهو الخصم ، كالجليس بمنى الجالس . ب ، ط : « خصماً »
(٧) ب ، ط : « فقال » فقط .
(٨) ب ، ط : « ليس » فقط . م : « وليس » ، وأثبت ما في ج .
(٩) ط ، ب : « ولم » ، صوابه في م ، ج .
(١٠) م : « طهيم » ، تحريف .
(١١) ب : « أو يفصل عليه معروف كفره » ، صوابه في سائر النسخ .
(١٢) م ، ج : « أو حضر » .
(١٣) ج : « أو كانت » .
(١٤) الرِّزَّة : الخطيئة والسقطة . ب فقط : « ذلة » تحريف .
(١٥) التكلة من ج .
(١٦) « حذا ما في ج . وفي سائر النسخ : « القمود » . وكان العرب يسمون الخنزير رؤسهم وماوكهم . انظر داسيان في نهاية هذا الفصل ١٠ .

وإن كان المحسود عالماً قال : مبتدع ، ولرأيه مُتَّبِعٌ ^(١) . حاطبٌ
ليلٍ ومبتغى نيلٍ ^(٢) ، لا يلدري ^(٣) ما حمل ، قد ترك العمل . وأقبل
على الحيل ^(٤) . قد أقبل بوجوه الناس إليه ، وما أحمقهم إذ انثالوا
عليه ^(٥) . فقبَّحه الله من عالمٍ ما أعظم بليته ^(٦) ، وأقل رِغته ^(٧) ،
وأسوأ طعمته ^(٨) .

وإن كان المحسود ذا دين قال : مُتَّصِعٌ يغزو لِيُوصَى إليه ^(٩) ،
ويصح لِيُنْفَى بشئٍ عليه ^(١٠) ، ويصوم لِيُقْبَلَ شهادته ^(١١) ، ويظهِر
النسك لِيُودَعَ المالُ بيته ، ويقرأ في المسجد لِيُزَوَّجَهُ جاره ابنته ، ويحضر
الجنائز لِيُعْرَفَ شهرته .

وما لقيت ^(١٢) حاسداً قطُّ إلا تبين لك ^(١٣) مكنونه بتغير لونه
وتفوص عينه ^(١٤) وانخفاء سلامه ، والإقبال على غيرك والإعراض

-
- (١) أي إنه يتبع غيره في الرأي ، ليس بلى رأى . ب ، ط : « لرأيه » ب سقوط الواو .
(٢) ج : « ومبتغى نيل » .
(٣) م ، ج : « ما يلدري » .
(٤) ب ، ط : « فأقبل على الحيل » .
(٥) انثالوا عليه : انصبوا وتناهبوا . ب : « انثالوا » صوابه في سائر النسخ .
(٦) ب : « بالتيه » ، صوابه في سائر النسخ .
(٧) الرعة ، كلمة : الورع والكف عن سوء والتبجح . م ، ج : « رعيته » وهي
الاسم من الرعى ، كافي اللسان (رعي ٤٢) .
(٨) العسة ، بالفم والكسر : وجه المكسب .
(٩) ب ، ط : « يتصنع أن يوصى إليه » ، صوابه في م ، ج .
(١٠) ب « ويصح لشيء عليه » م ، ج : « ليشئ عليه » ، وأثبت ما في ط . وما بعده من
الكلام إلى بيته « ساقط من ج .
(١١) ب ، م : « ليقبل شهادته » .
(١٢) م : « ورايت » .
(١٣) كلمة « لك » ساقطة من ط ، م ويملأ في ب : « ولي » .
(١٤) التفوص ، من الخوص ، وهو شقيق العين وغزورهما . والمعروف الخاوصة والتفوص .
سم : « وتفوص » ج : « وتفوص » ، وأثبت ما في ب ، ط .

عنك^(١) ، والاستئصال لحديثك^(٢) ، والخلاف لرأيك^(٣) .

وكان عبد الله بن أبي^(٤) ، قبل نفاقه ، نسيجاً وحيداً^(٥) لجدوة رأيه ويُعد همته ، وتُبل شيمته ، وانقياد العشيرة له بالسيادة ، وإذعانهم له بالرياسة . وما استوجب ذلك إلا بعدما استجمع له لُبه^(٦) ، وتبين لهم عقله ، وافترقوا منه جهله^(٧) ، ورأوه لذلك أهلاً ، لما أطاق [له^(٨)] حملاً . فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ، ورأى هو عز رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٩) شمعاً بأنفه^(١٠) فهدم لإسلامه لحسده^(١١) ، وأظهر نفاقه . وما صار منافقاً حتى كان حسوداً ، ولا صار حسوداً حتى صار حقوداً . فحُتق بعد اللب^(١٢) ، وجُهل بعد الثقل ، وتبوأ النار بعد الجنة .

(١) مع : « والإعراف عنك والإجمال على غيرك » .

(٢) ب : ط : « والاستئصال لحديثك » ، تحريف .

(٣) بعده في مع : ولذلك قال القتال :

طال على الخلد أحزانه	فامصر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشطت في جوفه	ما هاج منه حر نيرانه
العيب أذهب عنده لسنة	من لسنة المال تحزانه
فارم على غاربه جهله	تملم من كثرة بهتانه

وقد انفردت نسخة ط بهذا الإنشاد في نهاية هذا الفصل ، كما سيأتى .

(٤) عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس المنافقين في أول الإسلام . وسلول جدته نسب إليها .

وجد ماك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الحبل بن غنم بن عوف بن الخزرج . وابنه عبد الله

ابن عبد الله كان من فضلاء الصحابة بادرًا ، قتل يوم الجمامرة . جبهة أنساب العرب ٣٥٥-٣٥٥ .

(٥) يقال هو نسيج وحده ، أى لا نظير له ، كما أن الثوب إذا كان كريمًا لم ينسج على

حنوالة غيره لفته . ط : « يسبح وحده » وكلنا في أصل م . وأثبت ما في ب ، ومع .

(٦) م : « له إليه » ط : « لم له » ، وأثبت ما في ب ، مع .

(٧) ب : « وفقد بينهم جهله » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) التكلفة من م ، مع .

(٩) ب ، م ، ط : « ورأى غيره » وصححت في م : « ورأى عز رسول الله » ،

وأثبت ما في مع .

(١٠) شمع بأنفه : تكبر . ما عدا مع : « تسمع بأنفه » ، تحريف .

(١١) مع : « فهدم فهم لإسلامه » .

(١٢) اللب : العقل . ب فقط : « بعد الله » ، تحريف .

ولقد خطب النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار .. فقالوا : يا رسول الله لا تَلْمَهُ ^(١) ، فَإِنَّا كُنَّا عَقَدْنَا لَهُ الْخَرْزَ ^(٢) قَبْلَ قُدُومِكَ لِنَتَّوَجَّهُ .

ولو سَلَّمَ المَخْذُولُ ^(٣) قَلْبَهُ مِنَ الْحَسَدِ لَكَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِكَانٍ : وَمِنَ السُّودِّ فِي إِرْتِفَاعٍ . فَوَضَعَهُ اللَّهُ لِحَسَدِهِ ، وَأَظْهَرَ نِفَاقَهُ ^(٤) .. [وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَاتِلُ :

طال على الحامد أحزانه	فاصفر من كثرة أحزانه
دعاه فقد أشعلت في جوفه	ما هاج من حر نيرانه
العبأ أشهى عنده لذة	من لذة المال لأخزانه .
فأمر على غاربه جلله	تسلم من كثرة بهتانِه ^(٥)] .

(١) ب فقط : « لا تكلمه » .

(٢) خرزات الملك : جواهر تاجه . ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه . خريزة ليم عدد من ملكه .

(٣) يعني عبد الله بن أبي ، غزله الله . ط ، ب : « المخذول » . سلم قلبه من الحسد : وقاه إياد وبرأه منه .

(٤) مع : « بحسده وإظهار نفاقه » .

(٥) التكللة من ط . وقد وردت في مع قبل هذا الموضع كما سبقت الإشارة إليه في ص ٩ . وأنيبها أحد تيمور بخطه في هذا الموضع .

٢ - فصل

في حسد الجيران

وذلك أَنَّ الجيران - يرحمك الله - طلائعُ عليك ، وعيونهم نواظرُ أُوليك ، فمَنى ^(١) كنتَ بينهم مُعلِماً ^(٢) فأيسرت ، فبذلت وأعطيت ، وكسوت وأطعمت ، وكانوا في مثل حالك فاتَّضعوا ، وسلبوا النعمة وألبسَها [أنت ^(٣)] ، فعظمت عليهم بليَّة الحسد ، وصاروا ^(٤) منه في تنغيص آخر الأبد ^(٥) . ولولا أَنَّ المحسود بنصر الله إِيَّاه مستور ، وهو بصنعه محبوب ^(٦) لم يأت عليه يوم إلَّا كان مقهوراً ، ولم تأت ليلة إلَّا وكان عن منافعه مقصوراً . ولم يُمسر إلَّا وماله مسلوب ، ودُمهُ مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك .

(١) ب ، مع : « فسي » .

(٢) معلماً ، سابقة من جب .

(٣) التكلة من مع .

(٤) ب فقط : « وصاروا » .

(٥) م : « لآخر الأبد » .

(٦) ما عدا مع : « محجور » بالراء .

٣ - فصل منه

وأنا أقول حقاً^(١) : ما خالط الحسد قلباً إلا لم يمكنه ضبطه ، ولا قدر على تسجينه^(٢) وكتانه ، حتى يتمرد عليه بظهوره وإعلانه ، فيستعبده^(٣) ويستميله^(٤) ، ويستنطقه لظهوره عليه^(٥) فهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته ومن الأسر على أسيره^(٦) .

وكان ابنُ الزبير بالصبر موصوفاً ، وبالدَّهاء معروفاً ، وبالعقل موسوماً ، وبالمداواة منهوماً^(٧) ، فأظهر بلسانه حسداً كان أضبُّ عليه^(٨) أربعين سنةً لبني هاشم ، فما اتسع قلبه لكتانه ، ولا صبر على اكتنامه ، لما طالت^(٩) في قلبه طائلته^(١٠) أظهره وأعلنه ، مع صبره على المكاره ، وحمله نفسه على حتفها^(١١) ، وقلة اكترائه والتفاتته

(١) مع : « وأقول » .

(٢) التسجين : تفعل من السجن ، أي الحبس ، والمراد الكتان . وفي اللسان : « وسجن العلم يسجنه ، إذا لم يشه » . وأشد :

ولا تسجنُ العلم إن لسنه عشاء وحله المهاري التواجيا

والكلمة محرقة في النسخ ، فهي في ب : « تسخينه » وسائر النسخ : « تسخينه » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ب : ط : « فليستعبده » . وفي هامش م : « فيستفده » ، وما أثبت من مع .

(٤) ما عدا ط : « ويستميله » .

(٥) ب : م : « لظهوره عليه » ، مع : « لظهوره عليه » ، وأثبت ما في ط وهامش م .

(٦) ب : م : « على الأسيرة » م : « أسيرته » ط : « الأسير » وأثبت ما في مع .

(٧) المنهوم بالثورة : المولع به . وفي الحديث : « منهومان لا يشيمان : منهوم بالمال ومنهوم بالعلم » ط فقط : « منهوماً » .

(٨) يقال أضبُّ فلان على فل في قلبه ، أي أسرته وأخفاه . م : ط : « واضب عليه »

حريف . والكلام يند إلى « اكتنامه » ساقط من مع .

(٩) م : « لما طال » .

(١٠) ما عدا مع : « طيلة »

(١١) الحذف : الملاك . ما عدا مع : « عصفها » .

لأحجار المجانيق التي ^(١) [كانت ^(٢)] تمرّ عليه فتذهب بطائفة من قومه ^(٣) ما يلتفت إليها .

حُدِّثَتْ بذلك عن عليّ بن مُسهر ^(٤) عن الأعمش، عن صالح بن جَبَاب ^(٥) ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : قُدْتُ ابنَ عباس ^(٦) حتّى أَدْخَلْتُهُ على ابن الزُّبَيْرِ ، قال : أَنْتَ الَّذِي تَوَنَّبَنِي ؟ قال : نَعَمْ ، لَأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبَعَانًا ^(٧) وَجَارُهُ طَاوِرًا ^(٨) » . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ : لِمَنْ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ إِنِّي ^(٩) لَأَكْتُمُ بَغْضَكم أَهْلَ الْبَيْتِ مُدًّا ^(١٠) أَرْبَعِينَ سَنَةً . فَحَسَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ ذِرَاعَيْهِ كَأَنَّهُمَا عَسِيَا نَحَلَ ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : نَعَمْ فَلْيَبْلُغْ ذَاكَ مِنْكَ ، مَا عَرَفْتُكَ .

وَلَقَدْ أَجَلْتُ الرَّأْيَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَفَكَّرْتُ فِي جَوَابِهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَنِ أَجِدَ لَهُ مَعْنَى سِوَى الْحَسَدِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَكَانَتْ وَخْزَةً ^(١١) فِي قَلْبِهِ فَلَمْ

(١) ب : « الذي » ، تحريف .

(٢) التَّكَلُّفُ مِنْ مِج .

(٣) ب ، م : « ثَوْبُهُ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ط ، مِج . وَهَامِشٌ م .

(٤) بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ وَكسْرِ الْهَاءِ ، كَأَنَّهُ التَّحْرِيبُ . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَسْرُورٍ أَتَقَرَّشَى الْكُوفِيُّ قَاضِيُ الْمَوْصِلِ . ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ فِي التَّقَاتِ وَقَالَ : مَاتَ سَنَةَ ١٨٩ . تَهْدِيبُ التَّهْدِيبِ .

(٥) مِج : « طَلْحُ بْنُ حَيَّانٍ » . وَلَعَلَّهُ « صَالِحُ بْنُ حَيَّانٍ » الْمُرْتَبِعُ فِي تَهْدِيبِ التَّهْدِيبِ .

(٦) كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، كَمَا عَمِيَ أَبُوهُ وَجَدَهُ . وَقَالَ لَهُ سَلَوِيَّةُ يَوْمًا : مَا لَكُمْ تَصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : كَأَنَّا تَصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ يَا بَنِي أُمَيَّةٍ ! نَكَلَتْ الْمُهَيَّانَ ١٨٠ - ١٨٢

(٧) كَذَا جَاءَ مَصْرُوفًا مُتَوْنًا ، وَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ مُؤَنَّهُ شِبَاعَةٌ . وَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ مُؤَنَّهُ

شَبَعٌ يَخُصُّ مِنَ الْعَرَفِ ، وَكِلَاهُمَا مَسْمُوعٌ . وَفِي مِج : « شِبَعَانٌ » بِالْمَنْعِ مِنَ الْعَرَفِ .

(٨) الطَّائِرُ : الْجَائِعُ الْخَالِ الْبِلَاسُ ، كَأَنَّهُ طَوْرٌ يَطْلُو .

(٩) ب : « لَأَنِّي » .

(١٠) م : « مُدًّا » .

(١١) الْوَخْزَةُ : الطَّلْعَةُ . ب ، م : « وَخْزَةٌ » بِالذَّالِ ، تَحْرِيفٌ ، وَلَيْسَ لَوْخَذَ مَادَّةٌ

فِي الْمَعَامِ الْمُنْدَوَلَةِ . وَفِي مِج : « وَخْزَةٌ ثَقِيلَةٌ ظَمَّ يَبْلُغُهَا لَهُ » .

يُبِيدُهَا . وفروعُ بني هاشم حول الحرم باسقة ، وعروقُ دَوَحاتهم بين أطباقها راسية ، ومجالسُهم من أعاليها عامرة^(١) ، وبحورها بأرزاق العباد^(٢) زاخرة ، وأنجمُها بالهدى زاهرة . فلما خلت البطحاء من صنابيرها استقبله بما آكنُ في نفسه^(٣) .

والحاسد لا يغفل عن فرصته إلى أن يأتِيَ الموتُ على رِمته ، وما استقبلَ ابنَ عباسٍ بذلك إلَّا لما رأى عمرَ قنمه^(٤) على أهلِ القَدَم ، ونظرَ إليه وقد أطاف به أهلُ الحَرَم ، فأوسعهم حُكْمًا ، وثَقَبوا منه رأياً وفهماً^(٥) ، وأشبهتهم^(٦) علماً وجِلماً .

(١) مج : « عامرة » .

(٢) ب ، ط : « بأوراق الباد » م : « بأوراق البداة » . والصواب من مج .

(٣) مج : « بما آكن في نفسه » .

(٤) م ، ط : « لما رأى من قنمه » .

(٥) ثقب رأيه تقويًا : نفذ . وفي قول أبي حية النخيري :

ونشرت آيات عليه ولم أقبل من العلم إلا بالذي أنا ثقبه

ط : « وثقبوا » . مج : « وتصبوا » .

(٦) ب : « وأسبغهم » ط ، م : « وسبغهم » ، وأثبت ما في مج .

٤ - فصل

وكيف يصبر من استكنَّ الحسدُ في قلبه على أمانيه ^(١) . ولقد كان
 إخوة يوسف حلماء ، وأجلة علماء ، ولدهم الأنبياء ، فلم يغفلوا عما قدح
 في قلوبهم من الحسد ليوسف ، حتى أعطوا آباهم الموائيق المؤكدة ،
 والعهود المقلدة ^(٢) ، والأيمان المغلطة ، إنهم له لحافظون ، وهو شقيهم
 وبضعة منهم . فخالقوا العهود ووثبوا عليه بالظلم والقوة ^(٣) ، وألقوه
 في شِبابه الجبِّ ، وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب ، فبظلمهم يوسف
 ظلّموا آباهم ، طمعاً أن يخلو لهم وجهُ أبيهم ويتفردوا بحبه ^(٤) ،
 وظنّوا أن الأيام تُسليه ، وحبه لهم من بعد غمه ^(٥) يُلهيه ، فأسألوه
 عبرته وأحرقوا قلبه .

وكيف لا تفرَّ أعين المحسودين ^(٦) بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن
 الأرض ، بصبره على أذى حسّاده ومقابلته ^(٧) إِيّاهم بالعفو والمكافأة ،
 وحسن العشرة ^(٨) والمواخاة ، بعد إمكانه منهم ^(٩) لما أتوه بتمارين ،
 ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون ، فأحسنَ رفدهم ، وأكرمَ قِراهم ^(١٠) .

(١) ب : « أمانته » م : « إمانته » ط : « إمانته » ، وأثبت ما في مع .

(٢) يقال قلده الأمر : ألزمه إياه . ما عدا مع : « المقلبة » .

(٣) والقوة ، ساقطة من ط ، م ، مع .

(٤) م : « ويتفردوا بحبه » .

(٥) في هامش م : « عن بعده عنه » مع : « من بعده عنه » .

(٦) ب : « لا تفر » م : « وكيف تفر » ، وأثبت ما في ط ، مع . وفي ط ، م :

« الحاسدين » .

(٧) مع : « ومقاصته » . وكذلك هامش م .

(٨) ما عدا مع : « بحسن العشرة » .

(٩) ب فقط : « منه » تحريف .

(١٠) ما عدا مع : « وكرم قِراهم » .

فَأَقْرُوا لَهُ لِمَا عَرَفُوهُ بِالْإِذْعَانِ ، وَسَأَلُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَضْرَانِ ، وَخَرُّوا لَهُ
سُجَّدًا لِمَا وَرَثُوا عَلَيْهِ وَفَدَا^(١) .

فَإِذَا أَحْسَسْتَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِنْ صَدِيقِكَ بِالْحَسَدِ فَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ
، مِنْ مُخَالَطَتِهِ ، فَإِنَّهُ أَعْوَنُ الْأَشْيَاءِ لَكَ^(٢) عَلَى مَسَالِمِهِ . وَحَصِّنْ سِرَّكَ
! مِنْهُ تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ وَعَوَاقِبُ ضَرِّهِ^(٣) . وَإِيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ فِي مَشَاوِرَتِهِ ،
وَلَا يَغْتَرُّكَ خُدْعُ مَلَقِهِ ، وَبَيَانُ ذَلَقِهِ^(٤) ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَبَائِلِ نِفَاقِهِ .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ آيَةَ مُصَدِّقِهِ فَأَدْنِيبَنَّ^(٥) إِلَيْهِ مِنْ يُهَيِّئُكَ عِنْدَهُ ،
وَيُنْذِرُكَ بِحَضْرَتِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ^(٦) مِنْ شَأْنِهِ لَكَ مَا أَنْتَ بِهِ جَاهِلٌ ،
وَمِنْ خِلَافِ الْمَوَدَّةِ مَا أَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ . وَهُوَ أَلْحَ^(٧) فِي حَسْبِهِ لَكَ مِنْ
النُّبَابِ ، وَأَسْرَعُ فِي تَهْرِيقِكَ^(٨) مِنَ السَّيْلِ إِلَى الْحُلُورِ^(٩) .

(١) مع : « لا تقسوا عليه وفدا » .

(٢) ب فقط : « فإنه أهون » تحريف . وكلمة « لك » من مع وهامش م .

(٣) ط فقط : « وروايق ضره » .

(٤) اذلق : فصاحة اللسان . ما عدا مع : « زلقه » تحريف .

(٥) ب : « فدنين » تحريف ، وأثبت ما في م ، ط . وفي هامش م : « فليس » ، وهي

ما جاءت به نسخة مع .

(٦) م فقط : « يظهر » وحوّرت فيها إلى « سيظهر » .

(٧) « ألح » بالخاء المهملة ، كما في اللمعة الفاخرة للأصبهاني ٣٦٩ . ونظيرها فيما أورده :
ألح من الخنفساء ، ومن الكلب ، ومن الحسى . وفي مع : « ألج » بالجم ، وهو المطابق لما في
جوهرة الأشكال للسكري ١٨٠ حيث أورد هذه الأشكال كلها بصورة « ألج » بالجم . وكلاهما
اقتصروا في التفسير على « ألح من كلب » واتفقا في قولهما « لأنه يلح بالمرير على الناس » ،
ولا ريب في أخذ السكري المتوفى نحو سنة ٤٠٠ عن حزة الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥١ .
كما صرح بذلك السكري في مقمته كتابه ص ٦ . وهذا مما يؤيد رواية « ألح » بالهمزة ،
إذ يقال ألح عليه ، ولا يقال ألج عليه .

(٨) ط ، مع : « تهريقك » .

(٩) الحلور ، بالفتح : الموضع المتحدر . ب : « الخلود » ، تحريف .

وما أحبُّ أن تكون عن حاسدك غيباً، وعن وهمك ^(١) بما في ضمير ونسباً ^(٢) :
 إلّا أن تكون للذلِّ محتملاً ، وعلى اللئانة مشتتلاً ^(٣) ، ولأخلاق الكرام
 مجانباً ، وعن محمود شيمهم ذاهباً ، أو تكون بك إليه حاجة ^(٤) قد
 صيرتكَ ^(٥) لسهام الرماة هدفاً ، وعرضك لمن أرادك غرضاً ^(٦) .

وقد قيل على وجه اللعن ^(٧) : « الحرّة تجوع ولا تأكل بشدييها » ^(٨) .

وربّما كان الحسود ^(٩) للمصطنع إليه المعروف أكثر له وأشدَّ
 احتقاراً ^(١٠) ، وأكثر تصغيراً له من أعدائه .

٥ - فصل منه ^(١١)

ومنى رأيت حاسداً يصوبُّ لك رأياً إن كنت ^(١٢) مصيباً ، أو يرشدك

(١) وهم إل الشيء وفيه : ذهب وهمه إليه . مع : « فبهلك » .

(٢) ب : « بما في ضمير لحياء » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « مشتتلاً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ما عدا مع : « أو تكون بك بلابة » .

(٥) ب : « صيرتها » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) ما عدا مع : « لمن أبادك » .

(٧) أى في قديم الزمان . ب : « الأرض » ، م ، ط : « العرض » ، صوابها في مع .

(٨) ب : « تأكل ثديها » وهي رواية صحيحة مثلها في المستقصى ٢ : ٢٠ ، و« ثديها »

يلون باده . قال الزعرى : منناه جعل ثديها ، كقوله :

« يأكلن كل ليلة إكافا » .

أى عن إكاف . والجمل ، بالقسم : أجز العائل ونحوه . ويرى : « تجوع الحرّة » ، و « قد

تجوع الحرّة » : انظر الفاجر ١٠٩ والميداني ١١٠ و« جبهة السكرى ٢٦١ ، ٤٩٤ .

(٩) ب ، ط : « الحسد مع : « الحاسد » ، وأثبت ما في م .

(١٠) احتقد عليه : حقد . ط : « احتقاداً منه » . و « منه » مقسمة . وفي مع : « وأشد

اجتهاداً » ، تحريف .

(١١) منه ، ساقطة من ب .

(١٢) ب ، ط ، مع : « وإن » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب ما في م بدون وإن .

إلى صواب إن كنت مخطئاً ، أو أفصح^(١) لك بالخير في غَيْبَتِهِ عَنْكَ^(٢) .
أو قَصَرَ من غَيْبَتِهِ لك^(٣) .

فهو الكَلْبُ الكَلْبُ ، والنَّمِر النَّمِر^(٤) والسمُ القَشْبُ^(٥) ، والفَحْلُ
القَطِمْ^(٦) ، والسَّيْلُ العَرِمُ^(٧) . إن مَلَكَ قَتَلَ وَسَبَى^(٨) ، وإن مُلِكَ
عَصَى وَبَغَى . حَيَاتُكَ مَوْتُهُ ، ومَوْتُكَ عِرْمُهُ وسُروره^(٩) . يَصْدُقُ عَلَيْكَ
كُلُّ شَاهِدٍ زُورٌ ، وَيَكْذِبُ فِيكَ^(١٠) كُلُّ عَدْلٍ مَرْضَى . لا يَحِبُّ من
النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُبْغِضُكَ ، ولا يُبْغِضُ إِلَّا من يَحِبُّكَ . عَدُوُّكَ بَطَانَةٌ
وصَدِيقُكَ عِلَانِيَةٌ^(١١) .

وقلتَ : إِنَّكَ رَبِّمَا غَلِطْتَ في أَمْرِهِ لَمَا يَظْهَرُ لَكَ من بَرِّهِ . ولو كنتَ
تعرف الجليل من الرأى^(١٢) ، والدقيق من المعنى ، وكنتَ في مذاهيك
فَطِينًا نِقَابًا^(١٣) ، ولم تكُ في عَيْبٍ مَن ظَهَرَ لك عَيْبُهُ^(١٤) مُرْتَابًا ،

(١) م : « أو أنصح لك بالخير في غيبة لك » مج : « أو نصح لك في غيبه عنك » ب :
« أو ألصح لك بالخير في غيبه عنك » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٢) ب ، م : « من غيبه » ، وأثبت ما في ط .

(٣) يقال نمر ينمر نمرًا ، إذا غضب وساء خلقه . ب : « والنمر والنمر » ، صوابه في
م ، ط . وفي مج : « والنمر الحرب » . وهو الذي قد كلب واشتد غضبه .

(٤) القشب : المخلوط .

(٥) القطم : الشديد الشهوة إلى الضراب .

(٦) العرم : السيل الذي لا يطلق .

(٧) وسبى ، ساقطة من ب .

(٨) ب فقط : « وسوره » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « عليك » .

(١٠) مج : « عدوك بطانته ، وصديقك علانته » .

(١١) م فقط : « الكليل » وصحمت فواتها بالجليل .

(١٢) التقاب : بالكسر : العالم بالأشياء المبحث عنها الفطن الشديد الدخول فيها . وفي
قول أوس بن حجر :

نَجِيجُ جَوَادٍ أَغْوَى مَاقِطُ نِقَابٍ يَحْدُثُ بِالنِقَابِ

ب ، ط : « نهايا » ، صوابه ، م ، ن ، مج .

(١٣) مج : « من أوضع لك عيبه » .

لاستغنى بالرمز عن الإشارة ، وبالإشارة عن الكلام ، وبالسّر عن الجهر ، وبالخفض عن الرفع ^(١) ، وبالاختصار ^(٢) عن التطويل . وبالجمل عن التفصيل ، وأرحنا من طلب التحصيل ^(٣) ولكني أخاف عليك أن قلبك لصديقك غير مستقيم ، وأن ضمير قلبك له غير سليم ^(٤) ، وإن رفعت القذى عن لجيتيه ^(٥) ، وسويت عليه ثوبه فوق مركبه ، وقبّلت صبيّه بحضرنه ، ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته ، واعتفرت له الزّلة ^(٦) ، واستحسنّت كلّ ما يقبّح من جهته ^(٧) ، وصدّقته على كذبه ، وأعنته على فجْرته . فما هذا العناء ^(٨) ! كأنك لم تقرأ الموعظة ، ولم تسمع مخاطبته ^(٩) نبيّه صلى الله عليه وسلم ، في التّقلّمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسدٍ إذا حسد .

أتطلب ^(١٠) ويحك أثراً بعد عين ، أو عطراً بعد عروس ^(١١) ، أو تريد أن تجتني عنياً من شوك ، أو تلتبسَ حلبَ لبنٍ من حائل ^(١٢) .

(١) ما عدا ج : « وبالجهر عن الرفع » .

(٢) ب ، ط : « والاختصار » .

(٣) ب : « عن طلب التحصيل » .

(٤) ب : « أن قلبك لصديقك غير سليم له » . وفيه نقص وبحريف .

(٥) في هامش م : « عن ميه » وليست بشيء . وقد تكون : « عن جبه » .

(٦) الزّلة ، يفتح الزّلى : السقطة والخطيئة . ب فقط : « الدّلة » تحريف . وفي مج : « الزّلة بعد زلته » .

(٧) ج : « من شيمته » .

(٨) ما عدا ج : « فإ هذا العناء » ، ولا يقولها الجاحظ . وفي مج : « فإ هذا العناء » .

وما هذا الداء البلاء .

(٩) ب ، ج : « ولم تسمع على مخاطبته » ، مج : « ولم تسمع مخاطبة الله تعالى لنبيه » .

(١٠) ب ، م : « تطلب » .

(١١) ب فقط : « وعطراً بعد عروس » وكذلك فيما بعده « وتريد أن تجتني .. » .

(١٢) م : « وتلتبس » . والحوائل : التّاقة انقطع حملها سنة أو سنوات حتى تحمل . ب ،

ط : « من جل » ، صوابه في م ، ج .

إِنَّكَ إِذْنٌ أَغْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَأَحْمَقُّ مِنَ الضَّبِيعِ ، وَأَغْفَلٌ مِنْ هَرَمٍ ^(١) .

إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ بَعْدَ مَا أَعْلَمْنَاكَ ، وَتَعُوجُ بَعْدَ مَا قَوْمْنَاكَ ، وَتَبْلُدُ ^(٢) بَعْدَ مَا ثَقَّفْنَاكَ ^(٣) ، وَتَضِلُّ إِذْ هَدَيْنَاكَ ، وَتَنْسَى إِذْ ذَكَّرْنَاكَ ^(٤) ، فَأَنْتَ كَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ فَبَطَلَتْ عِنْدَهُ الْمَوَاعِظُ ، وَعَمِيَ عَنِ الْمَنَافِعِ ^(٥) ، فَخَتَمَ ^(٦) عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً . فَتَعُوذُ ^(٧) بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ .

إِنَّهُ لَا يَأْتِيكَ وَلَكِنْ يُنَادِيكَ ^(٨) وَلَا يَحَاكِيكَ وَلَكِنْ يُوَازِنُكَ ^(٩) .
أَحْسَنُ مَا تَكُونُ عِنْدَهُ حَالًا [أَقْلٌ مَا تَكُونُ مَالًا ، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ عِيَالًا ،
وَأَعْظَمُ ^(١٠)] مَا تَكُونُ ^(١١) ضَلَالًا . وَأَفْرَحُ ^(١٢) مَا يَكُونُ بِكَ أَقْرَبَ
مَا تَكُونُ ^(١٣) بِالصَّيْبَةِ عَهْدًا ، وَأَبْعَدُ مَا تَكُونُ مِنَ النَّاسِ حَمْدًا ^(١٤) .

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَجَاوِرَةٌ الْمَوْتِ ، وَمُخَالَطَةٌ الزَّمَنِ ،

-
- (١) الهرم : السن الذي يبلغ أقصى الكبر .
(٢) تَبْلُدُ ، أَيْ تَقْبَلُ ، يَجُفُّ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ . م فَقَط : • وَتَقْبَلُ • .
(٣) ب فَقَط : • ثَقَّفْنَاكَ • تَحْرِيف .
(٤) مَجَّ وَحَوَّاهُ م : • لَا ذِكْرَ نَاكَ • .
(٥) ب فَقَط : • وَهَزَمَ عَنِ الْمَنَافِعِ • .
(٦) ب فَقَط : • وَخَتَمَ • .
(٧) ب فَقَط : • وَتَعُوذُ • .
(٨) مَج : • وَلَكِنَّهُ يُنَادِيكَ • .
(٩) ب : • يُوَازِنُكَ • تَحْرِيف ، وَفِي مَج : • وَلَكِنَّهُ يُوَازِنُكَ • .
(١٠) التَّكَلُّفُ مِنَ مَج .
(١١) مَا عِنْدَا مَج : • مَا يَكُونُ • .
(١٢) ب فَقَط : • وَأَفْرَحُ • بِالْمِج ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخ .
(١٣) مَا عِنْدَا مَج : • مَا يَكُونُ • ، تَحْرِيف .
(١٤) مَا عِنْدَا مَج : • وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُ • بِأَلْيَاءِ ، مَعَ سَقُوطِ الْكَلِمَاتِ بِطَعْمِهَا .

والاجتنان بالجلدران^(١) ، ومَضِر المَصْران^(٢) ، وأَكَل القِرْدان^(٣) ،
أَهون من معاشرته ، والاتِّصال بحبله .

والغِلْ نتيج الحسد^(٤) ، وهو رضيعه^(٥) : وغصنٌ من أغصانه ،
وعَوْن من أعوانه ، وشُعْبَةٌ من شُعْبِهِ ، وفَعْلٌ من أفعاله^(٦) ، كما أنه ليس
فرعٌ إلَّا له أصل ، ولا مولودٌ إلَّا له مُولِد ، ولا نباتٌ إلَّا من أرض ،
ولا رضيعٌ إلَّا من مُرضِع^(٧) ، وإن تغيَّر اسمه ؛ فإنَّه^(٨) صفة من صفاته ،
ونبت من نباته ، ونعتٌ من نعوته .

ورأيتَ الله جل جلاله ذَكَرَ الجنةَ في كتابه فحلَّها بأحسنِ حلِّية ،
وزيَّنَها بأحسنِ زينة ، وجعلَها دارَ أوليائه ومَحَلَّ أنبيائه ، ففيها ما لا
عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر^(٩) . فذكر في
كتابه ما منَّ به عليهم من السُّرور والكرامة عندما دَخَلوها وبَوَّأها لهم ،
فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ . وَنَزَعْنَا
مَا فِي صُلُوبِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لَا يُسَمُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ .
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾^(١٠) .

(١) ب : « والأكل بالجلدران » م : « والكسل » ومصحفها أحد تيمور بلنظ :
« والاجتنان » ، موافقاً ما في ط . والاجتنان : الاستتار . وفي مع : « والاكتنان بالجلدران »
وهما بمعنى .

(٢) مصر المصران : استخراج ما فيها . وفي مع : « ومصر المصران » .

(٣) جمع قراد بالضم ، وهو دوية تمص الإبل .

(٤) ب ، مع : « ينتج الحسد » .

(٥) هذا ما في مع . وفي ب ، ط : « ورضيعه » فقط . وفي م : « ورضيع رضيعه » .

(٦) يند في مع : « وحديث من أفعاله » .

(٧) مع : « إلَّا له مرضع » .

(٨) ب فقط : « فهو » .

(٩) ب فقط : « عل لب بشر » .

(١٠) الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة الحج .

فما أنزلهم دارَ كرامته إِلَّا بعد ما نزع الغِلَّ والحسدَ من قلوبهم^(١) ،
فنهتوا بالجنة ، وقابلوا إخوانهم على السر ، وتلذذوا بالنظر في مقابلة
الوجوه لسلامة صدورهم ، ونزع الغِلَّ من قلوبهم^(٢) . ولو لم ينزع ذلك
من صدورهم ويخرجه من قلوبهم ، لافتقدوا لذادة الجنة^(٣) ، وتدأبروا
وتقاضوا وتحاسدوا ، وواقعوا الخطيئة^(٤) ، ولمسهم فيها النصب ،
وأعقبوا منها الخروج ، لأنه عز وجل فضل بينهم في المنازل ، ورفع
درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات^(٥) ، وسنى العطايات .

فلما نزع الغِلَّ والحسد^(٦) من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها^(٧) ،
وأقربهم بدخول الجنة عهداً ، أنه أفضلهم منزلة ، وأكرمهم درجة ،
وأوسعهم داراً بسلامة قلبه^(٨) ، ونزع الغِلَّ من صدره ، فقرت عينه
وطاب أكله . ولو كان غير ذلك لصاروا إلى التنغيص^(٩) في النظر
باليون^(١٠) ، والاهتمام بالقلوب ، ولحدثت^(١١) العيوبُ والذنوبُ .

وما أرى السَّلامة إِلَّا في قطع الحاسد ، ولا السرور إِلَّا في افتقار

(١) يبدء في مع : « فيافتقار الغل والحسد نهتوا بالجنة » .

(٢) مع : « بسلامة صدورهم ، ونزع الحسد والغل من صدورهم » .

(٣) م : « لذات الجنة » .

(٤) مع : « وأوقعوا الخطيئة » م : « وواقعوا الخطيئة » .

(٥) ب فقط : « في الدرجات » .

(٦) ب ، مع : « الحسد والغل » .

(٧) م فقط : « فيهم » .

(٨) م : « لسلامة قلبه » .

(٩) ب ، ط : « التنغيص » .

(١٠) ب فقط : « باليون » .

(١١) ب : « ولحدثت فيهم » م : « ولحدثت فيهم » ط : « وحدثت فيهم » . وأنتهت ما في مع .

وجهه ، ولا الرَّاحَةَ إِلَّا فِي صَرْمٍ مَدَارَاتِهِ ^(١) . ولا الرُّبْحَ إِلَّا فِي تَرْكِهِ
مَصَافَاتِهِ ^(٢) .

فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكُلْ هَنِيئًا مَرِيئًا ^(٣) ، [وَنَمِ رَضِيئًا ^(٤)] ، وَعَشْ فِي
السُّرُورِ مَلِيئًا ^(٥) .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْجَلِيلَ أَنْ يُصَفِّيَ كَلِمَةَ قُلُوبِنَا ^(٦) ، وَيَجْنِبَنَا
وَلِيَّائِكَ [دُعَاءَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَرْزُقَنَا وَلِيَّائِكَ ^(٧)] حُسْنَ الْأَلْفَةِ وَالْإِتِّفَاقِ ^(٨) ،
وَيُحْسِنَ ^(٩) تَوْفِيقَكَ وَتَسْلِيلَكَ . وَالسَّلَامُ .

(١) ب ، م : «مداراته» ، تحريف

(٢) ب ، م ، ط : «مكافأته» ، وأثبت ما في مع وهامش م .

(٣) ب ، م : «فكل هنئاً مريئاً» ، وأثبت ما في ط . وفي مع : «فكل هنئاً والمرتبـ
مريئاً» .

(٤) هذه من مع .

(٥) مليئاً ، أي زماناً طويلاً . ب فقط : «مريئاً» ، تحريف .

(٦) ما عدا مع وأسفل م : «كدر صدورنا» .

(٧) التكلة من م ، مع .

(٨) ب ، ط ، : «سوء الألفه والاتفاق» .

(٩) ب ، م : «وحسن» ، وأثبت ما في ط . وفي مع : «أحسن الله» .

٢

من كتابه في

المعلمين

١ - فصل

من صدر كتابه في المعلمين^(١)

أعانك الله على سورة الغضب^(٢) ، وعصمك من سرف اذوى .
 وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورجح^(٣) في قلبك إشارَ
 الأناة . فقد استعملت في المعلمين نوك السفهاء^(٤) ، وخطل الجهلاء ،
 ومفاحشة الأبيياء ، ومُجانبة سبل الحكماء ، وتهكم المقتدرين^(٥) . وأمن
 المقتربين . ومن تعرض للعدواة وجدها حاضرة ، ولا حاجة بك إلى
 تكلف ما كُفيت^(٦) .

٢ - فصل منه

ولولا الكتابُ لاختلَّت أخبار الماضين ، وانقطعت آثار الغائبين ..
 وإنما اللسانُ للشاهد لك^(٧) ، والقلمُ للغائب عنك ، وللماضى قبلك .
 والغابر بعدك^(٨) . فصار نفعه أعم ، والدواوينُ إليه أفقر .

(١) لي بحث عنوانه (المجاhez والمعلمون) في مجلة الكتاب ، عدد أغسطس ١٩٤٦ .

(٢) سار يسور سوراً : ثار . ب : « صورة » تحريف . م : « ثورة » ، والوجه ما أثبت من ط . وأنشد في اللسان (عفا ٣٠٦) :

خلى القفو منى تصدبى موقد . ولا تنلق في سورق حين أغضب

وانظر لنسبة هذا البيت عيون الأخبار ٣ : ١١ / ٤ : ٧٧

(٣) ب : « ورجح » ، والصواب من ط ، م .

(٤) النوك ، بالضم والفتح : الحق . ب ، م : « نوك » ، صوابه في ط .

(٥) التهم : التكبر ، والتبختر طرياً .

(٦) ب فقط : « ما كُفيت منه » .

(٧) المراد بالشاهد : الحاضر .

(٨) المراد بالغابر هنا الباقى ، والغابر من الأضداد ، يقال لغازى والباقي أيضاً . ب ، م :

« والغابر » بالهجمة ، صوابه في ط .

والمَلِكُ الْمُقِيمُ بالواسطة^(١) لا يدرك مصالِحَ أطرافه وسدَّ ثغوره ،
وتقويمَ سَكَّانِ مملكته : إِلَّا بالكتاب .

ولولا الكتاب ما نَمَّ تلجيب^(٢) : ولا استقامت الأمور . [وقد^(٣)]
رأينا عمودَ صلاحِ الدين والنُّبَا إِنَّمَا يعتدل في نصابه ، ويقوم على
أساسه بالكتاب والحساب^(٤) .

وليس علينا لأحدٍ في ذلك من المنة بعد الله الذي اخترع ذلك لنا
ودلَّنَا عليه ، وأخذ بنواصينا إليه ، ما للمعلمين الذين سخرهم لنا ،
ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا . وهؤلاء هم الذين همجوتهم وشكوتهم
وحاججتهم وفحشت عليهم ، وألزمت الأكابرَ ذنبَ الأصاغر ، وحكت
على المجتهدين بتفريط المقصِّرين ، ورثيتَ لآباء الصُّبيان من إبطاء
المعلِّمين عن تحذيقهم^(٥) ، ولم تَرثِ للمعلِّمين من إبطاء الصُّبيان
عَمَّا يراد بهم : ويُعَلِّمهم عن صرف القلوب لما يحتفظونه ويدرسونه .
والمعلِّمون أشقى بالصُّبيان من رُعاة الضَّأن ورؤاوسِ المهارة^(٦) .

ولو نظرتَ من جهة النظر علمتَ أَنَّ النعمةَ فيهم عظيمةٌ مابغة ،
والشكرَ عليها لازم واجب .

(١) أي حاضرة الملك ، وهي في وسط البلاد غالباً .

(٢) م : « لم يتم » ط : « لا تم » .

(٣) التكلة من م ، ط .

(٤) ب ، ط : « في الكتاب والحساب » ، وأثبت ما في م .

(٥) ط فقط : « عن إبطاء » تحريف . والصديق : إكساب المهارة والإتقان في العلم والعمل .

وفي جميع النسخ : « تحذيقهم » بالذال المهملة ، والوجه ما أثبت .

(٦) المهارة والمهارة ، بكسر الميم فهما : جمع مهر ، بالنسب ، وهو ولد الرمكة والفرس .

٣ - فصل منه^(١)

وأجمعوا على أنَّهم لم يجعلوا كلمةً أقلَّ حرفاً ولا أكثر رتبةً ،
ولا أعمَّ نفعاً ، ولا أحتَّ على بيان^(٢) ، ولا ادعى إلى تبين ، ولا أهجى
لن ترك التفهيم وقصّر في الإفهام ، من قول أمير المؤمنين على بن أبي طالب
رضوان الله عليه : « قيمة كلِّ امرئ ما يحسن » .

وقد أحسنَ من قال : « مذاكرة الرجال تلقيحٌ لألبابها » .

وكرهت الحكماء الرؤساء ، أصحابُ الاستنباط والتفكير^(٣) ، جودةَ
الحفظ^(٤) ، لكان الاتكال عليه^(٥) ، وإغفال العقل من التمييز ،
حتى قالوا : « الجِفْظ عِنْدُ الذَّهْن » . ولأنَّ مستعملَ الحفظ لا يكون
إلاً مقلداً ، والاستنباط هو الذى يفضى بصاحبه إلى برد اليقين ، وعزَّ
الثقة .

والقضية الصحيحة والحكم المحدود : أنه متى أدام الحفظ أضرَّ
ذلك بالاستنباط ، ومتى أدام الاستنباط أضرَّ ذلك بالحفظ ، وإن كان
الحفظ^(٦) أشرف منزلة منه .

ومتى أهملَ النظر لم تسرع إليه المعاني^(٧) ، ومتى أهملَ الحفظ^(٨)

(١) منه ، هنا ساقطة من ب .

(٢) الحث : الحفز . ب فقط : « ولا أحسن » ، تحريف .

(٣) م : « والتفكر » .

(٤) الكلام يعمد إلى كلمة ؛ « الحفظ » التالية ساقطة من م .

(٥) ب : « لكان اتكال عليه » .

(٦) ب ، م : « التحفظ » .

(٧) ب : « لم يسرع إليه المعاني » .

(٨) ب فقط : « التحفظ » .

لَمْ تَعْلَقْ بقلبه^(١) ، وَقَلَّ مَكْنُهَا فِي صدره .

وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط . واللى^(٢) يُعَالَجَانِ بِهِ
ويستعينان مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣) ، [أَلَا^(٤)] وهو فراغُ القلبِ للشيءِ ، والشَّهْوَةُ
له ، وبهما يكون التَّامُ ، وتظهر الفضيلة^(٥) .

ولصاحب الحفظ^(٦) سببٌ آخر يتَّفَقَانِ عَلَيْهِ ، وهو الموضعُ والوقت .

فَأَمَّا الموضعُ فإِيهما يَخْتَارَانِ^(٧) إِذَا أَرَادَا^(٨) ذَلِكَ الْفَوْقَ^(٩) دُونَ
السُّفْلِ^(١٠) .

وَأَمَّا السَّاعَاتُ فَالْأَسْحَارُ دُونَ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ قَبْلَ
وَقْتِ الْإِسْتِغَالِ ، وَيَعْقِبُ تَمَامَ الرَّاحَةِ وَالْجَمَامِ^(١١) ، لِأَنَّ الْجَمَامَ^(١٢)
مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلَحَةُ ، كَمَا أَنَّ لِلْكُدِّ مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلَحَةُ .

٤ - فصل منه

وَيُسْتَدَلُّ أَيْضاً بِوَصَايَا الْمُلُوكِ لِلْمُؤَدِّبِينَ فِي أَبْنَائِهِمْ ، وَفِي تَقْوِيمِ

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخ : « لَمْ يَمْلُقْ بِقَلْبِهِ » ، وَالْفَمِيرُ رَاسِحٌ إِلَى الْمَعَانِي .

(٢) م ، ب « وَالَّذِينَ » ط : « وَالَّذَانِ » ، وَالْوَجْهَ ، مَا أَثْبِتَ .

(٣) ب : « مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ » .

(٤) التَّكَلُّفُ مِنْ ط .

(٥) ب فقط : « وَيُظْهِرُ الْفَضِيلَةَ » .

(٦) ب فقط : « الْحَفِظُ » .

(٧) م ، ط : « يَخْتَارُ » .

(٨) م : « أَرَادَ » .

(٩) ب : « الْفَرْقُ » م ، ط : « الْفَرْقُ » ، وَأَرَى الْوَجْهَ فِيمَا أَثْبِتَ .

(١٠) ط فقط : « الشَّلْطُ » . وَالسُّفْلُ ، يَغْمُ السَّيْنُ وَكُسرُهَا : مُقَابِلُ الْفَوْقِ .

(١١) الْجَمَامُ كَسْحَابِ : الرَّاحَةُ . م ، ط : « وَالْجَمَامُ » بِالْخَاءِ لِلْمَهْلَةِ ، تَحْرِيفٌ . وَفِي
جَمِيعِ النُّسخ : « وَيَعْقِبُ تَمَامَ » ، وَأَثْبِتَ مَا رَأَيْتُ الصَّوَابَ ، كَمَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ : « وَيَعْقِبُ » .

(١٢) م ، ط : « الْجَمَامُ » ، تَحْرِيفٌ .

أُحْدَانِهِمْ ، عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ ^(١) قَلَّدَهُمْ أُمُورَهُمْ وَضَمِيرَهُمْ بَبُلُوغِ التَّمَامِ ^(٢) فِي تَأْدِيبِهِمْ . وَمَا قَلَّدُوهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ارْتَفَعَ إِلَيْهِمْ فِي الْحَنُوحِ هَالَهُمْ ^(٣) فِي الْأَدَبِ ، وَبَعْدَ أَنْ كَشَفَهُمُ الْإِمْتِحَانُ وَقَامُوا عَلَى الْخِلَاصِ .

. وَأَنْتَ - حَفِظَكَ اللَّهُ - لَوْ اسْتَقْصَيْتَ عِدَّةَ النُّحَوِيِّينَ وَالْعَرُوضِيِّينَ وَالْفَرَضِيِّينَ ، وَالْحُسَابِ ، وَالْخَطَّاطِينَ ، لَوَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ مُؤَدِّبَ كِبَارٍ وَمُعَلِّمَ صِغَارٍ ، فَكَمْ تَظُنُّ ^(٤) أَنَّا وَجَدْنَا مِنْهُمْ ، مِنَ الرُّوَاةِ وَالْقَضَاةِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَالْوَلَاةِ مِنَ الْمُنَاكِيرِ وَالِدُّعَاةِ ، وَمَنِ الْحُمَاةِ وَالْكَفَاةِ ، وَمَنِ الْقَادَةِ وَالذَّادَةِ ^(٥) ، وَمَنِ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّادَةِ ، وَمَنِ كِبَارِ الْكُتُبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ، وَمَنِ أَصْحَابِ الرِّسَالِ وَالْخُطَابَةِ ، وَالْمَذْكُورِينَ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْبَلَاغَةِ ، وَمَنِ الْقُرَّسَانِ وَأَصْحَابِ الطَّلَاعِ ، وَمَنِ نَدِيمِ كَرِيمٍ ، وَعَالِمِ حَكِيمٍ ، وَمَنِ مَلِيحٍ ظَرِيفٍ ، وَمَنِ شَابٍّ عَفِيفٍ . وَلَا تَعْجَلْ بِالْقَضِيَّةِ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ آخِرَ الْكِتَابِ ^(٦) ، وَتَبْلُغَ أَقْصَى الْعِلْمِ ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَعَمَّلْتَ تَلَمَّعْتَ ^(٧) ، وَإِنْ كُنْتَ جَهَلْتَ تَعَلَّمْتَ ، وَمَا أَظُنُّ مِنْ أَحْسَنَ بِكَ الظَّنُّ إِلَّا وَقَدْ خَالَفَ الْحَزْمُ .

• - ففصل منه

قَالَ الْمُعَلِّمُ : وَجَدْنَا لِكُلِّ ^(٨) صَنْفٍ مِنْ جَمِيعٍ مَا بِالنَّاسِ إِلَى تَعَلُّمِهِ

(١) قد ، ساقطة من ب .

(٢) في جميع النسخ : « ببلوغ » .

(٣) ب : « حالهم » .

(٤) م : « ظن يظن » تحريف . ب : « فكلم ظن » ، وأثبت ما في ط .

(٥) جمع ذاته ، وهو المدافع والرجل الحامى الحقيقة . م : « والزيادة » تحريف .

(٦) م : « حتى تستوفى آخر الكتاب » ، تحريف .

(٧) تميم : استنكف . يقال : لو لم أترك الكذب تأمناً لتركته تلقاً . ب : « تزعمت »

صوابه بالدال كما في ط ، م .

(٨) ب ، ط : « كل » ، والوجه ما أثبت من م .

حاجة ، معلمين^(١) ، كعلمي^(٢) الكتاب والحساب ، والقرائن والقرآن ، والنحو والعروض والأشعار ، والأخبار والآثار . ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة^(٣) والحساب . ثم لعب الصوالمجة ، والرأي في التنبؤ^(٤) ، والمجئمة^(٥) ، والطير الخاطف ، ورعى البنجكار^(٦) . وقبل ذلك الديوق^(٧) والنفع في السبطانة^(٨) . وبعد ذلك الفروسية ، واللعب بالرماح والسيوف ، والمشاولة^(٩) والمنازلة والمطاردة ، ثم النجوم واللحون ، والطب والهندسة ، وتعلم الرزد والشطرنج ، وضرب الدفوف وضرب الأوتار ، والوقع والنفع في أصناف المزامير . ويأمرمون بتعليم أبنائهم الرعية الفلاحة والنجارة^(١٠) ، والبنيان والصياغة والخياطة ، والسرود والصنغ^(١١) ، وأنواع الحكاية . نعم حتى علموا البلابل وأصناف الطير الألحان .

(١) ط : المعلمين .

(٢) ب فقط : كمل .

(٣) الكتاب : الكتابة . م فقط : الكتابة .

(٤) هي تلك في الفارسية . انظر استنباس ٣٢٧ وقد فسرنا بالقوس الخفيفة : Weak bow ولعل مايقابلها بالمرية المقترة . وفي الحصص ٦ : ٣٩ عن ثعلب : قوس مقترة : خفيفة متوسطة . ب : التنوك صوابه في م ، ط .

(٥) المجئمة : كل حيوان ينصب ويرى ويقتل . وفي الحديث أنه نهى عن المصبورة والمجئمة (٦) م : البنجكار بالراء المهملة ، تحريف . وهي لفظة فارسية مكونة من كلمتين بنج بمعنى خيمة . وكاز بمعنى النصف ولعلها خمس خشبات تنصب ههنا .

(٧) في القاموس والتاج أن الديوق كنز : لعبة يلعب بها الصبيان . ب : الديوب . وأثبت ما في ط ، م .

(٨) البطانة محرقة ، كما في القاموس : قناتة جوفاء يرى بها الطير . وفي اللسان : قناتة جوفاء مفرودة بالعقب يرى بها الطير ، وقيل يرى فيها بهائم صغار ينشق فيها نفعاً ، فلا تكاد تحصى . وفي جميع الأصول : الشيطار ، صوابه ما أثبت .

(٩) يراد به حل الأنفال ، من قولهم شاول الحجر : رفعه ، فانشال . والمشال : حجر يشال . يقال شال به وأشاله وشلوله .

(١٠) ب : ط : والنجارة ، والوجه ما أثبت من م .

(١١) السرد : الخرز في الأديم ، وهو أيضاً نسج النروع . ب : والصنغ : بالين المهملة صوابه في ط ، م .

وناساً^(١) يعلمون القروود والنبية والكلاب والطباء المكية^(٢) والبيضاء، والسقر^(٣) وغراب البين، ويعلمون الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، والقيلة، أصناف الماشي، وأجناس الحضر^(٤)، ويعلمون الشواحين والصقور والبوازي^(٥)، والفهود، والكلاب، وعناق الأرض، الصبيد.

ويعلمون اللواب الطحن، والبخالي الجمز^(٦) حتى يروضوا الهملج والمعنق^(٧)، بالتحليخ وغير التحليخ^(٨)، وبالموضوع والأوسط والمرفوع.

ووجدنا للأشياء كلها معلمين.

ولنما قيل للإنسان العالم الصغير، سليل العالم الكبير^(٩)، لأن في الإنسان من جميع طبائع^(١٠) الحيوان أشكالا، من ختل الذئب^(١١)

- (١) كذا بالنصب في جميع النسخ، بإضمار «وجدنا». وانظر ما سبق في أول هذا الفصل.
(٢) الذي ذكره الجاحظ في الحيوان هو الفهم المكية. انظر ٢: ١٧٩/٦: ٣١٦: ١٠٤: ٧.
ومثلها في ذلك الفهم الحبشية. انظر الحيوان ٦: ٣١٦ عند تفسير الجاحظ لقصة بشر بن المعتز:
والدب والقترود إذا حلا والقيسل والكلبة والير
(٣) السقر: الصقر. وانظر لتعليمه ما جاء في الحيوان ٤: ٤٧. ب: «والسقل»
م، ط: «والسقل»، صوابهما ما أثبت.

(٤) ط: «الخطو».

(٥) البوازي: جمع البازي. وفي جميع النسخ: «البوازيين». وانظر لتعليم البوازي ما جاء في الحيوان ٤: ٤٧.

(٦) الجمز: الوشب. م، ط: «الجمز» تحريف.

(٧) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة. والمعنق: السريع. أعنت الدابة فهي معنق وعنق ومعنق. في الأصول: «والمعنق».

(٨) في القاموس: الخلع الألبين، كظم: للتحكيم، والتحليخ مشبه، أي مشي الخلع.

(٩) ب فقط: «وسليل العالم الكبير». وما أثبت من م، ط يطابق ما في الحيوان ١: ٢١٢.

(١٠) ب، م: «طبايع» والتصحيح.

(١١) الختل: الخلد. وعقل الذئب الصبيد: تحمله. م، ب: «حيل الذئب». وفي

الحيوان: «غدر الذئب».

وَرَوَّغان الثعلب^(١) ، ووثوب الأسد ، وحَقْد البعير ، وهَذَايَةُ القَطَاة . وهذا كثير ، وهذا باب^(٢) .

ولأنَّه يحكى كلَّ صوتٍ بغيه ، ويصوِّر كلَّ صورةٍ بيده . ثمَّ فضله الله تعالى بالمنطق والرؤية^(٣) وإمكان التصرف .

وعلى أننا لا نعلم أنَّ لأحدٍ من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف - كفضيلة المعلم من الناس الأحداث المنطق المنشور^(٤) ، ككلام الاحتجاج والصفات ، والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات ، بين الموزون من القصائد^(٥) والأرجاز ، ومن المزدوج والأسجاع^(٦) ، مع الكتاب والحساب ، وما شاكل ذلك ووافقه واتَّصل به ، وذَهَبَ مذهبَه .

وقالوا : إنما اشتقَّ اسم المعلم من العلم ، واسم المؤدِّب من الأدب . وقد علمنا أنَّ العلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع .

والأدب إما خُلِقَ وإمَّا رُوِيَ ، وقد أطلقوا له اسم المؤدِّب على العموم .

(١) ب : « وروغان » تحريف ، وإنما يقال راغ الثعلب روغاناً . وفي أمثالهم : « أروغ من ثعلب » ، و « أروغ من ثعالة » . وانظر الدرر الفاخرة ٢٠٩ وجهرة المسكرى ١ : ٥٠٠ والمستقصى ١ : ١٤٥ والميلداني ١ : ٢٩٠ . والروغان : الخادعة .

(٢) الباية : الوجه . والبايات : الوجوه ، وفي الأصول : « وهذا باب » .

(٣) للرؤية : التفكير في الأمر ، والتأمل في الفكر . وفي جميع النسخ : « الرؤية » والوجه ما أثبت . وإلا فالرؤية مشتركة بين جميع ضروب الحيوان .

(٤) م : ب : « الأحداث هي من المنطق المنشور » ، وعبارة « هي من » مقحمة لم ترد في ط .

(٥) ب : « من القصائد » ، صوابه في م ، ط .

(٦) في جميع النسخ : « من المزدوج » بدون واو . والمزدوج ضرب غير الرجز ، مثل له الجاحظ في البيان ٢ : ١١٦ - ١١٧ . كما أورد نماذج للأصباح في ١ : ٢٨٤ - ٢٩٠ ، وفي السبع ينقلب التزام التنفية . وفي الأزواج مراعاة التزاوج في المعاني ، وقد يصحب بالترام القافية . وفي جميع النسخ : « والأصباح » والوجه ما أثبت .

والعلم أصلٌ لكل خير ، وبه ينفصل الكرم من اللؤم ، والحلال من الحرام . والفضل من الموازنة بين أفضل الخيرين ، والمقابلة بين أنقص الشرين .

فلم يَغْرِضُوا لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ^(١) اتَّخَذَ النَّاسُ لَهَا الْمُطْعَمِينَ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالسَّرْفِ وَالِاِقْتِصَادِ ، وَالجِدِّ وَالْهَزْلِ ، إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا الْكِتَابَ ^(٢) وَالْحِسَابَ ، وَالشَّعْرَ ، وَالنَّحْوَ ، وَالْفَرَائِضَ ، وَالْعُرُوضَ . وَمَا بِالسَّيِّئِ ^(٣) مِنْ نَجْمِ الْاهْتِدَاءِ وَالْأَنْوَاءِ وَالسُّعُودِ ، وَأَسْمَاءِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالْمُنَاقَلَاتِ ^(٤) .

وَيَنْعَمُهُمُ الْعَرَامَةُ ^(٥) ، وَيَأْخُذُهُمُ بِالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَيُدْرُسُهُمُ الْقُرْآنَ ^(٦) ، وَيَهْدُنْ ^(٧) أَلَسْتَهُمْ بِرَوَايَةِ الْقَصِيدِ وَالْأَرْجَازِ ، وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّهَانُؤِ ، وَيَضْرِبُ عَلَى الْفِرَارِ ^(٨) ، وَيَأْخُذُهُمُ بِالْمُنَاقَلَةِ ^(٩) ، وَالْمُنَاقَلَةُ [مِنْ ^(١٠)] أَسْبَابِ الْمُنَافَسَةِ .

لِحَقِيرِ ^(١١) بِخِلَافِ هَذِهِ السَّيْرَةِ ، وَيَضِدُّ هَذِهِ الْمَعَامَلَةَ .

(١) ب ، م : « اللى » ، صوابه في ط .

(٢) الكتاب : الكتابة . ط فقط : « الكتابة » .

(٣) ب : « وما السياء » ، صوابه في م ، ط .

(٤) في القاموس : « والمنقلة في المنطق : أن تحدثه ويجعلك » . وفي أساس البلاغة : « وناقلة

الحديث ، إذا حدثه وحديثك » . وناقل الشاعر الشاعر : ناقضه » .

(٥) الرامة ، بالهمزة : الشرامة والأذى . م : « الرامة » . تحريف .

(٦) يقال درست الكتاب درساً ، وأدرست إدراساً ، ودرسته إياه تدريساً . وأصل للدرس

التفليل ، يقال درست الكتاب أدرسه درساً ودراسة ، أى ذلته بكثرة القراءة حتى يخف حفظه .

(٧) يقال هدته بالقول حتى رضى وسكن . وتهدين المرأة ولدها : تسكينها له بكلام إذا

أرادت إنسانه . ط فقط : « وجهليون ألتهم » .

(٨) ب فقط : « حل الضرار » .

(٩) انظر ما سبق في الخاتمة الرابعة .

(١٠) تكله يلتئم بها الكلام .

(١١) يبدو أن الكلام بتر . كما يبدو أن هذه الكلمة محرفة عن « لحقيق » . وهذا في كله نطاق

الدفاع عن العلم .

٦ - فصل منه

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الأدبَ حُرْفٌ^(١) ، وطلبه شومٌ . وأنشد قول الشاعر :

ما ازددت في أدبي حرفاً أسرُّ به إلاَّ تزيَّدتُ حرفاً تحته شومٌ^(٢)
إنَّ المقلمَ في جِلْقٍ بصنعه أنَّى توجهَ فيها فهو محرومٌ^(٣)

ولم نر شاعراً نال بشعره الرغائب ، ولا أديباً بلغ بأدبه المراتب ، ذكرَ يُمنُ الأدب ، ولا بركة قول الشعر^(٤) . فإذا حُرِمَ الواحدُ منهم ، والرجل الشاذُّ ذكرَ حُرْفِ الأدب^(٥) وشوم الشعر . وإن كان عدداً من نال الرغائب أكثرَ من عدد من أخفق .

ومهما عَيَّرنا مَنْ كان في هذه الصِّفة^(٦) فلنا غير مُعابرين^(٧) لأبي يعقوب الخريبي^(٨) ؛ لأنَّه نال بالشعر وأدرك بالأدب .

(١) الحرف ، بالضم : الحرمان ، من قولهم : رجل محارف ، أي متقوس الحظ لا يتنوله . وظله « الحرفة » بالكسر : اسم كفاك ، يقال : أدركه حرفة الأدب . ط فقط : « خرق » ، وهو الحق .

(٢) في البيت مجانسة بين الحرف والحرف بالضم .

(٣) ب فقط : « في حرق بصنعه » ، تحريف .

(٤) الكلام يمد إلى كلمة « الشعر » التالية ساقط من م .

(٥) في الأصول : « فإنما حرم » . والوجه ما أثبت . وفي ط فقط : « خرق الأدب » .

(٦) ط : « الصنعة » . والتصوير هنا بمعنى الموازنة .

(٧) للمبارة : من قولهم : عاير بينهما : قلدهما ونظر ما بينهما . وفي الأصول :

« غير عايرين » .

(٨) الخريبي بالراء المهملة : نسبة إلى خريم بن عامر المري ، وكان لأبي يعقوب اتصال به وبآله لقبب إليه . وفي جميع الأصول : « الخريبي » ، تحريف . واسمه إسحاق بن حسان بن قوهي ، وقد ذكره البغدادي في التاريخ ٣٣٦٩ وقال : « أصله من خراسان من بلاد السند » ، وقال : « وله مدائح في عهد بن منصور بن زياد » ، ويحيى بن خالد وغيرها . وقال أبو حاتم السجستاني : الخريبي أشعر المولدين ، وروى عنه شيئاً يسيراً من شعره أبو عثمان الجاحظ ، وأحمد بن حنبل ابن ناصح ، وانظر لغريم التامم قاموس الزركلي وأشكال الميداني ٢ : ٢٨١ . وكان إسحاق هذا من العميان روى له الجاحظ شعراً يذكر فيه ماه في الحيوان ٣ : ١١٣ . وانظر نكت العميان ٧١ وحيون الأخبار ٤ : ٥٧ .

وليس الذى يحمل^(١) أكثر الناس على هذا القول إلاَّ وجدانُ المعاني والألفاظ ، فإنهم يكرهون أن يُضَيِّعُوا باباً من إظهار الطَّرَفِ وقُصْلِ اللسان^(٢) وهم عليه قادرون .

٧ - فصل

وقد قالوا : الصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُّ ، وبه أشكل . وكذلك الغافل والغافل^(٣) ، والأحمق والأحمق ، والنبيُّ والنبيُّ ، والمرأة والمرأة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ^(٤) 〉 . لأنَّ الناسَ عن النَّاسِ أفهم ، وإليهم^(٥) أسكن . فمِمَّا أعان الله تعالى به الصَّبيان ، أنْ قَرَّبَ طبائِعَهُم ومقاديرَ عقولهم من مقاديرِ عقولِ المعلمين^(٦) .

وسمع الحجاجُ - وهو يسيرُ - كلامَ امرأةٍ من دار قومٍ ، فيه تخليطٌ وهَلَيان ، فقال : مجنونة ، أو ترقصُ صبياً !

ألا ترى أنَّ أبلغَ الناسَ لساناً ، وأجودَهم بياناً وأدقَّهم فطنةً ، وأبعدَهم رؤيةً^(٧) ، لو ناطقَ طفلاً أو ناضى صبياً ، لتوخَّى حكايةَ مقاديرِ عقولِ الصَّبيان ، والشَّبهَ لمخارجِ كلامهم ، وكان لا يجدُ بداً من أن ينصرف^(٨) عن كلِّ ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة ، والألفاظ الكريهة . وكذلك تكونُ المشاكلة^(٩) بين المتفقيين^(١٠) في الصناعات .

(١) م : « وأليس » ، تحريف . ب ، م : « يحمل » ، صوابه في ط .

(٢) م ، ط : « الشان » .

(٣) م : « المائل والمائل » .

(٤) الآية ٩ من سورة الأنعام .

(٥) ب ، م : « وإليه » تحريف .

(٦) ب ، ط : « المالين » .

(٧) ب ، م : « رؤية » ، صوابه في ط . وانظر ما سبق في حواشى ص ٣٤ .

(٨) ب ، م : « يصرف » ، وأثبت ما في ط .

(٩) ب ، م : « يكون مشاكلة » ، صوابه في ط .

(١٠) م : « المتفقين » ، صوابه في ب ، ط .

٨ - فصل

في رياضة العبي

وأما النحو فلا تشغل قلبه ^(١) منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحشي اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كبه ^(٢) ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه . وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومثلهل عما هو أرد عليه ^(٣) منه من رواية المثل والشاهد ^(٤) ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع ^(٥) .

وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجازاة الاقتصار فيه ، من ^(٦) لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، والاستنباط لغوامض التدبر ، ولمصالح العباد والبلاد ، والعلم بالأركان ^(٧) والقطب الذي تدور عليه الرحي ، ومن ليس له حظ غير ، ولا معاش سواه .

وعويص النحو ^(٨) لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء .

(١) م ، ب : « قلبه » ، صوابه ق ط .

(٢) ط : « في كتاب كبه » .

(٣) أرد عليه : أنفع له . وهذا الأمر لا راحة له ، أي لا فائدة له .

(٤) هذا ما في ط . وق م ، ب : « المثل الشاهد » .

(٥) ب ، م : « والفقير البارح » ، صوابه ق ط .

(٦) م : « عن » ، تحريف .

(٧) ب ، ط : « والعلم وبالأركان » ، صوابه ق م .

(٨) ب ، م : « وعويص النحو » ، صوابه ق ط .

فمن رأى أن يعتمد به^(١) في حساب التقد^(٢) دون حساب الهند ، ودون الهندسة^(٣) وغويص^(٤) ما يدخل في المساحة . وعليك في ذلك بما يحتاج إليه كثافة السلطان وكتاب اللواوين .

وأنا أقول : إن البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل ، والترقي فيه^(٥) والسبب إليه ، أرد عليه من البلوغ في صناعة المحررين ورمحوس الخطاطين ؛ لأن في أدنى طبقات الخط مع صحة المجاء بلاغاً . وليس كذلك حال الحساب .

ثم خذه^(٦) بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ إلى المعنى الغامض^(٧) . وأذقه حلاوة الاختصار ، وراحة الكفاية ، وحذره التكلف واستكراه العبارة^(٨) ؛ فإن أكرم ذلك كله ما كان إلهاماً للسامع ، ولا يُحوج إلى التأويل والتعقب ، ويكون مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ، ولا فاضلاً عليه .

فاختار من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقد^(٩) ، مغرِقاً في الإكثار والتكلف^(١٠) . فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع

(١) ب : « أن يصمد به » ، وأثبت ما في م ، ط .

(٢) حساب التقد : ضرب منه يكون بأصابع اليدين . وفي الحديث أنه « عقد عقد تسمين » وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة ٣ : ١٤٧ يولاق والحيوان ١ : ٣٣ والبيان ١ : ٧٦ وفتح الباري ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة من صحيح البخاري ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

(٣) م : « ودون حساب الهندسة » .

(٤) ب ، م : « وغويص » ، تعريف .

(٥) ب ، م : « والترقى » ط : « والترقى » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط فقط : « ثم خذ » .

(٧) ب : « الغامض » ، صوابه في م ، ط .

(٨) ب : « واستكراه العبارة » ، صوابه في م ، ط .

(٩) ب ، ط : « المتعقد » ، وأثبت ما في م .

(١٠) في جميع الأصول : « مغرِقاً بالفناء » ، والوجه ما أثبت .

بَرَاعَةِ اللَّفْظِ وَغَمُوضِهِ عَلَى السَّامِعِ بَعْدَ أَنْ يَتَسَّقَى لَهُ الْقَوْلُ ^(١) ، وَمَا زَالَ
الْمَعْنَى مُحْجُوباً لَمْ تَكْشَفْ عَنْهُ الْعِبَارَةُ . فَالْمَعْنَى بَعْدُ مُقِمٌّ عَلَى اسْتِخْفَائِهِ
وَصَارَتْ الْعِبَارَةُ لَفْزاً وَظَرْفاً خَالِياً .

وَشَرُّ الْبَلَاغِ مِنْ هَيَأَ رَسْمِ الْمَعْنَى قَبْلَ أَنْ يَهَيَّ ^(٢) الْمَعْنَى ، عَشَقاً لِدَلَالَةِ
الْفَلْظِ ، وَشَفْغاً بِذَلِكَ الْأَسْمِ ، حَتَّى صَارَ يَجُرُّ إِلَى الْمَعْنَى جَرّاً ، وَيُلْزِقُهُ بِهِ
إِلْزَاقاً . حَتَّى كَانَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) لَمْ يَخْلُقْ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى اسْماً غَيْرَهُ ، وَمَنْعَهُ
الْإِفْصَاحَ عَنْهُ إِلَّا بِهِ .

وَالْآفَةُ الْكُبْرَى أَنْ يَكُونَ رَدَى الطَّبَعِ ^(٤) بَطْنُ الْفَلْظِ ، كَلِيلَ الْحَدِّ ،
شَلِيدَ الْعُجْبِ ، وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُعَدَّ فِي الْبَلَاغِ ، شَلِيدَ
الْكَلْفِ بَانْتِحَالِ اسْمِ الْأَدْبَاءِ ^(٥) . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ فَرْقُ مَا بَيْنَ
إِجَابَةِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِكْرَاهِهَا .

وَبِالْجُمْلَةِ ^(٦) إِنَّ لِكُلِّ مَعْنَى شَرِيفٍ أَوْ وَضِيعٍ ، هَزْلٍ أَوْ جَدٍّ ^(٧) ،
وَحَزْمٍ أَوْ إِضَاعَةٍ ^(٨) ، ضَرْباً ^(٩) مِنَ الْفَلْظِ هُوَ حَقُّهُ وَحِظُّهُ ، وَنَصِيبُهُ
الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَجَاوِزَهُ أَوْ يَقْصُرَ دُونَهُ ^(١٠) .

وَمَنْ قَرَأَ كِتَابَ الْبَلَاغِ ، وَتَصَفَّحَ دَوَائِنَ الْحِكْمَاءِ ، لَيْسْتَ فِيدَ

(١) م : « يتسوله القول » ط : « يتبين له القول » . وأثبت ما في ب .

(٢) ب فقط : « جيا » .

(٣) ب : م : « كان الله مراده تعالى » !

(٤) ب : « ردى الطبع » بالتسجيل .

(٥) ط فقط : « الأدب » .

(٦) ب : « والجمل »

(٧) ط : « هزلاً أو جدّاً » .

(٨) ب : م : « أو حزم » ط : « وحزم أو ضاعه » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « ضرب » ، تحريف .

(١٠) ب : « ويقصر دونه » .

المعاني، فهو على سبيلِ صواب . ومنَ نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ . والخُسرانُ ها هنا في وزن الرِّيح هناك ؛ لأنَّ من كانت غايته انتزاعُ الألفاظ ^(١) حملهُ الحرصُ عليها ، والاستهتارُ بها إلى أن يستعملها قبلَ وقتها ، ويَضَعُها في غير مكانها . ولذلك قال بعض الشعراء ^(٢) لصاحبه : أنا أشعرُ منك ! قال صاحبه : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنِّي أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .

ولأنما هي رياضة وسياسة ^(٣) ، والرفيق : مصلحٌ وآخرُ مفسد ^(٤) . ولا بدُّ من هِلْدانٍ وطبيعةٍ مناسبة ^(٥) .
وسماعُ الألفاظ ضارٌّ ونافع ^(٦) .

فالوجه النافع : أن يَدُورَ في مسامعه ، ويغبُّ في قلبه ^(٧) ، ويختم ^(٨) في صدره ، فإذا طال مكثُّها تناكحت ثم تلاقحت فكانت ^(٩) نتيجتها أكرمَ نتيجة ، وثمرتها أطيبَ ثمرة ؛ لأنها حينئذٍ تخرج غير مُستَرْقِةٍ ولا مختلِسة ^(١٠) ولا مختصبة ، ولا دالَّةٌ على فقر ؛ إذ لم يكن القصد إلى شيء بعينه ، والاعتمادُ عليه دونَ غيره . ويَبَيِّنُ الشيء إذا عَشَّشَ في

(١) ب : «أنواع» م : «انتواع» ، صوابها في ط .

(٢) هو عمر بن لجأ ، كافي مقفة الشعر والشعراء ، ٩ .

(٣) م ، ط : «وسياحة» .

(٤) ط ، ب : «والآخر مفسد» .

(٥) الهدان : المهادة . م . ط : «هلان» مع سقوط الواو «وطبيعة» من ط .

(٦) ب ، م : «ضارة ونافعة» .

(٧) يقب : يحكث ، ومنه قولهم : «ويؤيد الشعر يقب» ، أي دعه يحكث يوماً أو يومين .

م ، ط : «ويقب في قلبه» .

(٨) هذا الصواب من ب : وقى م ، ط : «ويخيم» .

(٩) ط : «وكانت» .

(١٠) هذا الصواب من م ، ط . وقى ب : «ولا عترة» .

الصِّلر ثم باض ، ثم فَرَّخ ثم نهض ، وبين أن يكون الخاطر مختاراً ، واللفظ اعتسافاً واغتصاباً ، فرقُ بين .

ومتى اتَّكَلَّ صاحبُ البلاغة على الهوينى والوكال ، وعلى السَّرِقة والاحتيال ، لم يَنْلُ طائلاً ، وشقَّ عليه النزوع ، واستولى عليه الهوان ، واستهلكه سوءُ العادة .

والوجه الضار : أن يتمحَّضَ ألفاظاً بعينها^(١) من كتابٍ بعينه ، أو من لفظ رجل ، ثم يريد^(٢) فَيَمَّ أَنْ يَعُدَّ لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون إلا بخيلاً فقيراً ، وحائفاً^(٣) سروقاً ، ولا يكون إلا مستكرهاً لألفاظه ، متكلِّفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام . فإذا مرَّ كلامه بنقَاد الألفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله ، وبهرجوا علمه .

ثم اعلم أن الاستكراه في كل شيء سَمِج ، وحيث ما وقع فهو ملموم ، وهو في الطَّرَفِ أَسْمَج ، وفي البلاغة أَقْبَح . وما أحسن حاله ما دامت الألفاظ مسموعة من فيه^(٤) ، مسرودة في نفسه^(٥) ، ولم تكن مغلَّدة في كتبه .

ونخير الكتب ما إذا أعدت النظر فيه زادك في حسنه ، وأوقفك على حله^(٦) .

(١) تحفظ الكتاب : استظهره شيئاً بعد شيء . م ، ط : « أن يحفظ » .

(٢) م فقط : « أن يؤيد » .

(٣) من الخيف والجور . ب : « وحائفاً » بالتسهيل .

(٤) ب : « من فمه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) مسرودة : منتظمة متتابعة . ب : « مسرورة » .

(٦) م : « أوقف » ب : « وأوقف » ، والوجه ما أثبت من ط .

٩ - فصل

في ذم اللواط

والذى يدلُّ على أنَّ هذه الشهوة معيبةٌ في نفسها^(١) ، قبيحة في عينها ، أن الله تعالى وعزَّ لم يعوِّض في الآخرة بشهوة الولدان من ترك لوجوه في الدنيا شهوة الظلمان ، كما سقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا ، ثم مدَّح خمر الجنة بأقصر الكلام ، فنظَّم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال : ﴿ لَا يُصَدِّقُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ^(٢) ﴾ . كأنه تبارك وتعالى قال : لا سُكر فيها ولا خُمار^(٣) .

وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل ، وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا . وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المنكوس^(٤) ، ومن المبدل المقلوب ؛ لأنَّ الله جلَّ ذكره إنما خلق الذكْر للأنثى ، وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشُّرْكة ، وعلل المشاكلة^(٥) وجعل الذكر طَبَقاً للأنثى ، وجعل الأنثى سكناً للرجل . فقلب هؤلاء الأمر وعكَّسوه ، واستقبلوا من اختار الله لهم بالردِّ والزَّهد فيه .

(١) م ، ب : « معيبة نفسها » .

(٢) الآية ١٩ من سورة الواقعة .

(٣) الخمار ، بالفم : ما أصاب من الخمر وصداعها وأذاها .

(٤) ب فقط : « من المنكوس والمنكوس » .

(٥) ب فقط : « للمشاركة » .

١٠ - فصل

ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين^(١) : عبد الله بن المقفع ، ويكنى أبا عمرو ، وكان يتولى لآل الأهم^(٢) ، وكان مقلماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة ، واختراع المعاني وابتداع السير . وكان جواداً فارساً جميلاً ، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله ، وكان يتعاطى الكلام . ولم يكن يُحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً . وكان ضابطاً لحكايات المقالات ، ولا يعرف من أين غرّ المغترّ ووَيِّقُ الواثق . وإذا أردت أن تعتبر ذلك ، إن كنتَ من خُطص المتكلمين ومن النظَّارين ، فاعتبر ذلك بأنَّ تنظرَ في آخر رسالته (الهاشمية) ، فإنَّك تجده جيّد الحكاية لدعوى القوم ، رديّ المختل في مواضع الطعن عليهم .

وقد يكون الرجل يُحسن الصَّنْف والصنفين من العلم ، فيظنُّ بنفسه عند ذلك أنَّه لا يحمل عقله على شيء إلاَّ نفَذَ به فيه^(٣) ، كالذي اعترى الخليل بن أحمدَ بعد إحسانه في النحو والعروض ، أن ادعى العلم بالكلام وبأوزان الأغاني^(٤) ، فخرج من الجهل إلى مقدار لا يبلغه أحدٌ إلاَّ بخذلان الله تعالى . فلا حرمنَّا الله تعالى عصمته ، ولا ابتلانا بخذلانه .

١٠م - فصل^(٥)

وهذان الشاعران جاهليَّان^(٦) ، بعيدان من التوليد ، وبنجوة من التكليف .

(١) ب : « ثم البلغاء المتأدبين » ، بإسقاط « من » .

(٢) انظر طرقاً من أخبارهم في الأغاني ١٣ : ٥٨ .

(٣) م : « إلاَّ تمته فيه » ، ط : « إلاَّ يد به فيه » . والوجه ما أثبت من ب .

(٤) م : « المغاني » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة في ب . والاختيار التال مقتضب لا يمت إلى ما قبله ولا إلى ما بعده بصلة .

(٦) ب : « جاهلان » ، محريف .

١١ - فصل

ومن خصال العبادة وإن كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أرد^(١) في عاجل^(٢) ، ولا أفضل في آجل من حُسنِ الظنِّ بالله تعالى وعز^(٣) .

ثم اعلم أن أعقل الناس السلطانُ ومن احتاج إلى معاملته ، وعلى قدر الحاجة إليه يفتح له باب الحيلة ، والاهتداء إلى مواضع الحجة . وما أقرب فضل الراعي على الرعية من فضل السائس على الدابة . ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً ، كما أنه لولا الميسم لوثب السباع على السوام^(٤) .

ودعني من تدريسه كتب أبي حنيفة^(٥) ، ودعني من قولهم : اصرفه إلى الصيارفة ؛ فإن صناعة الصرف تجتمع^(٦) مع الكتاب والحساب المعرفة بأصناف الأموال ، ولا تجد بداً^(٧) من حلة السلطان^(٨) .

ودعني من قول من يقول : قد كانت قريش تجاراً ؛ فإن هذا باب لا ينقاس ولا يطرد . ومن قاس تجار الكرخ وباعته ، وتجار الأهواز والبصرة ، على تجار قريش ، فقد أخطأ مواضع القياس ، وجعل أقدار العلل .

(١) أرد ، أي أتبع .

(٢) وأمر ، ساقطة من م .

(٣) الميسم : الراعي ، أسماها إسماعيل : خلافاً لرمي ، ومثله سامها سورياً ، والحوام : الإبل الرامية تسوم حيث شاعت ، وهو اسم جمع للسام والسائمة ، ومبناها تخفة ، وضبطت في طبة القاموس بالثنيدي خطأ . وفي ب ، م : « لأقرب السباع » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « من تدريسه » ط : « من تدريس » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما أسلفت من حاشية على « ويدرس القرآن » في أواخر الفصل الخامس ص ٣٥ . والشجر عائد إلى الصبي .

(٥) ب ، م : « يجمع » ، صوابه في ط .

(٦) ب فقط : « يدان بالياء » ، تحريف .

(٧) ب ، م : من حلة السلطان ، والجيم . والمراد أنها لها علاقة بالسلطان .

قريش^(١) قومٌ لم يزل الله تعالى يقلّبهم في الأرحام البريئة من الآفات^(٢) ، وينقلهم من الأصلاب السليمة من العاهات ، ويعبّئهم لكل جسم^(٣) ، ويربّيهم لكل عظيم .

ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه في التجارة لعرف اختلاف السبيل ، وتفاوت ما بين الطرق . ولو كانت علّتهم في ذلك كملة تجار الأبلّة^(٤) ، ومحكّرى أهل الحيرة ، لثلمت ذقّة التجارة في أغراضهم^(٥) ولنهلك سخف التربّح^(٦) من مروءاتهم ، ولصغر ذلك من أقدارهم في صدور العرب ، ولوضع من علوهم عند أهل الشرف . وكيف وقد ارتحلت إليهم الشعراء كما ارتحلت إلى الملوك العظماء ، فأسنّوا لهم العطية ، ولم يقصّروا عن غاية ، فسقوا الحجيح وأقاموا القرى لزوار الله تعالى ، وهم يوادّ غير ذى زرع . فلو أنّه كان معهم من الفضل ما يبهّر العقول ، ومن المجلّد ما تحرّج فيه الميون^(٧) ، لما أصلح طبائعهم الشيء الذى يفسد جميع الأمة^(٨) . ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث

(١) م فقط : « وقريش » .

(٢) ب ، م : « البرية » بالتصجيل .

(٣) جاء تسمية وتنبية : هياه وأصلحه . م ، ط : « ويبيتهم » . وأثبت ما في ب .

(٤) الأبلّة : بلدة حل شاطئه دجلة البصرة ، وهى أقدم منها ، لأن البصرة معصرت في أيام عمر ، وكانت الأبلّة حينئذ مدينة فيها مسالخ وقائد من قبل كسرى .

(٥) في جميع الأصول : « أغراضهم » بالعين المعجمة ، وإنما يظلم العرض ، بالعين المهملة أى يظلم فيه ، وفي أساس البلاغة : « هذا ما يكلم الدين ويظلم اليقين » .

(٦) ب ، م : « التربّح » ط : « الربح » ، والوجه ما أثبت من الجمع بينهما . والتربّح : طلب الربح والمكسب .

(٧) خرجت عنه حرجاً : حارث ، قال ذو الرمة :

ترداد العين إلهاباً إذا مفرت وتخرج العين فيها حين تنسب

وقيل مناه أنها لا تنصرف ولا تلطف من شدة النظر . وفي جميع الأصول : « ما يخرج فيه الميون » وهو من ملح التصحيف .

(٨) ب ، م : « لما صلح » ، صوابه في ط .

غيرهم من الصَّيْق . ولو كانت سُبُلهم ^(١) عند الملوك إذا وفدوا عليهم ،
أَوْ وَرَدُوا ^(٢) بلادهم بالتجارات ، سُبُل ^(٣) غيرهم من التُّجَّار لما أَوْجَهُوهم
وقَرَّبوهم ^(٤) ، ولما أقاموا لم يَرى الملوك وحبَّوهم بكرامة الخاص .
ولذا كانت قريش حُمساً تَنَسَّكُ في دينها ، وتَنَالُهُ في عبادتها ^(٥)
وكان مانعاً لهم من الغارات والسَّباء ، ومن وطء النساء من جهة المَغَنَم ،
ولذلك لم يَتَلَو البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السَّباء ^(٦) ،
ولا زَوْجوا أحداً من العرب حتَّى يتَحَمَّس ويلينَ بلينتهم . ولذلك لما
صاروا إلى بناء الكعبة لم يُخْرِجوا في بنائها من أموالهم إلَّا موارِثَ
آبائهم ونسائهم ^(٧) ، خوفاً من أن يخالطه شيء من حرام ، إذ كانت ^(٨)
أرباح التجارات مَخُوفاً عليها ذلك . فلما كانوا بوادٍ غير ذى زرع
ويحتاجون إلى الأقوات ^(٩) ، وإقامة القَرَى ، لم يَجْلُوا بدأ من أن
يتكَلَّفوا ما يُعِيشهم ويصلح شأنهم ، فأَخْلَوْا الإيلاف ^(١٠) ، ورحلوا
إلى الملوك بالتَّجارات . فهذا هو السبب .

(١) ب : « سُبُلهم » . تحريف .

(٢) ب : « وأوردوا » .

(٣) ب ، م : « سُبُل » .

(٤) وجهه السلطان توجيهاً ، ولوجهه إيجاهاً : شرفه ، وأوجهه : صادفته وجيهاً .

(٥) تنالهُ : تنسك وتعب . ط : « وتنالهُ في عبادتها » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « وغيرهم من جهة السباء » . والمراد لم يبتلوا على نساء غيرهم من القبائل

الأخرى فلهذا لم .

(٧) من أموالهم ، ساقطة من ب .

(٨) ب ، م : « إذا كانت » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٩) ب ، م : « إلى الأقوات » ، والصواب في ط .

(١٠) الإيلاف : العهد والتمام والإجارة . وكان الإخوة الأرمية : هاشم ، وعبد شمس ،
والمطلب ، ونوفل ، بنو عبد مناف ، يميرون غريشاً بميرهم ، وكانوا يسمون الميبرين . فأما
هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم ، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى ، وأخذ عبد شمس حبلاً من
النجاشي ، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حير ، فكان تجار قريش يخطفون إلى هذه الأمصار
بجبال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم .

فانظر كم بين علّتهم وعلّة غيرهم ! فيسرّك بعد هذا أن يتحوّل ابنك
في مسلاخ صالح الزرازريشي^(١) ، أو في طباع ابن بادام^(٢) ، أو في عقل
ابن سامري^(٣) .

فلنّ زعموا أنّ أصحاب السلطان يعرض مكروه فليعلموا أنّ كلّ
مسافرٍ يعرض مكروه^(٤) ، وقد قال بعض الحكماء : « المسافر ومتاعه
على قلّت إلا من حفظ الله^(٥) » ، يعنى على هلاكه .

وراكب البحر أشدّ خطراً ، ومشتري طعام الأهواز أشدّ شهوراً^(٦) ،
ورافع الشراع برّض هلكة . والمتعرض للملاحه^(٧) والمعرض نفسه للسباع
أقلّ شفقة^(٨) . وسكان الجزائر والسواحل أحقّ بالتعرض ، وأولى
بالخوف . والمنهزم بالطعام الرديّ^(٩) ، والملمن للشراب أشبه بأصحاب
التخريب^(١٠) ، والمتبارى في ذلك والمتزيّد منه أحقّ بتوقّع الجِدْثان
وحوادث الأزمان ، قد جرت عليه عادة الدهر^(١١) وسيرة الأيام .
وهذا كلّهُ أحقّ بالاهتمام .

(١) ب : « الزرازريشي » ط : « الزرازري » ، وأثبت ما في م . وأصل معنى المسلاخ الجلد ،
والمراد أن يكون مثله .

(٢) ط ، ب : « ابن آدم » ، وأثبت ما في م . وبادام ، من الأعلام الفارسية ، ويقال أيضاً
بادام . وانظر حواشي رسائل الجاسط ٢ : ٢٩٢ .

(٣) ب ، ط : « وفي عقل » .

(٤) ط : « يعرض مكروه » .

(٥) الذي في البيان ٢ : ١٠٥ واللسان (قلت) : « وقال أمراء : إن المسافر ومتاعه
لعل قلت إلا ما وقي الله » . وفي جميع الأصول : « علّ قلّة » تحريف .

(٦) التهور : السقوط ، والمراد التعرض لخطر .

(٧) في جميع النسخ : « السلام » والوجه ما أثبت .

(٨) الشفقة : الخوف من وقوع مكروه . ولعله يعنى أنهما أكثر أمناً من التاجر الذي
يستعمل السفر .

(٩) ب ، م : « الرديّ » بالتسويل .

(١٠) ب : « التخريب » . والتخريب : حمل النفس على التفرّج ، وهو الخطر والمهلكة .

(١١) سقطت كلمة « قد » من ط . وبها في ب : « حتى » .

وإن كنت إلى الإشفاق تذهب ، وإلى إعطاء الحزم أكثر من نصيبه ، وكيف دار الأمر فإن التاجر قد استشعر الدُّلَّ ، وتغنَّى ثوب المذلة .

وصاحب السلطان قد تجاوز حدَّ العزِّ والهيبة . وإلغنا عيبه سُكر السلطان^(١) ، وإفراط التعظيم . قد استبطن بالعزِّ ، وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته ، وبعُدَّتْ بصيرته حتَّى عرف مصلحة كلِّ مضر^(٢) ، وإصلاح كلِّ فاسد ، وإقامة كلِّ معوجٍّ ، وعمارة كلِّ خرب .

ولا أعلم في الأرض أعمَّ إفلاساً ولا أشدَّ نكبةً ، ولا أكثر تحوُّلاً^(٣) من يُسر إلى عسر ، ولا رأينا الجوائح^(٤) إلى أخذٍ أهدى منها إلى أموال الصَّيرافة . فكيف يُقاس شأنُ قومٍ تعمُّهم المعاطب^(٥) بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر ، والنكبات فيهم أقلَّ .

وبعد هذا فلنرى ألا تستكرهه فتبغض إليه الأدب ، ولا تهمله فيحتاجدَّ اللهو .

على أنِّي لا أعلم في جميع الأرض شيئاً أجلبَ لجميع الفساد من قرناه سوء ، والفراغِ الفاضل عن الجَمَامِ^(٦) .

(١) هو ما يسونه الملح بما يشبه النَم . وسكر السلطان : نشوته والشعور بالزهو . وفي اللسان : « السكر ثلاثة : سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر السلطان » . ط ، م : « سكر » بالسين المسبوبة ، تحريف .

(٢) للمضر : واحد الأمصار ، المدينة الكبيرة . ط فقط : « كل مضر » ، تحريف . (٣) ب : « تجرّلا » بالميم .

(٤) الجوائح : جمع جائحة ، وهي الشدة والتنازلة العظيمة التي تحتاج المال ، أي تنهب به وفي جميع النسخ : « الجوائح » ، صوابه ما أثبت .

(٥) للمعاطب : المهالك ، واحداً مطلب . ب ، م : « المعاطر » بالراء ، صوابه في ط .

(٦) الجمام ، كسحاب ؛ الراسدة . ط فقط : « الجهاد » محرف .

(٤ - رسائل الجاحظ)

دُرِّسَ العلمُ^(١) ما كان فارغاً من أشغال الرجال ، ومطالبِ ذَوِي
الهِمَمِ . واحتلَّ في أن تكون أحبُّ إليه من أمِّه . ولا تستطيع أن
يَمَحُضَكَ اليَقَّةَ ، وَيُصَبِّقَ لك المودَّةَ مع كراهته لما تحملُ إليه من ثِقَلِ
التأديب عند من لم يبلغ^(٢) حالَ العارف بفضله^(٣) .

فاستخرج مكنونَ محبته بئر اللسان ، وبذلِ المال . ولهذا مقدارُ من
جازه أفرط^(٤) . والإفراطُ سَرَفٌ . ومن قَصُرَ عنه فرط ، والفرطُ
يضياع^(٥) .

ولا تستكثرن هذا كله فإنَّ بعضَ النعمة فيه تأتي على أضعاف
النعمة^(٦) ، والذي تحاول من صلاح^(٧) أمر من تؤمِّل فيه أن يقوم
في أهلك مَمَامَكَ ، وإصلاح ما خَطَفَتْ كقيامك ، لتحقيقَ بالحِيطَةِ عليه ،
وبإعطائه^(٨) المجهود من نفسك .

وقال زكريا عليه السلام : ﴿ رَبُّ لَا تَلْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ ﴾^(٩) . فَعَلِمَ الله تبارك وتعالى ، فوهب له غلاماً ، وقال الله

(١) انظر للتدريس ماضى في حواشي ص ٣٥ ط : « في دراسة العلم كان الكلام متصل بما قبله .
وهو تحريف .

(٢) ب ، م : « التأديب منه من يبلغ » ، صوابه في ط .

(٣) أي العارف بفضل التأديب . وفي جميع الأصول : « بفضل » .

(٤) جازه : تجاوزه . وفي جميع الأصول : « من حازه » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) م : « مضاع » .

(٦) كذا في جميع الأصول .

(٧) ط : « إصلاح » .

(٨) م ، ب : « وإعطائه » .

(٩) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء .

عز وجل: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ (١).

اعلم أنه أعطاك ولداً صَبْرَةً عَيْنِ الْعُلُوِّ (٢) ، وَقُرَّةَ عَيْنِ الصَّبَاحِ
الْوَلَّى. فاحمد الله وأخلص في الدعاء ، وأكثر من الخير إن شاء الله تعالى.

(١) الآية ٣٦ من سورة آل عمران .

(٢) المبرة ، بالفتح : النعمة ، وفي أساس البلاغة : يقال أراه عبر عينيه ، وإنه لينظر
إلى عبر عينيه ، أي ما يكرهه ويكره منه . ومنه قوله يصف رجلاً قبيحاً له امرأة حسنة :
إذا ابتز عن أوصاله الثوب عتلاً رأيت عبر عينها وما عه مخس
وفي جميع الأصول : « فبرة عين العلو » ، تحريف .

٣

من كتابه في
التَّزْيِيعِ والتَّدْوِيرِ

١ - فصل

من كتاب الترييع والتلوير^(١)

فانظر في مسألة النفوس^(٢) مع تقارب منازلها ، ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ، ولم اختلف الكثير واتفق القليل ؟ ولم كانت الكثرة علة للتخاذل ، والقلة سبباً للتناصر ؟ وما فرق ما بين المجازاة^(٣) والتحاسد ، وبين المنافسة والتغالب ، فإنك متى عرفت ذلك استترحت منّا ورجّونا أن نستريح منك .

وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب ، وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل ، وكيف يعرف الحلود من لم يسمع الفصول . بل كيف يعرف الحجة من الشبهة ، والغدر^(٤) من الحيلة^(٥) ، والواجب

(١) هذه الرسالة التي وجهها الجاحظ إلى عبد الوهاب ، نشرها كاملة فان فلوين في لندن سنة ١٩٠٣ . وتابيه محمد السامي فنشرها في مجموعة رسائل سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٧ م . ثم السنوني في رسائل الجاحظ سنة ١٩٣٣ . ثم نشرها محققة شارل بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ . وقد دمّرت للنسخة بالرمز (ش) .

وقد أشار إليها المصري في لبع الجواهر ٢٦٠ . حيث أورد فقرات من رسالة لأبي بكر الخوارزمي ، وجهها إلى بديع الزمان المهداني ، وقال المصري في أعقابها : « وهي طويلة جداً مر له فيها إحسان كثير » . وإنما احتجى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأخيه بن عبد الوهاب ، المعروفة برسالة الطول والمرض ، وتعرف برسالة التوسع (الترييع) والتلوير ، ورسالة المفاكهات . واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن السعيد في رسالة لابن سمكة النحوي . ورسالة الخوارزمي نشرت كاملة في مجموعة رسائل المطبوعة بالقاهرة سنة ١٧٢٢ . وفي ديباجتها : « وكتب بها إلى أبي الحسن البديهي الشاعر يبعث به » . والوجه ما ذكره المصري . وقد عثرت على بعض ردود لأخيه بن عبد الوهاب فيها يتطرق بالرسالة ، وذلك في الموائل والشواغل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، في الصفحات ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ .

(٢) مع ، ش : « لم تسلت النفوس » .

(٣) ب : « المجازات » م ، ط : « المجازاة » ، صوابها في مع .

(٤) هذا ما في ب ومع . وفي سائر النسخ : « والغدر » .

(٥) ب فقط : « من الحيلة » .

من الممكن، والعقل من الموسوم، والمُحال من الصحيح، والأسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية^(١) وما يُعلم بما لا يُعلم، وما يُعلم باللفظ دون الإشارة بما لا يعلم إلا بالإشارة دون اللفظ، وما يعلم معتمداً ولا يعلم مكيناً ولا يعلم معتقداً^(٢). وما المستقل الذي يجوز أن يفارقه استغلافه، والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه، ومن هو طائر مع العوام حيث طارت، وساقط معها حيث سقطت، مع الزاوية والرغبة عنها^(٣). قد طلبها بفضل طلبه لنفسه^(٤)، وجرى معها بقلدر مناسبتها لقلدره.

فاعرف الجنس من الصنف، والقسم من النصف، وفرق ما بين الذم واللوم، وفصل ما بين الحمد والشكر، وحد الاختيار من الإمكان، والاضطرار من الإيجاب. وسنعرفك من جملة ما ذكرنا باباً باباً أنت إليه أحوج، وهو علينا أَرَدٌ.

٢ - فصل

وما في الأرض^(٥) إقرار أثبت، ودليل أوضح، وشاهد أصدق، من شاهدي عليك على ما ادّعت لنفسك من الرقة مع ما ظهر من حسلك لأهل الصنعة^(٦). وهل يكون كذلك^(٧) إلا فاسد الحس ظاهر العنود^(٨)، أو جاهل بالمحال.

(١) سج، ش: « والأسرار المجهولة من ذوات الدلائل الخفية ».

(٢) كذا في ب، م، ط. وفي سج: « وما يعلم معتقداً ولا يعلم مكيناً، بما يعلم مكيناً ولا يعلم معتقداً ». وفي ش: « وما يعلم معتقداً ولا يعلم يقيناً ولا يعلم معتقداً ».

(٣) ب، م: « ورغبة عنها ».

(٤) سج: « قد ظلها بفضل ظلمه لنفسه ».

(٥) سج، ش: « وهل في الأرض ».

(٦) سج، ش: « لأهل الصنعة ».

(٧) سج، ش: « وهل تكون بعد ذلك ».

(٨) م: « للعنود » بالتاء، تحريف، ط: « العناد » والتنود والنناد بمعنى، وهما الميل من الحق مع العلم به.

وبعد فأنت - أبباقك الله^(١) - في يدك قياس لا يكسر^(٢) ، وجواب لا ينقطع^(٣) ، ولك حد لا يُقَلَّ وغرب لا ينثنى^(٤) ، وهو قياسك الذي إليه تنسب ، ومنهيك الذي إليه تذهب : أن تقول^(٥) : وما على أن يراني الناس عريضاً وأكون في حكمهم غليظاً وأنا عند الله^(٦) تعالى طويلٌ جميل ، وفي الحقيقة مقلودٌ رشيق . وقد علموا - حفظك الله - أن لك مع طول الباد^(٧) راكباً ، طول الظهر جالساً^(٨) ، ولكن بينهم فيك إذا قمت اختلاف ، وعليك لم إذا اضطجعت مسائل .

ومن غريب ما أعطيت ، ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقلوداً واسع الجفرة غيرك^(٩) ، ولا رشيقاً مستفيض الخاصرة سواك . فأنت المديد وأنت البسيط ، وأنت الطويل وأنت المتقارب .

فيا شعراً جمع الأعاريض ، ويا شخصاً جمع الاستدارة والطول . بل ما بهمك^(١٠) من أقاويلهم ، ويتعاطمك من اختلافهم ، والراسخون في العلم ، والناطقون بالفهم ، يعلمون أن استفاضة عَرَضِكَ قد أدخلت

(١) سج : « وبعد أبباقك الله فأنت » .

(٢) سج ، ش : « لا يكسر » .

(٣) م ، ط ، ب : « وجوار لا يقطع » ، سواه في سج ، ش .

(٤) ب : « لا ينثنى » م : « لا ينثنى » تحريف . ط : « لا ينثنى » ، وأثبت ما في سج ، ش .

(٥) هذا ما في سج ، ش . وفي سائر النسخ : « أو تقول » .

(٦) ب ، م ، ط : « وأنا عند الله » .

(٧) البلد : « باطن الفخذ » وما يلي السرج من فخذ الفارس . ب ، م ، ط : « البال »

سواه في سائر النسخ . وفي م : « أن ذلك » ، تحريف .

(٨) كلمة « طول » الأخيرة من سج ، ش .

(٩) الجفرة ، بالفهم : الجوف ، وجفرة كل شيء : وسطه ومسطحه . ط فقط :

« أوسع الجفرة » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « بل ما بهما » ، سواه في سائر النسخ .

الضئيم على ارتفاع سَنَكْ^(١) ، وَأَنَّ مَا^(٢) ذهب منك عرضاً قد استغرق
ما ذهب منك طولاً. ولئن^(٣) اختلفوا في طولك لقد اتفقوا في عرضك^(٤).
وإن اكانوا قد سلموا لك بالرغم^(٥) شطراً، فقد حصلت^(٦) ما سلموا
وأنت على دحواك فيما لم يُسلموا.

ولعمري إنَّ العيون تُخطئُ ، وإن الحواسُّ لتُكذِّبُ ، وما الحكمُ
القاطعُ إلَّا للذهن ، وما الاستبانةُ الصَّحيحةُ إلَّا للعقل ؛ إذ كانَ زِمَاماً
على الأعضاء^(٧) ، وعياراً على الحواس .

ومما يُثبت أيضاً أَنَّ ظاهرَ عَرَضِكَ مانعٌ من إدراك حقيقة طولك
قول^(٨) أَبِي مُؤَادٍ الْإِيَادِيُّ فِي إِبْلِهِ :

سَمِعْتُ فَاسْتَحْشَ أَكْرَعُهَا لَا إِلَهَ سِنَى نَى وَلَا السَّنَامُ سَنَامُ^(٩)
ولو لم يكن فيك من العَجَبِ إلَّا أَنَّكَ أَوَّلُ من عَوَدَ الله تعالى
بالصَّبْرِ^(١٠) على خَطَاءِ الْحَسِّ^(١١) وبالشُّكْرِ على صوابِ الذَّهْنِ ، لقد

(١) الضئيم : الظلم وانتقاص الحق . ما عدا مج ، ش : « قد أدخلت الميم في ارتفاع سَمَكْ » ، تحريف .

(٢) ب فقط : « وإِنَّمَا » ، تحريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « وإن » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « لقد اختلفوا » تحريف . ب : « على عرضك » م ، ط : « على عرضك » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٥) ما عدا مج ، ش : « بالرغم » .

(٦) ب فقط : « فقد حصلت » تحريف .

(٧) ب فقط : « إذ كانا زماماً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ب ، م : « وقول » ، تحريف .

(٩) ديوان أبي دواد ٣٣٩ والأسميات ١٨٨ واللسان (حشش) . استحق : استحق .
والقي ، بالفتح : الضم . ط : « لا إِلَهَ دَه » ، تحريف .

(١٠) ب ، م ، ط : « بالصبر » ، صوابه في مج ، ش .

(١١) ب ، م : « على خطأ الحس » ، والخطاء والخطأ بمعنى ، وكثيراً ما يستعمل الجاحظ
« الخطاء » بالذم . انظر الخيران ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٥٠٠ والبيان ٤ : ١٦ ، ٦٧
ورسائل الجاحظ : ١ : ٣٥٣ .

كنت في طولك غايةً للعالمين^(١) ، وفي عرضك مناراً للفضلين .

وقد تظلم^(٢) المربع مثل من الطويل مثل عمر ، ومن القصير مثل عمرو^(٣) إذ زعم^(٤) أنه أفرط في الرشاقة ونُسب إلى القضاة ، لأنَّ إفراط عرضه عَمَر^(٥) الاعتدال [من طوله ، وكلاهما يحتاج إلى الاعتدال ، ويفتقر إلى الاعتدال^(٦)] .

والمربع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزأؤه في الحقيقة ، كما اعتدلت في المنظر^(٧) ، فقد استغنى بعز الحقيقة^(٨) عن الاعتدال ، وبحكم الظاهر عن الاعتلال^(٩) .

وقد سمعنا من يذم الطوال كما سمعنا من يُزري على القصار ، ولم نسمع أحداً^(١٠) ذم مربوعاً ولا أزرى عليه ، ولا وقف عنده ولا شك فيه . ومن يذمه إلّا من ذم الاعتدال ، ومن يُزري عليه إلّا من أزرى على الاقتصاد ، ومن ينصب للصواب الظاهر^(١١) إلّا المعاند ، ومن يُمارى في العيان إلّا الجاهل ؛ بل من يُزري على أحد بتفاهم التركيب^(١٢) ،

(١) مع ، ش : « آية السالين » والمراد بالسابل هنا : المالك في الطريق .

(٢) ما عدا مع ، ش : « وقد تكلم » ، تحريف .

(٣) مع ، ش : « من الطويل مثل محمد ومن القصير مثل أحمد » .

(٤) مع ، ش : « إذ زعم أحد » .

(٥) ب ، م : « عمر » بالعين المهملة ، تحريف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ، لكن في ط : « ويفتقر إلى الاعتدال » .

(٧) ب فقط : « في المنظرة » .

(٨) ب ، م : « بمد الحقيقة » ، ط : « بمد الحقيقة » ، وأثبت ما في مع ، ش .

(٩) الاعتدال : بيان العلة . ما عدا مع ، ش : « الاعتدال » .

(١٠) ب ، ط : « ولم يسمع أحد » م : « ولم يسمع أحداً » ، والوجه ما أثبت من مع ، ش .

(١١) الكلام يمد إلى « أزرى على الاقتصاد ومن » ، ساقط من م .

(١٢) نصب له : عاداه وتجرده له . ط : « ومن يمين الصواب الظاهر » ، صوابه في سائر

النسخ .

(١٣) تفاهم التركيب : أن يجري على غير استواء ، وأصله من تفاهم الأمور وتركبها .

وبسوء التنفيذ^(١) مع قول الله عز وجل : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ ﴾^(٢) .

وبعد فأيُّ قدُّ أردأ^(٣) ، وأيُّ نظامٍ أفسدُ من عَرَضٍ مجاوزٍ للقدَر^(٤) ، أو طُولٍ مجاوزٍ للقصْد . ومتى يَضْرِبُ العَرَضُ بسهمه على قدر حقِّه ، ويأخذُ الطُولُ من نصيبه على مثل وزنه ، خرجَ الجسمُ من التقدير ، وجاوزَ التعديل . فإذا خرجَ من التقدير تفسد ، وإذا تفسدَ وجاوزَ التعديلَ تباين .

ولو جازَ هذا الوصفُ ، وحسُنَ هذا النعتُ^(٥) ، كان لإبراهيمَ ابنِ السُّنْدِيِّ^(٦) [من الفضيلة^(٧)] ما ليس لأحمد بن عبد الوهاب .

وهذا كله بعد أن يصدقوك^(٨) على ما ادَّعيتَ لطولك في الحقيقة ، واحتججتَ [به^(٩)] لِعَرَضِكَ في الحكومة . كما أنك بإعمالك لما يَنْفِيهِ

(١) ب فقط : « التنفيذ » ، تحريف .

(٢) الآية ٣ من سورة الملك أو تبارك .

(٣) كلمة « فأيُّ » ساقطة من ب .

(٤) ط فقط : « لقد » .

(٥) ب ، م : « حسن هذا النعت » بلا واو قبله . ط : « من حسن النعت هذا » ، تحريف .

(٦) مع ، ش : « كان لقاسم الخمار » . وإبراهيم بن السُّنْدِيِّ بن شاكه ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوهُ السُّنْدِيُّ بن شاكه كان على الجسرِين ببغداد الرشيد : انظر الجهمشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم هذا بأنه « مول أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي ،

وكذلك قاسم الخمار ، كان من الرجال الذين يروى عنهم الجاحظ كثيراً . انظر فهارس الحيوان والبيان .

(٧) التكلة من مع ، ش .

(٨) ط فقط : « صدقوك » .

(٩) التكلة من مع ، ش .

اليان^(١) ، واستشهادك^(٢) لما تنكره الأذهان^(٣) ، معترض^(٤) للصدق من التكرم ، ومتحكك بالطم من المتغافل . وأى صامت لا ينطقه هذا المذهب ، وأى ناطق لا يغريه هذا القول^(٥) .
وإذا كان هذا ناقضاً لعزم المتسلم^(٦) فما ظنك بعادة المتكلف^(٧) .
فأنشذك الله أن تغري بك السفهاء ، وتنقض عزائم الحكماء^(٨) .
وما أدرى - حفظك الله - بأى الأمرين أنت أعظم إثماً ، وفى أيهما أنت أفحش ظلماً : أبترعذك للعوام ، أم بإفسادك حكم الخواص^(٩) .
وبعد فما يحوجك إلى هذا ، وما يدعوك إليه وأشباهاك من القصار كثير ، ومن ينصرك منهم غير قليل^(١٠) .

٣ - فصل

وقلت : ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز^(١١) ، الجنة بالعرض دون الطول ، حيث يقول : ﴿ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١٢) . فهذا برهانك الواضح^(١٣) .

-
- (١) ب : « يقته اليان » م ، ط : « يقته اليان » ، صوابه من مع ، ش .
(٢) ب ، م : « واستشهادك » ، صوابه فى ط ، مع ، ش .
(٣) ما عدا مع ، ش : « لما تذكره الأذهان » ، تحريف .
(٤) مع ، ش : « معترض » ، والوجه ما فى سائر النسخ ، والمراد لا يمكن تصديقه .
(٥) ما عدا مع ، ش : « لا يغريه هذا القول » .
(٦) ب ، م : « قضاء لعزم » ط : « قضاء العزم » ، والوجه ما أثبت من مع ، ش .
(٧) مع ، ش : « يبدؤة المتكلف » .
(٨) ش : « الخلاء » .
(٩) ما عدا مع ، ش : « بترعذك العوام أو بإفسادك حكم الخواص » .
(١٠) ما عدا مع ، ش : « غير دذليل » .
(١١) من الآية ٢١ من سورة الحديد ، وأولها : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » . وفى ب فقط : « عرضها السموات والأرض » وفى من الآية ١٣٣ من آل عمران ، وأولها : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » .
(١٢) مع ، ش : « فهذه برهانك الواضحة ، ودلائلك الظاهرة » .

ولو لم يكن فيك من الرضا والتسليم ، ومن القناعة والإخلاص
إلا، أُنْتُكَ تَرَى^(١) ما عند الله خيراً لك مما عند الناس ، وأن الطول
الحقُّ أحبُّ إليك من الطول الظاهر ، لكن^(٢) في ذلك ما يقضى لك
بالإنصاف ، ويحكمُ لك بالتوفيق .

وأنا - أبقاك الله - أعشَقُ إنصافك كما تُعشَقُ المرأةُ الحسنة^(٣) ،
وأُعلمُ خضوعك للحقِّ كما أُنْعلمُ التفقه في الدين^(٤) . ولربُّما ظننتُ
أنَّ جُورَكَ لإنصافُ قومٍ آخرين ، وأنَّ تَعَقُّدَكَ سَمَاحَ رجالٍ منصفين^(٥) .

وما أَظُنُّكَ صرْتَ إلى معارضةِ الحجَّةِ بالشبهة ، ومقابلةِ الاختيارِ
بالاضطرار ، واليقينِ بالشكِّ ، واليقظة بالحلم إلاَّ لِلذَّيْ^(٦) نُحْصِصَتْ
به من إِبْثارِ الحقِّ ، وألمهته من فضيلةِ الإنصاف ، حتَّى صرْتَ أَحْوَجَ
ما تكون إلى الإنكارِ أَدْعَى ما تكون بالإقرار ، وأشدَّ ما تكون إلى الجبلة
فَقَرًّا أَشدَّ ما تكون للحجَّةِ طلباً . غير أنَّ ذلك بطَرْفٍ ساكن ، وصوتٍ
خاضع ، وقلبٍ جامع ، وجأشٍ رابطٍ^(٧) ، ونِيَّةٍ جَسُور ، وإرادة تامة ،
مع غفلةٍ كريم ، وفطنةٍ عليم . إن انْقَطَعَ خصمُكَ تغافلْتَ ، وإن خَرِقَ^(٨)

(١) ب ، م : « أَنْتَ تَرَى » بإسقاط « إِلا » .

(٢) ب ، م ، ط : « لَكِنْ » ، تحريف .

(٣) ج ، ش : « أُنْشَقُ إِنصَافَكَ كَمَا أُنْشَقُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ » .

(٤) ب فقط : « الْفَقْهُ فِي الدِّينِ » .

(٥) ب ، م : « وَأَنْ يَتَّقَكَ سَمَاحَ رِجَالٍ مُنْصِفِينَ » ط : « وَأَنْتَ يَتَّقُكَ سَمَاحَ رِجَالٍ مُنْصِفِينَ » ، والوجه ما أثبت من ج ، ش .

(٦) ب ، م : « إِلاَّ الْذَّيْ » .

(٧) ب فقط : « رَابِطٌ » . والجأش : النفس أو القلب ، والرابط : الثابت الذي لا يرتاع .

(٨) خرق يخرق خرقاً : حق ولم يرقى . ج ، ش : « وَإِنْ خَرِقَ » . تحريف .

تَرَقَّقْتُ^(١) ، غير منخوب ولا متشعب^(٢) ، ولا مدحول ولا مشترك ، ولا ناقص النفس ، ولا واهن العزم ، ولا حود ولا منافس ، ولا مغالب ولا معاقب^(٣) . تَقُلُّ الحَزَّ^(٤) وتُصِيبُ المَفْصِلَ ، وتقربُ البعيد وتُظهِرُ الخفي ، وتُمَيِّزُ الملتبس^(٥) وتلخصُ المشكل ، وتعطي المعنى حقه من اللفظ كما تُعطي اللفظ حظه من المعنى^(٦) . وتُجِبُّ المعنى إذا كان حياً يلوح ، وظاهراً يصيح^(٧) ، وتُبغضه مستهلكاً بالتحقيد ، ومستوراً بالتغريب^(٨) .

وتزعم أن شر الألفاظ ما غرَّق^(٩) المعاني وأخفاها ، وسرتها^(١٠) وعمَّها ، وإن راقى سَمِعَ الغمر ، واستألت قلبَ الرِيضِ^(١١) .

أعجب الألفاظ عندك مارقٌ وعَلْبٌ ، وخَفٌّ وسَهْلٌ ، وكان موقوفاً على معناه ، ومقصوراً عليه دون ما سواه . لا فاضل ولا مقصّر ، ولا مشترك ولا مستغلق ، قد جمع خصال البلاغة^(١٢) ، واستوفى خلال المعرفة^(١٣) .

(١) ما هنا معج ، ش : « ترققت » ، تحريف .

(٢) معج ، ش : « ولا متشعب » ، بالنون الممجبة .

(٣) ب : م : « ولا مغالب ولا معاقب » ، ط : « ولا مغالب ولا متعاقب » ، وصوابها في معج ، ش .

(٤) الحز : « أراد به موضع الحز ، أي القطع . القل : الكسر والضرب . ط : « يقل الحد » ، معج ، ش : « تقل الحز » ، والوجه ما أثبت . وانظر البيان ١ : ١٤٧ . وقد ورد هذا الفعل « قتل » وما يمهده من الأفعال في ب ، م ، ط بياض الثائب : والوجه أن تكون كلها بناء الخطاب كما أثبت من معج ، ش .

(٥) ب ، فقط : « الملبس » .

(٦) معج ، ش : « حقه من المعنى » .

(٧) م : « يصيح » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ب : « بالتغريب » ، ط : « بالتغريب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٩) ط فقط : « ما أغرق » .

(١٠) ط فقط : « وأسرها » .

(١١) الرِيض : الذي يبدئ في رياضته . وانظر البيان ١ : ٢٠٣ . ط : « الرِيض » ، تحريف .

(١٢) ما هنا معج ، ش : « وقد جمع خصالها البلاغة » ، والوجه ما أثبت منها .

(١٣) ب فقط : « خلوها المعرفة » .

فإذا كان الكلام على هذه الصفة ، وأُلّف على هذه الشريطة ، لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب ، وصار السامع كالمقاتل ، والمتعلم كالعلم ، وخفت المؤنة واستغنى عن الفكرة ، وماتت الشبهة وظهرت الحجة ، واستبدلوا بالخلاف وفاقاً ، وبالمجازبة موادعة ، وتنهتوا بالعلم ^(١) ، وتقنعوا ببرر اليقين ، واطمأنوا بثلج الصلور ، وبأن المنصف من المعاند ، وتميز الناقص من الوافر ، وذلك الخطي ^(٢) وعز المحصل ، وبدت عورة المبطل ، وظهرت براءة المصحق .

وقلت : والناس وإن قالوا في الحسن : كأنه طاقة ربحان ، أو خوط آس ^(٣) ، وكأنه قضيب خيزران ، وكأنه غصن بان ، وكأنه رمح رديني ، وكأنه صفيحة يمان ^(٤) ، وكأنه سيف هتلولاني ، وكأنه جان ، وكأنه جلد عنان ^(٥) ، فقد قالوا : كأنه المشتري ، وكأن وجهه دينار هرقل . وما هو إلا البحر ، وما هو إلا الغيث . وكأنه الشمس ، وكأنها دائرة القمر ^(٦) ، وكأنها الزهرة ، وكأنها دُرّة ، وكأنها غمامة ، وكأنها مهاة ^(٧) .

(١) ما عدا مج ، ش : « ورجعوا بالعلم » .

(٢) الخطل : السجل الأحم . ب ، م : « ودل الخطل » بالبدال للمهمل ، صوابه في سائر

النسخ .

(٣) الخوط ، بالضم : النصن الناعم ، أو النصن لسة . والآس : ضرب من الرياحين ، وغضرتة دائمة أبداً ويسمى حتى يكون شجراً عظيماً ، الواحدة آسة .. مج ، ش : « وكأنه خوط بان » .

(٤) الصفيحة : وجه كل شيء عريض ، كوجه السيف أو اللوح أو الحجر . واليمان : السيف المنسوب إلى اليمن . ب ، م ، ط : « صفيحة يمان » تحريف . وفي مج ، ش : « صفيحة يمانية » .

(٥) يعني ما جلد من الأمتة ، سماد بالمصدر . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجاحظ

٢ : ١٢١ . ما عدا مج ، ش : « جلد عيان » تحريف .

(٦) ب ، م : « وكأنه دائرة القمر » .

(٧) ط فقط : « وكأنه الزهرة » ، « وكأنه غمامة » ، « وكأنه مهاة » .

وقد نراهم^(١) وصفوا المستدير والعريض بأكثر مما وصفوا القضيض الطويل^(٢).

وقلت : ووجدنا الأفلاك وما فيها ، والأرض وما عليها ، على التلويز دون التطويل ، كذلك^(٣) الورق والحَب ، والتَّمر والشجر .

وقلت : والرَّمح وإن طال^(٤) فإن التلويز عليه أغلب^(٥) ؛ لأنَّ التلويز قائم فيه موصلاً ومُفصلاً^(٦) ، والطول لا يوجد فيه إلا موصلاً^(٧) . وكذلك الإنسان وجميع الحيوان .

وقلت : ولا يوجد التربيع إلا في المصنوع دون المخلوق ، وفيما أكره على تركيبه دون ما خلُق وسَوَّم طبيعته^(٨) .

وعلى أنَّ كلَّ مُربَّع^(٩) فني جوفه ملوَّز ، فقد بان الملوَّز بفضل^(١٠) ، وشارك الطول في حصته .

ومن العجب أنَّك تزعم أنَّك طويلٌ في الحقيقة ثمَّ تحتجُّ للعرض والاستدارة ، وقد أضريتَ عما عند الله صفحاً^(١١) ، ولهجتَ بما عند النَّاس .

(١) ب فقط : « وقد نراه » .

(٢) التضائقة : قلة اللحم ودقة العظم . م ، ط : « القضيض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ط فقط : « وكذلك » .

(٤) ما هنا مع ، ش : « والرَّمح وإن طال » ، تحريف .

(٥) ما هنا مع ، ش : « عليها أغلب » .

(٦) ما هنا مع ، ش : « فيها » في هذا الموضع وتاليه ، تحريف . وفي مع ، ش : « موصولا ومفصلا » .

(٧) مع ، ش : « إلا موصولا » .

(٨) سوم طبعه ، بالفتح ، أي وفق طبيعته وهواها . ط فقط : « رسوم طبيعته » ، تحريف . وقد ضبطت « سوم » في ش بقم السين وتشديد اللواو المكسورة سهواً .

(٩) ما هنا مع ، ش : « كل مرتفع » ، تحريف .

(١٠) م فقط : « يفصله » بالصاد المهملة .

(١١) يقال ضرب عنه صفحاً ، إذا أعرس ، كأنه ولاه صفحة وجهه . ب : « وقد اضطريت » ، م ، ط : « وقد أضريت » ، صوابه في مع ، ش .

فأما حَوَر العين فقد انفردت بحسنه ، وذهبتَ ببهجته وملحه ،
إلا ما أبانَكَ اللهُ تعالى به من الشُّكْلَةِ^(١) فإنَّها لا تكون في اللُّثام ،
ولا تُفارق الكرام^(٢) .

وأما سواد الناظر وحسن المحاجر ، وهَدَبُ الأَشْفَارِ^(٣) ، ورقة
حواشي الأَجْفَانِ ، فعلى أصلِ عُنْصُرِكَ ومجارى أعراقِكَ^(٤) .

وأما إدراكك الشخصَ البَعيدَ ، وقراءتك الكتابَ اللِّقِيْقَ ونَقْشَ
الخاتَمِ قبل الطَّابعِ ، وفهم المَشْكِلِ قبل التَّأَمُّلِ ، مع وَهْنِ الكِبَرَةِ
وتَقادُّمِ المِيلادِ ، ومع تَخَوُّنِ الأَيَّامِ وتَنْقُصِ الأَزْمَانِ ، فمن تَوْتِيَا المَندِ ،
ولترك الجماع^(٥) ، ومن الحِمْيَةِ الشَّدِيدَةِ وطول استقبال الحُضْرَةِ^(٦) ،
فأنت يا عَمُّ حين تُصَلِّح ما أفسده الدهر ، وتسترجع ما أخلطه الأيام ،
لكما قال الشاعر :

عَجُوزٌ تُرْجَى أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً

وقد لَحِبَ الجنبان^(٧) واحلَوَدَبَ الظُّهْرُ

تُدْسُ إلى العَطَارِ سِلْعَةً أَهْلِهَا ولَنْ يُصْلِحَ العَطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ^(٨)

(١) الشُّكْلَةُ ، بالنم : كهيئة الحمرة تكون في بياض العين . ب ، م : « المشكلة » ط :
« المشاكلة » ، صوابهما في مع ، ش .

(٢) أنشد الجاحظ لهذا شاعداً في الترييح والتعوير ٢٢ والحيوان ٢ : ٢٢٠ / ٥ : ٣٣٠ :

ولا حيب فيها غير شكلة حينها كذلك عتاق الطير شكل عيوبها

(٣) الهدب في أشفار العين : طول الشعر الناتج على حروفها .

(٤) ما عدا مع ، ش : « وجائر أعراقك » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « فن توتيا المند وترك الجماع » .

(٦) م ، ط : « الحضرة » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٧) نسجها البرد في الكامل ١٧٦ إلى شيخ من الأعراب . وذكر أبو الحسن الأخفش في
حواشيه على الكامل يدهما يبين من القصيدة نسباً في ديوان جران المود « إلى الرجال بن عزرة
ابن المختار . وفي عيون الأخبار ٤ : ٤٤ : « كانت لرجل من الأعراب امرأة عجوزة ،
وكانت تشتري المطر بالكبز ، فقال » . وأنشد البيهقي . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ١٢٢ .
والتهليل والمحاضرة ٢١٩ . ط : « وقد يبس الجنبان » .

(٨) الكلام بعده إلى « مريضاً موقناً » ساقط من ب .

وكيف أطمع^(١) في نزوعك^(٢) عن اللجاج وقد منّنتيه قبله^(٣) .
وكيف أرجو لإقرارك جهراً وقد أبينته سرّاً^(٤) ، وكيف تجود^(٥) به
صحيحاً مطعماً وقد بَخِلْتَ به مريضاً مؤيساً .

وكيف يرجو خيرك من رآك تُطاول أبا جعفر وتُحاسِنُه^(٦) ، وتنافره
وتراهنه ، ثم لا تفعلُ ذلك^(٧) إلّا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار
الحُكّام ، ثم تستغربُ ضحكاً من طمعه فيك^(٨) ، وتعجبُ الناس من
مجاراته لك^(٩) .

وأشهد لك بعد هذا أنك ستحاسِنُ^(١٠) عَمراً الجاحظ وتُعاقله^(١١) ،
ثم تظارفه وتُطاولُه^(١٢) ، وتتغنى^(١٣) مع مُخارق ، وتنكر فضل
زُبَرْب^(١٤) ، وتستجهل النِّظام ، وتستغبي^(١٥) قيس بن زهير ، وتستخفُّ

(١) م ، ط : « يطمع » .

(٢) م : « نزوعك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) كذا في نج ، ش . وفي م : « وقد سمعته قبل اللجاج » وفي ط : « وقد سقيته قبل
الملاج » .

(٤) م ، ب : « وقد أتيت سرّاً » ، صوابه في مج ، ش .

(٥) م فقط : « يجود » تحريف .

(٦) م ، ب : « وتُحاشنه » ، وفي سائر النسخ : « تُخالِسه » ، والوجه ما أثبت ، وهو مفاعلة
من الحسن .

(٧) كلمة « ثم » من مج ، ش فقط . ب : « لا تقبل » م : « لا يقبل » ، صوابها
في سائر النسخ .

(٨) ب فقط : « من طمعه فيك » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « من علوته لك » ، تحريف .

(١٠) م ، ب : « ستحاشن » ، وفي سائر النسخ : « ستخالِسن » ، والوجه ما أثبت .

(١١) أراد تباريه في القتل . ما عدا مج ، ش : « وتُطاولُه » .

(١٢) مفاعلة من الظرف وال طول . ما عدا مج ، ش : « ثم تظارفه » وفي م : « ثم تظارفه
وتُطاولُه » .

(١٣) مج ، ش : « وتغني » .

(١٤) ذكره الجاحظ في رسالة الجد والمزل ، مقروناً بالمهارة في الشطرنج . رسائل الجاحظ

١ : ٢٦٦ . وفي مج ، ش : « فضل زرزور »

(١٥) م ، ب : « وتستغني » ، صوابه في سائر النسخ .

الأحف بن قيس^(١) وتبارز علي بن أبي طالب ، ثم تخرج من حدّ
القلبة إلى حدّ المراء^(٢) ، ومن حدّ الأحياء^(٣) إلى حُلود الموتى .

هذا وليس لك مساعد ، ولا معك شاهد واحد ، ولا رأيت أحداً
يعف في الحكم عليك^(٤) ، أو ينتظر تحقيق دعواك ، ولا رأيت
منكراً يُخليك من التائب ، ولا مؤنباً يُخليك من الوعيد ، ولا مُوعداً
يُخليك من الإيقاع ، ولا مُوقِعاً يَرْتِي لك ، ولا شافعاً يشفع فيك .

يا عم ، لم نحملنا على الصدق ؟ ولم تُجرّعنا مرارة الحق ؟ ولم
تُعرضنا لأداء الواجب ؟ ولم تستكثر من الشهود عليك ؟ ولم تحمل
الإخوان على خلاف محبتهم فيك ؟

اجعل بدل ما تجني على نفسك أن تجني على علوك ، وبدل ما يضطر
الناس أن يصدّقوا فيك أن تضطّرهم إلى أن يمسكوا عنك .

ولا بد - يرحمك الله - لمن فاته الطول من أن يُلقَى بيده^(٥) ، إنما
يقول^(٦) خلاف ما يجده في نفسه . فوالله إنك لجيدّ الهامة^(٧) ،
وفي ذلك خلف لحسن القامة^(٨) .

وإنك لحسن الخط ، وفي ذلك عوض^(٩) من حسن اللفظ . وإنك

(١) وكان الأحف معروفاً بالعلم .

(٢) المراء والمباراة : المخالفة والمجادل .

(٣) ب ، م : « الملك » ، ط : « الفطك » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « اتفق في الحكم عليك » .

(٥) مج ، ش : « من أن يلقى بيده إلى التهلكة » .

(٦) مج ، ش : « لو أن يقول » .

(٧) ب فقط : « لجيد الهامة » ، تحريف .

(٨) مج ، ش : « خلف من حسن القامة » .

(٩) ب ، م : « وإنك لمعوض » ، تحريف . ط : « وذلك عوض » . وأثبت ما في مج ،

لَتَجِدَ مَقَالاً^(١) ، وَإِنَّكَ لَتُعَدُّ خَصَالاً . فَقُلْ مَعْرُوفاً فَإِنَّا مِنْ أَعْوَانِكَ ،
وَأَقْتَصِدْ فَإِنَّا مِنْ أَنْصَارِكَ . وَهَاتِ فَإِنَّكَ لَوْ أَسْرَفْتَ لَقُلْنَا قَدْ اقْتَصَدْتَ ،
وَلَوْ جُرْتَ لَقُلْنَا قَدْ اهْتَدَيْتَ^(٢) ، وَلَكِنَّكَ تَجِيءُ بِشَيْءٍ ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًاءً^(٣) 》 .

لَوْ غَشَشْنَاكَ لَسَاعَدْنَاكَ ، وَلَوْ نَافَقْنَاكَ لَأَغْرَيْنَاكَ .

٣ - فصل

وَقَدْ كُنْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - فِي الطُّولِ زَاهِداً ، وَعَنِ الْقَصْرِ
رَاضِياً^(٤) ، وَكُنْتُ أَمْدَحُ الْمَرْبُوعَ وَأَحْمَدُ الْإِعْتِدَالَ . وَلَا وَاللَّهِ لَنْ يَقُومَ خَيْرُ
الْإِعْتِدَالِ بِشَرِّ قَصْرِ الْعُمَرِ ، وَلَا جَمَالُ الْمَرْبُوعِ بِمَا يَقُوتُ مِنْ مَنَافِعِ الْعِلْمِ .
فَإِنَّمَا الْيَوْمَ فَيَا لَيْتَنِي^(٥) كُنْتُ أَقْصَرَ مِنْكَ وَأَضْوَى ، وَأَقَلَّ مِنْكَ
وَأَقْصَا^(٦) .

وَلَيْسَ دُعَائِي لَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ طَلِباً لِلزِّيَادَةِ^(٧) ، لَكِنْ^(٨) عَلَى
جِهَةِ التَّعَبُّدِ وَالِاسْتِكَاثَةِ ، فَإِذَا سَمِعْتَنِي أَقُولُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَهَذَا الْمَعْنَى
أُرِيدُ ، وَإِذَا رَأَيْتَنِي أَقُولُ لَا أُخَلِّ اللَّهُ مَكَانَكَ فَيَلِي هَذَا الْمَعْنَى أَذْهَبُ .

(١) مَا عَدَا مَج ، ش : « وَإِنَّا لَنَجِدُ مَقَالاً » .

(٢) جَارٍ عَنِ الطَّرِيقِ يَجُورُ ، إِذَا مَالَ وَضَلَّ . ب ، م : « حَرَتْ » بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، صَوَابٌ
فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٣) الْآيَةُ ٩٢ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٤) ب ، م : « وَعَنِ الْقَصْرِ رَاضِياً » .

(٥) م ، م : « فَيَا لَيْتَنِي » ط : « بِمَا غَلِيظِي » ، صَوَابُهُمَا فِي مَج ، ش .

(٦) أَنَا : تَسْبِيلُ أَنَا مِنَ الْقِيَامَةِ ، وَهِيَ صِفَرُ الْجِسْمِ . وَكُتِبَتْ فِي م ، ط : « أَقْبَى » ،

وَهُوَ مُلَبَّجٌ جَائِزٌ فِي الرَّسْمِ . وَفِي مَج ، ش : « وَأَوْحَى » .

(٧) م فَقَطْ : « لِلزِّيَادَةِ » . وَكَلِمَةُ « طَلِباً » مَاقِلَةٌ مَا عَدَا مَج ، ش .

(٨) ب : « لَا لَكِنْ » م ، ط : « لَكِنْ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي مَج ، ش .

وقد زعموا، جعلت فداءك، أن كل ما طال عمره من الحيوان زائد في شدة الأركان، وفي طول العمر وصحة الأبدان، كالورشان والضباب وحمر الوحش، وكلهم النسر لمن أكله، ولحم الحية لمن استحلّه فإذا كان هذا حقاً^(١) وكان نافعاً، وكنت له مستعملاً وفيه متقدماً، وتراه راءياً، أخذنا منه بنصيب، وتعلقنا منه بسبب.

وفيك أمران غريبان، وشاهدان بديعان: جواز الكون والفساد عليك، وتجاوز النقصان والزيادة إياك. وجوهرك فلکی وتركيبتك أَرْضِي. فمَنكَ طول البقاء، ومَعَكَ دليلُ الفناء. وأنت علة للمتضاد^(٢) وسبب للمتناهى. وما ظنك بخلق لا تضره الإحالة، ولا يُفسده التناقض.

٤ - فصل

جعلت فداك، قد شاهدتَ الإنس منذ خلقوا، ورأيتَ الجن قبل أن يُحجّبوا، ووجدتَ الأشياء بنفسك خالصةً وممزوجة، وأغفلاً وموسومة^(٣)، وسالمةً ومدخولة، فما يخفى^(٤) عليك الحجة من الشبهة، ولا السقم من الصحة، ولا الممكن من الممتنع، ولا المستغنى من المُبْهَم، ولا النادر من البليغ، ولا شبه الدليل من الدليل.

وعرفتَ علامة الثقة من علامة الريبة، حتى صارت الأقسام عندك محصورة، والحدود محفوظة، والطبقات معلومة، والدنيا بحذاقها

(١) مع، ش: «هذا الأمر حق».

(٢) فقط: «للمتضارب».

(٣) ما عدا مع، ش: «وأغفلاً موسومة»، تحريف. فإن الأغفال مالمسة عليها، والموسومة: ذوات البسات، وهي الغلات.

(٤) ط فقط: «فما يخفى» بالتاء.

مصورة . ووجدت السبب كما وجدت المسبب ، وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج ، وشاهدت العلل وهي تولد ، والأسباب وهي تُصنع ، فعرفت المصنوع من المخلوق ، والحقيقة من التمويه .

٥ - فصل

إِنَّكَ ^(١) - جُعِلْتُ فداكَ - كما أَنَّكَ لم تكن فكنت ، فكذا لا تكون ^(٢) بعد أن كنت . وكما زدت في الدَّهر الطويل فكذا تنقص في الدَّهر الطويل . وكلُّ طويل فهو قصير ، وكلُّ متناهٍ فهو قليل . فإِنَّكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّكَ قديمٌ فتَكْفُرْ ، وإِنَّكَ أَنْ تنكر أَنَّكَ مُحدثٌ فتشركَ ؛ فَإِنَّ للشَّيْطَانَ في مثلكَ أطماعاً لا يصيبُها في سِوَاكَ ، ويجد فيكَ جِللاً لا يجدُها في غيركَ ^(٣) .

٦ - فصل

وقد علمتَ أَنَّ الخبرَ إذا صحَّ أصلُهُ وكان للنَّاسِ علَّةٌ في نشْءِهِ ، كان في الدلالة على الحقِّ كالإيمان ، وفي الشُّفاء ^(٤) كالسَّيِّعِ .

على أَنَّ الخبرَ لا يُعرفُ به تكْيِيفُ الأُمُورِ ^(٥) ولكن تُعرفُ به جُمْلُ الأشياءِ ، إلَّا خَيْرَكَ فَإِنَّكَ لا تحتاج إلى إشارة ولا إلى علَّة ، ولا إلى

(١) ما عدا حج ، ش : « أَنَا » ، تحريف .

(٢) ب فقط : « لا يكون » ، تحريف .

(٣) ما عدا حج ، ش : « غليلاً لا يجدُها في غيركَ » ، تحريف .

(٤) ب : « في الشُّفاء » ط : « في الشُّفاء » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٥) ب ، م : « تكْيِيفُ » ، صوابه في ط ، حج ، ش وطاش م .

تفسير^(١) حتى يقوم خبرك في الشفاء^(٢) وفي كيفية الشيء^(٣) مقام
البيان .

وقد كنت أتعجب من محمد بن عبد الملك^(٤) وأقول : ما يقولون
في رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه : لو كنتُ
قلتُ كذا^(٥) كان أفضل ، أو كنتُ لم أقلُ كذا كان أمثل ! فما بال
عَفْوِهِ أَكْثَرَ مِنْ جَهْدِكُمْ ، وبليته أَبْعَدُ مِنْ أَقْصَى فِكْرَتِكُمْ ؟ !
فلما رأيتك علمتُ أنك عذابُ صَبِّهِ اللهُ تعالى على كلِّ رَفِيع ، ورحمةُ
أنشأها اللهُ لكلِّ وضيع .

فخبرني عما جرى^(٦) بينك وبين هِرْمَسَ في طبيعة الفلّك ، وعن
سماكك من أفلاطون ، ومادار بينك وبين أرسطاطاليس^(٧) ، وأى نوع
اعتقدت وأى شيء اخترت ؟ فقد آبت نفسي غيرك ، وآبت أن
تتشفى^(٨) إلّا بخبرك .

ولولا أنّي كلّفُ برواية الأقاويل ، ومُغَرِّمُ بمعرفة الاختلاف وأنّي
لا أستعجز^(٩) مسألتك عن كلِّ شيء ، وابتذالك في كلِّ أمر ، لما
سمعتُ من أحدٍ سواك ، ولما انقطعتُ إلى أحدٍ غيرك .

(١) ما عدا حج ، ش : « إل نفس » .

(٢) ب : « في الشفاء » ، ط : « في الشفاء » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « وفي كيفية إقامة الشيء » .

(٤) ما عدا حج ، ش : « من عبد الملك » .

(٥) ما عدا حج ، ش : « لو قلت كذا » .

(٦) ما عدا حج ، ش : « فخيرني ما جرى » .

(٧) ب فقط : « أرسطوطاليس » .

(٨) ب : « وأنت أن تشفى » ، م : « وآيت أن تشفى » ، صوابها في ط ، حج ، ش .

(٩) ب : « وأنى لأستعجز » ، ط : « وأنى أستعجز » ، صوابها في م ، حج ، ش .

اعلم ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَنِّي لَمْ أَرِدْ بِمَزَاحِكَ إِلَّا أَنْ أَصْبِحَ سِنِّكَ ،
ولا كانت غايَتِي فَيْكَ إِلَّا لِأَتَقَنَّ عَنْكَ . وقد كُنْتُ خَفْتُ أَنْ لَا أَكُونَ
وَقَفْتُ عَلَى حَدِّ^(١) ، وَأَشْفَقْتُ مِنَ الْمَجَاوِزَةِ لِقَدْرِهِ .

والمزاح بابٌ ليس المخوفُ فيه التَّقْصِيرُ ، ولا يكون الخطأُ فيه من
جهة التَّقْصَانِ . وهو بابٌ متى فَتَحَهُ فَاتَحَ ، وطرُقَ له مَطْرُقٌ^(٢) ، ولم
يَمْلِكْ مِنْ سُدِّهِ [مِثْلُ^(٣)] الَّذِي يَمْلِكُ مِنْ فَتْحِهِ ، ولم يَخْرُجْ بِقَدْرِ مَا كَانَ
قَدَمٌ مِنْ نَفْسِهِ^(٤) ، لِأَنَّهُ بَابٌ أَصْلُ بِنَائِهِ عَلَى الْخَطَا ، ولا يخالطه من
الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا سَخَفَ . وَمِنْ شَأْنِهِ التَّزِيدُ ، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَلِيلُ
التَّحَفُّظِ .

ولم نَرِ شَيْئاً أَبْعَدَ مِنْ شَيْءٍ^(٥) وَلَا أَطْوَلَ لَهُ صُحْبَةً^(٦) وَلَا أَشَدَّ خِلَافاً
وَلَا أَكْثَرَ لَهُ خُطْطَةً ، مِنَ الْجِدِّ وَالْمَزَاحِ ، وَالْمُنَاطَرَةِ [وَالْمَرَاءِ^(٧)] .

فإِنْ كُنْتُ لَمْ أَقْصُرْ عَنِ الْغَايَةِ ، وَلَمْ أَتَجَاوِزْ حَدَّ النِّهَايَةِ فَبِمَا أَعْرَفُ
مَنْ يُبْنِي مَكَالَتَكَ ، وَبِرَّكَهَ مُكَاتَبَتِكَ ، وَمِنْ حَسَنِ تَقْوِيمِكَ^(٨) وَجُودَةِ
تَثْقِيفِكَ . وَإِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ الطَّرِيقَ ، وَجَاوِزْتُ الْقَدَارَ ، فَمَا كَانَ
ذَلِكَ عَنْ جَهْلٍ بِفَضْلِكَ ، وَلَا إِنْكَارٍ لِحَقِّكَ ، وَلَكِنْ حُدُودَ الْأَشْيَاءِ
إِذَا خَفِيتُ ، وَمَقَادِيرَهَا إِذَا أَشْكَلَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ النَّظَرِ فِيهَا مِثْلُ

(١) ما عدا مج ، ش : « وقت على حده » .

(٢) م : « أو طرق له طريق » .

(٣) التكلة من مج ، ش .

(٤) مج ، ش : « في نفسه » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « من شيء » ، تعريف .

(٦) ما عدا مج ، ش : « ولا أبعد له صفة » ، ولكن في م : « صفة » .

(٧) التكلة من مج ، ش .

(٨) ب ، ط : « تقويمك » ، صوابه في سائر النسخ .

تمامك ، ولا مع التكلّف لها^(١) مثل كمالك ، دخل عليه من الخلّ بقدر عجزه ، وسليم منه بقدر نفاذه . نعم ولو كان من العلماء الموصوفين ، ومن الأدباء المذكورين .

و[من^(٢)] المزاح - جعلت فداك - باب مكر وجنس خدع^(٣) يتكل المرء^(٤) في إساءته إلى جليسه ، واستأجبه لصديقه على أن يقول «مزحّت» ، وعلى أن يقول عند المحاكمة: «عيت^(٥)» ، وعلى أن يقول : من يغضب من المزاح إلا كره الخلق ؟ ! ومن يرغب عن المفاكهة إلا ضيق العطن ؟ !

وبعد فمى أعدت النفس عنراً كانت إلى القبيح أسرع ، ومتى لم تعد^(٦) كانت عنه أبطأ .

ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعي الخطأ إليه أن كثيراً من تمازحه^(٧) يضحك وإن كنت أغضبته ، ولا يقطع مزاحك وإن كنت قد أوجعته . فإن حقد في الحقد الداء ، وإن عجل فذلك البلاء . فإن قلت : فما أدخلك في شيء هذه سبيله^(٨) ، وهكذا جوهره وطريقه ؟ قلت : لأنني حين أمنت عقاب الإساءة ، ووثقت بثواب

(١) ط فقط : «جا» .

(٢) التكلة من م ، سج ، ش .

(٣) ب : «باب مكر وجنس خدع» م ، ط : «نكد وجنس خدع» ، صوابها في

سج ، ش .

(٤) ب فقط : «المرء» ، تحريف .

(٥) سج ، ش : «لبت» .

(٦) ماعدا سج ، ش : «ومتى لم تجده» .

(٧) ب : «تمازحه» ، تحريف .

(٨) السبيل : الطريق ، مذكر ويؤنث . وفي الكتاب العزيز : «قل هذه سبيل أدعو إلى

الله على بصيرة» . م فقط : «هذا سبيله» .

الإحسان ، وعلمت أنك لا تقضي إلا على العمد^(١) ، ولا تعذب^(٢) إلى على القصد ، صار^(٣) الأمن سائقاً ، والأمل قائداً .
وأى عمل أرد ، وأى متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة ، والأمن والثوبة .

ولو كان هذا ذنباً كنت شريكى فيه ، ولو كان تقصيراً لكنت سببى إليه ، لأن دوام التغافل شبيه بالإهمال ، وترك التعريف يورث الإغفال ، والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة^(٤) ، ويذهبان بالتحفظ ، ولذلك قال عبيدة بن جحر لعثمان بن عفان : «عمر كان خيراً لى منك ، أرهبنى^(٥) فأتقانى ، وأعطانى فأغنانى» .

فإن كنت اجترأت عليك فلم أجترى^(٦) عليك إلا بك^(٧) ، وإن كنت أخطأت فلم أخطئ^(٨) عليك إلا لك ، لأن حسن الظن بك والثقة بعفوك^(٩) سبب إلى قلة التحفظ^(١٠) ، وداعية إلى ترك التحرز^(١١) .

(١) م ، ط : « لا تقصص » ب : « لا تقصص » صوابها في مع ، ش . وفى ط : « لا عل المهه » ، تحريف .

(٢) ما عدا مع ، ش : « ولا تقرب » ، تحريف .

(٣) ب : « صار » ط : « ترى » ، صوابها في سائر النسخ .

(٤) ب : « المكافآت » ، تحريف .

(٥) ب : « رهبنى » م ، ط : « رهبنى » ، صوابها في مع ، ش . وفى المعارف لابن تقيية ١٣٢ : « فإنه أعطانا فأغنانا ، وأغشانا فأتقانا » . وفى أسد الغابة ٢٠٥٥ فى ترجمة عبيدة : « وزوج عثمان بن عفان ابنته ، فدخل عليه يوماً فأغلظ له ، فقال له عثمان : لو كان عمر ما أغلظت عليه يوماً . فقال : إن عمر أعطانا فأغنانا ، وأغشانا فأتقانا » .

(٦) ب فقط : « فلم أجتر » .

(٧) ما عدا مع ، ش : « إلا به » .

(٨) عليك ، ليست في مع ، ش . وفى م : « فلم أخط » وفى ط : « فلم أخطأ » وكلاهما صحيح . يقال غلط غلطاً ، وأخطأ غلطاً ، ويسهل المضارع منهما فيجزم بحذف الألف أو الياء .

(٩) ب فقط : « والثقة » ، تحريف .

(١٠) ط فقط : « قلة في التحفظ » .

(١١) م ، ط : « التجوز » .

وبعدُ فَمَنْ وَهَبَ الكبيرَ كيف يَقِفُ عندَ الصغير^(١) ، ومن لَمْ يَزَلْ يَغْفُو عن العمد^(٢) كيف يعاقب على السهو ؟ !

ولو كان عِظْمُ قَلْبِي هو الذى عِظُمَ ذَنْبِي لكان عِظْمُ قَلْبِي هو الذى شَفَعَ لِي . ولو استَحَقَّقْتُ عِقَابَكَ بِإِقْدَائِي عَلَيْكَ مع خَوْفِي لَكَ^(٣) لاسْتَوْجِبْتُ^(٤) عَفْوَكَ عن إِقْدَائِي عَلَيْكَ بحسن ظَنِّي بِكَ^(٥) .

على أَنِّي متى أَوْجِبْتُ لَكَ العفو فقد^(٦) أَوْجِبْتُ لَكَ الفضل ، ومتى أَصَفْتُ إِلَيْكَ الْعِقَابَ فقد وَصَفْتُكَ بِالْإِنْصَافِ . ولا أعلمُ حالَ الْفَضْلِ إِلَّا أَشْرَفَ من حالِ الْعَدْلِ ، والحالُ التى توجب لَكَ الشُّكْرَ إِلَّا أَرْفَعَ من الحالِ التى توجب لَكَ الصَّبْرَ^(٧) .

وإنْ كُنْتُ لَا تَهَبُ عِقَابِي لِحُرْمَتِي فِهْنِي لِأَيَادِيكَ عِنْدِي ؛ فَإِنَّ النُّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النُّعْمَةِ^(٨) .

فإنْ لم تفعلْ ذلك لِلحُرْمَةِ فافعله لِحُسْنِ الْأَحْلُوَّةِ^(٩) ، وَعُدْ إِلَى حُسْنِ الْعَادَةِ . وإنْ لم تفعلْ ذلك لِحُسْنِ الْعَادَةِ فائتْ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ .

واعلم أَنِّي وَإِيَّاكَ متى نَحَاكُمْنَا إِلَى كَرَمِكَ قُضِيَ لِي عَلَيْكَ ، ومتى ارْتَفَعْنَا إِلَى عَدْلِكَ حَسُنَ الْعَفْوُ عَنِّي عِنْدَكَ .

(١) م : « يعف من الصغير » ب ، ط : « يعف عند الصغير » ، صوابهما في مع ، ش .

(٢) ب ، م : « ولأن لم يزل يغفو العمد » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ش فقط : « منك » .

(٤) م : « لاستجيت » ، تحريف .

(٥) ما عدا م ، ط : « لحسن ظني بك » .

(٦) التكلة من مع ، ش .

(٧) بعده في بعض نسخ ش : « ولا الحال التي توجب لك الصبر إلا أرفع من الحال التي

توجب الصبر » .

(٨) ش فقط : « في النعمة » .

(٩) م ، ط : « لحب الأحلوقة » .

وفَضِّلُ^(١) ما بيننا وبينك ، وفَرَّقْ ما بينَ أقدارنا وقدرِكَ^(٢) ،
أنا نُسِيءُ وتَغْفِرُ ، وتُذْنِبُ وتَسْتُرُ ، ونَعُوْجُ وتُقُوْمُ ، ونَجْهَلُ وتُعَلِّمُ ؛
وَأَنْ عَلَيْكَ الْإِنْعَامُ وعلينا الشُّكْرُ . ومن صِفَاتِكَ أَنْ تَفْعَلَ^(٣) ومن
صِفَاتِنَا أَنْ نَصِفَ .

وإذا فعلتَ ما تقدّر عليه من العقاب كنتَ كمن فعلَ ما يقدر عليه
من التعرُّض ، وصرتَ ترغب عن الشُّكْرِ كما رغبنا عن السَّلَامِ^(٤) ، وصار
التعرُّضُ لعفوك بالأَمْنِ باطلاً ، والتعرُّضُ لعقابك بالخوف حقاً ،
ورغبتَ عن الثُّبُلِ والبهاء ، وعن السُّودْدِ والسَّاءِ ، وصرتَ كمن يَشْفِي
غِيظاً أو يُدَاوِي حَقْداً ، أو يَظْهَرُ الْقُدْرَةَ أو يَحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ بالصَّوْلَةِ .

ولم نَجِدْهُمْ - أَبَقَاكَ اللهُ - يَحْمِلُونَ الْقُدْرَةَ إِلَّا عند استعمالها في
الخير ، وَيَلْمِئُونَ الْعِجْزَ إِلَّا لما يَقُوْتُ بِهِ من إتيان الجميل .

وأنتى لك بالعقاب وأنت خيرٌ كُلُّكَ ، ومن أين اعتراك المنعُ وأنت
أَنَهَجْتَ الجُودَ لِأَهْلِهِ^(٥) . وهل عندك^(٦) إِلَّا ما في طبعك ، وكيف لك
بخلاف عادتِكَ ؟ فلمَ تَسْتَكْرِهُ نَفْسَكَ على المكافأة وطباعها الصَّفْحُ^(٧) ؟
ولمَ تَكْلُهَا بِالْمُنَاقَشَةِ ومَلْهَبُهَا المَسَامَحَةُ^(٨) ؟

(١) ب ، م : « وفَضِّلُ » بالضاد المعجمة .

(٢) م ، ط : « قَدَرْنَا وقَدَرِكَ » .

(٣) ب فقط : « تَفْعَلُ » ، تحريف .

(٤) ش : « السَّلَامِ » .

(٥) أراد بين طريقته ومنهجه . والفعل بهذا المعنى لم يرد في المعجم المتداول .

(٦) ما عدا ج ، ش : « وهل عندك » ، تحريف .

(٧) م : « وطباع الصَّفْحِ » ، تحريف . وفي ج ، ش : « وطباعك الصَّفْحِ » . وأثبت
ما في ب ، ط .

(٨) بالمناقشة ، من إحدى نسخ ش . وفي سائر النسخ : « المناقشة » . والمناقشة :

استقصاء الحساب . ما عدا ج ، ش : « زومطها السَّاحَةُ » .

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ أَخْلَاقَكَ وَفَقَّ أَعْرَاقَكَ ، وَفَعَلَكَ وَفَقَّ عَمَلَكَ ،
وَمَنْ جَعَلَ ظَنُّكَ أَكْثَرَ مِنْ يَقِينِنَا ^(١) ، وَفَرَّاسَتَكَ أَثْقَبَ مِنْ عِيَانِنَا ^(٢) ،
وَعَفْوِكَ أَرْجَحَ مِنْ جُهْلِنَا ، وَبَدَاهَتَكَ أَجْوَدَ مِنْ تَفَكُّرِنَا ، وَفَعَلَكَ أَرْفَعَ مِنْ
وَصْفِنَا ، وَعَيْبَتَكَ أَهْيَبَ مِنْ حُضُورِ السَّادَةِ ^(٣) ، وَعَيْبَتَكَ ^(٤) أَشَدَّ مِنْ
عِقَابِ الظُّلْمَةِ .

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُوً عَنِ الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَتَجَافَى عَنِ عِقَابِ الْمُصِيرِ ^(٥) ،
وَتَتَغَاوَلُ عَنِ الْمُتَنَاوِي ^(٦) . وَتَصْفَحُ عَنِ الْمُتَهَاوِنِ ^(٧) حَتَّى إِذَا صُرْتَ
إِلَى مِنْ ذَنْبِهِ نَسِيَانٌ ^(٨) وَتَوْبَتُهُ إِخْلَاصٌ ، وَهَفْوَتُهُ بِكَرٌ ، وَشَفَاعَتُهُ
الْحَرَمَةُ ^(٩) . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ ، وَلَا الْعِلْمَ إِلَّا
إِلَّا مِنْ تَأْدِيبِكَ ، وَلَا الْأَخْلَاقَ إِلَّا مِنْ تَقْوِيعِكَ ، وَلَا يَقْصُرُ ^(١٠) فِي بَعْضِ
طَاعَتِكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ احْتِيَالِكَ ، وَلَا نَسِيَ بَعْضَ مَا يَجِبُ لَكَ إِلَّا لِمَا
دَاخَلَ مِنْ تَعْظِيمِكَ - صِرْتَ تَتَوَعَّدُهُ بِالْصَّرْمِ ^(١١) . وَهُوَ دَلِيلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ ،
وَتُسْتَعْمَلُ الْإِعْرَاضُ وَهُوَ قَائِدُ كُلِّ هَلَكَةٍ .

وقد علمتَ أَنَّ عتابك أَشَدُّ مِنَ الصَّرِيمةِ ، وَأَنَّ تَأْنِيْبَكَ أَغْلَظُ مِنْ

(١) ش : « أَقْوَى مِنْ يَقِينِنَا » .

(٢) أَثْقَبَ : أَسْوَأُ وَأَنْفَذَ . وَهَذَا مَا فِي م ، وَفِي سَائِرِ النُّسخ : « أَقْوَى مِنْ عِيَانِنَا » .

(٣) مَا عَدَا مَج ، ش : « الشَّاكَّة » . وَالسَّادَةُ : جَمْعُ سَيِّدٍ .

(٤) مَا عَدَا مَج ، ش : « وَعَيْبَتِكَ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) ط فَقَط : « عَذَابُ الْمَصْرِ » .

(٦) مِنَ الْمُتَنَاوَاةِ ، وَهِيَ الْمَادَاةُ . م ، ط : « الْمُتَنَاوِي » تَحْرِيفٌ . مَج ، ش : « الْمُبَادِي » ،

وَأَثَبْتَ مَا فِي ب .

(٧) م ، ب : « التَّهَادُنِ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخ .

(٨) مَا عَدَا مَج ، ش : « شِيَان » .

(٩) م ، ط : « وَشَفَعَتِ الْحَرَمَةُ » مَج ، ش : « وَشَفِيهِ حَرَمَةٍ » ، وَأَثَبْتَ مَا فِي ب .

(١٠) ب : « وَالْعِلْمُ » بِإِسْقَاطِ « لَا » .

(١١) مَج ، ش : « وَمَنْ لَا يَقْصُرُ » .

(١٢) مَا عَدَا مَج ، ش : « صِرْتَ تَتَصَوَّدُ » . ط فَقَط : « بِالْمَدِّ » .

العقوبة ، وَأَنْ مَنَعَكَ إِذَا مَنَعْتَ فِي وَزْنٍ لِعِطَائِكَ إِذَا أُعْطِيتَ ، وَأَنْ عِقَابَكَ عَلَى حَسَبِ ثَوَابِكَ ، وَأَنْ جَزْعِي مِنْ حُرْمَانِكَ فِي وَزْنِ سُورِي بِغَوَائِلِكَ ، وَأَنْ شَيْنَ غَضَبِكَ كَرِّينِ رِضَاكَ^(١) ، وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي بِانْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِي مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي بِكَ .

وما إلى^(٢) [اليوم عملُ أنا إليه أسكنُ ، ولا شفيعُ أنا به أوثقُ ، مِنْ شِدَّةِ جَزْعِي مِنْ عِقَابِكَ ، وإفراطِ هَلْجِي مِنْ خَوْفِكَ . وَلَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَمَنْ بِالضَّرِّ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِ مِنْهُ إِلَّا السَّلَامَةُ وَالنَّجَاةُ مِنْ الْهَلَكَةِ . بَلْ تَشْفَعُ ذَلِكَ بِالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ ، وَالْعِزُّ فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْهَيْبَةُ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، مَعَ طَيْبِ الذِّكْرِ وَشَرَفِ الْعُقُبِ^(٣) ، وَمَحَبَّةِ النَّاسِ^(٤) .

وَأَمَّا ذِكْرِي الْقَدِّ وَالْخَرُطِ ، وَالطُّوَلِ وَالْعَرَضِ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي ذَلِكَ^(٥) مِنَ التَّنَازُعِ ، وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّنَافُرِ^(٦) ، فَإِنَّ الْكَلَامَ قَدْ يَكُونُ فِي لَفْظِ الْجَدِّ وَهُوَ مِزَاجُ^(٧) .

ولو استعمل الناسُ اللمانةَ في كلِّ حالٍ ، والجِدِّ في كلِّ مقالٍ ، وتركوا التَّسْمُحَ والتَّسْهِيلَ وَعَقَلُوا في كلِّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ^(٨) ، لَكَانَ

(١) التَّزِينُ : الْحُسْنُ . مَا حَاجَّ شَ : « كَلِمَ رِضَاكَ » .

(٢) التَّكَلُّفُ مِنْ ط ، مَجَّ ، شَ .

(٣) الْعُقُبُ ، بِالْفَمِّ : الْعَاقِبَةُ . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ : « هُوَ غَيْرُ ثَوَابٍ وَغَيْرُ عِقَابٍ » .

(٤) مَجَّ ، شَ : « وَغِيَّةُ النَّفْسِ » .

(٥) ب ، م : « وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي ذَلِكَ » يَسْقُوطُ « مَا » .

(٦) مَجَّ ، شَ : « وَالتَّحَاكُمُ وَالتَّتَنَافُرُ » .

(٧) مَجَّ ، شَ : « فِي لَفْظِ الْجَدِّ وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْهَزْلِ ، كَمَا يَكُونُ فِي لَفْظِ الْهَزْلِ وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْجَدِّ » .

(٨) مَجَّ ، شَ : « وَعَقَلُوا أَعْنَاتِهِمْ فِي كُلِّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ » .

الشرَّ ضَرَحاً خيراً لهم ، والباطلُ محضاً أَرَدَ عليهم . ولكنَّ لكلِّ شيءٍ قَنَرٌ ، ولكلِّ حالٍ شِكْلٌ . فالضَّحِكُ في موضعه كالْبُكَاهِ في موضعه ، والتَّيْسُ في موضِعِهِ كالْقُطُوبِ في موضعه . وكذلك المنعُ والبذلُ ، والعقابُ والعفوُ ، وجميعُ القبيضِ والبسطِ .

فإِنْ ذَمَّنَا المِزَاحَ ففيه لعمري ما يُدَمُّ ، وَإِنْ حَمِدْنَاهُ ففيه ما يُحْمَدُ . وَفَضَّلُ^(١) ما بينه وبين الجدِّ أَنَّ الخطأَ إلى المزاحِ أسرع ، وحالُه بحال السُّخْفِ أشبه . فأمَّا أَنْ يُدَمَّ حَتَّى يَكُونَ كَالظُّلَمِ ، وَيُنْفَى^(٢) حَتَّى يَصِيرَ كَالْفَنَرِ فَلَا^(٣) ؛ لِأَنَّ المِزَاحَ بما يكون مرَّةً حسناً ومرَّةً قبيحاً . فإذا صِرْنَا إلى الجدِّ^(٤) . - ورغبتنا عن الهزل وتركنا المزاح ، وجلسنا للحُكْمِ^(٥) ، فقد أَغْنَاكَ اللهُ تعالى عن الحُجَّةِ ، كما سلَّمَكَ من الشبهة ، ولم نكلِّفَكَ الاحتِجَاجَ كما نرغب بك عن الاعتِلالِ^(٦) ، فأصبحتَ لا محتِجاً ولا مَحْجُوجاً ، ولا غَفْلاً ولا موسوماً ، ولا تَلَوماً ولا معنوراً^(٧) ، ولا فيكَ اختلاف ولا بك حاجةٌ إلى الائتلاف .

وليس مع اليقِانِ وَخْشَةٌ ، ولا مع الضَّرُورةِ وَجَمَةٌ^(٨) ، ولا دون اليقِينِ وَقْفَةٌ^(٩) .

(١) ب فقط : « وفصل » .

(٢) ما هنا مع ، ش : « ويُنْفَى » .

(٣) ب ، م : « كلا » ، سواءه في سائر النسخ .

(٤) مع ، ش : « فإذا ملنا إلى الجد » .

(٥) مع ، ش : « الحكمة » .

(٦) مع ، ش : « ولم يكلِّفَكَ الاحتِجَاجَ كما نرغب بك عن الاعتِلال » .

(٧) ب : « ملوماً » بإسقاط « لا » . وفي م : « ولا ملوماً ولا معنولاً » .

(٨) الوجهة من الوجوم ، وهو السكوت على غيظ أوهم أو كتابة ب فقط : « وجهة » .

وهل في تمامك ريب ^(١) حتى يُعالج بالحجة ؟ وهل يردُّ فضلك
جاحد ^(٢) حتى يُثبِتَ بالبينّة ^(٣) .

وهل لك خَصْمٌ في العلم أو نِدٌّ في الفهم ^(٤) ، أو مُجَارٍ في الجِلم ،
أو ضِدٌّ في العزم ^(٥) ؟

وهل يبلُغُكَ الحَسَدُ أو تضرُّكَ العَيْنُ ^(٦) ، أو تَسْمُو إِلَيْكَ المُنَى أو
يطمَعُ فَيْكَ طامع ^(٧) ، أو يتعاطى شَاوُكَ باغ ؟

وهل غايةُ الجميلِ إلّا وَضْفُكَ ، وهل زَيْنُ البليغِ إلّا مَنْحُكَ ، وهل
بَأْمَلُ الشريفِ ^(٨) إلّا اصْطِنَاعُكَ ؟ وهل يَقْدِرُ الملهوفُ إلّا غِيَاثُكَ ^(٩) ؟
وهل للطلّابِ غايةٌ سِوَاكَ ؟ وهل للفقوّانِ مَثَلٌ غيرُكَ ؟ وهل للماتِحِ ^(١٠)
رجزٌ إلّا فَيْكَ ، وهل يَحُلُو الحادِي إلّا بِكَ ^(١١) ؟

ولولا أَن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك ، ويحصّته من الصّدق ^(١٢) ،

(١) ما عدا مع ، ش : « وهل فَيْكَ ريب » .

(٢) ب : « ماد » ، م ، ط : « حاد » ، صوابهما في مع ، ش .

(٣) ب ، م : « حتى تثبت بالصيغة » ط : « حتى تثبت بالصيغة » صوابهما في مع ، ش .

(٤) ما عدا مع ، ش : « أو يد في الفهم » تحريف . ولقد ، بالكسر : المنظر والمثل .

(٥) الجاوي : الشبيه ، وأصله من يجرى مع غيره . ما عدا مع ، ش : « أو مجاز »
تحريف .

(٦) مع ، ش : « وهل يبلُغُكَ الحسد » . ب ، م : « أو يضرك العين » .

(٧) ما عدا مع ، ش : « طامغ » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « يؤمل » .

(٩) مع ، ش : « وهل يرجو الملهوف إلّا غِيَاثُكَ » .

(١٠) كانوا يرجزون عند المتح ، وهو الاستقاء من أهل البئر . ما عدا مع ، ش : « وهل

الجاح » ، تحريف .

(١١) ش : « أو هل » ، مع ، ش : « إلّا يذكركَ » .

(١٢) ش : « من الصّدق فَيْكَ » .

وبسببه من الشكر^(١) لك، لكان الإطناب عندهم في وصفك لغواً، ولكان تكلفه فضلاً .

ومن هذا الذي يَضَعُه^(٢) أن يكون دونك ، أو يُهَجَى بالتسليم^(٣) ، ولم نَعُدْ^(٤) إقراره إحساناً ، وخُضوعه إنصافاً ؟

وهل تقع الأبصار إلا عليك ، وهل تُصَرِّفُ الإشارة إلا إليك^(٥) ؟

وأى أمرِك ليس بغاية ، وأى شئ منكَ ليس في النهاية ؟ وهل فيكَ شئ يَفُوق شيئاً أو يَفُوقُه شئ ؟ أو يقال : لو لم يكن كذا لكان [أحسن^(٦)] ، أو لو كان كذا لكان أتم ؟

وأين الحُسْنُ الخالصُ والجمالُ الفائقُ ، واليَمَلُحُ المخضُ والحلاوة التي لا تستحيل ، والتَّمامُ الذي لا يُحِيلُ^(٧) ، إلا فيكَ ، أو عندكَ ، أو لك أو معكَ ؟

لا بل أين الحُسْنُ المُضَمَّتُ والجمالُ المفردُ ، والقَدُّ العجيبُ ، واليَمَلُحُ المنشور والفضلُ المشهور ، إلا لك وفيكَ ؟

وهل على ظهورها جميلٌ حسيبٌ أو عالمٌ أديبٌ^(٨) إلا وظلُّكَ أكبر

(١) ما عدا مج : ش : وشيته من الشكر .

(٢) ط : و نصفه .

(٣) ب : « أو تهجى بالتسليم » ، تعريف صوابه فيم : ط . وفي مج : ش : « ويمتنع بالتسليم لك » .

(٤) ما عدا مج : « أو تمه » .

(٥) ب : م : « وهي تصرف الإشارة إلا إليك » ، وأثبت ما في ط . عل أن هذه الفقرة بتمامها لم ترد في نسخ الترييح والتأوير .

(٦) التكلفة من مج : ش .

(٧) ط فقط : « لا يحيل » .

(٨) مج : « أو عالم أديب » ب : ط : م : « وعالم أديب » ، وأثبت ما في ش .

والأريب : المائل ذو الدعاء .

من شخصه ، وظنك أكثر من علمه ، واسمك أفضل من معناه ، وحُلمك أثبت من نَجْوَاه ؟

ولربما رأيت الرجل حسناً جميلاً ، وحُلواً مليحاً ، وعتيقاً رشيقاً ، وفخماً نبيلاً^(١) ، ثم لا يكون موزون الأعضاء ولا معتدل الأجزاء .

وقد تكون^(٢) أيضاً الأقدارُ متساويةً غير متقاربة ولا متفاوتة^(٣) ويكون قصداً ، ومقداراً عدلاً ، وإن كانت هناك دقائق خفية لا يراها النبي^(٤) ، ولطائف غامضة لا يعرفها إلا الذكي .

فأما الوزن المتحقق^(٥) ، والتعديل الصحيح ، والتركيب الذي لا يفضحه التفرس ، ولا يحضره التعنت^(٦) ، ولا يتعلل جاذبه^(٧) ، ولا يطمع في التمويه ناعته^(٨) ، فهو الذي خُصِصَتْ به دون الأنام ، ودائم لك على الأيام .

: وكذا الحُسْن إذا كان حراً مُرسلاً ، وعَتيقاً مُطلقاً^(٩) ، لا يتحكم

(١) الفهم : العظيم القدر . وفي حديث أبي حنيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فضياً منضماً ، أي عظيمًا منظمًا في الصدور والميرون . ما عدا مع ، ش : « وضيفاً نبيلاً » ، ولم تعرف للمعجم الفهم .

(٢) ب فقط : « وقد يكون » .

(٣) التكلة من مع ، ش .

(٤) مع ، ش : « إلا الأمل » .

(٥) ب : « والتحقيق » م : « التحقق » مع ، ش : « الحق » ، وأثبت ما في ط .

(٦) ما عدا مع ، ش : « العتيب » .

(٧) الجادب : المائب . قال ذو الرمة :

فيا لك من غسد أسيل ومنطق رخم ومن خلق تملل جادبه

يقول : لا يجد فيه مقالاً ولا عيباً يسيه به ، فيتعلل بالباطل وبالباطل ويقوله وليس يعب .

ما عدا مع : « جاذبه » بالذال المسجمة ، تحريف .

(٨) ما عدا مع ، ش : « غايه » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « وعصاً مطلقاً » ، تحريف .

عليه الشعر^(١) ، ولا يُثْلِهُ الزمان^(٢) ، ولا يحتاج إلى تعليق التمام ، ولا إلى الصون والكن ، ولا إلى المنقاش والكحل^(٣) .

ولو لم يكن لحسن وجهك إلا أنه قد سهل في العيون تسهيلاً ، وجب إلى القلوب تحبيباً ، وقرب إلى النفوس تقريباً ، حتى امتزج بالأرواح وخالط النماء ، وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوم^(٤) ، ولا السرور الشديد ، ولا الشراب الرقيق ، كان في ذلك المزية الظاهرة ، والفضيلة البينة .

ولو لم يكن لك إلا أننا لا نستطيع أن نقول في الجملة ، وعند الوصف والمنحة : هو أحسن من القمر^(٥) ، وأضوأ من الشمس ، وأنبهى من القيث ، وأحسن من يوم الحلية^(٦) ؛ وأنا لا نستطيع أن نقول في التفاريق : كأن عنته لإبريق فضة ، وكأن قدمه لسان حية ، وكأن وجهه ماوية^(٧) ، وكأن بطنه قبطية^(٨) ، وكأن ساقه بردية^(٩) ، وكأن لسانه ورقة ، وكأن أنفه حدسيف ، وكأن حاجبه خط بقلم^(١٠) ، وكأن لونه الذهب ، وكأن عوارضه البرد ، وكأن فاه خاتم ، وكأن

(١) ما عدا سج ، ش : « الشعر » .

(٢) ما عدا سج ، ش : « ولا يهلكه الزمان » .

(٣) المنقاش : آلة النقش ، والمراد به ما ينقش به الشعر ، سج ، ش : « المنقاش » .

(٤) سج ، ش : « السم ولا الوم » . والسر : الحكايات التي يسمر بها ليلاً .

(٥) ط ، سج ، ش : « هو أحسن من القمر » .

(٦) يوم الحلية : يوم الزينة في الأعياد ونحوها . سج ، ش : « يوم الحلية » .

الموحدة .

(٧) الماوية : المرأة . سج ، ش : « وكأن عيه » .

(٨) القبطية ، بالضم : ثياب من كتان مصر يبيض رفاق . ط : « قبطية » .

(٩) البردية ، بالفتح : واحدة البردى ، وهو نبات مائي معروف يضرب به المثل في

في الغضاضة واللين .

(١٠) ب ، م : « تلم » . تحريف . في ط : « قلم » . وأثبت ما في سج ، ش .

جبيته هلال . وهو أظهر من الماء ، وأرق طباعاً من الهواء ، وهو أَمْضَى من السَّيل ، وأهدى من النُّجم - لكان في ذلك البرهانُ النِّيرُ ، والدليلُ البينُ .

وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية في كلِّ فضل ، والمثلُّ في كلِّ شكْل . وأما قول الشاعر^(١) :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَازَدَتْهُ نَظَرًا

وقول اللُّمَشَقِيِّينَ : ما تَأَمَّلْنَا قَطُّ تَأْلِيفَ مَسْجِدِنَا ، وتركيبَ مِحْرَابِنَا وَقَبَةَ مُصَلَّاتِنَا إِلَّا أَثَارَ لَنَا التَّأَمُّلُ ، واستخرج لنا التَّفَرُّسُ ، غَرَائِبَ حَسَنِ لَمْ نَعْرِفْهَا^(٢) ، وعجائبَ صَنَعِهِ لَمْ نَقِفْ عَلَيْهَا . وما ندرى أَجْوَاهِرَ مَقْطَعَاتِهِ أَكْرَمُ في الجواهر ، أم تنضيد أَجْزَائِهِ في تنضيد الأجزاء^(٣) ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْنَى مَسْرُوقٍ مَنَى في وصفك ، ومَأْخُوذٌ من كتبِي في مدحك .

والجملةُ التي تنفي الجِدَالَ ، وتَقَطِّعُ القَيْلَ والقال ، أَنِّي لَمْ أَرَكْ قَطُّ إِلَّا ذَكَرْتُ الْجَنَّةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَجْمَلَ النَّاسِ فِي عَقَبِ رَوَيْتِكَ إِلَّا ذَكَرْتُ النَّارَ !

وَلَا تَعَجَّبْ أَيُّهَا السَّامِعُ واعلم أَنِّي مَقْصَرٌ . وَإِذَا رَأَيْتَهُ عَلِمْتَ أَنِّي مَقْصَرٌ . وَإِذَا رَأَيْتَهُ عَلِمْتَ أَنِّي فِيمَا يَجِبُ لَهُ مَفْرُطٌ .

هو رجلٌ طينته حُرَّةٌ ، وعِرْقُهُ كَرِيمٌ ، وَمَغْرِسُهُ طَيِّبٌ ، وَمَنْشُؤُهُ

(١) هر أبو نواس . ديوانه ١٢٥ ودلائل الإيجاز ١٩٤ وساهد التنصيص ١ : ٢٨ وديوان المائق ١ : ٣٢١ .

(٢) ط ققط : « التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها » ، تحريف .

(٣) ب ققط : « تنضيد » ، محرفة . وفي ش : « في تنضيدات الأجزاء » وفي مج : « أم أجواهر تنضيدات أجزائه في تنضيدات الأجزاء » .

محمود ، غُذِيَ في النُّعْمَةِ ^(١) ، وعاش في الغبطة ، وأَرْفَهَ السَّادِبَ ،
ولطَّفه طول التفكير ^(٢) ، وخامَرَهُ الأدب ، وجرى فيه ماءُ الحياء .
فأَفْعَالُهُ كَأَخْلَاقِهِ ، وَأَخْلَاقُهُ كَأَعْرَاقِهِ ، وعادته كطبيعته ، وآخِرُهُ كَأَوَّلِهِ ،
تحكى اختياراته التَّوْفِيقَ ، ومذاهبه التَّسْلِيدَ . لا يَعْرِفُ التَّكَلُّفَ ،
ويرغَبُ عن التَّجَوُّزِ ^(٣) ، وينبُلُ عن ترك الإنصاف ^(٤) . لا تَمْتَنِعُ عليه
معرفة المَبْهَمِ ^(٥) ، ولا يُلْحِجُ باستبانة المُشْكِلِ ^(٦) ، ولا يَعْرِفُ الشُّكَّ
إِلَّا في غيره ، ولا الِهيَّ ^(٧) إِلَّا مَعَا .

فمن يطمع في عَيْبِكَ ^(٨) ، بل من يطمع في قَدْرِكَ . وكيف وقد
أَصْبَحْتَ وما على ظهرها خَوْدٌ ^(٩) إِلَّا تَعَثَّرَ بِاسْمِكَ ^(١٠) ، ولا قَيْنَةً إِلَّا وهى
تَغْنَى بِمَنْحِكَ ^(١١) ، ولا فتاةً إِلَّا تشكو تباريحَ حَبِّكَ ^(١٢) ، ولا محجوبةً

(١) ب فقط : « طى » ، تحريف . ج : « ش » : « بالنعمة » .

(٢) ج : « وألطف طول التفكير » ش . : « وألطف طول الفكرة » .

(٣) ما عدا ج : « ش » : « التجرد » .

(٤) كلمة « ترك » من ج : « ش فقط ، وفي ب : « عن الأوصاف » . م ، ط : « عن الإنصاف » .

(٥) ب ، م : « لا يمتنع عليه معرفة المجه » صوابه في سائر النسخ .

(٦) يقال لحج عليه الغبر تلحيباً ، إذا خلطه عليه وأظهر غير ما في نفسه . ب ، م ، ط :
« ينسج باستبانته المشكل » ، تحريف . وفي ج : « ولا يلتجج باستبانة للمشكل » .

(٧) ما عدا ج : « ش » : « ولا الهى » بالفتن المعجمة ، تحريف .

(٨) ما عدا ج : « ش » : « في عينك » ، بالنون .

(٩) الخرد ، بفتح الخاء : الثابتة الكثيرة الحسنات الخلق . ب ، م : « جود » ، ط :

« جواد » ، صوابها في ج : « ش » .

(١٠) ج : « ش » : « وإلا وهى تثر باسمك » ، أراد يثر بها الاضطراب لتقع في النار .

(١١) ما عدا ج : « ش » : « وإلا وهى تبهى » ، وفي ط أيضاً : « تملطك » .

(١٢) ب : « وإلا وتشكو » م : « ولا فتاة تشكو إلا تباريح حبك » ، وأثبت ما في ط .

وفي ج : « ش » : « وإلا وهى تشكو تباريح حبك » .

إِلَّا وَهِيَ تَنْقُبُ الْخُرُوقَ لِمَرْكَ^(١) ، وَلَا عَجُوزٌ إِلَّا وَهِيَ تَدْعُو لَكَ ،
وَلَا غَيُورٌ إِلَّا وَقَدْ شَقِيَ بِكَ^(٢) .

فَكَمَ مِنْ كَبِدِ حَرَّى^(٣) مُنْضَجَةٍ ، وَمَصْلُوعَةٍ مَفْرُتَةٍ^(٤) ، وَكَمْ
حِشًا^(٥) خَافَتِي وَقَلْبِ هَاتِمَ ، وَكَمْ عَيْنٍ سَاهِرَةٍ^(٦) وَأُخْرَى جَامِدَةٍ^(٧)
وَأُخْرَى بَاكِيةٌ ؟ وَكَمْ عَبْرَى مَوْلَاهُ وَفَتَاةٍ مَعْدِيَةٍ ، قَدْ أَقْرَحَ قَلْبُهَا الْحُزْنَ ،
وَأَجْمَدَ عَيْنَهَا الْكَمَدَ ، وَاسْتَبَدَلَتْ بِالْحَلَى الْعُطْلَةَ^(٨) وَبِالْأَنْسِ الْوَحْشَةَ ،
وَبِالْتَّكْحِيلِ الْمَرَّةَ^(٩) ، فَأَصْبَحَتْ وَالْهَةَ مَبْهُوتَةً^(١٠) ، وَهَائِمَةً مَجْهُودَةً ،
بَعْدَ ظَرْفِ نَاصِعٍ^(١١) ، وَمِنْ ضَا حَكْ ، وَيَعْدُ أَنْ كَانَتْ نَارًا تَتَوَقَّدُ
وَشُعْلَةً تَتَوَهَّجُ .

وَلَيْسَ حُسْنُكَ - أَبَقَاكَ اللَّهُ - الْحُسْنَ الَّذِي تَبْقَى مَعَهُ نَوْبَةٌ ، أَوْ
تَصْبِحُ مَعَهُ عَقِيدَةً^(١٢) ، أَوْ يَكُونُ مَعَهُ عَهْدٌ^(١٣) ، أَوْ يَثْبِتَ مَعَهُ عَزَمَ ،

(١) ط فقط : « تنقب » بالياء المثلثة .

(٢) ب ، ط : « شق » بالفاء ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب ، م : « حصى » ، والصواب في سائر النسخ .

(٤) مفرقة : مفتحة . ب : « ومبرية » م : « ومبرية » ط : « ومذبذبة » : صوابها

في سج ، ش .

(٥) ش فقط : « وكَمْ مِنْ حِشَا خَافَتِي » .

(٦) ش فقط : « وكَمْ مِنْ عَيْنٍ سَاهِرَةٍ » .

(٧) الجامدة : التي لا تتسع . مع فقط : « جامدة » .

(٨) كلما في جميع النسخ . وفي المراجع أن « العطلة » بالنون : اسم للتعطّل ، وهو غلو

المرأة من الخلل ، وغلو النامل من السبل .

(٩) المره : غلو اللين من الكحل ، أو فسادهما تركه . والنسب أمره ومرهاده .

(١٠) المبهوت : الحسير ، والذي اضترته التفتة .

(١١) الناصع : الخالص للظاهر . في الأصول : « طرف » بالمهملة ، صوابه بالناء المعجمة .

(١٢) ب ، م : « أو يصح منه عقلة » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٣) ب ، م : « عهدة » .

أَوْ يُمَهِّلُ صَاحِبَهُ لِلتَّثْبِثِ ^(١) ، أَوْ يَتَّسِعَ لِلتَّخْيِيرِ ^(٢) ، أَوْ يُنْهِنُهُ زَجْرٌ ^(٣) ،
أَوْ يَفِيلُهُ خَوْفٌ ^(٤) . هُوَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - شَيْءٌ يَنْقُصُ الْعَادَةَ ^(٥) ،
وَيَنْسَخُ الْمُنَّةَ ، وَيُعْجِلُ عَنِ الرُّوْيَةِ ^(٦) ، وَيَطْوِجُ بِالْعَزَاءِ ^(٧) ، وَيُنْسِي مَعَهُ
الْعَوَاقِبَ .

ولو أدركك ^(٨) عمر بن الخطاب لَصَنَعَ بِكَ أَعْظَمَ ^(٩) مِمَّا صَنَعَ بِنَصْرِ
ابن الحجاج ^(١٠) ، وَلَزَكَيْكَ بِأَعْظَمَ مِمَّا رَكِبَ جَعْدَةَ السُّلَمَى ^(١١) . بَلْ
لِدَعَاهِ الشُّغْلُ بِكَ إِلَى تَرْكِ التَّشَاغُلِ بِهِمَا ، وَالغَيْظُ عَلَيْكَ إِلَى الرَّحْمَةِ لِهَما .

(١) سج ، ش : « التثبث » .

(٢) ب ، م : « أو تتسع » .

(٣) نهيه عن الأمر فنهيه : كفه وزجره فكفه ، وأصلها نهيه ، بالتضعيف ، فأبدلت
الماء الثانية نوناً . ما حاد سج ، ش : « أو ينهيه » ، تحريف .

(٤) ب : « خوفًا » ، تحريف . وجع ، ش : « أو يهله خوف » .

(٥) ط فقط : « ينقص العادة » ، تحريف .

(٦) المنة ، بالضم : القوة . روى في الأمر رواية : نظر وفكر ، والاسم الروية .
ب ، م : « عن الروية » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) سج ، ش : « ويطلع » ب فقط : « بالعرى » .

(٨) ب ، م : « أدرك » .

(٩) ط فقط : « أحسن » ، ووجهها « أحسن » .

(١٠) ط فقط : « حجاج » . وهو نصر بن الحجاج بن علاط السلمي . وكان قد عشقته
فريمة بنت همام ، أم الحجاج بن يوسف ، وهي إذ ذاك تحت المفيرة بن شعبة ، فرعر
ابن الخطاب ذات ليلة ففسمها تقول :

أَلَا سَبِيلٌ إِلَى خَسِرٍ فَأُفْرِجَهَا أَوْ لَا سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حِجَاجٍ

فسير عمر نصراً إلى البصرة ، فنزل على مجاشع بن مسعود فمشق امرأته شيلة وعشقته ،
وعرف مجاشع ذلك فأخرجته من منزله ، فنزل على بعض المسلمين فرض من سبها مرضاً شديداً
فتشل به أهل البصرة فقالوا : « أدنف من المتنبي » . كما قيل « أصب من المتنبي » ، وهي فريمة
بنت همام . جهرة الأشمال ١ : ٨٨٨ والميداني ١ : ٣٧٩ والمتنبي ١ : ١١٩ .

(١١) أدرك جملة هذا زمان الجاهلية ، وكان غزلاً صاحب نساء يحسن ويمازهن ،
فكن يحسن منه ، فيأخذ المرأة فيمقلها ثم يأمرها بأن تمشي ، فتسير فتمش فتكشف ، فيضاحكن
من ذلك ، ففاه عمر من المدينة إلى عمان . الإصابة ١ : ١٢٨ .

فمن كان عيب حُسْنِهِ ^(١) الإفراط ، [والطعن ^(٢)] عليه من جهة الزيادة ، كيف يرومه عاقلٌ أو يَنْتَقِصُهُ عالم .

وما ندرى ^(٣) في أى الحالين أنت أجمل ، وفي أى المنزلتين أنت أكمل ، إذا فرقتك أو إذا جمعتك ^(٤) ، وإذا ذكرناك كلك ^(٥) أم إذا تأملنا بعضك ؟

فإنما كلكُ فهي التي لم تُخلقْ إلَّا للتقبيل والتوقيع ، وهي التي يحسنُ بحُسْنِها كلُّ ما اتصل بها ، ويختال بها كلُّ ما صار فيها ^(٦) .

وكما أصبحنا وما ندرى : الكأسُ التي ^(٧) في يلكُ أجملُ أم القلمُ ، أم الرمحُ الذي تحمله أم المخضرة ، أم العنانُ الذي تمسكه ، أم السوطُ الذي تعلقه ؟

وكما أصبحنا وما ندرى أى الأمور المتصلة برأسك أحسنُ ، أم أيها أجمل وأشكل : أَلَلْمَةُ أم مَخْطُ اللَّحْيَةِ ^(٨) ، أم الإكليلُ أم العصابة ، أم اليمامة أم القِنَاعُ أم القَلَنْسُوَّةُ ؟

وأما قلمكُ فهي التي يَظُنُّ الجاهلُ كما يعلم العالمُ ، ويعلم البعيد

(١) ب ، م : « حسيه » بالباء .

(٢) التكلة من مع ، ش .

(٣) ب ، م : « وما يدرى » .

(٤) هذا ما في مع . وفي ب ، م ، ط : « وإذا جمعتك » . وأولى في ش : « إذا فرقناك »

أم إذا تأملنا بعضك » . بهذا النقص .

(٥) م ، ط : « ذكرناك كلك » . وبه في مع : « أو إذا تأملنا بعضك » .

(٦) ب ، م : « ويختال » باللهمة ، صوابه في سائر النسخ . وفي ب ، م : « كل من صار فيها » ، تحريف .

(٧) م ، ط : « التي » ، صوابه في ب فإن الكأس مؤنثة . وفي مع ، ش : « الكأس في يلك » .

(٨) مخط الهية : خطوطها وحيث غرطها . م ، ط : « عط الهية » ، تحريف .

الأقصى كما يعلم القريب الأدنى، أنها^(١) لم تُخلق إلا لمنبر عظيم،
أو ركاب طريف كريم.

وأما فولك^(٢) فهو الذي لا ندرى : أى الذى تنفوه^(٣) به أحسن،
وأى الذى يبدو منه أجمل^(٤) : الحليث أم الشعر ، أم الاحتجاج ، أم
الأمر والنهى ، أم التعليم والوصف ؟

وعلى أننا لا ندرى أى ألسنتك أبلغ ، وأى بيانك أشفى : أفلمك
أبلغ أم [خطك] ، أم^(٥) [لفظك] ؟ أم إشارتك أم عقيدك^(٦) ؟ وأنت فى ذلك
فوقهم - والحمد لله - وواحدكم . وأعنيك بالله تعالى^(٧) .

وقد علمنا أن القمر ، وهو^(٨) الذى يضرب به الأمثال ، ويُسبَّه به
أهل الجمال ، يبدو مع ذلك ضئيلاً ونضواً ، ويظهر معوجاً شخاً^(٩) ،
وأنت أبداً قبرٌ بئر ، وفخْمٌ غمر^(١٠) .

ثم مع ذلك يحترق فى السَّرار^(١١) ، ويُتشاءم به فى المحاق ، ويكون
نحساً كما يكون سعداً ، ويكون ضراً كما يكون نفعاً ، ويُقرض

(١) ب ، م : « إلا بها » ، صوابها فى سائر النسخ .

(٢) ما عدا مج ، ش : « فولك » .

(٣) ب فقط : « تنفوه » ، تحريف .

(٤) ط : « ثبأ به » ب : « يبدو به » م : « تبدو به » صوابه فى مج ، ش .

(٥) التكلة من مج ، ش .

(٦) المقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له حساب اليد أيضاً .

وفى الحديث أنه : « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة ٣ : ١٤٧

والحيوان ١ : ٣٣ والبيان ١ : ٧٦ .

(٧) بده فى مج ، ش : « وأنت تجوز الناية وتفوق النهاية » .

(٨) وهو ، ساقطة من ب ، ويدها فى مج ، ش : « هو » بدون ولو .

(٩) ويظهر ، ساقطة من ب ، م . والشخ : النقيض الضليل .

(١٠) ش : « ويغر غمر » . ط : « وفخم فخر » وللخر ، بالكسر : الشجاع ، والظروف

الطيب المعوان . وأما النمر ، بالفتح ، فهو الراعب الخلق الكثير المعروف .

(١١) السرار . بكسر السين وتفتحها : آخر ليلة فى الشهر ، وفيها يسقى القمر .

الْكَنَانُ ، وَيُشْجِبُ الْأَلْوَانُ^(١) ، وَيَحْمُ فِيهِ اللَّحْمُ^(٢) . وَأَنْتَ دَائِمُ
الْيُمْنِ ، ظَاهِرُ السَّعَادَةِ ، ثَابِتُ الْكَمَالِ ، شَائِعُ النِّفَعِ ، تَكْسُو مَنْ أَعْرَاهُ ،
وَتُكْنِ مَنْ أَشْجَاهُ^(٣) .

وَعَلَى أَنَّهُ مَحَقَّ حُسْنَهُ الْمَحَاقِ^(٤) ، وَشَانَهُ الْكَلْفِ ، وَلَيْسَ بِلَذِي
تَوْقُدٍ وَاشْتَعَالٍ ، وَلَا خَالِصٍ وَلَا مُتَلَاتِلٍ ، وَيَعْلُوهُ بَرْدٌ^(٥) وَيَكْصِفُهُ ظِلٌّ^(٦) ،
ثُمَّ لَا يُعْتَبَرُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ كَمَالِهِ ، وَلَيْلَةٌ فَخْرُهُ وَاحْتِفَالُهُ .

وَكثِيراً مَا يَعْتَرِيهِ الصُّفَارُ^(٧) مِنْ بُخَارِ الْبَحَارِ . وَأَنْتَ ظَاهِرُ
التَّمَامِ ، دَائِمُ الْكَمَالِ ، سَلِيمُ الْجَوْهَرِ ، كَرِيمُ الْعُنْصُرِ ، نَارِيُ التَّوَقُّدِ ،
هَوَائِيُ الدَّهْنِ^(٨) بَرِيُ اللَّوْنِ^(٩) ، رُوحَانِيُ الْبَدَنِ .

وإِنْ احْتَجَّجُوا عَلَيْكَ لَهُ بِالْجَزْرِ وَالْمَذِّ ، احْتَجَّجْتَ عَلَيْهِمْ بِالْحِلْمِ
وَالْعِلْمِ ، وَبِأَنَّ طَاعَتَكَ اخْتِيَارٌ ، وَطَاعَتُهُ طِبَاعٌ وَاضْطِرَارٌ^(١٠) ، وَبِأَنَّ لَهُ سِيرَةً

(١) لم أجد في المعاجم إلا « شجب » للآدم . والشجوب : تغير اللون ، والمزال .

(٢) غم ينم بكسر ميم المنفارع ونقصها ، خاً وخوفاً : أنتن . ط ، م : « وينتثر » ، ووجه
هذه « ينتثر » بالنون والزاى ، غمز اللحم أيضاً : فسد وأنتن .

(٣) ما هنا معج ، ش : « شحبة » .

(٤) المحاق يفتح الميم ويضمها : ليال ثلاث في آخر الشهر . ب ، م : « المحوق » ،
تحريف .

(٥) ش فقط : « يعلوه النسيم » .

(٦) ب ، م : « وتكسفه ظل » . وفي معج ، ش : « ويكسوه ظل الأرض » . والكسوف
والخسوف مشتركان بين الشمس والقمر ، وإن كان الخسوف في القمر أكثر والكسوف في
الشمس أغلب .

(٧) الصفار : بالضم : صفرة تلو اللون والبشرة . اللسان (صفر ١٣٤) .

(٨) ما هنا معج ، ش : « هوائى الدهر » .

(٩) برى : سهل برى ، وبراءة اللون : صفاءه ونقله . معج ، ش : « درى اللون »

(١٠) الطباع ، ككتاب ، والطبع والطبيعة ، كلها بمعنى السجية يجبل عليها الإنسان وغيره
ط فقط : « طبع » . وانظر الحيوان ٢ : ١٣١ / ٤ : ٤٥٢ / ٥ : ٤٨ ورسائل الجاحظ

قد قُصِرَ عليها ، وَمَنَازِلَ لَا يُجَاوِزُهَا ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الْبَلَوَاتُ ^(١) ، وليس في قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ ^(٢) .

على أَنَّ ضِيَاءَهُ مُسْتَعَارٌ مِنَ الشَّمْسِ ، وَضِيَاؤُكَ عَارِيَّةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ ^(٣) . وَكَمْ بَيْنَ الْمُعِيرِ وَالْمُسْتَعِيرِ ، وَالتَّابِتِ وَالْمُنْحَرِفِ ، وَبَيْنَ الْعَالَمِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ .

تُعِيرُ نَسِيمَ الْهَوَاءِ طَيْباً ^(٤) ، وَتُرَابَ الْأَرْضِ عَبَقاً .

إِنْ تَفَتَّيْتُ فَالرَّشَاقَةُ وَالْمِلْحُ ^(٥) ، وَإِنْ تَنَسَّكَتَ فَالرَّهْبَانِيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ ^(٦) ، وَإِنْ تَرَزَّنْتَ فَتَهْلَانُ ذُو الْهَضْبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ ^(٧) .

وَطِبَاعُكَ ^(٨) - جُعِلَتْ فِدَاكَ - طِبَاعُ الْخَمْرِ ، إِلَّا أَنَّكَ حَلَالٌ كُلُّكَ . وَجَوْهَرُكَ جَوْهَرُ الذَّهَبِ إِلَّا أَنَّكَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ . وَقَدْ حَوَيْتَ خِصَالِ الْيَاقُوتِ إِلَّا مَا زَادَكَ اللَّهُ ، وَأَخَذْتَ خِصَالِ الْمُشْتَرَى ^(٩) إِلَّا مَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَجَمَعْتَ خِلَالَ الدُّرِّ إِلَّا مَا خُصِّصْتَ بِهِ دُونَهُ . فَلَمْ يَكُنْ مِنْ كُلِّ

(١) البلوات : جمع بداءة ، كما يقال قطة وقطرات . والبلوات : الآراء تظهر البرء فيختار بعضها ويسقط بعضها . ط فقط : « البدار » . مع ، ش : « لا تمكث » بالياء .

(٢) ما عدا مع ، ش : « وليس في قوله » ، تحريف . وفي ط أيضاً : « فضل التصرف » .

(٣) أي يستعيره جميع الخلق ، لا شيء لم إلا منه .

(٤) ب : م : « يميز » ، ط : « يميز » ، وفيها جميعاً : « للهوى » ، والوجه ما أثبت . والذي في مع ، ش : « فلا زالت الأرض بك مشرقة » ، والدنيا مسورة ، ومجالس الخير مأهولة ونسيم الهواء طيباً ، وتراب الأرض عباقاً .

(٥) ما عدا مع ، ش : « إن هبت » ، وفي ط فقط أيضاً : « فلرشاقة » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « وإن تمكنت » .

(٧) ب : « يتحلل » ، ط : « يتحلل » ، « صوابه في سائر النسخ . يتحلل : يتحرك ويبرح مكانه . وهو ناظر إلى قول القرظدي في ديوانه ٧١٧ :

فادفع بكفك إن أردت بناسخ تهلان ذا الهضبات ، هل يتحلل

(٨) أي طبعك ، انظر ما سبق في حواشي ص ٩١ .

(٩) يسميه المنجمون السعد الأكبر ، لأنه فوق الزهرة في السمادة . وأنشأوا إليه الخمرات الكثيرة والسمادة المنظمة . صجانب المخلوقات ٢٥ .

شيء^(١) صفوته وشرفه ، ولُبَابُهُ وبهاؤه . وهل يَفْيِيرُ الْقَمَرُ^(٢) نُبَاحُ الْكَلْبِ^(٣) ، وهل يُزْعِجُ النَّخْلَةَ سُقُوطُ الْبَعُوضَةِ ١٩ .

فَلَمَّا الْقَوْلُ فِي الْمِزَاحِ فَقَدْ بَقِيَ أَكْثَرُهُ وَمَقَى أَقْلُهُ .

وقد ذهبَ النَّاسُ فِي الْمِزَاحِ فِي مَذَاهِبَ مُتَضَادَّةٍ ، وَسَلَكُوا مِنْهُ فِي طَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ جَمِيعَ الْمِزَاحِ خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِدِّ ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ عَلَيْهِمَا مَقْسُومَانِ ، وَأَنَّ الْحَمْدَ وَالذَّمَّ بَيْنَهُمَا نِصْفَانِ^(٤) .

وَسَنَأْتِي عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ ، ثُمَّ نَذْكُرُ جُمْلَةً مَا نَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا الْمُحَاجِي عَنْ الْهَزْلِ وَالْفَضْلُ لِلْمَرْحِ فَإِنَّهُ قَالَ :

أَوَّلُ مَا أَذْكُرُ مِنْ خِصَالِ الْهَزْلِ ، وَمِنْ فَضَائِلِ الْمَرْحِ ، أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ وَفَرَاغِ الْبَالِ ، وَأَنَّ الْجِدَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَضْلِ الْحَاجَةِ ، وَالْمَرْحُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَضْلِ الْغِنَى ، وَأَنَّ الْجِدَّ نَصَبٌ^(٥) ، وَالْمَرْحُ جَمَامٌ^(٦) ، وَالْجِدُّ مَبْقَعَةٌ وَالْمَرْحُ مَحَبَّةٌ . وَصَاحِبُ الْجِدِّ^(٧) فِي بَلَاءٍ مَا كَانَ فِيهِ ، وَصَاحِبُ الْمَرْحِ فِي رَخَاءٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ .

(١) ب فقط : « في كل شيء » .

(٢) ب : « يغير القمر » م : « يغير القهر » ط : « يغير القهر » صوابه في مع ، ش

والحيوان ١ : ١٣ .

(٣) مع ، ش والحيوان : « نباح الكلاب » .

(٤) م فقط : « نصفان » .

(٥) ب : « وأن النصب جد » م ، ط : « وأن النصب جد » ، صوابهما في مع ، ش .

(٦) الجمام ، كسحاب : الراحة .

(٧) ب ، م : « صاحب الجِدِّ » ، يكون واو .

والجِدُّ مؤنم وربُّما عرَضَك لِأَشَدِّ مِنْهُ ، وَالْمَرْحُ مُلْدٌ^(١) وربُّما عرَضَك لِأَلَدِّ مِنْهُ . فَقَدْ شَارَكَهُ فِي التَّعْرِيفِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَبَيَّنَّهُ بِتَعْجِيلِ الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ .

وإِنَّمَا تَشَاغَلَ النَّاسَ لِيَفْرُغُوا^(٢) ، وَجَلُّوا لِيَهْزِلُوا ، كَمَا تَذَلُّوا لِيَهْزُوا ، وَكَثُّوا لِيَسْتَرْيَحُوا ، وَإِنْ كَانَ الْإِزَاحُ إِنَّمَا صَارَ مَعِيباً ، وَالْهَزْلُ مَلْعُوماً ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْرُضاً لِمَجَاوِزَةِ الْحَدِّ ، وَمُخَاطِراً بِمُودَةِ الصَّدِيقِ .

فَالْجِدُّ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِفْرَاطِ ، كَمَا أَنَّ الْمَزَاحَ دَاعِيَةٌ إِلَى مَجَاوِزَةِ الْقَدْرِ وَالتَّجَاوُزِ لِلْجِدِّ^(٣) قَاطِعٌ^(٤) بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي جَمِيعِ النُّوعَيْنِ .

فَقَدْ سَاوَاهُ الْمَزَاحُ فِيهَا هُوَ لَهُ^(٥) وَبَيَّنَّهُ فِيهَا لَيْسَ لَهُ . وَإِنْ كَانَ الْمَزَاحُ إِنَّمَا صَارَ قَبِيحاً لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَهُ جِدٌّ ، وَلَمْ يَصِرِ الْجِدُّ قَبِيحاً لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَهُ مَرْحٌ^(٦) ، وَكَانَ^(٧) الْجِدُّ فِي هَذَا الْوِزْنِ أَقْبَحُ ، وَكَانَ الْمَزَاحُ^(٨) عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَحْسَنَ ، لِأَنَّ مَا جَعَلَ الشَّيْءَ قَبِيحاً أَقْبَحُ مِنَ الشَّيْءِ ، كَمَا أَنَّ مَا جَعَلَ الشَّيْءَ حَسَناً أَحْسَنُ مِنَ الشَّيْءِ .

فَأَمَّا الَّذِي عَدَلَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْإِزَاحَ فِي مَوْضِعِهِ ، كَالْجِدِّ فِي مَوْضِعِهِ ، كَمَا أَنَّ الْمَنْعَ فِي حَقِّهِ كَالْبَذْلَ فِي حَقِّهِ .

(١) ط فقط : « مله » .

(٢) ط فقط : « ليفرغوا » .

(٣) ب ، م : « والتجاوز والجد » ط : « والتجاوز الجد » ، صوابها في معج ، ش .

(٤) ما عدا معج ، ش : « قاطع » .

(٥) ب فقط : « فيها له » .

(٦) ما بين المقفين ساقط من ب . وفي معج ، ش : « لأن الذي بعده المزح » .

(٧) ب ، م ، ط : « كان » بدون واو .

(٨) ما عدا معج ، ش : « وكان الوزن » ، تحريف .

قال^(١) : ولكل شيء موضع ، وليس شيء يصلح في كل موضع .
وقد قسم الله تعالى الخيرة^(٢) على المعلقة ، وأجرى جميع الأمور إلى
غاية المصلحة ، وقسط أجزاء الثوبة على العزبة والرخصة^(٣) ، وعلى
الإعلان والتقية ، وأمر بالمداواة كما أمر بالمباداة^(٤) ، وجوز المعارض
كما أمر بالإفصاح ، وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض^(٥) ، وجعل
المباح جَمَماً للقلوب^(٦) ، وراحة للأبدان ، وعوناً على معاودة الأعمال ،
فصار الإطلاق كالخطر ، والصبر كالشكر .

فليس للإنسان من الخيرة في الذكر شيء إلا وله في النسيان مثله .
ولا في الفطنة شيء إلا وله في الغفلة مثله ، ولا في السراء إلا وله في
الضراء مثله .

ولو لم يرزق الله تعالى العباد إلا بالصواب مَحْضاً ، وبالصدق
بَحْثاً^(٧) ، ويمر الحق صَفْحاً^(٨) ، لهلك العوام ، ولانتقض^(٩) أمر
الخاص .

(١) مع فقط : « فقال » .

(٢) مع فقط : « الخير » . والخيرة : الاعتبار .

(٣) ط فقط : « وعلى الرخصة » .

(٤) المباداة : المجاهرة . ط فقط : « بالمباداة » بالهزة : تحريف .

(٥) مع ، ش : « في المفروض » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « وجعل الحرام » ، تحريف : والجام ، كسحاب : الراحة . ب :

« حاماً » م : « حام » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) مع ، ش : « وبالصدق صرغاً » .

(٨) الصصح : البسط .

(٩) انتقض : انتكث . ب ، م : « ولا ينتقض » ط : « ولم ينقض » ، وجهها ما أثبت .

وفي مع ، ش : « وانتقض » .

ولو ذَكَرَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ مَا أَنْشِئَهُ ^(١) لَشَفِيَ ، وَلَوْ جَدُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ
لَا تَنَكَّثَ ^(٢) .

وقد يكون الذكر إلى الملكة سلماً كما يكون النسيان للسلامة
سبباً . وسبيلُ المزاح والجِدُّ كسبيل المنع والبذل . وعلى ذلك يجري
جميعُ القَبْضِ والبسط .

فهذا وما قبله جُمْلُ أقاويل القوم .

ونحنُ نعوذ بالله أن نجعل المزاح في الجملة كالجدِّ في الجملة ،
بل نزرعُ أن بعضَ المَزْحِ خيرٌ من بعضِ الجدِّ ، وعامةُ الجدِّ خيرٌ من
عامةِ المزول . والحقُّ أن يُنْصَحَ ^(٣) عن بعضِ المزح ، ويُحتَجُّ لجمهور
الجدِّ ^(٤) . وكيف لنا بدم ^(٥) جميعِ المزح مع ما نحن ذاكرون .

وقد مَزَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ^(٦) . ولا يقال : كان فيه
مُزَاح ، ولا يقال مُزَّاح ^(٧) . وكلُّ الأئمةِ ومن تبدَّلَ ^(٨) في بعضِ الحالاتِ
من أهلِ الحُلمِ والوقار .

وقال عمرُ رضوان الله تعالى عليه : « إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا كُنَّا كَأَحَدِكُمْ » .

وقد كان عُمَرُ هَيَّوساً قُطُوباً .

(١) ط فقط : « أنشئ » ، تحريف .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ما لا تنكث » ، تحريف .

(٣) النصيح : التفتيح والذب بالحجة . م : « ينصح » ط : « ينصح » ، محرفان .

(٤) ط : « ويصح » .

(٥) ط : « وكيف يتم لنا بدم » م : « وكيف لنا بدم » ، صوابهما في سائر النسخ .

(٦) بنده في ب ، ط : « وحلَّ آلِه » .

(٧) ط فقط : « مزح » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « ومن تبدَّلَ لي » ، صوابه في ط . وفي مج ، ش : « ومن حَزَل » .

وكان زيادٌ مع كلُّوجِهٍ وقُطوبِهٍ^(١) ، يمازِحُ أهله في الخلَا كما يجِدُ في المَلَأ .

وكان الحجاجُ مع عُتوهِ وطُغيانه ، وتمرُّده وشدة سلطانه ، يُمَازِحُ أزواجه ويرقُصُ صبيانه . وقال له قاتل^(٢) : أيمَازِحُ الأميرُ أهله ؟ قال : « والله إنَّ تَرَوْنِي^(٣) إِلَّا شيطاناً ؟ والله لربُّما رأيتُنِي وإنِّي لأُقبِلُ رَجُلًا إحداهُنَّ ! » .

فقد ذكرنا خَيرَ العالمين ، وجِلَّةً من خيار المسلمين ، وجيَّاراً عَنيداً ، وكافراً لعيناً .

وبعدُ فمن حَرَمِ الزَواجِ وهو شُعبةٌ من شعب السُّهولة ، وفرَّغ من فروع الطَّلَاقِ . وقد أثنانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفيَّةِ السُّنَّةِ ، ولم يَأْتِنَا بالانقباضِ والقَسوةِ ، وأمرنا بإفشاء السلام ، والبِشْرِ عند المِلاقةِ ، وأمرنا بالتواؤدِ^(٤) والتَّصافحِ والتَّهادي .

٧ - فصل

قد اعتزلنا^(٥) في مَعْصيتِكَ والمُخالفِ على مَحَبَّتِكَ مرَّةً بالزَواجِ ، ومرَّةً بالنِّسيانِ ، ومرَّةً بالانكحالِ على عَقْوِكَ وعلى ما هو أَوْلَى بِكَ .

(١) الكلوج : التكثر وبلو الأسنان في البيوس . والقُطوب : تروى ما بين العينين منه البيوس . ب ، م : « وكان زيادٌ مع كلُّوجة وقُطوبة » ، ط : « وكان معه زيادة كلُّوجة وقُطوبة » ، صوابها في سج ، ش .

(٢) ب : « قاتل » م ، ط : « قاتله » ، صوابها في سج ، ش . وقال قاتل هذا هو هبسة ابن سعيد ، كما سيأتي في الفصل الرابع من كتاب النساء .

(٣) كذا في جميع النسخ بخلاف إحدى النونين ، وهو جائز في البرية . وفي المعنى في باب النون : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفلك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة . وحل الأخيرة قيل النون الباقية نون الرفع ، وقيل نون الوقاية . وهو الصحيح » .

(٤) كذا بالفلك في جميع النسخ ، وفي سج فقط : « بالتراور » .

(٥) ما عدا سج ، ش : « قد احتضنا » .

والجملة^(١) : أَنَا لَوْ تَعَمَدْنَا ثُمَّ أَصْرَزْنَا ثُمَّ أَنْكَرْنَا ، لَكَانَ فِي فَضْلِكَ مَا يَتَعَمَدُنَا^(٢) ، وَفِي كَرَمِكَ مَا يُوجِبُ التَّغَاوُلَ عَنَّا^(٣) . فَكَيْفَ وَإِنَّمَا سَوَّوْنَا ثُمَّ تَذَكَّرْنَا ، وَاعْتَدَرْنَا ثُمَّ أَطْنَبْنَا .

فَإِنْ تَقْبِلَ^(٤) ، فَحُظُّكَ أَصَبْتُ ، وَلِنَفْسِكَ نَظَرْتُ . وَإِنْ لَمْ تَقْبِلْ فَاجْهَدْ جَهْدَكَ^(٥) ، وَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ ، وَلَا عِفا عَنْكَ إِنْ عَفَوْتُ . وَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي مُنْقَرٍ^(٦) :

فَمَا بَقِيَا عَلَى تَرْكُمَايَ وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرْدَ النَّبَالِ^(٧)

وَاللَّهُ لَيَنْ رَمِيَنِي بِبَحِيلَةٍ لِأَرْمِينِكَ بِكَثَانَةٍ ، وَلَثْنٌ نَهَضَتْ بِصَالِحِ بْنِ عَلٍ لِأَهْضَنَ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلٍ^(٨) ، وَلَثْنٌ صُلَّتْ عَلَى بَسْلِيَانَ بْنِ وَهْبٍ^(٩) لِأَكْمَنَتْكَ بِالْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَلَثْنٌ رَهَتْ^(١٠) عَلَى عِتَادَةِ جَعْفَرِ الْخِطَاطِ^(١١)

(١) مع ، ش : « وفي الجملة » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « ما يتعمده » .

(٣) ما عدا مع ش : « التغافل عنه » .

(٤) ب ، م : « لم تقبل » ، سواءه في سائر النسخ .

(٥) مع ، ش : « فاجهد جهدا ثم اجهد جهدا » .

(٦) هو العيين المنقري . الحيوان ١ : ٢٥٦ واللسان (سرد ٢٢٦ ، ب ٨٦) .

(٧) البيت من أبيات يخاطب بها جريرا والفرزدق . والسرور : الإصابة ، والخطأ ، فهو من الأضداد . فعل الأول يراد : خفيا أن تصيب نبالا ، وفعل الثاني يراد : خفيا أن تخطئ نبالكا . والبقياء : الاسم من قولهم : أبقيت على فلان ، : إذا أرحيت عليه ورجعته .

(٨) مع ، ش : « بأحد بن خلف وإسماعيل بن علي . وإسماعيل هو ابن علي بن عبد الله ابن العباس . وهو عم الصفاح والمنصور . ولي لأبي جعفر فارس والبصرة . المبرور ١٦٢ والطبري ٨ : ٨٥ .

(٩) ابن وهب ساقطة من ب .

(١٠) ب ، م : « هبت » ، سواءه في سائر النسخ .

(١١) هو جعفر بن دينار الخياط ، أحد قواد المأمون والمتصم والمعتصم والرائق والمتوكل . وجهه المأمون سنة ٢١٥ إل صاحب حصن سنان في حرب الروم . كما وجهه المعتصم سنة ٢٢٢ إل الأتشين مددا له . الطبري ٨ : ٦٢٢ و ٩ : ٢٩ .

لأَيُّهِنَّ (١) عَلَيْكَ بِحِصْبَةٍ (٢) وَهَبِ الدَّلَالَ (٣) .

وَأَنَا أَرَى لَكَ أَنْ تَقْبَلَ الْعَاقِبَةَ ، وَتَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّلَامَةِ .
وَاحْذَرِ الْبُخْيَ فَإِنَّ مَصْرَعَهُ وَجِيمٌ ، وَاتَّقِ الظُّلْمَ فَإِنَّ مَرَعَاهُ وَبِيلٌ .
وَلِيَاكَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لَجَرِيرٍ إِذَا هَجَا ، وَلِلْفَرْدَقِ إِذَا فَخَّرَ ، وَلِهَرْتَمَةَ
إِذَا دَبَّرَ (٤) ، وَلَقَيْسَ بْنِ زُبَيْرٍ إِذَا مَكَرَ (٥) ، وَلِلْأَغْلَبِ إِذَا كَرَّ (٦) ،
وَلِظَاهِرٍ إِذَا صَالَ (٧) . وَمَنْ عَرَفَ قَلْبَهُ عَرَفَ قَلْبَ خَصْمِهِ ، وَمَنْ جَهَلَ
نَفْسَهُ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبَ غَيْرِهِ .

وَعَلَيْكَ بِالْجَادَةِ وَدَعِ الْبُتِّيَّاتِ (٨) فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْثَلُ لَكَ .

(١) مَا حُدَايَجَ ، ش : « لَأَيُّهِنَّ » .

(٢) ب : « بِحِصْبَةٍ » . تَحْرِيفٌ مَا أَثَبَتْ مِنْ م ، ط . وَالْحِصْبَةُ : الْإِكْفَافُ ، وَالْمَرَادُ
بِكِفَايَتِهِ . وَفِي مَجْعٍ مَعَ تَصْحِيحٍ : « بِمَجَالَةٍ » ، وَفِي ش : « بِحِصْبَةٍ » .

(٣) فِي الْبَيَانِ ٤ : ١٣ مِنْ يَدُنِي وَهَبَا الْمُحْتَسِبُ .

(٤) هَرْتَمَةُ بْنُ أَعِينٍ : قَالَهُ عِيَّاسٌ ، وَوَلَدَ الرَّشِيدِ مَصْرُثُمُ أَفْرَيقِيَّةٌ ، ثُمَّ حَقْدَلُهُ عَلَى خُرَاسَانَ
ثُمَّ قَادَ الْجَيْشَ لِلْمَأْمُونِ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ ، ثُمَّ حَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٢٠٠ . النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ وَالطُّبَرِيُّ
فِي سَوَادَتِ سَنَةِ ٢٠٠ .

(٥) قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ سَيِّدُ بَنِي عَيْسَ ، وَكَانَ يُقَالُ فِيهِ « أَدْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ » . جَهْرَةُ
الْمُسْكِيِّ ١ : ٥٤٧ وَالْمِلْدَانِيُّ ١ : ٢٥٠ وَالْمُسْتَصْنَى ١ : ١٢١ .

(٦) الْأَغْلَبُ بْنُ جُحْمٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ جَعْلٍ بْنُ جَعْلٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْمَمَرِيِّينَ ، حَمَرٌ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَمْرًا طَوِيلًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَهَاجَرَ ، ثُمَّ كَانَ فِيمَنْ تَوَجَّهَ إِلَى
الْكُوفَةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَزَلَّهَا وَاسْتَشْبَهَ فِي وَقْعَةٍ بِهَاجِرِهِ ، فَفُتِرَ هُنَاكَ فِي قُبُورِ الشُّهَدَاءِ .
وَانْظُرْ أُنْجُبَارَهُ فِي الْأَغْنَى ١٨ : ١٦٤ - ١٦٧٩ وَالشُّعْرَاءُ ٩٥٠ .

(٧) ظَاهِرُ بْنُ الْخَلْسِيِّ بْنِ مَصْبُوحِ بْنِ زُرَيْقِ بْنِ حِزَّةِ الرُّسْتَمِيِّ ، مِنْ وَلَدِ رُسْتَمِ بْنِ دِمْتَانَ
وَهُمْ مَوَالِ خُرَاسَانَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِيمِ يَنْتَشُونَ ، وَقَدْ نَدَبَهُ الْمَأْمُونُ لِقَاءِ عَلِيِّ بْنِ عِيَّاسٍ بْنِ مَاهَانَ قَالَهُ
الْأَمِينُ ، فَهَزَمَ عِيَّاسُهُ وَفُتِسَ جُجُوعُهُ سَنَةَ ١٩٥ فَحَبِطَتْ سُلْمُ عَلِيِّ الْمَأْمُونِ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَعَى
ظَاهِرًا إِلَى الْيَمِينِ ، لِأَنَّ الْمَأْمُونَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ الْخَطْلُوحِ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ ، يَمِينُكَ يَمِينُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشِمَاكَ يَمِينُ قِيَّاسِ يَمِينِكَ يَمِينُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . التَّنْبِيهُ وَالْإِشْرَافُ ٣٠٠ - ٣٠١
وَحَمَارُ الْقُلُوبِ ٢٩١ .

(٨) الْبُتِّيَّاتُ : جَمْعُ بُتِيَّةٍ ، تَصْنِيرُ ابْنَةِ . وَبُتِيَّاتُ الطَّرِيقِ ، هِيَ الصَّعَابُ وَالْمُسَافَرُ . يُقَالُ
لِزَجَلٍ فِي الْوَسَطِ : لَزِمَ الْجَادَةَ وَدَعِ الْبُتِّيَّاتِ الطَّرِيقَ . وَقَالَ عُمَرُو الْوَرَقَّانِيُّ :
تَكْتَبُ بُتِّيَّاتِ الطَّرِيقِ وَجُورَهَا فَإِنَّكَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ مُسَافِرٌ

لَمَّا رَأَى الْقُلُوبَ ٢٧٨ . وَفِي السَّانِ (بَيْنَ ٩٨) أَنَّ بُتِّيَّاتِ الطَّرِيقِ هِيَ الطَّرِيقُ الصَّغِيرُ تَتَشَبَّهُ
بِالْجَادَةِ ، وَتُسَمَّى أَيْضًا الْتَرَاهَاتِ .

وأنت - والله يا أخي - تعلمُ علمَ الاضطرابِ وعلمَ الاختيارِ وعلمَ الأخبارِ ،
أنتي ^(١) أظهرُ منك حرباً ، وألطفُ كيداً ، وأكثرُ علماً ، وأوزنُ حِلماً ،
وأخفُ روحاً ، وأكرمُ عيناً ، وأقلُّ غشاً ^(٢) وأحسنُ قدأً وأبعدُ غوراً ،
وأجملُ وجهاً ، وأنصحُ طرفاً ^(٣) . وأكثرُ ملحاً ^(٤) ، وأنطقُ لساناً
وأحسنُ بياناً ، وأجهرُ جَهارةً ، وأحسنُ شارةً ^(٥) .

وأنت رجلٌ تشدو من العلم ، وتنتف من الأخبار ^(٦) ، وتموء نفسك ^(٧) ،
وتُجزُّ من قدرِكَ ، وتتهيأُ بالثياب ، وتتنبُّلُ بالمرائب ، وتتعجبُّ بمُصنِّ
اللقاء ^(٨) ، ليس عندك إلا ذاك . فلم تُزاجِمُ البحرَ بالجدول ^(٩) ،
والأجسامَ بالأعراض ، وما لا يتناهى بالجزء الذي لا يتجزأ .

فأما البادُ والقامة ^(١٠) ، فمن يَعْلِلُ بينَ القناةِ والكُرةِ ، ومن يَمِيلُ
بينَ النخلةِ والدُّقْل ^(١١) ، وبينَ رَسَى الطحانِ وبينَ سيفِ يمان . وإنما
يكونُ التَّمِيلُ ^(١٢) بينَ أتمَّ الخيرينِ وأنقصِ الشرِّينِ ، وبينَ المتقاربينِ

(١) ب ، م : « أنتي » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) الفث : الرديء من كل شيء . ب : « غشاً » ش : « عيباً » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٣) الناصع : الخالص الواضح . ط فقط : « طرفاً » .

(٤) الملح ، بالكسر : الحسن . يقال ملح يملح ملحوة وملوحة وملحة وملحاً ، أي حسن .

(٥) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . ط ، مج : « ش » : « إشارة » .

(٦) التنت : الانتزاع . ويقال رجل تنفته ، يقسم ففتح ، ينصف من العلم شيئاً ولا يستصفيه .

(٧) أصل التوربه اللطاف بالذهب أو بالفضة .

(٨) ما عدا مج ، ش : « لحن القفا » .

(٩) ما عدا مج : « البحر بالجدول » . والجدول بفتح الجيم وكسر ها : النهر الصغير ،

(١٠) الباد : أصل القضا . ب ، م : « قامة الباد والقامة » ط : « فإنك الباد والقامة »

صوابهما في مج ، ش .

(١١) ما عدا ب : « يميل » . والميميل بين الشئين : للموازنة بينهما . وانظر الحيوان ٢ : ٩٨ ،

١٥١ واللسان (ميل ١٦٠) . ب ، م : « والنخلة » ، صوابه في سائر النسخ . والدُّقْل : غريب

من التخل رديء البحر . ب ، م : « والدُّقْل » ط : « والدُّكْل » ، صوابهما في مج ، ش .

(١٢) في جميع النسخ : « التميل » ، والوجه ما أثبت .

دونَ المتفاوتين . فلَمَّا الخَلُّ والعَسَلُ ، والحَصَاةُ والجَبَلُ ، والمَمُّ^(١) والْبِنْدَاءُ ، والفقرُ والغنى^(٢) ، فهذا مما لا يَخْطَأُ فيه الذَّهَنُ^(٣) ولا يَكْذِبُ فيه الحِسُّ .

والخطأُ ثلاث : خطأ الحِسِّ ، وخطأ الوَهْمِ ، وخطأ الرأى . كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير^(٤) ، والتقويم والتأنيب^(٥) .

والعَمْدُ نوعٌ واحد ، وسبيله القَمْعُ والحَظَرُ ، والضرب والقَتْلُ . وأوَّلُ ذلك أن يَهْجِرَهُ صاحبُ الحكمة^(٦) ، ولا يُطْعِمَهُ في وعظٍ ولا مجالسة .

وقد رأيتُ مَنْ يعاند الحقَّ إذا كانت المعرفة عياناً . وأنت لا ترضى بجحد البيان^(٧) حتَّى تدعوَ إليه ، ولا ترضى بالدُّعاءِ إليه حتَّى تعادى فيه ، ولا ترضى بالعداوة حتَّى يكون لك في ذلك الرياسة^(٨) ، ولا ترضى بالرياسة دون السابقة^(٩) ، ولا بالطَّارف دون الثَّالِدِ ، ولا بالثَّالِدِ دون الأعرافِ التي تسرى ، والمواليد التي تنمى . ولا ترضى بأن يكون أولاً حتَّى تكون آخراً^(١٠) ، ولا بالملدارة دون المباداة^(١١) ،

(١) ب فقط : « والثنا » .

(٢) هذا ما في ب . يقال غلى غلّاً خطأ ، من باب فرج . م ، ط : « يغلى » مهمل أعطى يغلى . وفي ج ، ش : « يغلى » .

(٣) م فقط : « التثنية » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « والثأنيب » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) ش فقط : « أن يهجره صاحب الحكمة » .

(٦) ما عدا ج ، ش : « بحجة البيان » .

(٧) ج ، ش : « لك فيه الرياسة » ، وأثبت ما في م ، ب . وفي ط : « لك الرسالة » .

وهذه محرفة .

(٨) كلمة « دون » ساقطة من ط . والسابقة : السبق والتقدم .

(٩) ب : « ولا يرضى بأن يكون أولاً حتَّى يكون آخراً » . ومثله في م مع الباء بقوله : « ولا يرضى » . ج ، ش ، ط : « ولا ترضى بأن تكون أولاً حتَّى تكون آخراً » . ولعل الوجه ما أثبت .

(١٠) (١٠) للمباداة : المبادرة كما سبق في

ولا بالجدال دون القتال . وحتى ترى أن التقيّة حرام^(١) وأن التقصير كُفّر .

وحتى لو كنت إمامَ الرافضة لقتلت في طرفة^(٢) ولو قُتلت في طرفة^(٣) لملكك الأمة ، لأنك رجل لا عيب لك . والإمامة^(٤) لا تصلح اليوم^(٥) في الإخوة ، ولو صلحت في الإخوة^(٦) كانت تصلح في ابن العم ، ثم دنت من الأرحام شيئاً^(٧) فصارت لا تصلح إلا في الولد . وفي هذا القياس أنها بعد أعوام لا تصلح^(٨) إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد . وهذا هو علّة أصحاب التناسخ^(٩) . وأنت رافضى ولم يكن هذا عندك .

فأهد إلى الآن من خالص التوتيا^(١٠) كما أهديت إليك باب التناسخ .

^(١١) وأنت ترى القتل في حق المعاندة شهادة ، وترى أن مبيّنة

(١) التقيّة : أن يظهر أمراً وباطنه بخلاف الظاهر ، يفعل ذلك اتقاء .

(٢) ب : « لو قُتلت في طرفة » ، م : « لو قُتلت في طرفة » ، ط : « وكنت في طرف » ، والصلوات من مع ، ش . والمراد طرفة عين .

(٣) التكلة من مع ، ش .

(٤) ب : « والإمامة » ، م : « والإمامة » ، والصلوات في سائر النسخ .

(٥) التكلة من مع ، ش .

(٦) مع ، ش : « ثم إنها دنت من الأرحام بعد ذلك » .

(٧) ب ، م فقط : « لا يصلح » ، تحريف .

(٨) مع ، ش : « المناخعة » .

(٩) ب ، م : « فأهد الآن إلى من خالين التوتيا » ، ط : « فأهد الآن من لبن التوتيا » ، صوابها في مع ، ش . وفي اللسان : « التوتيا » معروف حبر يكتب به . وهو باللاتينية : (Tutia) وبالإنجليزية : (Tuty) . وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها أوكسيد الزنك غير النقي . قال دلود : « وأصل التوتيا إما بمعنى يوجد فوق الأقليميا ... وإما مستوع من الأقليميا المسحوق » .

المنصفين في تعظيم العُتود سعادة^(١) ، وأن الرياسة في دفع الحقائق
مرتبة ، وأن الإقرار بما يظهر للعيون ضعة^(٢) ، وأن الشهرة^(٣) بالمغالبة
رفعة^(٤)

أظهر القوم عندك حجة أرفعهم صوتاً ، [وأخلقهم^(٥)] للتوبة
أصلبهم وجهاً ، وأحسنهم تقية أقلهم تحرجاً^(٦) ، وأحسنهم إنصافاً
أشدهم شقياً .

تعشق المشهور^(٧) ، وتكلف بالجنوح ، وتصافي الوقاح . والأديب
عندك من يمين أحاديث الجلوس ، واعترض^(٨) على نواذر الإخوان ،
وعزى قفا التليم^(٩) ، ونصب للعالم ، وأيقظ العاقل^(١٠) ، واستثقل
الظريف ، وحسد على كل نعمة ، وأنكر كل حقيقة .

جعلت فداك . إنما أخرجك من شيء إلى شيء^(١١) ، وأورد عليك
الباب بعد الباب ، [لأن^(١٢)] من شأن الناس ملالة الكثير ، واستثقال
الطويل وإن كثرت مناسنه وجمت فوائده . وإنما أردت أن يكون
استطرافك للآتي^(١٣) قبل أن ينقض استطرافك للماضي ، ولأنك متى

(١) العتود ، بالضم : الليل والجور من التقص . ما عدا مع ، ش : « السمود » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « ما يظهر للعيون » وفي م أيضاً : « صفة » ، تحريف .

(٣) ما عدا مع ، ش : « الشهرة » ، تحريف .

(٤) التكلفة من مع ، ش .

(٥) ما عدا مع ، ش : « وأحسنهم بنية أقلهم تحرجاً » ، تحريف .

(٦) مع : « المتهود » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « وأعرض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) كتابة عن التبية . والقمر : العيب .

(٩) ب ، م : « المعامل » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) م ، ط : « من موسى إلى شيء » ، تحريف .

(١١) التكلفة من مع ، ش .

(١٢) مع ، ش : « التالي » .

كنت للشيء متوقفاً ، وله منتظراً^(١) ، كان أحظى^(٢) لما يَرِدُ عليك ،
وأشهى لما يَهْدَى إليك . وكلُّ منتظرٍ معظمٌ ، وكلُّ مأمولٍ مكرمٌ .
كلُّ ذلك^(٣) رغبةٌ في الفائدة ، وصِباةٌ بالعلم ، وكلفاً بالاقتباس ،
وشحاً على نصيبى منك ، وضناً بما أوَّله عندك ، ومداراةً لطباعك ،
واستزادةً من نشاطك . ولأنك على كلِّ حالٍ بشرٌ ، ولأنك مُتناهى
القوة ملجئٌ .

٨ - فصل

والمقلُّ - حفظك الله - أطولُ رقدة من العين^(٤) ، وأحوج إلى
الشَّحْد من السَّيف^(٥) ، وأفقر إلى التَّعاوُد ، وأسرع إلى التَّغْيِير ،
وأدواؤه أَقْتَل ، وأطبائؤه أَقَل . فمن تداركه قبل التَّفَاقُم أدرك أكثر
حاجته ، ومن رآته بعد التَّفَاقُم لم يدرك^(٦) شيئاً من حاجته .

ومن أكبر أسباب العلم كثرةُ الخواطر ، ثُمَّ معرفةُ وجوه المطالب .
[ثُمَّ^(٧)] في الخواطر الغثُ والسَّمين ، والفاسدُ والصَّحيح ، والمرغُ
إليك والبطيءُ عنك ، واللتَّيقن الذي لا يكاد يُفهم ، والجليل الذي
لا يَلتقي الفهم . ثم هي على طبقاتها في التَّقديم والتَّأخير ، وعلى منازلها
في التَّباين [والتَّمييز^(٨)] .

(١) سج ، ش : « منتظراً وله متوقفاً » .

(٢) م فقط : « أحظاً » ، محرف .

(٣) ط : « وذلك » .

(٤) ب فقط : « رقدة من العين » .

(٥) ما عدا سج ، ش : « من الشَّيب » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « ولم يدرك » . والاولو مقحمة .

(٧) التَّكَلُّف من سج ، ش .

(٨) التَّكَلُّف من سج ، ش .

وللمطالع طرق ، ولترك الحقائق أبواب ، فمن أخطأها وانتظر^(١)
كان أسوأ حالاً ممن لم يخطئها ولم ينتظر^(٢) . وعلى قدر صحة العقل
يصح الخاطر ، وعلى قدر التفرغ يكون التنبيه .

هذا^(٣) جِماعُ هذا الكتابِ وجمهرته ، وأقسامه وجملته .

ثم من أنفع أسبابه الحفظُ لما قد حصل ، والتقيد لما وُرد ،
والانتظار لما لم يرد^(٤) ، وأن لا تُخلَى نفسك من الفكرة إلا بقدر
جَمَام الطبيعة ، وأن تعلم أن مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ
من العلم ، وأن تعرف فصل^(٥) ما بين طلب العلم للمنافسة والشهرة^(٦) ،
وبين طلبه للرغبة والرغبة ، وتعلم أن العلم لا يوجد بمكنونه ، ولا يسمح
بسرّه ومخزونه ، إلا لمن رغب فيه لكرم عُصره ، وقبّله لحقيقته
جوهره ، ورَفَعَه عن التكبُّب ، وصانَهُ عن التبدُّل . وأنه لا يُعطيك
خالص الحكمة حتى تُعطيه خالص المحبة . كان يُقال : « مَنْ شَابَ
شَيْبَ لَهُ »^(٧) .

وخَصْلَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَهَا وَتَقِفَ عِنْدَهَا^(٨) ، وهو أن تبدأ من العلم

(١) ما عدا مع ، ش : « ونظر » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « ولم ينتظر » .

(٣) مع ، ش : « هذه » . وجماع كل شيء : جميع أصله ، والجامع للاختصاص الشامل ما فيها .

(٤) ب : « وانتظار كما لم يرد » ، صوابه في م ، ط . وفي مع ، ش : « والانتظار

لما يرد » .

(٥) الفصل : الفرق . ما عدا مع ، ش : « فصل » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « المنافسة والشهرة » . وفي مع ، ش : « المنافسة والشهرة » .

والوجه ما أثبت .

(٧) الثوب : الخلط .

(٨) م : « وخصلة ينبغي أن يعرفها . ويقف عندها وهو أن يبدأ من العلم باللهم ويختار »

.. إلخ ، تحريف . وفي مع ، ش : « وخصلة ينبغي أن تعرفها وتصلحها وتتذكرها وتقف
عندها » .

بالمهم، وتختار من صنوفه ما أنت أنشط له^(١)، والطبيعة به أعنى،
فإن القبول^(٢) على قدر النشاط، والبلوغ فيه على قدر العناية.

ثم من أفضل أسبابه تخليص أخلاقه^(٣)، وتمييز أجناسه، والمعرفة
بأقداره، حتى تعطى كل معنى حقه من التقريب والرفعة^(٤)، وقسطه
من الإبعاد والضعة، حتى لا تتشاكل^(٥) إلا بالسمين الثمين، وبالخطير
النفيس، ولا تلقى إلا الغث للخصيس، والحقير للسخيف، لأنك متى
تكتبت كذلك لم تعتبر فضل^(٦) ما بين الطرفين، ولا تصرف ما بين
التعفين^(٧).

الكيس كل الكيس، والحدق كل الحدق: أن لا تعجل ولا تبغى،
وأن تعلم أن السرعة غير العجلة، وأن الأناة خلاف الإبطاء. وأن تكون
على يقين من ذلك الحق إذا وقته شرطه^(٨)، وعلى ثقة من ثواب
النظر إذا أعطيته حقه.

هنا^(٩) جملة ما للعلم في هذه المسألة، وجملة الحجج فيها فلنمنا
من الافتنان والإطالة. فإن كنا أصبنا فالصواب أردنا، وإن كنا أخطأنا
فما ذاك عن فساد من الضمير، ولا قلة احتفال بالتقصير. والعلل طبيعة

(١) ما هنا مع : ش : « ما أنت أنشط له ».

(٢) ما هنا مع : ش : « فإن القبول »، تحريف.

(٣) ما هنا مع : ش : « تخليص »، والضمير : التمييز والشرح.

(٤) ما هنا مع : ش : « حتى تعطى كل معنى حقه من التقريب والرفعة ».

(٥) ما هنا مع : ش : « حتى لا يتشاكل ».

(٦) ش : « لم تميز فضل »، مع : « لم تميز فضل ».

(٧) ما هنا مع : ش : « أن لا تعجل ولا تبغى »، والضمير : التمييز والشرح.

(٨) ما هنا مع : ش : « شرطه ».

(٩) ما هنا مع : ش : « هنا ».

خانت ، أو لعل عادةً جلبت^(١) ، أو لعل سهواً اعترض ، أو لعل شغلاً منع .

خَضَّصَ عليك أيها السامع ، فَإِنَّ الخطأَ كثيرٌ عامٌّ^(٢) ، وغالبٌ مُستَوَلٍ ، والصوابُ قليلٌ خاصٌّ ، ومَقْمُوعٌ مُسْتَحْفٍ .

فوجَّوْا اللامَةَ إلى أهلها ، وألزمها مَنْ هو أحقُّ بها ، فإنهم كثيرٌ ومكانهم مشهورٌ^(٣) .

أعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ . أعجب من أَنَّ العَجَبَ قد ذهب . أعجب من تعجبٍ وفيه العَجَبُ أعجب . وكيف التَّعَجُّبُ والأُمُور كُلُّها عَجَبٌ^(٤) ١٢

كنت^(٥) أتعجب من كُلِّ فعل خرج من العادة ، فلما^(٦) خرجت الأفعال بأسرها من العادة صارت^(٧) بأسرها صجياً ، فبلخولي كُلُّها في باب العَجَبِ خرجت يَأْجُمَلُها من باب العَجَبِ .

وقد ذكر^(٨) الله تعالى ذكره التعجب في كتابه جلَّ جلاله . وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في زمانه ، وفي الناس

(١) مع ، ش : « أو لعل عادةً جلبت » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « كثير عام » ، تحريف .

(٣) ما عدا مع ، ش : « ومكانهم مشهور » .

(٤) هذه الفقرة كلها ليست في مع ، ش . وهي نص ما في م ، ط . لكن في ب : « أعجب الصواب لا تعجب وفيه العجب أعجب . وكيف التعجب والأُمُور كُلُّها عجب » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « كيف » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « كما » .

(٧) من العادة ، ساقطة من ط . وفي ب : م : « صارت » ، وفي ط : « ولغزت » ، تحريف .

(٨) ما عدا مع ، ش : « وقد ذكرنا » ، تحريف .

في باطنه من شبه البشري^(١) . لكنه جل ذكره مسح الدنيا مسحاً متتبهاً ، ومُستقصي مستفرغاً ، قَبِيزَ حَالِيهَا^(٢) جميع التضاد ، وبين مَعْنِيَّهَا^(٣) غاية الخلاف .

فالصواب اليوم غريب ، وصاحبه مجهول . والعجب ممن^(٤) يصيب وهو مغمور ، ويقول وهو ممنوع ، فإن صرت عليه عوناً مع الزمان قتلته ، وإن أمسكت عنه فقد وفرت^(٥) .

ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ، ولا التأييس ولا التعزية^(٦) . وكيف أطلب منك ما قد انقطع سببه ، واجتث أصله . وقد كان يقال : « مَنْ طَلَبَ عَيْباً وَجَلَّه » .

هذا في الدهر الصالح دون الفاسد . فإن أنصفت فقد أغريت ، وإن جرت فلم تعد ما عليه الزمان .

وهب الله لنا ولك الإنصاف ، وأعاذنا وإياك من الظلم . والحمد لله كما هو أهله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٧) .

وصلى الله على سيدنا محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة ، وسلم .

(١) م ، ط : « البشري » .

(٢) ما عدا ج ، ش : « حالها » .

(٣) ما عدا ج ، ش : « معنيها » .

(٤) ما عدا ج ، ش : « من » .

(٥) ج ، ش : « وفرت » .

(٦) م : « ولا التأييس ولا التعزية » ، تحريف .

(٧) اللع العظيم ، من ب فقط . ويدل هذا في كل من ج ، ش : « وهو حسبتا ونم الوكيل والمعين » ، كما أن عبارة الصلاة والسلام التالية ليست فيها .

٤

من رسالة في
مَدْح النَّبِيِّ وَصِفَةِ أَصْحَابِهِ
إلى الحسن بن وهب

فصل

من صلد رسالته إلى الحسن بن وهب^(١)

في مدح النبيذ وصفة أصحابه

أنا - أبقاك الله - الطالبُ المشغول ، والقائلُ المعنور ، فإن رأيتَ خطأً فلا تنكر فإني بصديهِ وبِعرضي منه ، بل في الحال التي تُوجه^(٢) ، والسبب الذي يؤدي إليه . وإن سمعتَ تسليداً فهو الغريب الذي لا نجله^(٣) . اللهم إلا أن يكون من بركة مكاتبتك ، ويؤمن مطالبتك . ولأن ذكركَ يَشغِدُ الذهن ، ويصورك في الوهم ، ويَجْطُو العقل ، وتأميلك ينفي الشغل .

ولا يُعجبني ما رأيتُ من قلة إطنابك^(٤) في هذا النبيذ ، وقلة تلّهِك بهذا الشرابِ وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يُصاب عند خطيب ، ولا يُوجدُ عند بليغ . وأنت ولو مشيت الخيلاء ، وحفرت العظماء ، وأرغبت الشعراء ، وأعطيت الخطباء ، ليكون القول منهم موصولاً غير مقطوع ، ومبسوطاً غير مقصور ، لكنك بعد مقصراً في أمره ، مفرطاً في واجب حقّه . فلا تأديب الله قيلت ، ولا قولُ الناصح سمعت .

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حسين ، كاتب شاعر ، كان معاصراً لأبي تمام والبحتري ، ومحمد بن عبد الملك القرظي . وقد رثاه البحتري بعد وفاته ، فوات الوفيات ١ : ٢٦٧-٢٦٩ . وفي سنة ٢٢٩ يذكر الطبري أن الخليفة الواثق أئزمه فبين أئزمهم من الكتاب أن يؤدي أربعة عشر ألف دينار ، كما أئزم أخاه سليمان بن وهب كاتب إيتاغ أن يؤدي أربعة آلاف دينار .

(٢) ب : « يوجه » ، صوابه في م ، ط .

(٣) ط : « لا تجده » بالناء .

(٤) الإطناب : المبالغة في الملح أو التزم . والمطلب : اللذات لكل أحد . ب : « إطنابك »

تحريف ، وفيها أيضاً : « ولم يسجن » .

قال الله تبارك وتعالى ^(١) : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. وقال الأول : « استلهم النعمة بإظهارها ، واستزِد الوهاب بإدامة شكره ^(٢) . بل كيف أتيت بالجلساء ^(٣) ، وأرسلت إلى الأطباء ولم يكن في قربك [منه ^(٤)] ما يغنيك ، وفي النظر إليه ما يشفيك ؟ ولم ملكتك نفسك دون أن تهدي ^(٥) ، ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف ^(٦) ولم كان المذيان هو المذنيان ، والسُّخف هو المروءة ، والتناقض هو الصِّحة وإلا بأي شيء خصصت ^(٧) ، وبأي معنى أتيت ^(٨) ، ولم لم تغلغ فيه العذار ، ولم تخرج فيه عن كل مقدار ^(٩) . وأي شيء أجرب جلدك وأمات حالك ، وأضعف مسرتك ^(١٠) ، وأوحش منك رفيقك ، إلا العقوبة المَحْضَة ، وإلا الغضب والعقاب ، وحرمتك الثَّواب إلا التهاون في أمره ، وقلة الرعاية لحقه . وكيف صارت أمراضُ أُمراضِ الأغنياء وأمراضُك أمراضُ الفقراء إلا لِمَ عرفتَ بفضلِهِ ، واستخفافِك بقدْرِهِ . ألا ترى أنني مُنْقَرَسٌ مغلوج ، وأنت أجربٌ مَبْسُورٌ ^(١١) .

(١) يده في ط : « سمعت قول الله تبارك وتعالى » بتكرار « سمعت » .

(٢) الآية ١١ من سورة النسي .

(٣) ط : « والمواهب بإدامة شكرها » .

(٤) ب ، م : « وأهت بالجلساء » ، تحريف .

(٥) اتكلت من م .

(٦) ب ، م : « وأن تهدي » بالذال المهملة .

(٧) ب : « تستخني » .

(٨) ب ، م : « خصصته » .

(٩) ب ، م : « أتيت » .

(١٠) ب ، م : « من كل مقدار » .

(١١) ب ، م : « وضعف مسرتك » .

(١٢) للمسور : من به البواسير . والباسور : حلة تحدث في القنعة . وفي جميع النسخ :

« مستور » ، ولا وجه له .

فإن ثبتَ فما أقربَ القَرَجِ ، وأمرعَ الإجابة . وسنفرُغُ لك إن شاءَ الله قريباً ، وتفلحَ سريعاً .

وإن أصررتَ وتتابعتِ وتماذيتِ^(١) أنك والله من سَفِلةِ الأعداءِ ، وزَوَىَ عنكَ من عِلْيةِ الأمراضِ ، ما يضعُكُ موضعاً لا ارتفاعَ معه ، ويلزِقُ بعقبِكَ عاراً لا زوالَ له . ثم تُتْبِعُ أَشْيَاخَكَ السَّبَّةَ وتُتْبِعُهُم المَذَمَّةَ . عِلِمَ الله أَنَّهُ اسْتَظَرَّفَكَ واستملحك ، واستَحَسَنَ قَدَّكَ ، واسترجعَ عَقْلَكَ ، وأَحَسَّنَ بِكَ ظَنّاً ، ورَأَى^(٢) لِنَفْسِهِ أَهْلاً ، ولاتَّخَذَهُ موضعاً ، وللأُنسِ به مكاناً ، وأنتَ لا إلهَ عنه زارٍ عليه ، متهاوونٌ به ، قد أَقْبَلْتَ على ديوانِكَ تُشْغَلُ بِمَلازِمَتِهِ ، وتَدْعُ ما يجبُ عليك من صِفاته ، والدُّعَاءُ إلى تعظيمِهِ . بل هل كُنْتَ من شِيعَتِهِ والذَّابِّينَ عن دَوَلَّتِهِ ، والمعروفينَ بالانقطاعِ إليه ، والانبِتاتِ في حبلِهِ^(٣) ، إلّا أن يكونَ عندَكَ التَّقْصِيرُ لحَقِّهِ ، والتَّهَافُوتُ بِأَمْرِهِ اللازِمِ ، ونَهَى النَّاسِ عَنْهُ .

ولو خرجتَ إلى هذا لخرجتَ من جميعِ الأخلاقِ المحمودةِ ، والأفْعَالِ المرضيةِ . وأَحْسَبُ أَنَّكَ لا تَعْظُمُهُ ولا تَرْقُ له . ولو لم تَعْصِبْ إلّا لجمالِهِ وحسنِهِ ، ولو لم تُحَافِظْ على نَقائِهِ وَحَقِّهِ لكانَ ذلكَ واجباً ، وأمرأَ معروفأَ . فكيفَ معِ المُناسِبَةِ الَّتِي بَيْنَكِما ، والشُّكْلِ الَّذِي يَجْمَعُكِما . فإن كانَ بِعَقْبِكَ لا يَصُونُ بَعْضاً وأنتَ لا تَعْظُمُ شَقِيْقاً ، فَأَنْتَ والله من حِفْظِ العَشيرةِ أَبْتَدُ ، ولمعرفةِ الصِّلَتِ أَنْكَرُ .

ولقد نعيمٌ لِيْ نُبُكُ ، وَأَتَكَلَّفَتِي حِفَاظَكَ^(٤) ، وَأَفْسَدْتَ عِنْدِي كُلَّ

(١) الصايغ : التهافت في الشر ، والوقوف فيه . ب ، م : « تتابعت » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « و زادك » ، صوابه في ط .

(٣) الانبتات : الانقطاع . والمراد به الملازمة وتوثيق الصلة .

(٤) أَتَكَلَّهُ الأمر : جله يفقده ، يقال أَتَكَلَّهُ اللهُ ولدها ، وَأَتَكَلَّهُ اللهُ أمه ، إذا أساءها يفقدها . ب : « أَتَكَلَّفَتِي » صوابه في ط ، م .

صحيح . وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العَجَب » .
قال الشاعر^(١) :

وهلك الفتي لأن لا يَرَّاحَ إلى النَّدى وأن لا يرى شيئاً عجبياً فَمُتَّجِباً
قال بكر بن عبد الله المُرِّي^(٢) : « كنا نتعجب من دهرٍ لا يتعجب
أهلُه من العجب فقد صرنا في دهرٍ لا يَسْتَحْسِنُ أهلُه الحَسَنَ . وَمَنْ
لا يَسْتَحْسِنُ الحَسَنَ لم يَسْتَقْبَحِ القبيح » .

وقال بعضهم : « العَجَب تركُّ التعجب من العَجَب » .
ولم أَقُلْ ذلك إلاَّ لأن تكون به ضنيناً^(٣) ، وبما يجب له عارفاً .
ولكنك لم توفِّر حقَّه ولم توفِّر نصيبه^(٤) .

فإن قلت : وَمَنْ يَقْضِ واجبَ حقِّه ، وَيَنْتَهِضْ بجميع شكره ؟
قلنا : فهل أَعْدَرْتَ في الاجتهاد حتَّى لا يُدْمَ إلاَّ تعجبك ، وهل
استغرقت الاعتذار حتَّى لا تعاب إلاَّ بما زاد على قوتك . ولولا أنك عين
الجَوَاد^(٥) لم نطلبُه منك . ولولا ظَنُّكَ^(٦) لم نَحْمَدُكَ عليه . ولولا معرفتُك

(١) هو حارثة بن بدر اللداني ، كما في الحيوان ٣ : ٨٠ والبيان ٣ : ٢١٩ والأغاني ٢١ : ٢١ وأمال المرتضى ١ : ٣٨٨ ويقال إن حارثة قد تمل به . ونسب في معجم البلدان ٢ : ٢٥٤ إلى عمرو بن النعمان البياضي . وانظر أمال الزجاجي ٣٠ .

(٢) بكر بن عبد الله المُرِّي : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ثبت . مات سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ١٧١ . وفي جميع النسخ : « المرى » ، صوابه ما أثبت . وانظر الحيوان ٦ : ٥٠٨ - ٧ : ٢٠٢ ، ٢٥٤ . وليكرهذا أقوال مأثورة في مواضع كثيرة من البيان والتهيين . وكان من الناسك والزهاد من أهل البيان .

(٣) ب : « ظنيناً » ، صوابه في م ، ط .

(٤) ط : « ولم تعرف نصيبه » .

(٥) عين الجواد ، أي نفسه ، والمراد الجواد الكامل ، الجامع لأسباب السخاء ، وفي الحاشية ١٦٩١ يشرح المرزوقي ، قول عبد العزيز بن زوارة للكلاعي :

« لا أكن عين الجواد فإني حل الزاد في الظلماء غير شتم
ولا أكن عين الشجاع فإني أرد سنان الرمح غير سلم »

ب : « عين الجواد » ط : « عين الجود » . وللتميز في « لم نطلبه » عاكه إلى التليذ المفهوم من الكلام .

(٦) م : « ضنك » .

بِفَضْلِهِ لَمْ نَعْجَبْ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّهِ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْخَطَأَ فِيكَ أَقْبَحُ .
وَالْقَبِيحُ مِنْكَ أَسْمَحُ ، وَهُوَ فِيكَ أَتَيْنُ وَالنَّاسُ بِهِ أَكْلَفُ ^(١) ، وَالْعِيُونُ
إِلَيْهِ أَسْرَعُ - لَكَانَ كِتَابُنَا كِتَابَ مُطَالَبَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ كِتَابَ مَعَانِبَةٍ ،
وَلَشَغَلْنَا الْجِلْمُ لَكَ عَنِ الْحِلْمِ عَلَيْكَ ، وَالْقَوْلُ لَكَ عَنِ الْقَوْلِ فِيكَ .

وَقَدْ كُنْتُ أَهَابَكَ بِفَضْلِ هَيْبَتِي لَكَ ، وَأَجْتَرْتُ عَلَيْكَ بِفَضْلِ
بَسْطِكَ لِي ، فَمَنْعَنِي جِرْصُ الْمُنَوَّعِ ، وَخَوْفُ الْمُشْفَقِ ، وَأَمْنُ الْوَائِقِ ،
وَقَنَاعَةُ الرَّاضِي .

وَبَعْدَ فَمَنْ طَلَبَ مَا لَا يُجَادُ بِهِ ، وَسَأَلَ مَا لَا يُوَهَّبُ مِثْلُهُ مِمَّنْ يَجُودُ
بِكُلِّ ثَمِينٍ ، وَيَهَبُ كُلَّ خَطِيرٍ ، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ مِنَ الرَّدِّ مُشْفِقًا ،
وَبِالنَّجْحِ مُوقِنًا .

وإِنْ كَانَ ، أَبْقَاكَ اللَّهُ ^(٢) ، أَهْلًا لِأَنْ يُمْنَعَ ، وَكُنْتَ حَفَظَكَ اللَّهُ أَهْلًا
أَنْ تَبْذَلَ ، وَجِبَ أَنْ تَكُونَ ^(٣) بِأَذَلًا مَانِعًا ، وَسَاكِنًا مَطْمَئِنًا ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ الْحَرْبُ سِلْمًا سِجَالًا ، وَالْحَالَاتُ دُولًا .

وَلِهَذِهِ الْخِصَالِ مَا وَقَعَ الطَّلَبُ ، وَشَاعَ الطَّمَعُ .

فَإِنْ مَنَعْتَ فَعَلَرِكَ مَبْسُوطٌ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ^(٤) ، وَإِنْ بَذَلْتَ فَلَمْ
تَعُدْ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قُدْرَكَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُودُ بِمِثْلِهِ إِلَّا
غَفَى عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ ، أَوْ عَاقِلٌ فَوْقَ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَكَيْفَ لَا أَطْلُبُ طَلَبَ الْبَجْرِ الْمُشْتَهَرِ ، وَأُمْسِكُ إِمْسَاكَ الْمَانِبِ

(١) م ، ط : « فِيهِ أَكْلَفُ » .

(٢) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) ب ، ط : « يَكُونَ » .

(٤) ط : « قُدْرَكَ » . وَالرَّادُّ قَدْرَ التَّيْنِذِ .

الموقر. وليس في الأرض خَلْقٌ يُقْتَفَرُ^(١) في وصفه المحال ولا يُسْتَحْسَنُ
الهذيان سواه ؟ !

على أن من الهذيان ما يكون مفهوماً، ومن المحال ما يكون مسموعاً^(٢).

فمن جهل ذلك ولم يعرفه ، وقصر ولم يبلغه^(٣) ، فليسمع كلامَ
اللّهفان والشكّان ، والغضبّان والغيران ، ومرقصة الصبيان ، والمنعطف^(٤)
إذا دنّاه من الخلق .

حتى إذا استوهبك لم تهب له منه^(٥) حتى تقف وقفة ، وتطرق
ساعة^(٦) ، ثم تستحسن وتستشير ، ثم تشفع^(٧) على مستوحيه ، وتُعجب
من شاريه ، ثم تُطيل الكتاب بالامتنان ، وتُسطر فيه بتعظيم الإنعام مع
ذكر مناقبه ، ونشر محاسنه^(٨) بقدر الطاقة. وإن لم تبلغ الغاية فاعرف
وزنه ، واشهد بطيئه ، وأرخ ساعة^(٩) ، واشهر في الناس يومه^(١٠) .

وما ظنك بشيء لا تقدر أن تشرد في ذكره^(١١) وتفرد في ملحه ،

(١) ب ، م : « يقتفر » .

(٢) ما يكون ، ساقطة من ب ، م .

(٣) ب فقط : « لم يبلغه » .

(٤) ب : « المنعطف » م : « والمنعطف » ط : « والمنعطف » صوابهما ما أثبت . والخلق :

الذي قد عضوه فانكس ميل شهوته . وهو من ألفاظ المولدين . وانظر شفاء النليل ص ٧٠
والخيوان ١ : ٢٢٥ - ٣ : ١٦٦ . وفي جميع النسخ : « والخلق » ، والواو مقسمة .

(٥) ب ، م : « وحتى واتاك أن جب لي مه » وليس له وجه . وأثبت ما في ط .

(٦) ط : « وطرقه ساعة » .

(٧) في جميع النسخ : « تشفع » .

(٨) ب ، م : « وبشر محاسنه » .

(٩) في جميع النسخ : « وأرخ » بالحاء المهملة .

(١٠) في جميع النسخ : « وأشهد » بالفاء .

(١١) الشroud : القهاب والمرب . م ، ط : « تشرد في ذكره » .

وتقصيرك واضح في لونه^(١)، مكتوب في طعمه^(٢)، موجود في رائحته^(٣)، إذ كان كلُّ مملوح يقصُر عن ملحه وقدره، ويصْفُر في جنبه .
ولو لم يُستدلَّ على سعادة جنِّك، وإقبالِ أَمرك، وأنَّ لك زىَّ صديقٍ^(٤) المعلوم، وحظًّا^(٥) في الرِّزق المقسوم : وأنَّك ممن تبقى نِعْمته، ويلومُ شكره، ويَقفهم النُّعمة ويربُّها^(٦)، ويلدأ عنها ويستلجمها^(٧)، إلَّا أنَّه وقع في قَسَمك، وكان في نصيبك — لكان ذلك أعظمَ البرهان، وأوضحَ الدلالة .

بل لا نقول : إنَّه وقع اتفاقاً وعَرَساً نادراً، حتَّى يكون التوفيق هو الذى قصد به، والصَّنْع هو الذى دلَّ عليه .

ولو لم تملكْ غيره لكننتَ غنياً، ولو ملكت كلَّ شيءٍ سواه لكننتَ فقيراً . وكيف لا يكون كذلك وهو مُستراحٌ قلبك، ومَجالٌ عقلك، ومرتبَّ عينك^(٨)، وموضعُ أنسك، ومُستنبِطٌ للنَّك، ونبوغُ سرورك، ومِصباحك في الظلام، وشِعارك من جميع الأقسام .

وكيف وقد جمع أهبة الجلال، ورشاقة الخلال، ووقار البهاء،

(١) في الأصول : « في كونه » .

(٢) ب : « مكتوب في طعمه » م : « مكتوب في طعمه » ط : « مكتوب في طعمه » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٣) ط فقط : « موجوداً » بالنصب .

(٤) ب ، م : « ذى صلق » ، تحريف . والزى : اللباس والحِيتة والمنظر ، وأصله زوى ، تقول منه زيته ، والقياس زويته .

(٥) ب : « وحظاً » م : « وحظاً » ، صوابها في ط .

(٦) رب النعمة : حفظها ورعاها . وفي الحديث : « لك نعمة تربها » . ط فقط : « تربها »

(٧) ب ، م : « ويلدعها » ، صوابه في ط .

(٨) يرتع : يلهو ويلعب وينعم . وفي الأصول : « ويرجع عينك » ، والوجه ما أثبت .

ومنه قول الخنزي :

حشأ على جر ذكى من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترتع

وشَرَفَ الخير ^(١) ، وعَزَّ المجَاهِرَةُ ^(٢) وَلَنَّةُ الاختلاس ، وحلاوة
الدُّبَيْبِ ^(٣) .

وسَأَصِفُ لك شَرَفَ ^(٤) النبِيذِ في نفسه ، وفضيلته على غيره ، ثم أَصِفُ
فَضْلَ شرابك على سائر الأشربة ، كما أَصِفُ فَضْلَ النبِيذِ على سائر
الأنبئة ؛ لأنَّ النبِيذَ إذا تَمَثَّى في عظامك ، والتبسَ بأجزاءك ،
ودبَّ في جَنَانِكَ ، مَنَحَكَ صِدْقَ الحسِّ ، وفَرَّغَ النفسَ ، وجعلَكَ رَخِيَّ
البال ، خَلَّى الذَّرْعَ ^(٥) ، قليل الشواغل ، قَرِيرَ العين ، واسعَ الصدر ،
فَسِيحَ الحِمِّ ^(٦) حَسَنَ الظَّنِّ . ثم سَدَّ عليك أبوابَ التُّهَمِ ، وحسَّنَ دونَكَ
الظَّنَّ ونحواطر الفهم ^(٧) ، وكفَّاكَ مَثُونَةَ الجِرَاسَةِ ، وألَمَ الشَّفَقَةَ ،
ونَحَوَ الحَدَثَانِ ، وذَلَّ الطمعَ وكَدَّ الطلبِ ^(٨) ، وكلَّ ما اعترضَ على
السُّرورِ وأفسَدَ اللَّذَّةَ ، وقاسَمَ الشهوةَ ، وأخلَّ بالنعمة ^(٩) .

وهو الذي يردُّ الشُّيوخَ في طبائعِ الشُّبانِ ، ويردُّ الشُّبانَ في نشاطِ
الصُّبيانِ ، وليس يخافُ شاربه ^(١٠) إِلَّا مجاوزَةَ السُّرورِ إلى الأَشْرِ ،
ومجاوزَةَ الأَشْرِ إلى البَطَرِ .

(١) م فقط : « الحيل » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « المجاهدة » ، والوجه في ب ، م .

(٣) أصل الدُّبَيْبِ المني على هيئة ، واستعمل مع الاختلاس في معاني التوصل إلى المشوق في خفية . وفي جميع الأصول : « الدُّبَيْبِ » .

(٤) ب : « شرب » ، تحريف .

(٥) الذَّرْعُ : الطالقة والوسع . م : « حل الذراع » تحريف ، وفي ب : « غالي الذرع » ، وأثبت ما في ط .

(٦) ب ، م : « الحِمِّ » .

(٧) ب ، م : « النتن نحواطر الفقه » .

(٨) م : « وكد الطلب » .

(٩) ب ، م : « واختل بالنعمة » .

(١٠) ب : « نجة شاربه » م : « نجات شاربه » ، صوابهما في ط .

ولو لم يكن من أياديه ومِنَنِهِ ، ومن جميل آلائه ونِعَمِهِ ^(١) ، إِلَّا
أَنَّكَ مَا دُمْتَ تَمْزُجُهُ بِرُوحِكَ ، وَتُزَاوِجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِمِّكَ فَقَدْ أَغْفَاكَ مِنَ
الْجَدِّ وَنَصَبِهِ ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ الْمَزَاحَ وَالْفُكَاةَ ، وَبَغَضَ إِلَيْكَ الْاسْتِقْصَاءَ
وَالْمَحَاوَلَةَ ، وَأَزَالَ عَنْكَ تَعَقُّدَ الْحِشْمَةِ وَكَدَّ الْمَرْوَةِ ، وَصَارَ يَوْمُهُ جَمَالًا
لَأَيَّامِ الْفِكْرَةِ ، وَتَسْهِيلًا لِمَعَاوِدَةِ الرُّوِيَةِ ^(٢) ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يُوْجِبُ
الشُّكْرَ ، وَيُطِيبُ الذِّكْرَ ^(٣) . مع أَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ وَأَخْبَرْنَا بِهِ عَنْهُ
يَقُومُ بِأَيْسَرِ الْجَرَمِ ^(٤) ، وَأَقْلَلِ الثَّمَنَ .

ثم يعطيك في السَّفَرِ مَا يُعْطِيكَ فِي الْحَضَرِ ، وَسِوَاءَ عَلَيْكَ الْبَسَاتِينُ
وَالْجَنَانُ ^(٥) . وَيَصْلُحُ بِاللَّيْلِ كَمَا يَصْلُحُ بِالنَّهَارِ ، وَيُطِيبُ فِي الصُّبْحِ
كَمَا يَطِيبُ فِي اللَّجْنِ ، وَيَلْدُّ فِي الصَّيْفِ كَمَا يَلْدُّ فِي الشِّتَاءِ ، وَيَجْرِي
مَعَ كُلِّ حَالٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا يَصْلُحُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ .

ويُدْفَعُ مَقْصَرَةُ الْخُمَارِ ، كَمَا يَجْطِبُ مَنْفَعَةُ السُّرُورِ .

إِنْ كُنْتَ جَذَلًا [كَانَ] بَارَأُ بِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ ذَا هِمٍّ نَفَاهُ عَنْكَ .

وَمَا الْغَيْثُ فِي الْحَرْثِ بِأَنْفَعَ مِنْهُ فِي الْبَدَنِ ، وَمَا الرِّيشُ السَّخَامُ ^(٦)
بِأَدْفَأَ مِنْهُ لِلْمَقْرُورِ ^(٨) .

(١) ب ، م : « بَلَّاهُ وَنَمَّه » .

(٢) الروية : التَّفَكُّرُ فِي مَهَلٍ . ب ، م : « الرُّوِيَةُ » .

(٣) م ، ط : « وَيُطِيبُ الذِّكْرَ » . وَالْإِطْنَابُ : الْإِطْلَالَةُ .

(٤) الْجَرَمُ : بِالْفَتْحِ : الْكَسْبُ .

(٥) الْبَسَاتَانُ : جَنِيَّةٌ فِيهَا تَغْيِيلٌ مَضْرُوقَةٌ ، مَرْبُوبَةٌ . وَالْجَنَّةُ : الْحَقِيقَةُ ذَاتُ التَّغْيِيلِ وَالشَّجَرِ .

(٦) التَّكَلُّفُ مِنْ ط . وَالْجَلْدُ : الْفَرْحُ .

(٧) السَّخَامُ ، كَثْرَابُ الْبَيْنِ الْحَسَنِ ، أَوْ مَا كَانَ لِيَنَاءَ تَحْتَ الرِّيشِ الْأَحْمَرِ . وَفِي جَمِيعِ

الْأَصُولِ : « السَّجَامُ » ، سِوَاهِهِ مَا أَتَيْتُ .

(٨) الْمَقْرُورُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْبَرْدُ . م : « بِأَدْفَأَ مِنْهُ » تَحْرِيفٌ .

ويُستمرّأ به الغذاء^(١) ويدفع به ثِقَلُ الماء ، ويُعالج به الأدواء ،
ويحمرُّ به الوجنتان ، ويُحدَل به قضاء الدين .

إن انفردت به أهلك ، وإن نادمت به سواك .

ثم هو أصنع للسرور من زلزل^(٢) ، وأشدُّ إطراباً من مُحَارِق^(٣) ،
وقدر احتياجهما إليه كقدر استغنائه عنهما ؛ لأنّه أصل اللذات وهي
فرعُه ، وأوّل السرور ونتاجُه .

ولله درّ أوّل من عَمِلَه وصنعه^(٤) ، وسقياً لمن استنبطه وأظهره .
ماذا دبر ؟ وعلى أيّ شيء دَل ؟ وبأيّ معنى أنعم ؟ وأيّ دفين آثار ؟ وأيّ
كنزٍ استخرج .

ومن استغناء التَّيْبِذ بنفسه ، وقلة احتياجه إلى غيره ، أن جميع
ماسواه من الشراب يُصلحه التَّلَج ، ولا يَطِيبُ إلّا به .

وأوّل ما يُثَنَّى عليه به ، ويُذَكَّر منه^(٥) ، أنّه كريم الجوهر ، شريف
النفس ، رفيع القدر ، بعيد الممّ . وكذلك طبيعته المعروفة^(٦) وسجيته
الموصوفة . وأنّه^(٧) يسرُّ النفوس ويحبُّ إليها الجود ، ويزين لها
الإحسان ، ويرغّبها في التوسّع ، ويورثها الغنى ، وينفّي عنها الفقر ،

(١) م : « ويستمرى » بالتسهيل .

(٢) زلزل ، يفتح الزايمين : مفعول ضارب بالعود يضرب به المثل ، وإليه تضاف بركة
زلزل بغداد ، تلم على إبراهيم الموصلي ، وله أخبار مع هارون الرشيد مذكورة في الأغاني .

(٣) غارق : أحد كبار المقتن في الدولة العباسية ، غنى هارون والمأمون والأمين والمصم
والواثق . وأخباره مسبوقة في الأغاني .

(٤) ب : « أول من صنعه » ، فقط .

(٥) م ، ط : « ماثنى عليه به » وفي ط أيضاً : « وتذكر منه » .

(٦) طبيعته ، ساقطة من ب ، م .

(٧) ب ، م : « وأن » .

ويعلمها عزاً ، ويعلمها خيراً ، ويحسن المسارة ^(١) ، ويصير به التثبت
خصباً والجناب مريماً ^(٢) ، ومأهولاً معشياً .

وليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء ، ولا أشد تالفاً
للأدباء ، ولا أجلب للمؤنسين ، ولا أدعى إلى خلاف المتعين ^(٣) ،
ولا أجدر أن يستدام به حليتهم ويخرج مكنونهم ، ويطول به مجلسهم ،
منه .

وإن كل شراب وإن كان حلاً ورق ^(٤) ، وصفا ودق ، ونطاب
وعذب ، وبرد ونفخ ^(٥) ، فإن استطابتك لأول جرعة منه أكثر ^(٦) ،
ويكون من طبائلك أوقع . ثم لا يزال في نقصان إلى أن يعود مكروهاً
وبلية ^(٧) ، إلا النبيذ ، فإن القدح الثاني أسهل من الأول ، والثالث
أيسر ^(٨) ، والرابع ألذ ، والخامس أسلس ، والسادس أطرب ، إلى أن
يسلمك ^(٩) إلى النوم الذي هو حياتك ، أو أحد أقواتك ^(١٠) . ولا خير
فيه إذا كان إسكاره تغلباً ، وأخذُه بالرأس نعساً ، حتى يميت الحسن

(١) م فقط : « المسارة » .

(٢) الريع : الخصب ، يقال مكان مرع ومرع : خصيب مرع ناجح . قال الأعشى :

سلس مقلده أسر ——— سل خده مرع جناحه

ب ، م : « مريمان ، صوابه في ط .

(٣) في الأصول : « المتعين » ، ولا وجه له .

(٤) ط ، م : « وإن حلا ورق » .

(٥) التفاح : الماء المنب للبارد الذي يتفخ العطر ، أي يكره برده . وفي جميع

الأصول : « ونفخ » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م : « الأول جرعه منها » . وفي ب ، م . « كثر » ، وفي ط : « أول جرعة

منها كثير » . والوجه ما أثبت .

(٧) ب فقط : « وبرة » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « أسر » .

(٩) في جميع الأصول : « يسلمك » ، ولا وجه له .

(١٠) ب : « وأحد أقواتك » .

بحلته ، وَيَضْرَعُ الشَّارِبَ بِسُورَتِهِ ^(١) ، وَيُورِثُ الْبُهِرَ بِكَلَّتِهِ ،
وَلَا يَسْرِى فِي الْعُرُقِ لِفَلْظِهِ ^(٢) ، وَلَا يَجْرَى فِي الْبِلَدِ لِرُكُودِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ
فِي الْعُنُقِ وَلَا يَدْخُلُ الصَّمِيمَ .

وَلَا وَاللَّهِ حَتَّى يَغَاوِلَ الْعَقْلَ وَيَعَارِضَهُ ، وَيَدَغْدَغُهُ وَيُخَادَعُهُ ^(٣) ،
فَيَسْرِهُ ثُمَّ يَهْزُهُ ^(٤) ، فَإِذَا امْتَلَأَ سُرُوراً وَعَادَ مَلِكاً مُجْبوراً ، خَاتَلَهُ
السُّكْرُ وَرَاوَعَهُ ، وَدَارَاهُ وَمَا كَرَّهُ ، وَهَازَلَهُ وَغَانَجَهُ . وَلَيْسَ كَمَا يَنْتَصِبُ
السُّكْرُ ^(٥) ، وَيَعْتَسِفُ الدَّاذِيُّ ^(٦) ، وَيَفْتَرِسُ الزُّبَيْبُ ؛ وَلَكِنْ بِالتَّفْتِيرِ
وَالْفَعْرِ ، وَالْحِيلَةِ وَالنُّخْتَلِ ^(٧) ، وَتَحْيِيبِ النَّوْمِ ، وَتَزْيِينِ الصَّمْتِ .

وَهَذِهِ صِفَةُ شَرَابِكَ إِلَّا مَا لَا نُحِيطُ بِهِ ^(٨) ، وَنَعْوَتُهُ تَتَبَدَّلُ ^(٩) إِلَّا
مَا يَقْبَحُ مِنْهَا الْجَهْلُ بِهِ .

وَخَيْرُ الْأَشْرِيَةِ مَا جَمَعَ الْمَحْمُودَ مِنْ خَصَالِمَا وَخَصَالِي غَيْرِهَا . وَشَرَابُكَ
هَذَا قَدْ أَخَذَ مِنَ الْخَمْرِ دَبِيبَهَا فِي الْمَفَاصِلِ ^(١٠) ، وَتَمَشَّيَهَا فِي الْعِظَامِ
وَلَوْنَهَا الْغَرِيبَ ؛ وَأَخَذَ بَرْدَ الْمَاءِ وَرَقَّةَ الْهَوَاءِ ، وَحَرَكَةَ النَّارِ ، وَحُمْرَةَ

(١) ب ، م : « ويسرع » بالسين ، تحريف . وسورة الشراب : تناولوه الرأس
ووثبوه فيه .

(٢) ط : « لفظه » .

(٣) اللطفة : خركة في نحو الإبط أو البطن أو الأخصى يحدث عنه انفعال .

(٤) م : « ويسره ثم يهزه » .

(٥) السكر ، بالتحريك : الخمر نفسها .

(٦) الداذي : شراب يعض من نبت له عقود مستطيل ، وجهه كحب الشعير ، طيب
الرائحة جيد الإسكار . قال :

شربنا من الداذي حتى كأننا ملوك لنا بر المراقين والبحر

(٧) في جميع النسخ : « والحيل » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب ، م : « إلا ما لا يحيط به » .

(٩) ب ، م : « ويمت يتبدل » ، ط : « ونعوته يتبدل » ، والوجه ما أثبت .

(١٠) م ، ط : « زينتها في المفاصل » ، صوابه في ب . وفي ب أيضاً : « قد أخذ » .

خَلَّكَ إِذَا خَجَلْتَ ، وصفرة لونك إِذَا فَرَّغْتَ ، وبياض عارضيك إِذَا
ضَحِكْتَ ^(١) .

وحسبي بصفاتك عوضاً من كلِّ حَسَنٍ ، وخلفاً من كلِّ صالح .
ولا تعجب أن كانت نهاية المهمة وغاية المنية ؛ فإنَّ حُسْنَ الوجوه إِذَا
وافق حُسْنَ القوام وشدة العقل ، وجودة الرأي ، وكثرة الفضل ^(٢)
وسعة الخلق ، والمفرس الطيب والنصاب الكريم ، والظرف الناصع ^(٣) ،
واللسان الفخيم ^(٤) والمخرج السهل والحديث المؤنيق ، مع الإشارة
الحسنة والنبل في الجلمة ، والحركة الرشيقة واللهاجة الفصيحة ،
والتمهّل في المداورة ^(٥) والمزج عند المناقلة ^(٦) ، والبديع البديع والفكر
الصحيح ، والمعنى الشريف ، واللفظ المحنوف ، والإيجاز يؤم الإيجاز
والإطناب يؤم الإطناب ^(٧) ، يَقلُّ الحَزُّ ^(٨) ويصيب المفصل ، ويبلغ بالعضو
ما يقصر عنه الجهد ، كان أكثر لتضاعف الحُسْنُ ، وأحقّ بالكمال .
والحمد لله .

وإنَّ التاج بهي ^(٩) وهو في رأس الملوك أبهى ، والياقوت الكريم حَسَنُ
وهو في جيد المرأة الحسناء أحسن ، والشعر الفاخر حَسَنُ وهو من في

(١) العارض : جانب الوجه ، وصفة الخلد ؛ وهما عارضان . ط : « وبياض عارضك »

بالإفراد .

(٢) في جميع الأصول : « الفضل » .

(٣) م ، ط : « والظرف الناصع » موافق في ب . وانظر ما سبق في ص ١٠٠ .

(٤) ط فقط : « المعجم » .

(٥) في جميع النسخ : « المجاوزة » والوجه ما أثبت .

(٦) المناقلة : مراجعة الكلام في محض وتنازع . والحد : سرعة في الكلام والقرعة .

وفي جميع الأصول : « والمزج » بالزاي ، تحريف .

(٧) المراد باليوم هنا الوقت . ب : « يؤم » بالهمز في هذا الموضع وسابقه ، تحويف .

(٨) يقل : يكسر ويضرب . ب ، م : « يقل » بالقف ، تحريف .

(٩) ب ، م : « التاج بهي » .

الأعرابي أحسن . فلن كان من قول المنشد وقريضه ، ومن نَحْنِه وتحبيره ،
فقد بلغ الغاية وأقام النهاية .

وهذا الشرابُ حسنٌ وهو عندك أحسن ، والمديّة منه شريفةٌ وهي
منك أشرف .

وإن كنتَ قدّرتَ أني إنما طلبته منك لأشربه أو لأسقيه ، أو لأهبه ،
أو لأتحّسه في الخلا ، أو أديره في الملا (١) أو لأنافس فيه الأخصاء ،
واجترّ زيادة الخطّاه (٢) ، أو لأبتليّه لعيون النّساء ، أو أعرضه
لنوائب الأصدقاء فقد أسأت في الظنّ ، وذهبت من الإساءة بي في كلّ
فنّ (٣) ، وقصرت به فهو أشدّ عليك ، ووضعت منه (٤) فهو أضرّ بك .

وإن ظننت أني إنما أريده لأطرف به معشوقه (٥) ، أو لأستميل به
هوى ملك ، أو لأغسل به أوصار الأفتدة (٦) ، أو أداوي (٧) به
خطايا الأشربة ، أو لأجلو به الأبصار العليّة ، وأصلح به الأبدان
الفاسدة ، أو لأتطوّع به على شاعر مُقلّق (٨) أو خطيب مصفّع ، أو أديب
مُلقيع ، ليفتّق لهم المعاني (٩) ، وليخرج المذاهب ، وليما في جانبهم من

(١) ب قطع : « أو أدير في الملا » . وللا : المتسع من الأرض .

(٢) الاجترار : الاجتلاب والاجتلاب . ب ، م : « واختر » ط : « واختر »
والوجه ما أثبت . وانظر الجوهري ٦ : ١٣ ورسائل الجاحظ ١ : ١٠٢ . والخطّاه : جمع خيط ،
وهو الحساب ، والجار المصافق . ب ، م : « الخطا » ط : « الخطا » ، والاصواب ما أثبت .

(٣) ب ، م : « فنّ » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « ووضعت منه » .

(٥) الإطراف : الإغاثات ، أطرفه بالفتح : أنصفه به . ب ، م : « لأطرف »
صوابه بالطاء المهملة كما في ط .

(٦) الوضر : الضر والفسخ ، جمه أوصار . ط : « وضر الأفتدة » .

(٧) م ، ط : « أو أداوي » ، صوابه في ب .

(٨) المقلّق : الذي يأتي بما يجب من الشر . م : « مقلّق » ، تحريف .

(٩) في جميع الأصول : « ليفيق » ، والوجه ما أثبت .

الأجر ، وفي أعناقهم من الشكر^(١) ، ولينفضوا^(٢) ما قالت الشعراء في
الحمد ، وليرتجوا ما شاع لهم من الذكر^(٣) ، فلئن أريد أن أضع من
قدرها ، وأن أكسر من بالها^(٤) ، فقد تاهت وتيه بها . أو لأن أنفائل
برؤيته^(٥) . وأتبرك بمكانه ، وأنس بقربه ، أو لأشقى به الظماء^(٦) ، أو
أجعله لكسير أصحاب الكيمياء^(٧) ، أو لأن أذكرك كلما رأيته ،
وأدعبك كلما قابلته^(٨) أو لأجلب به اليسر^(٩) وأنفي السر .
ولأنه والفقر لا يجتمعان في دار ، ولا يقينان في ربيع . ولأنعرف^(١٠) به
حسن اختيارك ، وأنذكر به جودة اجتباك^(١١) . أو لأن أستدل به
على خالص حبك ، وعلى معرفتك بفضل ، وقيارك بواجب حقى - فقد
أحسنست بي الظن ، وذكرت من الإحسان في كل فن . بل هو الذى
أصوبته صيانة الأعراض ، وأغار عليه^(١٢) غيرة الأزواج .

-
- (١) في جميع الأصول : « وفي أعنائهم من الشكر » ، والصواب ما أثبت .
(٢) النفض : الاستقصاء . ب : « ولينفضوا » ط : « ولينفضوا » ، صواباً في م .
(٣) ط : « وليرتجوا ما شاع لهم من الذكر » ، تحريف .
(٤) البال : القلب ، والنفس ، والخطر ، والأمل .
(٥) ب ، م : « إلى رؤيته » .
(٦) الظماء : مصغر ظمى ، يظأ ظمأ وظام . ب : « الظماء » ط : « الظمان » .
(٧) الإكسير : مادة مركبة كان القدماء يزعمون أنها تحول المدن الرغص إلى ذهب ،
وشراب في زمهم يطيل الحياة ، مغرب . ويسمى أيضاً حجر الفلاسفة . انظر استينجاس ٨٩ .
(٨) ب ، م : « وأدعبك كلما قابلته » ، صوابه في ط .
(٩) ب : « أو لأجلب » بالهاء المهملة . وفي م : « اليسرى » موضع « اليسر » .
(١٠) ب فقط : « أو لأتعرف » .
(١١) الاجتباء : بالميم : الاختيار والاستقاء . وفي الكتاب العزيز : « هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، « شاكرأ لأنه اجتباك وهداه إلى صراط مستقيم » ،
« ولكن الله يجزي من رسله من يشاء » . وفي جميع الأصول : « اجتباك » بالهاء المهملة ، تحريف .
(١٢) غار يغار غيرة : ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره ، أو لانصرافها عنه إلى
آخر . م فقط : « وأغير » ، تحريف .

واعلمُ أنَّكَ إنْ أَكثَرْتَ لِي مِنْهُ خَرَجْتُ إِلَى الْفَسَادِ ، وَإِنْ أَقَلَلْتَ
أَقْسَمْتُ عَلَى الْاِقْتِصَادِ ،

وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، وَلِلْخَلِيفَةِ قَرَابَةٌ بُولَى فِيهَا شُفْعَةٌ ^(١) ،
وَهُمْ بَعْدُ ^(٢) جَنَسٌ وَعَصَبَةٌ ، فَأَقْلُ مَا أَصْنَعُ إِنْ أَكثَرْتَ لِي مِنْهُ أَنْ أَطْلُبَ
الْمُلْكَ ، وَأَقْلُ مَا يَصْنَعُونَ بِي أَنْ أَنْفَى مِنَ الْأَرْضِ . فَإِنْ أَقَلَلْتَ فَإِنَّكَ الْوَلَدُ
الْنَّاصِحُ ، وَإِنْ أَكثَرْتَ فَإِنَّكَ الْغَاشُّ الْكَاشِحُ . وَالسَّلَامُ .

(١) ب : « وفيها شفعة » .

(٢) ب : « أبعد » ، تحريف .

من كتابه في
طبقات المغنين

فصل

من صلب كتابه في طبقات المفنن

ثم إننا وجلدنا الفلاسفة المتقلمين في الحكمة ، المحيطين بالأمر معرفة ، ذكروا أن أصول الآداب التي منها يتفرع العلم لنوى الأبواب أربعة :

فمنها النجوم وبروجها ، وحسابها الذي يعرف به ^(١) الأوقات والأزمنة ، وعليها مزاج الطبائع وآيام السنة .

ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقليد ، وما أشبه ذلك .

ومنها الكيمياء والطب اللذان هما صلاح المعاش وقوام الأبدان ، وعلاج الأسقام ، وما يتشعب من ذلك .

ومنها اللحن ومعرفة أجزائها وقسمها ، ومقاطعها ومخارجها ووزنها ، حتى يستوى على الإيقاع ويدخل في الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أمهاته وجملته ، اجتناباً للتطويل ، وتوخياً للاختصار . وقصدنا للأمر الذي إليه انتهينا ، وإياه أردنا . والله الموفق وهو المستعان .

ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ، ويسلكون طريقه ، ويعرفون غامضه ، ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله ، خلا الفناء ، فإنهم لم يكونوا عرقوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه ، وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون . من الفارسية والهندية ^(٢)

(١) ب ، م : هـ ، ج : صوابه في ط .

(٢) ب فقط : « والهندية » .

إلى أن نظر الخليل البصريُّ في الشعر ووزنه ، ومخارج ألفاظه ، وميزَ ما قالت العرب منه ، وجمعه وألفه ، ووضع فيه الكتابَ الذي سماه القروض ، وذلك أنه عرضَ جميعَ ما روى من الشعر وما كان به عالماً ، على الأصول التي رسمها ، والليل التي بينها ، فلم يجد أحداً من العرب خرجَ منها ، ولا قصرَ دُونها . فلما أحكمَ وبلغَ منه ما بلغَ ، أخذَ في تفسير النغم واللحن ، فاستدرك منه شيئاً ، ورسمَ له رسماً احتذى عليه من خلفه ، واستتمَّ من عُنِي به ^(١) .

وكان إسحاقُ بن إبراهيم الموصليُّ أوَّلَ من حذا حَلَوَه ، وامتلأَ هَدْيُه ، واجتمعت له في ذلك آلاَتٌ لم تجتمعَ للخليل بن أحمد قبله ^(٢) ، منها معرفته بالفناء ، وكثرة استنائه إياه وعلمه بحسنة من قبيحه ، وصحيحة من سقيمه .

ومنها حِلْفُه بالضرب والإيقاع ، وعلمه بوزنها . وألفَ في ذلك كتباً مُعْجِبةً ، وسهَّلَ له فيها ما كان مُستصعباً على غيره ، فصنع الفناء بعلمٍ فاضل ، وحذق راجح ، ووزن صحيح ، وعلى أصلٍ مستحكمٍ له دلائلُ صحيحة واضحة ، وشواهدُ عادلة ^(٣) . ولم نر أحداً وجَدَ سبيلاً إلى الطعن عليه والعيب له .

وصنع كثيرٌ من أهل زمانه أغاني كثيرةً بهاجسي طبعهم ^(٤) والاتباع لمن سبقهم ، فبعضُ أصاب وجهَ صوابه ^(٥) ، وبعضُ أخطأ ، وبعضُ قصرَ في بعضٍ وأحسنَ في بعضٍ .

(١) ط : « واستد من عني به » .

(٢) ب ، م : « قبلها » صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « وشواهد عادلة » .

(٤) ب فقط : « بهاجسي طبعهم » .

(٥) ب ، م : « وجه صوابه » .

ووجدنا لكل دهر قولة للمغنيين يحملون الغناء عنهم ، ويُطارِحون به فتیانَ زمانهم ، وجواریَ عصرهم . وكان يكون في كل وقتٍ من الأوقات قومٌ يتنادمون ، ويستحسنون الغناء ، ويميزون رديّة من جيده ، وصوابه من خطائه ^(١) ، ويجمعون إلى ذلك محاسنَ كثيرةً في آدابهم وأخلاقهم ، وروائعهم وهيباتهم ^(٢) ، فلم نجد هذه الطبقةَ ذُكِرُوا . ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقياً .

وخصّصنا في أيامنا وزماننا بفتيةَ أشراف ^(٣) ، وخلّانٍ نظاف ، انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب المروعة ما كان محجوباً عن غيرهم ، معلوماً من سوامهم ، فحملنى الكلف والمودة لهم ^(٤) والسرور بتخليد فخرهم ^(٥) وتشيد ذكركم والحرص على تقويم أود ذى الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته ، والفضل في معرفته ، على تمييز طبقة طبقة منهم ، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم ، وآلاتهم وأدواتهم ، واللذاهب التي نسبوا إليها أنفسهم ، واحتملهم إخوانهم عليها . وخططنا جلداً بهزل ، ومزجنا تقريراً بتعريض ^(٦) ، ولم نرد بأحدٍ من سمينا سواها ، ولا تعمّلنا نقداً ^(٧) ولا تجاوزنا حداً .

ولو استعملنا غير الصديق لفصلنا قوماً وحابينا آخرين . ولم نفعل

(١) الخطاء ، كسحاب : الخطأ . ط : « خطه » . والجاسط يميل إلى استعمال المعلوم .

(٢) م : « وروائعهم » ب : « ومروائهم » ، والوجه ما أثبت من ط . والرواء : المنظر ، والمنظر الحسن .

(٣) م : « بقتة » .

(٤) لم ، ساقطة من ب .

(٥) م ، ب : « بتجلية فخرهم » .

(٦) التعريض : التأييب والتصنيف . ب : « تقريراً » بالقاء ، م ، ط : « تعريفاً » ، صوابها مأثبات . والتعريض : التزم الذي لا يصرح به .

(٧) ب ، م : « صحا »

ذلك ؛ تجنباً للحيث^(١) ، وقصداً للإنصاف^(٢) . وقد نعلم أن كثيراً منهم سيئالغ في الذم ، ويحتفل في الشتم^(٣) ، ويذهب في ذلك غير مذهبين .

وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم ، والله حسيب من ظلم ، عليه نتوكل وبه نستعين ، وهو رب العرش العظيم .

ولم نقصد في وصف مَنْ وصفنا من الطبقات التي صنّفنا منهم ، إلا لأن أدركنا من أهل زماننا مَنْ حصل بمدينة السلام ، إذ مَنْ خرج عنها ونزع إلى الفتوة بعد التوبة ، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة^(٤) ، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين^(٥) . فرحم الله امرأً أحسنَ في ذلك أمرنا^(٦) ، وحذاً فيه حلّونا ، ولم يجعل إلينا ذمّاً ، ودعاً بالغفرة والرحمة لنا .

وقد تركنا في كلِّ بابٍ من الأبواب التي صنّفنا في كتابنا ، فرجاً^(٧) لزيادة إن زادت ، ولاحقة إن لحقت ، أو نابتة إن نبتت . ومَنْ عسى أن ينتقل به الحلق من مرتبته إلى ما هو أعلى منها ، أو يعجزُ به القصور عما هو عليه منها إلى^(٨) ما هو دونها ، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها ، ومَنْ لعلنا نصير إلى ذكره ممن

(١) م ، ط : « تحييا » .

(٢) ط : « بل قصداً للإنصاف » .

(٣) ط : « ويحتفل في الشتم » .

(٤) الحنكة والحلّك ، يضم الحاء فهما : التجربة والبصر بالأمور .

(٥) هذا تسجيل السنة التي تم فيها أو بعدها تأليف هذه الرسالة .

(٦) ب : « من أحسن في ذلك أمرنا » .

(٧) الفرج : جمع فرجة ، والمراد الفراغ الذي يكتب فيه . ب فقط : « فرجاً » .

بالحاء المهملة ، تحريف .

(٨) إلى ، ساقطة من ب .

عَزَبَ عَنَّا ذِكْرَهُ ، وَأَنْسَيْنَا اسْمَهُ ، وَلَمْ يُحِطْ عَلَمُنَا بِهِ ، فَنَصَبْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَنُلَجِّهَ بِأَصْحَابِهِ .

وليس لأحدٍ أَنْ يثبت شيئاً من هذه الأصناف إلَّا بعلمنا^(١) ، ولا يستبدُّ بأمرٍ فيه دوننا . ويُورَدُ ذلك علينا فتمتحنه^(٢) ، ونُعرفه^(٣) بما عنده ، ويصير إلى ترتيبه في المرتبة التي يستحقُّها ، والطبقة التي يحتملها .

فلما استتبَّ لنا الفراغُ بما أردنا من ذلك خَطَرُ ببالنا كثرة العيَّابين من الجهَّالِ برَبِّ العالمين ، فلم نَأْمَنْ أَنْ يُسرِعُوا^(٤) بِسَفَرِ رَأْيِهِمْ وَخِصَّةِ أَحْلَامِهِمْ إِلَى نَقْضِ كِتَابِنَا وَتَبْدِيلِهِ ، وَتَحْرِيفِهِ عَن مَوَاضِعِهِ ، وَإِزَالَتِهِ عَن أَمَاكِنِهِ الَّتِي عَلَيْهَا رَسَمْنَا ، وَأَنْ يَقُولَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ ، وَيَقْدِرَ هَوَاهُ^(٥) وَرَأْيُهُ ، وَمُوافَقَتَهُ وَمُخَالَفَتَهُ ، وَالْمِيلُ فِي ذَلِكَ إِلَى بَعْضٍ ، وَالذَّمُّ لَطَبِيقَةِ وَالْحَمْدُ لِأُخْرَى ، فَيَهْجُونَا كِتَابِنَا ، وَيُلْحِقُوا بِنَا مَا لَيْسَ مِن شَأْنِنَا .

وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْخُذَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ، وَأَنْ نَحْتَاطَ فِيهِ لِأَنْفُسِنَا وَمَنْ ضَمَّهُ كِتَابُنَا ، وَتُبَادِرَ إِلَى تَفْرِيقِ نَسْخِ^(٦) مِنْهَا وَتَصْيِيرِهَا فِي أَيْدِي الثُّغَاتِ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ ، الَّذِينَ^(٧) كَانُوا فِي هَذَا الشَّأْنِ ، ثُمَّ خْتَمُوا ذَلِكَ

(١) ط : « بعلنا » ، تحريف .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « فَيَمْتَحِنُهُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أُثْبِتَ .

(٣) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَيَعْرِفُهُ » بِالْيَاءِ .

(٤) ب فَقَطْ : « فَلَمْ نَأْمَنْ مِنْ أَنْ يَسْرِعَ » ، سِوَايِهِ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٥) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « وَلَقَدَرُ هَوَاهُ » .

(٦) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « نَسْخَةٌ » .

(٧) الَّذِينَ ، سَاقِطَةٌ مِنْ ب ، م .

بالعزلة والتوبة منه ، كصالح بن أبي صالح ، وكأحمد بن سلام ، وصالح مولى رشيدة^(١) .

ففعّلنا ذلك وصبرناه أمانة في أعناقهم ، ونسخة باقية في أيديهم ، ووثّقنا بهم أمانة ومستودعين^(٢) وحفظة غير مضيعين ولا متهمين . وعلّمنا أنّهم لا يدعون صيانة ما استودعوا ، وحفظ ما عليه اتّسموا .

فإن شيب^(٣) به شوبٌ يخالفه ، وأضيف إليه^(٤) مالا يلائمه ، رجعنا^(٥) إلى النسخة المنصوبة ، والأصول المخدّدة عند ذوى الأمانة والثقة ، واقتصرنا عليها ، واستعملنا بها على المبطلين^(٦) ، ودفعنا بها^(٧) إدغال المدّخلين ، وتحريف المحرّفين ، وتزيّد المتزيدين ، إن شاء الله .

ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

(١) لم أجد ترجمة لأحد هؤلاء الثلاثة ، ولم يرد لم ذكر فيما سبق من مكتبة الجاحظ .

(٢) ب ، م : « وأمانة ومستودعين » ، صوابه في ط .

(٣) ط : « إذا شيب » م : « فإن شئت » ، صوابهما في ب .

(٤) إليه ، ساقطة من ب ، م .

(٥) في جميع النسخ : « وجعلنا » .

(٦) ب ، م : « به على المبطلين » .

(٧) ب ، م : « به » .

٦

من كتابه في

النساء

١ - فصل

من صلب كتابه في النساء

إنَّا لما ذكرنا في كتابنا هذا الحبَّ الذي هو أصلُ الهوى ، والهوى الذي يتفرَّع منه العشق، والعشق الذي يهيم له الإنسان على وجهه أو يموتُ كمدًا على فِراشه . وأوَّل ذلك إدخالُ الضَّيم على مروءته ، واستشعارُ الدُّلَّة لمن أطاف بعشيقته .

ولم نُطِيب مع ذلك في ذكر ما يتشعب من أصل الحبِّ من الرِّحمة والرِّقَّة ، [وحبِّ الأموال النفيسة والمراتبِ الرفيعة^(١)] ، وحبِّ الرِّعيَّة للأئمة ، وحبِّ المُصْطَنَع لصاحب الصُّنِيعَة ، مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ، ومع تفاوتِ طبقاته في العواقب ، احتجنا إلى الاعتذار من ذكر العِشْقِ المعروف بالصُّبَابَة ، والمخالفة على قوَّة المزِمة ، لنجعل^(٢) ذلك القدرَ جُنَّةً دون من حاول^(٣) الطُّعن على هذا الكتاب ، وسَخَفَ الرَّأْيِ الذي دعا إلى تأليفه ، والإشادة بذكره^(٤) . إذا كانت الدنيا لا تنفك^١ من حاصدٍ باغٍ ، ومن قاتلٍ متكلفٍ ، ومن سامعٍ طاعنٍ ، ومن مُنافِسٍ مقصِّرٍ . كما أنَّها لا تنفك^٢ من ذى سلامةٍ متسلِّمٍ ، ومن عالمٍ متعلِّمٍ ، ومن عظيم الخطر حسن المحضر ، شديد المحاماة على حقوق الأدباء ، قليل التسرع إلى أعراض العلماء .

وإنما العشقُ اسمٌ لِمَا قَصَلَ عن المقدار الذي اسمه حبٌّ . وليس

(١) التكلية من م ، ط .

(٢) ب ، م : « ليجعل » .

(٣) ب ، م : « ما حاول » .

(٤) ب ، م : « والإشارة بذكره » ، صوابه ق ط .

كلُّ حبٍّ يُسمَّى عشقاً ، وإنما العشق اسمٌ للفاضل عن ذلك المقدار ، كما أنَّ السرف اسمٌ لما زاد على المقدار الذي يُسمَّى جوداً ، والبخل اسمٌ لما نقص عن المقدار الذي يُسمَّى اقتصاداً ، والجبن اسمٌ لما قصّر عن المقدار الذي يُسمَّى شجاعة .

وهذا القول ظاهرٌ على ألسنة الأدباء ، مُستعملٌ في بيان الحكماء . وقد قال عروة بن الزبير : ^(١) « والله إني لأعشق الشرف كما تُعشق المرأة الحسناء » .

وذكر بعضُ الناس رجلاً كان مُلقباً محروماً ، ومنحوس الحظِّ ممنوعاً ، فقال : ما رأيت أحداً عَشِقَ الرِّزْقَ عِشْقَهُ ، ولا أَبْغَضَهُ الرِّزْقَ بُغْضَهُ ! فذكر الأولُ عَشِقَ الشَّرْفَ ، وليس الشَّرْفُ بامرأة ، وذكر الآخر عشقَ الرِّزْقِ والرِّزْقِ اسمٌ جامعٌ لجميع الحاجات .

وقد يستعمل الناس الكناية ^(٢) ، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة ، يريدون أن يظهرَ المعنى ^(٣) بآلِين اللفظ ، إما تنوِيهاً وإما تفضيلاً ^(٤) ، كما سموا المزعول عن ولايته مصروفاً ، والمنهزم عن علوه مُتَحَازِراً . نعم ، حتَّى سَمِيَ بعضهم البَخِيلَ مقتصداً ومصلحاً ^(٥) ، وسمي عامل الخراج المتعدي بحقَّ السلطان مستقصياً ^(٦) .

(١) م : « وقال عروة » فقط .

(٢) ط : « الكناية » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « يظهروا المعنى » .

(٤) في جميع الأصول : « إما تنوينا وإما تفضيلاً » ، والوجه ما أثبت . والتنويه : الإظهار والإشادة والتعريف .

(٥) م : « أو مصلحاً » .

(٦) في جميع الأصول : « مستقصياً » بالعين ، والوجه ما أثبت . والاستقصاء : بلوغ الغاية القصوى .

ولما رأينا الحُبَّ من أكبر أسباب جماع الخير ، ورأينا البُغْض من أكبر أسباب الشر ، أَحْبَبْنَا^(١) أَنْ نذكر أبواب السَّبَبِ الجالب [للخير ، ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب^(٢)] [لشر حتى نذكر أصولهما وعللها الداعية إليهما ، والموجبة لكونهما .

فَتَأَمَّلْنَا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ، ظفر المحب بحبيبه ، والعاشق بطليته^(٣) ، ووجدنا شقوة الطالب المكدي وعَمَّهُ ، في وزن سعادة الطالب المُنْجِحِ وسروره ، ووجدنا العشق كلما كان أرسخ ، وصاحبه به أكلف ، فإنَّ موقع لذة الظفر بعُدوه المُرْصِد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته^(٤) .

قلنا : لِمَا قَدْ رَأَيْنَا الكرام والحلماء ، وأهل السُّود والعتماء ، رُبَّمَا^(٥) جادوا بفضلهم من لذة شفاء الفَيْظ ، ويعلمون ذلك زيادةً في نُبُلِ النفس ، وبُعدِ المهمة والقُدْر . ويُجودون بالنَّفيس من الصامت والناطق ، وبالثمين من العُروض^(٦) . وربَّمَا خَرَجَ من جميع ماله ، وآثَرَ طِيبَ الذِّكْرِ على الغنى واليُسْر . ولم نَرَ نفسَ العاشق تسخُّو بِعشوقه ، ويجود بِشقيقته نفسه^(٧) لوالد ولا لولد بارٍّ ، ولا لذي نعمةٍ سابغةٍ^(٨) يخاف سَلْبَهَا ، وَصَرَفَ إِحْصَانَهُ عَنْهُ بِسببِهَا .

(١) ط : « اجتنبا » ، صوابه في ب ، م .

(٢) ما بين المقتفين ساقط من ب .

(٣) الطلب والطلبة ، بكسر اللام فهما : ما يطلبه للعاشق ويهواه ، الأخيرة من التيان . وفي جميع النسخ : « بطليته » .

(٤) ب : « لمشيقة » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب : « وربَّمَا » ، صوابه في م ، ط .

(٦) العروض : الأمتة ، سوى للدرام والدنانير فلها عين ، وأصلها عرش ، بالفتح .

(٧) ب : « لشقيقة نفسه » ، تحريف ب : « بشيقة نفسه » ، وأثبت ما في ط .

(٨) السابغة : الكاملة الوافية . ب فقط : « السابغة » بالعين المهملة ، تحريف .

ولم نر الرجال يَهْبُونَ للرجال إِلَّا مالا بَالُ به ^(١) ، في جَنْب ما يهبون للنساء . حَتَّى كَأَنَّ العِطْر والصَّبِغ ^(٢) ، والخِضَاب والكحل ، والنَّتْفِغ والقَص ، والتَحْذِيف والحق ، وتَجْوِيد الثَّيَاب وتنظيفها ، والقيام عليها وتعهدها ، مِمَّا لم ^(٣) يتكَلَّفوه إِلَّا لَهْن ، ولم يتَقَلَّموا فيه إِلَّا من أَجَلِهْن ، وحَتَّى كَأَنَّ الحِيطَانَ الرَّقِيعَةَ ، والأَبْوَابَ الوَثِيقَةَ ، والسُّتُورَ الكَثِيفَةَ ^(٤) ، والخِصْيَانِ والطَّوْرَةَ ، والحُشُوةَ والحَوَاضِيفَ لم تُتَخَذْ ^(٥) إِلَّا للَصُّونِ لَهْن ، والاحتفاظ بما يجب من حفظ النعمة فيهن .

٢ - فصل منه

وباب آخر : وهو أَنَا لم نجد أَحداً من الناس ^(٦) عَشِيقَ والدِيهِ ولا وَلَدَهُ ، ولا من عَشِيقِ مراكِبِهِ ومنزِلِهِ ، كما رأيناهم يموتون من عَشَقِ النساءِ الحرام . قال الله تعالى : ﴿ زَيْنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُمَنْشُورَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ ^(٧) . فقد ذكر ^(٨) تبارك وتعالى جملةً أصنافٍ ما خولهم من كرامته ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ من نعمته ، ولم نَرِ النَّاسَ ^(٩) وَجَلُّوا بشيٍّ من هذه الأصنافِ وَجَلَّهِمَ بالنساء . ولقد قلَّم ذكرهنَّ في هذه الآية على قدر تقصُّمهنَّ في قلوبهم .

-
- (١) ب ، م : « يَهْبُونَ » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط : « والاحتباب : يقول الهبة ، ولا وجه له هنا . وفي ب ، م أيضاً : « إِلَّا بما لا يال له » ، صوابه في ط .
 (٢) ب : « والصبغ » ، صوابه في م ، ط .
 (٣) ب ، م : « ما لم » ، صوابه في ط .
 (٤) السُّتُور : جمع سُر ، بالكسر . ب فقط : « والسطور » ، تحريف .
 (٥) ب ، م : « لم يتخذ » ، ط : « لم يتخذ » ، والوجه ما أثبت .
 (٦) كلمة « الناس » ساقطة من ب ، م ثابتة في ط .
 (٧) الآية ١٤ من سورة آل عمران .
 (٨) ب : « فقد دل » ، صوابه في م ، ط .
 (٩) ب : « ولم ير الناس » ، وأثبت ما في م ، ط .

فإن قال قائل : فقد نجد الرجلَ الحليمَ ، والشَّيخَ الرُّكَّينَ ، يسمع الصَّوتَ المُطْرِبَ من المغنى المصيبِ ، فينقله ذلك إلى طَيْعِ الصَّبِيانِ ، وإلى أفعالِ المجانينِ ، فيشقُّ حَبِيهَ ، وينقُصُ حُبُوتهُ ، ويفدَى غيرَه ^(١) ، ويرقصُ كما يرقصُ الحدثُ الغريرُ ، والشابُّ السَّفيهُ . ولم نجد أحداً فعلَ ذلك عند رؤية معشوقه .

قلنا : أمّا واحدةٌ فإنَّه لم يكن ليدعَ التَّشَاغُلَ بشمِّها وبرشفيها ، واحتضانِها ، وتقبيلِ قدميها ، والمواضع التي وطئتُ عليها ^(٢) ، ويتشَاغَلَ بالرقصِ المبينِ لها ، والصُّراخِ الشاغلِ عنها . فأمَّا حلُّ الحُبوةِ ، والشَّدُّ حُضْراً عند رؤية الحبيبة ^(٣) فإنَّ هذا بما لا يحتاج إلى ذكره ^(٤) ، لوجوده وكثرة استعماله له ، فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظنُّ ^(٥) أنَّهُ لَدَى الغِنَاءِ تشغله ^(٦) بمقدار العُشْرِ من لذته ، بل ربَّما لم يخطر له ذلك الغناء على بال .

وعلى أنَّ ذلك الطرب مجتازٌ غير لابت ^(٧) ، وظاعنٌ غير مقيم ، ولذة المتعاشقين راكدة أبداً ^(٨) مقيمة غير ظاعنة .

وعلى أنَّ الغِنَاءَ الحَسَنَ من الوَجْهِ الحسنِ والبَدَنِ الحسنِ ، أحسن ،

(١) ب : « ويلقى » م : « ويقضى » ، صوابها في ط .

(٢) في جميع النسخ : « عليه » تحريف .

(٣) الحضر : بالضم : أصله نحو القرس . ب : « والشَّدُّ خُصْراً » م : « والشَّدُّ خُصْراً » .

وفي ط : « والصُّراخُ عند رؤية الحبيبة » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب : م : « ما لا يحتاج إلى ذكره » .

(٥) ب : م : « فكيف وإن هو خلا بمعشوقه فظن » ، صوابه في ط .

(٦) ب : « يشغل » م : « تشغل » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٧) ب : « ثابت » .

(٨) ب : م : « راكدة لا يد » .

والغناء^(١) الشهى من الوجه الشهى والبدن الشهى أشهى . وكذلك الصوت
الناعم الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة .

وكم بين أن يُفدى إذا شاع فيك الطربُ مملوكك ، وبين أن يفدى
أمتك^(٢) ؟

وكم بين أن يُسمع الغناء من فم تشهى أن تُقبله^(٣) ، وبين
فم تشهى أن تصرف وجهك عنه .

وعلى أن الرجال دخلاء على النساء فى الغناء ، كما رأينا رجالاً
ينوحون ، فصاروا دخلاء على النوائح .

وبعد ، فليما أحسن وأملح^(٤) ، وأشهى وأغنج ، أن يغنيك فحل
ملتف اللحية ، كث العارضين ، أو شيخ منخلع الأسنان ، مغضن
الوجه ، ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورفاء بن زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كل كل خالد فاقبلتُ أسى كالعجول أبادر^(٥)
أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس ، أو كأنها ياسمينه ، أو كأنها
خُرطت من ياقوتة ، أو من فضة مجلوة^(٦) ، بشعر عكاشة بن محصن^(٧) :

(١) ب : ولتى « تحريف ما فى م ، ط .

(٢) كذا وردت « يفدى » بالياء فى جميع النسخ ، ولها وجهها .

(٣) ب ، م : « يشهى أن يقبله » صوابه فى ط .

(٤) ب ، م : « وبعد فليما » ، صوابه فى ط .

(٥) كتابات المرحبان ٣٥ . وانظر الشعر ومقتل زهير بن جذيمة العبسي ، الأغاني .

١٠ : ١١ - ١٥ .

(٦) انظر نحو هذا الكلام لقائمة بن أشرس مع المأمون فى زهر الآداب ٦٠٩ .

(٧) كذا . وعكاشة بن محصن مهايى لم يؤثر عنه شعر . انظر الإصابة ٥٦٢٦ . وإنما الشعر
لعكاشة بن عبد الحميد العبسي البصري ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الهاشمية . وأخوه
أبو الذافر العبسي شاعر أيضاً . وبنو الم : قوم نزلوا بيني وبينهم باليمامة أيام عمر بن الخطاب
فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال لهم الناس : أنتم وإن لم تكونوا من العرب ،
إخواننا وبنو الم ، فغزوا بذلك فصاروا فى جملة العرب .

من كُفَّ جاريةً كأنَّ بَنَاتَها مِن فِضةٍ قد طُرِّقَتْ عُناباً^(١)
وكانَّ يُمنّاها إذا نطقت بِسه أَلَقَتْ على يَدِها الثَّمالِ حساباً^(٢)

٣- فصل منه

فأما الفناء المطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء .
وإنما ينبغي أن تغنى^(٣) بأشعار الغزل والتشبيب^(٤) ، والعشق ،
والصباية بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الأشعار ، ومن شَبَّ الرجال ،
ومن أجلهن تكلفوا القول في النسب^(٥) .

وبعد ، فكلُّ شيء وطبَّقه ، وشكَّله وليفقه ، حتَّى تخرج الأمور
موزونة معلَّلة ، ومتساوية مُخلصة^(٦) .

= وفي التناقص ٢٦٠ أن بي الم ، م مرة بن مالك بن حنظلة . والبيتان بدون نسبة في الأمال
١ : ٢٢٠ وحاسة ابن الشجرى ٢٦٠ ونسباً في الأغاني ٣ : ٧٣ ومسط اللال ٥٢٦ ، وزهر
الآداب ٦٠٩ ونهاية الأرب ٥ : ١١٤ إل عكاشة العمى . ونسباً في المقد ٦ : ٧٤ إل عكاشة بن
الحصين خطأ . وقبلهما في مسط اللال :

هبوا فقد عذب التميم وطايا	والنهر يلهب بالنسيم ذهابا
حشواهل حسن الصبوح فقد نضا	نور الصباح من النجى جلابا
وتبليهما في الأغاني ثلاثة أبيات هي والبيتان خمسة ، في صوت من المائة المختارة :	
ياليلة رحمت لنا الأحبابا	لوشئت دام لنا التميم وطايا
بتنا نسقاها شمولا قرقفا	تدع للصحيح يحمله مرتابا
حراء مثل دم الغزال وثارة	عده المزاج تحالها زربابا

(١) يقال طرفت الجارية بَنَاتِها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . وهذا البيت ساقط

من م .

(٢) في الأمال وابن الشجرى : « نطقت بها » . وفي نهاية الأرب : « نطقت به » كما
هنا . وفي المقد والزهر : « إذا خربت بها » . وفي ب ، م : « على يده الثمال » صوابه في
ط وحاسة ابن الشجرى . وفي جميع النسخ : « حبابا » وصوابه في جميع المراجع . وفي الأمال
والمقد ونهاية الأرب : « تلقى على يدها الثمال » ، وفي زهر الآداب : « تلقى على الكف الثمال » .

(٣) ب فقط : « نغنى » .

(٤) ب ، م : « والتشبيب » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « في التشبيب » .

(٦) ب : « متساوية مخلصة » .

ولو أن رجلاً من آدمت الناس وأشدهم تلخيصاً لكلامه ، ومحاسبة لنفسه^(١) ، ثم جلس مع امرأة لا تُزَنُّ بمنطق^(٢) ، ولا تعزف بحسن حديث^(٣) ، ثم كان يعشقها ، لنتائج بينهما من الأحاديث ، ولتلاقح بينهما^(٤) من المعاني والألفاظ ، ما كان لا يجرى بين دغفل ابن حنظلة^(٥) ، وبين ابن لسان الحمرة^(٦) ، وإنما هذا على قدر تمكن الغزل في الرجل .

٤ - فصل منه

والمرأة أيضاً أرفع حالاً من الرجل في أمور . منها : أنها التي تُخْطَب وتراد ، وتُعشق وتُطلب ، وهي التي تُفقدَى وتُحصى . قال عنبسة بن سعيد^(٨) للحجاج بن يوسف : أيفدَى الأميرُ أهله ؟ . قال : والله إن تعدوني إلا شيطاناً ، والله لربما رأيته أُقبِلَ رجلٌ إحداهن !

(١) م : « ولكلانه ومحاسنه » فقط . وفي جميع النسخ : « محاسنه » بالتون ، والوجه ما أثبت .

(٢) زنه بالغير أو بالمال ، أو بالعلم زنا ، وأزته إزنانا : ظه به . ب . م : « لا يزَنُّ بمنطق » .

(٣) ب ، م : « ولا يعرف بحسن حديث » .

(٤) ب : « ولتلاقح بينهما » . واللى في ط : « ما كان النتائج بينهما من الأحاديث والتلاقح بينهما من المعاني والألفاظ إلا ما كان يجري بين دغفل بن حنظلة » .

(٥) ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة بن يزيد الشيباني القتل للنسابة الخطيب : أدرك الرسول الكريم ولم يسع منه . غرق في يوم دولا ب في قتال الخوارج سنة ٧٠ . الإصابة ٢٣٩٥ وابن التميمي ١٢١ والمعارف ٢٣٢ والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام للدهري ٢ : ٢٨٧ . وانظر أخباره وأقواله في البيان والبيان .

(٦) في جميع النسخ : « وبين بشار بن الحمرة » ، والوجه ما أثبت . وابن لسان الحمرة هذا هو سعيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٢ . وهو أعرابي من بني تميم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المنيرة بن شعبة ، فسأله المنيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، سردها أبو الفرج في الأغاني ١٤ : ١٣٨ .

(٧) ب : « على قدر » ، سوايه في م ، ط .

(٨) هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، كان من جلساء الحجاج ، كما في الاشتقاق ٧٩ وجهرة ابن حزم ٨١

٥ - فصل منه

وَأَتَمَّا يَمْلِكُ الْمَوْلَى مِنْ عِبْدِهِ بَدَنَهُ ، فَأَمَّا قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ .
وَالسُّلْطَانُ نَفْسُهُ وَإِنْ مَلَكَ رِقَابَ الْأُمَّةِ ^(١) ، فَالنَّاسُ يَخْتَلِقُونَ فِي جِهَةِ
الطَّاعَةِ ، فَمَنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ بِالرَّغْبَةِ ، وَمَنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ بِالرَّهْبَةِ ، وَمَنْهُمْ
مَنْ يُطِيعُ بِالْمَحَبَّةِ ، وَمَنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ بِاللَّيَانَةِ .

وهذه الأصناف ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلُهَا طَاعَةُ اللَّيَانَةِ فَإِنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ
مَا لَمْ يَمَازِجْهَا هَوًى لَمْ تَقْوُ ^(٢) عَلَى صَاحِبِهَا قُوَّةَ الْعِشْقِ . وَفِي الْأَثَرِ
الْمُسْتَفْضِي وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : « إِنْ الْهَوَى يُعْمَى وَيُصَمَّ » ، فَالْعِشْقُ يَقْتُلُ .

٦ - فصل منه

وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ النِّسَاءِ أَنَّ الرَّجُلَ يُسْتَحْلِفُ بِاللَّهِ
الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَبِالْمُثْنِي إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، وَبِصِدْقَةِ مَالِهِ ، وَعَتَقِ
رَقِيقِهِ . فَيَسْهَلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ^(٣) ، وَلَا يَأْنُفُ مِنْهُ . فَإِنْ اسْتَحْلَفَ بِطَلَاقِ
أَمْرَأَتِهِ تَرِيدَ وَجْهَهُ ^(٤) ، وَطَارَ الْغَضَبُ فِي دِمَاعِهِ ، وَيَمْتَنِعُ ^(٥) وَيَعِصِي ،
وَيَغْضَبُ وَيَأْبَى ، وَإِنْ كَانَ الْمُحْلِفُ سُلْطَانًا مَهِيْبًا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّهَا ^(٦) ،
وَلَا يَسْتَكْثِرُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ نَفْسُهَا قَبِيحَةَ الْمَنْظَرِ ، دَقِيقَةَ الْحَسَبِ ،
خَفِيفَةَ الصَّدَاقِ ، قَلِيلَةَ النَّسَبِ .

لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ شَأْنِ الزَّوْجَاتِ فِي صُلُورِ الْأَزْوَاجِ ^(٧) .

(١) رِقَابٌ ، سَاقِطَةٌ مِنْ ب .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « لَمْ يَقْوُ » ، وَارْتِجِعِ التَّفسيرَ إِلَى الْحَبَةِ .

(٣) م : « فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ » .

(٤) تَرِيدُ : أَمْرٌ حَرَّةٌ فِيهَا سَوَادٌ عِنْدَ الْغَضَبِ . ب : « تَرِيدُ » م : « يَزِيدُ » ، سَوَابِغًا
فِي ط .

(٥) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَيَمْتَنِعُ » .

(٦) ب : « وَلَمْ يَكُنْ بِحُبِّهَا » .

(٧) ب : « الرِّجَالِ » .

٧ - فصل منه في ذكر الولد

وباب آخر : وهو أننا لو خيّرنا رجلاً بين الفقر^(١) أيام حياته ، وبين أن يكون ممتعاً بالباو أيام حياته ، لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم .

وليس شيء مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده ، أبغى ذكراً ، ولا أجل خطراً^(٢) من أن يكون للرجل ابن يكون وليّ بناته ، وسائر عورة حرمة ، وقاضي دينه ، ومحيي ذكره ، مخلصاً في الدعاء له بعد موته ، وقائماً بعده في كل ما خلفه مقام نفسه .

فمن أقل أسفاً على ما فارق ، ممن خلف كافياً مجرباً ، وحائطاً من وراء المال مؤقراً ، ومن وراء الحرم حامياً ، ولسلفه في الناس محبوباً . وقال رجل لعبد الملك بن مروان ، وقد ذكر ولد له^(٣) : « أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك ! » .

ونظر شيخ وهو عند المهلب إلى بنيهِ قد أقبلوا فقال : « آتس الله بكم لاحتكم ، فوالله إن لم تكونوا أسباط نبوة^(٤) لأنكم أسباط ملحة » .

وليست النعمة في الولد المحيي^(٥) ، والخلف الكافي ، بصغيرة .

(١) ب : « الفقراء » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا أجل خطراً » .

(٣) ب : « ولسفه ذكر ولد له » هذا النص والتحريف . والإكمال والتصحيح من م ، ط ، مع زيادتي لكلمة « وقت » . وفي البيان ٢ : ١٤٥ : « وقال مثنى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه » . عل أن الخبر قد روى في مجالس ثلث ٢٢٧ في قصة دخول الوفود إلى الوليد بن يزيد حين بايع لابنيه الحكم وعثمان .

(٤) ب فقط : « بنوة » بتقديم الباء .

(٥) ب ، م : « المحيي » صوابه في ط . والمراد المحيي لذكر والده .

٨ - فصل منه

وباب آخر : وهو أَنَّ الله تعالى خلق من المرأة ولداً من غير ذكر ، ولم يخلق من الرجل ولداً من غير أنثى . فخص بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح في بطن مريم من غير ذكر .

٩ - فصل منه في ذكر القربات

وأما أنا فإني أقول : إنَّ تباغض الأقرباء عارضٌ دخيل ، وتحابُّهم واطدٌ أصيل ، والسلامة من ذلك أعم ، والتناصر أظهر ، والتصادق في المودة أكثر . فلذلك القبيلة تنزلُ معاً وترحلُ معاً ، وتُحارب من ناوَأها معاً ، إلَّا الشاذُّ النادر ، كخروج غيٍّ وباهلة من غطفان ، وكنزول عيسى في بني عامر ، وما أشبه ذلك ^(١) . ولأجلُ القربة يدٌ واحدة على من ناوَأهم ^(٢) ، وسيفٌ واحد على من عاداهم ^(٣) ، وما صلاحُ شأنِ العشائر إلَّا بتقارب ساداتهم في القدر ، وإنَّ تفاوتوا ^(٤) في الرياسة والفضل ، كما قال ^(٥) في الأثر المستفيض : « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا ، فلإذا تقاربوا هلكوا » .

وحالُ العامة في ذلك كحال الخاصة .

١٠ - فصل منه

وقضية واجبة : أنَّ الناس لا يُصلحهم إلَّا رئيسٌ واحد ، يجمع شملهم ، ويكفيهم ويحميهم من علوهم ، ويمنع قوتهم من ضعفهم .

(١) ذلك ، من ط فقط .

(٢) م : « نلوى لهم » ، تحريف .

(٣) م : « من عادلم » ، تحريف .

(٤) م ، ب : « وإن يتفاوتوا » .

(٥) كذا . والوجه « قيل » .

وقليل له نظام ، أقوى من كثيرٍ نَشَرٍ^(١) لا نظام لهم ، ولا رئيسٍ عليهم .
 إذ قد علم الله^(٢) أنَّ صلاحَ عامةِ البهائم في أن يجعل لكل جنسٍ^(٣) منها
 فحلاً يُورِدها الماء ويصليها ، وتنبهه إلى الكلأ ، كالغَيْر في العانة^(٤) ،
 والفحل من الإبل في الهجمة^(٥) ، وكذلك النحلُ الصَّالة^(٦) ،
 والكراسي^(٧) ، وما يحمي الفرسُ الحصانَ الحُجُورَ في المَروج^(٨) ،
 فجعل منها رموساً متبوعة ، وأذناباً تابعة .

ولو لم يُقيم الله للنَّاسِ الوزعة من السلطان ، والحُمة من الملوك وأهل
 الحياطة عليهم من الأئمة - لعادوا نَشَرًا^(٩) لا نظام لهم ، ومُستكلبين
 لا زاجر لهم ، ولكان من عَزَّ بَزَّ^(١٠) ، ومن قدر قهره ، ولما زال اليُسْر
 راكدًا ، والهَرَج ظاهرًا ، حتَّى يكون التَّغَابُنُ والبَوار^(١١) ، وحتَّى تنطمسَ

(١) النشر ، بالتحريك : القوم المنفردون لا يحسمهم رئيس . وهذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) ط : « الله سبحانه وتعالى » .

(٣) ب : « في كل جنس » .

(٤) العانة : القطيع من حمر الوحش . وانظر لمعر العانة الحيوان ١ : ١١٠ ، ١٩٥ /
 ٧ : ١٤١ . وفي جميع النسخ : « الغابة » ، صوابه ما أثبت .

(٥) في الأصول : « والفحل في الإبل » . وفي ط أيضاً : « والهجمة » ، والوجه
 ما أثبت .

(٦) انظر الحيوان ١ : ١٩ / ٣ : ٣٢٩ / ٥ : ٤١٧ .

(٧) الحيوان ٣ : ٣٢٨ ، ٤٠٦ / ٥ : ٤١٩ .

(٨) الحبور : جمع حجر ، بالكسر ، الفرس الأثني . ويقال في جمعه أحجار وحجارة
 أيضاً . وانظر الحيوان ٧ : ١٤١ .

(٩) انظر الفخر ما سبق قريباً في هذه الصفحة ب : « نَشَرًا » ط : « نَشَرًا » ، صوابهما في م .

(١٠) ب : « من عزَّ يزل غيره » ، صوابه في م ، ط . وانظر جمهرة السكرى ٢ : ٢٨٨
 والفاخر ٨٩ والميداني ٢ : ٢٣٥ والمستقصى ٢ : ٣٥٧ واللسان (يز) . ومنه من غلب
 سلب . قاله جابر بن رلان السقيي لما أقرح للثان يوم يؤسه بينه وبين صاحبيه ، ففرعها
 فخل سيله .

(١١) الثنائين : أن ينين القوم بعضهم بشأ . ب : « الثنائين » ، صوابه في م ، ط .

منهم الآثار ^(١) ؛ ولكانت الأنعام طعاماً للنبع ، وكانت عاجزة عن حماية أنفسها ، جاهلة بكثير من مصالح شأنها .

فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أخرجها إلى الاستمتاع بها ، ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة في صونها والدفاع عنها .

وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوا الدهماء ^(٢) بالجراسة لها ، واللباد عنها ^(٣) ، وبرد قويها عن ضعيفها ^(٤) ، بجاهلها عن عالمها ، وظالمها عن مظلومها ، وسفيعها عن حليمها .

فلولا السائس ضاع المسوس ، ولولا قوة الراعي هلكت الرعية ^(٥) .

١١ - فصل منه

وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الإمام بالإمامة . وبالسلمة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة ، وتكون الألفة ، ويصلح شأن الجماعة . وإذا كانت الجماعة انتهت الأعداء ، وانقطعت الأهواء ^(٦) .

١٢ - فصل منه

ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل : إن النساء فوق الرجال ، أو دونهم بطبيعة أو طبعتين ، أو بأكثر ^(٧) ، ولكننا رأينا ناساً يُزرون عليهم أشد الزرابة ، ويحتقرونهم أشد الاحتقار ، ويبخسونهم أكثر حقوقهم .

(١) ب ، م : « يتلصص » ، وفي ب : « منه الآثار » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب : « أن يحيط الدهماء » ط : « أن يحوطها » م : « أن يحوط الدهماء » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصول : « واللبادة ضها » ، صوابه ما أثبت : واللباد ولقود : الدفاع .

(٤) ب : « وتردد » ، م ، ط : « ورد » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ب : « هلكت الرعية » .

(٦) ب ، م : « وانقطع الأهواء » .

(٧) ب ، م : « إلا بأكثر » ، صوابه في ط .

وإن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال ، فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن .

ولولا أن ناساً يفخرون بالجلد وقوة المنة ، وانصراف النفس عن حب النساء ، حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمنته ، وزوجته وولده ، دليلاً على الضعف ، وباباً من الخور ، لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب .

١٣ - فصل منه

كما نحب أن يخرج هذا الكتاب تاماً ، ويكون للأشكال الداخلية فيه جامعاً ، وهو القول فيها للذكور والإناث في عامة أصناف الحيوان ، وما أمكن من ذلك ، حتى يحصل ما لكل جنس منها^(١) من الخصائص المحمودة والممومة . ثم يُجمع بين المحاسن منها والمساوى ، حتى يستبين لقارئ الكتاب نقصان المفضل من رجحان الفاضل ، بما جاء في ذلك من الكتاب الناطق ، والخبر الصادق ، والشاهد القدل ، والمثل السائر . حتى يكون الكتاب عربياً أعرابياً ، وسنياً جماعياً ، وحتى يُجنب^(٢) فيه العويص والطرق المتوعدة ، والألفاظ المستنكرة ، وتلزيق المتكلفين^(٣) ، وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين ، حتى نظرنا^(٤) لمن لا يعلم مقادير ما استخرتها الله من المنافع ، وغشاها من البرهانات^(٥) ، وألزمها من الدلالة عليه ، وأنطقها به من الحجة له .

(١) منها ، ساقطة من م ، ط .

(٢) ب : « وحتى يوجب » صوابه في م ، ط .

(٣) في السان : « الملقق - بتشديد الزاي - : الشيء ليس بالحكم » .

(٤) ب ، م : « نظر » ط : « نظرا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ط فقط : « البراهين » .

فمنع من ذلك فرط الكِبَرَةِ^(١) ، وإفراط العِلَّةِ ، وضعفُ المُنَّةِ ،
وانحلال القوة .

فلما^(٢) وافق هذا الكتابُ منَّا هذه الحال ، وألقى^(٣) قلوبنا على هذه
الأشغال ، اجتنبنا أن نقصد من جميع ذلك إلى فرق ما بين الرجل
والمرأة .

فلما اعتزنا على ما ابتدأنا به وجلناه قد اشتمل على أبواب يكثر
عدها ، وتبعد غايتها ، فرأينا ، والله الموفق ، أن نقتصر منه^(٤) على
ما لا يبلغُ بالاستمع إلى السَّامةِ ، وبالمألوف إلى مجاوزة القدر .

وليس ينبغي لكُتُبُ الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على
الجِدِّ الصَّرف ، وعلى العَقْلِ المحض ، وعلى الحقِّ المُرِّ ، وعلى المعاني
الصعبة ، التي تستكيدُ النفوس ، وتستفرغُ المجهود .

وللصبر غاية ، وللاحتمال نهاية .

ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحاً ببعض المزَل . وعلى أن الكتاب
إذا كثُر هزله سَخِف ، كما أنه إذا كثُر جِلُّه ثَقُل .

ولا بدُّ للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط القارئ ، ويُنْفِي
التعاس عن المستمع . فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا ، فليطمئن
أن فصلنا في ذلك إنما كان على جهة الاستدعاء لقلبه ، والاستمالة
لسمعه ويَصَره . والله تعالى نسأل التوفيق .

(١) في جميع الأصول : « الكِبَرَةُ » ، وجهه ما أثبت .

(٢) ب ، م : « فلما » .

(٣) في جميع الأصول : « وألقى » بالفتح .

(٤) ب : « أن أقصر منه » .

١٤ - فصل منه في ذكر العشق

ورجلان من الناس لا يَعشِقَانِ عِشْقَ الْأَعْرَابِ :

أَحَدُهُمَا الْفَقِيرُ الْمُدْفِعُ ، فَإِنَّ قَلْبَهُ يُشْغَلُ عَنِ التَّوَعُّلِ فِيهِ وَبِلَوْغِ أَقْصَاهُ .

وَالْمَلِكُ الضَّعِيفُ الشَّانُ ، لِأَنَّ فِي الرِّيَاسَةِ الْكِبَرَى ، وَفِي جَوَازِ الْأَمْرِ وَتَفَاقُهِ النَّهْيِ ، وَفِي مِلْكِهِ رِقَابَ الْأُمَمِ ، مَا يَشْغَلُ شَطْرَ قُوَى الْعَقْلِ عَنِ التَّوَعُّلِ فِي الْحُبِّ ، وَالْإِحْرَاقِ فِي الْعِشْقِ .

١٥ - فصل منه

كثيراً ما يعتري العشاق والمحبين غير المُحترقين^(١) ، كالرجل تكون له^(٢) جارية وقد حطت من قلبه محلاً ، وتمكنت منه تمكناً ، ولا يبحث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض ، وكثرة التأذي بالخلاف يكون منها ، فيجد^(٣) الفترة عنها^(٤) في [بعض هذه الحالات التي تعرض ، فيظن أنه قد سلا ، أو يظن أنه في عزائه عنها^(٥) على فقدتها مُحْتَمِلاً ، فيبيعها^(٦) إن كانت أمة ، أو يطلقها^(٧) إن كانت زوجة ، فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول ، وذلك الأذى أن ينسى ، فتتحرك له اللفاتن^(٨) ، ويثير ذلك الغرض ، فيتبعها قلبه ، فإما أن يسترجع

(١) ب : « المحترقين » بالفاء .

(٢) ب : م : « لا يحب » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « فيوجد » .

(٤) ليست في الأصول .

(٥) ط : « فتنان » و « أو تظن أنه » ، صوابه في ب ، م . والمزاد : الصبر . ب :

« في غواية عنها » م ، ط : « في عزائه عنها » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م ، ط : « يبيعها » ، صوابه في ب .

(٧) م ، ط : « أو طلقها » .

(٨) ب : « فيترك له اللفاتن » .

الأمّة من مُبتاعها ، بأضعافِ ثمنها ، أو يسترجع الزوجة بعد أن نُكِحَتْ . فإنْ تَصَبَّرَ وأمكنه الصَّبْرُ لم يَزَلْ مُعْلَبًا ، وإنْ أَطَاعَ هَوَاهُ واحتمل المكروه فهذا هو التَّقَابِيلُ والتَّنَكُّسُ ^(١) .

فليحذر الحازمُ الفترة في حبِّ حبيبه ، والغضبة التي تُنسيه عواقبَ أمره .

١٦ - فصل منه

قال إبراهيم بن السُّنْدِي ^(٢) : حدثني عبد الملك بن صالح ^(٣) قال :
 بينا عيسى بن موسى ^(٤) قد خَلَا بنفسه ^(٥) ، وهو قد كان
 استكثر من النساء حتى انقطع ، إذ مرّت به جارية ^(٦) كأنّها جانٌّ ،
 وكأنّها جَدَلُ عِنان ^(٧) ، وكأنّها جُمارة ، وكأنّها قَصِيبُ فِصّة ، فتحرّكت
 نفسه ، وخاف أن تحلّله قوّته ، ثم طمع في القوّة ^(٨) لطول التّرك ،
 واجتماع الماء ، فلما صرّعها ، وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله
 لو عجز كيف يكون حاله ^(٩) ؟ فلما فكّر فتر ، فأقبلَ كالمخاطب لنفسه
 فقال : إنلّك لتجلسني هذا المجلس ، وتحمليني على هذا المركب ، ثم

(١) التقابيل : بقايا الملة والمثق والمرض ، الواحد عقبول وعقبولة . والتكس ،
 بالضم : هود المرض بعد النّقه . وفي الأصول : « التقابيل » ولا وجه له .

(٢) إبراهيم بن السُّنْدِي سبقت ترجمته في ص ٦٠ . ب : « بن السُّنْدِي » م ، ط : « بن
 السُّنْدِي » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) انظر البيان والتبيين ١ : ٣٣٤ .

(٤) هو عيسى بن موسى بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة الباسين وقوادم .
 وأبوه موسى هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٥) ب ، م : « قد خلى بنفسه » تحريف .

(٦) ب : « إذ مرّت جارية » .

(٧) لى عنان مجنول . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجلاحظ ٢ : ١٢١ .

(٨) ط : « في لقوة » .

(٩) ب : « عن عجز كيف يكون حاله » ، تحريف .

تَحَذِلْنِي هَذَا الْخِذْلَانِ^(١) وَتُغَشِّينِي مِثْلَ هَذَا الدَّلِّ ، وَلَوْلَا حَيْرَةُ الْخَيْلِ^(٢) لَمْ أَسْتَعْمَلْ مَا لَا يَقْتُلُ ! وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ رَأَى أَنَّ أَبْلَغَ الْحَيْلِ فِي تَوْهِيمِهَا أَنَّ الْعَجْزَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يَقُولَ لَهَا : تَعَرَّضِينَ لِي وَأَنْتِ تَفْعَلُ ، ثُمَّ لَا تُرْخِصِينَ بَادِيكَ^(٣) ، وَلَا تَسْتَهْلِفِينَ لِسِيْلَكَ ، وَلَا تُعَيِّنِينَ عَلَى نَفْسِكَ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عِنْدَ عَبْدٍ يُشْبِهُكَ ، أَوْ سُوقَةٍ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى مِثْلِكَ^(٤) . أَمَّا لَوْ كُنْتُ^(٥) مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الْعَجَمِ لَأَلْفَاكَ سَيْدُكَ عَلَى أَجْوَدِ صِنْعَةٍ ، وَعَلَى أَحْسَنِ طَاعَةٍ ، إِذْ كُلُّ رَجُلٍ يَنْبَسِطُ لِلتَّمَتُّعِ مَعَ الثَّقَلِ^(٦) .

١٧ - فصل منه

وَلَمْ أَسْمَعْ وَلَمْ أَقْرَأْ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْلُودَةِ ، فِي شَأْنِ الْمُسْأَقِ ، وَمَا صَنَعَ الْعَشَقُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ وَالْأَحْشَاءِ ، وَالزُّفَرَاتِ وَالْحَنِينِ ، وَفِي التَّذْلِيلِ وَالتَّوَلُّيَةِ^(٧) ، فَتَى تَسْتَعْرِ النَّمْعَةَ^(٨) ، وَمَتَى يُورِثُ الْعَيْنَ الْجُمُودَ^(٩) .

(١) ب م : « لَجَلَسْنِي » و « وَتَحَمَلْنِي » ، و « تَحْطَلْنِي » ، وَالصَّوَابُ فِي ط . وَاجْتِنَاعُ نَوْنِ الرَّفْعِ مَعَ نَوْنِ الْوَقَايَةِ يَجُوزُ فِيهِ حَذْفُ أَحَدِهِمَا أَوْ إِبْقَاؤُهُمَا مَعًا مَعَ الْفَتْحِ ، وَمَعَ الْإِدْغَامِ ، كَمَا فِي الْمَثْنِ ٣٨٠ . قَالَ : « وَنَحْوُ تَأْمُرُونِي بِجُوزٍ فِيهِ الْفَتْحُ ، وَالْإِدْغَامُ ، وَالتَّلَاقُ بِنَوْنٍ وَاحِدَةٍ » .

(٢) ب م : « خَيْرَةُ الْجَيْلِ » بِالْهَاءِ الْمَجْسُومَةِ ، تَحْرِيفٌ .
(٣) الْإِدَادَانِ : بِأَمَّا الْقَطْعَيْنِ ، وَمَا بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ ، وَمَتَى قَوْلُ الْفَتْحَاءِ بِنَتْ مَسْجُلٌ : « إِنْ لَأَرْخِيَنَّكَ بَادِيٌّ » . الْإِسَانُ (بِدَدْ ٤٦) . ب : « لَا تُرْخِصِينَ » بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، ط م : « لَا تُرْجِصِينَ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ . وَفِي ط . أَيْضًا « بَادِيَّكَ » ، صَوَابُهُ فِي ب م .
(٤) ب : « حَلَّ مُلْكِكَ » م : « حَلَّ مَلِكٍ » ، صَوَابُهُمَا فِي ط .

(٥) لَوْ ، سَاقِطَةٌ مِنْ ب م .
(٦) ب : « يَبْسُطُ » م : « تَبْسُطُ » ، صَوَابُهُمَا فِي ط . وَفِي ب أَيْضًا : « مَعَ الثَّقَلِ » . وَفِي ط : « لِلتَّمَتُّعِ » ، تَحْرِيفَانِ .

(٧) دَلَّهِ الْمُبْتَغَى تَذْلِيلًا : حَيْرَهُ وَأَدْعَاهُ ، فَهَرِ مَدْلَهُ . وَكَلَّمَا وَلَهُ تَوَلَّيَا : حَيْرَهُ وَأَذْعَبَ عَقْلَهُ . وَفِي م ط : « التَّذْلِيلُ وَالتَّوَلُّيَةُ » ، صَوَابُهُمَا فِي ب .

(٨) فِي جَمِيعِ الْأَسْوَالِ : « وَمَتَى » ، وَالْوَجْهُ حَذْفُ الْوَاوِ . وَفِي ب فَقَطْ : « النَّعْمَةُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٩) جُودُ الْبَيْنِ : قَلَّةُ دَمْعِهَا . ب م : « مَتَى يُورِثُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ . وَفِي ط : « وَمَتَى يَمُوتُ » .

١٨ - فصل منه

ونحن وإن رأينا أنَّ فَضْلَ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، فِي جُمْلَةِ الْقَوْلِ فِي
الرُّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، أَكْثَرَ وَأَظْهَرَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَقْصُرَ فِي حَقِّقِ
الْمَرْأَةِ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَظَّمَ حَقِّقِ الْآبَاءِ أَنْ يَصْغُرَ حَقِّقِ الْأُمَّهَاتِ ،
وَكَذَلِكَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ . وَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرَى
أَنَّ حَقَّ هَذَا أَعْظَمُ فَإِنَّ هَذِهِ أَرْحَمُ .

١٩ - فصل من احتجاجه للإمام^(١)

قَالَ بَعْضُ مَنْ احْتَجَّ لِلْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صَارَ أَكْثَرُ الْإِمَاءِ أَحْطَى
عِنْدَ الرُّجَالِ مِنْ أَكْثَرِ الْمُهْبِرَاتِ^(٢) : أَنَّ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الْأَمَّةَ قَدْ
تَأَمَّلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا وَعَرَفَهُ ، مَا خَلَا حُطُوءَ الْخَلُوءِ ، فَأَقْدَمَ^(٣) عَلَى
ابْتِياعِهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا بِالْمُؤَافَقَةِ . وَالْحُرَّةُ إِنَّمَا يُسْتَشَارُ فِي جَمَالِهَا النَّسَاءُ ،
وَالنِّسَاءُ لَا يُبْصِرُونَ مِنْ جَمَالِ النِّسَاءِ وَحَاجَاتِ الرُّجَالِ وَمُؤَافَقَتِهِنَّ قَلِيلًا
وَلَا كَثِيرًا . وَالرُّجَالُ بِالنِّسَاءِ أَبْصَرَ . وَإِنَّمَا تَعْرِفُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْمَرْأَةِ
ظَاهِرَ الصِّفَةِ ، وَأَمَّا^(٤) الْخَصَائِصُ الَّتِي تَقَعُ بِمُؤَافَقَةِ الرُّجَالِ فَإِنَّهَا
لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ .

وَقَدْ تُحْسِنُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَقُولَ : كَانَ أَنْفَهَا السَّيْفُ ، وَكَانَ عَيْنُهَا عَيْنُ
غَزَالٍ ، وَكَانَ عُنُقُهَا إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ ، وَكَانَ سَاقُهَا جُمَارَةً^(٥) ، وَكَانَ شَعْرُهَا

(١) م فقط : « فِي الْإِمَاءِ » .

(٢) المهيبة : الَّتِي تَطْلِي الْمُهْرَ مِنَ الْحَرَائِرِ .

(٣) ب فقط : « فَاقْدَمَ » .

(٤) ب : « فَأَمَّا » .

(٥) ب فقط : « وَكَانَتْ » . وَالْجَارُ : شَجَرُ النَّخْلِ ، تَشَبَّهَ بِهِ السَّاقُ فِي الْبَيْنِ وَالْيَبَاسِ .

وَفِي الْحَدِيثِ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَاقِهَا فَيُغْرِزُهُ كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ » .

العناقيد، وكان أطرافها المدارى^(١)، وما أشبه ذلك :

وهناك^(٢) أسباب أخر بها يكون الحب والبغض .

٢٥ - فصل منه

وقد علم الشاعر وعرف الواصف ، أن الجارية الفائقة الحسن
أحسن من الظبية ، وأحسن من البقرة ، وأحسن من كل شيء تشبه به ،
ولكنهم إذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجلبون .

ويقول بعضهم : كأنها الشمس ، وكأنها القمر ! والشمس وإن
كانت هيئة فلانما هي شيء واحد ، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها
ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب .

ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة ، وأن
جيدها أحسن من جيد الظبية ، والأمر^(٣) فيما بينهما متفاوت ، ولكنهم
لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم .

٢٦ - فصل منه

ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء^(٤) ، الذين هم
جهابذة هذا الأمر ، يقلعون المجنولة^(٥) ، والمجنولة من النساء تكون
في منزلة بين السمينية والمشوقة .

ولا بد من جودة القد ، وحسن الخط ، واعتدال المنكبين ،

(١) أطرافها ، أى أطراف أصابعها . والمدارى بكسر الراء وقصها : جمع مدرى
ومدرة ، وهى شيء يعمل من حديد أو خشب على هيئة من من أسنان المشط . تشبه به فى القوة .

(٢) ب : « هناك » يلبون واو .

(٣) الواو ساقطة من ب .

(٤) ب : « لجواهر النساء » .

(٥) ب ، م : « المجنولة » . فى هذا الموضع وتاليه ، تصحيف .

واستواء الظَّهر ، ولا بدُّ من أن تكون كاسية العظام ، بين المثلثة والقَصِيْفَة .

ولنَّما يريدون بقولهم : مجلولة^(١) ، جودة العَصَب ، وقِلَّة الاسترخاء ، وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول .

وكذلك قالوا : حُمصانة وسيِّفانة^(٢) ، وكأنَّها جانُّ ، وكأنَّها جدل عِنان^(٣) ، وكأنَّها قَصِيْبٌ خَيْرُ ران .

والثَّنى في مَشِيها أَحْسَنُ ما فيها ، ولا يمكن ذلك الضَّخمة والسَّمينَة ، وذات الفضول والزوائد .

على أنَّ النُّحافة في المجلولة^(٤) أعمُّ ، وهى بهذا المعنى أعرف^(٥) ، تُحِبُّ على السَّمان الضَّخام^(٦) ، وعلى المشقوقات والقِصاف^(٧) ، كما يَحِبُّ هذه الأصناف على المجلولات^(٨) .

ووصفوا المجلولة بالكلام^(٩) المنثور فقالوا : «أعلاها قَصِيْب ، وأسفلها كَثِيْب» .

(١) ب ، م : « مجلولة » ، تصحيف ما في ط .

(٢) الحمصانة ، بفتح الحاء وضمة الميم : الضامرة البطن . والسيِّفانة : الطويلة المشوقة الضامرة . ب : « حصانه » ، صوابه في م ، ط . وفي ط : « سيقانة » ، صوابه بالقاء كما في ب ، م .

(٣) انظر الحاشية ٧ من ص ١٥٥ .

(٤) ب ، م : « المجلولة » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب في ط .

(٥) بدلما في جميع النسخ : « ولم أر المجلولة أعم وهى بهذا المعنى أعرف » ، وهو تكرار لما سبق .

(٦) ب ، م : « تجيب على أصحاب السمان الضخام » ، وأثبت ما في ط .

(٧) القَصِيْفَة : الدقيقة النحيبة لا عن هزال . ب ، م : « أصحاب المشقوقات والقِصاف » .

(٨) ب : « كما يَحِبُّ » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي ب ، م أيضاً : « أصناف المجلولات » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « المجزولة » م : « المجلولة » ، صوابه في ط .

من رسالة في
مناقب الترك وعامة جُند الخلافة

فصل من صلح رسالته إلى الفتح بن خاقان^(١)
في مناقب الترك وعامة جند الخلافة^(٢)

وَقَفَّكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ^(٣) ، وَأَعَانَ عَلَى شُكْرِكَ^(٤) ، وَأَصْلَحَكَ وَأَصْلَحَ
عَلَى يَدَيْكَ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكَ مَنْ يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيُؤَثِّرُهُ ، وَيَحْتَمِلُ
مَا فِيهِ مِمَّا قَدْ بَصُدُّ عَنْهُ^(٥) ، وَلَا يَكُونُ حَقُّهُ مِنْهُ^(٦) الْوَصْفَ لَهُ ،
وَالْمَعْرِفَةَ بِهِ ، دُونَ الْحَثِّ عَلَيْهِ ، وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ ، وَكَشَفِ الْقِنَاعِ فِيهِ^(٧) ،
وإِصْالَهُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَحَافِظَةِ فِي أَنْ لَا يَصِلَ إِلَى غَيْرِهِمْ ،
وَالْتَّئِبَتِ فِي تَحْقِيقِهِ لِبِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعَلِّمِ النَّاسَ لِيَكُونُوا عَالِمِينَ
دُونَ أَنْ يَكُونُوا عَامِلِينَ ، وَإِنَّمَا عَلَّمَهُمْ لِيَعْمَلُوا^(٨) ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ لِيَتَّقُوا^(٩) التَّوَرُطَ
فِي وَسْطِ الْخَوْفِ ، وَالْوُقُوعَ فِي الْمَضَارِّ ، وَالتَّوَسُّطَ فِي الْمَهَالِكِ . فَلِذَلِكَ
طَلَبَ النَّاسُ التَّبَيَّنَ^(١٠) .

(١) الفتح بن خاقان هذا هو وزير المتوكل العباسي . وكان أديباً شاعراً فصيحاً بارح اللكاه .
وكانت له خزائن كتب حافلة ، وله مؤلفات منها : كتاب اختلاف الملوك ، وكتاب الضيد
والجارح ، وكتاب الروضة والزهر . وتقل مع المتوكل سنة ٣٤٧ .

وهو غير الفتح بن محمد عبيد الله بن خاقان ، صاحب قلائد البقيان . انظر فهرست ابن النديم
١٦٩ - ١٧٠ وفوات الوفيات ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) نشرت كاملة في لينن ١٩٠٣ م بمثابة فان فلون ، كما نشرها الساسي في مجموع رسائله
سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٧ م . كما نشرت في رسائل الجاحظ بتحقيق سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .
وقد رمزت للأولى هنا بالرمز (ن) والثانية بالرمز (م) .

(٣) في جميع الأصول : « وأرشدك » ، وأثبت ما في ميج والرسائل ١ : هارون .

(٤) ط ، م : « وأعانك على شكره » .

(٥) ب : « يصدر عنه » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي ميج والرسائل : « ما قد يصدر عنه » .

(٦) منه ، ساقطة من الأصول ، ثابتة في ميج والرسائل .

(٧) ميج فقط : « عنه » .

(٨) ب ، ط : « ليعلموا » ، صوابه في سائر النسخ .

(٩) ب : « ليتقوا » صوابه في م ، ط والرسائل . ويبد هذه الكلمة في ميج فقط :

« ولغوف الوقوع في المضار ، والتورط في المهالك ، طلب الناس التبين » .

(١٠) م ، ط فقط : « التبين » .

ولحبِّ السَّلامة من المَلَكَةِ ، والرَّغبة في النِّفْعَةِ احتملوا^(١) ثِقَلَ
التَّعلم ، وتَعَجَّلُوا مَكْرُوهُ الثَّعْلَةِ^(٢) .

وَلَقَلَّةُ الْعَامِلِينَ وَكَثْرَةُ الْوَاصِفِينَ قَالَ الْأَوَّلُونَ : الْعَارِفُونَ أَكْثَرُ
مِنَ الْوَاصِفِينَ ، وَالْوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْعَامِلِينَ .

وَلِإِنَّمَا كَثُرَتِ الصِّفَاتُ وَقَلَّتِ الْمَوْصُوفَاتُ لِأَنَّ ثَوَابَ الْعَمَلِ مُؤَجَّلٌ ،
وَاحْتِمَالٌ مَا فِيهِ مَعْجَلٌ .

وَقَدْ أَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ شَغَفِكَ^(٣) بِطَاعَةِ إِمَامِكَ ، وَاحْتِجَاجِكَ
لِتَلْبِيرِ خَلِيفَتِكَ ، وَإِشْفَاقِكَ مِنْ كُلِّ خَطَلٍ يَدْخُلُهُ وَإِنْ دَقٌّ ، وَنَالَ
سُلْطَانَهُ^(٤) وَإِنْ صَغُرَ ، وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَالَفَ هَوَاهُ وَإِنْ خَفِيَ مَكَانُهُ ،
وَجَانَبَ رِضَاهُ وَإِنْ قَلَّ ضَرَرُهُ . وَمِنْ تَخَوُّفِكَ^(٥) أَنْ يَجِدَ^(٦) الْمَتَأَوَّلَ إِلَيْهِ
مَنْطَرِقًا ، وَالْعَدُوَّ عَلَيْهِ مُتَحَلِّقًا ؛ فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَنْفَكُ مِنْ مَتَأَوِّلٍ نَاقِمٍ ،
وَمِنْ مُحَكِّمٍ عَلَيْهِ سَاطِطٍ ، وَمِنْ مَعزُولٍ^(٧) عَنِ الْحَكْمِ زَارٍ ، وَمِنْ مَتَعَطِّلٍ
مُتَصَفِّحٍ ، وَمِنْ مُعْجَبٍ بِرَأْيِهِ ، ذِي خَطَلٍ فِي بَيَانِهِ ، مُوَلِّعٍ بِتَهْجِينِ
الصُّوَابِ ، وَبِالاعتراض على التَّدْبِيرِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ رَائِدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ ،
وَوَكِيلٌ لِسُكَّانِ جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ ؛ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي مَوَاضِعِ الرُّقْبَاءِ ، وَفِي
مَوَاضِعِ التَّصَفُّحِ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ . لَا يَعْلِيْزُ وَإِنْ كَانَ مَجَازُ الْعُمَرِ
ظَاهِرًا ، وَلَا يَقِفُ فِيمَا يَكُونُ لِلشُّكِّ مُحْتَمِلًا ، وَلَا يَصْدُقُ بِأَنَّ الشَّاهِدَ

(١) ب فقط : « احتمل » .

(٢) مع والرسائل : « مكروه المعاناة » .

(٣) ب فقط : « شغفك » .

(٤) ط فقط : « ونول سلطانه » .

(٥) ب ، م : « وإن تخوفك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) في جميع الأصول : « أن يجد » ، صوابه في مع والرسائل .

(٧) مع والرسائل : « معزول » ، بالدال ، وله وجهه .

يرى ما لا يرى الغائب ، وأنه لا يعرف مصادر الرأي من لم يشهد موارده ، ومُستَلَبَرَه من لم يعرف مُستَقْبَلَه .

ومن محروم قد أضعفه الحرمان ، ومن لثيم قد أفسده الإحسان ، ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه ، وهو لجهله بقدره ، ولضييق ذريعه ، وقلة شكره ، يظن أن الذي بقي له أكثر ، ولحقه أوجب .

ومن مستزيد لو ارتجع السلطان سالف أياديه البيضي عنده ، ونعمته السالفة عليه ، لكان^(١) لذلك أهلاً ، وله مستحقاً . قد غره الأمل^(٢) ، وأبطره ذوام الكفاية ، وأفسده طول الفراغ .

ومن صاحب فتنة^(٣) خامل في الجماعة ، رئيس في الفرقة نفاق في الهرج ، قد أقصاه عز السلطان^(٤) ، وأقام صفوه ثقاف الأدب^(٥) ، وأذله الحكم بالحق^(٦) ، فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع^(٧) ، ولا يتشفق بغير الإرجاف ، ولا يستريح إلا إلى الأمان^(٨) ، ولا يأنس إلا بكل مرجف كذاب ، ومفتون مرتاب ، وخارص لا خير فيه ، وخالف لا غناء عنده ، يريد أن يسوئ بالكفاة ، ويرقع فوق الحماة ، لأمر ما سلف^(٩) له ، ولا إحسان كان من غيره^(١٠) ، وليس ممن يرب قديم مجد^(١١) ، ولا يحفل

(١) ب ، م : « ولكن » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) ب ، م : « ورسائل الجاحظ : » الإلهاء .

(٣) ط : « لفتنة » .

(٤) وكذا في م . وفي رسائل الجاحظ : « قد أقصاه السلطان » .

(٥) الصفوة ، بالكسر والفتح : الميل . وفي جميع النسخ : « صفوه » ، صوابه في م .

(٦) ب ، م : « العلم بالحق » وفي ط « الجهل بالحق » ، صوابها في م ورسائل الجاحظ .

(٧) ب : « التشنيع » ، صوابه في م ، ط ، م : « ورسائل الجاحظ .

(٨) ب : « إلا بالأمان » .

(٩) ب : « لا يسلف له » م ، ط : « لا أب سلف له » ، صوابها في رسائل الجاحظ .

وفي م : « الأمر سلف له .

(١٠) ط فقط : « وإحسان كان من غيره » .

(١١) ط : « يرب قديم مجد » . م : « ورسائل الجاحظ : » يرب قديم حديث .

بُدروس شرف^(١) ، ولا يَفْصِلُ بين ثواب [المحتسبين ، وبين الحفظ
لأبناء^(٢)] الْمُحْسِنِينَ .

وكيف يعرف فَرَقَ ما بين حَقِّ اللِّثَامِ^(٣) وثَوَابِ الكِفَايَةِ مَنْ
لا يعرف طبقاتِ الحقِّ في مراتبه ، ولا يَفْصِلُ بين طبقاتِ الباطل^(٤)
في منازلِهِ .

ثم اعلم^(٥) بعد ذلك أَنَّكَ بِنَفْسِكَ بدأتَ في تعظيمِ إمامك ، والحفظِ
لمناقبِ أنصارِ خليفتك^(٦) ، وإيَّاهَا حُطَّتْ بِحِيَاظَتِكَ^(٧) لِأَشْيَاعِهِ ،
واحتجَّاجُكَ لِأَوْلِيَائِهِ ، ونعم العون أنت ، إن شاء الله ، على ملازمةِ الطَّاعَةِ ،
والموازنةِ على الخير^(٨) ، والكفايةِ لِأَهْلِ الحقِّ .

وقد استدللتُ بالذي أرى من شدةِ عِنايتِكَ^(٩) وفَرَطِ اكترائك ،
وتَفَقُّدِكَ لِأَجْناسِ الأَعْدَاءِ^(١٠) ، ويحُثُّكَ عن مناقبِ الأَوْلِيَاءِ - على أَنَّ
ما ظَهَرَ مِنْ نُصْحِكَ أُمَّمٍ فِي جَنْبِ ما بَطَّنَ مِنْ إِخْلَاصِكَ^(١١) . فَأَمْتَع

(١) ط : « ولا يحفل به دعوس شرقا » صوابه في سائر النسخ .

(٢) التكلفة من مع والرسائل .

(٣) اللثام ، بكسر اللام : الحق والحرمة ، وكل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة .

ب : « فوق ما بين حق الزمام » ، تحريف .

(٤) ب فقط : « الميطل » ، تحريف .

(٥) مع والرسائل : « ثم أعلمني » .

(٦) ب : « والحفظ بمناقب أنصار خليفتك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) في الأصول : « لحياطتك » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٨) ب فقط : « والموازنة » ، تحريف .

(٩) م ، ساقطة من ب ، م . وكلية « شدة » من مع والرسائل .

(١٠) في الأصول : « ولتفتك » ، صوابه في مع والرسائل . وفي مع والرسائل :

« لأخاير الأعداء » . والأخاير : جمع جمع القهر ، كما في اللسان .

(١١) الأم : اليسير . وأشد ياقوت في معجم البلدان :

تسأني برامتين سلجسسا يا هند لو سألت شيئا أما

جاء به الكرى أو تيهما

الله بك خليفته ، وَمَتَحْنَا وَإِيَّاكَ مَحَبَّتَهُ ، وَأَعَاذْنَا وَإِيَّاكَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ ،
والتَّقَرُّبِ بِالْبَاطِلِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، فَعَالَ لِمَا يَرِيدُ .

وذكرت أَنَّكَ جَالِسَتْ أَخْلَاطاً مِنْ جُنْدِ الْخِلَافَةِ ، وَجَمَاعَاتٍ مِنْ
أَبْنَاءِ الدَّعْوَةِ ، وَشِوْخاً مِنْ جِلَّةِ الشُّعْبَةِ^(١) ، وَكُھُولاً مِنْ أَبْنَاءِ رِجَالِ
الدَّوْلَةِ ، الْمُنْسَوِّبِينَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ ، وَمَحَبَّةِ الدُّنْيُونَةِ^(٢)
دُونَ مَحَبَّةِ الرُّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ عُرْضِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ^(٣)
ارْتَجَلَ الْكَلَامَ ارْتِجَالًا مُسْتَبِدًّا ، وَتَفَرَّدَ بِهِ تَفَرُّدًا مُعْجَبًا ، وَأَنَّهُ تَحَسَّفَ
الْمَعَالِي وَتَهَجَّمَ عَلَى الْأَلْفَاظِ^(٤) فَرَعِمَ أَنَّ جُنْدَ الْخِلَافَةِ الْيَوْمَ عَلَى خَمْسَةِ
أَقْسَامٍ : خُرَاسَانِيٍّ ، وَتُرْكِيٍّ ، وَمَوَلِيٍّ ، وَعَرَبِيٍّ ، وَبَنَوِيٍّ^(٥) ، وَأَنَّهُ أَكْثَرَ حَمْدَ
اللَّهِ وَشُكْرَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَمِنْتَه ، وَعَلَى جَمِيعِ آيَادِيهِ ، وَسَبَّوْغِ نِعَمِهِ^(٦) ،
وَعَلَى شُمُولِ عَاقِبَتِهِ ، وَجَزِيلِ مَوَاهِبِهِ ، حِينَ أَلَّفَ عَلَى الطَّاعَةِ هَذِهِ

(١) الجملة : جمع جليل ، وهو ذو الخطر والثأان . وفي الأصول : « من جملة الشيعة » ،
وأثبت ما في مسج والرسائل .

(٢) الدينونة : الطاعة ، من الدين بالكسر . وهذا ما في م . وفي ب : « ومحبة الدينوية » ،
وفي ط والرسائل : « والهمة الدينية » . وفي مسج : « والمناصرة الدينية . والدينونة لم ترد في
المعاجم المتداولة . وفي اللسان (كون) : « قال القراء : العرب تقول في ذوات الياه ما يشبه
زغت وصرت : طرت طيرة » ، وحلت حيلولة ، فيما لا يحصى من هذا الضرب .

فأما ذوات الواو مثل قلت ورضت فإنهم لا يقولون ذلك . وقد آق عنهم في أربعة أحرف ،
منها للكينونة من كنت ، والديمومة من مدت ، والمينونة من المواء ، والسيلودة من سدت .

(٣) ب : م : « الجملة » ، وأثبت ما في ط ومسج والرسائل . وبمنه فهما : « ومن
حاشية تلك الجملة » .

(٤) في جميع الأصول : « وتهجّم » بالكاف ، صوابه في مسج والرسائل .

(٥) البنى : نسبة إلى واحد الأبناء . ويقال أيضاً « أبناءى » نسبة إلى الجمع ، وهم قوم
أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى الرن حين جاء يستعجده على الحيشة ، فنصروه وملكوا اليمن
وتديروها ، وتزوجوا في العرب فليل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم
من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) والتنبيه والإشرف ٤٢١ . ويبدو أن جميع الذين اجتنبهم
الحروب من القرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء . وفي جميع الأصول :
« وبنوى » ، صوابه في مسج والرسائل .

(٦) مسج والرسائل : « وسايغ نسه » .

القلوب المختلفة، والأجناس المتباينة، والأهواء المتفرقة، وأنتك اعترضت على هذا المتكلم المستبد، وعلى هذا القائل المتكلف الذي قسم هذه الأقسام، وخالف بين هذه الأركان، وفضل بين أنسابهم. وأنتك أنكرت ذلك عليه أشد الإنكار، وقذعته أشد القذع.

وزعمت أنهم لم يخرجوا من الاتفاق، أو من شيء يقرب من الاتفاق^(١)، وأنتك نفيت^(٢) التباعد في النسب، والتباين في السبب.

وقلت: بل أزعم أن الخراساني والتركي أخوان، وأن الحيز واحد، وأن حكم ذلك الشرق^(٣)، والقضية على ذلك الصقع^(٤) متفق غير مختلف، ومتقارب غير متفاوت، وأن الأعراق في الأصل إن لا تكن^(٥) كانت راسخة، فقد كانت متشابهة، وحلود البلاد المشتملة عليهم إن لا تكن^(٦) متساوية فإنها متناحية، وكلهم خراساني في الجملة، وإن تميزوا ببعض الخصائص، واختلفوا ببعض الوجوه.

وزعمت أن اختلاف التركي والخراساني ليس كاختلاف ما بين الرومي والصقلبي، والزنجي والحبيشي، فضلاً على ما هو^(٧) أبعد جوهراً، وأشد خلافاً، بل كاختلاف ما بين المندري والوبري، والبلوي والحصري، والسهلي والجبلي، وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين

(١) أو من شيء يقرب من الاتفاق، ماقط من م، ط وإن كان قد ورد بهامش م بنقل مخالف.

(٢) مع والرسائل: «وأنتك أنكرت».

(٣) ب فقط: «الشرق» بالفاء، صوابه في سائر النسخ.

(٤) ط: «والقضاء» بدل «القضية». وفي م: «ذلك الصنع»، تحريف.

(٥) ط: «إذا لم تكن» مع: «إن لم تكن راسخة».

(٦) مع: «إن لم تكن».

(٧) مع والرسائل: فضلاً عما هو.

من نزل النجود^(١) ، وبين من نزل الأغوار^(٢) .

وزعمت أنّ هؤلاء وإن اختلفوا في بعض اللغة ، وفارق بعضهم بعضاً في بعض الصورة^(٣) ، فقد نجد أنّ علياً تميم^(٤) ، وسفلى قيس ، وعجّز هوازن^(٥) ، وفصحاء الحجاز ، خلاف لغة حمير^(٦) وسكان مخاليف اليمن ، وكذلك الصورة والصورة ، والشّائل والشّائل ، والأخلاق والأخلاق . وكلّهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ، ولا معلّج ولا منزع^(٧) ولا مزّج^(٨) . ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع واستوى ، والجمع أنجد ، وأنجد ، ونجد ، ونجد ، ونجد . ب : ط : « البحر » تحريف ، صوابه ن م مع آخر تصحيح ، وكذا في مع والرسائل .

(٢) الأغوار : جمع غور ، وهو ما انخفض من الأرض . ب : « الأهواز » م : « الأفوال » ، صوابها ن ط ، مع والرسائل .

(٣) ب : « وقارب يشبه بعضاً وبعض الصورة » ، صوابه ن م ، ط ، مع والرسائل ، لكن في ط : « وبعض الصورة » تحريف .

(٤) مع والرسائل : « قد تماثلت علياً تميم » . وعلياً تميم ، أو عالية تميم هم بنو عمرو بن تميم ، وهم بنو الهجيم والعتير ومازن ، كما في اللسان (جلا ٣٢٦) . وفي الصحاحي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١١ : « أنصح العرب علياً هوازن وسفلى تميم » . وفي البرهان لأزركشي : ٢٨٣ : « وأما سفلى تميم فبنو دارم » . وهم بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم .

(٥) في الصحاحي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١٠ : « العجز من هوازن » ، وهم الذين يقال لهم علياً هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معلوية ، وقتيب . وفي اللسان : « عجز هوازن : بنو نصر بن معلوية ، وبنو جشم بن بكر ، كأنه أشهر » . ويبدو أن لوصف بالملي والسفلى راجع إلى الموقع الإقليمي . فعلياً تميم : من يسكنون العالية ، وهي ما ولى الحجاز وتهامة . وسفلام : من يسكنون السافلة ، وهي ما ولى العراق . وتميم كلها مشهود لها بالفصاحة .

(٦) مع والرسائل : « وهي في أكثرها على خلاف لغة حمير » .

(٧) الملهج : الهجين ، وهو العربي المولود من أمة . والمنزع : الذي أمه عربية وأبوه عربي . وأنشد :

إذا يامل عنده حظيئة لها ولد مت فذلك المنوع

وفي جميع النسخ : « ولا مربوع » ، صوابه في مع والرسائل وهامش م .

(٨) المزّج : الذي ، والمزّج بالقوم وليس منهم ، كأنهم يزوجونه عن أنسابهم لعدم أصالته . ب فقط : « مزّج » ، صوابه ن م ، ط ومع والرسائل .

فَسَحْطَانٌ وَعَدْنَانٌ ، مِنْ قِبَلِ مَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ التُّرْبَةَ مِنْ خِصَائِصِ الْغَرَائِزِ ، وَمَا قَسَمَ لِأَهْلِ كُلِّ جَزِيرَةٍ مِنَ الشَّكْلِ وَالصُّبُورَةِ ، وَمَنِ الْأَخْلَاقِ وَاللُّغَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : وَكَيْفَ صَارَ أَوْلَادُهُمَا جَمِيعاً عَرَبِيّاً ، مَعَ اخْتِلَافِ الْأُبُوَّةِ ؟
قُلْنَا : إِنَّ الْجَزِيرَةَ لَمَّا كَانَتْ وَاحِدَةً فَاسْتَوَوْا^(١) فِي التُّرْبَةِ وَفِي اللُّغَةِ ، وَفِي الشَّامِلِ وَالْهَمَّةِ ، وَفِي الْأَنْفِ وَالْحَمِيَّةِ ، وَفِي الْأَخْلَاقِ [وَالسَّجِيَّةِ]^(٢) ، فَسَبَّكُوا سَبْكَاً وَاحِداً ، تَشَابَهَتْ الْأَجْزَاءُ وَتَنَاسَبَتْ الْأَخْلَاطُ^(٣) ، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ أَشَدَّ تَشَابُهًا فِي بَابِ الْأَعْمِّ وَالْأَخْصِ ، وَفِي بَابِ الْوَفَاقِ وَالْمُبَايَنَةِ^(٤) مِنْ بَعْضِ الْأَرْحَامِ ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِتِّفَاقِ فِي الْحَسَبِ^(٥) ، وَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ وَلَادَةً أُخْرَى حَتَّى تَنَاسَكُوهَا عَلَيْهَا ، وَتَصَاهَرُوا مِنْ أَجْلِهَا . وَامْتَنَعَتْ عَدْنَانُ قَاطِبَةً مِنْ مَنَاحِكَةِ بَنِي إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَخُو إِسْمَاعِيلَ ، وَجَادُوا^(٦) بِذَلِكَ فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ لِبَنِي قَحْطَانَ^(٧) .

فَفِي إِجْمَاعِ الْقَرِيقَيْنِ عَلَى التَّنَاسُكِ وَالتَّصَاهُرِ ، وَمِنْهُمَا ذَلِكَ جَمِيعَ الْأَنْثَمِ ، كَكُسْرَى^(٨) فَمَنْ دُونَهُ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النِّسْبَ^(٩) عَنْدهُمْ مُتَّفَقٌ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ قَدْ قَامَتْ عَنْدهُمْ مَقَامَ الْوِلَادَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمَاسَةِ .

(١) ط فقط : « استروا » بدون فاء .

(٢) التكملة من معج والرسائل .

(٣) ب ، م : « وتباينت الأخلاق » ، ط : « وتباينت الأخلاق » ، صوابهما في معج والرسائل .

(٤) في الأصول : « وفي باب الوفاق وفي البنية » ، صوابه في معج والرسائل .

(٥) في الأصول : « وفي الحب » ، والوجه حذف الواو كما في معج والرسائل .

(٦) جادوا ، أي صحوا . وفي الأصول : « وجازوا » ، صوابه في معج والرسائل .

(٧) في الأصول : « وكبني قحطان » ، وأثبت ما في معج والرسائل .

(٨) ب فقط : « كسرى » .

(٩) ب ، م : « دليل على النسب » ، تحريف .

وزعمت أنه أراد الفرقة والتخريب^(١) ، وأنك أردت الألفة والتقريب^(٢) .

ثم زعمت أيضاً أن البنوي^(٣) خُراساني ، وأن نسب الأبناء نسب آبائهم ، وأن حُسنَ صنيع الآباء ، وقديمَ فعالِ الأجداد ، هو حَسَبُ الأبناء ، وأن الموالى بالعرب أشبه ، وإليهم أقرب ، وبهم أَمْس ، لأنَّ السُّنة^(٤) قد نقلت الموالى إلى العرب في كثيرٍ من المعالي ، لأنهم عربٌ في المدعى ، وفي العاقلة ، وفي الوراثة^(٥) . وهذا تأويل قوله^(٦) : « مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ » . و « الْوَلَاءُ لِحِمَّةٍ كُلْحِمَةِ النَّسَبِ »^(٧) .

ثم زعمت أنَّ الأتراك قد شاركوا القومَ في هذا النسب ، وصاروا من العرب بهذا السبب ، مع الذي بانوا به من الخلل ، وحُبوا به من شرف الخصال .

على أن ولاء الأتراك للباب قريش ، ولمَصْصاص عبد مناف ، [وهم^(٨) في سرِّ هاشم ، وهاشمٌ مَوْضِعُ الْعِدَارِ مِنْ خَدِّ الْفَرَسِ ، ومحلُّ الْعِقْدِ

(١) التخريب : أن يجهلهم أجزائاً وفرادى . ب : « والتخريب » م : « والتخويف » ط : « والتخرب » ، صوابه في مع والرسائل .

(٢) ط فقط : « والتقرب » .

(٣) في الأصول : « البنوي » صوابه في مع والرسائل . وانظر ما سبق في صفحة ١٦٧ .

(٤) ب ، م : « الشبه » ط : « القسمة » صوابهما مع والرسائل .

(٥) في الأصول : « الراية » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٦) ج : « قوله عليه الصلاة والسلام » .

(٧) ويروى : « من أنفسهم » . الجامع الصغير ٩١٢٤ . وأخرج البخاري عن أنس .

(٨) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن أبي أوفى ، والحاكم والبيهقي عن ابن عمر . الجامع الصغير ٩٦٨٧ .

(٩) التكلفة من رسائل الجاحظ .

من لَبَّةِ الْكَعْبِ^(١) . وهو^(٢) الجَوْهَرُ الْمَكْنُونُ ، وَالذَّهَبُ الْمَصْفَى ، وَمَوْضِعُ الْمُحَّةِ مِنَ الْبَيْضَةِ^(٣) ، وَالْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ^(٤) ، وَالرُّوحُ مِنَ الْبَدَنِ . وَهُمْ الْأَنْثُ الْمُقَدَّمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَكْوَمُ ، وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ ، وَاللُّرَّةُ الزَّهْرَاءُ ، وَالرُّوْضَةُ الْخَضِرَاءُ ، وَالذَّهَبُ الْأَحْمَرُ .

فَقَدْ شَارَكُوا الْعَرَبَ فِي أَنْسَابِهِمْ ، وَفَضَّلُوهُمْ بِهَذَا الْفَضْلِ الْخَاصِّ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ فَضْلٌ وَإِنْ بَرَعَ ، بَلْ لَا يَعْشُرُهُ شَرَفٌ وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا مَجْتُلُونَ قَدَمٌ . فَرَعِمَتْ أَنَّ أَنْسَابَ الْجَمِيعِ مُتَقَارِبَةٌ غَيْرُ مُتَبَاعِدَةٌ ، وَعَلَى حَسَبِ ذَلِكَ التَّقَارِبِ تَكُونُ الْمَوَازِرَةُ وَالْمُكَائِفَةُ^(٥) ، وَالطَّاعَةُ وَالْمُنَاصَحَةُ ، وَالْمَحَبَّةُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْأَثَمَةُ .

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ ذَكَرَ جُمْلًا مِنْ مَفَاضِرِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، وَجَمْعُهُ مِنْ مَنَاقِبِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ ، وَأَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ وَفَصَّلَهُ ، وَأَجْمَلَهُ وَفَسَّرَهُ ، وَأَنَّهُ أَتَى ذِكْرَ الْأَثَرِ كَمَا فَلَمْ يَعْزِضْ لَمْ^(٦) ، وَأَضْرَبَ عَنْهُمْ صَفْحًا فَلَمْ يُخْبِرْ عَنْهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ^(٧) حُجَّةٍ كُلِّ جَبِيلٍ ، وَعَنْ بُرْهَانٍ كُلِّ صَنْفٍ . فَذَكَرَ أَنَّ الْخِرَاسَانِيَّ يَقُولُ : نَحْنُ النُّقْبَاءُ ، وَأَبْنَاءُ النُّقْبَاءِ ، وَنَحْنُ النُّجْبَاءُ وَأَبْنَاءُ النُّجْبَاءِ ، وَمِنَّا الدَّعَاةُ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ نَقَابَةُ^(٨) ، أَوْ تُعْرَفَ

(١) فِي رِسَالَتِ الْجَاحِظِ : « الْكَعْبُ » ، وَهِيَ سَوَاءٌ . يُقَالُ جَارِيَةٌ كَعَابٌ وَمَكْعَبٌ ، وَكَاعِبٌ : نَهْدَتْهَا . وَالْبَاءُ بِالْفَتْحِ ، وَاللِّبُّ بِالتَّحْرِيكِ : مَوْضِعُ اقْتِلَادَةٍ مِنَ الصَّدْرِ .

(٢) وَهُوَ ، لَيْسَتْ فِي رِسَالَتِ الْجَاحِظِ . كَأَنَّ وَجْهَهَا « وَهْمٌ » .

(٣) عَمَةُ الْبَيْضَةِ وَعَمَّا : مَا فِي جَوْهَرٍ مِنْ صَفَرَةٍ . بَ : فَقَطْ : « الْهَيْئَةُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) مِجَّ فَقَطْ : « مِنَ الرَّأْسِ » .

(٥) الْمُكَائِفَةُ ، بِالنُّونِ : الْمَاوِفَةُ ، وَمِثْلُهَا الْمُكَائِفَةُ ، بِالتَّاءِ ، كَمَا فِي الْمَعْنَى الْوَسِيطِ .

ب ، م : « وَالْمُكَائِفَةُ » . صَوَابُهَا فِي طَوْعٍ . وَفِي رِسَالَتِ الْجَاحِظِ : « وَالْمُكَائِفَةُ » بِالتَّاءِ .

(٦) طَوْعًا فَقَطْ : « يَهْمٌ » .

(٧) طَوْعًا فَقَطْ : « خَيْرٌ » .

(٨) التَّنْقِيبُ : التَّرِيفُ حُلُّ الْقَتْمِ الْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمْ ، الَّذِي يَصْرِفُ أَخْبَارَهُمْ وَيَنْقِبُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ .

وَالنَّقَابَةُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ ، وَبِالْكَسْرِ الْأَسْمُ .

نَجَابَةِ ، وقبل المغالبة والمبادأة^(١) ، وقبل كَشَفِ القِنَاعِ وزوالِ التَّقِيَّةِ .
وبنا زَالَ مُلْكُ أَعْدَائِنَا عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ، وَثَبَتَ مُلْكُ أَوْلِيَانِنَا فِي
نَصَابِهِ ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ مَا قُتِلْنَا وَشُرِدْنَا ، وَنُهِكْنَا ضَرْباً وَطَلَباً ، وَبُضِعْنَا
بِالسُّيُوفِ الحَدَادِ ، وَعُلِّبْنَا بِأَلْوَانِ الْعَذَابِ .

وَبِنَا شَفَى اللهُ تَعَالَى الصُّلُورَ ، وَأَدْرَكَ النَّارَ ، وَمَنَا الْإِثْنَى عَشَرَ
النُّقَبَاءَ ، وَالسَّبْعُونَ النُّجَبَاءَ . وَنَحْنُ الْخَنْدَقِيَّةُ وَأَبْنَاءُ الْخَنْدَقِيَّةِ^(٢) ،
وَنَحْنُ الْكُفِّيَّةُ وَأَبْنَاءُ الْكُفِّيَّةِ^(٣) ، وَمَنَا الْمُسْتَجِيبَةُ ، وَمَنْ^(٤) هَرَجَ النِّيمَةِ ،
وَمَنَا نَيْمُ خِزَانٍ^(٥) ، وَأَصْحَابُ الْجَوَرِيِّينَ^(٦) ، وَمَنَا الرُّغْنَلِيَّةُ^(٧) ،
وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ^(٨) .

وَنَحْنُ فَتَحْنَا الْبِلَادَ ، وَقَتَلْنَا الْعَدُوَّ بِكُلِّ وَادٍ ، وَنَحْنُ أَصْلُ هَذِهِ الدُّوَلَةِ ،
وَمَنْبِتُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَصْحَابُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، وَمِنْ عَيْنِنَا هَبَّتْ هَذِهِ الرِّيحُ .
وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارَانِ : الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ ، وَأَهْلُ خُرَاسَانَ نَصَرُوا وَرَثَتَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ،
غَدَانَا بِذَلِكَ آبَاؤُنَا ، وَغَزَوْنَا بِهِ أَبْنَاءُنَا ، وَصَارَ لَنَا نَسَبٌ لَا نَعْرِفُ إِلَّا بِهِ ،
وَدِينًا لَا نُؤَالِي إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) في الرسائل : « والمباراة » وبالنراه .

(٢) الخندقية : أصحاب الخندق أيام نصر بن سيار ، كما سيأتي في أول ص ١٧٦ .

(٣) ط فقط : « الكفزية وأبناء الكفزية » .

(٤) م ، ط : « ومنا » وفي ط والرسائل بعده : « هرج النيمية » وفي سج : « هرج النيمية » .

(٥) ط فقط : « نيم خزان » .

(٦) ب ، م : « الجوزتين » . وفي ط : « الجوزتين » ، وأثبت ما في سج والرسائل .

(٧) ز غند ، في الفارسية بمعنى صوت الحيوان الوحشي . وسيأتي في ص ١٧٩ : « ولنا
الأصوات التي تسقط الحبال » .

(٨) الأزاد مردية : اسم كان يطلق على طبقة الأشراف من الفرس . انظر مقال الدكتور
كراوس في مجلة الثقافة العدد ٢٢٤ . ب : « والأزاد مردية » م : « والأزادردية » ط :
« والأزادردية » ، صوابه في سج والرسائل .

ثم نحنُ على وتيرة واحدة ، ومنهاجٍ غير مشترك ، نعرف بالشَّيعة ، وندين بالطَّاعة ، ونقتلُ فيها ، ونموت عليها . سبانا موصوفٌ ، ولباسنا معروف ، ونحن أصحاب الرَّايات السُّود ، والروايات الصحيحة^(١) ، والأحاديثُ المأثورة ، والذين يَهْدِمون مُدُنَ الجابرة ، وينتزعون المُلكَ من أيلَى الظُّلَّة . وفينا تقدُّمُ الخبر ، وصَحُّ الأثر . وجاء^(٢) في الحديث صفةُ الذين يفتحون عُمُورِيَّةً^(٣) ، ويظهرون عليها^(٤) ، ويقتلون مقاتليها^(٥) ، ويسبُّون ذراريها ، حيث قالوا في نعتهم : «شُعُورهم شعورُ النِّساء ، وثيابهم ثياب الرُّهبان» . فصَدَّقَ الفعلُ القولَ ، وحَقَّقَ الخبرُ الصِّيانَ .

ونحن الذين ذكرنا ، ودَّكر بلامنا^(٦) إمامُ الأئمة ، وأبو الخلائف العشرة^(٧) محمد بن علي ، حين أراد توجيه الدُّعاة إلى الآفاق ، وتفريق شيعته في البلدان :

(١) في الأصول : « في الروايات الصحيحة » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٢) ب ، ط : « جاء » بدون واو .

(٣) عمورية ، بتشديد الميم المقبوضة والياء : بلدة في الروم فتحها المصم العباسي سنة ٢٢٣ . ولهذا الفتح قصة عجيبة مذكورة في كتب التاريخ . وفيه يقول أبو تمام :
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك للمني حفلا مصولا الحلب

(٤) عليها ، ساقطة من م .

(٥) كما في مع والرسائل وم . وفي ب : « مقاتلها » وفي ط : « مقاتلتها » .

(٦) ب ، م = « يلاذ ناء » ، صوابه في ط .

(٧) يعني خلفاء العباسيين المشرة الذين أدرك الجاحظ آخرهم ، وهو الخليفة المتوكل . وهم على الولاء : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، ثم المهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم الذي كان يسمى « الخليفة المثنى » ، لأنه التامن من خلفاء بني العباس ، أو لأنه مات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وخلف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم ، كما ذكر المسموعي في التنبيه والإشراف ٣٠٧ . ثم تسعهم الخليفة الواثق ، والماشر الخليفة المتوكل المقتول بالجفيرة من سر من رأى سنة ٢٤٧ .

وقد توالى بعد هؤلاء الخلفاء المشرة من العباسيين ٢٦ خليفة كان آخرهم المستصم بالله الذي قُتل هولاكو ملك التتر حين استولى على بغداد سنة ٦٥٦ .

وأما البصرة وسواؤها فقد غلب عليها عُثمَانُ ، وصنائعُ عُثمَانِ ، فليس بها من شيئنا إِلَّا القليل .

وأما الكوفة وسواؤها فقد غلب عليها عليٌّ وشيعةُ عليٍّ ، فليس بها من شيئنا إِلَّا القليل .

وأما الشام فشيعةُ بني مروان ، وآلِ بني سُفيان .

وأما الجزيرة فخارجةٌ ، وحروريةٌ ومارقةٌ .

ولكن عليكم بهذا الشرُّقُ فَإِنَّ هُنَاكَ ^(١) صدوراً سليمةً ، وقلوباً باسلةً ، لم تُفسدْها الأهواءُ ، ولم تُخايرْها الأدواءُ ، ولم تعقِبْها البدعُ ، وهم مغيظون ^(٢) موثرون . وهناك القلدُ والعُدَّةُ ، والعِتَادُ والنَّجْدَةُ .

ثم قال : « وأنا أنفأهُنَّ إلى حيث ما تطلع ^(٣) » .

فكُنَّا خَيْرَ جَنْدٍ لخيرِ إمامٍ ، وصدَّقنا ظَنَّهُ ، وثَبَّتْنَا رَأْيَهُ ، وصَوَّبْنَا فِرَاسَتَهُ .

وقال مرةً أخرى : « إِنَّ أَمْرَنَا هَذَا شَرْقٌ لَا غَرْبُ ، ومُقبِلٌ غيرُ مدبرٍ ، يطلعُ كطلوعِ الشمسِ ، ويمتدُّ على الآفاقِ امتدادَ النهارِ ، حتَّى يَبْلُغَ ^(٤) حيث ما تبلَّغه الأضفافُ ^(٥) ، وتُناله الحَوَاقِرُ » .

قالوا : ونحن قتلنا الصَّحَّصِيَّةَ ^(٦) ، والدَّالِقِيَّةَ ^(٧) ، والدُّكُوَانِيَّةَ ،

(١) ط فقط : « هناك » .

(٢) ط فقط : « مغيظون » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « ما تطلع » ، تحريف . والمراد : حيثما تطلع الشمس . وفي مع : « حيث يطلع النهار » ، وفي الرسائل : « حيث يطلع من النهار » .

(٤) في الأصول : « حتَّى تبلُغَ » ، صوابه بالياء كما في مع والرسائل .

(٥) أي أغفاف الإبل . ب ، م : « الإغفاق » ، صوابه في ط ، مع والرسائل .

(٦) الصحصية : نسبة إلى صحصح ، وكان أحد المتكلمين . انظر الجيران ٣ : ٢٩٥ والبخلاء ، والعباري في حوادث سنة ١٢٢ . وفي الأصول : « الصحيحة » ، صوابه في مع والرسائل .

(٧) م ، ب : « الدالقية » بالفاد . ويده في العبارة : « الدوكانية » .

والرأشدية . ونحن أصحاب^(١) الخنادق ، ونباتة بن حنظلة^(٢) ، وعامر
ابن ضبارة^(٣) ، وأصحاب ابن هبيرة . فلنا قديم هذا الأمر وحديثه ،
وأوله وآخره^(٤) .
ومنا قاتل مروان .

ونحن قوم لنا أجسام وأجرام ، وشعور وهام ، ومناكب عظام ،
وجباه عراض ، وقصير غلاظ^(٥) ، وسواعد طول .
ونحن أولد للذكورة ، وأنسل بُعولة ، وأقل ضوى وشؤلة ،
وأقل إتماما^(٦) ، وأنفق أرحاما^(٧) ، وأشد عصباً ، وأتم عظاماً . وأبداننا
أحمل للسلاح ، وتضافنا أملاً للعيون^(٨) .

(١) يفهم من مج الرسائل : « أيام نصر بن سيار ، وابن جديع الكرمانى ، وشيبان بن
سلمة الحارثى » . وابن جديع هذا هو عل بن جديع الكرمانى ، كما فى حواشى رسائل الجاحظ
١ : ١٧ .

(٢) ب : « وبناته بن حنظلة » ، م : « وبناته صوابها فى ط ، مج والرسائل . وفيها :
« ونحن أصحاب نباتة بن حنظلة » . وكان نباتة هذا والياً على جرجان . وانظر جهرة ابن حزم ٢٨٢ .
وهو نباتة بن حنظلة بن ربيعة بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن
ربيعة بن حامر بن صمصمة . وانظر خبر مقتله فى تاريخ الطبرى سنة ١٣٠ .

(٣) كان عامر بن ضبارة هذا من قواد ابن هبيرة . وانظر الاشتقاق ٢٨٩ ، ٢٩٠ وجمهرة
ابن حزم ٢٥٤ . وفى الأصول : « بن ضبابة » صوابه بالراء كما فى مج والرسائل والتنبية
والإشراف ٢٨٣ والطبرى ٧ : ٤٠٥ . كله قسيلة بن شبيب الطائى بأصبهان فى حروب أبي مسلم
الخراسانى سنة ١٣١ .

(٤) فى الطبرى أن قاتل مروان بن محمد ، هو رجل من أهل البصرة يقال له المنفود ، طعنه
وهو لا يعرفه ضرره ، فصاح صائح : صرغ أمير المؤمنين ! ابتدوه ، فسبق إليه رجل من
أهل الكوفة كان يبيع الزمان فأحترق ولده . انظر حوادث سنة ١٣٢ .

(٥) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهى أصل النقي . وهى قصر ابن عباس قوله
تمال : « إنها ترى بشرى كالقصر » فى قرأته بفتح الصاد .

(٦) الإتمام : أن تله المرأة اثنين فى بطن .
(٧) أنتج أرحاماً ، أى أكثر ولادة . والمرأة نائق ، لأنها ترى بالأولاد رعباً . والنقي :
الرى والتنفص .

(٨) فى الأصول ومع وأصل الرسائل ١ : ١٨ : « وأخفاننا » . والوجه ما أثبت .
وانظر حواشى الرسائل . والتجفاف ، بفتح التاء وكسر ها : ما جفل به . الفرس من سلاح وآلة
تقيه الجراح فى الحرب . وانظر ص ١٧٨ .

ونحن أكثر مائةً ، وأكثر عدداً وعدةً ، ولو أن يأجوج ومأجوج
كاثروا^(١) من وراء النهر منا لظهروا عليهم بالعدد .

فأما الأيُّدُ وشِدَّةُ الأَسْرِ فليس لأحدٍ بعد عادٍ وثمودَ والعمالقِ
والكتامنيِّين مثلُ أيدينا وأسْرنا .

ولو أنْ خيولَ الآفاقِ ، وفُرسانَ جميعِ الأطرافِ جُمِعُوا في حَبْطَةٍ
واحدةٍ لَكُنَّا أَكْثَرَ في العيُونِ ، وأَهْوَلَ في الصُّلُورِ .

ومنى رأيتَ مواكبنا وفُرساننا وبُنودنا التي لا يحملها^(٢) غيرُنا
علمت أنَّا لم نُخْلَقْ إِلَّا لقلبِ النُّولِ ، وطاعةِ الخُلفاءِ ، وتأييدِ السُّلطانِ .

ولو أنْ أَهْلُ تَبَّتْ ، ورجالُ الزَّابِجِ^(٣) ، ورجالُ فُرسانِ الهندِ^(٤) ،
وحَبْطَةُ^(٥) الرُّومِ ، هَجَمَ عليهم هاشمُ بنُ أَشْتاخْنِجِ^(٦) لَمَّا امْتَنَعُوا مِنْ
طَرْحِ السِّلَاحِ ، والغربِ في البلادِ .

ونحنُ أَصْحَابُ اللَّحَى ، وأربابُ النُّهى ، وأهلُ العِلمِ والحِجَابِ^(٧) ،
وأهلُ الثُّخانةِ في الرَّأْيِ^(٨) ، والبُعْدِ مِنَ الطَّيْشِ .

(١) كاثروهم : باروهم في الكثرة . م فقط : « كثروا » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « يحمله » ، صوابه في ط ، مع والرسائل .

(٣) الزابج ، بفتح الياء وكسرهما : جزيرة في أقصى بلاد الهند في حدود الصين . وفي
الحيوان ٧ : ٣٣٠ : « يزعم قبحار التبت من قد دخل الصين والزابج » . وفي الأصل ، وهو
هنا ب فقط : « الزابج » إذ لم ترد « رجال الزابج » في كل من م ، ط .

(٤) هذا ما في ط . وفي ب ومع والرسائل : « وفُرسان الهند » ، وفي م : « وفُرسان
ورجال الهند » .

(٥) الحلبية ، بالفتح : جماعة الخيل في السباق ، والمراد هنا الفُرسان .

(٦) كان قد صعد وخالف في إفريقية ، قتلته أبو جعفر المنصور سنة ١٥٢ كما في
الطبرى .

(٧) كبت في م ، ط : « الحبي » بالياء ؛ والكلمة وأوية بمعنى العقل والنقطة ، يقال
ساجيت فمجيته .

(٨) ثمانية الرأى : قوته وجزالته . ب : « لتجانة » م ، ط : « لتجانة » ، صوابها
في مع والرسائل .

(١٢) - رسائل الجاحظ

ولسنا كَجُنْدِ الثَّامِ الْمُتَعَرِّضِينَ لِلْحَرَمِ ، وَالْمُنْتَهَكِينَ لِكُلِّ مُحَرَّمٍ .

ونحن نأْسُ لِنَا أَمَانَةٍ ، وَفِينَا عَقَّةٌ . وَنَحْنُ نَجْمَعُ بَيْنَ النَّزَاهَةِ وَالْقَنَاعَةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْخِدْمَةِ ، وَعَلَى التَّجْمِيرِ وَبُعْدِ الشُّقَّةِ ^(١) .

وَلَنَا الطُّبُولُ الْمَهُولُ وَالْبُنُودُ الْعَظَامُ ^(٢) .

ونحن أَصْحَابُ التَّجَافِيْفِ وَالْأَجْرَاسِ ^(٣) ، وَالْبَازِ فَكُنْدُ ^(٤) ،
وَالْبُنُودُ الطُّوَالُ ، وَالْأَعْمَادُ الْمُعَقَّفَةُ ^(٥) وَالْقَلَانِسُ الشَّاشِيَّةُ ^(٦) ، وَالْخِيُولُ
الشَّهْرِيَّةُ ^(٧) ، وَلَنَا الْكَافِرُ كُوبَاتُ ^(٨) ، وَالطُّبْرُزِينَاتُ فِي الْأَكْفِ ^(٩) ،
وَالخَنَاجِرُ فِي الْأَوْسَاطِ .

(١) تَجْمِيرُ الْجَيْشِ : إِيقَازُهُ فِي ثَرِّ الْعَدُوِّ ، وَأَصْلُ مَعْنَاهُ التَّجْمِيعُ . مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « عِنْدَ بَعْدِ الشُّقَّةِ » .

(٢) وَكَلَا فِي مِجَ . لَكِنْ فِي الرِّسَالِ : « وَلَنَا الطُّبُولُ الْمَهُولُ الْعَظَامُ وَالْبُنُودُ » . وَالْبُنُودُ : جَمْعُ بَنْدٍ ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْكَبِيرُ ، فَارْسِي مُعَرَّبٌ .

(٣) انْتَقَزَ التَّجَافِيْفَ مَا مَضَى فِي ص ١٧٦ .

(٤) مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « وَالْبَازِ تَكُنْدُ » . وَفِي الْبَيَانِ ١ : ٩٥ - ٣ : ١١٥ : « بَازِيكُنْدُ » أَيْضًا . وَضَبَطْتُ فِي أَمَلِ نَسْخِ الْبَيَانِ بِفَتْحِ الزَّيِّ وَضَمِّ الْيَاءِ الْمُنْتَاةِ وَفَتْحِ الْكَافِ . وَفِي هَامِشِيهَا : « بَازِيكُنْدُ : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ ، فَارْسِيَّةٌ » . وَيَبْلُو أَنَّهُ كَسَاءٌ يَلْبَسُ عَلَى الْكَفِّ . وَبَازٍ فِي الْفَارْسِيَّةِ بِمَعْنَى الْكَفِّ .

(٥) الْأَعْمَادُ : جَمْعُ غَمْدٍ ، وَهُوَ جَنْبُنُ السَّيْفِ . فِي الْأَصُولِ : « وَالْأَعْمَادُ » ، صَوَابُهُ فِي مِجَ وَالرَّسَائِلِ . وَالْمُعَقَّفَةُ : الْمَوْجَعَةُ ، وَذَلِكَ لِأَعْوَجَاجِ السُّيُوفِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا . بَ : « وَالْمُعَقَّفَةُ » وَالرَّوَا مُقْصَمَةٌ . وَفِي طَ : « وَالْحَقْفَةُ » وَفِي مَ : « وَالْمُقَقَّةُ » ، صَوَابُهَا مَا أَثْبَتَ .

(٦) نَسَبَةٌ إِلَى النَّشَاءِ ، وَهُوَ نَسِيجٌ وَثِيقٌ مِنَ الْقَتَنِ تَضَعُهُ بِهِ الْجُرُوحُ ، وَيَسْتَعْمَلُ أَيْضًا لِنَافَةِ الْعَامَةِ ، وَلَفْظُهُ مَوْلَدٌ . بَ ، مَ : « النَّشَابِيَّةُ » صَوَابُهُ فِي طَ وَمِجَ وَالرَّسَائِلِ .

(٧) الشَّهْرِيَّةُ ، بِالْكَسْرِ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْقَامُوسِ . وَذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَاذِينِ . وَزَادَ صَاحِبُ الْبَيَانِ أَنَّهُ بَيْنَ الْبَرَاذِينِ وَالْمَقْرُوفِ مِنَ الْخَيْلِ .

(٨) جَمْعُ كَافِرِكُوبٍ ، وَفِي هَامِشٍ لِي مِنْ نَسْخِ الْبَيَانِ أَنَّ كَافِرِكُوبَ هِيَ الْمَقْرَعَةُ .

(٩) الطُّبْرُزِينَاتُ : جَمْعُ طَبْرُزِينٍ ، وَهُوَ فُلَسٌ تَسْتَعْمَلُ فِي الْقِتَالِ عِنْدَ الْفَرَسِ ، مُرَكَّبٌ مِنْ « تَبَرٍ » بِمَعْنَى الْفُلَسِ . وَ« زِينٌ » بِمَعْنَى السَّرَجِ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِتِّزَامِ وَضْعِهِ بِجَانِبِ السَّرَجِ . اسْتَعْتَجَلَ ٢٧٠ وَالْمَرْبِ ١٩٤ وَالْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ لِأَمْرِ شَيْخِ ١١١ .

ولنا تعليقُ السيوفِ وحُسْنُ الجِلسةِ على ظُهُورِ الخيلِ ، ولنا الأصواتُ التي تُسْقِطُ الحبالى .

وليس في الأرضِ صناعةٌ غريبةٌ^(١) ، من أدبٍ وحكمةٍ وحسابٍ وهنَلمةٍ ، وارتفاعِ بناءٍ وصنعةٍ^(٢) ، وفقهِ وروايةٍ ، نظرتُ فيها الخُراسانيةُ إلّا فرغتُ فيها الرؤساءَ^(٣) ، وبذلتُ فيها العلماءَ^(٤) .

ولنا صنعةُ السَّلاحِ ، عُدةٌ للحربِ^(٥) ، وثقيفاً وحُرْبةً للمجاولَةِ والمُشالَةِ^(٦) ، وللكُرِّ بعدَ الفَرِّ، مثلُ اللَّبوقِ^(٧) ، والنَزْوِ على الخيلِ صفاراً ، ومثلُ الطُّبْطابِ والصَّوالِجَةِ كِباراً^(٨) . ثم رعى المُجَنِّمَةُ^(٩) والبرجاسَ^(١٠) والطائرَ الخاطفَ^(١١) . فنحنُ أحقُّ بالآثرةِ ، وأولى بِشَرَفِ المنزلةِ .

قلت : وزعمُ أنَّ العربيَّ يقولُ : إن تكن القريةُ^(١٢) تُستَحَقُّ بالأنسابِ

(١) في الأصول : « عراقية ولا حجازية » وهو تحريفُ ساقٍ إلى تحريفٍ . والوجه ما أثبت من مع الرسائل .

(٢) مع الرسائل : « وإيقاع وصنعة » .

(٣) قرع فلان فلاناً : علاه وفاته . في الأصول : « فرغت منها الرؤساء » ، صوابه في مع الرسائل .

(٤) يلهم : ظلمهم وسبهم . في الأصول : « وبلت » صوابه بالذال المجبة كما

في مع الرسائل .

(٥) العبارة هنا موجزةٌ إيجازاً شديداً . وانظر الرسائل ١ : ٢٠ .

(٦) المحاولة : أن يتناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرمح .

(٧) في اللسان : « اللَّبوقُ لعبةٌ يلعبُ بها الصبيان ، مروفة » . وفي القاموس : « لعبةٌ معروفة » :

(٨) الطُّبْطابُ ، بالفتح : مضربُ الكرة . والصَّوالِجُ : الخمين ، أى الصا المعوجة

الطرف ، ويستعملها الفرسُ لعبَ بالكرةِ وهم على ظهورِ الخيلِ . استينجاس ٧٩٦ واللفظُ مغرب

من الفارسي « شوجان » . والجميعُ صوالِجَةٌ . في مع الرسائل : « والصَّوالِجُ الكبار » . ويبدون

ما هنا هو الوجهُ لأنَّه ما يُقَابَلُ « صفاراً » السابقة .

(٩) الخيطة : ما نصب من الحيوانِ للرِّى والقتل . ب فقط : « الخيطة » تحريف .

(١٠) البرجاسُ ، بضم الباءِ وفتحها : غرضٌ في الهواءِ على رأسِ ربحٍ أو نحوه . كما في الألفاظ

الفارسية ١٨ ومجمع استينجاس ١٧٠ . ولفظه فارسي . ب ، م : « والبرجاس » ط :

« والبرجاسبارا » ، تحريفُ ما في مع الرسائل .

(١١) مع الرسائل : « الخُطاب » .

(١٢) ب : « القرية » تحريف . و في ط : « القرية » ، وأثبت ما في م ، مع الرسائل .

الثابتة ، والأرحام الشابة ، وبالقديمة^(١) ، وبطاعة الآباء والعشيرة ، وبالشكر النافع ، والمديح الباقي^(٢) ، وبالشعر الموزون الذي يبقى بقاء الدهر ، ويلوح ملاح نجم ، ويُنشد ما أهل بالحج ، وما هبت الصبا ، وما كان للزيت عاصر . وبالكلام المنشور : والقول المأثور ، وبصفة مخرج الدولة ، والاحتجاج للدعوة ، وتقبيد المآثر ، إذ لم يكن ذلك من عادة العجم ، ولا كان يحفظ ذلك معروفاً لسوى العرب ، ونحن نرتبطها بالشعر الملقى ، ونقيدها بحفظ الأمين^(٣) الذين لا يتكلمون^(٤) على الكتب المدونة ، والخطوط المطرسة^(٥) .

ونحن أصحاب التفاخر والتنافر ، والتنازع في الشرف ، والتحاكم إلى كل حكم مُقتنع ، وكاهن سجاج^(٦) .

ونحن أصحاب التعابير بالثالب ، والتفاخر بالمناقب .

ونحن أحفظ لأنسابنا ، وأرعى لحقوقنا^(٧) ، وتقنيديها^(٨) أيضاً بالمشهور المرسل ، بعد الموزون المعدل ، بلسان أمضى من السنان ، وأرهف

(١) م : وبالقديمة و صوابه في ب ، ط و مع والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمديح الباقي » ، صوابه في مع والرسائل . وفيها : « والمديح الكافي » .

(٣) ب : « الأمين » ب : « الأمين » مع تشديد الميم ، صوابه في ط و مع والرسائل .

(٤) ط فقط : « لا يتكلمون » ، تحريف .

(٥) الطبري ، كما في القاموس : إعادة الكتابة على المكتوب .

(٦) السجاج : لقب يسمي السجع ، وهو الكلام الملقى ، أو الكلام الذي له فواصل ، وكان ذلك من دأب الكهان ، كما نراه في سيرة ابن هشام من أقوالهم . وفي جميع الأصول وكذلك مع : « شجاج » بالشين المعجمة ، صوابه في رسائل الجاحظ ١ : ٢٢ ،

(٧) ب : « ونحن بنا » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي مع والرسائل : « ولنا » .

(٨) ط فقط : « وأدعي لحقوقنا » .

(٩) م فقط : « وتقيد » .

من السيف الحسام ، حتّى نذكرهم ما قد درس رسمه ، وعفا أثره .
وبين القتال من جهة الرغبة والرغبة فرق . وليس المرق في الحفاظ كمن
هذا فيه حادث^(١) . وهذا باب يتقدّم التالذ القليم الطارف الحديث^(٢)

وطلاب الطوائل رجلاّن : سيجستانى وأعرابى . وهل أكثر النقباء
إلا من صميم العرب ، ومن صليبة هذا النسب ، كآبى عبد الحميد
قحطبة بن شبيب الطائى^(٣) ، وآبى محمد سليمان بن كثير الخزاعى^(٤) ،
وآبى نصر . مالك بن الميم الخزاعى^(٥) ، وآبى داود خالد بن إبراهيم
الذهلى ، وكآبى عمرو لاهز بن قريظ المرمى^(٦) ، وآبى عتيبة موسى

(١) ط فقط : « كن هذى فيه حادثا » .

(٢) ب فقط : « والطارف الحديث » بحريف .

(٣) قطبة بن شبيب الطائى ، صلب آبا مسلم الخراسانى ، فى اثنى عشر رجلا من النقباء
اقتارم له أبو عبد الصادق ، فكان شريفاً لأبى مسلم فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد
جيوش أبى مسلم فكان مظفراً . ومات غرقاً فى الفرات سنة ١٣٢ هـ . بين بدأت الخلافة العباسية .
انظر الطبرى فى حوادث سنة ١٠٠ ، وسنة ١٣٢ . ط : « كعب الحميد بن قطبة » ، صوابه
فى سائر النسخ وسج والرسائل .

(٤) كان سليمان بن كثير الخزاعى أحد النقباء الاثني عشر من دعاة الدولة العباسية وأنصار
أبى مسلم ، ولكن آبا مسلم شك فى أمره وأمر بضرب عنقه فى سنة ١٣٢ . الطبرى ٧ : ٤٥٠
وابن الأثير ٥ : ٤٣٧ .

(٥) أبو نصر هذا : أحد النقباء ، وكان المنصور قد أمر بقتله بعد قتله لأبى مسلم ،
ولكنه أظهر من القناعة والنصح ما غير رأى المنصور فيه ، فن عليه واستعمله على الموصل . وذلك
فى سنة ١٣٧ . الطبرى وابن الأثير .

(٦) لاهز بن قريظ ، بالظاهر المجيبة كما فى الطبرى وابن الأثير ورسائل الجاحظ .
وفى الأصول : « بن قريظ » بالطاء المهملة . وفى منج : « بن طريظ » ، صوابهما ما أثبت .
ونسبت من الجبهة ٢١٤ : لاهز بن قريظ بن سري بن الكاهن بن زيد بن حصية بن امرئ القيس .
كان من وجوه أهل دعوة بنى العباس وضرب أبو مسلم عنقه صبراً لأنه قرأ بحضرة نصر بن سيار :
« إن اللأ يأمرون بك ليقطوك فاخرج إلى لك من الناصحين » ، فظنهم نصر وهرب . فقتله
« المرق » هـ فى امرئ القيس . وفى الأصول وسج : « المرق » ، بحريف . وما يبدله من
الكلام إلى : « ومن كان يجرى » ساقط من ط .

ابن كعب المرتضى^(١) ، وأبي سهل القاسم بن مجاشع المرتضى^(٢) . ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم ، [مثل^(٣)] مالك بن الطواف^(٤) المرتضى^(٥) .

وبعد ، فمن هذا الذي باشر قتل مروان^(٦) ، ومن هزم ابن هبيرة ، ومن قتل ابن ضبارة ، ومن قتل نباتة بن حنظلة ، إلا عرب الدعوة ، والصميم من أهل الدولة ؟ ومن فتح السند إلا موسى بن كعب ، ومن فتح إفريقية إلا محمد بن الأشعث ؟

وقلت : وقال : ويقول الموالي^(٧) لنا النصيحة الخالصة ، والمحبة الرأسخة . ونحن موضع الثقة عند الشدة ، وعمل المولى^(٨) من تحت موجبة لمحبة المولى من فوق ، لأن شرف مولاه راجع إليه ، وكرمه زائد في كرمه ، وخموله مسقط لقدره ، ويؤده^(٩) أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه ، لأن ذلك كلما^(١٠) كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر ، كان هو بها أشرف وأنبل ، ومولاك أسلم لك صدراً ، وأود ضميراً ، وأقل حسداً .

(١) في الطبري ٧ : ٣٨٠ : « ومن تميم : موسى بن كعب أبو عبيدة » كما في مج ، لا أبو عبيدة بالناء كما هنا وكما في الرسائل . ولا هز بن قريظ ، والقاسم بن مجاشع ، كلهم من بني أمية القيس . ب : « المراق » م : « المراق » تحريف والصواب المرق نسبة إلى أمية القيس .
(٢) ب : « المرق » م : « المراق » ، صوابها ما أثبت . وانظر الحواشي السابقة .
(٣) التكملة من مج والرسائل .
(٤) م : « الطواف » وفي الطبري : « بن طريف » وفي ابن الأثير : « بن طراقة » ، وجهلا نسبه « الحراساني » .

(٥) في مج : « المراق » وفي ط والرسائل : « المرق » .

(٦) انظر ما سبق في ص ١٧٦ س ٤ :

(٧) ب فقط : « الوالي » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « الموق » ، تحريف .

(٩) ب : « ويؤده » م : « ويؤده » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) مج والرسائل : « لأنه كلما » .

وَبَعْدُ ، فالَوْلَاءُ لَحْمَةٌ كَلْحَمَةِ النَّسَبِ ^(١) ، فقد صار لنا النَّسَبُ الذي يصُوِّبه العربي ^(٢) ، ولنا الْأَصْلُ الذي يفتخر به العجمي .

قال : والصَّبْرُ ضَرْبٌ ، فَأَكْرَمُهَا كُلُّهَا الصَّبْرُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّرِّ ، وللمَوْتَى فِي هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ : وَنَحْنُ أَخْصُ مَدْخَلًا ، وَأَلْطَفُ فِي الْخِدْمَةِ مَسْلَكًا . وَلَنَا مَعَ الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ ، وَالْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ ، خِدْمَةُ الْأَبْنَاءِ لِلآبَاءِ ، وَالْآبَاءِ لِلْأَجْدَادِ ^(٣) ، وَهُمْ بِمَوَالِيهِمْ أَنْسَ ، وَبِنَاحِيَتِهِمْ أَوْثَقُ ، وَبِكِفَايَتِهِمْ أَسْرَ .

وقد كان المنصور ، ومحمد بن علي ، وعلي بن عبد الله ، يخصصون مَوَالِيَهُمْ بِالْمَوَالِكَةِ وَالْبَسْطِ وَالْإِنْسَانِ ، لَا يُبْهَرِجُونَ الْأَسْوَدَ لِسَوَادِهِ ، وَلَا اللَّيْمَ لِدِمَامَتِهِ ، وَلَا ذَا الصَّنَاعَةِ الدَنِيَّةَ لِدَنَاعَتِهَا . وَيُوصُونَ بِحِفْظِهِمْ أَكَابِرَ أَوْلَادِهِمْ : وَيَجْعَلُونَ لِكَثِيرٍ مِنْ مَوْتَاهُمْ الصَّلَاةَ عَلَى جَنَائِزِهِمْ ^(٤) ، وَذَلِكَ بِحَضْرَةِ مِنَ الْعُمَمَةِ ، وَبَنِي الْأَعْمَامِ وَالْإِخْوَةِ .

وَيَتَذَكَّرُونَ لِإِكْرَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ، حِينَ عَقَدَ لَهُ يَوْمَ مُؤْتَةِ عَلَى جِلَّةِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ كُلِّ بَلَدٍ ^(٥) يَطُؤُهَا .

وَيَتَذَكَّرُونَ حُبَّهُ لِأَسَامَةِ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ الْحَبِيبُ ابْنُ الْحَبِيبِ . وَعَقَدَ لَهُ عَلَى عُظْمَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَكَابِرِ الْأَنْصَارِ .

(١) مع : « وبعد فقالوا : لالحمة كالحمة النسب » ، تحريف .

(٢) ب : « تقوى به العرب » م : « تقوى به العرب » ط : « تقوى به العرب » ، صوابه من مع والرسائل .

(٣) في جميع النسخ : « والأجداد للأجداد » ، والوجه ما أثبت من مع والرسائل .

(٤) ط فقط : « ويجعلون الكثير من مواتهم في الصلاة على جنائزهم » .

(٥) ب فقط : « بك » ، تحريف .

ويتذاكرون صنيعه بمئات مواليه كآبي أنسة^(١) وشُقران^(٢) ، وفلان وفلان .

قالوا : ولنا صاحب الدولة : أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم ، وأبو سلمة خُص بن سليمان . وأبو مسلم مولى الإمام ، وعليهما دارت رَحَى الدولة ، وتمَّ الأمرُ واتَّسق نظامُ الملك .

قالوا : ولنا من رُئوس^(٣) النُقباء : أبو منصور مولى خُزاعة ، وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خُزاعة ، وأبو حمزة عمرو بن أعين^(٤) مولى خُزاعة ، وأبو النجم عمران بن إسماعيل^(٥) مولى آل أبي مَعيط^(٦) .

فلنا مناقب الخُراسانية ، ولنا مناقب الموالى في هذه الدَّهوة . ونحن منهم وإليهم ، ومن أنفسهم ، لا يدفع ذلك مسلم . ولا يشكره مؤمن . خدمناهم كباراً ، وحملناهم على عواتقنا صغاراً .

هذا مع حقِّ الرِّضاع والخُولة ، والنُّشوء في الكُتَّاب ، والتَّقلُّب في تلك العِراض التي لم يبلغها إلَّا كلُّ سعيِّ الجَدِّ ، وجيِّء في الملوك . فقد شاركتنا العربيُّ في فخره ، والخُراسانيُّ في مجلِّه ، والبنويُّ في فضله^(٧) ، ثم تفرَّدنا بما لم يشاركونا فيه ، ولا سايَقُونَا إليه^(٨) .

(١) اختلف في اسمه ، ف قيل أنسة أيضاً ، كان في الإصابة ٢٨٥ . وكان حبشياً كان في جوامع السيرة لابن حزم ١١٤ . وكان يأذن عل النبي صل الله عليه وسلم . ومات في خلافة أبي بكر .
(٢) شُقران ، يقال كان اسمه صالح بن عدى . وكان حبشياً أهده عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله . الإصابة ٣٩١١ . وهو أحد من دل رسول الله في قبره . جوامع السيرة ٢٦٥ . وذكر ابن هشام في السيرة ١٨١٨ أنه تولى صب الماء عليه في غسله .

(٣) فقط : « رؤساء » .

(٤) في الأصول : « عمر بن أميْن » ، صوابه في مع الرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .

(٥) في الأصول : « عامر بن إسماعيل » ، صوابه في مع الرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .

(٦) ط فقط : « مولى أبي مَعيط » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) البنوي : نسبة إلى الأبناء ، كما سبق ١٦٧ ط . « والبنوي » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) مع الرسائل : « ولا سبقونا إليه » ، وهو الوجه .

قالوا : ونحن أشكلُ بالرعيَّة ، وأقربُ إلى طباع الدُّهماء ، وهم^(١)
بنا أنس ، وإلينا أسكن ، وإلى لقائنا أحسن . ونحن بهم أرحم ، وعليهم
أعطف ، وبهم أشبه . فمن أحقُّ بالأثرة ، وأولى بحسن المنزلة . فمن هذه
الخصائل له ، وهذه الخلائ فيه .

وقلت : وذكرت أنَّ البنويَّ قال : نحن أصلُ خراساني^(٢) ، وهو
مخرج الدولة ، ومطلع الدعوة ، ومنها نجمُ هذا القرن ، وصباُ هذا
النَّاب ، وتفجرُ هذا ينبوع ، واستفاضَ هذا البحر ، حتَّى ضرب الحقُّ
بجرائنه^(٣) ، وطَبَّقَ الآفاقُ بضياته ، فأبرأ من السُّمِّ القديم ، وشقَى من
الداء العُضال ، وأغنى من القَيْلة ، وبصَّر من العمى .

وهذه بغدادُ وهي مستقرُّ الخلافة ، والقرارُ بعد الجَوْلَة^(٤) ، وفيها
بقيةُ رجالِ الدعوة ، وأبناءُ أبناء الشيعة^(٥) ، وهي خُراسان العراق ،
وبيتُ الخلافة^(٦) وموضعُ المادة .

وأنا أعرقُ^(٧) في هذا الأمر من ألى ، وأكثرُ تردداً فيه من جدى ،
وأحقُّ بهذا الفضل من المولى والعري .

ولنا بعدُ في أنفسنا مالا يُنكر من الصبر تحت ظلال السيوف

(١) م فقط : « وهما » .

(٢) ب ، م : « أصل » ، صوابه في ط . وفي مع والرسائل : « أنا أصل خراسان » .

(٣) ضرب بجرائنه : استقر وثبت . وأصل الجرائن باطن حق الجير . فإذا برز واستقر
قبل أن يجرائنه .

(٤) ب ، م ، مع والرسائل : « الحولة » ، وهي بالحاء المهملة المفتوحة : التحول
والانتقل . وما هنا من ط .

(٥) مع والرسائل : « وأبناء الشيعة » .

(٦) بعده في الأصول : « وفيها بقية رجال الدعوة » ، وهو تكرار لما سبق .

(٧) ب ، ط : « أعرق » ، صوابه في م ، مع والرسائل .

القصار ، والرماح الطوال ، ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا ،
وانقطاع الصفائح ^(١) ، ولنا المواجهة بالسكاكين ، وتلقى الخناجر
بالعيون .

ونحن حماة المستلح ، وأبناء المضايق ، ونحن أهل الثبات عند
الجولة ، والمعرفة عند الحيرة ^(٢) ، وأصحاب المشهات ^(٣) ، وزينة
المساكر وحلى الجيوش ^(٤) ، ومن عشى في الرمح ، ويختال بين الصفيين .
ونحن أصحاب الفتك والإقدام .

ولنا بعد التسليق ونقب المدن ، والتقم على طبات السيوف ^(٥) ،
وأطراف الرماح ، ورضح الجندل ، وهشم العمدة ، والصبر تحت
الجراح ^(٦) ، وعلى جبر السلاح ^(٧) ، إذا طار قلب الأعرابي ، وساء ظن
الخراساني .

ثم الصبر تحت العقوبة ، والاحتجاج عند المسألة ، واجتماع العقل ،
وصيحة الطرف ، وثبات القلمين ، وقلة التكفي بجبل العقابين ^(٨) ،

(١) الصفائح : جمع صفيحة ، وهي السيف العريض .

(٢) في الأصول ، مع : « الحيرة » ، صوابه في الرسائل .

(٣) المشهات : الحلل الفاخرة الموشومة بالشهرة لحسها ، كما في الفائق للزمخشري ،
عنه حديث عمر : « وقد إلهي عامله من إيمان وعليه حلة مشهرة » : ط فقط : المشهات .

(٤) الحل يكسر الغاء وضما : جمع حلية ، بالكسر ، وهي كل ما حليت به امرأة أو سيفاً
ونحوه . ب فقط : « والحل الجيوش » ، تحريف .

(٥) الطيات : جمع طية ، وهي حد السيف والخنجر وما أشبه ذلك . وفي ب فقط : « طية » ،
وهو خطأ .

(٦) في الرسائل : « حل الجراح » .

(٧) يقال أجره لرمح إجراراً ، إذا طمنه به فشى وهو يجره .

(٨) التكفي : التميل والتقلب . والعقابين : عشتان يشج بينهما الرجل فيجده . انظر

السان (عقب) وجنى الجنتين ٨٠ .

والبعد من الإقرار^(١) ، وقلة الخضوع للدهر ، والخضوع عند جفوة الزوار^(٢) ، وجفاء الأقارب والإخوان . ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورموس القناطر^(٣) .

ونحن الموت الأحمر عند أبواب الثقب ، ولنا المواجهة في الأرقعة ، والصبر على قتال السجون . فسل عن ذلك الخليلية^(٤) . والكثيفة والبلابية ، والحزبية ، ونحن أصحاب المكابرات^(٥) ، وأرباب البيات^(٦) ، وقتل الناس^(٧) جهاراً في الأسواق والطرق .

ونحن نجمع بين السلة والمزاحمة . ونحن^(٨) أصحاب القنا الطوالي ما كنا رجالة ، والمطارد القصار ما كنا فرساناً^(٩) . فإن صرنا كمننا^(١٠) فالحفف القاضي ، والسهم الزعاف^(١١) ، وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش . نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض^(١٢) ، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة .

(١) ط : « من الفرار » .

(٢) سج : « جفوة الزوار » بالحاء المهملة .

(٣) ب فقط : « والروس القناطر » ، تحريف .

(٤) طائفة منسوبة إلى خليل . وفي البغلة ٤١ - ٤٣ : « فصل عن الكثيفة والخليلية والحزبية والبلابية » . ونظائر أنهم طوائف من أهل الشغب والتفوضى . م : ط : « الخليلية » فإن صحت كانت بضم الحاء وفتح اللام ، فإن المبرد يميز الحذف في ضميل مضموم الفاء بالطراد .

(٥) ط فقط : « المكابرات » بالبدال .

(٦) وكذا في سج والرسائل . وفي ط فقط : « البيات » .

(٧) ب فقط : « وقتل الناس » ، تحريف .

(٨) في جميع النسخ : « وبين » ، والوجه ما أثبت من سج والرسائل .

(٩) المطارد : جمع طرد ، بالكسر ، وهو الرمح القصير .

(١٠) جمع كين ، وهم الذين يكونون ويتخفون في الحرب ، وفي ط : « كينا » .

(١١) الذعاف : الوسى السريع ، ويقال أيضاً الزعاف بالزاي . وفي ب وسج : « الزعاف » بالزاي .

(١٢) م فقط : « كاعلى الأرض » .

ونحن أفنك وأخشب^(١) . ونحن أقطع للطريق ، وأذكرُ في الثُغور^(٢) ،
مع حسن القلود ، وجودة الخُرط ، ومقادير اللحى ، وحسن العِمة ،
والنفس العُرة ، وأصحاب الباطل والفتوة^(٣) ، ثم الخط والكُتابة ،
والفقه والرِواية .

ولنا بغدادُ بأسرها ، تسكنُ ماسكننا ، وتتحركُ ما تحركنا . والدنيا
كلُّها معلقة بها ، وصائرة إلى مَغانها^(٤) ، فإذا كان هذا أمرها وقدرها
فجميعُ الدنيا تبعُ لها ، وكذلك أهلها لأهلها ، وفُتاكُها لفتاكها ،
وعُلاعُها لِخِلاعِها ، ورؤساؤها لرؤسائها ، وصُلحاؤها لصلحائها .

ونحن تربيةُ الخُلفاء ، وجيرانُ الوُزراء^(٥) ، ولنا في أفتيةِ
مُلوكنا^(٦) ، ونحن أجنحةُ خُلفائنا ، فأخذنا بآدابهم ، واحتذينا على
مثالهم ، فلنا نعرفُ ميوام ، ولا نُتهمُ بغيرهم^(٧) ، ولم يطمع فينا أحدٌ
قط^(٨) مِنْ خُطابِ مُلكهم ، ومن يترشَّح للاعتراض عليهم . فمن أحقُّ
بالأثرة ، وأولى بالقُرب في المنزلة ممن هذه الخصالُ فيه ، وهذه الخِلال
له^(٩) .

إنَّ ذهبنا ، حَظيكَ الله ، بعقب هذه الاحتجاجات ، وعند مُنقطع

(١) أي أشد غلاظة وعشوة .

(٢) جمع ثغر ، وهو الموضع يخاف هجوم العدو منه . ب فقط : « الصور » ،
تعريف .

(٣) ط فقط : « وأصحاب الفتوة » .

(٤) المعنى : المتزل يقام فيه طويلاً . مع والرسائل : « مغانها » بالعين المهملة .

(٥) ب : « وجيران الوُزراء » ، تعريف .

(٦) الفناء : ساحة الدار ، والجمع أفتية . ب فقط : « أئلية » ، تصحيف .

(٧) مع والرسائل : « ولا نعرف بغيرهم » .

(٨) في جميع الأصول : « ولم يطمع فينا أحد قط أحداً » صوابه في مع والرسائل .

(٩) بعده في مع والرسائل : « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه الاستدلالات نستعمل المفاوضة^(١) بمناقب الأتراك، والمقارنة^(٢) بين خصالهم وخصال كلِّ صنف من هذه الأصناف، سلكتنا في هذا الكتاب سبيلَ أصحاب الخصومات في كتبهم، وطريقَ أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم.

وكتابتنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة^(٣)، ولنزيد في الألفة إن كانت مؤتلفة، ولنُخَيِّرَ عن اتفاق أسبابهم، لتجتمع كلمتهم، ولتسلم صلورهم، وليعرف مَنْ كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب، لثلا يُغيَّر بعضهم مغير، ويُفسد^(٤) علو باباطيل مموهة، وشبهات مزورة، فإن المناقح العليم، والعلو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق، ويلبس الإضاعة ثياب الحزم^(٥).

إلا أنا على حال^(٦)، سنذكر جملاً من أحاديث رويناه، وأمور^(٧) رأيناها وشاهدناها، وقصصاً تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعتها.

وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات، ثم ننظر أيُّهم لها أشد استعمالاً، وبها أشد استقلالاً، ومن أثقب حسباً^(٨)،

(١) ب : « يستعمل » م ، ط : « يستعمل » ، والوجه ما أثبت من مع والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمقارنة » ، والوجه ما أثبت . وفي مع والرسائل : « والموازنة » .

(٣) في الرسائل فقط : « التي كانت مختلفة » .

(٤) ب ، م : « ولا يفسد » ، صوابه في ط ، مع والرسائل . وفي الأخيرتين : « فلا يغير بعضهم مغير » ، ولا يفسد .

(٥) ب ، م : « ثياب الحزم » ، صوابه في ط ، مع والرسائل .

(٦) مع فقط : « على كل حال » .

(٧) م ، ط فقط : « وأمور » .

(٨) مع والرسائل : « كياس » ، والكيس ، بالفتح : القتل ، وتوقه الذهن .

وَأَيْقِظُ عَيْنًا، وَأَزْكِي نَفْسًا، وَأَشْدُّ غَوْرًا^(١)، وَأَعْمُ خَوَاطِرًا^(٢)، وَأَكْثَرُ نَفْعًا
فِي الْحُرُوبِ وَضَرًّا، وَأَدْرِبُ دُرْبَةً، وَأَغْمِضُ مَكِيدَةً، وَأَشْدُّ احْتِرَاسًا،
وَالطُّفُّ احْتِيَالًا، حَتَّى يَكُونَ الْخِيَارُ فِي يَدِ النَّازِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ،
التَّنَصُّحُ لِمَعَانِيهِ، وَالْقَلْبُ لَوُجُوهِهِ، وَالْمُفَكِّرُ فِي أَبْوَابِهِ، وَالْمُقَابِلُ بَيْنَ
أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ. وَلَا نَكُونُ نَحْنُ انْتَحَلْنَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَتَقَلَّدْنَا تَفْضِيلَ
بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ، بَلْ لَعَلَّنَا أَنْ لَا نُخْبِرَ عَنْ خَاصَّةٍ مَا عِنْدَنَا بِحَرْفٍ
وَاحِدٍ.

فَإِذَا دَبَّرْنَا كِتَابَنَا هَذَا التَّلْبِيرَ، وَكَانَ مَوْضُوعًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَانَ
أَبْعَدَ لَهُ^(٣) مِنْ مَذَاهِبِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ، وَاسْتِعْمَالِ الْهَوَى^(٤).
وَقَدْ ظَنَّنَا نَاسٌ كَثِيرٌ أَنَّ أَسْمَاءَ أَصْنَافِ الْأَجْنَادِ مَا اخْتَلَفَ فِي الصُّورَةِ وَالخَطِّ
وَالْمُهْجَاءِ، أَنَّ حَقَائِقَهَا وَمَعَانِيَهَا عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَ^(٥).
أَلَا تَرَى أَنَّ اسْمَ الشَّاكِرِيَّةِ^(٦) وَإِنْ خَالَفَ فِي الصُّورَةِ وَالخَطِّ وَالْمُهْجَاءِ
اسْمَ الْجَنْدِيِّ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِيهِمَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ، لِأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى مَعْنَى
وَاحِدٍ، وَعِلْمٌ وَاحِدٌ^(٧). وَالَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ طَاعَةُ الْخُلَفَاءِ وَتَأْيِيدُ
السُّلْطَانِ.

وَإِذَا كَانَ^(٨) الْمَوْلَى مَنْقُولًا إِلَى الْعَرَبِ فِي أَكْثَرِ الْمَعَانِي، وَمَجْمُوعًا

(١) مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « وَأَبْدُ غَوْرًا ».

(٢) ب ، م : « خَوَاطِرًا » تَحْرِيفٌ.

(٣) وَكَلَامًا فِي مِجَ وَالرَّسَائِلِ. وَقَفَ م : « كَانَ الْعِدَّةُ »، وَقَفَ ط : « كَانَ الْعِدَّةُ لَهُ ».

(٤) ب : « الْهَوَا » م ، ط : « الْهَوَا »، صَوَابُهُ فِي مِجَ وَالرَّسَائِلِ.

(٥) ب : « تَتَوَهَّمُونَ ».

(٦) الشَّاكِرِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُودِ. وَقِيَ الْقَامُوسُ : « الشَّاكِرِيُّ : الْأَجِيرُ الْمُسْتَعْتَمِلُ »،

مَرْبٍ « جَاكِرٌ ». وَانْظُرِ الْخَيْرَانَ ٢ : ١٣٠.

(٧) مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « وَعَمِلَ وَاحِدٌ ».

(٨) م : « فَلِذَا ».

منهم في عامة الأسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والد^(١) ،
والحليف من الصميم ، وابن الأخت من القوم .

وقد جعل الله ابن الملائنة المولود على فراش البغل منسوباً إلى أمه ،
وقد جعل^(٢) إسماعيل وهو ابن أعجميين عربياً ، لأنَّ الله تعالى لما
فتق لاهته بالعربية المبينة على غير التلقين^(٣) والترتيب ، وقطره على
الفصاحة العجيبة على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طباعه من طبائع
العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وركبه اختراعاً على ذلك التركيب ،
وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصيغة ، ثم حماه من طبائعهم ،
ومنته من أخلاقهم وشائلكهم ، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهمهم
على أكرمها وأسنها ، وأشرفها وأعلاها ، وجعل ذلك برهاناً على رسالته ،
ودليلاً على نبوته ، وصار أحقَّ بذلك النسب^(٤) ، وأول بشر ذلك
الحسب .

وكما جعل إبراهيم أباً لمن لم يلد^(٥) ، فالبنو خُرَاسانيُّ من جهة
الولادة ، والمولى عربيُّ من جهة المدعى والمائلة .

ولو أحاط علمنا بأنَّ زياداً لم يخلق من نجل عمرو إلا عهراً^(٦)
لنفتنناه عنه ، وإنَّ أيقناً أنه لم يُخلق إلا من ماء صلبه .

وكما جعل النبيُّ أزواجه أمهات المؤمنين ، وهنَّ لم يلدنَّهم ولا

(١) ب : « جعله الخال والدأ » .

(٢) في الرسائل : « وقد جعلوا » .

(٣) م ، ط : « التمين » ، صوابه في ب . مع والرسائل .

(٤) ب : « بهذا النسب » ، وفي مع والرسائل : « فكان أحقَّ بذلك النسب » .

(٥) في الرسائل : « لمن لم يلد » .

(٦) ط : « لم يخلق إلا من نجل عمرو » . فقط وهو تحريف . والنجل : النسل والولادة .

أَرْضَعْتَهُمْ . وفي بعض القراءات : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ ﴾^(١) على قوله : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٢) ، وجعل المرأة من جهة الرضاع أمًا ، وجعل امرأة البعل أمٌ وَلَدِ البعل من غيرها ، وجعل الرَّابَّ والدًا^(٣) . وجعل العم في كتاب الله أبًا . وهم عبيده^(٤) لا يتقلبون إلا فيما قلبهم فيه .

وله أن يجعل من عباده^(٥) من شاء عربياً ، ومن شاء أعجمياً ، ومن شاء قرشياً ، ومن شاء زنجياً . كما أن له أن يجعل من شاء ذكراً ومن شاء أنثى ، ومن شاء خنثى ، ومن شاء أخرجه من ذلك^(٦) فجعله لا ذكراً ولا أنثى ولا خنثى .

وكذلك خلق الملائكة ، وهم أكرم على الله من جميع الخليقة . ولم يجعل لآدم^(٧) أباً ولا أمًا ، وخلق من طين ونسبه إليه ، وخلق حواء^(٨) من ضلع آدم ، وجعلها له زوجاً وسكناً .

وخلق عيسى من غير ذكرٍ ، ونسبه إلى أمه التي خلقه منها . وخلق الجن من نار السموم ، وآدم من طين ، وعيسى من غير

(١) : هي قراءة أبي وعبد الله بن مسعود في الآية ٦ من سورة الأحزاب . انظر تفسير أبي حيان ٧ : ٢١٢ .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٣) قراب : فاعل من ربه يربه ربا ، بمعنى ربا حتى يفارق الطفولية ، كان ابنه أو لم يكن . (٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٧٤ : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ قِيلَ أَنْ أَرِزْ إِبْرَاهِيمَ وَلَيْسَ اسْمُ أَبِيهِ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَفْسِيرِهِ ٤ : ١٦٤ : « وَهُوَ قَوْلُ الشَّيْخِ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَاهُ الْأَنْبِيَاءُ لَا يَكُونُونَ كَقَارَأَ . وَظَوَاهِرُ الْقُرْآنِ تَرَدُّدُ طَلِيمٍ وَلَا سِجَا غَاوِرَةٍ إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَبِيهِ فِي فَيْرٍ مَا آيَةٌ » .

(٥) ب فقط : « وهم عبيد » ، وفي مع : « وهم عباده » ، وأثبت ما في م ، ط والرسائل .

(٦) مع والرسائل : « أفرده من ذلك » .

(٧) مع في الأصول : « فلم يجعل لآدم » ، والوجه ما أثبت . واللى في مع والرسائل : « وخلق آدم فلم يجعل له » .

(٨) : ب ، م : « حوى » .

نُطْفَةٍ ، وخلق السَّاءَ من دُخَانٍ ، والأَرْضَ من الماء . وخلق إسحاق من عاقِرٍ .

وَأَنْطَقَ عِيسَى فِي الْمَهْدِ ، وَأَنْطَقَ يَحْيَى بِالْحِكْمَةِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، وَعَلَّمَ سُلَيْمَانَ مِنْطَقَ الطَّيْرِ ، وَكَلَامَ النَّمْلِ . وَعَلَّمَ الْحَفَظَةَ مِنَ الْمَلَايِكَةِ جَمِيعَ الْأَلْسِنَةِ حَتَّى كَتَبُوا بِكُلِّ خَطٍّ ، وَنَطَقُوا بِكُلِّ لِسَانٍ . وَأَنْطَقَ ذَنْبُ أَهْبَانَ ابْنِ أَوْسٍ ^(١) .

والمؤمنون من جميع الأمم إذا دخلوا الجنة ، وكذلك أطفالهم والمجانين منهم ، يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلام أهل الجنة ، على غير الترتيب والتنزيل ، والتعليم على طول الأيام والتلقين . فكيف يتعجب الجاهلون من إنطاق إسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء ، وتأديب الحواصين ؟

وهذه المسألة ربما سأل عنها بعض القحطانية ، ممن لا علم له ، بعض العلنانية ^(٢) ، وهي على حال القحطانية أشد ^(٣) .

فإنما جواب العلناني فليس النظام ، سهل المخرج ، قريب المعنى ؛ لأن بني قحطان لا يدعون لقحطان نبوة ^(٤) فيعطيه الله تعالى مثل هذه الأعجوبة .

وما الذي قسم الله بين الناس من ذلك إلا كما صنع الله في طينة

(١) أهبان هذا : أحد الصحابة ، ذكروا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . انظر تفصيل ذلك في تمار القلوب ٣٠٩ . وانظر كذلك الحيوان ١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ / ٧ : ٥٠ : ٢١٣ و الإصابة ٣٠٥ .

(٢) ب ، م : « لبعض العلنانية » ، صوابه في ط ، مع والرسائل .

(٣) مع : « وهي على القحطاني أشد » .

(٤) ب فقط : « نبوة » بتقديم الباء ، تحريف .

الأرض^(١)، فجعل بعضُها حجراً، وبعضُ الحجر ياقوتاً، وبعضُه ذهباً، وبعضُه نحاساً، وبعضُه رصاصاً، وبعضُه صفراً^(٢)، وبعضُه حديداً، وبعضُه تراباً، وبعضُه فخاراً. وكذلك الزجاج، والمغرة، والزرنخ، والمرتك، والكبريت، والقار، والتوتيا، والتوشادر^(٣)، والمرقشيشا^(٤)، والمغنطيس^(٥).

ومن يُحصي عدَدَ جواهر الأرض وأصناف الفلز^(٦) ؟

وإذا كان الأمر على ما وصَّفتنا فالبنوى^(٧) خراساني. وإذا كان الخراساني مولى والمولى عربي^(٨)، فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربي^(٩) شيئاً واحداً. وأدنى ذلك أن يكون الذي معهم^(١٠) من خصال الوفاق غامراً لما معهم من خصال الخلاف، بل هم في معظم الأمر، وفي كثير الشأن^(١١) وعمود النسب متفقون. فالأمر لك خراسانية،

(١) م فقط : « إلا كما صنع في طينة الأرض » .

(٢) الصفر : بالضم : النحاس الأصفر .

(٣) انظر حواشي الحيوان ٣ : ٣٧٧ / ٥ : ٣٤٩ .

(٤) المرقشيشا ، هو ما يعرف بحجر الماركريت ، كما في معجم استيعباس ١٢١٨ . وقد وردت في سج والرسائل : « المرقشيشا » بالفاء بدل الشين الثانية . كما وردت بالفاء أيضاً في تذكرة داود مرصاً في الكلام على « المننيسيا » إذ يقول : « حجر كالمرقشيشا » . وقد له رسماً في المصنف لابن رسولاً ٣٤٢ بلقط « مرقشيشا » .

(٥) ذكر داود في تذكرته أنه يسمى حجر الملقود وحجر الحديد . وقال : « وأجوده اللزودي الرزين الصافي » الجاذب للحديد . ومثله في المصنف لابن رسولاً .

(٦) الفلز : جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهاها . ب فقط : « الفلز » ، تحريف .

(٧) ط : « فالبنوي » ، تحريف . وانظر ما سبق في ١٦٧ .

(٨) ط : « عربياً » .

(٩) في جميع الأصول : « والمولى مولى والعرب » ، صوابه في سج والرسائل .

(١٠) ب فقط : « معه » .

(١١) الكبير ، بكسر الكاف وضمها : الرقة في الشرف .

وموالى الخلفاء قُصرة^(١) ، فقد صار فضلُ التُّركِ إلى الجميع راجعاً ،
وصار شرفهم زائداً في شرفهم .

وإذا عرف سائرُ الأجنادِ ذلك سامحتِ النفوسُ ، وذهبَ التعقيدُ ،
ومات الضُّغنُ ، وانقطع سببُ الاستثقالِ ، فلم يبقَ إلَّا التحاسدُ والتنافسُ الذي
لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة ، وفي الصُّناعة ، وفي المُجاورة .
على أنَّ التوازنَ والتسالمَ في القراباتِ وفي بنى الأعمامِ والعشائرِ
أفشى وأَمُّ من التَّخاذُلِ والتعاضدِ .

ولحبِّ التناصرِ والحاجةِ إلى التعلُّونِ انضمَّ بعضُ القبائلِ في البوادي
إلى بعضٍ ، ينزلون معاً ، ويظعنون معاً . ومن فارق أصحابه أقلُّ ، ومن
نصر ابن عمه أكثرُ ، ومن اغتبطَ بنعمته وتمنَّى بقاها والزيادةَ
فيها أكثرُ ممن بغاها الغوائلُ^(٢) وتمنَّى انقطاعها وزولها .

ولا بدُّ في أضعافِ ذلك من بعضِ التَّنَافُسِ والتَّخاذُلِ ، إلَّا أنَّ ذلك
قليلٌ من كثير .

وليس يكون^(٣) أن تصفو الدنيا ، وتنقِ^(٤) من الفسادِ والمكروهِ ،
حتى يموتَ جميعُ الخلافِ^(٥) ، وتستوى لأهلها ، وتتمهدَ لسكانها^(٦)
على ما يشتهون ويهوون ؛ لأنَّ ذلك من صفةِ دارِ الجزاءِ ، وليس كذلك
صفةُ دارِ العملِ .

(١) قُصرة ، بضم القاف ، أى أدنى إليهم . كما يقال هو ابن عمى قُصرة ، أى داني النسب .

(٢) الغوائل : المهلكات . ويقال بنيتك الشيء : طلبته لك وتمنيته . وفي كتاب الله :

« يوفونكم الجنة » ، أى يوفونها لكم .

(٣) وكذا في سج . وفي الرسائل : « وليس يجوز » .

(٤) ب : « أن تصفو الدنيا ويقي » م ، ط : « أن تصفو الدنيا ويقي » ، صوابها في

سج والرسائل . وثق الشيء يثق نقاه : صار نقياً خالصاً .

(٥) في جميع الأصول : « وحسب » ، صوابه في سج والرسائل . وفي الرسائل أيضاً :

« جميع الخلاق » .

(٦) في جميع الأصول : « ويستوى لأهلها ويتمهد لسكانها » ، صوابه في سج والرسائل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ كتبه أَيْتَامُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَصَّرَ وَجْهَهُ ، فلم يصل إليه لأسباب يطول ذكرها ^(٢) ، فلذلك لم أعرض للإخبار عنها ، وأحببت أن يكون كتاباً قَصْداً ، ومذهباً عَدَلاً ، ولا يكون كتابَ إسرافٍ في مديح قوم ، وإغراقٍ في هجاء آخرين ، فَإِنَّ الْكِتَابَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ شَابَهُ الْكُذْبُ ^(٣) وخالطه التَّزْيُدُ ، وَبُنِيَ أَسَاسُهُ عَلَى التَّكْلُفِ ^(٤) ، وخرج كلامه مَخْرَجَ الْاِسْتِكْرَاءِ وَالتَّغْلِيْقِ ^(٥) .

وأنفع المدايح للمادح ، وأجدناها على المملوح ، وأبقاها أثرأ وأحسنها ذكراً ، أن يكون المديح صِدْقاً ، ولظاهر حال المملوح موافقاً ، وبه لأنفاً ، حتَّى لا يكون من المعبر عنه والواصف له إِلَّا الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَيْهِ .

وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُ مَنَاقِبِ الْأَثَرَاكِ إِلَّا بِذِكْرِ مَنَاقِبِ سَائِرِ الْأَجْنَادِ ، فَتَرَكْتُ ذِكْرَ الْجَمِيعِ أَصَوَّبَ ، وَالْإِضْرَابَ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ أَحْزَمُ .

(١) هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . وتوفي بسر من رأى سنة ٢٢٧ . وولى الخلافة بعده ولده هارون الواثق .

(٢) مع والرسائل : « يطول شرحها » .

(٣) هذا ما في الرسائل . وفي جميع الأصول : « شانه فقط . وفي مع : « شانه الكذب » .

(٤) في جميع الأصول : « في التكلف » .

(٥) التغليق ، المراد به السر ، كما ينطق الباب تنليقاً . وفي جميع الأصول وكذا في

مع والرسائل : « الصليق » ، والوجه ما أثبت .

وذكرُ الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم إلا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح ، وهو معصية^(١) وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجلى علينا ، لأن ذكر الأكثر بالجميل نافلة ، وبابٌ من التطوع ؛ وذكر الأقل بالقبيح معصية ، وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجلى علينا من كثيرِ التطوع .

ولكلُّ الناس نصيبٌ من النقص ، ومقدارٌ من اللُذوب ، وإنَّما يُتفاضَلُ بكثرة المحاسن وقلة المساوئ . فأما الاشتغالُ على جميع المحاسن ، والسَّلامة من جميع المساوئ ، دقيقتها وجليلها ، ظاهرها وخفيها ، فهذا لا يعرف فيهم^(٢) .

فإذا كان الخطأ من جمهور الناس وأهل المقاييس^(٣) من دهما الجماعة^(٤) يرون ذلك واجباً في الأخلاق ، ومصلحة في المعاش ، وتدبيراً في التعامل ، على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب ، وامتزاج الضعف بالقوة ، فلسنا نشكُّ أنَّ الإمام الأكبر^(٥) ، والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة ، والأخلاق الرفيعة ، والتأم في الحلم والعلم ، والكمال في العزم والحزم ، مع التمكين والقلرة ، والفضيلة والرياسة والسيادة ، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة ، والتأييد وحسن المعونة - لم يكن الله ليُجِلَّهُ لباس الخلافة ، ويحيوه بهاء الإمامة^(٦) ، وبأعظم نعمة

(١) ب : « لم نصيه » م : « معصية » ققط . وأثبت ما في ط .

(٢) في جميع الأصول : « فهذا ما يعرفونه » ، صوابه في مع والرسائل مع سقوط كلمة « فيهم » منهما .

(٣) في جميع الأصول : « وأهل المقاييس » . وفي مع : « وأصحاب المقاييس » ، وأثبت ما في الرسائل .

(٤) ط ققط : « من زعماء الجماعة » .

(٥) ب ققط : « في أن الإمام الأكبر » .

(٦) ب : « بهاء الإمامة » ، وفي مع والرسائل : « بجلج الخلافة » .

وَأَسِيغَهَا ، وَأَفْضَلَ كِرَامَةً وَأَسْنَاهَا ، ثُمَّ وَصَلَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمَعْصِيَتَهُ بِمَعْصِيَتِهِ ، إِلَّا وَمَعَهُ مِنَ الْحِلْمِ فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، وَالْعَفْوِ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ ، وَالتَّغَاوُلِ فِي مَوْضِعِ التَّغَاوُلِ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ قَبْلُ ذِي فَضْلٍ ، وَلَا حِلْمُ ذِي حِلْمٍ .

ونحن قائلون ، ولا حول ولا قوة إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، فَبِمَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي الْأَثَرِ .

زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الأشرس^(١) والقاسم بن سيار^(٢) في جماعة ممن يغشوا دار الخلافة^(٣) ، وهي دار العامة^(٤) ، قالوا جميعاً :
 بينا حميد بن عبد الحميد جالساً ومعه إخشيد الصفدي^(٥) ،
 وأبو شجاع شبيب بن بخار خدای^(٦) البلخي ، ويحيى بن معاذ ، ورجال
 من الملعودين المتقنمين في العلم بالحرب ، من أصحاب التجارب
 والجراس ، وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب ، إذ خرج رسول
 المأمون فقال لهم : يقول لكم مفترقين ومجتمعين : فليثبت^(٧) كل

(١) ب : « الأشرس » ، تحريف . وهو ثمامة بن أشرس البصري مولد بني نمير . كان زعيم
 للفرقة في زمان المأمون والمتصم والوائق . وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق
 بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استغفائه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم
 جمعة يتبادون إلى المسجد الجامع ، لحوضهم من قوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء
 الحميم والبقير ! ثم قال : ما صنع ذلك العربي بالناس . فتأويل غثف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة
 في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ - ٢٣٢ . وقيل مات سنة ٢١٣ . انظر الفرق ١٥٩
 ولسان الميزان ٢ : ٨٤ وتلخيص بغداد ٧ : ١٤٥ - ١٤٨

(٢) ب : « سيار » ، صوابه في سائر النسخ والحيوان ٤ : ٤٤٢

(٣) ط فقط : « ممن يغشون دار الخلافة » .

(٤) ط فقط : « وهي دار الإمامة » .

(٥) ج : « بخشاد الصفدي » ، وفي الرسائل : « بخشاد الصفدي » .

(٦) ب : « بخار خدای » ، وأثبت ما في م ، ط ، ج . وفي الرسائل ١ : ٤٠ : « بخارا
 خدای » .

(٧) ج و الرسائل : « فليكتب » .

رجلٍ منكم دَعَوَاهُ وَحُجَّتْهُ ، يقول لكم : أَيْمًا أَحَبُّ إِلَى كُلِّ قَائِدٍ مِنْكُمْ ،
إِذَا كَانَ فِي مَائَةٍ مِنْ نَحْبَتِهِ وَثِقَاتِهِ ^(١) : أَنْ يَلْقَى بِهِمْ مَائَةٌ تَرْكِيٌّ أَوْ
مَائَةٌ خَارِجِيٌّ ؟

فَقَالَ الْقَوْمُ جَمِيعًا : [لَآنَ] ^(٢) نَلْقَى مَائَةَ تَرْكِيٍّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَلْقَى
مَائَةً خَارِجِيٍّ ! وَحَمِيدٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا فَرَّغَ الْقَوْمُ جَمِيعًا مِنْ حُجَّتِهِمْ
قَالَ الرِّسُولُ لِحَمِيدٍ : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَقُلْ وَاكْتُبْ قَوْلَكَ ، وَلَيْكُنْ حُجَّةٌ
لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . قَالَ : بَلِ أَلْقَى مَائَةُ خَارِجِيٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ ؛ لِأَنِّي وَجَدْتُ
الْخِصَالَ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا التَّرْكِيُّ جَمِيعَ الْمُقَاتِلَةِ غَيْرَ تَامَةٍ فِي الْخَارِجِيِّ ،
وَوَجَدْتُهَا تَامَةً فِي التَّرْكِيِّ . فَفَضَّلُ التَّرْكِيَّ عَلَى الْخَارِجِيِّ بِقَدْرِ فَضْلِ
الْخَارِجِيِّ عَلَى سَائِرِ الْمُقَاتِلَةِ . وَذَلِكَ بِأَنَّ التَّرْكِيَّ بَانَ مِنَ الْخَارِجِيِّ بِأُمُورٍ
لَيْسَ فِيهَا لِلْخَارِجِيِّ دَعْوَى وَلَا مُتَعَلِّقٌ . عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي بَانَ بِهَا
التَّرْكِيُّ مِنَ الْخَارِجِيِّ أَعْظَمُ خَطَرًا وَأَقْلَى نَفْعًا مِمَّا شَارَكَهُ الْخَارِجِيُّ فِي
بَعْضِهِ .

ثُمَّ قَالَ حَمِيدٌ : وَالْخِصَالَ الَّتِي يَصُولُ بِهَا الْخَارِجِيُّ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ :
صِلْقُ الثَّلَّةِ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَهِيَ الدَّفْعَةُ الَّتِي يَبْلَغُونَ بِهَا مَا أَرَادُوا ،
وَيَنَالُونَ بِهَا مَا أَمَلُوا .

وَالثَّانِيَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الْخَبَبِ ^(٣) ، وَعَلَى طُولِ السَّرَى حَتَّى يُصْبِحُوا
الْقَوْمَ الَّذِينَ مَرَقُوا بِهِمْ غَارِبِينَ ^(٤) ، فِيهِجُمُوا ^(٥) عَلَيْهِمْ وَهُمْ بَسُوءٌ ^(٦)

(١) ب : « مِنْ ثِقَاتِهِ » . وَفِي مَجِّ وَالرِّسَائِلِ : « إِذَا كَانَ فِي عِطْفِهِ مِنْ صِحْبِهِ وَثِقَاتُهُ » .

(٢) هَذِهِ مِنْ طَوَّلِ الرِّسَائِلِ .

(٣) الْخَبَبُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعِلْوِ السَّرِيعِ . ب : « الْخَبَبُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الْمَرُوقُ : الْمُرُودُ بِسُرْعَةٍ كَمَا يَمْرُقُ السَّمُّ مِنَ الرِّمِيَةِ . غَارِبُونَ : غَافِلُونَ . ب : « غَارِبُونَ » .

(٥) ب فَقَطْ : « فَهَجُمُوا » .

(٦) فِي الْأَصُولِ : « يَشْرُ » ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ مَجِّ وَالرِّسَائِلِ . وَهُوَ

مِنْ قَوْلِهِمْ : نَاقَةُ بَسُوءٍ ، يَفْتَحُ الْبَاءَ : لِاتِّمَاعِ الْخَالِبِ . وَهَذَا مِثْلُ الضَّعْفِ .

ولحم على وَصَمَ^(١) ، فَيُعْجَلُوا بِهِمْ عَنِ الرَّوِيَّةِ^(٢) ؛ وعن رَدِّ النَّفْسِ بعد
الْجَوْلَةِ^(٣) ، والنَّزْوَةِ ، لا يظنون أَنَّ أَحَدًا يَقْطَعُ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَارِ مِنَ الزَّمَانِ
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْبِلَادِ .

والثالثة : أَنَّ الْخَارِجِيَّ مَوْصُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ بِأَنَّهُ إِنْ طَلَبَ أَدْرَكَ ،
وَإِنْ طَلَبَ فَات .

والرابعة : خِطَّةُ الْأَزْوَادِ^(٤) ، وَقَلَّةُ الْأَمْتَةِ ، وَأَنَّهَا تَجَنُّبُ الْخَيْلِ^(٥) ،
وَتَرْكِبُ الْبِغَالِ ، وَإِنْ احتاجتْ أَمَسَتْ بِأَرْضِي وَأَصْبَحَتْ بِأُخْرَى^(٦) ،
وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ حِينَ خَرَجُوا لَمْ يَخْلُفُوا الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، وَالْجَنَانَ الْمَلْتَفَةَ ،
وَالنُّورَ الْمَشِيدَةَ ، وَلَا ضِياعاً وَلَا مُسْتَغَلَّاتٍ ، وَلَا جَوَارِيَّ مَطْهُمَاتٍ ، وَأَنَّهُمْ^(٧)
لَا سَلَبَ لِمَ ، وَلَا مَالَ مَعَهُمْ ، فَيَرْغَبُ الْجُنْدُ فِي لِقَائِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالطَّيْرِ
لَا تُلْخِرُ ، وَلَا تَنْهَمُ^(٨) لَغْدٍ ، وَلَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْمِيَاهِ وَالْبُزُورِ^(٩)
مَا يَقُوتُهَا . وَإِنْ لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ فَأَجْنَحْتُهَا تَقْرُبُ لَهَا الْبَعِيدَ ،
وَتُسَهِّلُ لَهَا الْحُزْنَ . وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمُ الْقِرَى وَالطُّعْمُ^(١٠) ،

(١) الوض : جمع وضعة ، وهو كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو حصى ،
يوقى به الأرض . واللحم على الوض مثل الضعف وعدم الامتناع .

(٢) في جميع الأصول : « على الروية » ، والوجه ما أثبت من مع والرسائل .

(٣) ب : م : « بعد الحولة » بالحاء المهملة .

(٤) ب فقط : « الأزواج » تحريف . والأزواد : جمع زاد ، وهو الطعام ولا سيما في
والسفر .

(٥) تمنها : تقودها إلى جنب البغال . والضمير للخوارج .

(٦) ب فقط : « وأضحت بأخرى » .

(٧) ب ، م : « أنهم » يكون ولو .

(٨) ب : « ولا تنهم لند » .

(٩) في جميع الأصول : « والبزور » ، ولا وجه له . وفي مع والرسائل . : « والأقوات » .

(١٠) مع والرسائل : « والطعم » ، والطعم : بالنم : الطعام .

فَإِنْ يَمْتَنِعُ^(١) عَلَيْهِمْ فِي بَنَاتِ أَعْوَجَ^(٢) وَبَنَاتِ شَمَاجَ^(٣) ، وَخِغَةَ^(٤) الْأَثْقَالِ ، وَالْقُوَّةَ عَلَى طَوْلِ الْخَيْبِ مَا يَأْتِيهَا بِأَرْزَاقِهَا ، وَأَكْثَرَ مِنْ أَرْزَاقِهَا .
والخامسة : أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ أَعْدَادَهُمْ لِيَكُونُوا فِي خِغَةِ^(٥) أَرْزَادِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ ، وَلِيَقْوُوا عَلَى التَّنْقِطِ كَقَوْتِهِمْ^(٦) ، لَمْ يَقْوُوا عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ مَائَةَ^(٧) مِنَ الْجُنْدِ لَا يَقُومُونَ لِمَائَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ . وَإِنْ كَثَّفُوا الْجَيْشَ وَضَاعَفُوا الْعِدَدَ^(٨) تَقَلُّوا عَنْ طَلِبِهِمْ ، وَعَنِ الْقُوَّةِ إِنْ طَلَبَهُمْ عُلُومُهُمْ . وَمَتَى شَاءَ الْخَارِجِيُّ أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُمْ لِيُطَرِّقَهُمْ^(٩) ، أَوْ لِيُصِيبَ الْغُرَّةَ^(١٠) أَوْ لِيُثْبِتَهُمْ^(١١) ، فَعَلْ ذَلِكَ^(١٢) ، ثَقَّةً بِأَنَّهُ يَغْنَمُ^(١٣) عِنْدَ الْفُرْصَةِ وَرُؤْيَا الْعَوْرَةِ ، وَيَمَكِّنُهُ الْمَرْبُ عِنْدَ الْخَوْفِ ، وَإِنْ شَاءَ كَبَسَهُمْ^(١٤) لِيَقْطَعَ نِظَامَهُمْ ، أَوْ لِيَقْطَعَ الْقِطْعَةَ مِنْهُمْ .

- (١) فِي الْأَصُولِ : « يَمْتَنِعُ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَج . وَفِي الرِّسَالِ : « فَإِنْ مَتَنَ » .
(٢) ط : « أَعْوَجَ » تَحْرِيف . وَأَعْوَجَ هَذَا : فَرَسٌ كَانَ لَكُنَّةً ، فَأَخْلَعَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ فِي بَيْتِ أَبِيهِمْ ، فَصَارَ إِلَيْ بَنِي هَلَالٍ . وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ فَعْلٌ أَشْبَهَ وَلَا أَكْثَرَ نَسْلًا مِثْلَهُ .
(٣) بَنَاتُ شَمَاجَ ، هِيَ الْبَنَاتُ ، لِأَنَّهَا تُشَجَّعُ بِصَوْتِهَا . وَفِي مَجِ وَالرِّسَالِ : « وَبَنَاتُ شَمَاجَ وَبَنَاتُ صِهَالٍ » . وَبَنَاتُ صِهَالٍ يَمْنِي بِهَا الْكَلِيلُ فَإِنَّ الصَّجِيلَ لَهَا . وَبَنَاتُ صِهَالٍ لَمْ تَرُدَّ فِي السَّانِ وَلَا الْقَامُوسِ ، وَلَكِنْ وَرَدَتْ فِي الْمُزْمَرِ ١ : ٢٥٥ .
(٤) ب : « كَقَوْلِهِ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط وَمَجِ وَالرِّسَالِ .
(٥) ب : « لِأَمَانَةٍ » تَحْرِيفٌ .
(٦) مَجِ وَالرِّسَالِ : « وَإِنْ كَثَّفُوا الْجَيْشَ بِالْجَيْشِ ، وَضَاعَفُوا الْعِدَدَ بِالْعِدَدِ » .
(٧) الصُّلُوفُ : الْإِغَارَةُ مِنْ حَوْلِ السَّكْرِ . ب : « لِيُنْظَرَ فِيهِمْ » . م ، ط : « .
(٨) لِيَطْرُقَهُمْ » بِالْقَافِ ، صَوَابُهُ فِي مَجِ وَالرِّسَالِ .
(٩) الْغُرَّةُ ، بِالْكَسْرِ : النَّفْثَةُ . ب : « الْعَرَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط ، مَجِ وَالرِّسَالِ .
(١٠) أَثْبِتَهُ : جَرَّحَهُ جِرَاحَةً لَا يَقُومُ مِنْهَا . وَفِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ : « وَإِذَا يَمُكِرُ بِكَ الْغَنِينُ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوا أَوْ يَقْتُلُوا أَوْ يَنْجِرُوا » فِي الْآيَةِ ٣٠ مِنَ الْأَنْفَالِ . وَفِي مَجِ وَالرِّسَالِ : « أَوْ لِيُثْبِتَهُمْ » .
(١١) ب ، مَجِ : « فَعَلْ » يَسْقُطُ ذَلِكَ .
(١٢) فِي الْأَصُولِ : « يَقْتَمِ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَجِ وَالرِّسَالِ .
(١٣) الْكَيْسُ : الْإِحْصَامُ ، كَالْتَكْيِيسِ وَالتَّكْيِيسِ . ب : « كَيْسُهُمْ » بِأَلْيَاءِ الْمُشَاةِ الصَّحِيَّةِ ، تَحْرِيفٌ .

قال حُمَيْد : فهذه هي مفاخرهم وخصالهم ، التي بها كَرِهَ القواد لقاعهم .
قال القاسم بن سيار : وخصلة أخرى ، وهي التي رَعِبَت القلوب ^(١)
وَحَسَنَتْها ^(٢) ، وَنَقَضَت العزائم ^(٣) وَفَسَخَتْها ، وهو ما تَسْمَعُ الأجنادُ
ومُقاتلةُ العوامِ مِنْ ضربِ المثل بالخوارج ، كقول الشاعر :

إذا ما البخيل والمحاذير للقرى
رأى الصَّيفَ مثلَ الأزرقِ المجفَّفِ ^(٤)

هذه زيادةُ القاسمِ بن سيار .

فأما حُمَيْد ^(٥) فَإِنَّهُ قال :

فأما الشدةُ فالتركيُّ فيها أحمَدُ أثرًا ، وأجمعُ أمرًا ، وأحكمُ شأنًا ،
لأنَّ التركيَّ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَصْدُقَ شِدَّتُهُ وَتُمْكِنَ عِزُّهُ ، ولا يكونُ مُشْتَرَكًا
العزم ، ومُنْقَسِمَ الخواطر ، قد عَوَّدَ بِرِذْوَنِهِ أَنْ لا يَنْشَى وَإِنْ شَاءَ ، أَنْ
يَمْلَأَ فَرْجَهُ ^(٦) ، إِلَّا أَنْ يُدِيرَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لا يَدَعُ سَنَنَهُ ،
ولا يقطع رِكَضَهُ ^(٧) ، وَإِنَّمَا أَرَادَ التركيُّ أَنْ يُوَيِّسَ نَفْسَهُ مِنَ الْبَلَدَاتِ ^(٨) ،

(١) ط فقط : « أُرِجِت » . يقال رَجِبَ فلانًا رَجَبًا : خَوْفُهُ وَأَفْرَهُ . كما يقال أُرِجِبُهُ
إِرْجَابًا .

(٢) أي ملائمتها من الرعب . وفي م : « وَجَشَتْها » ، وفي سج والرسائل : « وَغَلَمَتْها » .

(٣) ب : « وَنَقَضَتْها العزائم » .

(٤) ب : « إِذَا ما الْخَيْلُ ، تَحْرِيف . وفي ط : « إِذَا ما رَأَى الْخَيْلَ الْخَانِذِي لِقَرَى » .

تَحْرِيفٌ أَيْضًا ، صَوَابُهُ فِي م ، وَجِ وَالرَّسَائِلُ . ب ، م : « الصَّيْفُ » بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، تَحْرِيفٌ .
وَالْمَجْفَفُ : الَّذِي جُفِفَ فَرْسُهُ بِالْتَّجْفِافِ ، وَهُوَ مَا جَلَّلَ بِهِ مِنْ سِلَاحٍ وَآلَةٍ تَقِيهِ الْجِرَاحُ . وفي ب :
« الْخَفَقُ » . وفي م ، ط : « الْخَفَقُ » صَوَابُهُمَا فِي سَج وَالرَّسَائِلُ .

(٥) م ، ط : « وَلَمَّا جِئ » .

(٦) ط فقط : « فَلَا يَمْلَأُ فَرْجَهُ » تَحْرِيفٌ . وَالْفَرْجُ : مَا بَيْنَ قِوَامِ الْفَرْسِ . وَكُنِيَ
بِهَا عَنْ الْإِسْرَاحِ وَشِدَّةِ الْمَوْحِ لِاتِّكَادِ تَطْهَرُ تِلْكَ الْفَرْجُ لِلنَّظَرِ .

(٧) ب فقط : « وَرَكَدَهُ » تَصْغِيرٌ .

(٨) ب فقط : « يُوَيِّسُ » بِالْيَاءِ ، تَحْرِيفٌ . وَالْبِلْدَاتُ : الْخَطَرَاتُ وَالْأَرَاءُ تَبْدُو وَتُظْهِرُ .

ط فقط : « الْبِلْدَاتُ » .

ومن أن يعثره التكلّيب^(١) بعد الاعتزام ، لهول اللقاء ، وحُبّ الحياة ، لأنّه إذا علم أنّه قد صيرّ برذونه إلى هذه الغاية حتّى لا ينثنى ، ولا يعجبه إلى التصرف معه إلّا بأنّ يصنع شيئاً بين الصّفين فيه عطّبه ، لم يُقدّم على الشّدّة إلّا بعد إحكام الأمر ، والبصّر بالعورة^(٢) . وإنّما يريد أن يشبه نفسه بالمُخرج^(٣) الذي إذا رأى أشدّ القتال لم يدغ جهداً ولم ينخر جيّلة ، ولينفي^(٤) عن قلبه خواطر الفِرار ، ودواعي الرجوع .

وقال : الخارجيّ عند الشّدّة إنّما يعتمد على الطّعان . والأتراك تطعن طعن الخوارج ، وإن شدّ منهم ألف فارس فرموا رشقاً واحداً^(٥) صرعوا ألف فارس ، فما بقاء^(٦) جيش على هذا النوع من الشّدّة^(٧) ؟ والخوارج والأعراب ، ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل ، والثركيّ يرى الوحش ، والطير ، والبرجاس^(٨) ، والنّاس^(٩) ، والمجنّمة^(١٠) ، والمثّل الموضوع ، والطير الخاطف^(١١) ، ويرى وقد ملأ فروج دابّته

(١) التكلّيب : الإحجام ، يقال لرجل إذا حلّم ولم يمض : قد كلب عن قرنه تكليفاً .

(٢) العورة : موضع الخلل عند العدو . ويقال بيوت عورة ، أي مكانة السراق ، لظهور

وأنها غير حميّة . وفي جميع الأصول : « بالعودة » . وأقيمت ما في مع والرسائل .

(٣) في جميع الأصول : « بالخروج » ، صوابه بالخاء المهملة كما في مع والرسائل .

(٤) ب فقط : « ولينفى » بالقاف ، صوابه في م ، ط ، مع والرسائل .

(٥) الرشق بالكسر : الاسم من الرشق ، ورشقاً واحداً ، أي وجهاً واحداً بجميع

سهامهم .

(٦) في جميع الأصول : مع : « بقي » ، صوابه رسمه من الرسائل .

(٧) هذا ما في ب . وفي م ، ط ومع والرسائل : « من الشّدّة » .

(٨) البرجاس ، بضم الباء ، سبق تفسيره في ص ١٧٩ .

(٩) انظر ما سيأتى في ٢٠٦ م ٤ .

(١٠) المجنّمة ، سبق تفسيره في ص ٣٢ . ب فقط : « المجنّمة » ، تحريف .

(١١) م ، ط : « وأطائر الخاطف » .

مُتَبَرِّباً وَمُغَيَّباً^(١) ، وَمَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَصُعْدًا وَسُفْلًا ، وَيَرَى بِعَشْرَةِ
أَسْهُمٍ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَفُوقَ الْخَارِجِيُّ سَهْمًا وَاحِدًا . وَيَرْكُضُ دَابَّتَهُ مِنْحَلِرًا
مِنْ سَهْلٍ ، أَوْ مُتَسَفِّلًا إِلَى بَطْنٍ وَإِدٍ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُمْكِنُ الْخَارِجِيُّ عَلَى بَسِيطِ
الْأَرْضِ .

وَالْتَرَكِيُّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ^(٣) : عَيْنَانِ فِي وَجْهِهِ ، وَعَيْنَانِ فِي قَفَاهُ .
وَاللِّخْرَاسِيُّ عَيْبٌ فِي مُسْتَدْبِرِ الْحَرْبِ ، وَلِلخِرَاسِيِّ عَيْبٌ فِي مُسْتَقْبَلِ
الْحَرْبِ .

فَعَيْبُ الْخِرَاسَانِيَّةِ أَنَّ لَهَا جَوْلَةً عِنْدَ أَوَّلِ الْإِلْتِقَاءِ^(٤) ، فَإِنْ رَكِبُوا
أَكْسَاهُمْ^(٥) كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ ، وَكَثِيرًا مَا يَتُوبُونَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْخِطَارِ
بِالْعَسْكَرِ ، وَإِطْمَاعِ الْعُلُوِّ فِي الشَّدَّةِ .

وَالْخَوَارِجُ إِذَا وَلَّوْا فَقَدْ وَلَّوْا ، وَلَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ الْفَرِّ كَرٌّ إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ .
وَالْتَرَكِيُّ لَيْسَتْ لَهُ جَوْلَةٌ الْخِرَاسَانِيَّ ، وَإِذَا أَدْبَرَ فَهُوَ السَّمُّ النَّاقِعُ ،
وَالْحَتَفُ الْقَاضِي ، لِأَنَّهُ يُصِيبُ بِسَهْمِهِ وَهُوَ مُدْبِرٌ ، كَمَا يُصِيبُ بِسَهْمِهِ
وَهُوَ مُقْبِلٌ ، وَلَا يُؤْمِنُ وَهَقُّهُ^(٦) .

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠١ .

(٢) ب : « لَشْرَةُ أَسْهُمٍ » محرف ، م : « العشرة أسهم » ؛ وهو خطأ ، وفي ط :
« العشرة الأسهم » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٣) مع والرسائل : « وَالتَّرَكِيُّ أَرْبَعَةَ عَيْنٍ » . وقد وردت « أَرْبَعَةٌ » مؤنثة مع العين المؤنثة ،
وهو وجه جائز في العربية مذكور في المطولات . وانظر الصبيان ٤ : ٦٢ حيث ذكر ابن هشام
أَنَّهُ مَا كَانَ لَفْظُهُ مَذْكُورًا وَمَعْنَاهُ مَوْثِقًا ، أَوْ بِالْعَكْسِ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِيهِ وَجْهَانِ .

(٤) م : « الْإِلْتِقَاءُ » ، سواها في ب : ط .

(٥) الْأَكْسَاءُ : جَمْعُ كَسْرٍ ، بِالضَّمِّ ، وَهُوَ مُؤَخَّرُ كُلِّ شَيْءٍ . يُقَالُ رَكِبَ كَسَاءَهُ : وَثَعَ
عَلَى قَفَاهُ . وَالْمُرَادُ : أَدْبَرُوا وَتَأَخَّرُوا . ب فقط : « كَسَاهُمْ » ، بِالْإِفْرَادِ .

(٦) الْوُحْشُ ، بِالتَّحْرِيكِ : حَيْلُ شَدِيدِ الْقَتْلِ يَرَى فِيهِ أَنْشُومَةٌ ، فَتُؤْخَذُ فِيهِ الدَّابَّةُ
وَالْإِنْسَانُ . ب فقط : « وَهَقُّهُ » ، بِتَحْرِيْفِ .

قال : وهم علموا الفُرسانَ حملَ قوسين وثلاثِ قسيٍّ ، ومن الأوتار على حَسَبِ ذلك^(١) .

والتركيُّ في حال شدته معه كلُّ شيءٍ يحتاج إليه ، لنفسه ،
ولسلاحه ، ولدابته ، وأداة دابته^(٢) . فلَمَّا الصَّبْرُ على الخَبَبِ^(٣)
ومواصلة السير ، وعلى طول السرى وقطع البلاد [فعجيبٌ جداً]^(٤) .
فواحدة^(٥) : أنَّ فرسَ الخارجي لا يصبر صَبْرَ برذونِ التركيِّ .

والخارجيُّ لا يحسن أن يعالج فرسه إلا مُعالجةَ الفُرسانِ لخيولهم ،
والتركيُّ أحلَقَ من البيطار ، وأجود تقويماً لبرذونه على ما يريد من
الراضية^(٦) ، وهو استنتجهُ ، وهو رباه فُلُوّاً ، ويتبعه إن ساء^(٧) ، وإن
ركض ركض خلفه ، قد عودهُ [ذلك]^(٨) حتى عرفه ، كما يعرف
الفرس : اجتم^(٩) ، والناقة : حَلَى^(١٠) ، والجمل : جاء^(١١) ، والبغل :
عَدَسَ ، والحمار : سَأَسَأَ ، وكما يعرف المجنون لقبه ، والصبي اسمه .

(١) م ، ط : « على حساب ذلك » .

(٢) ب فقط : « وأداة دابته » ، تحريف .

(٣) انظر ما معنى في ص ٨٩ . وفي ب : « الجنب » ، تحريف .

(٤) التكلفة من مع والرسائل .

(٥) ط فقط : « نظام » .

(٦) الراضية : جمع راض ، وهو من روض الدابة ويمسها ويلهاها .

(٧) ب ، م والرسائل : « وتليه إن ساء » ، وأثبت ما في ط .

(٨) التكلفة من مع والرسائل .

(٩) أجلم ، بوصل الهزة بعدها جيم ودال مهمة ، وهو زجر الفرس ، ومثله « هجم »

بالماء . وفي الأصول : « أجلم » بالذال المعجمة ، صوابه في مع ومعظم أصول الرسائل . انظر :

٤٧ : ١

(١٠) يقال في زجر الناقة : حل ، وحل أيضاً . وأنشدوا لأبي النجم :

وقد حلوتها بحبوب وحل •

(١١) جاء ، بكسر الميم : زجر للإبل . وربما قيل جاء بالتموين ، وكذلك جوه جوه

بسكر الماء . ومثله جاء ، وشأ ، كما يقال جىء جىء : أمر لها بمرور الماء وهي على الخوض .

وجوؤجؤ : أمر لها بمرور الماء وهي بعيدة منه ، أو هو زجرها لا أمر بمرور الماء . وفي م ، ط :

جأ • . وأثبت ما في ب ، مع والرسائل .

ولو حصلت مُدَّةٌ عُمِرَ التُّرْكِيُّ وَحَسِبَتْ أَيَّامَهُ لوجدتَ جُلُوسَهُ على ظهر الأرض نادراً^(١). والتُّرْكِيُّ يركبُ فَحْلاً أو رَمَكَةً^(٢)، ويخرج غازياً أو مسافراً، أو متباعداً في طلب صيد، أو سببٍ من الأسباب، فتتبعه الرَمَكَةُ وأفلاؤها، إن أعياء اصطباذ الناس اصطاذ الوحش، وإن أخفق منها واحتاج إلى طعام فصَدَّ دابةً من دوابه، وإن عطش حَلَبَ رَمَكَةً من رماكه، وإن أراح واحدةً ركبَ أخرى، من غير أن ينزل إلى الأرض..

وليس في الأرض أحدٌ إلَّا ويلدنه ينتفض^(٣) عن اقتنيات اللحم وحده - غيره، وكذلك دابته تكفي بالعنقر^(٤) والعشب والشجر، لا يُطْلُها من شمسٍ، ولا يُكْنِها من برد.

قال: وأما الصبر على الخبب^(٥) فإن الثغريين^(٦)، والفرانقيين^(٧)، والخصيان، والخوارج، لو اجتمعت قواهم في شخصٍ واحد لما وقوا بتركي واحد. والتُّرْكِيُّ لا يبقَى معه مع طول الغاية إلَّا الصَّمِيمُ من دوابه، والذي يقتله التُّرْكِيُّ بإتباعه له. وينفیه^(٨) عند غزاته هو الذي لا يصبر

(١) نادراً، سالقة من ب. وفي م: «نادر» محرف. وفي مج ورسائل: «لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض».

(٢) الرمكة، بالتحريك: الأثني من البراذين. وفي جميع الأصول: «فحل أرماكه»، وأثبت ما في مج ورسائل.

(٣) ينتفض: يفسد ويهزل. وفي جميع الأصول: «ينتفض» بالفاء، ولا وجه له.

(٤) العنقر، كصفر: أصل التفتصب والبرء والبطل مادام أبيض مجسماً.

(٥) ب: «الجنب»، تحريف. وانظر ١٩٩.

(٦) الثغريون: نسبة إلى الثغر، وهو واحد ثغور الشام. ومن أشهرها: أنطاكية، وهراس، والمصيصة. وأصل أهلها من الروم.

(٧) نسبة إلى الفرانق بالضم، يعني هم عمال البريد، ويبدو أنهم كانوا من غير العرب. والفرانق: الذي يدل صاحب البريد على الطريق، معرب «بروانك». ب، م: «والفرانقيين» ط: «والفرانقين»، صوابهما ما أثبت.

(٨) في جميع الأصول: «ويقيعه»، وأثبت ما في مج ورسائل.

معه فرسٌ الخارجى ، ولا يبقَى معه كلُّ بِرذونٍ بخارى^(١) ، ولو
ساير خارجياً لاستفرغ جُهدَه^(٢) قبل أن يبلغ الخارجى عَفْوَه .

والتركىُّ هو الراعى ، وهو السائس ، وهو الرائض ، وهو النخاس^(٣) ،
وهو البَيطار ، وهو الفارس . فالتركىُّ الواحدُ أُمَّةٌ على حدة .

قال : وإذا سار التركىُّ فى غير عساكر الترك فسار القومُ عشرةَ أميالٍ
سار التركىُّ عشرين ميلاً ، لأنَّه ينقطع عن العسكر بمئة ويسرة ، ويصعدُ
فى ذُرَى الجبال ، ويستبطنُ قعورَ الأودية ، فى طلب الصيد ، وهو فى
ذلك يرى كلَّ ما دبَّ ودرج ، وطارَ ووقع .

قال : والتركىُّ لم يسر فى العسكر سَيرَ النَّاسِ قطُّ ، ولا سارَ مستقيماً
قطُّ^(٤) .

قال : وإذا طالت الدَّلجة ، واشتدَّ السَّير ، وبُعدَ المنزلُ ، وانتصفَ
النَّهار ، واشتدَّ التعب ، وشغلَ النَّاسُ الكلالَ^(٥) ، وصمَّت المتسايرون فلم
يَنطِقوا ، وقطعهم ما هم فيه عن التَّشاغل بالحديث ، وتفسَّخَ^(٦) كلُّ
شئٍ من شدة [الحرِّ ، وجَمَد كلِّ شئٍ من شدة^(٧)] البرد ، وتغنى كلُّ
جليد القوى على طول السرى أنَّ تُطوى له الأرض ، وكلُّما رأى خيالاً^(٨)

(١) ط ققط : « بخارى » ، تحريف .

(٢) هذا الصواب من م ، مع . وفى الرسائل : « لاستفرغ وسه » . وفى ب : « لا استفرغ
جهده » . وفى ط : « لا استفرغ جهده » ، حرفتان .

(٣) ب ، م : « النخاس » ، تحريف . والنخاس ، بالحاء المسجمة : بائع الثياب ،
سمى بذلك لشمه إياها حتى تفسط .

(٤) ب : « ولا ملأ » ، صوابه فى م ، ط .

(٥) فى جميع الأصول : « الكلام » ، ولا يستقيم مع ما بهله . والصواب من مع والرسائل .
والكلال : التعب والإعياء .

(٦) التفسخ : عدم الطاقة وقلة الاحتيال . م ققط : « وتفسخ » ، تحريف .

(٧) التكلة من مع والرسائل ، لكن فى الرسائل : « وخنه » بالحاء .

(٨) الخيال : مانصب فى الأرض ليلم أنها حى فلا تقرب . والخيال والخيالة أيضاً :
مانشبه لك فى القیطة أو الحلم من صورة

أو علماً استبشّر به ، وظن أنه قد بلغ المنزل ، وإذا بلغه الفارس نزل وهو متفحّج^(١) ، كأنه صبي^(٢) محقون^(٣) ، يثنّ أنين المريض ، ويستريح إلى الثأوب^(٤) ، ويتداوى بما به بالتمطى والتضجّع . وترى التركي في تلك الحال ، وقد سار ضعيف ما ساروا ، وقد أتعب منكبيه كثرة النزح^(٥) ، يرى بقرب^(٦) المنزل غيراً أو ظبيّاً ، أو عرض له ثعلب أو أرنب ، كيف يركض ركض مبتدئ مستأنف ، حتى كأن الذي سار ذلك السير ، وتعب ذلك التعب غيره .

وإن بلغ الناس وادياً فازدحموا على مسلكه أو على قنطرته ، بطن^(٧) يردونه فأقحمه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب . وإن انتهوا إلى عتبة صعبة ترك السنن^(٨) ، وذهب في الجبل صعداً ، ثم تدلّى من موضع يعجز عنه الوعل ، وأنت تحسبه مخاطراً بنفسه ، للذى ترى من مُطلعه . ولو كان في كل ذلك مخاطراً لما دامت له السلامة ، مع تتابع ذلك منه .

(١) متفحّج : قد فح ما بين رجليه ، وذلك من تأثير طول الركوب . ب : « متفحج » م ، ط : « متفحج » بتقديم الجيم على الحاء ، ولا مادة لهذه في السريّة ، وصوابها ما أثبت من مع والرسائل .

(٢) محقون : قد أعطى اللواء بالحقنة . وفي جميع الأصول : « مجنون » ، صوابه في مع والرسائل .

(٣) ب : « الثناوب » م ، ط : « الثناوب » ، والصواب ما أثبت من مع والرسائل .

(٤) النزح في القوس : مد وترها ليرى بهاها .

(٥) في جميع الأصول : « لتقرب » باللام ، والوجه ما أثبت . وفي مع والرسائل : « قرب المنزل » .

(٦) بطة بطناً : ضرب بطة . ب : « بطن » ، « بطة » ، صوابه في م ، ط ، مع والرسائل .

(٧) السنن ، بالتحريك : نهج الطريق ومجته . م ، ط : « السير » تحريف .

قال : وَيَتَخَرَّ^(١) الخارجيُّ بِأَنَّهُ إِذَا طَلَبَ أَدْرَكَ ، وَإِذَا طُلِبَ فَاتَ^(٢) .
والتركيُّ ليس يُخَوِّجُ إِلَى أَنْ يَقُوتَ ، لِأَنَّهُ لَا يُطَلَّبُ وَلَا يُرَامُ .
وَمَنْ يَرُومُ مَا لَا يُطْمَعُ فِيهِ ؟ !

فهذا دليلٌ على أَنَّا قد علمنا أَنَّ العِلَّةَ الَّتِي عَمَّتِ الْخَوَارِجَ بِالنَّجْدَةِ
استواءُ حالاتهم في أَشدِّ الديانة^(٣) ، واعتقادهم بِأَنَّ القتالَ دينٌ ؛ لِأَنَّنَا
حينَ وَجَدْنَا السَّجِسْتَانِيَّ ، وَالْجَزْرِيَّ^(٤) ، وَالْبَاهِيَّ ، وَالْمَغْرِبِيَّ ، وَالْعُمَانِيَّ ،
وَالْأَزْرَقِيَّ مِنْهُمْ وَالنَّجْدِيَّ^(٥) ، وَالْإِبَاضِيَّ ، وَالصُّفْرِيَّ^(٦) ، وَالْمَوْلِيَّ
وَالْعَرَبِيَّ ، وَالْعَجَمِيَّ وَالْأَعْرَابِيَّ ، وَالْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ ، وَالْحَائِكَةَ وَالْفُلَّاحَ ،
كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَنْسَابِ ، وَتَبَايُنِ الْبُلْدَانِ - عَلِمْنَا أَنَّ الدِّينَانَةَ
هِيَ الَّتِي سَوَتْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ حِجَّامٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَىِّ
جِنْسِي كَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ أَىِّ بَلَدٍ كَانَ ، فَهُوَ يُحِبُّ التَّبِيدَ . وَكَمَا أَنَّ

(١) في جميع الأصول : « ويميز » ، سوايه في مع والرسائل .

(٢) مع والرسائل : « لم يدرك » .

(٣) مع والرسائل : « في الديانة » .

(٤) ب : « والخزري » ط : « والخزري » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٥) نسبة إلى نجدة بن عامر ، أو ابن عامر ، الحنفي . ويقال لهم « النجدات » أيضاً .
وكان نجدة من خرج مع ابن الزبير ثم فارقه هو ونافع الأزرق من الخوارج ، فصار نافع
إلى البصرة ونجدة إلى الحامة ، وذلك في سنة ٦٤ . الملل والنحل ١ : ١٦٥ والطبري في حوادث ٦٤ .
ثم صار إلى العلاف ثم إلى البحرين ، ووجه إليه مصعب بن الزبير بخيل يمد خيل فهزمهم ، وظل
خمس سنوات هو وعاله بالبحرين والحامة وعمان وهجر والعرض ، ثم فقم عليه الخوارج
فخلعوه بعد أن كان يسمى أمير المؤمنين ، وألقوا أبا نفديك مكاته سنة ٧٣ وقتل نجدة في تلك
السنة . الطبري والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٦) الصفرية ، بضم الصاد : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال
لهم الزيادة أيضاً . وقولهم كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية
لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونساءهم ، وهم يرون ذلك . انظر أراهم في الملل ١ : ١٨٣
والفرق ٧٠ والسماذ ٣٥٤ والمواقف ٦٤٥ ومفاتيح العلوم ١٦ والكامل ٦٠٤ . ط :
« والصفرى » تحريف .

(١٤ - رسائل الملاحظ)

أصحاب الخُلُفَانِ^(١) ، والسَّكَّين ، والنَّخَّاسين والخابكة ، في كلِّ بلدٍ ومن كلِّ جنس ، شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة . فعلمنا بذلك أنَّ ذلك خلقة في هذه الصناعات ، وبينة في هذه التجارات ، حتَّى صاروا من بين جميع الناس كذلك .

قال : ورأيناه في بلاده ليس يُقاتل على دين ، ولا على تأويل ، ولا على مُلك ولا على خراج ، ولا على عصبية ، ولا على غيرة دون الحرمة ، ولا على حمية ولا على عداوة ، ولا على وطن ولا على منع دار^(٢) ولا مال ، وإنما يُقاتل على السُّلب والخيار في يده . وليس يخاف الوعيد إن هرب ، ولا يرجو الوعد إن أبلى عدواً . وكذلك هم في بلادهم وغاراتهم^(٣) وحروبهم .

وهو الطالب غير المطلوب ، ومن كان كذلك فإنما يأخذ العفو من قوته ، ولا يحتاج إلى مجهوده ، ثم مع ذلك لا يقوم له شيء ، ولا يطمع فيه أحد ، فما ظنك بمن هذه صفته ، أن لو^(٤) اضطره لإخراج أو غيرة^(٥) ، أو غضب أو تدين ، أو عرض له بعض ما يصحب المقاتل المالح من العلل والأسباب .

قال : وقناة الخارجى طويلة صماء ، وقناة التركي مطرد أجوف^(٦) . والقناة الجوف القصار أشد طعنة ، وأخف محيلاً . والعجم تجعل القناة الطوال للرجال ، وهى قنا الأبناء^(٧) على أبواب الخنادق والمضايق .

(١) يراد بهم من يميون الخلق من الثياب ، جمع خلق ، بالتحريك ، وهو البالي . وانظر الحيوان ٢ : ١٠٥ .

(٢) ب قطع : « ومنع دار » .

(٣) في الأصول : « وعاداتهم » ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٤) ب ، م : « أولو » ط : « ولو » ، صوابه في مع والرسائل .

(٥) ب ، م : « لإخراج أو غيره » ط : « إخراج أو غيره » ، صوابه في مع والرسائل .

(٦) المطرد ، بكسر الميم : وضع قصير .

(٧) ب : « قناه » ، وإنما تجمع القناة على قنوات وقنا وقنى ، الأخيرة على وزن فحول .

وفي مع والرسائل : « قنى الأبناء » . والأبناء سبق القول عليهم في ص ١٦٧ .

والأبناء في هذا الباب لا يجرون مع الأتراك والخراسانية ، لأنَّ الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق ، وفي المضايق ، وهؤلاء أصحاب الخيل والفرسان ، وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسيَّة^(١) . لهم الفرُّ والكرُّ . والفارس هو الذي يطوى الجيش طيَّ السَّجَلِ^(٢) ، ويفرقهم قَرْقِ الشَّعْرِ^(٣) . وليس يكون الكَيْن ولا الطَّلِيعَة ولا السَّاقَة إلا الكبارَ منهم^(٤) . وهم أصحاب الأيام المذكورة ، والحروب الكِبَار ، والفتوح العظام .

٢٤ - فصل منها

والشَّعْ على الوطن ، والحنين إليه ، والصَّباةُ به ، مذكور في القرآن^(٥) ، مخطوط في الصُّحف بين جميع الناس ، غير أنَّ التركيَّ للعالم التي ذكرناها أشدَّ حنيناً ، وأكثر نزوعاً^(٦) :

وباب آخر مما كان يدعومهم إلى الرجوع قبل ثلثي العزم^(٧) والعادة المنقوضة : وذلك أنَّ التُّرك قوم يشتدُّ عليهم الحَصْر^(٨) والجُثوم^(٩) ،

- (١) ب ، م : « الفروس » ، صوابه في ط . وفي مع والرسائل : « تدور الجيوش »
- (٢) السجل : الصحيفة ، والكتاب الكبير ، والسجل : الكاتب أيضاً أو ملك يطوى الكتب بى آدم إذا رقت إليه ، وجماع نورت الآية الكرمة : « يوم تطوى السماء كلى السجل للكتب » في الآية ١٠٤ من الأنبياء . ب : « على السجل » ، صوابه في م ، ط ومع والرسائل .
- (٣) مع والرسائل : « ويفرقهم تفريق الشعر » .
- (٤) في الرسائل فقط : « وليس يكون الكين إلا منهم ولا الطليعة ولا الساقة » .
- (٥) في آيات كثيرة فيها ذكر « الثَّيَّار » . ينظر لها المصنف المفهرس .
- (٦) للزَّوج والزَّراع أيضاً : الحنين والاشتياق إلى الأهل والوطن . ب : « نزعا » تحريف . وفي مع : « نزاعا » . وأصل النزاع المغالبة ، يقولون : نازعتنى نفسى إلى هواها أى غلبتنى . كما يقولون نزح إلى أهله ووطئ نزوعاً .
- (٧) ب ، م : « عزم الثَّانِ » ، وأثبت ما في ط . وفي مع والرسائل : « قبل العزم الثابت » .
- (٨) في جميع الأصول وكلها في مع : « الحصر » ، وأثبت ما في الرسائل .
- (٩) جُم جُثوماً : لزِم مكانه فلم يبرحه . وعلم الكلمة ساقطة من ط . وفي ب : « والحجور » وفي م : « الحجور » ، صوابها من مع والرسائل .

وطول اللَّبَثِ والمُكْثِ ، وقَلَّةُ التَّصَرُّفِ والتَّحَرُّكِ^(١) . وأصلُ بِنْتِهِمْ
إِنَّمَا وَضَعَ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَلَيْسَ لِلسُّكُونِ فِيهِمْ نَصِيبٌ ، وَفِي قُوَى أَرْوَاحِهِمْ
فَضْلٌ عَلَى قُوَى أَبْدَانِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ تَوْقُودٍ وَحَرَارَةٍ ، وَاشْتِعَالٍ وَفُطْنَةٍ^(٢) ،
كَثِيرَةٌ خَوَاطِرُهُمْ ، سَرِيعٌ لِحْظُهُمْ . وَكَانُوا يَرُونَ الْكِفَايَةَ مَعْجَزَةً ، وَطُولَ
الْمُقَامِ بُلْدَةً^(٣) ، وَالرَّاحَةَ عَقْلَةً^(٤) وَالْقِنَاعَةَ مِنْ قِصْرِ الْحَيَّةِ ، وَأَنَّ تَرْكَ
الغَزْوِ يورث الذَّلَّةَ .

وقد قالت العرب في مثل ذلك : قال عبد الله بن وهب الراسبي^(٥) :
« حُبُّ الْهُوَيْنِيِّ يُكْسِبُ النَّصَبَ » .

والعرب تقول : « من غلا دماغه في الصيف غَلَتْ قِدْرُهُ في الشتاء » .

وقال أكرم بن صبيح : « ما أحبُّ أني مكئٌ كلَّ أمرٍ الدُّنيا » ، قيل :
ولم ؟ قال : « أخاف عادة العَجْزِ^(٦) » .

فهذه كانت جِلَلُ التَّرَكِّ في حُبِّ الرُّجُوعِ ، والحنينِ إلى الوطن .

ومن أعظم ما كان يدعوهم إلى الشُّرُودِ ، ويبعثهم على الرجوع ،
ويُكِّرُهُمْ عِنْدَهُمُ الْمَقَامَ ، ما كانوا فيه من جهلِ قُوَادِمِ بَأَقْدَارِهِمْ ، وقَلَّةُ
مَعْرِفَتِهِمْ بِأَخْطَارِهِمْ ، وإغفالِهِمْ مَوْضِعَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ^(٧) ، والانتفاعِ

(١) ب ، م : « والتحرُّك » ط : « والتصرف » ، صوابهما في مع والرسائل .

(٢) هذا ما في ط . وفي ب ، م ومع والرسائل : « واشتغال » بالفتح المجمة .

(٣) البلدة يضم الياء وضحاها : ضد الذكاء والفاذا والمضاء في الأمور ، ومثلها البلادة .
ط ، ومع والرسائل : « بلادة » .

(٤) عقله ، يضم العين المهملة : أي تغفل صاحبها وتغيبه عن الانطلاق . ط فقط : « غفلة » .

(٥) الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميثان بن مالك بن نصر بن الأزد . وكان عبد الله هذا قد
خرج على علي في أربعة آلاف ، وبابيه الخوارج لشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم
النهروان سنة ٣٨ كما في الطبري . وانظر التضيي والإشراف ٢٥٦ وجهرة ابن حزم ٢٨٦ .

(٦) م : « عادة العجز » . تحريف . وفي الرسائل : « أخاف العجز » .

(٧) الرد : التفع ، من قولهم : هذا أرد من ذاك ، أي أنفع .

بهم ، ولأنهم حين جعلوهم أسوة أجنادهم^(١) لم يقتنعوا أن يكونوا في
الحاشية والحشوة ، وفي غمار العامة^(٢) ، ومن عُرِضَ العساكر ،
وأنفوا [من ذلك]^(٣) لأنفسهم ، وذكروا ما يجب لهم ، ورأوا أن الصِّم
لا يليق بهم ، وأنَّ الخمول لا يجوز عليهم ، وأنهم في المقام على مَنْ
لم يعرف حقَّهم أَلَوُّ مَنْ مَنَعَهُمْ حَقَّهُمْ . فلما صادفوا مَلِكاً حَكِيماً ،
وبأقدار النَّاسِ عِلْماً ، لا يميل إلى سوء عادة ، ولا يَجَنَحُ إلى هوى ،
ولا يتعصب لبلدٍ على بلد ، يدور مع التَّلبير حَيْثُما دار^(٤) ، ويقم مع
الحَزْم حَيْثُما أقام - أقاموا لإقامة من مُنَحَ الحظ^(٥) ، ودان بالحق^(٦) ،
ونَبَذَ العادة ، وآثر الحقيقة ، ورَحَلَ نفسه لِقَطِيعَةِ وطنه^(٧) ، وآثر
الإمامة على مُلْكِ الجَبَرِيَّةِ ، واختار الصُّواب على الإلْف .

ثم اعلمْ بعد ذلك كُلَّهُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ وقرنٍ وجيلٍ وبنى أبٍ
وجَدَّتْهُمْ قد بَرَّعُوا فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَفَضَّلُوا النَّاسَ فِي الْبَيَانِ ، أَوْ
فَاقُوهُمْ فِي الْأَدَابِ^(٨) أَوْ فِي تَأْسِيسِ الْمُلْكِ ، أَوْ فِي الْبَصَرِ بِالْحَرْبِ^(٩) .
فَلِئِنَّكَ لَا تَجِدُهُمْ فِي الْعَايَةِ وَفِي أَقْصَى النِّهَايَةِ ، إِلَّا أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى
قَدْ سَخَّرَهُمْ لِذَلِكَ الْمَعْنَى بِالْأَسْبَابِ ، وَقَصَّرَهُمْ عَلَيْهِ بِالْعِلَلِ الَّتِي تُفَاوِلُ تِلْكَ

(١) وكذا في مج . وفي الرسائل : « حتى جعلوهم » ، بإسقاط « ولأنهم » .

(٢) التَّأْيِز : جَنَحٌ غَرَّةٌ ، بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ الْزَجَّةُ مِنَ النَّاسِ وَالْمَاءِ ، وَفِي حَيْثُ أَرِيسَ :
« أكون في غمار الناس » ، أي جمعهم المتكاثف . وفي الأصول : « نجارة العامة » سوابغ في
مج والرسائل .

(٣) التَّكَلُّفُ من مج والرسائل .

(٤) ط : « مع التدبير مادار » .

(٥) هذا ماقى ط . وفي م : « فهم الخط » ، وفي ب : « فهم الخط » .

(٦) في جميع الأصول : « ودار بالحق » ، وأثبت ماقى مج والرسائل .

(٧) رحل نفسه لكنا ، إذا صبر على آذاه . وفي جميع الأصول : « ووصل نفسه بقطيعه

وطنه » ، وأثبت ماقى مج والرسائل .

(٨) ب ، م : « وأفادهم في الآداب » ، وفي ط : « وفلقوهم » . وأثبت ماقى مج والرسائل .

(٩) في جميع النسخ : « أو في النصر بالحرب » ، سوابغ في مج والرسائل .

الأُمُور، وتَصْلُحُ لِنِلكِ المَعَالِي ، لِأَنَّ مِنْ كَانَ مُتَقَسِّمَ الْهُوَى ، مُشْتَرَكِ
الرَّأْيِ ، مُتَشَعِّبَ النَّفْسِ ^(١) ، غَيْرَ مُوقِرٍ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ ، وَلَا
مُهَيِّئاً لَهُ ، لَمْ يَحْزِقْ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ شَيْئاً بِأَسْرِهِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ فِيهِ
غَايَتَهُ ، كَأَهْلِ الصِّينِ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَالْيُونَانِيِّينَ فِي الْحِكَمِ وَالْآدَابِ ،
وَالْعَرَبِ فِيمَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَالسَّاسَانِ ^(٢) فِي الْمُلْكِ ، وَالْأَثْرَاكِ
فِي الْحُرُوبِ .

أ. لَا تَرَى أَنَّ الْيُونَانِيِّينَ الَّذِينَ نَظَرُوا فِي الْعِلَلِ لَمْ يَكُونُوا تُجَاراً
وَلَا صُنَاعاً بِأَكْثَرِهِمْ ، وَلَا أَصْحَابَ زَرْعٍ وَفِلَاحَةٍ ، وَبِنَاءٍ وَغَرْسٍ ،
وَلَا أَصْحَابَ جَمْعٍ وَمَنْعٍ وَكَدٍّ ^(٣) . وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَفْرِغُهُمْ ^(٤) ، وَتُجْرِي
عَلَيْهِمْ كِفَايَتَهُمْ ، فَنَظَرُوا حِينَ نَظَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ مَجْتَمِعَةً ، وَقُوَّةً وَافِرَةً ،
وَأَذْهَانٍ فَارِغَةً ، حَتَّى اسْتَخْرَجُوا الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَالْمَالَاهِيَ الَّتِي تَكُونُ
جَمَاعاً لِلنَفْسِ ، وَرَاحَةً بَعْدَ الْكَدِّ ، وَسُرُوراً يَدَاوِي قَرْحَ الْمَهْمُومِ ^(٥) ،
فَصَنَعُوا مِنَ الْمَرَاقِقِ ، وَصَاغُوا مِنَ الْمَنَافِعِ ، كَالْفَرَسُطُونَاتِ ^(٦) ، وَالْقَبَانَاتِ ،

(١) الرسائل فقط : « ومتشعب النفس » .

(٢) ميج والرسائل : « وآل ساسان » .

(٣) في ميج والرسائل : « ومنع ، وحرس وكد » .

(٤) ب ، ط : « تفرغهم » ، صوابه في م والرسائل .

(٥) القرح ، بالفتح والقسم : الجرح . ب : « فرج المهموم » م : « فرح المهموم » ط :

« فرح المهموم » ، وأثبت ما في ميج . وفي الرسائل : « قرح المهموم » .

(٦) في النزهة المبهجة للبارد ولانتلاكي بهامش تذكرة دأود ١ : ١٥ : « علم مركز

الأنفال مثل القربسطيون ، يعني القبان » . كما جاء في كتاب الترييح والتتوير ص ١٣٨ ساسي :

« وغيرني عن القربسطون كيف أعرج أحد رأسه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ، ووزن

جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » . وانظر الحيوان ١ : ٨١ . ويبدو أنه شرب من

الميزان القبان .

والأَسْطُرلابات^(١) ، وآلة الساعات ، وكالكونيا^(٢) ، والكسيران^(٣) والبركار^(٤) ، وكأصناف المزامير والمعازف ، والطب^(٥) والحساب ، والمنمنمة ، واللحن ، وآلات الحرب ، وكالمجانيق ، والقرادات^(٦) ، والرتيلات^(٧) ، والدبابات ، وآلة النفاطين ، وغير ذلك مما يطول ذكره^(٨) .

وكانوا أصحاب حكمة ، ولم يكونوا فعلة . يصورون الآلة ، ويخريطون الأداة^(٩) ، ويصوغون المثل ولا يحسنون العمل بها^(١٠) ، ويشيرون إليها ولا يمسونها ، يُرغَبون في التحليم^(١١) ، ويرغَبون عن العمل .

فأما سكان الصين فلإنهم أصحاب السبك والصباغة ، والإفراغ والإذابة ، والأصباغ العجيبة ، وأصحاب الخرط والنجر^(١٢) والتصاوير ،

(١) الأسطرلاب أو الأسطرلاب : مقياس النجوم ، هو باليونانية : أسطرلابون . وأسطر هو النجم ، ولايون هو المرآة . وقد جعل بعض المؤلفين بالاشتقاق في هذا المسمى بالاسطرلاب ، وهو أنهم يزعمون أن لابل اسم جبل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه من لسان العرب جبل وسطح . انظر مفاتيح العلوم للخوازمي ص ١٣٤ والحواشي ١ : ٢/٨١ : ٢٤٢ . وقد وقع صاحب القاموس في هذا اليوم الذي فيه طبع الخوازمي في مادة (لوب) .

(٢) ب : ط : « والكونيا » وفي م : « والكونيا » ، وأثبت ما في م مع الرسائل . وجاء في مفاتيح العلوم : « الكونيا » بالواو كما أثبت وقال : « للنجارين يقدون بها الزاوية القائمة » .

(٣) كذا في جميع الأصول . وفي م : « والكشتوان » ، وفي الرسائل : « وكالشيزان » .

(٤) في جميع النسخ « والبركار » ، صوابه في م مع الرسائل . والبركار : آلة خشبية مركبة من سائتين متصلتين ، تثبت إسطعها وتدور حولها الأخرى ، ترسم بها الدوائر والأقواس ، وهي في العامة المصرية « البرجل » ، وفي الفارسية : « بركار » .

(٥) م مع الرسائل : « وكالطب » .

(٦) الرادة : منجنيق صغير . والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة ونحوها في القتال . وانظر حواشي البيان ٣ : ١٧ . ط : « والقرادات » ، تحريف .

(٧) انظر ما سبق في حواشي ١ : ٦٩

(٨) ب فقط : « يطيل ذكره » ، تحريف .

(٩) م فقط : « الأدوات » ، تحريف .

(١٠) في جميع الأصول : « به » ، صوابه في الرسائل . وفي م : « ويصوغون النثال ولا يحسنون العمل به » .

(١١) م مع الرسائل : « في العلم » .

(١٢) م مع الرسائل : « والنحت » .

والتَّسْجِجَ وَالخَطَّ^(١) ، وَرَفَقَ الْكَفَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُعَانُونَهُ ، وَإِنْ اخْتَلَفَ جَوْهَرُهُ ، وَتَبَايَنَتِ صِنْعَتُهُ ، وَتَفَاوَتَ ثَمَنُهُ^(٢) .

فاليونانيون يعرفون العِلَالِ ولا يباشرون العمل ، وسُكَّانُ الصِّينِ يباشرون العمل ولا يعرفون العِلَالِ ؛ لِأَنَّ أَوْلَئِكَ حُكَمَاءُ ، وَهَؤُلَاءِ فَعَلَةٌ .

وكذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صنّاعاً ، ولا أطباءً ولا حُساباً ولا أصحابَ فِلاحة ، فيكونوا مَهَنَةً^(٣) ، ولا أصحابَ زَرْعٍ ، لخوفهم صَغَارِ الْجِزْيَةِ^(٤) . ولم يكونوا أصحابَ جَمْعٍ وَكَسْبٍ ، ولا أصحابَ احْتِكَارٍ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وطلبٍ لِمَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، ولا طلبوا^(٥) المَعَاشَ مِنْ أَلْسِنَةِ الْمَوَازِينِ وَرُمُوسِ الْمَكَايِيلِ ، ولا عَرَفُوا التَّوَانِيْقَ وَالْقَرَارِيْطَ ، ولم يفتقروا الْفَقْرَ الْمُدْفَعَ الَّذِي يَشْغَلُ عَنْ الْمَعْرِفَةِ ، ولم يستغنوا الْغِنَاءَ الَّذِي يُوْرِثُ الْبُلْدَةَ^(٦) ، والثَّرَوَةَ الَّتِي تُحْدِثُ الْفِرَّةَ^(٧) ، ولم يحتملوا ذِلًّا قَطُّ فِيمِيتْ قُلُوبُهُمْ ، وَيَصْفُرُّ^(٨) عِنْدَهُمْ أَنْفُسُهُمْ . وَكَانُوا سُكَّانَ فَيَافٍ ، وَتَرْبِيَةِ الرِّكَاءِ ، لَا يَعْرِفُونَ الْغَمَقَ وَلَا اللَّثْقَ^(٩) ، وَلَا الْبُخَارَ وَلَا الْغِلْظَ^(١٠) ،

(١) في الرسائل : « والنسخ والخط » .

(٢) ثمنه ، ساقطة من م .

(٣) في حديث عائشة : « كان الناس مهنة أنفسهم » ، جمع مهن ، ككاتب وكتب ، ويقال مهان أيضاً ككاتب وكتاب .

(٤) الصغار ، بالفتح : الذلل والضم .

(٥) ب : « ولا طلب » .

(٦) الغناء ، بالفتح : ضد الفقر ، وهو النقي بالكسر والقصر . ب : « الغناء » م : « الغناء » ، وجههما ما أثبت من مع . وفي ط ، والرسائل : « النني » . والبلادة : بضم الباء وقتها : ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور . وفي ط : « البلادة » وفي مع : « التبليدة » .

(٧) ب ، م : « الفرقة » صوابه في ط ومع والرسائل . والفرقة : الغفلة .

(٨) ب : « أو تصير » صوابه في م ، ط . وفي مع : « أو يصفر » ، وفي الرسائل : « ويصفر » .

(٩) الغنق ، بالتحريك : النني والرطوبة والوخامة . والثني : النني مع سكون الريح .

(١٠) في جميع النسخ : « الغلظ » بالطاء المهمل ، صوابه بالطاء المعجمة ، وهو ضد الرقة في الخلق والطبع والعيش ، والمراد غلظ الهواء .

ولا العَفَنَ ، ولا التَّخَمَ ^(١) . أَذْهَانٌ حَلِيدَةٌ ^(٢) ، ونفوسٌ منكرة . فحين
 حملوا حِلْمَهُمَ ^(٣) ، ووجَّهوا قواهم إلى قول الشعر ، وبلاغة المنطق ،
 وتشقيق اللغة ^(٤) ، وتصاريح الكلام ، وقيافة البشر بعد قيافة الأثر ،
 وحفظ النسب ، والاهتداء بالنجوم ، والاستدلال بالآثار ، وتعرف
 الأنواء ^(٥) ، والبصر بالخيال والسلاح وآلة الحرب ، والحفظ لكل
 مسموع ، والاعتبار بكل محسوس ، وإحكام شأن المناقب والمثالب ،
 بلغوا في ذلك الغاية ، وحازوا كل أمانة . و ببعض هذه العلل صارت
 نفوسهم أكبر ، وهممهم أرفع ، وهم من جميع الأمم أفضر ^(٦) ،
 ولأيامهم أذكر .

وكذلك الترك ، أصحاب عَمَدٍ ، وسُكَّانَ فَيَافٍ ، وأرباب مَواشٍ .
 وهم ^(٧) أعرابُ العَجَمَ ، كما أنَّ هُذَيْلًا أكرأُ العرب ، لم تشغلهم
 الصُّناعاتُ ولا التجارات ، ولا الطبُّ والفلاحة والمنسمة ، ولا غِرَاسُ
 ولا بُنْيَانُ ، ولا شقُّ أنهار ، ولا جِيَابَةُ غُلَاتٍ ، ولم يكن لهم غير الغارة
 والغزو والصيد ، وركوب الخيل ، ومقارعة الأبطال ، وطلب الغنائم ،
 وتلويخ البلاد . وكانت ^(٨) [هممهم إلى ذلك مصروفة ، وكانت لهذه
 المعاني والأسباب مُسَخَّرَةٌ ، ومقصودة عليها وموصولة بها ، أحكموا ذلك
 الأمر بأسره ، وأتوا على آخره ، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارعتهم ،
 ولتتهم في الحرب وفخرهم ، وحليتهم وسمرهم .

فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة ،

(١) التخم : الرخم ، وهو الويد .

(٢) مع والرسائل : « حداد » .

(٣) ب فقط : « أحلم » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « وتشتيق اللغة » ، تحريف .

(٥) ط : « الأنوار » ، تحريف .

(٦) وكذا في مع ، لكن في الرسائل : « وهمهم أرفع من جميع الأمم وأفضر » .

(٧) ب : « والترك » . (٨) التكملة من م ، ط ، مع والرسائل .

وأهل^(١) الصَّيْنِ في الصناعات ، والأعرابِ فيما عددنا ونزلنا^(٢) ،
وكالساسان^(٣) في الملك والسياسة .

وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَقَصُّوا هَذَا الْبَابَ وَاسْتَفْرَغُوهُ ،
وَبَلَّغُوا أَقْصَى غَايَتِهِ وَتَعَرَّفُوهُ ، أَنَّ السَّيْفَ إِلَى أَنْ يَتَقَلَّدَهُ مَتَقَلَّدٌ ، أَوْ
يُضْرَبَ بِهِ ضَارِبٌ^(٤) ، قَدْ مَرَّ عَلَى أَيْدٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَلَى طَبَقَاتٍ مِنَ
الصَّنَاعِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَعْمَلُ عَمَلٌ صَاحِبِهِ وَلَا يُحَسِّنُهُ ، وَلَا يَدْعِيهِ
وَلَا يَتَكَلَّفُهُ ، لِأَنَّ الَّذِي يُدْبِجُ حَدِيدَ السَّيْفِ وَيُجِيعُهُ وَيُصْقِيهِ وَيُهْلِكُهُ ،
غَيْرُ الَّذِي يَمْدُهُ وَيَمْنَعُهُ^(٥) ، وَالَّذِي يَمْدُهُ وَيَعْطِلُهُ^(٦) غَيْرُ الَّذِي يَطْبَعُهُ
وَيَسْوِي مَتْنَهُ ، وَيَقِمُ خَشَبِيَّتَهُ^(٧) ، وَالَّذِي يَطْبَعُهُ وَيَسْوِي مَتْنَهُ غَيْرُ^(٨)
الَّذِي يَسْقِيهِ وَيُرْهَفُهُ ، وَالَّذِي يَسْقِيهِ وَيُرْهَفُهُ ، غَيْرُ الَّذِي يَرْكَبُ قَبِيْعَتَهُ ،
وَيُسْتَوْتِقُ مِنْ سَيْلَانِهِ^(٩) ، وَالَّذِي يَعْمَلُ مَسَامِيرَ السَّيْلَانِ ، وَشَارِبِي
الْقَبِيْعَةِ^(١٠) وَنَحْلَ السَّيْفِ^(١١) غَيْرُ الَّذِي يَنْحِتُ خَشَبَ غِمْدِهِ . وَالَّذِي
يَنْحِتُ خَشَبَ غِمْدِهِ غَيْرُ الَّذِي يَدْبِغُ جِلْدَهُ ، وَالَّذِي يَدْبِغُ جِلْدَهُ غَيْرُ
الَّذِي يَحْلِيهِ ، وَالَّذِي يَحْلِيهِ وَيَرْكَبُ نَصْلَهُ غَيْرُ الَّذِي يَخْرِزُ حِمَائِلَهُ .

(١) ب فقط : « وأصل » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ونزلنا » ط : « ونوعنا » ، صوابهما في مج والرسائل .

(٣) مج والرسائل : « وكالساسان » .

(٤) في جميع النسخ : « ويفرجه ضارب » ، صوابه في مج والرسائل .

(٥) المائل : الله والبط . ط : « ويمعه » .

(٦) ط : « ويمعه » .

(٧) (٧) يقال سيف مشقوق الخشبية : عرض حين طبع . ب فقط : « خشابته » .

(٨) ب ، م : « سوى » .

(٩) السيلان ، بالكسر : منخ قائم السيف ، لئى أصل مقبضه .

(١٠) القبيعة : ما على مقبض السيف من فضة أو حديد . والشاربان : أنثان طويلان في

أصل مقبض السيف . وفي ب : « وشاذى القبيعة » وفي م ، ط : « وشاذى القبيعة » .

(١١) نحل السيف : الحليمة التي تكون في أسفل جفنه من حليمة أو فضة ، وفي الحديث :

« كان نحل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة » . مج والرسائل : « ونصل السيف » .

وكذلك السرج ، وحالات السهم والجبّة والرمح ، وجميع السلاح مما هو جارح^(١) أو جنة .

والتركيّ يعمل هذا كلّهُ بنفسه ، من ابتدائه إلى غايته ، ولا يستعينُ برفيقٍ ، ولا يفزّع إلى رأى صديق ، ولا يختلف إلى صانع ، ولا يشغل قلبه بمطاله وتسويقه^(٢) ، وأكاذيب مواعيده ، ويغترم كراهته^(٣) . وليس في الأرض كلّ تركيّ كما وصفنا ، كما أنّه ليس كلّ يونانيّ حكيمًا ، ولا كلّ صينيّ حاذقًا ، ولا كلّ أعراقيّ شاعرًا فائقًا^(٤) ، ولكن هذه الأمور في هؤلاء أعم وأتمّ ، وفيهم أظهر وأكثر .

قد قلنا في السبب الذي تكاملت به التّجدة والفروسيّة في التّرك دون جميع الأمم ، وفي العلل^(٥) التي من أجلها نظموا جميع معاني الحرب ، وهي معاني تشتمل على مذاهب غريبة ، وخصالٍ عجيبة ، فمنها ما يقضي^(٦) لأهل الكرم ، ويبعد الحمّة ، وطلب الغاية . ومنها ما يدلّ على الأدب السديد^(٧) ، والرأى الأصيل ، والفطنة الثاقبة ، والبصيرة النافذة .

ألا ترى أنّه ليس بدّ لصاحب الحرب من العلم والعلم ، والحزم والعزم ، والصبر والكيان ، ومن الثّقافة وقلة الغفلة ، وكثرة التجربة ؟ ولا بدّ من البصر بالخيّل والسّلاح^(٨) ، والخبرة بالرجال . والبلاد ،

(١) م ، ط : « خارج » ، صوابه في ب ، مع والرسائل .

(٢) م ، ط : « مطله وتسويقه » . والمطل والمطال : التسويف وتأجيل موعد الوفاء بالشئ .

(٣) هذا الصواب من مع والرسائل . وفي ب : « ويغترم كراهته » ، وفي م : « ويغترم كراهته » ، وفي ط : « ويغترم كراهته » .

(٤) مع والرسائل : « فائقًا » . لائق : الذي يتبحر الأفكار ويسرفها ، ويسرف فيه الرجل بأغية وأبيه . وأثبت ما سائر النسخ

(٥) كذا في مع والرسائل . وفي جميع النسخ : « في العلم » بسقوط الواو .

(٦) في الأصول : « يفنى » بالفاء ، وأثبت ما في مع والرسائل .

(٧) كذا في مع والرسائل . وفي ب : « الأرب الشديد » ، وفي م ، ط : « الأدب الشديد » .

(٨) ب : « في الخيل والسّلاح » ، وفي مع : « من البصر في الخيل والسّلاح » .

والعلم بالمكان والزمان والمكايد ، وبما فيه صلاحُ الأمور كُلِّها^(١) .

والمَلِكُ يَحْتَاجُ إِلَى أَوَاخِرِ شِدَادٍ ، وَأَسْبَابِ بِتَانٍ ، وَمِنْ أَمْتِنِهَا سَبِيئاً ، وَأَعْمَحُهَا نَفْعاً ، مَا ثَبَّتَهُ فِي نَصَابِهِ^(٢) ، وَسَكَّنَهُ فِي قَرَارِهِ ، وَزَادَهُ فِي تَعْمِكِنِهِ وَبَهَائِهِ ، وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَطْمَعَةِ فِيهِ ، وَمَنَعَ أَيْدِيَ الْبُغَاةِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ ، فَضْلاً عَنْ الْبَسْطِ عَلَيْهِ .

قَدْ قَلَبْنَا فِي مَنَاقِبِ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ بِجُمْلَةٍ مَا انْتَهَى إِلَيْنَا ، وَبَلَّغَهُ عَلَمُنَا ، فَلِإِنْ وَقَعَ بِالْمُوافَقَةِ فَيَتَوَفَّقِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَصُنْعِهِ ، عَزَّ ذِكْرُهُ . وَإِنْ قَصُرَ دُونَ ذَلِكَ فَالَّذِي قَصُرَ بِنَا^(٣) نُقْصَانُ عَلَمِنَا ، وَقَلَّةُ حِفْظِنَا ، وَأَسْأَعُنَا^(٤) . فَأَمَّا حُسْنُ [النِّيَّةِ^(٥)] ، وَالَّذِي^(٦) نَضْمُرُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْقُرْبَةِ ، فَإِنَّا لَا نَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْفُسِنَا بِلَاتَمَةٍ . وَبَيْنَ التَّقْصِيرِ مِنْ جِهَةِ الْعِجْزِ وَضَعْفِ الْقُوَّةِ^(٧) فَرَقٌ .

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ كُتُبِ الْمُنَاقَضَاتِ ، وَكُتُبِ الْمَسَائِلِ وَالْجَوَابَاتِ ، وَكَانَ كُلُّ صَنَفٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ يَرِيدُ الْاِسْتِقْصَاءَ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَيَكُونُ غَايَتُهُ إِظْهَارَ نَفْسِهِ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِظْهَارِ نَقْصِ أَخِيهِ وَوَلِيِّهِ ، لَكَانَ كِتَابُنَا كَبِيرًا ، كَثِيرُ الْوَرَقِ عَظِيمًا . وَلَكِنْ الْقَلِيلُ الَّذِي يَجْمَعُ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي يَفْرُقُ .

وَنَحْنُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَوْنَ وَالتَّسْلِيدَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، فَعَالٌ لَمَا يَرِيدُ .

(١) فِي الرِّسَالَةِ : « صَلَاحُ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا » .

(٢) ب : « مَا بَيَّنَّهُ فِي نَصَابِهِ » م : « مَا تَكَيَّفَهُ » فَقَطْ ، سَوَابِغُ فِي ط : « مَعَ وَ الرِّسَالَةِ .

(٣) ب ، م : « فَا إِلَى قَصْرِنَا » ، سَوَابِغُ فِي ط وَ مَعَ وَ الرِّسَالَةِ .

(٤) مَعَ وَ الرِّسَالَةِ : « وَ صَحْنَا » .

(٥) التَّكْمِلَةُ مِنْ مَعَ وَ الرِّسَالَةِ . وَ فِي م : « وَأَمَّا حَسَنٌ فَقَطْ . وَ فِي ط : « وَ رِيحَانَتُهُ » .

(٦) ط : « الَّذِي » يَطْرَحُ الْوَاوُ .

(٧) مَعَ وَ الرِّسَالَةِ : « وَ ضَعْفُ الْقُوَّةِ » .

من كتابه في
مُجَعِّ النُّبُوَّةِ

٢٥ - فصل (١) من صلب كتابه

في حجج النبوة

الحمد لله الذي عرفنا نفسه ، وعلمنا دينه ، وجعلنا من الدعاء إليه ،
والمحتجين له . فنحن نسأله تمام النعمة ، والعون على أداء شكره ، وأن
يوفقنا للحق برحمته ، لأنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، والمرغوب إليه
فيه ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ثم إننا قائلون في الأخبار ، ومخبرون عن الآثار ، ومفرقون بين
أسباب الشبهة ، وأسباب الحجة ، ثم مفرقون بين الحجة التي تلزم
الخاصة دون العامة ، ومخبرون عن الضرب الذي يكون الخاصة فيه
حجة على العامة ، وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من
الكثير ، ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ؟ ولم خفي وأصله قوى ؟
وما الذي يؤمن من فسادهِ وتبليهِه مع تقادم عصره ، وكثرة الطاعنين
فيه ^(١) ، وعن الحاجة إلى رواية الآثار ، وإلى سماع الأخبار ، وعن
أخلاق الناس وآبائهم ، ومذاهب أسلافهم ، وعن سير الملوك قبلهم ^(٢) ،
وما صنعت الأيام بهم ، وعن شرائع أنبيائهم ، وأعلام رسلهم ، وعن آداب
حكماهم ، وأقاويل أئمتهم وفقهائهم ، وعن حالات من غاب عن أبصارهم
في دهرهم ، ولم كان الإخبار على الناس ^(٣) أخف من الكتمان ؟ ولم

(١) ب فقط : « فصل منها » .

(٢) كلمة « فيه » من ط فقط .

(٣) ب : « وعن سر الملوك قبلهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « عن الناس » .

كَانَ الصَّمْتُ أَثْقَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَلَامِ ؟ وَمَا الضَّرْبُ الَّذِي يَقْدِرُونَ عَلَى كِتَابَتِهِ وَطِيَّهِ ، وَالضَّرْبُ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَى إِذَاعَتِهِ وَنَشْرِهِ ؟ وَلَمْ أَجْمَعْتَ الْأُمَمَ عَلَى الصَّدْقِ فِي أُمُورٍ ، وَاخْتَلَفْتَ فِي غَيْرِهَا ؟ وَلَمْ حَفِظْتَ أُمُورًا وَنَسِيتَ سِوَاهَا ؟ وَلَمْ كَانَ الصَّدْقُ أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ ؟ وَلَمْ كَانَ الصَّمْتُ أَثْقَلَ وَالْقَوْلُ أَفْضَلَ ؟

وَالْعَجَبُ مِنْ تَرْكِ الْفُقَهَاءِ تَمْيِيزَ الْآثَارِ ، وَتَرْكِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْقَوْلَ فِي تَصْحِيحِ الْأَخْبَارِ ، وَبِالْأَخْبَارِ يَعْرِفُ النَّاسُ النَّبِيَّ مِنَ الْمُتَنَبِّئِ ^(١) ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ ، وَبِهَا يَعْرِفُونَ الشَّرِيعَةَ مِنَ السُّنَّةِ ، وَالْفَرِيضَةَ مِنَ النَّافِلَةِ ، وَالْحَظَرَ مِنَ الْإِبَاحَةِ ، وَالْاجْتِمَاعَ مِنَ الْفُرْقَةِ ، وَالشُّلُوزَ مِنَ الِاسْتِفَاضَةِ ^(٢) ، وَالرَّدَّ مِنَ الْمَعَارِضَةِ ، وَالنَّارَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَعَامَّةَ الْمَفْسَدَةِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ^(٣) .

فَإِذَا نَزَلَتْ الْأَخْبَارُ مَنَازِلَهَا وَقَسَمَتْهَا ، ذَكَرْتُ حُجَجَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَلَالَتَهُ وَشَرَائِعَهُ وَسُنَنَهُ ، ثُمَّ جَنَسْتُ الْآثَارَ عَلَى أَقْدَارِهَا ، وَرَتَّبْتُهَا فِي مَرَاتِبِهَا ، وَقَرَّبْتُ ذَلِكَ وَاخْتَصَرْتُ ، وَأَوْضَحْتُ عَنْهُ وَبَيَّنْتُهُ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ فِي مَعْرِفَتِهَا مَنْ قَلَّ سَمَاعُهُ وَسَاءَ حِفْظُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَمَاعُهُ وَجَادَ حِفْظُهُ ، بِالْوَجْهِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْأَدَلَّةِ الْإِضْطِرَاطِيَّةِ .

وَلَمْ أَرِدْ فِي هَذَا الْكِتَابِ جَمْعَ حُجَجِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَفْصِيلَهَا وَالْقَوْلَ فِيهَا ، لِنَقْضِ مَسْئَلَتِي ^(٤) ، أَوْ لَوْهَنْ كَانَ فِي أَصْلِهَا مِنْ نَاقِلِهَا

(١) ب : « المتنبئ » بالهمز .

(٢) م فقط : « الإفاضة » .

(٣) م ، ط : « والمصلحة » .

(٤) ب : « لبض سبها » ط : « لبض سبها » م : « لبض سبها » ، والوجه ما أثبت .

والمخبرين عنها ، أو لأن طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ، ونقص قواها . ولكن لأمر سآذرها وأحجج .

وكيف نقصر الحججة عن بلوغ الغاية ، وتنقص عن التمام ^(١) ، والله تعالى المتوكل بها ، ومُسخر أصناف البرية ومهيج النفوس على إبلاغها ^(٢) ، وقد أخبر بذلك عن نفسه في محكم كتابه عز ذكره ^(٣) ، حين قال : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ^(٤) 》 . وأذن منازل الإظهار لإظهار الحججة على من ضاربه وخالف عليه .

وقال عز ذكره : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ^(٥) 》 .

وأخبر أنه أمر الأحمر والأسود ، ولم يكن ليأمر الأقصى إلا كما يأمر الأدنى ^(٦) ويأمر الغائب على الحاضر ^(٧) ، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ^(٨) 》 .

فأقول : إن كل مطيق محجوج ^(٩) « والحجة حجتان : عيان ظاهر ،

(١) ب : « ويتقص عن التمام » ، والوجه ما في م ، ط .

(٢) ب ، م : « عن إبلاغها » .

(٣) ب : « عن ذكره » ، تحريف .

(٤) الآية : ٢٣ من سورة التوبة . وفي الكتاب العزيز أيضاً : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » . الآية ٢٨ من سورة النسخ .

(٥) الآية ٨ من سورة الصف .

(٦) كلمة « إلا » ليست في جميع النسخ ، كما أن كلمة : « يكن » ساقطة من ب .

(٧) كذا في الأصول ، والوجه : « إلا كما يأمر الحاضر » .

(٨) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٩) المطيق : القادر ، والمراد المكلف . وفي ط : « متليق » . والمنطيق : البليغ ، ولا وجه له هنا .

وخيبر قاهر. فإذا تكلمنا في العيان وما يفرع منه^(١) فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه . ولا بد من التصديق في أصله ، والتعارف في فرعه . فالعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علّة الاستدلال وأصله ، ومُحال كون الفرع مع عدم الأصل ، وكون الاستدلال^(٢) مع عدم الدليل . والعقل مضمّن بالدليل ، والدليل مضمّن بالعقل ، ولا بد لكل واحد منهما من صاحبه^(٣) ، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر .

والعقل نوعٌ واحد ، والدليل نوعان : أحدهما شاهدٌ عيانٌ يدلُّ على غائب ، والآخر مجيءٌ خبيرٌ يدلُّ على صدق .

ثم رجع الكلام إلى الإخبار عن دلائل النبي صلى الله عليه وسلم وأعلامه ، والاحتجاج لشواهدهِ وبرهانِهِ ، فأقول :

إنَّ السلف الذين جمعوا القرآن^(٤) في المصاحف بعد أن كان متفرقاً في الصدور ، والذين جمَعُوا النَّاسَ على قراءة زيد ، بعد أن كان غيرها^(٥) مُطلقاً غيرَ مَحْظُورٍ ، والذين حَصَّنُوهُ وَمَنَعُوهُ الزِّيَادَةَ والنَّقْصَانِ لو كانوا جمعوا علاماتِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرهانَهُ ، ودلائلَهُ وآيَاتِهِ وصُنُوفَ بدائمه ، وأنواعَ عجائبِهِ في مُقَامِهِ وظننهُ^(٦) ، وعند دعائِهِ واحتجاجِهِ في الجَمْعِ العظيم ، وبحضرةِ العددِ الكثيرِ الذي

(١) ب : « وما يفرع » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ويكون » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « من صاحب » .

(٤) ب فقط : « جعلوا القرآن » .

(٥) أي غير قراءة زيد .

(٦) الظن ، بالفتح والتحرك : السير والارتحال . ب فقط : « وطمع » بالطاء المهملة ،

تحريف .

لا يستطيعُ الشكُّ في خبرهم إلاَّ النبيُّ الجاهلُ ، والعلوُّ المائلُ ، لما استطاعَ
اليومُ أن يُلغى كَوْنُهَا وصحَّةُ مَجِيئِهَا^(١) ، لا زندقٌ جاحدٌ ، ولا دُهرىٌّ
معانيدٌ ، ولا منطرفٌ ماجنٌ ، ولا ضعيفٌ مخلوعٌ ، ولا حدّثٌ مغرورٌ ؛
ولكان مشهوراً في عوامنا كشهرة في خواصنا ، ولكان استبصارُ جميعِ
أعياننا في حقِّهم كاستبصارهم في باطلِ نصارهم ومجوسهم ، ولما وجدَ
الملحدُ موضعَ طمعٍ في غنى يستميله^(٢) ، وفي حدّثٍ بموه له^(٣) .

ولولا كثرةُ ضَعْفَاتِنَا مع كثرةِ الدُّخْلَاءِ فينا ، الذين نَطَقُوا بِالسُّتْنَا ،
واستعانُوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا ، لما تكلفنا كَشَفَ الظَّاهِرِ ،
وإظهارَ البارزِ ، والاحتجاجَ الواضحَ .

إلاَّ أنَّ الذي دعا سلفنا إلى ذلك ، الاتِّكَالُ على ظهورها واستفاضةِ
أمرها .

وإذ كان^(٤) ذلك كذلك فلم يُؤتَ من أتى من جُهلاننا وأحدائنا ،
وسفهاننا وخُلَعاننا^(٥) إلاَّ من قِبَلِ ضعفِ العنايةِ ، وقِلَّةِ المبالاةِ ، ومن
قِبَلِ الحداثةِ والغرابةِ ، ومن قِبَلِ أنَّهم حملوا على عقولهم من دقيقِ
الكلامِ قبلَ العلمِ بجليله ما لم تبلغه قُوَاهُمْ ، وتتنسَّعَ له صلورهم ، وتحمله
أقدارهم ، فذهبوا عن الحقِّ^(٦) يميناً وشمالاً ، لأنَّ مَنْ لم يَلْزَمْ الجادَّةَ
تخبُّطٌ ، ومَنْ تناولَ القرعَ قبلَ إحكامِ الأصلِ سَقَطٌ ، ومن خرَّقَ بنفسه

(١) ب : « وصحة مجيئها » ، صوابه في م ، ط .

(٢) في جميع الأصول : « يستميله » . واستلها الكتاب : سأله أن يمليه عليه . ولا وجه

له هنا .

(٣) م ، ط : « بموه له » .

(٤) ب ، م : « وإن كان » ، وأثبت باقي ط .

(٥) الخليل : المستهتر بالشرب والهوى ، وأصله الشاطر الخبيث الذي خلطه عشيرته وتبرعوا

منه . ط : « وخلفائنا » ، تحريف .

(٦) ط فقط : « عن الحق » ، محرف ،

وكلّفها فوق طاقتها^(١) ، ولم ينلْ مالا يقدر عليه تفلّت منه ما كان يقدر عليه^(٢) .

فإذا كانوا كذلك فإنما أتوا من قبل أنفسهم ، ولم يؤتوا من سلفهم ، أو لأنّ الله تبارك وتعالى صرف أسلافنا بنسيانٍ أو غيره ليحتجّن بذلك غيرهم في آخر الزمان ، وليعرضهم لطاعته بالذبّ عن دينه ، والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وليجرى هذا الخير على أيديهم ، كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم ، لئلاّ يبخس أحد خلقه^(٣) من العلماء والفقهاء ، ولأنّ يجعل فضله مقسماً بين جميع الأولياء ، وإن كان الأول أحقّ بالتقديم ، والآخر أحقّ بالتأخير ، لئلاّ^(٤) قدموا من الاحتمال ، وأعطوا من المجهود ، ولأنّهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه ، والأصل أحقّ بالقوة من الفرع . وهم السابقون ونحن التابعون ، وهم الذين وطّئوا لنا ، وكلّفونا ما لم نكن لنكلّفه أنفسنا ، فشحّروا دوننا المرار^(٥) ، ومنحونا روح الكفاية . ولأنّ الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولأنّ القرآن نطق بفضيلتهم ، والله تعالى أعلم بمن يعلمهم ، والذي جمّع أسلافنا^(٦) الذين جمعوا الناس على قراءة زيد ، دون أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، والذين رأوا من قول عبد الله في الموعظتين^(٧) ، وقول أبي في سورتي الحقد والخلع^(٨) .

(١) ب ، م : « طاقته » .

(٢) عليه ، ساقطة من ب .

(٣) ب ، م : « لتلايخس من أحد خلقه » .

(٤) ب ، م : « لئلاّ » ، تحريف .

(٥) المرار ، بالضم : شجر مر .

(٦) أي واه تعالى هو الذي جمع الأسلاف .

(٧) انظر في ذلك البرهان ١ : ٢٥١ والإتيان ١ : ١٨٤ . وانظر لتليل عدم كتابه

للموعظتين ولأهل الكتاب في مصنفه ، مقدمه كتاب المياني نشرة آرثر جفرى ص ٩٣ ، ٩٦ - ٩٧ .

(٨) هذا التصويب من الإتيان السيوطي ١ : ١٨٤ . وفي جميع الأصول =

ومِنَ تعلقِ الناسِ بالاختلاف ، فكانوا لا يزالون قد رأوا الرَّجُلَ يروى الحرفَ الشاذَّ ، ويقرأ بالحرف الذي لا يعرفونه ، فرأوا أنَّ تحصيلَه لا يتمُّ إلَّا بحملِ الناسِ على المقرءِ عندهم^(١) ، المشهورِ فيما بينهم ، وأنَّهم إن لم يشدُّوا في ذلك لم ينقطع الطمع ، ولم ينزجر الطير^(٢) ، لأنَّ رجلاً من العرب لو قرأ على رجلٍ من خطبائهم وبلغائهم سورةً واحدة ، طويلة أو قصيرة ، لتبين له في نظامها ومخرجها ، وفي لفظها وطبعتها ، أنه عاجزٌ عن مثلها . ولو تحسَّدَ بها أبلغُ العربِ لظهر عجزُه عنها . وليس ذلك^(٣) في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين .

ألا ترى أنَّ الناسَ قد كان يتهيأ في طبائهم ، ويَجري على ألسنتهم أن يقول رجلٌ منهم : الحمد لله ، وإنا لله ، وعلى الله توكلنا ، وربنا الله ، وصحبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا كله في القرآن ، غير أنه متفرقٌ غير مجمع ، ولو أراد أنطقُ الناسِ أن يؤلف من هذا الضرب سورةً واحدة ، طويلة أو قصيرة ، على نظم القرآن وطبعه ، وتأليفه ومخرجه لما قلر عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان .

ورأوا^(٤) بفهمهم وبتوفيقِ الله تعالى لهم أن يحصنوه بما يشكُلُ ، ويمكنُ أن يُفتعلَ مثله من الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين ،

== « سورة العرب » ووجه ما أثبت من الإقنان . وانظر النصوص فيه . وجاء في كتاب مقدمتان في علوم القرآن ص ٧٥ : « وأما ما ذكر عن أبي بن كعب أنه عد دعاء القنوت : « اللهم إنا نستعينك » إل آخره ، سورة من القرآن ، فإنه إنصح ذلكمته فإنه كتبها في مصحفه لا على أنها من القرآن ، بل ليحفظها ولا ينساها احتياطاً ، لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت بها في صلاة الوتر » .

(١) ب : « المكره عندهم » م : « المكره » فقط ، صوابها في ن ط .

(٢) م فقط : « الطير » .

(٣) ذلك ، ساقطة من ب ، م .

(٤) ب فقط : « قرأوا » .

وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير^(١) على البلغاء والشعراء ، وخافوا إن هم لم يتقنوا في ذلك أن يتطرقوا عليه ، كما تطرقوا على الرواية^(٢) ، لأنهم حين رأوا كثرة الرواية في غير ذوى السابقة ، ورأوا كثرة اختلافها ، والغرائب التي لا يعرفونها ، لم يكن لهم إلا تحصين الشيء الذي عليه مدار الأمر ، وإن كانوا يعلمون أن الله بالغ أمره .

فعلى الأئمة أن تحوط هذه الأئمة ، كما حاط^(٣) السلف أولها ، وأن يعملوا^(٤) بظاهر الحيلة ، إذ كان على الناس الاجتهاد^(٥) ، وليس عليهم علم الغيوب . وإنما ذلك كتحوي رجل أبصر نبياً يحيى الموتى فعرف صدقه ، فلما انصرف سأله عنه بعض من لم يَرَ ذلك ولا صحَّ عنده ، فعليه أن لا يكتمه ، وإن كان يعلم أن الله تعالى سيُعْلِمُه ذلك من قبل غيره ، وأنه عز ذكره سيُسَمِّعُه صيحه على حبه وكرهه .

ورأوا أن قراءة زيد أحقُّ بذلك ، إذ كانت آخر العرض ، ولأنَّ الجَمْعَ اللّين سمِعُوا آخر العرض أكثرُ ممَّن سمع أوله ، فحملوا النَّاسَ على قراءة زيد ، دون أبي وعبد الله ، وإن كان الكلُّ حقاً ، إذ كان ربُّ حقٍّ في بعض الزَّمان أقطعَّ للقليل والقال ، وأجلُّ أن يُمَيِّتَ الخلاف ، ويحسمَ الطمع . فتركوا حقاً إلى حقِّ العمل به أحقُّ .

ولو أنَّ فقيهاً رأى إطباقَ العلماء على صوم يوم عرفة ، واستنكارهم الإفطار فيه ، فأفطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضعَ الفريضة من النافلة ،

(١) ب : « امتناع الكثير » ، م : « المتاع الكثير » وأثبت ما في ط .

(٢) المتطرق : الذي لا يثبت على أمر . وفي الأصول : « أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية » ، مع سقوط « على الرواية » من م . والصواب ما أثبت .

(٣) ب : م : « أحاط » .

(٤) ب : م : « وأن يسل » ، صوابه في ط .

(٥) ب : م : « إذا كان » . وكلمة « على » ساقطة من ب .

أو خاف أن يَلْحَقَ الفَرَضُ على تَطَاوُلِ الأَيَّامِ ما ليس فيه - كان مصيباً ، ولكان قد ترك حقاً إلى أحق منه .

وللحق درجات ، وللخلاف درجات ، وللحرام درجات . ألا ترى أن لولي المقتول أن يَقْتُلَ ويصفح ، وأنه إن قَتَلَ قَتَلَ بحق ، وإن صَفَحَ صَفَحَ بحق ، والصَّفَحُ أَفْضَلُ من القتل .

ولو أن رجلاً أخرج ساكناً بيتاً له ^(١) ، أو اقتضى ديناً له ساعة مَحَلُّه ^(٢) ، أو طلق زوجته وما دَخَلَ بها ^(٣) - لكان ذلك له ، ولحق فعل ^(٤) . وغير ذلك الحق أولى به .

وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن ، والثواب فيه أعظم ، وإلى سلامة الصدور أقرب .

وقد يكون الأمران حسنين ، وأحدهما أحسن . وقد يكون الأمران قبيحين ، وأحدهما أقبح .

وبعد ، فعلی الناس طاعة الأئمة في كل ما أمرُوا به ، إلا فيما نبين أنه معصية . فأمّا غير ذلك فإنه واجب مفروض ، ولازم غير مرفوع .

وعَلِمُوا أيضاً أنهم لا يَبْقُونَ إلى آخر الزمان ، وأن مَنْ يَجِئْ بِعَدَمِهِمْ لا يقوم مقامهم ، ولا يُفْصَلُ الأمور تفصيلهم . ولو عَرَفُوا كعزفتهم وأرادوا ذلك كلرادتهم ، لا أطيعوا كطاعتهم .

وعلموا أن الأكاذيب والبدع ستكثر ، وأن الفتن ستفتح ، وأن

(١) بيتاً ، سائقة من ب ، م .

(٢) ب ، م : « واقتضى » . وعمل الدين : وقت حلول أدائه . وفي ط : « عند حلول أجله » .

(٣) ب ، م : « ولا دخل بها » . ووجه هذه : « ولا يدخل بها » .

(٤) ب ، م : « ولحق فعله » .

الفساد سَيَقْشُو ، فكرهوا أَنْ يجعلوا للمتطرفين علة^(١) ، ولأهل الزين حجة .

بل لا شك^(٢) أَنَّهُمْ لو تركوا الناس عامة يقرءون على حرفِ فلانٍ وكلِّ ما أجاز فيه فلانٌ عن فلانٍ ، لآلَحَقَ قومٌ في آخر الزمان بهم ما ليس منهم ، ولا يَجْرى مجراهم ، ولا يَجُوز مَجازهم .

٢٦ - فصل منه في الاحتجاج للجمع

على قراءة زيد

ولو كان زيدٌ من آل أبي العاص ، أو من عُرْضِ بنى أمية ، لوجد ابنُ مسعودٍ متعلقاً .

ولو كان بدلاً زيدٌ عبدُ الرحمن بن عوف لَوَجَدَ إلى القول سبيلاً .

ولو كان ابن مسعودٍ رجلاً من بنى هاشم لَوَجَدَ للطنن موضعاً .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبدَّ بذلك الرأى على على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وسعدٍ وطلحة والزبير رحمهم الله ، وجميع المهاجرين والأنصار ، لَوَجَدَ للثهمة مساعاً .

فأما والأمر كما وصفنا ونزلنا ، فما الطاعن على عثمان إلا رجلٌ أخطأ خطئة الحق^(٣) ، وعَجِلَ على صاحبه . ولكلُّ بنى آدم من الخطأ نصيب ، والله عز ذكره يغفر له ويرحمه .

(١) في جميع الأصول : « المتطرفين » . وانظر ما سبق في حواشي ٢٣٠ .

(٢) ب : « بل شك » ، صوابه في م ، ط .

(٣) ب ، م : « أخطأ خطئه » مع سقوط كلمة « الحق » ، والصواب في ط .

والذى يخطئ عثان في ذلك فقد خطأ علياً وعبد الرحمن وسعداً ،
والزبير وطلحة ، وعطية الصحابة ^(١) .

ولو لم يكن ذلك رأى على لغيره ، ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ،
ولو لم يمكنه في زمن عثان لأمكنه في زمن نفسه ، وكان لا أقل من
إظهار الحجة إن لم يملك تحويل الأمة ، وكان لا أقل من التجربة
إن لم يكن من النجس على ثقة ، بل لم يكن لعثان في ذلك ما لم يكن
لجميع الصحابة ، وأهل القدم والقنوة . ومع أن الوجه فيما صنعوا واضح ،
بل لا نجد لما صنعوا وجهاً غير الإصابة والاحتياط ، والإشفاق والنظر
للعواقب ، وحسن طعن الطاعن .

ولو لم يكن ما صنعوا لله تعالى فيه رضا ^(٢) لما اجتمع عليه أول
هذه أول الأمة وأخيرها . وإن أمراً اجتمعت عليه المنزلة والشبهة ،
والخوارج والمرجئة ، لظاهر الصواب ، واضح البرهان ، على اختلاف
أهوائهم ، وبغيتهم لكل ما ورد عليهم .

فإن قال قائل : هذه الروافض بأسرها تأتي ذلك وتنكره ، وتطعن
فيه ، وترى تغييره ^(٣) .

قلنا : إن الروافض ليست ميتاً بسبيل ، لأن من كان آذانه غير
أذنانا ، وصلاته غير صلاتنا ، وطلاقه غير طلاقنا ، وعتقه غير عتقنا ،
وحجته غير حجتنا ، وفقهاؤه غير فقهاءنا ^(٤) وإمامه غير إمامنا ،

(١) ط : « وما عليه الصحابة » .

(٢) م فقط : فيما صنعوا مع سقوط كلمة « فيه » من ب ، م . وأثبت ما في ط .

(٣) ب ، م : « لغيره » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) غير فقهاءنا ، ساقط من ب ، م .

وقرأته غَيْرَ قَرَأَتْنَا ، وحَلَّاهُ غَيْرَ حَلَّلْنَا ، وحَرَامُهُ غَيْرَ حَرَامْنَا ، فلا نَحْنُ مِنْهُ وَلَا هُوَ مِنَّا ^(١) .

ولأَيِّ شَيْءٍ حَامَتْ ^(٢) عَنْ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَوَ اللَّهِ مَا كَانَ أَحَدٌ أَفْرَطَ فِي الْعَمِيَّةِ مِنْهُ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْعَةِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ حُبِّهِ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قَالَ : لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَبِي لِعَمْرِ . فَلِمَ يُحَامُونَ عَنْهُ وَهُوَ كَانَ شَجَاهِمُ ^(٣) لَوْ أَدْرَكَهُمْ .

٢٧ - فصل منه

فَأَمَّنَ اللَّهُ رَجُلًا فَارْقَهُمْ وَلَزِمَ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ فِيهَا الْأُنْسَةَ وَالْحُجَّةَ ^(٤) ، وَتَرَكَ الْفُرْقَةَ فَإِنَّ فِيهَا الْوَحْشَةَ وَالشُّبْهَةَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا لَا نَفْرُقُ بَيْنَ أَمْتِنَا ، كَمَا جَعَلَنَا لَا نَفْرُقُ بَيْنَ أَنْبِيَائِنَا .

٢٨ - فصل منه

وَالَّذِي دَعَانَا إِلَى تَأْلِيفِ حُجَجِ الرُّسُولِ وَنَظْمِهَا ، وَجَمْعِ وَجْهِهَا وَتَدْوِينِهَا - أَنَّهَا مَتَى كَانَتْ مَجْمُوعَةً مَنْظُومَةً ، نَشِطَ لِحَفْظِهَا وَتَفْهَمُهَا مَنْ كَانَ عَسَى أَنْ لَا يَنْشِطَ لْجَمْعِهَا ، وَلَا يَقْدِرَ عَلَى نَظْمِهَا ، وَجَمَعَ مَتَفَرِّقَهَا ، وَعَلَى اللَّفْظِ الْمُؤَثِّرِ عَنْهَا ^(٥) ، وَمَنْ كَانَ عَسَى أَنْ لَا يَعْرِفَ وَجْهَ مَطْلَبِهَا ، وَالْوَقُوعَ عَلَيْهَا .

(١) ب ، م : « وَلَا نَحْنُ مِنْهُ وَلَا هُوَ مِنَّا » ، صوابه في ط .

(٢) في جميع الأصول : « جَانِبٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ . وَانْتَظِرْ مَا سَبَقَ .

(٣) أَمَلُ الشَّيْءِ : مَا يَمْتَرِضُ فِي حَلْقِ الْإِنْسَانِ وَاللَّهَابِ مِنْ عَظْمِ أَوْعُودٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَمَنْ قَوْلُ سَوِيدِ بْنِ أَبِي كَلْعَلٍ فِي الْمَقْشَلِيَّاتِ ١٩٨ :

وَبَرَأَى كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ صَرَخَ خَرَجَهُ مَا يَنْتَزِعُ

وَفِي م قَطَط : « بِحَامٍ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الْأُنْسُ ، بِالْفَمِّ ، وَالْأُنْسَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، الطَّائِفَةُ . ط قَطَط : « الْأُنْسُ » .

(٥) كَلَّمَاءٌ فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَأَرَاهَا « الْمَأْثُورُ عَنْهَا » . يَقَالُ أَثَرُ الْحَدِيثِ أَثَرًا : نَقْلُهُ وَرَوَاهُ مِنْ غَيْرِهِ ، فَهُوَ مَأْثُورٌ .

ولعلَّ بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها .

ولعلَّ بعضهم وإن كان قد عَرَفَهَا بِحَقِّهَا وَصَلَّقَهَا فلم يعرفها من أسهل طرقها ، وأقرب وجوها .

ولعلَّ بعضهم أن يكون قد عَرَفَ فَنَسِيَ ، أو نَهاونَ بها فَعَمِيَ ، بل لا نشكُّ أنَّها إذا كانت مجموعة مَجْبُرة^(١) ، مستقصاة مفصلة ، أنَّها ستزِيد^(٢) في بصيرة العالم ، وتَجْمَعُ الكلَّ لمن كان لا يعرف إلَّا البعض ، وتُدَكِّرُ النَّاسِيَّ ، وتكون عُدَّةً على الطاعن^(٣) .

ولعلَّ بعض من ألحد في دينه ، وعَمِيَ عن رُشْدِهِ ، وأخطأ موضعَ حَظِّهِ^(٤) أن يدعوهُ السُّجْبُ بنفسه ، والثَّقة بما عنده ، إلى أن يلتبس قراءتها ، ليتقدَّم^(٥) في نَقْضِها وإفسادها ، فإذا قرأها فهمها ، وإذا فهمها انتبه من رَقَلَتِهِ^(٦) ، وأفاق من سكرته^(٧) ، لمزَّ الحقَّ ، ودُلَّ الباطل ، ولإشراف الحجَّة على الشُّبهة^(٨) ، ولأنَّ من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجائاه^(٩) ، لأنَّ الإنسان لا يُباهي بنفسه^(١٠) ،

(١) من تغيير الخط والشر ونحوهما ، أي تحسبه ، ب ، م : « غيرة » صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « سيزيد » ، صوابه في ط .

(٣) في جميع الأصول : « ويجمع » و « يذكر » و « يكون » ، صوابها كلها بالكاء كما

أثبت .

(٤) ب فقط : « خطه » ، تحريف .

(٥) ب ، م : « ليقدِّم » ، صوابه في ط .

(٦) م فقط : « فإذا قرأها وفهمها انتبه من رَقَلَتِهِ » .

(٧) ب ، م : « عن سكرته » .

(٨) ب فقط : « ولإشراف » بالقاف .

(٩) الجائئة : أن يجلس مع خصمه على ركيته الصموية . وفي البيان والتبيين ٣ : ٦ :

« وبالآريجاز عند المتح وعد مجائة الخسم » . وفي ب ، م : « وجائاه » ، وفي ط : « وجاناه » صوابها ما أثبت .

(١٠) ب ، م : « نفسه » ، صوابه في ط .

والحقُّ بعدُ قاهرٌ له . ومع التَّلَاقِي يحدثُ التَّبَاهِي ، وفي المحافل يقلُّ الخُضُوع ، ويشتدُّ التُّزُوع .

ثم رَجَعَ الكلامُ إلى حاجةِ النَّاسِ إلى استماعِ الأخبارِ ، والتفَقُّه في نصحيحِ الآثارِ ، فأقول : إِنَّ النَّاسَ لو استغْنَوْا عن التَّكْرِيرِ ^(١) ، وكُتِّبُوا مَثُونَةَ البَحْثِ والتَّنْقِيرِ ^(٢) لَقَلَّ اعْتِبَارُهُمْ ^(٣) . ومن قَلَّ اعْتِبَارُهُ قَلَّ عِلْمُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عِلْمُهُ قَلَّ فَضْلُهُ ، ومن قَلَّ فَضْلُهُ كَثُرَ نَقْصُهُ ، ومن قَلَّ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ وَكَثُرَ نَقْصُهُ لم يُحْمَدَ على خَيْرِ أَتَاه ، ولم يَدَمَّ على شَرِّ جَنَاه ، ولم يَجِدْ طَعْمَ الْعِزِّ ، ولا سُرُورَ الظَّفَرِ ، ولا رَوْحَ الرَّجَاءِ ، ولا بَرْدَ الْيَقِينِ ، ولا راحةَ الْأَمْنِ .

وكيف يُشكر من لا يقصد ، وكيف يُلام من لا يتعمد ، وكيف يُقَصَّد من لا يعلم . وما عسى أَنْ يَبْلُغَ قَلْبُ سُرُورٍ من لا يحسن من السُّرُورِ إِلَّا ما سُرَّ بِهِ حَوَاسِهِ ^(٤) وَمَسَّ جِلْدُهُ ^(٥) .

وكيف يَأْتِي أَرْبَحَ الْأَفْعَالِ ، وأبعدَ الشَّرِّينِ من رَكَبٍ في شِراةِ السَّبَاعِ ^(٦) وَغَبَاوَةِ الْبِهَائِمِ ، ثم ^(٧) لم يُعْطِ آلَاةَ الَّتِي بِهَا يَسْتَطِيعُ التَّفَرُّقَةُ ^(٨) بين ما عليه وله ، والعِلْمِ بمصالحِهِ ومفاسده ، فيقوى بها على عصيان طَبَائِعِهِ ، ومُخَالَفَةِ شَهَوَاتِهِ ، وبها يعرف عواقِبَ الْأُمُور ، وما تَأْتِي به

(١) في جميع الأصول : « قد استغنوا عن التكرير » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ب فقط : « وكُتِّبُوا عن مَثُونَةِ الْبَحْثِ والتَّنْقِيرِ » .

(٣) ب ، ط : « لَقَلَّةُ اعْتِبَارِهِمْ » ، صوابه في م .

(٤) ب ، م : « وَحَوَاسِهِ » ، والوجه حذف الواو كما في ط .

(٥) ب فقط : « وَمَسَّ جِلْدُهُ » .

(٦) ب ، م : « من ركب في شِراةِ السَّبَاعِ » ، ط : « من ركب شِراةِ السَّبَاعِ »

صوابهما ما أثبت .

(٧) ثم ، سابقة من ب .

(٨) ب ، م : « تَفَرُّقَةُ » .

الدُّهُور^(١)، وفضل^(٢) لَذَّةِ القلبِ على لَذَّةِ البدنِ .

وإنَّ سرورَ الجاهلِ لا يَحُسنُ في جَنبِ سرورِ العالمِ ، وإنَّ لَذَّةَ البهائمِ لا تَعُشرُ^(٣) لَذَّةَ الحكيمِ العالمِ .

وأى سرور كسرور العزِّ والرِّئاسة ، واتِّساعِ المعرفة ، وكثرةِ صوابِ الرأى ، والنُّجحِ الذى لا سَبَبَ له إِلَّا حُسْنُ النُّظَرِ والتَّقَدُّمُ^(٤) فى التدبير ، ثم العلمُ باللهِ وحده ، وأنَّكَ بعرضِ ولايتهِ والجاهِ عنده ، وأَنَّهُ الذى يرحاك ويكفيك ، وأنَّكَ إذا عملتَ اليسيرَ^(٥) أعطاك الكثير ، ومتى تركتَ له الفائتَ أعطاك الباقي ، ومتى أدبرتَ عنه دعاك ، ومتى رجعتَ إليه اجتباك ، ويحمذك على حَقِّكَ ، ويُعطيك على نَظَرِكَ ، لنفسِكَ ولا يُغْنِيكَ إِلَّا لِيُغْنِيكَ^(٦) ، ولا يُمِيتُكَ إِلَّا لِيُحْيِيكَ ، ولا يَمْنَعُكَ إِلَّا لِيُعْطِيكَ . وأَنَّهُ المبتدئُ بالنعمةِ قبل السَّؤالِ ، والناظرُ لك فى كُلِّ حال .

وهذا كُلُّهُ لا يُنالُ إِلَّا بفريضةِ العقلِ . على أَنَّ الفريضةَ لا تنالُ ذلك بنفسها ، بما باشرتهِ حواسُّها ، دونَ النُّظَرِ والتَّفَكُّرِ ، والبحثِ والتَّصَفُّحِ . ولن ينظرَ ناظرٌ ولا يفكرَ مفكِّرٌ^(٧) دونَ الحاجةِ التى تَبْعُثُ على

(١) ب : « وما يأتى به الدهور » .

(٢) الفضل : الزيادة . وفى ب ، م : « وفضلة » ، وإنما الفضلة والفضالة : البقية من الشيء ، قالويه ما أثبت من ط .

(٣) تشرها : تبلغ حشرها . ب ، م : « لا يشر » ، صوابه ما أثبت . وفى ط : « لا تادل » .

(٤) فى جميع الأصول : « والتقدم » .

(٥) ب : « علمت اليسير » .

(٦) ب ، ط : « ولا يغنيك » ، وأثبت ما فى م . وفى جميع الأصول : « إلا ليغنيك » . والمراد بالإبقاء هنا الإبقاء الأبدى فى الآخرة .

(٧) ب : « ولم ينظرنا ولا فكر مفكر » ، صوابه فى م ، ط .

الفكرة^(١) ، وعلى طلب الحيلة . ولذلك وضع الله تعالى في الإنسان طبيعة الغضب ، وطبيعة الرضا ، وطبيعة البخل والسخاء ، والجزع والصبر ، والرياء والإخلاص ، والكبر والتواضع ، والسخط والقناعة ، فجعلها عروقات . ولن نفى^(٢) قوة غريزة العقل بجميع^(٣) قوى طبائعه وشهواته ، حتى يقيم ما اعوج منها^(٤) ، ويسكن ما تحرك ، دون النظر الطويل الذي يشدها ، والبحث الشديد الذي يشحلها ، والتجارب التي تحنكها^(٥) ، والفوائد التي تزيد فيها^(٦) . ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر^(٧) ، ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج^(٨) ، ولن تبعد^(٩) الرؤية إلا لبعد الغاية وشدة الحاجة .

ولو أن الناس تركوا وقدر قوى غرائزهم^(١٠) ، ولم يهاجروا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر في معاشهم ، وعواقب أمورهم ، وألجؤوا إلى قدر خواطرهم التي تولدها مباشرة حواسهم ، دون أن يسميهم الله تعالى خواطر الأولين ، وأدب السلف المتقدمين ، وكُتب رب العالمين ، لما أدركوا من العلم إلا اليسير^(١١) ، ولما ميزوا من الأمور إلا القليل .

(١) ب فقط : « على الفكر » .

(٢) ب فقط : « ولم نفى » ، تعريف .

(٣) يقال هذا الشيء لا يفي بذلك ، أى يقصر عنه ولا يوازيه . وفي جميع النسخ : « لجميع » ، والصواب ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ماعدا منها » ، صوابه في ط .

(٥) يقال حنكه التجارب : حنكا ، بالفتح ، وحنكا بالتحريك ، وأحنكه وحنكه تحنيكا ، وأحنكه : أى هدته وأحكمه . ب : « الذى يحنكها » م : « التى يحنكها » ، صوابها في ط .

(٦) ب ، م : « التى يزيد فيها » ، صوابها في ط .

(٧) ب ، م : « يكثر الخواطر » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب : « ولم يكثر » صوابه في م ، ط ، وفي ب ، م : « حتى يكثر الحوائج » ، وأثبت ما في ط .

(٩) ب : « ولن يبعد » صوابه في م ، ط .

(١٠) م : « تركوا قدر قوى غرائزهم » .

(١١) ب : « البتر » م : « التتر » ، صوابها ط .

ولولا أن الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته^(١) ، وتسويد العاقل ورفع قدره ، وأن يجعله حكيماً ، وبالعواقب عليماً ، لما سخر له كل شيء ، ولم يسخره لشيء ، ولما طبعه الطبع الذي يجيء منه أريب حكيم ، وعالمٌ حليم .

كما أنه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلاً ، والمجنون عالماً ، لطبعهم طبع العاقل ، ولسواهم تسوية العالم ، كما أراد أن يكون السبع وثابياً ، والحديد قاطعاً ، والسم قاتلاً ، والفيضان مقيماً ؛ فكذلك أراد^(٢) أن يكون المطبوع على المعرفة عالماً ، والمهيب للحكمة حكيماً ، وذو الدليل مستديلاً ، وذو النعمة مستنفعاً بها^(٣) .

فلما علم الله تبارك وتعالى أن الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، دون أن يرد عليهم آداب المرسلين ، وكذب الأولين ، والأخبار ، عن القرون ، والجبابة الماضين - طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ، ووضع القرن الثاني طبعاً يعلم به صدق خبر الأول ؛ لأن كثرة السماع للأخبار العجيبة ، والمعاينة القريبة ، متصلة للأذهان ، ومادة للقلوب ، وسبب للتفكير ، وعلة للتنقيح^(٤) عن الأمور .

وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكيراً ، وأكثرهم تفكيراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أرجحهم عملاً . كما أن أكثر البصراء رؤيةً للأعاجيب أكثرهم تجارب^(٥) ، ولذلك

(١) ب ، م : « وتربيته » .

(٢) أراد ، من ط فقط .

(٣) ب ، م : « والدليل مستديلاً والنعمة مستنفعاً بها » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « لتنقيح » ، صوابه في ط .

(٥) في جميع الأصول : « تجارباً » ، والصواب ما أثبت .

صار البصير أكثر خواطر^(١) من الأعمى ، وصار السميع البصير أكثر خواطر من البصير .

وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة ، وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون ، كما أن الرجائي والخائف دائبان ، والآيس والآمن وادعان .

وإذا كان^(٢) الله تعالى لم يخلق عباده في طبع عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، وآدم أبي البشر ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وخلقهم منقوصين^(٣) ، وعن ترك مصالحتهم عاجزين ، وأراد منهم العبادة ، وكلّفهم الطاقة^(٤) ، وترك العنان^(٥) للأمل البعيد ، وأرسل إليهم رسّله ، وبعث فيهم أنبياءه ، وقال : ﴿ لَيْسَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾^(٦) ، ولم يشهد أكثر عباده حجج رسّله^(٧) عليهم السلام ، ولا أحضرهم عجائب أنبيائه^(٨) ، ولا أسمعهم احتجاجهم ، ولا أراهم تدبيرهم - لم يكن بد من أن يُطْلِع^(٩) المعانين على أخبار الغائبين ، وأن يسخر أساع^(١٠) الغائبين لأخبار المعاندين ، وأن يخالف بين طبائع

(١) ب ، م : « خواطر » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط .

(٢) ب : « وإن كان » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « ناقصين » .

(٤) كذا في جميع النسخ . والمراد : ما يطبقون . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

(٥) العنان : السير أو الحبل الذي تمسك به الدابة . وإطلاق العنان هنا كناية عن اتساع مدى

الأمل . وفي جميع الأصول : « العيان » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٧) ب ، م : « وحجج رسّله » ، صوابه في ط .

(٨) ب : « ولا أخبر » م : « ولا أخبر » ، صوابهما في ط .

(٩) ب ، م : « يطلع » ، وجهه في ط .

(١٠) ب ، م : « يسحر » ، صوابه في ط .

المُخْبِرِينَ ، وَعَلَّلِ النَّاظِلِينَ ^(١) ، لِيَدُلَّ السَّامِعِينَ ، وَمَنْ يَجِيبُ مِنَ النَّاسِ ^(٢) .

على أَنَّ الْعِدَّةَ الْكَثِيرَ الْمُخْتَلِفِ الْعِلَلِ ، الْمُتَضَادِّ الْأَسْبَابِ ، الْمُتَفَاوِثِ الْجَمْعِ ، لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى تَخْرُصِ الْخَبَرِ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ ^(٣) ، وَكَمَا لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى الْخَبَرِ الْوَاحِدِ عَلَى غَيْرِ التَّلَاقِ وَالتَّرَاسُلِ إِلَّا وَهُوَ حَقٌّ . فَكَذَلِكَ ^(٤) لَا يُمْكِنُ مِثْلُهُمْ فِي مِثْلِ عِلْمِهِمُ التَّلَاقِ عَلَيْهِ ، وَالتَّرَاسُلِ فِيهِ .

وَلَوْ كَانَ تَلَاهِيهِمْ مُمْكِنًا ، وَتَرَاثُلُهُمْ جَائِزًا لَظَهَرَ ذَلِكَ وَقْشًا ، وَاسْتِفَاضَ وَبِدَا .

وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مُمْكِنًا ، وَكَانَ قَوْلًا مَتَوَهِّمًا لِبُطْلَانِ الْحُجَّةِ ، وَلِنَقِصَتِ الْعَادَةِ ^(٥) ، وَلَقَسَدَتِ الْعِبَرَةُ ، وَلَعَادَتِ النَّفْسُ بَعْلَةَ الْإِخْبَارِ جَاهِلَةً ، وَلَكَانَ لِلنَّاسِ ^(٦) عَلَى اللَّهِ أَكْبَرُ الْحُجَّةِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ^(٧) ﴾ ، إِذْ كَلَّفَهُمْ ^(٨) طَاعَةَ رُسُلِهِ ، وَتَصْلِيحَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتِبَ ^(٩) ، وَالْإِيمَانُ بِجَنَّتِهِ وَنَارِهِ ، وَلَمْ يَضَعْ لَهُمْ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَامْتِنَاعِ الْفُلُطِ فِي الْأَثَارِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

(١) ب : انقط : « وعَلَّ النَّاظِلِينَ » ، تحريف .

(٢) ط : فقط : « ومن يجيب » .

(٣) التخرص ، المراد به الخرز والتقدير والقهم . وسألت في ٢٤٨ ص ١٢ : « لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد في المعنى الواحد في الزمن الواحد » .

(٤) ب ، م : « فذلك » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « ولا نقست » ، تحريف .

(٦) ب : « الناس » ، محرفة .

(٧) من الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٨) ط : « إذا كلفهم » .

(٩) ب : « أنبيائه وكتبه » م : « أنبيائه ورسله » ، وأثبت النص كاملاً من ط .

(١٦) - رسائل المباحث

واعلم أن الله تعالى إنما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ، ولم يحب أن يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم ، لأن الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة ، وكانوا مجبرين^(١) في الأمور المتفقة والمختلفة ، لجاز أن يختاروا بأجمعهم التجارة والصناعة ، ولجاز أن يطلبوا بأجمعهم الملك والسياسة^(٢) . وفي هذا ذهابُ القيش ، وبطلان المصلحة ، والبوار والتواء^(٣) .

ولو لم يكونوا مسخرين بالأسباب ، مُرتَهَنِينَ بِاللَّيْلِ لرغبوا عن الحِجَامَةِ أجمعين ، والبيطرة ، والقِصَابَةِ ، والدِّبَاغَةِ . ولكن لكل صنفٍ من الناس مُزَيَّنٌ عندهم ما هم فيه ، ومُسَهَّلٌ ذلك عليهم . فالحائك إذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوءَ حِذْقٍ أو خرقاً^(٤) قال له : يا حِجَامُ ! والحِجَامُ إذا رأى تقصيراً من صاحبه قال له : يا حائك ! ولذلك لم يُجْمَعُوا على إسلام أبنائهم في غير الحياكة والحِجَامَةِ ، والبيطرة والقِصَابَةِ .

ولولا أن الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتفاق والائتلاف ، لما جعل واحداً قصيراً والآخر طويلاً ، وواحداً حسناً والآخر قبيحاً ، وواحداً غنياً والآخر فقيراً^(٥) ، وواحداً عاقلاً والآخر مجنوناً ، وواحداً ذكياً والآخر غيباً . ولكن خالف بينهم ليختبرهم ، وبالاختبار يُطيعون ، وبالطاعة يَسْعَوْنَ . ففرق بينهم ليجمعهم ، وأحب أن يجمعهم على

(١) ب فقط : « غيرين » تحريف .

(٢) ط : « لجاز أن يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة » بسقوط ما قبل « بأجمعهم » الثانية .

(٣) القشوى : مقصور : الهلاك ، كما في اللسان والقاموس . وفي ب : « التواء » .

وفي م : ط : « التواء » ، صواباً ما أثبت .

(٤) الحرق ، بالقسم ، وبالتصريك : ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل .

(٥) ب ، م : « والآخر فقيراً » .

الطاعة ليجمعهم على الكُتُوبِ . فسيحانه وتعالى ، ما أحسنَ ما أبلى وأولى ،
وأحكم ما صنع ، وأتقَنَ ما دبر ! لأنَّ الناس لو رغبوا كُلُّهم عن عار
الحياكة ^(١) لبقينا عُرَاةً . ولو رغبوا بآجمعهم عن كدِّ البناء لبقينا
بالقرء . ولو رغبوا عن الفِلاحة لذهبت الأقوات ، ولَبَطَلَ أصلُ المعاش .
فسخَّروهم على غير إكراه ، ورغَّبهم من غير دعاء .

ولولا اختلافُ طبائعِ الناس وعِلَلُهم لما اختاروا من الأشياء إلا
أحسنها ، ومن البلاد إلا أَعْلَنَها ، ومن الأمصار إلا أَوْسَطَها . ولو كانوا
كذلك لتناجَروا على طلب الأواسط ^(٢) ، وتشاجروا على البلاد العُلْيَا ،
ولمَّا وَسِعَهُمْ بلدٌ ، ولما تَمَّ بينهم صلح . فقد صار بهم التَّسخير إلى غاية
القناعة .

وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حَوَّلْتَ ساكني الآجام إلى الفياض ،
وساكني السَّهْلِ إلى الجبال ، وساكني الجبال إلى البحار ، وساكني
الوَبَرِ إلى المدَرِ ، لأَذَابَ قلوبهم الممَّ ، ولَأَتَى عليهم قَرطُ النزاع .
وقد قيل ^(٣) : « عَمَّرَ اللهُ البُلْدَانَ بِحُبِّ الأوطان » .

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ رحمه الله تعالى : « ليس الناس بشيء من
أقسامهم أَقْنَعَ منهم بأوطانهم » .

وقال معاويةُ في قومٍ من اليمن رَجَعُوا إلى بلادهم بعد أن أنزلهم من

(١) ب فقط : « لوغريوا » تحريف . وق ب ، م : « من عار الحياكة » ، صوابه
في ط .

(٢) في اللسان : « تناجز القوم : تماذكوا دماصم ، كأنهم أصرعوا في ذلك » . ب ، ط :
« طلب الواسط » ، وأثبت ما في م .

(٣) وكذا في الحيوان ٣ : ٢٢٧ . ونسب القول إلى عمر رضي الله عنه في رسالة الحنين
إلى الأوطان . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩

الشام منزلاً خصباً ، وفرض لهم في شرف العطاء^(١) : « يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم » .

وقال الله جلّ وعز : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾^(٢) . فقرن الضنّ بالأوطان إلى الضنّ بجميع النفوس^(٣) .

وليس على ظهرها إنسان إلّا وهو مُعجبٌ بعقله ، لا يسره أن له بجميع ما له ما لغيره ، ولولا ذلك لما توا كمدأ ، ولذا أبو حسداً ، ولكن كل إنسان وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء^(٤) .

ولولا اختلاف الأسباب لتنازعا بلدة واحدة ، واسماً واحداً ، وكنية واحدة . فقد صاروا كما ترى مع اختيار الأشياء المختلفة^(٥) إلى الأسماء القبيحة ، والألقاب السمجة^(٦) . والأسماء مبذولة ، والصناعات مُباحة ، والمتاجر مُطلقة ، ووجوه الطرق مُخلّاة^(٧) ، ولكنها مُطلقة في الظاهر ، مقسمة في الباطن ، وإن كانوا لا يشعرون بالذي دبر الحكيم من ذلك ، ولا بالمصلحة فيه .

فسبحان من حَبَّبَ إلى واحدٍ أن يسمي ابنه محمداً ، وحَبَّبَ إلى آخر أن يسميه شيطاناً^(٨) ، وحَبَّبَ إلى آخر أن يسميه عبد الله ، وحَبَّبَ

(١) ب ، م : « في شرف العطاء » ، ط : « في شون العطاء » . والوجه ما أثبت .

(٢) من الآية ٦٦ من سورة النساء .

(٣) ب ، م : « الثن » في الموضعين ، صوابه في ط .

(٤) كلمة « الأشياء » من ط فقط . وفي م : « مع اختيار مختلفة » . وصواب الكلام في ط .

(٥) السمع ، بالفتح ، وككف : القبيح . ب فقط : « السمجة » تحريف .

(٦) ب : « مُخلّاة » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « شيطان » .

إلى آخر أن يسميه حماراً^(١)، لأنَّ الناس لو لم يُخالف بين عللهم في اختيار الأسماء والكُنى، جاز^(٢) أن يجتمعوا على شيء واحد، وكان^(٣) في ذلك بطلان العَلَامَات، وفسادُ المعاملات .

وَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَلْوَانَهُمْ وَشِبَاهَتَهُمْ وَاخْتِلَافَ صُورِهِمْ، وَسَمِعْتَ لُغَاتِهِمْ وَنَعْمَهُمْ^(٤) عَلِمْتَ أَنَّ طِبَائِعَهُمْ وَعِلَلَّهُمُ الْمُحِبَّةَ الْبَاطِنَةَ، عَلَى حَسَبِ أُمُورِهِمُ الظَّاهِرَةِ .

وبعضُ الناس وإن كان مسخراً للحياكة^(٥) فليس بمسخرٍ للفسق والخيانة^(٦)، وللإحكام^(٧) والصدق والأمانة .

وقد يسخرُ الله الملك^(٨) لقومٍ بأسبابٍ قديمةٍ وأسبابٍ حديثةٍ ، فلا يزال ذلك الملكُ مقصوراً عليهم ، ما دامت تلك الأسبابُ قائمةً ، إذا كانوا للملكِ مسخرين^(٩)، وكان الناس لهم مسخرين ، بالجبرية^(١٠) والنسوة ، والقظاظِ والقسوة ، ولطُول الاحتجاب والاستتار ، وسوء اللقَاء والتضييع .

(١) ب فقط : « حمار » . ومن سمي به « مسخرين حمار البارق » ، ومن لقب بذلك « مروان الحمار » .

(٢) ط : « وجاز » بزيادة واو .

(٣) ط : « كان » بدون واو .

(٤) م : « ونعماتهم » .

(٥) ب : « وإن كانوا مسخراً للحياكة » ط : « وإن كانوا مسخرين للحياكة » . والوجه ما أثبت من م .

(٦) ب : « للتضييق والخيانة » .

(٧) ب ، ط : « والأحكام » .

(٨) ط : « يسخر الملك » ب ، م : « يسخر الملك » ووجه هذه الأخيرة ما أثبت .

(٩) ب : « فليس إذا كانوا » م ، ط : « فليس إذا كانوا » . والوجه حذف « فليس » .

وق ب ، م : « للمسخرين » .

(١٠) الجبرية : الكبرياء . وانظر لغاتها الثلاث عشرة في القاموس . وق ب ، م : « الجبرية » .

وقد يكون الإنسان مسخراً لأمرٍ ، ومخيراً في آخر .

ولولا الأمر والنهي لجاز التسخير في دقيق الأمور وجليها ، وخفيها وظهرها ؛ لأنَّ بنى الإنسان ^(١) إنما سُخِّرُوا له لإرادة العائدة عليهم ^(٢) ، ولم يسُخِّرُوا للمعصية ، كما لم يسُخِّرُوا للمفسدة .

وقد تستوى الأسباب في مواضع ، وتتفاوت في مواضع ^(٣) . كلُّ ذلك ليجمع الله تعالى لم مصالح الدُّنيا ، ومرائد الدِّين .

ألا ترى أنَّ أُمَّةً قد اجتمعت على أنَّ عيسى عليه السلام هو الله ، وأُمَّةً قد اجتمعت على أنَّه ابن الله ، وأُمَّةً اجتمعت على أنَّ الآلة ثلاثة ، عيسى أحدها . ومنهم يتبدَّد ^(٤) ، ومنهم من يتدهَّر ^(٥) ، ومنهم من يتحوَّل نِسْطورياً بعد أن كان يَعْقوبياً ، ومنهم من أسلم بعد أن كان نَصْرانياً . ولستَ واحداً ^(٦) هذه الأُمَّة مع اختلاف مذاهبها ، وكثرة تنقلها ، انتقلت مرَّةً واختلفت مرَّةً ، متمردة أو ناسيةً ، في يومٍ واحد ، فجعلته - وهو الجمعة - يومَ السبت ، ولم تَخْطُبْ في يومِ جُمُعَةٍ بخطبةٍ يومِ خميس ، ولا غِلِطَتْ في كانونِ الأوَّلِ فجعلته كانونَ الآخر ، ولا بين الصَّوم والإفطار ؛ لأنَّ الباب الأوَّل في باب الإمكان

(١) ب ، م : « لأن الإنسان » ، تحريف .

(٢) م : « العائدة عليهم » .

(٣) ب : « وقد يستوى » و « يتفاوت » ، صوابهما في م ، ط .

(٤) يريد : يبعد . البَدء بالضم ، وهو الصَّوم . ب : « يتبدَّد » م : « يتبدَّر » ط : « يتبدَّب » . وأرى أن الجاحظ قد اشتق هذا الفعل من « البَدء » ، كما اشتق الفعل التالي من الدهر ، وكلاهما لم تذكره المراجع .

(٥) يتدهَّر : أراد يدين بمذهب الدهرية ، بنسب الدال نسبة غير قياسية إلى الدهر بالفتح . وانظر آرامم المتفرقة في الحيوان ١ : ١٧/٢ : ٤/١٣٩ : ٨٥ : ٥/٤٣٢ : ٤٠ ، ١/٢٢٧ : ٢٦٩ ، ٢٧٠ بالإضافة إلى مادة (الدهرية) في دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ٣٢٧/٣٤٠ .

(٦) م فقط : « واجدة » تحريف .

وتعديل الأسباب والامتحان ، والباب الثاني داخل في باب الامتناع
وتسخير النفوس وطرح الامتحان .

وقد زعم ناس من الجهال ، ونفر من الشكك ، ممن يزعم أن الشك واجب في كل شيء ، إلا في العيان ، أن أهل المنصورة^(١) واقفاً مصلّاهم يوم خميس على أنه يوم الجمعة ، في زمن منصور بن جُمهور^(٢) . وأن أهل البحرين جلسوا عن مصلّاهم^(٣) يوم الجمعة على أنه يوم خميس ، في زمن أبي جعفر ، فبعث إليهم وقومهم .

وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الأمصار ، ولا في العدد الكثير من أهل القرى ، لأنّ الناس من بين صانع لا يأخذ أجره ولا راحة له دون الجمعة ، وبين تجار قد اعتادوا الدعة في الجمع^(٤) ، والجلوس عن الأسواق . ومن معلّم كتاب لا يصرف غلمانَه إلا في الجمع . وبين معنى بالجمع يتلاقى هناك مع المعارف^(٥) والإخوان والجلساء . وبين معنى بالجمع حرصاً على الصلاة ، ورغبة في الثواب . ومن رجل عليه موعد ينتظره . ومن صيّرف^(٦) يصرف ذلك اليوم سفاتجَه^(٧) وكتب

(١) المنصورة هذه كانت قصبة السد ، واسمها القديم « هناد » قال المصوي : سميت المنصور بمنصور بن جهور عامل بني آية . وقال هشام : بناها فسميت به ، وكان قد خرج مخالفاً لهارون وأقام بالسد . وانظر معجم البلدان .

(٢) ب : « منصور بن جهور » ، وفي ط : « مصوي » فقط . ولمنصور هذا أخبار في تاريخ الطبري انتهت بهزيمته وموته عطشاً حين رجه إليه أبو العباس السفاح جيشاً إلى الهند بقيادة موسى بن كعب . وذلك في سنة ١٣٤ . وكان أول ظهور أمره سنة ١٢٥ .

(٣) أي لم يذهبوا إلى المسجد يوم الجمعة . ب فقط : « حل مصلّاهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « المداحة في الجمع » ، صوابه في ط . وما بعده إلى « الجمع » التالية ساقط من م .

(٥) ب ، م : « تلقى هناك من المعارف » .

(٦) جمع مفتحة ، يضم السين وفتح التاء ، وهي كما في المصباح : كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قرضاً لآخر فيأمن بذلك على ماله من خطر الطريق . وفي القاموس : أن يسلي مالا لآخر ، وللآخر مال في بلد المولى فيؤويه إياه ثم ، فيستفيد أمن الطريق . المولى بضبط =

أصحابه . ومن جندى فهو ^(١) يعرف بذلك نَوَيْتَهُ ^(٢) . وبعض كالسؤال
والمساكين والقصاص ، الذين يعلون أعناقهم للجمعة انتظاراً للصلاة
والفائلة ، في أمور كثيرة ، وأسباب مشهورة .

ولو جاز ذلك في أهل البحرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل
البصرة والكوفة ، ولو جاز ذلك في الأيام لكان في الشهور أجوز ، ولو
جاز ذلك في الشهور لكان في السنين أجوز . وفي ذلك فساد الحج ،
والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والأعياد .

ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يتفق الشعراء على قصيدة واحدة ،
والخطبة على خطبة واحدة ، والكتاب على رسالة واحدة ، بل جميع
الناس على لفظة واحدة .

وإنما نزلت لك حالات الناس ، وخبرتك عن طبائعهم ، وفسرت
لك عليهم لتعلم أن العدد الكثير لا يتفقون على تحرص الخبر الواحد
في المعنى الواحد في الزمن الواحد ^(٣) ، على غير التشاعر ^(٤) ، فيكون
باطلاً . وسأوجدك موضع اختلافهم واتفاقهم ^(٥) ، وأنه لم يخالف
بينهم في بعض الوجوه إلا إرهاساً لمصلحتهم ^(٦) ، ولتصح أخبارهم .

« اسم الفاعل . وم ، أى هناك . واللفظ فارسي معرب ، وقد فسرت حديثاً بأنها حوالة صادرة من دائن
يكلف فيها مديته دفع مبلغ معين في تاريخ معين لإذن شخص ثالث ، أو لإذن الدائن نفسه ،
أو لإذن صاحب الحوالة .

(١) هذه التكلفة م ، ط . لكن في م : « يعرف » موضع « يصرف » . مع سقوط كلمة
« اليوم » وكلمة « أصحابه » .

(٢) ب ، م : « ذلك بنوئته » .

(٣) التخرص ، سبق تفسيره في ٢٤١ .

(٤) التشاعر : تعادل من قولهم شعر بكلاً : أحس به . وانظر المائة ص ٣ .

(٥) يقال أوجده الشيء : جعله يحده ويظفر به ، كما في اللسان والقاموس . وفي ط :
« وسأبين لك » .

(٦) الإرهاس : الإرساد ، والإثبات ، والتأسيس .

أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَبِعْ قَطُّ سِلْعَةً بِدَرَاهِمٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ الدَّرَاهِمَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سِلْعَتِهِ . وَلَمْ يَشْتَرِ ^(١) أَحَدٌ قَطُّ سِلْعَةً بِدَرَاهِمٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّ تِلْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ دَرَاهِمِهِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ السِّلْعَةِ يَرَى فِي سِلْعَتِهِ مَا يَرَى فِيهَا صَاحِبُ الدَّرَاهِمِ ، وَكَانَ صَاحِبُ الدَّرَاهِمِ يَرَى فِي الدَّرَاهِمِ مَا يَرَى فِيهِ ^(٢) صَاحِبُ السِّلْعَةِ مَا اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا شِرَاءٌ أَبَدًا ، وَلَا بَيْعٌ أَبَدًا . وَفِي هَذَا جَمِيعُ الْمَقْصِدَةِ ، وَغَايَةُ الْمُلْكَةِ .

فَسَبْحَانَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْنَا مَا فِي أَيْدِي غَيْرِنَا ، وَحَبَّبَ إِلَيْنَا غَيْرِنَا مَا فِي أَيْدِينَا ، لِيَقَعَ التَّبَايُعُ . وَإِذَا وَقَعَ التَّبَايُعُ وَقَعَ التَّرَائُعُ ، وَإِذَا وَقَعَ التَّرَائُعُ وَقَعَ التَّعَايُشُ .

وَيَدُلُّكَ أَيْضًا عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعَتِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ : أَنَّكَ تَجِدُ الْجَمَاعَةَ وَبَيْنَ أَيْلِهِمْ الْفَاكِهَةَ وَالرُّطْبَ ، فَلَا تَجِدُ يَدَيْنِ تَلْتَقِيَانِ ^(٣) عَلَى رُطْبَةٍ بَعَيْنِهَا ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمِيعِ يَرَى مَا حَوَاهُ الطُّبْقُ ، غَيْرَ أَنَّ شَهْوَتَهُ وَقَعَتْ عَلَى وَاحِدَةٍ غَيْرِ الَّتِي آتَرَهَا صَاحِبُهُ ^(٤) . وَلَرُبَّمَا سَبَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْوَاحِدَةِ ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُهُ يَرِيدُهَا فِي نَفْسِهِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْفَرْطِ ، وَلَوْ كَانَتْ ^(٥) شَهْوَاتُهُمْ وَدَوَائِعُهُمْ تَتَّفَقُ عَلَى وَاحِدَةٍ بَعَيْنِهَا لَكَانَ فِي ذَلِكَ التَّمَانُعُ وَالتَّجَاذِبُ ^(٦) ، وَالْمُبَادَرَةُ وَسُوءُ الْمَخَالَطَةِ وَالْمُؤَاكَلَةِ . وَكَذَلِكَ هُوَ فِي شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْإِمَاءِ ، وَالْمَرَائِبِ وَالْكُتَى . وَهَذَا كَثِيرٌ عَوَالِمُهُ بِهِ قَلِيلٌ . وَيَأْتِلُ مِمَّا قُلْنَا ^(٧) يَعْرِفُ الْعَاقِلُ صَوَابَ مَذْهَبِنَا . وَاللَّهُ تَعَالَى نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ .

(١) ب : « وَلَمْ يَشْر » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٢) فِيهِ ، سَائِلَةٌ مِنْ ب . وَفِي م : « فِيهَا » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) ب فَقَطْ : « فَلَا تَجِدُ » وَالنُّونُ . وَفِي ب ، م : « يَلْتَقِيَانِ » ، وَالْيَدِ أَيْ .

(٤) ب ، م : « صَاحِبُهَا » .

(٥) ب فَقَطْ : « كَانَ » .

(٦) م فَقَطْ : « التَّجَاذِبُ » .

(٧) ب : « وَيَأْتِلُ مَا قُلْنَا » .

وهو الذى ^(١) خالف بين طبائعهم وأسبابهم ، حتى لا يتفق على
تخص خبر واحد ^(٢) ، لأن في اتفاق طبائعهم وأسبابهم في جهة الإخبار
فساد أمورهم ، وقلة فوائدهم واعتبارهم ، وفي فساد أخبارهم فساد
مناجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم ، ويُطلان المعرفة بآبائهم
ورسلهم عليهم السلام ، ووعدهم ووعدهم ، وأثرهم ونبيهم وزجرهم ،
ورغبتهم ، وحلودهم ، وقصاصهم الذى هو حياتهم ، والذى يعدل
طبائعهم ، ويسوى أخلاقهم ، ويقوى أسبابهم ^(٣) ، والذى به يمانعون
من توابل السباع ^(٤) ، وقلة احتراس البهائم ، وإضاعة الأعمار . وبه
تكثر خواطرم وتفكيرهم ، وتحسن معرفتهم ^(٥) .

ولم نقل إن العدد الكثير ^(٦) لا يجتمعون على الخبر الباطل ،
كالتكذيب والتضليق ، ونحن قد نجد اليهود والنصارى ، والمجوس
والزنادقة ، واللّهرية وعُباد البِدعة ^(٧) يكلّبون النّبي صلى الله عليه
وسلم ، وينكرون آياته وأعلامه ، ويقولون : لم يأت بشيء ، ولا بأن
بشيء . وإنما قلنا : إن العدد الكثير ^(٨) لا يتفقون على مثل إخبارهم
أنّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، التّهاى الأبطحى عليه السلام
خرج بمكة ، ودعا إلى كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وأباح كذا ،

(١) ب ، م : « والذى » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٤١ و ٢٤٨

(٣) ب ، م : « ويقوم أسبابهم » .

(٤) ب ، م : « توابل » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، ط : « ويحسن معرفتهم » .

(٦) ب ، م : « ولم يقل إن العدد كثير » ، تحريف ما في ط .

(٧) البِدعة : جمع بد ، بالصم ، وهو اللّحم ، عرب يت ، ويجمع أيضاً على أبعاد .

وفي ب ، م : « البِدعة » ، وفي ط : « المبدعة » ، صوابها ما أثبت .

(٨) ب ، م : « كثير » ، صوابه في ط .

وجاء بهذا الكتاب الذى نقرؤه ، فوجب العمل بما فيه ، وأنه تحدى
البلغاء ^(١) والخطباء والشُعراء ، بنظمه وتأليفه ، فى المواضع الكثيرة ،
والمحافل العظيمة . فلم يَرَمْ ذلك أحدٌ ولا تكلفه ، ولا أتى ببعضه
ولا شبيه منه ، ولا ادعى أنه قد فعل ، فيكون ذلك الخبر باطلاً .

وليس قولُ جَمْعِهِمْ إنه كان كاذباً ^(٢) معارضةً لهذا الخبر ، إلا أن
يُسَمَّوا الإنكار معارضة . وإنما المعارضة مثلُ الموازنة والمُكايَلة ، فمضى
قابلونا بأخبار فى وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها ، فقد عارضونا
ووازنونا وقابلونا ، وقد تكافينا ^(٣) وتدافعنا . فأمَّا الإنكار فليس بحجة ،
كما أنَّ الإقرار ليس بحجة ، ولا نصليقنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم
حُجةً على غيرنا ، ولا تكذيبُ غيرنا له حجةٌ علينا ، وإنما الحجةُ فى
المحجَّة الذى لا يمكن فى الباطل مثله .

فإن قلتَ : وأى محجَّة أثبتَ خبر النصارى عن عيسى بن مريمَ
عليه السلام ؟ وذلك أنك لو سألتَ النصارى مجتمعين ومتفرقين
لخبروك عن أسلافهم أنَّ عيسى قد قال : إني إله .

قلنا : قد علمنا أنَّ نصارى عصرنا لم يكنوا على القرن الذى كان
قَبْلَهُمْ ، والذين كانوا يَكُونُهم . ولكنَّ الدليل على أنَّ أصلَ خبرهم ليس
كفره ، أنَّ عيسى عليه السلام لو قال : إني إله - لما أعطاه الله تعالى
إحياء الموتى ، والمشي على الماء . على أنَّ فى عيسى عليه السلام ^(٤) دلالةٌ
فى نفسه ، أنه ليس بإله ، وأنه عبدٌ ملبَّسٌ ، ومقهورٌ ميسرٌ ، وليس

(١) ب : « نجه » م : « تحد » صوابهما فى ط .

(٢) ب : « أنه كنا كان كاذباً » م : « أنه كان كاذبة » ، صوابهما فى ط .

(٣) ب : « تكافانا » بالهمز .

(٤) ب فقط : « على أن عيسى عليه السلام » .

خيرهم هذا إلا كإخبار النصارى عن آباءهم والقرن الذى يليهم أن بولس^(١) قد كان^(٢) جاء بالآيات والعلامات. وإخبار المَنَانِيَّة^(٣) عن القرن الذى كان يليهم منه^(٤) أن ماني قد كان جاءهم بالآيات والعلامات. وإخبار المجوس عن آباءهم الذين كانوا يلونهم أن زَرَادُشت قد جاءهم بالآيات والعلامات. وقد علمنا أن هؤلاء النصارى لم يكتبوا على القرن الذى كان يليهم ، ولا الزنادقة ولا المجوس . ولكن الدليل على أن أصل خيرهم ليس كفره^(٥) أن^(٦) الله جلّ وعز لا يعطى العلامات من لا يعرفه ، لأن بولس إن كان عنده أن عيسى عليه السلام إله فهو لا يعرف الله تعالى ، بل لا يعرف الربوبية من العبودية ، والبشرية من الإلهية .

٢٩ - فصل منه

وللنصارى خاصّة رياء عجيب^(٧) ، وظاهر زُهد ، والناس أبطأ شئ عن التصفّح ، وأسرع شئ إلى تقليد صاحب السنّ والسّمّت ، وظاهر العمل أدعى لهم من العلم .

(١) بولس : أحد الحواريين ، وقد قام نيرون ملك الروم بقتله هو وبطرس بمدينة رومية وصلبهما منكرين ، وذلك بعد وفاة المسيح باثنتين وعشرين سنة ، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة من ملكه . ابن الأثير ١ : ٣٢٥ والفتيه والإشراف ١٠٩ - ١١٠ . وق م فقط : « يونس » تحريف .

(٢) كان ، ساقطة من ب ، م .

(٣) المَنَانِيَّة ، والمَنايَّة : أتباع ماني المظنّ الذى زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية . وانظر ما كتبت من تحقيق فى حواشى الحيوان ٤ : ١ . وق ط : « المانوية » .

(٤) أى من زمن ماني . وق ب ، م : « منهم » .

(٥) أن ، ساقطة من ب ، ط .

(٦) ط فقط : « لأن » .

(٧) م : « رقاء » ، وهى لغة قرآنية .

٣٠ - فصل منه على ذكرهم

وكل قوم بنوا دينهم على حب الأشكال^(١)، وشبه الرجال^(٢)، يشتد وجلهم به^(٣) وجبهم له، حتى ينقلب^(٤) الحب عشقاً، والوجد صباةً، للمشكلة التي بين الطبايع، والمناسبة التي بين النفوس.

وعلى قدر ذلك يكون البغض والحد، لأن النصارى حين جعلوا ربهم إنساناً مثلهم بحت نفوسهم بالهوية له^(٥) لتوهمهم الربوبية، وأسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية، فلذلك قدروا من العبادة على ما لم يقدر عليه من سواهم^(٦). وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد من بنى التشبيه، حتى ربما رأيت يتنفس من الشوق إليه، ويشفق^(٧) عند ذكر الزيارة، ويبكى عند ذكر الرؤية، ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب. وما ظنك بشوق من طمع في مجالسة ربه عز وجل، ومحادثة خالقه عز ذكره.

ولقد غالت القوم غول، ودعاهم أمر، فانظروا ما هو؟ وإن^(٨) سألتني عنه خبرتك: إنما هو نتيجة أحد أمرين: إما تقليد الرجال، وإما طلب تعظيمهم. ولذلك السبب لم ترض اليهود من إنكار حقّه بتكذيبه، حتى طلبت قتله وصلبه، والمثلة به، ثم لم ترض بذلك حتى رجمت

(١) ط: «بنوا على حب الأشكال».

(٢) ب، م: «وشبه الرجال» ط: «وشبه الرجال»، ولعل وجهه ما أثبت.

(٣) ب: «أشد وجهم به» م: «أشد وجهم به»، وأثبت ما في ط.

(٤) ب: «تقرب» م: «يقرب»، صوابهما في ط.

(٥) بحث: غضمت وأقوت. وفي ب: «نجمت» تحريف. م، ط: «بالهوية له» والإلية: الربوبية. وأثبت ما في ب.

(٦) ب، م: «من العبادة ما لم يقدر عليه سواهم».

(٧) ب، م: «ويشبه».

(٨) ب: «وإذا».

أنه لغير رِشلة ، فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ، ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها . وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صباية وتحرقاً ، وأفرطاً غضباً ، وأدوم حقدًا . وأحسن تواصلًا من غيرهم أيضاً .

وربّ خير قد كان فاشياً^(١) فدخل عليه من الليل ما منعه من الشهرة ، وربّ خير ضعيف الأصل ، واهن المخرج ، قد تيّأ له من الأسباب ما يوجب الشهرة .

٣١ - فصل منه

واعلم أنّ لأكثر الشعر طعناً^(٢) وحظوظاً ، كالبيت يحظى ويسير ، حتى يحظى صاحبه بحظه ، وغيره من الشعر أجود منه . وكالمثل يحظى ويسير ، وغيره من الأمثال أجود . وما ضاع من كلام الناس وصل أكثر مما حفظ وحكى . واعتبر ذلك من نفسك ، وصديقك وجليسك . وأمر الأسباب عجيب . ومن ذلك قتل عليّ بن أبي طالب^(٣) من السادة والقادة والحماة ، ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته ، فأضرب الناس عن ذكرهم ، وجعلت العوام مواضعهم ، وأخذوا في ذكر عمرو بن عبدود^(٤) فرفعوه فوق كل فارس مشهور ، وقائد مذكور .

(١) ناسياً : ذاكماً متشراً . ب ، م : « ناسياً » صوابه في ط .

(٢) في الأصول : « طعناً » بلهجة ، صوابه ما أثبت . والظن : الارتحال والسير .

(٣) ب ، م : « وليس كل ذلك يرفع قبل حلّ بن أبي طالب » ، تحريف .

(٤) عمرو بن عبدود : أحد أشراف قريش . وقد ظهر أمره في غزوة بدر الكبرى قاتل فيها فأثبته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، ودعا إلى المبارزة ، فنزله حلّ بن أبي طالب وجاوله حتى قتله . وانظر البصرة ٤٣٦ ، ٦٧٧ ، ٦٩٩ . وق ب ، م : « وأخذوا في ذلك » . وود : صنم يقال يفتح الواد وفسدها ، وفتحها أكثر في اللغة وفي القراءات .

وقد قرأتُ على العلماء كتاب الفجار^(١) الأوّل ، والثاني ، والثالث .
وأمر المطيبين^(٢) والأحلاف^(٣) ، ومَقْتَل أبي أَرْبَر^(٤) ، ومجىء القليل ، وكلُّ
يومٍ جُمع كان لقريش ، فما سمعتُ لعمرٍو هذا في شيء من ذلك ذكرًا .

فإن قلت : إن نُبِلَ القاتل زيادة في نُبُلِ المقتول ، فكلُّ من قتله على
ابن أبي طالب رضوان الله عليه أنبَلُ منه وأحقُّ بالشهرة ، ولكن أشعار
ابنِ ذُأْبٍ^(٥) ، ومناقلة الصُّبيان في الكتاب هما اللتان أورثناه^(٦)
ما تَرَى وتسمع .

(١) أيام الفجار معروفة في أيام العرب أيام الجاهلية . وصحبت فجاراً لأنها كانت في الأشهر
الحرم ، وكانت قبل ميث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بست وعشرين سنة . وقال النبي صل
الله عليه وسلم : « كنت أنبل على أعمام يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » أنبل : أناولم
النبل ، أي السهام . وانظر المقدمه ٢٥١ : ٢٥٧ - ب ، م : « الفجار » ، صوابه في ط .
(٢) المطيبون : هم أسد ، وزهرة ، وحميم ، عقدت معهم بنو عبد مناف حلفاً مؤكداً على
الابتعاد ، وأن يكونوا يوماً واحدة على أخذ ماني يبي عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء
والساقية ، فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد ، ثم غس القوم
أيديهم فيها جميعاً وتعاقدوا ، ثم مسحوا الكمية بأيديهم توكيداً ، فسموا المطيبين . وكان أبو بكر
من المطيبين .

(٣) الأحلاف ، هم خمس قبائل من قريش : عبد الدار ، وجريح ، وسهم ، وغزوم ، وعلى
ابن كعب . تعاقدت معهم بنو عبد الدار حلفاً مؤكداً ألا يتخذوا ، فسموا الأحلاف . وكان عمر
ابن الخطاب من الأحلاف . انظر اللسان (حلف) ، وكذلك الخبير لابن حبيب ١٦٦ - ١٦٧ .

(٤) في ب ، ط : « ومقتل أبي أَرْبَر » وفي م : « ومقبل بن أبي أَرْبَر » ، صوابهما
ما أثبت . وانظر خبر مقبل أبي أَرْبَر التومى في كتاب أسماء المختلئين من نوادر المخطوطات
٢ : ١٤٩ . والذي نقله هوشام بن الوليد بن الميرة .

(٥) اسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن ذأْب ، كان خطيباً شاعراً ناسباً ، وكان يضع الحديث
والشعر كأحاديث السمر . وكان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند ، وفيهما
يقول خلف الآخر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن ذاب

وكان كبير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب خطوة عند الهادي . روى عنه شيابة بن سوار ،
ومحمد بن سلام الجهمي . تاريخ بغداد ٨٤٥ ولسان الميزان ٤ : ٤٠٨ . ط : « ابن ود » ،
تحريف .

(٦) ب : « وروثنا » م : « وأورثنا » ، وأثبت ماني ط .

٣٢ - فصل منه في أمر الأخبار

وإنما ذكرت هذا لتعلم أَنَّ الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثم يعود قوياً ، ويكون أصله قوياً فيعود ضعيفاً ، للذي يعتريه من الأسباب ، ويَحُلُّ به من الأعراض ، من لَدُن مَخْرَجِهِ وَقُصُولِهِ ، إلى أن يبلغ مدته ^(١) ، ومنتهى أجله ، وغاية التدبير فيه ، والمصلحة عليه .

فلما كان هذا مخوفاً ، وكان غير مأمونٍ على المتقادم منه وَضَعَ الله تعالى لنا على رأس كلِّ فترة علامة ، وعلى غاية كلِّ مدَّة أمانة ، لِيُعِيدَ قوَّةَ الخبر ، ويجدد ما قد همَّ بالثُّرُوس ، بالأنبياء والمرسلين ^(٢) عليهم السلام أجمعين . لأنَّ نوحاً عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليهما السلام ، حتَّى منَعَهَا الخلل ، وحماها النقصان بالشواهد الصادقة ، والأمارات القائمة . وليس أنَّ أخبارهم وحججهم قد كانت دَرَسَتْ واختَلَّت ، بل حين هَمَّت بذلك ^(٣) وكادت . بعثَ الله عزَّ وجلَّ بآياته لثلاث تَخْلُو الأرض من حُجَجِهِ ، ولذلك سموا آخر الدهر الفترة . وبين الفترة والقِطْعَة فرق . فاعرف ذلك .

ثم بعث الله جلَّ وعزَّ إبراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التي كانت بينه وبين دهر نوح ، وإنما جعلها ^(٤) الله تعالى أطولَ فترةٍ كانت في الأرض ، لأنَّ نوحاً كان لبث في قومه يحضج ويُخِير ، ويؤكد ويبين ، ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ، ولأنَّ آخر آياته كانت أعظم الآيات ، وهي الطوفان ، الذي أغرق الله تعالى به ^(٥) جميع أهل الأرض

(١) ب : « يبلغ مدته » .

(٢) ط : « من أنبياء المرسلين » .

(٣) كلمة « بل » من ط فقط .

(٤) ب ، م : « جعله » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « التي غرق الله تعالى » فقط ، صوابه في ط .

غيره وغير شيعته ، وإنما أثار الماء ^(١) من جوف تنور ، ليكون أعجب للآية ^(٢) ، وأشهر للقصّة ، وأثبت للحجّة .

ثم ما زالت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، بعضهم على إثر بعض في الدهر الذي بين إبراهيم ، وبين عيسى عليهما السلام . فترادف حُجَجهم ، وتظاهر أعلامهم ، وكثرة أخبارهم ، واستفاضة أمورهم ، ولشدة ما تأكّد ذلك في القلوب ، ورسخ في النفوس ، وظهر على الألسنة ، لم يدخلها الخطل والنقص ^(٣) والفساد ، في الدهر الذي كان بين النبي عليه السلام وبين عيسى عليه السلام .

فحين همّت بالضعف ، وكادت تنقص عن التمام ^(٤) ، وانتهت قوّتها ، بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجلّد أفاضلهم آدم ونوح ، وموسى وهارون ، وعيسى ويحيى ، عليهم السلام ، وأموراً بين ذلك ، وهو الصادق ، بالشواهد الصادقة ، وأنّ الساعة آتية ^(٥) ، وأنه ختم الرسل عليهم السلام به ، فعلّمنا عند ذلك أنّ حجّته ستم إلى ملّتها ، وبلوغ أمر الله عز وجل فيها .

٣٣ - فصل

ثم رجع الكلام إلى القول في الأخبار ، فأقول :

إنّ الناس موكّلون بحكاية كلّ عجيب ، وميسرون للإخبار عن

(١) يقال فار الشيء : جاش ، وأفرته وفرته أيضاً بالصيغة فهما . وأشد ابن الأعرابي :

وكانوا قوموا حولاً يرقبونها وكانت فتاة الحى من يفسرهما

وروى : « يفورها » وروى : « يثيرها » . ط : فقط : « فار الماء » .

(٢) ب : « وليكون » بزيادة واو .

(٣) ب : « لم يدخلها النقص » فقط . م : « لم يدخلها الخلل والنقص » ، وأثبت ما في ط .

(٤) ب : « وكانت تنقص عن التمام » ، سوايه في م ، ط .

(٥) ب ، م : « أن الساعة آتية » .

كلّ عظيم ، وليسوا^(١) للحسن أحكى منهم للقيبح ، ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر ، وعلى قدر كبر الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم^(٢) .

ألا ترى أنّ رجلاً من الخلفاء لو ضرب عنق رجلٍ من العظماء لما أمسى وفي عسكره وبئنته جاهلٌ ولا عالمٌ إلا وقد استقرّ ذلك عنده وثبت في قلبه^(٣) ، لأنّ الناس بين حاسدٍ فهو يحكى ذلك الذى دخل عليه من الثكل وقلة العدد ، وبين واجدٍ^(٤) يعجب الناس ، وبين واعظٍ معتبر ، وبين قومٍ شأنهم الأراجيف بالفاقد والصالح . ولو كان ضرب عنقه في يوم عيد ، أو حلبة^(٥) ، أو استمطار ، أو موسم ، لكان أشدّ لاستفاضة ، وأسرع لظهوره .

ولو جاز أن يكتم الناس هذا وشبهه على الإيثار للكنان ، وعلى جهة النسيان ، لكننا لا ندرى : لعلّه قد كان في زمن صفيّين والجمال والنهروان حربٌ مثلها أو أشد منها ، ولكن الناس آثروا الكنان ، واتفقوا على النسيان .

فإذا كان قتلُ الملكِ الرجلِ من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ، ومن قلوب الحكماء والتوّغاه ، فما ظنك بمن لو أبصروا رجلاً قد أحياه بعد أن ضرب عنقه ، وأبان رأسه من جسده ، أليس كان يكون تعجبهم^(٦) من إحيائه أشدّ من تعجبهم من قتله ، وكان يكون إخبارهم من خطفوا في منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل ليكون سبباً للإخبار عن الإحياء ، إذ كان الأول صغيراً في جنب الثاني .

(١) ب : م : « وليس هم » .

(٢) ب : « يكون » بالياء . وكلمة « له » من ط فقط .

(٣) ب : م : « ذلك عنده وقلبه » تحريف .

(٤) ب : م : « واحد » ، صوابه في ط .

(٥) يوم الحلبة : يوم سبق الخيل . ب : م : « غلبة » ، صوابه في ط .

(٦) ط فقط : « أليس يكون يكون تعجبهم » .

فهذا يدلُّ على أنَّ أعلامَ الرُّسل عليهم السلام وآياتهم أحقُّ بالظهور والشهرة ، والقهر للقلوب والأسماع ، من مخارجهم وشرائعهم . بل قد نعلم أنَّ موسى عليه السلام لم يُذكر ولم يُشهر إلَّا لأعاجيبه وآياته . وكذلك عيسى عليه السلام ، ولولا ذلك لما كانا إلَّا كغيرهما ممن لا يُشعر بموته ولا مولده .

وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة بأعلامهما^(١) وأعاجيبهما ، وأنت لم تسمع بذكرهما قط ، دون ما ذكر من أعلامهما .

فإذا كان شأنُ النَّاسِ الإخبارَ عن كلِّ عَجِيبٍ ، وحكاية كلِّ عَظِيمٍ ، والإطرافَ بكلِّ طريفٍ ، وإيرادَ كلِّ غريبٍ من أمورِ دنيائهم ، فما لا يمتنع^(٢) في طبائعهم ، ولا يخرُج من قوى الخليفة في البطش والحيلة ، أحقُّ بالإخبار والإذاعة ، وبالإظهار والإفاضة ، هذا على أن يُترك الطُّبَاعُ وما يُولَدُ عليه^(٣) ، والنُّفُوسُ وما تُنتج^(٤) ، والعللُ وما يسخرُ . فكيف إنَّ كان الله عز وجل قد خَصَّ أعلامَ أنبيائه وآياتِ رسله عليهم السلام من تبيين النَّاسِ على الإخبار عنها^(٥) ، ومن تسخير الأسماع لحفظها ، بخاصَّةٍ لم يجعلها لغيرها^(٦) .

٣٤ - فصل منه

فإن قال قائل : إنَّ الحجةَ لا تكون حجةً حتى تعجز الخليفة^(٧) ،

(١) ب ، م : « وكيف يقدِّم » وبهذا ف ب قطط : « المرقعة » . ونسبة الكلام من م ، ط .

(٢) ب ، م : « ولا ما يمتنع » ، صوابه ف ط .

(٣) الطُّبَاعُ : الطبع ، ويكون أيضاً جمعاً للطبع ، كما قال الأزهري . وفي ط : « وما تولد عليه » ، ظهاً وجهها .

(٤) ب ، م : « وما ينتج » .

(٥) ب ، م : « عن الإخبار عنها » ، صوابه ف ط .

(٦) ب ، م : « خاصة لم يجعلها لغيرها » .

(٧) ب ، م : « حتى يعجز الخليفة » .

وتخرج^(١) من حدّ الطاقة ، كإحياء الموتى ، والمشي على الماء ، وكخلق البحر ، وكإطعام الشّمار في غير أوان الثّمار ، وكإنطاق السّباع ، وإشباع الكثير من القليل ، وكلّ ما كان جسيماً مُخترعاً ، وجراماً مُبتدعاً . وكالذى لا يجوز أن يتولّاه إلّا الخالق ، ولا يقدر عليه إلّا الله عزّ ذكره .

فإنّما الأخبار التى هى أفعالُ العباد ، وهم تولّوها ، وهم كانت ويقولهم حدثتْ ، فلا يجوز أن يكون حجةً ، إذ كان^(٢) لا حجةً إلّا مالا يقدر عليه الخليقة ، وما لا يتوهم من جميع البرية .

قلنا : إنّنا لم نَزعمْ أنّ الأخبار حجةٌ فيحتجّون علينا بها ، وإنّما زعمنا أنّ مجيئها حجةٌ ، والمجىء ليس هو أمرٌ يتكلّفه الناس ويختارونه على غيره ، ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتبيّثوا له ، وفعلوه فى الباطل^(٣) كما يحىء لهم فى الحقّ . والمجىء أيضاً ليس هو فعلاً قائماً فيستطيعونه أو يعجزوا عنه^(٤) ، وإنّما هو الإنسان ، يعلم أنّه إذا لقي البصريين فأخبروه أنّهم قد عابنوا بمكة شيئاً ، ثم لقي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك ، أنّهم قد صدّقوا^(٥) . إذ كان^(٦) مثلهم لا يتواطأ^(٧) على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب ، وعلى اختلاف طبائعهم وهمهم وأسبابهم .

فليس بين هذا وبين إحياء الموتى والمشي على الماء فرق ، إذ كان الناس لا يقدرّون عليه ، ولا يطمعون فيه ، والمجىء إنّما هو معنى

(١) ب م : « ويخرج » .

(٢) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٣) هذا ما فى ط . وفى م : « وتبيّثوا لفعله فى الباطل » ، وفى ب : « وتبيّثوا لفعلوه فى الباطل » .

(٤) ب م : « فيستطيعونه أو يعجزون له عنه » .

(٥) ب م : « فأخبروه بمثل ذلك قد صدّقوا » . وكنته الكلام من م ، ط .

(٦) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٧) ب م : « يتواطأ » ، تحريف .

معقول ، وشيء موهوم . إذ كان ^(١) كيف يكون ومعلوم أن الناس لا يمكنهم أن يقتلوا ، ولا يستطيعون فعله . وإنما مدار أمر الحجة على عجز الخليفة . فمتى وجدت أمراً ووجدت الخليفة عاجزاً عنه ^(٢) فهي حجة . ثم لا عليك جوهرأ كان أو عرضاً ، أو موجوداً أو متوهماً معقولاً . ألا ترى أن قلق البحر ليس هو من جنس اختراع النار ، لأنّ الفلق هو انفراج أجزاء ، والنار أجرام حادثة .

وكذلك لو ادعى رجل أن الله عز وجل أرسله وجعل حجته علينا ^(٣) الإخبار بما أكلنا وأدخرنّا وأضمرنا ، لكان قد احتج علينا . فإن قلتم ^(٤) : إنّ المنجمين ربّما أخبروا بالضمير ، وبالأمر المستور ، وببعض ما يكون .

قلنا : أمّا واحدة ^(٥) فإنّ خطأ المنجمين كثير ، وصوابهم قليل ، بل هو أقل من القليل . وأنتم لا تقدرون أن تقفونا ^(٦) من أخبار المرسلين عليهم السلام في كثير أخبارهم على خطأ واحد ^(٧) ، والذي سهل قليل المنجمين طرافة ذلك منهم ^(٨) ، لأنهم لو قالوا فأخطئوا أبداً لما كان

(١) م : ط : « إذا كان » .

(٢) ب : « غير عجز » م : « غير عاجز » ، صوابها في ط .

(٣) ب : « فبسه حجة علينا » تحريف . وفي ط : « فبسل حجة علينا » ، وأثبت ما في ب .

(٤) ب : « فلم قلتم » تحريف . ط : « فإن قلت » ، وأثبت ما في م .

(٥) بدله في ط : « هناك فرق » .

(٦) ط : « أن تقفون » صوابه في ب : م .

(٧) ب : « في كثرة أخبارهم » . ب : ط : « عل خطأ واحد » . والملاحظ ميل كثير إلى استعمال « الخطاء » بمعنى الخطأ ، وهو ما ورد هنا في نسخة م . انظر الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٥٠٠ ، والبيان ٤ : ١٦ ، ٦٧ .

(٨) الطرافة من الطريف ، وهو الشيء الغريب المستحدث . وفي جميع النسخ : « طرافة » بالطاء المجمة ، والطرافة : الكيس والخلق ، ولا وجه لها هنا .

عَجَبًا ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَمَنْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ أَنْ يُوَافِقَ قَوْلُهُمْ بَعْضُ مَا يَكُونُ .
وقد نجد النجّمين يختلفون في القضية الواحدة ، ويخطئون في أكثرها . وقد نجد الرسول يُخبرهم عما يأكلون ويشربون وينتخرون ويضمّرون ، في الأمور الكثيرة المعاني ، والمختلفة في الوجوه ، حتى لا يخطئ في شيء من ذلك . وليس في الأرض منجم ذكر شيئاً^(١) أو وافق ضميراً إلّا وأنت واجدٌ بعض مَنْ يزجر^(٢) قد يجيء بمثله وأكثر منه .

فلن قلت : إنّ الناس يكذبون في الإخبار عن الأعراب والكهّان من كلّ جيل ؟

قلنا : فهم في إخبارهم عن النجّمين أكذب .

وبعد ، فالتاس غير مستعظمين لكثرة كذب النجّمين وخطاياهم وخدعهم ، والناس يستعظمون^(٣) اليسير من المرسلين عليهم السلام . وكلّما كان الرجل في عينك أعظم ، وكان عن الكذب أزجر ، كان كذبه عندك أعظم . وإنّما النجم عند العوام كالطبيب الذي إنّ قتل المريض علاجه كان عندهم أنّ القضاء هو الذي قتله^(٤) ، وإنّ براً كان هو أبراه . على أنّ صوابهم أكثر ، ودليلهم أظهر .

وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجّمين على قدر ما يسمعون منهم ، دون أن يولّوا لهم ، ويضعوا الأعاجيب عن ألسنتهم .

(١) ب ، م : « قال شيئاً » .

(٢) الزجر : ضرب من الكهانة . وفي جميع النسخ : « ما يزجر » . ووجه ما أثبت .

(٣) في جميع النسخ : « يستعظمون » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « إنّ قتل المريض » ، و « هو الذي قتله » صوابهما في ط .

وكلُّ ملحدٍ في الأرض للرسول طاعنٌ عليه ، عائبٌ له ، يرى أن يصدّق عليه كلُّ كذابٍ يريد ذمّه ، وأن يكذّب كلُّ صادقٍ يريد مدحه .
وبعدُ ، فلو كان خبرُ المنجمين ^(١) في الصواب كخبر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، الذي هو حُجّةٌ ، لما كان خبرُ المنجمين حُجّةً .

فإن قلت : ولم ذلك ؟

قلتُ : لأنّ من كثر صوابه على غير استدلالٍ ومقايسة ، وعلى ^(٢) غير حسابٍ وتجربة ، أو على نظريٍّ ومُعَايَنَةٍ لم يكن الأمرُ من قبل الوحي ^(٣) ؛ لأنّك لو قلت قصيدةً في نفسك فحدّثك بها رجل ، وأنت تعلم أنّه ليس بمنجم ، وأنشدكها كلّها ، لعلمت أنّ ذلك لا يكون إلّا بوحى .

ومثل ذلك رجلٌ اشتدَّ وجعُ عينه فعالجه طبيبٌ فبرأ ^(٤) ، فلو جعل الطبيبُ ذلك حُجّةً على بُنُوته لوجب علينا تكذيبه ، ولو قال رجلٌ من غير أن يمسه أو يلدنوَ إليه : اللهمّ إن كنتُ صادقاً عليك فاشفيه الساعة ، فبرأ ^(٥) من ساعته لعلّمنا أنّه صادق .

فإن قالوا : وما علّمنا أنّ محمداً عليه السّلام لم يكن منجماً ؟
قلنا : إنّ علّمنا بذلك كعلّمنا بأنّ العباسَ وحمزةً وعليّاً وأبا بكرٍ وعمر ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ، لم يكونوا منجمين ، ولا أطباءً متكهّنين . وكيف يجوز أن يصير إنسانٌ عالماً بالنجوم من غير أن يختلف

(١) ب فقط : « غير المنجمين » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « حل » يسقط الواو .

(٣) ب ، م : « لم يكن الأمر قبل الوحي » ، وإكالة من ط .

(٤) ط : « فبرئ » ، وهما لفتان : برأ يبرأ ويبرؤ ، وبرئ يبرأ ، أى شفى من مرضه .

(٥) م ، ط : « فبرئ » .

إلى المنجمين ، أو يخلطوا إليه ، أو يكونَ علمُ النجوم فاشياً في أهل بلاده ، أو يكونَ في أهله واحدٌ معروف به . ولو بلغَ إنسانٌ في علم النجوم ، وليست معه عِلَّةٌ من هذه العلل ، وكان ذلك يخفى ، لكان ذلك كبحض الآياتِ والعلامات .

ومنى رأينا حاذقاً بالكلام ، أو بالطبِّ ، أو بالحساب ، أو بالغناء ، أو بالنجوم ، أو بالقرُوض ، خَفِيَ على الناس موضعه وسببه ؟ !
وجميعُ ما ذكرنا ، فعنايةُ الناس به ^(١) وعداوتُهم ، وشهرتهُ في نفسه ، دون محمد صلى الله عليه وسلم .

وهل نصب أحدٌ قطُّ لأحدٍ إلا يلدن ما نصبَ له رهطه ^(٢) ، وأداني أهله ^(٣) ، ومن معه في بيته ورَبَّته .

وما أعرف - يرحمك الله - المعاندَ والمسترشدَ والمصلِّقَ والمكذِّبَ ، ينكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن منجماً ولا طبيباً . وإذا قال الجاهل : إنَّه قد كان يعلم الخطَّ فخفى له ذلك ، وتعلَّم الأسبابَ والقضاءَ في النجوم فخفى له ذلك ، وتعلَّم البيانَ وقدرَ منه ^(٤) على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك ، أليس مع قوله ما يعلمُ خلافه ، يعلم أنه قد سلَّم له أصحوبةٌ كأصحوبةِ إبراهيمَ الأكمه والأبرص ، والمشي على الماء ، إذ كان ذلك لا يجوز ، ولا يمكنُ في الطبائع والعقل والتَّجربة .

والهم يرحمك الله ما أنا واصفُه لك : هل يجد التَّارِكُ لتصديقهِ

(١) ب ، م : « عناية الناس به » .

(٢) نصب له : أظهر له الغناء . ط : « وهل نسب أحدٌ قطُّ لأحدٍ إلا دون مانعه له رهطه » ، تحريف . ويبد كلمة « رهطه » في كل من ب ، م وردت لفظة « نعمة » مقحمة .

(٣) الأداني : بج أدنى ، وهو الأقرب . ب ، م : « وأداني » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وتعلَّم البيان على قدر مته » ، صوابه في ط .

أنه لا يدري بزعمه ، لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ، ناظراً لنفسه ، غير معاندٍ لحجة عقله . وهو لم يجد أحداً قطُّ برَّحَ في صناعةٍ واحدة ففخى على الناس موضعه بكل ما حكينا وفسرنا .

وأنت كيف تعلم أنه ليس في إخوانك من ليس بمنجم ، وأن فيهم من ليس بطبيب ، إلا بمثل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وآله منه .

وكيف لم يشتهر ذلك ، ولم لم يحتج به عليه ؟ ولقد بلغ من إسرافهم في شتمه ، وإفراطهم عليه ، أن نافقوا وأحالوا ، لأنهم كانوا يقولون له : أنت ساحرٌ ، وأنت مجنون ! وإنما يقال للرجل : ساحر ، لخلاسته وحسن بيانه ، ولطف مكابده ، وجودة مداراته وتحببه . ويقال : مجنونٌ ، لصد ذلك كله .

٣٥ - فصل منه

وليس ينتفع الناس بالكلام في الأخبار إلا مع التصديق ، ولانصدق إلا مع كثرة السماع ، والعلم بالأصول ، لأن رجلاً لو نازع في الأخبار ، وفي الوعد والوعيد ، وألخاَصُ العالم ، والناسخ والمنسوخ ، والفريضة والتأفلة ، والسنة والشريعة ، والاجتماع والفرقة ، ثم حسنت نيته ، وناضح عن نفسه ^(١) ، لما عرف حقائق باطلٍ دون أن يكون قد عرف الوجوه ، وسمع الجمل ^(٢) ، وعرف الموازنة ، وما كان في الطبايع ، وما يتمتع فيها . وكيف أيضاً يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل ؟ وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق ^(٣) ؟

(١) في اللسان (نضح) : « ويقال هو يناضح عن قومه ويناضح عنهم ، أي يلبسهم » . وفي حجج النسخ : « وناضح عن نفسه » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « وصل الجمل » ، صوابه ق م ، ط .

(٣) م فقط : « سبب الخبر » .

واعلم أنَّ من عود قلبه التشكُّك^(١) اعتراه الضعف ، والنفس عرُوف^(٢) ، فما عودتها من شيء جرَّت عليه .

والتحجير^(٣) إلى تقوية قلبه وردُّ قوته عليه وإفهامه موضع رأيه ، وتوقيفه^(٤) على الأمر الذي أثقل صدره^(٥) ، أحوجُّ منه إلى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله ، والمجيء الذي لا يكذب مثله . وستكلف من علاج دائه ، وترتيب إفهامه إن أعانَ على نفسه ، بما لا يبقى سبباً للشك ، ولا علة للضعف . والله تعالى الممينُ على ذلك ، والمحمود عليه .

٣٦ - فصل منه

ومنى سمعنا نبيَّ الله عليه السلام أتكل على عدائته ، وعلى معرفة قومه بقليل طهارته ، وقلَّةِ كلبه ، دون أن جاءهم بالعلامات والبرهانات ؟ ولعمري لو لم نجد^(٦) الحافظ ينسى ، والصادق يكذب ، والمؤمن يبذل ، لقد كان ما ذهبوا إليه وجهاً .

٣٧ - فصل منه في ذكر دلائل

النبي عليه الصلاة والسلام

وباب آخر يُعرف به صدقه ، وهو إخباره عما يكون ، وإخباره عن

(١) ب : « التشكُّك » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب ، ط : « عرُوف » ، صوابها في م .

(٣) في جميع النسخ : « والتحجير » بالخاء المعجمة ، وإنما يراد هنا التحجير التشكُّك ، فالوجه ما أثبت .

(٤) في جميع النسخ : « وتوقيفه » ، تحريف ما أثبت .

(٥) ب : « أثقل صدره » صواب هذه ما أثبت . وفي م ، ط : « أثقل صدره » ، وهي صحيحة أيضاً . لكن في القاموس : « وأثقله لغة جيدة ، أو ثقلية ، أو رديئة » .

(٦) ب ، م : « أن لو نجد » ، صوابه في ط .

ضائِر الناس^(١) ، وما يأكلون وما يدخرون ، ولدعائه المستجاب الذى لا تأخير فيه ، ولا خُفْ له . وذلك أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين لَقِيَ من قريش والعرب ما لَقِيَ من شِدَّةِ آذَانِهِمْ له ، وتكذيبِهِمْ لِآيَاتِهِ ، واستعانتِهِمْ عليه بالأموال والرِّجال ، دعا الله جلَّ وعزَّ أَنْ يُجِيبَ بِلَادِهِمْ ، وَأَنْ يُدْخِلَ الْفَقْرَ بيوْتَهُمْ ، فقال صلى الله عليه وآله : « اللَّهُمَّ مِئِينَ كَسْنِي يوسف^(٢) . اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُصْرٍ » .

فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ الْمَطَرَ حَتَّى مَاتَ الشَّجَرُ ، وَذَهَبَ الثَّمَرُ ، وَقُلَّتِ الزَّرَاعُ ، وَمَاتَتِ الْمَوَاشِي ، وَحَتَّى اشْتَوَوْا الْقِدَّ وَالْعِلْهَازَ^(٣) .

فعند ذلك وَقَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ عَلَى كَسْرَى ، يَشْكُو إِلَيْهِ الْجَهْدَ وَالْأَزْلَ^(٤) . وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي رَحَى السَّوَادِ^(٥) ، وَهُوَ حِينَ ضَمِنَهُ عَنْ قَوْمِهِ ، وَأَرْهَنَهُ قَوْمَهُ . فَلَمَّا أَصَابَ مُصْرَ خَاصَّةَ الْجَهْدِ ، وَنَهَكَهُمُ الْأَزْلُ ، وَبَلَغَتْ الْحُجَّةُ مَبْلَغَهَا ، وَانْتَهَتْ الْمَوْعِظَةُ مِنْهَا ، عَادَ بِفَضْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الَّذِي بَدَأَهُمْ بِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ الْخِصْبَ وَإِحْدَارَ الْغَيْثِ ، فَفَتَّاهُمْ مِنْهُ مَا هَدَمَ بِيُوتَهُمْ ، وَمَنْعَهُمْ حَوَائِجَهُمْ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَوِّالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » . فَلَمَطَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَوَّلَهُمْ ، وَأَمْسَكَ عَنْهُمْ .

وَكُتِبَ إِلَى كَسْرَى يَدْعُوهُ إِلَى نَجَاتِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِنْ كُفْرِهِ ، فَبَدَأَ بِاسْمِهِ عَلَى اسْمِهِ ، فَأَتَيْتُ مِنْ ذَلِكَ كَسْرَى لِشِقْوَتِهِ ، وَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ الْكِتَابِ ،

(١) بـ فقط : « ضمير الناس » .

(٢) بـ فقط : « كسرين يوسف » ، تحريف . وكانت سنو يوسف سبباً شديداً ذات قحط وغلاء . والحديث من أفراد البخاري . انظر الحديث ١١٩ من الألف المختارة .

(٣) القد ، بالكسر : سِرٌّ يقد من جلد غير مديوح . والعِلْهَازُ ، كزبرج : خيط من الدم وأوبار الإبل ، وقد يخلطون به القردان ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه .

(٤) الأزْل ، بالفتح : شدة الزمان ، يقال هم في أزْل من الليل وأزْل من السنة .

(٥) السواد : خضرة النخل والشجر ، لخضرته واسوداده . وسواد العراق : ما حوال

مدته من القرى والرساتيق .

فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم مَرِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَرِّقٍ » .
 فَمَرِّقَ الله جَلَّ وَعَزَّ ملكه ، وَجَدَّ أصله ، وقطع دابره ، لأنَّ كُلَّ مُلْكٍ في
 الأرض ، وإن كان قد أُخْرِجَ من مُعْظَمِ ملكه ، فهو مقيمٌ على بقيَّةٍ منه ،
 وذلك أَنَّ الإسلام لم يتركْ مُلْكاً بحيث تنالُه الحوافر والأخفاف
 والأقدام ، إلَّا أزاله عنه ، وأخرجه منه إلى عِقَابٍ يعتصمُ بها ^(١) ،
 ومعاقلٌ بأبوابٍ إليها ، أو طَرَدَه إلى خليجٍ منيع ، لا يقطعُه إلَّا السفنُ ^(٢) ،
 فهم من بين هاربٍ قد دخل في وِجَارٍ ، أو اختفى ^(٣) في غَيْضَةٍ ، أو مقيمٍ
 على فِهمٍ شُعْبٍ ، ورأسٍ مَضِيقٍ ، قد سَخَتْ نَفْسُهُ عن كُلِّ سَهْلٍ ، وأَسْلَمَ
 كُلُّ مَرْجٍ أو مُلْكٍ لا قرارَ له ، وليس بذي مَنَرٍ فيؤْتَى ، وإنَّما أصحابه
 أكرادٌ يطلبون النُّجعة ، أو كخوارج يَطْلُبُونَ الْغِرَّةَ ^(٤) . فأمَّا أن يكون
 مُلْكٌ يُصْحِرُ لهم ^(٥) ، ويقيم بلزائهم ، ويغاديهم الحرب ويُمِسُّهم ،
 ويساجلهم الظَّفَرُ ويناهضهم ، كما كانت ملوكُ الطوائف ، وكذلك كان
 بين فارسَ والرُّومِ - فلا ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
 بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ^(٦) إلى قوله عزَّ ذكره :
 ﴿ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٧) . فلم يَرْضَ أن أظهرَ دينه حتَّى جعل أهله الغالبيين
 بالقترة ، والظاهرين بالمنعة ، والأتخدين الإتاوة .

(١) العقاب : جمع مقبة ، وهي طريق في الجبل وعرة .

(٢) ب : « لا يمنه » ، صوابه في م ، ط .

(٣) في جميع النسخ : « واختفى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب فقط : « الغرة » .

(٥) أصح : برز وظهر . ب ، م : « يصغر » ط : « يصهر » ، صوابها ما أثبت .

(٦) الآية ٢٣ من سورة التوبة و ٢٨ من سورة الفتح و ٩ من سورة الصف . وختم الأولى
 والأخيرة : « ولوكره للمشركون » ، وختم الوسطى : « وكفى بالله شيكاً » .

(٧) ب ، م : « الكافرون » ، تحريف ، صوابه في ط .

وكتب كسرى إلى فيروز النبطي^(١) ، وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن : أن أحمل إلى هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي ، واجترأ عليّ ، ودعاني إلى غير ديني ! فأتاه فيروز فقال : إن ربّي أمرني أن أحملك إليه . فقال صلى الله عليه وسلم : « إن ربّي خبرني أنه قد قتل ربك البارحة ، فأمسك عليّ ريشاً يأتيك الخبر ، فإن تبين لك صدق ، وإلا فانت على أمرك » . فراع ذلك فيروز وهاله ، وكره الإقدام عليه ، والاستخفاف به ، فإذا الخبر قد أتاه : أن شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله . فأسلم وأخلص ، ودعا من معه من بقية الفرس إلى الله عزّ ذكره^(٢) فأسلموا .

٣٨ - فصل منه^(٣) في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

ثم إن الذي نقله صلى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة ، في الأزمان المتباعدة ، والبُلدان الموجودة بكلّ مكان ، على شدة عداوة أهلها ، وتعصّب حاملها ، ومع قوة خسلهم ، وشدة بغيتهم . وما ذلك ببليغ منهم ومن آبائهم ، على أنهم أشبه آبائهم منهم بأزمتهم . وكلّ الناس أشبه بأزمتهم منهم بأبائهم . وآباؤهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم السلام ، وتعتتوا رسلهم صلى الله عليه عليهم ، حتى خلّاهم الله عزّ وجل من يده ، وأفقدتهم عصمته وتوفيقيته .

(١) فيروز النبطي ، ويقال « فيروز بن النبطي » كما في ب ، وهو صحابي يكنى أبا الضحاك ، وأبا عبد الرحمن . وكان من أبناء الأساورة من فارس ، الذين كان كسرى قد بثهم إلى قتال الحبشة . ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد إسلامه رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود الغنص الكذاب ، وأتى برأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد سكن مصر . ومات في خلافة عثمان ، وقيل في خلافة معاوية ، باليمن سنة ٥٣ هـ . الإحسان ٧٠٠٤

(٢) م : « عز وجل » .

(٣) منه ، ساقطة من ب .

ولم استدلّ على ذكره في التوراة والإنجيل والزبور ، وعلى صِفته
والبشارة به في الكتب إلا لأنك^(١) منى وجدت النصراني واليهودي
يُسلم بأرض الشام وجنته يعتلُّ بأمور ، ويحتجُّ بأشياء مثل
الأمور التي يحتجُّ بها من أسلم بالعراق . وكذلك من أسلم بالحجاز ،
ومن أسلم من اليمن ، من غير تلاقٍ ولا تعارف ، ولا تشاعر^(٢) . وكيف
يتلاقون ويتراسلون ، وهم غير متعارفين ولا مُتَشاعرين؟ ولو كانوا كذلك
لظهر ذلك ولم ينكمش ، كما حكينا قبلَ هذا . ولو قابلقُ بين أخبارهم
واحتجاجهم مع كثرة الألفاظ واختلاف المعاني ، لوجدتها متساوية .

٣٩ - فصل منه

فلن قال قائل : لم كانت أعلامُ مومى عليه السلام في كثرتها^(٣)
مع غيِّ بني إسرائيل ، ونقصان أحلام القبط ، في وزني أعلام محمد
صلى الله عليه وسلم وفي قنرها ، مع أحلام قريش ، وعُقُول العرب .
ومنى أحسبت أن تعرف غيِّ بني إسرائيل ونقصان^(٤) أحلام
القبط ، ورُجحان عقول العرب^(٥) ، وأحلام كنانة^(٦) ، فأت^(٧)
بؤاديتهم ورباعهم . وانظر إلى بينهم^(٨) وبقباهم ، كما نظرت إلى بني
إسرائيل من اليهود^(٩) وغِيَّ بني من مضى من القبط - تعتبر ذلك وتعرف

(١) ب ، م : « بأنك » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٥٠

(٣) ب ، م : « وكثرتها » .

(٤) ط : « ونقص » .

(٥) رجحان ، ساقطة من ب ، م .

(٦) ب ، م : « وأحكام كنانة » .

(٧) ط : « فانظر » .

(٨) ب : « بينهم » ، صوابه ب م ، ط .

(٩) ب ، م : « من اليهود عليهم لمة الله تعالى وعز ودين من مضى من القبط » .

ما أقول . ثم انظر في أشعار العرب الصحيحة ^(١) ، والخطب المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والألفاظ المشهورة ، والمعاني المذكورة ، ثم نقلت الجماعات عن الجماعات ، وكلام العرب ومعانيهم في الجاهلية . ثم تفقدت ، ومثل أهل العلم والخبرة عن بني إسرائيل ، فإن وجدت لهم مثلاً سائراً كما تسمع للقبط والفرس ، فضلاً عن العرب فقد أبطلنا فيها قلنا .

وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف ، ويسير على أمثال ^(٢) ، كل واحد منها ركن يبنى عليه ، وأصل يتفرع منه ^(٣) .

أو هل تسمع لهم ^(٤) بكلام شريف ، أو معنى يستحسنه أهل التجربة ، وأصحاب التلخيص والسياسة ، أو حكم ^(٥) أو حكمة ، أو حنق في صناعة ، مع ترادف الملك فيهم ، وتظاهر الرسالة في رجالهم .

وكيف لا تقضي عليهم بالفئ والجهل ، ولم تسمع لهم بكلمة فائضة ، أو معنى نبيل ^(٦) ، لا يمين كان في المبدئ ، ولا يمين كان في المخضر ^(٧) ، ولا من قاطي السواد ^(٨) ، ولا من نازلي الشام ؟

ثم انظر إلى أولادهم مع طول لبثهم فينا ، وكونهم معنا ، هل غير

(١) هذا ما في م . وفي ب ، ط : « في الأشعار الصحيحة » .

(٢) ب ، م : « ويسير على أمثال » ط : « ويتبنى على أمثال » ، وأثبت الصواب من بينهما .

(٣) ب ، م : « ركن يبنى وأصل لفرح منه » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « أم » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « أو حكم » .

(٦) التبي : الجليل المشهور . ب فقط : « بيعة » ، تحريف .

(٧) المبدئ : مكان خروجهم في البادية ، خلاف المخضر في الحاضرة . ب : « المبداء »

م ، ط : « المبدأ » ، صوابها ما أثبت .

(٨) ب فقط : « قاطن السواد » .

ذلك من أخلاقهم وشأنهم ، وعقولهم ، وأحلامهم ، وآدابهم ، وفطنهم ؟
فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم .

وليس النصارى كاليهود ، لأن اليهود كلهم من بنى إسرائيل إلا القليل .

وبعد ، فلم يضرب فيهم غيرهم ، لأن مناكحهم مقصورة فيهم ،
ومحبوسة عليهم ، فصور أولهم مؤداة إلى آخرهم ^(١) ، وعقول أسلافهم
مردودة على أخلافهم ^(٢) ، ثم اعتبر بقولهم لنبيهم عليه السلام : ﴿ اجعل
لنا إلهاً كما لهم إلهة ^(٣) ﴾ حين مروا على قوم يعكفون على أصنام
لم يعبدونها . وكقولهم : ﴿ أرنا الله جهرة ^(٤) ﴾ ، وكعكوفهم على عجل
صنيع من حلهم ، يعبدونه من دون الله ، بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم .
وكقولهم : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ^(٥) ﴾ ، فكان
الذى جاء به موسى عليه السلام ، مع نقص بنى إسرائيل والقربط ، مثل
الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، مع رجحان قريش والعرب .

وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبد ، كوعيد موسى بنى
إسرائيل بإلقاء الهلألس على زروعهم ^(٦) ، والهزم على أفتلهم ، وتسليط
الموتان على ماشيتهم ^(٧) ، وإخراجهم من ديارهم ، وأن يظفر بهم

(١) في جميع النسخ : « قصور أولهم مؤداة إلى آخرهم » ، وأرى الوجه فيها أثبت .

(٢) الأغلط : جمع غلط ، بالتحريك ، وهو الولد صالحاً كان أو طالحاً . ب ، م
« أخلاقهم » ، صوابه في ط .

(٣) من الآية ١٣٨ من الأعراف .

(٤) من الآية ١٥٣ من النساء .

(٥) من الآية ٢٤ من المائدة .

(٦) اللألس ، بالضم : شبه السل من الخزال . وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١٦ : « أسلط عليكم
رجاً وسلاحاً حتى تقى العينين ، وتلف النفس ، وتزرعون بالمازرعكم فياكله أعداؤكم » .

(٧) انظر سفر اللاويين ٢٦ : ٢٢ . والموتان ، بالضم ويفتح : موت يقع في الماشية .

علوهم . فكان تعجيل العذاب الأدنى ^(١) في استدعائهم واستئناهم ، ورذعهم عما يريد بهم ، وتعليل طبايعهم ، كتأخير العذاب الشديد على غيرهم ، لأنَّ الشديد ^(٢) المؤخَّر لا يزجرُ إلاَّ أصحابَ النظر في العواقب ، وأصحابَ العقول التي تذهب في المذاهب ^(٣) .

فسيحان من خالف بين طبايعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم في دنياهم ، ومراشدهم في دينهم ، مع أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم مخصوصٌ بعلمة لما في العقل موقع ، كموقع فلق البحر من العين ، وذلك قوله لقريشٍ خاصَّةً ، وللعرب عامَّةً ، مع ما فيهما من الثغراء والخُطباء والبلغاء ، والدُّعاة والحُلماء ^(٤) ، وأصحابِ الرأي والمكيكة ، والتجارب والنظر في العاقبة : إنَّ عارضتموني بسورة واحدة فقد كُلبتُ في دعوائى ، وصِدِّقتم في تكذيبى .

ولا يجوز أن يكون مثلُ العرب في كثرةِ عِلْمهم واختلافِ عللهم ، والكلامُ كلامهم ، وهو سيِّدُ عملهم ، فقد فاض بياتهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قُوَّتُهم عليه عند أنفسهم ، حتَّى قالوا في الحيات والعقارب ، والذباب والكلاب ، والخنافس والجملان ، والحُمير والحمام ، وكلُّ ما دبَّ ودرج ، ولاح لمين ، وخطر على قلب . ولم بعدُ أصنافُ النظم ، وضروبُ التأليف ، كالقصيد ^(٥) ، والرجز ، والزواج ، والمُجَانِس ^(٦) ، والأسجاع ^(٧) والمنثور .

(١) ب ، م : « الآتون » .

(٢) ب فقط : « لأنَّ العذاب » .

(٣) ب فقط : « بالمذاهب » .

(٤) الخلاء : ذور الألباب والمقول . م فقط : « والمكباء » .

(٥) ب فقط : « كالقصيدة » .

(٦) هو ما عرف بهد بالجناس في اصطلاح البلاغيين .

(٧) ب ، م : « الأشجاع » ، ط : « الأشجاع » ، سراجها ما أثبت .

(٨) ~ ١٨ ~ رسائل الجاحظ

وبعد ، فقد هَجَّوْهُ من كُلِّ جانب ، وهاجَى أصحابه شعراهم^(١) ، ونازعوا خطبائهم ، وحاجَّوْهُ في المواقف ، وخاصَّمُوْهُ في المواسم ، وبَادَوْهُ العداوة^(٢) ، وناصَبُوْهُ الحرب ، فَقَتَلَ منهم ، وَقَتَلُوا منه ، وهم أثبتُّ النَّاسِ حَقْدًا ، وأبعدُهم مطلبًا ، وأذكرهم لخير أو لشرٍّ ، وأنفاهم له ، وأهْجَاهم بالعجز ، وأمدحهم بالقوَّة ، ثُمَّ لَا يُعَارِضُهُ معارِضٌ ، ولم يتكلَّفْ ذلك خطيبٌ ولا شاعر .

ومحالٌ في التعارف ، ومستنكرٌ في التصادق ، أن يكون الكلامُ أَخْصَرَ عندهم^(٣) ، وَأَبْسَرَ مَثُونَةً عليهم ، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض^(٤) لقوله ، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه^(٥) فيجتمعوا على ترك استعماله ، والاستغناء به ، وهم يبذلون مُهْجَهُم^(٦) وأموالهم ، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره ، وفي توهين ما جاء به ، ولا يقولون ، بل لا يقول واحدٌ من جماعتهم : لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ^(٧) ، وتستهلكون أموالكم ، وتخرجون من دياركم ، والحيلة في أمره يسيرة ، والمأخذ في أمره قريب ؟ ! لِيُوَلِّفَ واحدٌ من شعرائكم وخطبائكم كلاماً في نظم كلامه ، كَأَقْصَر سورة يُخَذِّلُكُمْ بها ، وكَأَصْفَر آيَةٍ دَعَاكُمْ إلى معارضتها . بل لو نَسُوا ، ما تركهم حتَّى يَذْكُرَهُمْ ، ولو تغافلوا ما ترك أن ينهِّبَهُمْ ، بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف .

(١) ب : « هَجَّى أصحابه شعراهم » .

(٢) يقال باداه بالعداوة : جاهره بها . وبادوه إل الشيء : عاجله وسابقه . ووردت « العداوة » هنا متعليةً إليها الفعل بغير الحرف . وفي ط : « وبادوه العداوة » .

(٣) من الاختصار . وفي اللسان : « الاختصار في الكلام أن تدع للفضول وتستعجز الذي يأتي على الشيء » .

(٤) ب ، م : « وأنقض » بالصاد المهملة .

(٥) ذلك ، من ط فقط .

(٦) ب ، م : « ويبذلون » ب فقط : « مهجهم » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « ولم تقتلون أنفسكم » .

فدَلَّ ذلك العاقلَ على أَنَّ أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين :
 إما أَن يكونوا عَرَفُوا عجزهم ، وَأَنَّ مثلَ ذلك لا يتهيأ لهم ، فرأوا
 أَنَّ الإضرابَ عن ذكره ، والتغافلَ عنه في هذا الباب وإن قرَّعهم به ،
 أمثلَ لهم في التلبير ، وأَجْلَرَ ^(١) أَن لا يتكشَّفَ أمرهم للجاهل والضعيف ،
 وأَجْلَرَ أَن يَجْلُوا إلى الدعوى سبيلاً ، وإلى اختداع الأنبياء سبباً ، فقد
 ادَّعُوا القُدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه ، وهو قوله عزَّ ذكره : ﴿ وَإِذَا
 تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ^(٢) ﴾ .

وهل يُذعنُ الأعرابُ وأصحابُ الجاهلية للتفريع بالعجز ^(٣) ،
 والتوقيف على النقص ، ثم لا يبذلون مجهودهم ، ولا يخرجون مكنونهم ^(٤)
 وهم ^(٥) أشدُّ خلق الله عز وجل أنْفَةً ، وأفرطُ حِيمةً ، وأطلبهُ بِطائلةً ،
 وقد سيموه ^(٦) في كل منهلٍ وموقف . والنَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِالخَطَابَاتِ ،
 مُوَلَّعُونَ بِالْبَلَاغَاتِ . فمن كان شاهداً فقد سمعه ، ومن كان غائباً فقد
 أتاه به من لم يُزوده ^(٧) .

وإِذَا أَن يَكُونَ غَيْرُ ذَلِكَ .

ولا يجوز أَن يُطَبِّقُوا ^(٨) على ترك المعارضة وهم يقدرُونَ عليها ،

(١) ب ، م : « وأجلر » ، تحريف ملق ط .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنفال .

(٣) ب ، م : « والأعراب وأصحاب الجاهلية التفريع بالعجز » . وصواب النص وثمناه في ط .

(٤) ب ، م : « ثم لا يبذل مجهودها ويخرج مكنونها » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « وهو » .

(٦) ب ، م : « وقد سمعته » .

(٧) نظر إلى قول طرفة في ملحقته :

سبى لك الأيام ما كنت جاهلاً
 ويأتيتك بالأخبار من لم تزود
 ب ، م : « يروده » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « أن يطبقوا » ، تحريف ملق ط .

لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحلماء^(١) ، مع اختلاف عليهم ، ويعد جميعهم ، وشدة عداوتهم الإطباق على بذل الكثير ، وصون اليسير .

وهذا من ظاهر التدبير ، ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء ، وأهل المعارف^(٢) فكيف على الأعداء ، لأن تحجير الكلام أهون من القتال ، ومن إخراج المال .

ولم يقل^(٣) : إن القوم قد تركوا مسألتهم^(٤) في القرآن والظن فيه ، بعد أن كثرت خصومتهم في غيره .

ويدللك على ذلك قوله عز وجل^(٥) : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة^(٦) ﴾ وقوله عز ذكره : ﴿ وإذا نزلنا آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله^(٧) ﴾ ، وقوله تعالى جل ذكره : ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون^(٨) ﴾ .

ويدللك كثرة هذه المراجعة ، وطول هذه المناقلة ، على أن التقرير^(٩) لم بالعجز كان فاشياً ، وأن عجزهم كان ظاهراً .

(١) ط فقط : « والحكماء » بالكاف . وانظر ما سبق في ٢٧٥ .

(٢) ب ، م : « وعلى المعارف » ، تحريف ماقى ط .

(٣) م ، ب : « ولم يقل » ، وأثبت ماقى ط .

(٤) م : « مسألتهم » ، وهي لغة جائزة فيها .

(٥) ذلك ، ساقطة من ب . وفى ب ، م : « عز ذكره » .

(٦) الآية ٣٢ من الفرقان . وفى م : « أنزل عليه » تحريف .

(٧) الآية ١٥ من يونس .

(٨) الآية ٤ من الفرقان .

(٩) م ، ط : « التقرير » ، صوابه ق ب .

ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بالنظر والتأليف^(١) ، ولم يكن أيضاً أراح عِلَّتَهُمْ ، حتّى قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِشُرُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾^(٢) وعارضوني بالكذب ، لقد كان في تفصيله له وتركيبه ، وتقليده له واحتجاجه ، ما يدعو إلى معارضته ومقابلته وطلب مساويه .

ولو لم يكن تحدّاهم من كلّ ما قلنا ، وقرّعهم بالعجز عمّا وصفنا - وهنّ هذا^(٣) إلّا بمجيحه له ، وإكثاره فيه - لكان ذلك سبباً مُوجِباً لمعارضته ومُقابلته وطلب تكذيبه ، إذ كان كلالُهم هو سيّد عملهم ، والمثونة فيه أخفّ عليهم ، وقد بذلوا النفوس والأموال . وكيف ضاع منهم ، وسقط على جماعتهم نيّفاً وعشرين سنة ، مع كثرة عددهم ، وشيئة حقولهم ، واجتماع كلمتهم ١٩ وهذا أمرٌ جليلُ الرأى ، ظاهرُ التبشير^(٤) .

٤٠ - فصل منه في ذكر امتناعهم من معارضة القرآن

لعلهم يعجزهم عنها^(٥)

والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء^(٦) ، وإسحاق بن

(١) ب ، م : « والتأليف » .

(٢) الآية ١٣ من سورة هود . وبهذا لما في ب ، م : « فهاتوا مفتريات » ، ويصح هذا الكلام لو لم يكن مسبوقاً بكلمة « تعالى » .

(٣) ب ، م : « قل هذا » .

(٤) يده في ب : « لا يحمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وفي م : « حمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وهاتان العبارةتان لم تردا في ط .

(٥) ط : « في كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها » ، صوابه في ب ، م

(٦) هو عبد الكريم بن أبي العوجاء ، من بني عمرو بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية ، وكان أسد الزنادقة - عليه عهد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة . جهره ابن سزم ٣١٦ . وكان خال من بن زائدة ، وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة : كان يرى في السردن المانوية من الثنوية ، وكان يقول بالتناسخ ، وكان يميل إلى رأى الرافضة في الإمامة ، والرايع قوله بالقدر في أبواب التعليل والتجوير . اختلف بين الفرق ٢٥٥ - ٢٥٦ .

طلوت^(١)، والنعمان بن المنذر، وأشباههم من الأرجاس، الذين استبدلوا بالعزّ ذلاً، وبالإيمان كُفراً، والسعادة شِقْوَةً^(٢)، وبالحجّة شُبْهَةً.

بل لا شُبْهة في الزندقة خاصّة. فقد كانوا يصنعون الآثار، ويولدون الأخبار، ويبثونها في الأمصار، ويقطعون في القرآن، ويسألون عن مُشابه، وعن خاصّة وعامّة^(٣)، ويضعون الكتب على أهل. وليس شيءٌ ممّا ذكرنا يستطيع دفعه جاهلٌ غي^(٤)، ولا معانِدٌ ذكيّ.

٤١ - فصل منه

ولمّا كان أعجبُ الأمور عند قومِ فرعونَ السّحر، ولم يكن أصحابه قطُّ في زمانٍ أشدَّ استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوحيته، وكشف ضغته وإظهاره، ونقض أصله^(٥) لردع الأغبياء من القوم^(٦)، ولمن نشأ على ذلك من السّفة والطّغام. لأنّه لو كان أتاها بكلّ شيء، ولم يأتهم بمعارضة السّحر حتّى يفصل بين الحجّة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلّعة، ولأعتلّ به أصحاب الأشغال^(٧)، ولشغلوا به بال الضّعيف^(٨)، ولكن الله تعالى جدّه، أراد حَسَمَ الداء، وقَطَعَ المادّة، وأن لا يجد المُبطلون متعلّقاً،

(١) يبدو أنه أحد الزنادقة، ولم أجده له غيراً.

(٢) ب، ط: «شقاوة»، وهما بمعنى ما يقابل السعادة. وفي التتريز العزير: «وبنا غلبت علينا شقوتنا»، وقرأ ابن سمود: «شقوتنا».

(٣) ب: «وعن خاصة وعامة»، صوابه في م، ط.

(٤) ب: «ع»، م: «غ»، صوابهما في ط.

(٥) ب فقط: «ونقض أصله»، تحريف.

(٦) بدل هذا كله في ب: «لأغبياء القوم» وفي م: «الأغبياء القوم».

(٧) الأشغال: جمع شغل، يا صريك، وهي لغة ضعيفة في الشغل، بالفتح، وهو تبيح الشر. وفي ب: «الأشغال» وفي ط: «الأشغال»، وأثبت ما في م.

(٨) ب فقط: «باب الضعيف».

ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً^(١) ، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات ، وضروب العلامات .

وكذلك زَمَنُ عيسى عليه السلام كان الأغلبُ على أهله ، وعلى خاصة علمائه الطُّبِّ ، وكانت عوامُّهم تعظَّمُ على ذلك خواصِّهم ، فأرسله الله عزَّ وجلَّ بلحياء الموتى ؛ إذ كانت^(٢) غايبتهم علاجَ المرضى . وأبرأ لهم الأكمه^(٣) إذ كانت غايبتهم علاجَ الرِّمِدِ^(٤) ، مع ما أعطاه الله عزَّ وجلَّ من سائر العلامات ، وضروب الآيات ؛ لأنَّ الخاصَّة إذا بَخَعَتْ بالطاعة^(٥) ، وقهرتها الحجة ، وعَرَفَتْ موضعَ العجز والقوَّة ، وفَضَّلَ ما بين الآيَةِ والحيلة ، كان أنجحَ للعامة ، وأجدر^(٦) أن لا يبقى في أنفسهم بقيَّة .

وكذلك دَهَرُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، كان أغلبُ الأمور عليهم ، وأحسنُها عندهم ، وأجلُّها في صدورهم ، حُسْنَ البيانِ ، ونَظَمُ ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به . فحين استحسنت لفهمهم^(٧) وشاعت البلاغة فيهم ، وكثُرَ شعراؤهم ، وفاقَ النَّاسَ خطباؤهم ، بعثه الله عزَّ وجلَّ ، فتحلِّداهم بما كانوا لا يشكُّون أنَّهم يقدرون على أكثر منه .

(١) ب ، م : « الضعفاء سبيلاً » .

(٢) ب فقط : « إذا كانت »

(٣) ب : « وإبرأهم الأكمه » تحريف . وفي ط : « وإبراء الأكمه » ، وأثبت ما في م . والأكمه : الذي يولد أعمى .

(٤) الرمد : وجع العين وانتفاخها ، وهو أرمه ورمه ، والأثم رماء . ب ، م : « الرمد » ، صوابه في ط .

(٥) بخت : خضعت وأقرت . وفي ط فقط : « بخت » تحريف وانتظر ما مضى في ص . ٢٥٥ .

(٦) ب فقط : « وأجدر » ، تحريف .

(٧) لفهمهم ، ساقطة من ب .

فلم يَزَلْ يَقْرَعُهُمْ بِعِزِّهِمْ ، وَيَنْقِصُهُمْ عَلَى نَقْصِهِمْ ^(١) ، حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ لَضَعْفَانِهِمْ وَعَوَائِهِمْ ، كَمَا تَبَيَّنَ لَأَقْوِيَانِهِمْ وَخَوَاصِهِمْ . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْجَبَ مَا آتَاهُ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ ^(٢) ، مَعَ سَائِرِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَمِنْ ضُرُوبِ الْبُرْهَانَاتِ .

وَلِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ وَمَتْنٌ ، وَانْتِصَارٌ وَتَقْرِيبٌ . فَمِنْ أَحْكَمِ الْحِكْمَةِ لِإِرْسَالِ كُلِّ نَبِيٍّ بِمَا يَفْجِمُ أَعْجَبَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ ^(٣) ، وَيُبْطِلُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ فِي ظَنِّهِمْ .

٤٢ - فصل في ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

وَأَيَّةٌ أُخْرَى لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْخَاصَّةُ ، وَمَتْنٌ ذَكَرْتُ الْخَاصَّةُ فَالْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْخَاصَّةِ . وَهِيَ الْأَخْلَاقُ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ تَجْمَعْ لِبَشَرٍ قَطُّ قَبْلَهُ ^(٤) ، وَلَا تَجْمَعُ لِبَشَرٍ بَعْدَهُ .

وَذَلِكَ أَنَّنَا لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ لِأَحَدٍ قَطُّ كَصَبْرِهِ ، وَلَا كَحِلْمِهِ ، وَلَا كَوَفَاةٍ ، وَلَا كَزُهْدِهِ ، وَلَا كَجُودِهِ ، وَلَا كَنَجْدَتِهِ ، وَلَا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ ، وَكَرَمِ عِشْرَتِهِ ^(٥) ، وَلَا كَتَوَاضُعِهِ ، وَلَا كَحِلْمِهِ ، وَلَا كَحِفْظِهِ ، وَلَا كَصِمَتِهِ إِذَا صَمَتَ ، وَلَا كَقَوْلِهِ إِذَا قَالَ ، وَلَا كَعَجِيبِ مَنْشِئِهِ ^(٦) ، وَلَا كَقَلَّةِ

(١) انقصه واستقصه : نسب إليه التقصان . ب ، م : « يتقصه » ، ط : « ينقصه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لفظ الجلالة ثابت في ط فقط .

(٣) أصل الإضمار الإسكات عن الجواب ، والمراد الفرق والقلية . ب ، م : « يفهم » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « لبشرى » في هذا الموضع وتاليه . وأثبت ما في ط . والبشر : الإنسان ، يطلق على الواحد والثنى والجمع والمذكر والمؤنث . وقد يجمع كل أبشار ، ويثنى كما في قوله تعالى : « أنؤمن لبشرين مثلنا » .

(٥) العشرة : الخالطة والمصاحبة . وفي جميع النسخ : « عشيرته » ، صوابه ما أثبت . وأما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأقربون وقبيلته .

(٦) ب ، م : « منشأه » .

تَلُونَهُ ، وَلَا كَتَفُوهُ ، وَلَا كَلِدُوا مَطَرِيْقَتَهُ ، وَقَلَّةَ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ نَجِدْ ^(١) شَجَاعاً قَطُّ إِلَّا وَقَدْ جَالَ جَوْلَةً ، وَفَرَّ فَرَّةً ، وَانْحَازَ مَرَّةً ،
مِنْ مَعْلُوْدِي شُجْعَانَ الْإِسْلَامِ ، وَمَشْهُوْرِي فُرْسَانَ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَفْلَانَ
وَفْلَانَ .

وَبَعْدُ ، فَقَدْ نَصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ قَوْمٌ ، وَلَمْ نَرِ
كَتَجَلْتَهُمْ نَجْدَةً ، وَلَا كَصَبِرَهُمْ صَبِيراً . وَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الْجَوْلَةُ وَالْفَرَّةُ ^(٢) ،
كَمَا قَدْ بَلَغَكَ عَنْ يَوْمٍ أَحَدٍ ، وَعَنْ يَوْمٍ حُتَيْنٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ
وَالْأَيَّامِ .

فَلَا يَسْتَطِيعُ مَنَافِقٌ وَلَا زَنْدِيقٌ وَلَا دُهْرِيٌّ ، أَنْ يَحْدِثَ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالَ جَوْلَةً قَطُّ ^(٣) ، وَلَا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ ، وَلَا خَافَ
عَنْ غَزْوَةٍ ، وَلَا هَابَ ^(٤) حَرْبَ مَنْ كَانَتْهُ .

(١) ب ، م : « وَلَمْ نَجِدْ » بِالْثَاءِ .

(٢) ب ، م : « وَالنِّزَةُ » ، وَلَيْسَتْ مُرَادَةً هُنَا .

(٣) ب ، م : « فَقَطُّ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَتَالِيهِ ، وَالْمَوَابِقُ ط .

(٤) ب ، م : « وَهَابَ » .

من كتابه في

خلق القرآن

١ - فصل من صدر كتابه في خلق القرآن^(١)

ثُبَّتَكَ اللهُ بِالْحِجَّةِ ، وَحَصَّنَ دِينَكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَتَوَفَّاكَ مُسْلِمًا ،
وَجَعَلَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وقد أعجبتني^(٢) ، حِفْظُكَ اللهُ ، استهداؤُكَ الْعِلْمَ وفهمُكَ له ،
وَشَفَقُكَ بِالْإِنْصَافِ وميلُكَ إِلَيْهِ ، وتعظيمُكَ الْحَقَّ ومُؤَالَاتُكَ فِيهِ ،
ورغبتُكَ عَنِ التَّقْلِيدِ وزرابتُكَ عَلَيْهِ^(٣) ، ومُؤَاتَرَةُ كُتُبِكَ عَلَى بُعْدِ
دَارِكَ ، وتَقْطِيعُ أَسْبَابِكَ ، وَصَبْرُكَ إِلَى أَوَانِ الْإِمْكَانِ ، واتِّسَاعُكَ عِنْدَ
تَضَايُقِ الْعُنْرِ .

وفهمتُ ، حفظَكَ اللهُ ، كتابَكَ الْأَوَّلَ ، وما حثَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تِبَادُلِ
الْعِلْمِ^(٤) ، والتَّعَاوُنِ عَلَى الْبَحْثِ ، والتَّحَابُّ فِي الدِّينِ ، والنَّصِيحَةِ لِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ .

وقلتَ : اكْتُبْ إِلَى كِتَابٍ تَقْصِدُ فِيهِ إِلَى حَاجَاتِ النُّفُوسِ ، وَإِلَى
صَلَاحِ الْقُلُوبِ ، وَإِلَى مُعْتَلِجَاتِ الشُّكُوكِ ، وَخَوَاطِرِ الشُّبْهَاتِ ، دُونَ الَّذِي
عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ التَّنْطُويلِ ، وَمِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّعْقِيدِ ، وَمَنْ تَكَلَّفَ
مَالًا يَجِبُ ، وَإِضَاعَةً مَا يَجِبُ .

وقلتَ : كُنْ كَالْعُلَمَاءِ الرَّفِيقِ ، وَالْمَعَالِجِ الشَّفِيقِ ، الَّذِي يَعْرِفُ الدَّاءَ
وَسَبَبَهُ ، وَالِدَوَاءَ وَمَوْقِعَهُ ، وَيَصْبِرُ عَلَى طَوْلِ الْعِلَاجِ ، وَلَا يَسْأَمُ كَرَّةَ
التَّرْدَادِ .

(١) هذا العنوان ساقط من ط ، والكلام فيها حصل بما سبق . ومثل ذلك فيما نشره
المستوفى في رسائل الجلاحة ١٤٧ وهو مظنة النقل من ط .

(٢) ط : « قد أعجبتني » بطرح الوصل .

(٣) ط فقط : « ودرايتك عليه » .

(٤) ب ، م : « وما حثت عليه من تبادُل العلم » .

وقلت : اجعل تجارتك التي ليّابها تؤمّل ، وصناعتك التي ليّابها تعتمد - إصلاح الفاسد ، وردّ الشارد .

وقلت : ولا بدّ من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حتم كلّ خاطر ، وقمع كلّ ناجم ، وصرف كلّ هاجس ، ودفع كلّ شاغل ، حتى تتمكّن من الحجّة ^(١) ، وتنهأ بالنعمة ^(٢) ، وتجد رائحة الكفاية ، وتخلّج ببرد اليقين ، وتفضي إلى حقيقة الأمر . إن كان لا بدّ من عوارض العجز ، ولواحق التقصير ، فالبرّ لها أجمل ^(٣) ، والضرر علينا في ذلك أيسر .

وقلت : ابدأ بالأقرب فالأقرب ^(٤) ، وبكلّ ما كان آنق في السمع ، وأحلى في الصدر ، وبالباب الذي منه يؤقّ الرّيش المتكلّف ^(٥) ، والجسور المتعجرف ، وبكلّ ما كان أكثر علماً ، وأنفذ كيّداً .

وسألتنى بتفصيل الاستبّداد ^(٦) ، والعجلة إلى الاعتقاد ، وصفة الأناة ومقدارها ، ومقدمات العلوم ومنتهاتها . وزعمت أنّ من اللفظ ما لا يفهم معناه دون الإشارة ، ودون معرفة السبب والهيئة ، ودون إعادته وكرهه ^(٧) وتحريره واختياره ^(٨) .

(١) ب ، م : « حتى يتمكن من الحجّة »

(٢) ب : « ويهتأ بالنعمة » ، م : « ويتهأ بالنعمة » ، صوابها في ط .

(٣) ب ، م : « فالفروع لها أجل » ، صوابها في ط .

(٤) في الأصول : « بالأخوف فالأخوف » ، صوابها ما أثبت . وانظر ما سيأتي في

٢٩٣ ص ١٠ .

(٥) أصله من الرّيش من النواب ، وهو الذي لم يقبل الرياضة ولم يهر المشية ولم يذل لراكبه ، فالمراد الذي يسر النظام منه . ب ، ط : « المريض » م : « الرّيش » بالباء ، صوابها ما أثبت .

(٦) ب ، م : « بفتح الاستبّداد » ط : « بفتح الاستبّاد » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ب ، م : « دون إعارته وكسوه » ط : « دون إعارته وركه » ويسقط الواو منهما ، صوابها ما أثبت . ولكن : الإعادة ، يقال كر عليه الحديث : أمّاه .

(٨) في جميع النسخ : « وتحديدّه واحتيازه » ، تحريف ما أثبت .

وقلت : فإن أنت لم تصوّر ذلك كلّهُ صورة تُغنى عن المشاهدة ،
وتكفى بظاهاها عن المراسلة ^(١) - أخرجتنا إلى لقائك ، على بُعد دارك ^(٢) ،
وكثرة أشغالك ، وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة .

فكتب لك كتاباً ، أجهدت فيه نفسي ^(٣) ، وبلغت منه أقصى ما يمكن
مثلى فى الاحتجاج للقرآن ، والرّد على كلّ طعان . فلم أدع فيه مسألة
لرافضى ، ولا لحديثى ، ولا لحشوى ، ولا لكافر مبادٍ ، ولا لمنافى مقموع ،
ولا لأصحاب النّظام ، ولمن نجّم بعد النّظام ، ممن يزعم أنّ القرآن
خلق ^(٤) ، وليس تأليفه بحجة ، وأنّه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة .

فلما ظننت ^(٥) أنّى قد بلغت أقصى محنتك ، وأثبت على معنى
صفتك ، أتاني كتابك تذكر أنّك لم تُرد الاحتجاج لنظم القرآن ،
وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن . وكانت مسألتك مبهمّة ، ولم
أك أنّ أحدث لك فيها تأليفاً ^(٦) ، فكتب لك أشقّ الكتابين وأثقلهما ،
وأغمضهما معنى وأطولهما .

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة ، واحتجاج القوم علينا
بمذهب معمر ^(٧) ، وأبى كلّلة ^(٨) ، وعبد الحميد ، وثمّامة ^(٩) ، وكلّ من

(١) ط فقط : « المرسلة » .

(٢) م فقط : « يد دارك » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « أجهدت فيه نفسى » ، صوابه فى ط .

(٤) خلق ، أى مخلوق . وفى جميع النسخ : « حق » .

(٥) ب فقط : « فما ظننت » .

(٦) فى جميع النسخ : « تأليفه » ، والوجه ما أثبت .

(٧) معمر بن عباد السلى ، صاحب فرقة المسمرية من المعتزلة . المثل ١ : ٨٣ / ٢ : ١٦

والمواقف ٦٢٢ والفرق بين الفرق ١٣٦ . وهو يقتضيه الميم كافى لسان للميزان ٦ : ٧١ .

(٨) أبو كلثة : ذكر الجاسط بعض آرائه فى الحيوان ١ : ٢٣٤ / ٣ : ٢٩٥ / ٤ : ٣٣٢ .

(٩) ثمّامة بن أشرس : أحد المعتزلة البصريين . ورد بفتح وواصل هارون وغيره من

الغلاة . وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاسط وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ =

زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجاز دون الحقيقة ، وأن متكلّمي
الحقويّة^(١) والنابتة قد صار لهم بمنظرة أصحابنا ، وبقرائة كتبنا بعض
القطنة - لَمَّا كُتِبَتْ لك ، رغبة بك عن أقدارهم ، وضناً^(٢) بالحكمة عن
إعثارهم^(٣) ، وإنما يكتب على الخصوم والأكفاء^(٤) ، وللأولياء على
الأعداء ، ولئن يرى^(٥) للنظر حقاً ، وللعلم قدراً ، وله في الإنصاف
مذهب ، وإلى المعرفة سبب .

وزعمت أنك لم تر في كتب أصحابنا إلا كتاباً لا تفهمه ، أو
كتاباً وجدت الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت .

وقلت : وإياك أن تتكل على مقدار ما عندهم ، دون أن تعتمر^(٦)
قوى باطلهم ، وتوثقهم جميع حقوقهم ، وإذا تغلّدت الإخبار عن
خصمك فحطه كحياطتك لنفسك ، فإن ذلك أبلغ في التعليم ،
وأيّس^(٧) للخصوم .

« وانظر البيان : ١٠٥ وحيون الأخبار ٣ : ٣٧ وتأويل مختلف الحديث ٦٠ والفرق ١٥٩ ولسان
الميزان ٢ : ٨٤ .

(١) الحشوية : بفتح الحين وسكونها ، فبالسكون نسبة إلى الحشو ، وبالفتح نسبة إلى الحشا ،
لأن الحسن البصري أمر بدم إلى حشا الحلقة ، أي جانبها ، وهم طائفة اخطف العلماء في تعريفها .
فابن تيمية المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر في تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التي كان
أهل الحديث يلقبون بها . قال : « وقد لقيوم بالحشوية والنابتة والمهيرة » . وقال النووي في
كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبرية أصحاب الحديث منهم سفيان بن سعيد الثوري ، وشريك بن عبد
الله ، وابن أبي ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومالك بن أنس ، ونظر أؤم من أهل الحشو
والجمهور العظيم . وقد سما الحشوية . ويطلقون هذا اللفظ أيضاً على المشبهة الذين يشبهون الله
بخلقه وكذا على المجسمة . انظر شفاء الغليل ٧١ . وفي ب ، م : « الحشوة » ، صوابه ق ط .

(٢) ب ، م : « وضناً » ، صوابه ق ط .

(٣) أعثره على الأمر : أظلمه عليه . وفي التنزيل العزيز : « وكذلك أعثرنا عليهم » ،
أي أظلمنا .

(٤) ب فقط : « عن الخصوم والأكفاء » .

(٥) ب ، م : « لمن يرى » يسقط الواو .

(٦) ب ، م : « تقتصر » ، صوابه ق ط .

(٧) ب ، م : « وأيّس » .

وقلت : وزعموا أَنَّهُ يُلْزَمُكَ أَنْ تَزْعِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ إِلَّا عَلَى الْمَجازِ ، كما أُلْزِمَ ذَلِكَ نَفْسُهُ ^(١) مَعْمَرٌ وَأَبُو كَلْدَةَ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ وَثُمَامَةُ ، وَكُلٌّ مِّنْ ذَهَبٍ مَذْهَبِهِمْ ، وَقاسَ قِياسَهُمْ .

فَتَفَهَّمُ - فَهَمَّكَ اللَّهُ - ما أَنَا واصِفُهُ لك ، ومُورِدُهُ عَلَيْكَ ^(٢) :

اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ يُلْزِمُهُمْ ما أُلْزِمُوهُ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِعَجْزِهِمْ عَنِ التَّخَلُّصِ بِحَقِّهِمْ ، وَإِلَّا لَدَّاهِهِمْ عَنِ قَوَاعِدِ قَوْلِهِمْ ^(٣) ، وَفِرَاقِ أَصُولِهِمْ ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُضَيِّفَ الْعِجْزَ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ إِلَى أَصْلِ مَقَالَتِهِمْ ، وَتَحْمِلَ ذَلِكَ الْخَطَأَ عَلَى غَيْرِهِمْ ^(٤) . فَلَرُبَّ قَوْلٍ شَرِيفٍ الْحَسْبُ ، جَيْدُ الْمُرَكَّبِ ، وَافِرُ الْإِعْراضِ ، بَرِيءٌ مِنَ الْعُيُوبِ ، سَلِيمٌ مِنَ الْأَقْفَنِ ، قَدْ ضَيَّعَهُ أَهْلُهُ ، وَهَجَّنَهُ الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهِ ، فَأُلْزِمُوهُ ما لَا يُلْزِمُهُ ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ ما لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ .

ولو زعم القومُ على أَصْلِ مَقَالَتِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْجِسْمُ دُونَ الصَّوْتِ وَالتَّقْطِيعِ ، وَالنَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِصَوْتٍ وَلَا تَقْطِيعٍ وَلَا تَأْلِيفٍ ، إِذْ كَانَ الصَّوْتُ عِنْدَهُمْ لَا يُخْتَرَعُ كاخْتِرَاعِ الْأَجْسامِ الْمَصْورَةِ ^(٥) ، وَلَا يَحْتَمِلُ التَّقْطِيعَ كاحْتِمَالِ الْأَجْرامِ الْمُتَجَسِّدَةِ ، وَالصَّوْتُ عَرَضٌ ، لَا يَحْدُثُ مِنْ جَوْهَرٍ إِلَّا بِدُخُولِهِ جَوْهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ ، وَمَحالٌّ أَنْ يَحْدُثَ إِلَّا وَهناكَ جِسْمَانِ قَدْ صُلِّحَ أَحَدُهُما صَاحِبَهُ ، وَلَا بَدَنٌ مِنْ مَكَانَيْنِ : مَكَانٍ زَالَ عَنْهُ ، وَمَكَانٍ آلَ إِلَيْهِ . وَلَا بَدَنٌ مِنْ هَوَاءٍ بَيْنَ الْمُضْطَبَّكَيْنِ . وَالْجِسْمُ قَدْ يَحْدُثُ وَحْدَهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرِهِ ، وَالصَّوْتُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

(١) ط ققط : « لنفسه » .

(٢) ط ققط : « ومورد عليك » .

(٣) ب ، م : « عواقب قولهم » .

(٤) ب ، م : « ولجل » تحريف . وفي م أيضاً : « الخطأ » تحريف .

(٥) ب ، م : « للصورة » ، صوابه في ط .

والعرض لا يَقُوم بنفسه ، ولا بدّ من أن يقوم بغيره ، والأعراض من أعمال الأجسام ، لا تكون إلّا منها ، ولا توجد إلّا بها وفيها^(١) .
والجسم^(٢) لا يكون إلّا من جسم ، ولا يكون إلّا من مخترع الأجسام .
وليست لكون الجسم من الله علّة توجبه ، ولا يحدث إذا حدث إلّا اختياراً ، وإلّا ابتداءً واختراعاً . والصّوت لا يكون إلّا عن علّة موجبة ، ولا يكون إلّا تولّداً ونتيجةً ، ولا يحدث إلّا من جرّمين ، كاصطكاك الحجرين ، وكقرع اللسان باطن الأسنان ، وإلّا من هواء يتضاغط^(٣) ، وريح تخنق^(٤) ، ونارٍ تلتهب . والريح عندهم هواءٌ تحرّك ، والنار عندهم ريحٌ حارّة . هكذا الأمر عندهم .

قلو قالوا : لا يكون الشيء مخلوقاً في الحقيقة ، دون المجازِ وعلى مجازي اللغة ، إلّا وقد بان الله عز وجل باختراعه ، وتولّاه بابتداعه ، وكان منه على اختيار ، والابتداع^(٥) : الذي يمكن تركه وإنشاء عقيبه بدلاً منه ، على ما كان يوكدّه^(٦) ، ونتيجته من أجسام يستحيل أن يُخلّق من أفعالها ، ويجلبها الله تعالى منها^(٧) .

والقرآن على غير ذلك ، جسمٌ وصوت ، وذو تأليف وذو نظم ، وتوقيع وتقطيع ، وخلق قائم بنفسه ، مستغن عن غيره ، ومسموع في الهواء^(٨) ، ومرئى في الورق ، ومفصل وموصل ، واجتماع وافتراق ،

(١) ب ، م : « لا يكون » و « ولا يوجد » بالياء فهما ، والصواب من ط .

(٢) ب فقط ، « من الجسم » ولا وجه له .

(٣) ب ، م : « والامر هواء يتضاغط » ، تحريف .

(٤) ب : « تخنق » ، م « تخنق » محرف .

(٥) ب : « والابتداء » ، صوابه ق م ، ط .

(٦) ب : « يولده » م : « تولده » ، وأثبت ماق ط .

(٧) م : « ويحملها » ط : « ويحملها » ، وأثبت ماق ب .

(٨) ب ، ط : « في الهواء » ، صوابه ق م .

ويحتمل الزيادة والنقصان ، والفناء والبقاء ، وكل ما احتملته الأجسام ، ووُصِفَتْ به الأجرام . وكل ما كان ^(١) كذلك فمخلوق في الحقيقة دون المجاز وتوسّع أهل اللغة .

فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا في القياس ، ووافقوا أهل الحق ، وكانوا مع الجماعة ، ولم يُضَاهُوا أهل الخلاف والفرقة ، ولم يَصِمُوا أنفسهم ^(٢) بقول المشبهة ، إذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل ، وبه أشبه .

ولا يجوز أن أذكر موافقني لهم ، ومخالفني عليهم في صدر هذا الكتاب ، لأنّ التبشير في وضع الكتاب ، والسياسة في تعليم الجهال أن يُبَدَأَ بالأوضح فالأوضح ، والأقرب فالأقرب ، وبالأصول قبل الفروع ، حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس .

وأخير الكلام لا يفهم - أرشدك الله - ولا يتوهم إلّا على ترتيب الأمور ، وتقليم الأصول . فإذا رتبنا الأمور ، وقلمنا الأصول صارت أواخر المعاني في الفهم كأوائلها ، ودقيقها كجليلها ^(٣) .

٢ - فصل منه

وقد علمنا أنّ بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الإسلام أعظم فريته ^(٤) ، وأشدّ بليّة ، وأشنع كفرًا ، وأكبر إثمًا من كثير بما أجمعوا على أنّه كفر .

(١) ب ، م : « وكلما كان » خطأ كتابي . وفي ط : « كل ما » بدون واو .

(٢) في جميع النسخ : « ولم يفهموا أنفسهم » .

(٣) ط فقط : « ورفيقها كجليلها » ، تحريف .

(٤) الفرية ، بكسر الفاء : الاسم من الافتراء ، وهو الاختلاق والكلب . ب فقط :

« فرية » محرف .

وبعد ، فنحن لم نكفر إلا من أوسعناه حجة ، ولم نمتحن إلا أهل
 التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس^(١) ، ولا امتحان الظنين من
 هنك الأمصار . ولو كان كل كشف هنكاً ، وكل امتحان تجسساً^(٢) ،
 لكان القاضي أهتك الناس لستر ، وأشد الناس كشفاً لعورة .

والذين خالفوا في الرّش إنما أرادوا نفى التشبيه فغلطوا ، والذين
 أنكروا أمر الميزان^(٣) إنما كرهوا أن تكون الأعمال أجساماً وأجراماً
 غلاظاً . فإن كانوا قد أصابوا فلا سبيل عليهم ، وإن كان قد أخطوا
 فإن خطأهم لا يتجاوزهم إلى الكفر . وقولهم وغلطهم بعد ظهور
 الحجة تشبيه للخالق بال مخلوق^(٤) ، فبين المذهبيين أبين الفرق^(٥) .
 وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم ، يوم جمع الفقهاء والمتكلمين
 والقضاة والمخلصين ، إعداراً وإنذاراً : امتحنتي وأنت تعرف ما في
 المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتي من بين جميع هذه الأمة !
 قال المعتصم : أخطأت ، بل كذبت ، وجدت الخليفة قبلي قد حبسك
 وقبلك ، ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ، ولو لم
 يخفك على الإسلام ما عرض لك ، فسؤالي إياك عن نفسك ليس من
 البخنة ، ولا من طريق الاعتصاف^(٦) ، ولا من طريق كشف العورة ،
 إذ كانت حالك هذه الحال ، وسبيلك هذه السبيل .

وقيل للمعتصم في ذلك المجلس : ألا تبعث إلى أصحابه حتى
 يشهدوا إقراره ، ويعاينوا انقطاعه ، فينقض ذلك استبصارهم ، فلا يمكنه

(١) م : « من التجسس » ، وما بنى ، وبه فسر قوله تعالى : « ولا تجسسوا » .

(٢) م : « تجسس » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) ب ، م : « والذين أنكروا متناكم في الميزان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) ب ، م : « التلق بالخلق » ، والصواب من ط .

(٥) ب : « الفرق » ، تحريف ما أثبت من م ، ط .

(٦) ولا من طريق الاعتصاف ، ساقط من م .

جَعَدُ مَا أَقْرَبَهُ عِنْدَهُ^(١) ؟ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : لَا أُرِيدُ أَنْ أُوتَى يَقُومَ لِنِ انْتِهَمُهُمْ مُبِزَّتُ فِيهِمْ بِسِيرَتِي فِيهِمْ^(٢) ، وَإِنْ بَانَ لِي أَمْرُهُمْ أَنْفَلْتُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَهُمْ مَا لَمْ أُوتَ بِهِمْ^(٣) كَسَائِرِ الرِّعْيَةِ ، وَكَفَيْهِمْ مِنْ عَوَامِ الْأُمَّةِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ^(٤) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ السُّتْرِ ، وَلَا شَيْءٍ أَوْلَى بِي مِنَ الْأَنَاءَةِ وَالرَّفَقِ .

وما زال به رفيقاً ، وعليه رقيقاً ، ويقول : لَأَنْ أَسْتَحْيِيكَ بِحَقِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ بِحَقِّ ! حَتَّى رَأَاهُ يُعَانِدُ الْحِجَةَ ، وَيَكْذِبُ صُرَاحاً عِنْدَ الْجَوَابِ . وَكَانَ آخِرَ مَا عَانَدَ فِيهِ ، وَأَنْكَرَ الْحَقَّ وَهُوَ يَرَاهُ ، أَنْ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي ثَوَابٍ^(٥) قَالَ لَهُ : أَلَيْسَ لَا شَيْءَ إِلَّا قَلِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوَ لَيْسَ الْقُرْآنُ شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوَ لَيْسَ لَا قَدِيمٌ^(٦) إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَالْقُرْآنُ إِذَا حَدِيثٌ ؟ قَالَ : لَيْسَ أَنَا مُتَكَلِّمٌ^(٧) .

وكذلك كَانَ يَصْنَعُ فِي جَمِيعِ مَسَائِلِهِ ، حَتَّى كَانَ يَجِيبُهُ فِي كُلِّ مَا سَأَلَ عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمُخْتَقَ^(٨) ، وَالْمَوْضِيعَ الَّذِي لَنْ قَالَ فِيهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً بَرَى مِنْهُ أَصْحَابَهُ قَالَ : لَيْسَ أَنَا مُتَكَلِّمٌ !

(١) ب ، م : « جَعَلَهَا أَقْرَبَهُ عِنْدَهُ » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « فِيهِ » .

(٣) ب ، م : « مَا لَمْ أُوتَ بِهِمْ » ، صوابه في ط .

(٤) م ، ط : « وَمَا شَيْءٌ » .

(٥) في جميع النسخ : « أَبِي ثَوَابٍ » ، تحريف .

(٦) ب : « لَوْلَيْسَ إِلَّا قَدِيمٌ » .

(٧) كلاً في جميع الأصول ، في هذا الموضع وتاليه في آخر هذه الصفحة .

(٨) في اللسان : « يُقَالُ بَلَغَ مِنْهُ الْحَقُّ » ، وَأَخْفَتَ بِمَخْفَتِهِ ، أَيْ مَوْضِعَ الْخَلْقِ . وَأَنْشَدَ ابْنُ بَرِي

لَأَبِي النَّجْمِ :

« وَالنَّفْسُ قَدْ طَارَتْ إِلَى الْحَقِّ » .

وفي م ، ط : « الْمُخْتَقُ » ، تحريف .

فلا هو قال في أوّل الأمر : لا علم لي بالكلام ، ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة^(١) ، خَصَّصَ للحق . فمقتة الخليفة ، وقال عند ذلك : أف لهذا الجاهل مرّة ، والمُعَانِد مرّة .

وأما الموضع الذي واجه فيه الخليفة بالكذب ، والجماعة بالقيّة^(٢) ، وقلع الاكتراث وشدة التّصميم ، فهو حين قال له أحمد بن أبي دُواد^(٣) : نزعم أنّ الله رب القرآن ؟ قال : لو سمعتُ أحداً يقول ذلك لقلت . قال : أفما سمعتَ ذلك قطُّ من حالفٍ^(٤) ولا سائل ، ولا من قاص ، ولا في شعر ، ولا في حديث ؟ !

قال : فعرف الخليفة كذبه عند المسألة ، كما عرف عُنُوده^(٥) عند الحجة .

وأحمد بن أبي دُواد^(٦) - حفظك الله - أعلم بهذا الكلام ، وبغيره من أجناس العلم ، من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة ، ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة . ولكنه أراد أن يكشف لهم جرّأته^(٧) على الكذب ، كما كشف لهم جرّأته^(٨) في المعاندة . فعند ذلك ضربته الخليفة .

وأية حجة لكم في امتحاننا لإياكم ، وفي إكفارنا لكم .

وزعم يومئذٍ أنّ حكم كلام الله كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن

(١) ب ، م : « ظهور الحجة والحجة » .

(٢) القصة : الوقاحة . ب فقط : « بالحققة » ، تحريف .

(٣) في جميع النسخ : « داود » ، تحريف .

(٤) ط ، م : « خالف » بالغاء المعجمة .

(٥) المتوّد والمعاد : الميل عن الحق . ط فقط : « عناده » .

(٦) في جميع النسخ : « داود » .

(٧) ب : « جرأته » ، وأثبت ما في م ، ط .

(٨) ب ، م : « جرأته » ، وأثبت ما في ط .

يكون علمه مُحدثاً ومخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً مُحدثاً . فقال له : أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وأن يذهب بهذا القرآن ، ويأتى بغيره ، وكل ذلك فى الكتاب مسطور ؟ قال : نعم . قال : فهل كان يجوز هذا فى العلم ، وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ، ويذهب به ، ويأتى بغيره ؟ قال : ليس ^(١) .

وقال له : رَوَيْنَا فى تثبيت ما نقول ^(٢) الآثار ، وتَلَوْنَا عليك الآية من الكتاب ، وأريناك الشاهد من النُّقُول ^(٣) التى بها لَزِمَ النَّاسُ الفرائضُ ، وبها يَفْصَلُونَ بين الحقِّ والباطل ، فعارضنا أنت الآن بواحِدَةٍ من الثلاث . فلم يكن ذلك عنده ، ولا استخْرِى من الكذب عليه فى غير هذا المجلس ^(٤) ، لأنَّ عِلَّةَ مَنْ حضره أَكْثَرُ من أن يُطْمَع أحداً أن يكون الكذبُ يجوز عليه . وقد كان صاحبكم هذا يقول : لا نَقِيَّةَ إِلَّا فى دار الشُّرك . فلو كان ما أَقرَّ به من خَلَقَ القرآن كان منه على وجه التَّقِيَّةِ فقد أَعْمَلَ التَّقِيَّةَ ^(٥) فى دار الإسلام ، وقد أَكْذَبَ نفسه . وإنَّ كان ما أَقرَّ به على الصَّحَّةِ والحقيقة فليَسَمَنَّ منه ، وليس منكم . على أَنَّهُ لم ير سيفاً مشهوراً ، ولا ضُرِبَ ضَرْباً كثيراً ، ولا ضُرِبَ إِلَّا ثَلَاثِينَ سَوْطاً مقطوعة الثُّمار ^(٦) ، مشعَّة الأطراف ^(٧) ، حتَّى أَفْصَحَ بالإقرار مراراً . ولا كان فى مجلس

(١) ط : « قال : لا » .

(٢) ط فقط : « تقول » بالياء ، بحرف .

(٣) فى جميع النسخ : « النقول » .

(٤) ب ، م : « ولا استخرنا الكذب عليه » ، صوابه فى ط . وفى ط : « فى هذا المجلس » ،

صوابه فى ب ، م .

(٥) ط فقط : « فقد أعلمها » .

(٦) ثمرة السوط : عقدة طرفه . وفى حديث الحد : « فأتى بسوط لم تقطع ثمرته » .

(٧) ط : « مشعبة الأطراف » . وتشعيت الشيء : تفرقته .

ضيقٌ ، ولا كانت حاله حال مؤيسة ، ولا كان مثقلاً بالحديد ، ولا خلج قلبه بشدة الوعيد . ولقد كان يُنَازِعُ بآلِيْنِ الكلام ، ويُجيب بأغلف الجواب ، وَيَرُونُون وَيَخْفُ ، وَيَحْلُمُون وَيَطِيشُ ^(١) .

وعبتم علينا لإكفارنا إياكم ، واحتجنا عليكم بالقرآن والحديث : وقلم: تُكْفِرُونَنَا على إنكار شيء يحتمله التأويل ^(٢) ، ويشئت بالأحاديث ، فقد ينبغي لكم أن لا تحجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن ، وأن لا تُكْفِرُوا أحداً خالفكم في شيء وأنتم أسرُ الناس إلى إكفارنا ، وإلى ^(٣) عداوتنا والنصب لنا .

٣ - فصل منه

وأصحابنا - حفظك الله - إذا قاسوا خطأهم ، ومروا على غلطهم فلنما ينقضون به شيئاً من الرّض والجور ، وشيئاً من قولهم في المعلوم والمجهول فقط . وهم قوم يكفّهم من التنبيه ^(٤) أقله ، ومن القول أيسره . وخطأ الثابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح ، وكفر مُجلح ^(٥) ، فليس هذا الجنس من ذلك الجنس . والحمد لله .

وأما إخبارهم عن عيبنا إياهم حين لم يقولوا : إن الله تعالى رب القرآن ، وفينا من يقول : إن الله تبارك وتعالى رب الكفر والإيمان ،

(١) ب فقط : « ويحلمون » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ط : « يحتمل التأويل » .

(٣) ب فقط : « أو لك » .

(٤) في جميع النسخ : « التنبيه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) يقال صرح الشيء ، إذا كشف عنه وأظهره ، وصرح هو إذا انكشف ، ومنه قول

شهر بن شيبان في الحماسة ٣٤ :

ظلماً صرح الشر ظلماً سي وهو منسيران

والجلج ، بالبناء لقاعل أيضاً : الجري ، وهو من التجليج ، وهو الإقدام على الشر وتكثيف العداوة وتصريحها ، كما في أساس البلاغة .

فإننا لم نَسَلِّمْ^(١) عن ذلك من جهة ما يتوهمون ، وإنما سألناهم عنه بجحدهم ما يَرَوْنَ بأبصارهم ، ويسمعون بأذانهم ، في الأشعار المعروفة ، وفي الخطب المشهورة ، وفي الابتهاال^(٢) عند الدعاء ، وعلى ألسنة العوام والدُّعَاءِ^(٣) ، وعند المهود والأعيان ، وعند تعظيم القرآن ، وبما يسمعون من السُّؤَالِ في الطُّرُقَات ، ومن القُصَّاص في المساجد ، لا يَرَوْنَ عَائِباً^(٤) ، ولا يسمعون زائراً^(٥) . وليس أننا جعلنا هذا مسألة على من أنكر خَلْقَ القرآن ، ولكننا أردنا أن نبين للضعفاء معاندتهم ، وفِرَارهم من البَهِتِ ، ومكابرتهم إذا سمعوا أنهم لم يسمعوا النَّاسُ يقولون : وربُّ القرآن ، وربُّ ياسين ، وربُّ طه ، وأشياء ذلك .

ولعمري أن لو سمعوا النَّاسُ يقولون عند أيمانهم وابتهاالهم إلى ربهم ، على غير قصدٍ إلى خلافٍ ولا وفاق : وربُّ الزُّنَى والسَّرِقِ^(٦) ، وربُّ الكفْرِ والكذب ، كما سمعهم يقولون^(٧) : وربُّ القرآن ، وربُّ يَسَ ، وربُّ طه ! ثم ألزمنهم خَلْقَ القرآن بمثل ما لهم علينا في خَلْقِ الزُّنَى - لقد كان ذلك معارضةً صحيحةً^(٨) ، وموازنة معروفة .

وأما قولهم : إنَّ معنا العامة ، والعُبَادَ ، والفقهاء ، وأصحاب الحديث ، وليس معهم إلَّا أصحابُ الأهواء ، ومن يأخذ دينه من أوَّل

(١) ب : « تسالم » ، صوابه ق ب ، ط .

(٢) ب ، م : « وفي ابتهاال » .

(٣) والدُّعَاءُ ، ساقطة من ط .

(٤) م ، ط : « غالباً » بالثنية المجمة ، صوابه ق ب .

(٥) زرى عليه وأزرى : عاب . وفي ب : « زلوايا » صوابه ق م ، ط .

(٦) السرق ، بالتحريك ، وككفت : البرقة . وفي ط : « والسرقة » وفي ب :

« وورب السرقة » .

(٧) ب ، م : « كما سمعوا وهم يقولون » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب : « مملوطة صحيحة » .

الرجال^(١) ، فأى صاحب هو - يرحمك الله - أبعد من الجماعة من الرافضة ، وهم في هذا المعنى أشقاؤهم^(٢) وأولياؤهم ، لأن ما خالفهم فيه صغير في جنب ما وافقهم عليه ، والذين سموهم أصحاب أهواءهم المتكلمون ، والمصلحون والمستصلحون ، والمميزون^(٣) . وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقللون ولا يحصلون ، ولا يتخيرون ، والتقليد مروض عنه^(٤) في حجة العقل ، منهى عنه في القرآن^(٥) ، قد عكسوا الأمور كما ترى ، ونقضوا العادات . وذلك أننا لا نشك أن من نظر ويبحث ، وقابل ووازن^(٦) ، أحق بالتبين ، وأولى بالحجة .

وأما قولهم : منّا النساك والعباد ، فعباد الخوارج وحدهم أكثر عدداً من عبادهم ، على قلة عدد الخوارج في جنب عددهم ، على أنهم أصحاب نية^(٧) ، وأطيب طعمة^(٨) ، وأبعد من المكسب ، وأصلق ورعاً ، وأقل رياء^(٩) ، وأدوم طريقة ، وأبذل للمهجة ، وأقل جمعاً ومنعاً ، وأظهر زهداً وجهداً . ولعل عبادة عمرو بن عبديّة تفي بعبادة عامة عبادهم . وأما قولهم : إن للقرآن قلباً وسناً ولساناً وشفعتين ، وأنه يقلّس ويشفع ويمحل^(١٠) ، فإن هذا كله قد يجوز أن يكون مثلاً ، ويجوز أن

(١) ب ، م : « من أكل الرجال » .

(٢) في جميع الأصول : « أشقاؤهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) والمميزون ، ساقط من ط .

(٤) ب ، م : « عليه » ، صوابه في ط .

(٥) ط فقط : « في القراء » ، تحريف .

(٦) ط : « ووزن » ، تحريف .

(٧) ب : « نية » ، تحريف .

(٨) الطعمة ، بالضم : وجه المكسب . وبالكسر : السيرة في الأكل .

(٩) هذا ما في ب . وفي م : « رأيا » ، وفي ط : « زيا » .

(١٠) التفتيس : التطهير والتبريك . ومنه الأرض المقدسة . ويعمل ، أي يعمل بصاحبه ، إذا لم يتنجس ماله وإذا هو ضيقه ، أي يترسه الهلكة . وفي الحديث عن ابن مسعود : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وماسل مصفق » . وانظر اللسان (ج ١ : ١٢١) .

يجعله الله كذلك إذا كان جِسْماً ، والله على ذلك قادر ، وهو له غير مُعْجَز ، ومنه غير مستحيل . وكلُّ فعل لا يكون عيباً ، ولا ظلماً ولا بخلاً ولا كذباً ، ولا خطأً^(١) في التدبير ، فهو جائز ، والتعجب منه غير جائز .

٤ - فصل منه

وما أَكْثَرَ من يُجِيب في المسائل ، ويؤلِّف الكتب على قدر ما يَسْنَح له في وهمه ، وعلى قدر ما يتصور له في حاله تلك ، لا يعمل على أصل^(٢) ، أو لا يشر^(٣) بالذي اتبني عليه ذلك الأصل^(٤) ، وإن كان ممن يعمل على أصل .

وإنما صار علماؤنا إلى ما صاروا إليه لأنهم لا يقفون من القول في خلق القرآن على جواب مهلَّب ، ومذهب مصقَّى ، وعلى قول مفروغ منه ، وعلى جوابات بأعيانها . فقد ردُّوا فيها النظر ، وامتنحوا بأغظ اليحسَن ، وقلَّبوا أكثر التقلب^(٥) ، وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير ، وتعرفوا كلُّ ما فيها ، واحتصروا جميع قواها ، وسهلوا سبلها ، وذلَّلوا العبارة عنها^(٦) ، احتقاراً منهم لمن خالفهم ، واتكالا على طول السلامة منهم ، وثقة بطول الظفر بهم .

ومن تمام أمر صاحب الحق أن لا يتكل على عجز الخصم ، وأن لا يُعْجَبَ بظهوره^(٧) على من لاحظ له في العلم .

(١) الخطاء ، كسحاب : الخطأ . ط : قط : « خطأ » .

(٢) ط : « على أصله » .

(٣) في الأصول : « ولا يشر » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ج ، م : « في الذي عليه ذلك الأصل » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « وقلَّبوا » قط .

(٦) ط : « وذلَّلوا العبارة عنها » ب : « وذلَّلوا العبارة عنها » ، صوابه في م .

(٧) ظهر عليه : ظيه . ج ، م : « بظهور » ، وأثبت ما في ط .

وعلى العلماء أَنْ يخافوا دُونَ الْعِلْمِ^(١) ، كما يخافُ الملوكُ دولَ الْمُلْكِ . وقد رأيتُ الْبَكْرِيَّةَ^(٢) ، وَالْجَبْرِيَّةَ ، وَالْفَضْلِيَّةَ^(٣) ، وَالشُّرَيْبِيَّةَ^(٤) وَإِنَّهُمْ لَأَحْفَرُ عِنْدَ الْمُتَزَلِّ مِنْ جُلٍّ^(٥) ، مِمَّا زَالُوا يَسْتَفُونُ^(٦) مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، وَيَسْمَلُونَ مِنْ كِبَرَائِهِمْ ، وَيَتَرُسُونَ كِسْبَهُمْ ، وَيَأْخُذُونَ أَلْفَاظَهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، حَتَّى رَأَيْتُ شَبِيبَتَهُمْ وَنَابَتَهُمْ^(٧) ، يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَكْثَاءُ ، وَيَجْمَعُ بَيْنَهُمْ فِي الْبَلَاءِ . وَالنَّابَةُ الْيَوْمَ فِي التَّشْبِيهِ^(٨) مَعَ الرَّافِضَةِ ، وَهُمْ دَائِبُونَ^(٩) فِي التَّأَلُّمِ مِنَ الْمُتَزَلَّةِ . غَدَرَهُمْ كَثِيرٌ^(١٠) ، وَنَصَبُهُمْ شَلِيدٌ ، وَالْعَوَامُّ مَعَهُمْ ، وَالْحَشْوُ يُطِيعُهُمْ^(١١) .

الآن^(١٢) مَعَكَ أَمْرَانِ : السُّلْطَانُ وَمِثْلُهُمْ لِإِيهِ ، وَخَوْفُهُمْ مِنْهُ .
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

- (١) التول : جمع حولة ، وهى الانتقال من حال إلى حال .
(٢) البكرية : اتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد . وقد ذكرهم البندائى فى الفرق فى فصل مع الجهمية والضرارية . الفرق ١٩٩ والفصل ٤ : ١٩١
(٣) الفضلية الذين يمتنعهم الجاحظ ، هم أتباع الفضل بن عيسى الرقاشى البصرى . وهم طائفة من المعتزلة . وهناك فضلية الثموراج ، ينسبون إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ والبيان ١ : ٣٠٦ .
(٤) الشريفة ، بالشين المسجمة المكسورة والميم المشددة المفتوحة ، كما فى السماعاتى ٣٣٨ . قال : « والمشهور هذه النسخة عمرو بن أبى عثمان الشمرى ، رأس المعتزلة » .
(٥) الجبل : دوية شبيهة بالخضراء ، يقرب بها المثل فى الحقايرة والموان ، وفى الصوق بالإنسان يقبضه إلى لفائف ، إذ قالوا : « أفسق من جبل » . حياة الحيوان للصيرى . و« من جبل » من طقط .
(٦) ب ، م : « يسبقون » ، صوابه فى ط .
(٧) ب : « شيتهم ونابيتهم » م : « شيتهم ونابيتهم » ط : « شيتهم ونابيتهم » ، والرجح ما أثبت .
(٨) فى جميع النسخ : « فى التشبيه به » ، وكلمة « به » مقحمة .
(٩) ب : « دابنون » ، صوابه فى م ، ط .
(١٠) ط : « عدهم كثير » .
(١١) ب ، م : « يطيعهم » .
(١٢) ب ، م : « إلا أن » .

١٠

من كتابه في
الرد على النصارى

١ - فصل من صدر كتابه في

الرد على النصارى^(١)

الحمد لله الذى مَنَّ علينا بتوحيده ، وجعلنا من بنى شبهة خلقه^(٢) وسياسة عبادِه^(٣) ، وجعلنا لا نفرق بين أحدٍ من رُسُلِه ، ولا نجحد كتاباً أَوْجَبَ علينا الإقرار به ، ولا نُضيف إليه ما ليس منه ، إنه حميدٌ مجيدٌ ، فعَالٌ لما يريد .

أما بعدُ فقد قرأتُ كتابكم ، وفهمت ما ذكرتم فيه^(٤) من مسائل النصارى قبلكم ، وما دخلَ على قلوب أحدائكم وضُغائِكُم من اللبس ، والذى خُفِتموه على جواباتهم من العجز ، وما سألتُم من إقرارهم بالمسائل ، ومن حُسن معونتهم بالبحرَاب .

وذكرتم أنهم قالوا : إِنَّ الدَّلِيلَ على أَنَّ كتابنا باطلٌ ، وأمرنا فاسدٌ ، أننا ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ، ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأننا نَزَعُ أَنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ قال في كتابه على لسانِ نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ لِهَيْبَتِي مِنْ دُونِ اللهِ^(٥) ﴾ ، وأنهم زعموا أنهم لم يَكِينُوا قطُّ بأنَّ

(١) نشر هذا الاختيار من قبل ، بعد ظهوره على هامش الكامل ، في مجموعة يوشع فنكل ، وعنوانها (ثلاث رسائل لأبي حنَّان عمرو بن بحر الجاحظ) وطبعت في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ . وجعلت هذه المجموعة هدية من مجلة الزهراء التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب ، إلى قرائها في السنة الثانية . والرسالة التي تليها هي (ذم أخلاق الكتاب) ، ثم (رسالة القيان) . وقد قُتِ بِنَشْرَهِمَا تَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ في الجزء الثاني من الرسائل في الصفحات ١٣٩ - ٢٠٩ .

(٢) يعني كونه مخلوقاً .

(٣) إشارة إلى ما يرى المعتزلة من أنه غير خالق لأفعال العباد ، فهم يخلقون أفعالهم ويريدونها ، فيحاسبون على ما فعلوا .

(٤) ب : « من ما ذكرتم » .

(٥) الآية ١١٦ من سورة المائدة .

مريم لآله في سرهم ، ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم . وأنهم زعموا أننا ادعينا عليهم ما لا يعرفون ، كما ادعينا على اليهود ما لا يعرفون ، حين نطق كتابنا ، وشهد نبينا : أن اليهود قالوا : إن عزيزاً ابن الله ^(١) ، وإن يد الله مغلوله ^(٢) ، وإن الله فقير وهم أغنياء ^(٣) . وهذا ما لا يتكلم به إنسان ، ولا يعرف في شيء من الأديان .

ولو كانوا يقولون في عزيز ^(٤) ما تحلقتمون وادعيتموه ، لما جحلوهم من دينهم ، ولما أنكروا أن يكون من قولهم ، ولما كانوا بإنكار بؤنة عزيز أحق منا بإنكار بؤنة المسيح ، ولما كان علينا منكم بأس بعد عقد اللمة ، وأخذ الجزية .

وذكرتم أنهم قالوا : ومما يدل على غلطكم في الأخبار ، وأخذكم العلم عن غير الثقات ^(٥) ، أن كتابكم ينطق : أن فرعون قال لإهمان : ﴿ ابن لي صرحاً ^(٦) 》 . وهامان لم يكن إلا في زمن القرس ، وبعد زمن فرعون بدهر طويل ، وإن ذلك معروف عند أصحاب الكتب ، مشهور عند أهل العلم . وإنما اتخذ صرحاً ليكون إذا علاه أشرف على الله . وفرعون لا يخلو من أن يكون جاحداً لله تعالى ، أو مقراً به . فإن كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحدته ، فما وجه اتخاذه المصريح وطلب الإشراف ، وليس هناك شيء ولا إله ؟

(١) ب : « عزيز ابن الله » .

(٢) إشارة إلى الآية ٦٤ من المائدة .

(٣) إشارة إلى الآية ١٨١ من آل عمران .

(٤) ب فقط : « يقولون في شيء في عزيز » .

(٥) في جميع النسخ : « الثقات » ، وهو خطأ فادح في الرسم الذي يوجب رسم تاء جمع المؤنث السالم مبسوطة .

(٦) من الآية ٣٦ في غافر .

(٧) م فقط : « لم يكن في زمن القرس » ، تحريف .

وإن كان مُعْرِياً بالله عارفاً به ، فلا يخلو من أن يكون مُشْبِهاً أو نافياً للتشبيه . فإن كان من يَنْفِي الطُّول والْعَرْض والْعُمُق والخُلُود والْجِهَاتِ ، فما وَجْهُ طلبه له في مكانٍ بعينه ، وهو عنده بكلِّ مكان ؟ وإن كان مُشْبِهاً فقد عَلِمَ أَنَّهُ ليس في طاقةِ بَنِي آدَمَ أن يَبْنُوا بُنياناً ، أو يرفعوا صَرحاً يَخْرِقُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بِأَعْمَاقِهِنَّ ، والأجزاء التي بَيْنَهُنَّ ، حَتَّى يَحَاضِيَ^(١) العَرْشَ ثُمَّ يَعلُوهُ .

وفرعونُ وإن كان كافراً فلم يكن مجنوناً ، ولا كان إلى نَقْصِ العقلِ من بَيْنِ المُلُوكِ مُنْسُوباً . على أَنَّ الحُكْمَ قد يَقُومُ^(٢) بِعُقُولِ المُلُوكِ بِالْفَضِيلَةِ على عُقُولِ الرعية .

وذكرتم أَنَّهُمْ قالوا : تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ يحيى بنَ زكريا يُخَبِّرُ أَنَّهُ ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَبِيًّا^(٣) ﴾ ، وَأَنَّهُمْ يجلدون في كتبهم وفيما لا يختلف فيه خَاصَّتُهُمْ وعَامَّتُهُمْ أَنَّهُ كان من قبل يحيى بن زكريا غَيْرُ واحدٍ يقال له يحيى ، مِنْهُمْ : يُوْحَنَّا بن فرح^(٤) .

وزعمتم أَنَّهُمْ قالوا لكم^(٥) : إِنَّكُمْ ذكرتم أَنَّ اللهَ قال في كتابه لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ^(٦) ﴾ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٧) ﴾ ، وَإِنَّمَا عَنِ بَقُولِهِ : ﴿ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ :

(١) ب : « يحاضى » ، تحريف .

(٢) ب : « قد يقدم » . (٣) من الآية ٧ في سورة مريم .

(٤) « لم أجده له ذكراً في كتب الجاسط » ، كما لم أجده له خبراً إلا في سفر إرميا ٤٠ : ٨ و ٤١ : ١١ و ٤٣ : ٦ . واسم في هذا السفر : يوحنا بن قاريح .

(٥) ب فقط : « لك » سواء في م ، ط .

(٦) كذا القراءة في الآية ٤٣ من سورة النحل . أما في الآية ٧ من سورة الأنبياء فقرأة الجمهور فيها : « يوحى إليهم » ، كما ورد في نسخة ب . وقرأها حفص فقط : « نوحى إليهم » انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٠٩ .

(٧) هي الآية ٤٣ من سورة النحل ، ونصها هو نص الآية ٧ من سورة الأنبياء .

(٢٠ - رسائل الجاسط)

أَهْلَ التَّوْرَةِ ، وَأَصْحَابَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مِنَ النَّسَاءِ نَبِيَّاتٍ ، مِنْهُمْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ^(١) ، وَبَعَثَ مِنْهُمْ حَنَّةَ^(٢) ، وَسَارَى^(٣) ، وَرَفْقَى^(٤) .

وَذَكَرْتُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا : زَعَمْتُمْ أَنَّ عِيسَى تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَنَحْنُ عَلَى تَقْدِيمِنَا لَهُ ، وَتَقْرِينِنَا لِأَمْرِهِ ، وَإِفْرَاطِنَا بِزَعْمِكُمْ فِيهِ ، عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِنَا ، وَتَفَاوُتِ بِلَادِنَا ، وَاخْتِلَافِنَا فِيهَا بَيْنَنَا ، لَا نَعْرِفُ ذَلِكَ وَلَا نَدْعِيهِ^(٥) ، وَكَيْفَ نَدْعِيهِ وَلَمْ نَسْمَعْهُ عَنْ سُلْفَيْهِ ، وَلَا أَدْعَاهُ مِنْ أَدْعَاءِ مَنْ دَعَى .

ثُمَّ هَذِهِ الْيَهُودُ لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَتَزْعُمُ أَنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ بِهِ إِلَّا مِنْكُمْ ، وَلَا تَعْرِفُهُ الْمَجُوسُ ، وَلَا الصَّابِثُونَ ، وَلَا عِبَادُ الْبِدَّةِ^(٦) مِنَ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ ،

(١) انظر بقية نسجها في الطبري ١ : ٥٨٦ .

(٢) هي حنة بنت فنوئيل ، من سبط أشر . انجيل لوقا ٢ : ٣٦ .

(٣) سميت في العهد القديم « ساراي » تكونين ١١ : ٢٩ ، ٣٠ / ١٢ : ٥ ، ١١ ، ١٧ / ١٦ : ١ - ٩ وجاء في سفر التكوين ١٧ : ٥ في مخاطبة إبراهيم عليه السلام : « فلا يدعى اسمك بعد إبراهيم ، بل يكون اسمك إبراهيم » وفي التفرقة الخامسة عشرة منه : « وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لاتدعى اسمها ساراي ، بل اسمها سارا » . وفي حواشي سفر التكوين أن « سارة » بمعنى رئيسة . وسارة هذه هي بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، كما في الطبري ١ : ٢٤٤ ، وفيها الآية الكريمة : « وامرأته قائمة فضحكك فيشر نأها يا إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . وسارة تضبط بتخفيف الراء ، ويشتغل من يشدها ، وإن كانت قد ضبطت بذلك في اللسان (هجر ١١٨ ورقم ١٨٠) وشرح القسطلاني ٤ : ١٠٢ . وعاميين ضبطها بتخفيف الراء قول جرير في ديوانه ٥٤٣ :

فيجمعنا ولهم أولاد سارة أب لايبالي بملء من تملوا

(٤) ورسمت في الطبري : « رفقا » ، وهو الوجه ، لأن جميع المنتهى بالألف اللينة من الأسماء الأصمية سقه أن يكتب بالألف ، ماعدا الأسماء الخمسة : موسى ، عيسى ، كسرى ، بخاري ، حتى . وهي رفقا ابنة بتويل بن ناسور بن تارخ ، وهي امرأة إسحاق ، كما في الطبري ١ : ٣١٣ . وتسمى أيضاً « رفقة » في التكوين ٢٤ : ١٥ ، ٢٩ / ٢٥ : ٢٠ .

(٥) ب ، م : « لا يعرف ذلك ولا يدعيه » ، صوابه في ط .

(٦) الب ، بالضم : الصنم الذي يعبد ، وهو إلهاب بت ، بالفارسية بضم الباء أيضاً . والجاء البدة : ب : « البدة » ط : « المدة » ، حواشيا في م . وانظر ما سبق في حواشي ٢٠٢ .

ولا التُّرك والخزَر^(١) ، ولا بلغنا ذلك عن أحدٍ من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، ولا في الإنجيل ، ولا في ذِكْر صفات المسيح في الكتب والبياراتِ به على ألسنة الرُّسل .

ومثُلُ هذا لا يجوز أن يجْهله الوَلِيُّ والعَلَوُّ ، وغيرُ الوَلِيِّ وغيرُ العَلَوِّ ، ولا يُضْرَبُ به مثل ، ولا يُرْوَحُ به النَّاسُ ، ثم يُجْمَعُ النَّصارى على رَدِّه ، مع حُبِّهم لتقوية أمره . ولم يكونوا ليضادوكُم^(٢) فيما يرجع عليهم نفعه . وكيف لم يكتُوبوكُم في إحيائه الموتى ، ومَشْيِهِ على الماء ، وإبراء الأكمه والأبرص ١٢ بل لم يكونوا ليَنفَقُوا على إظهار خلاف دينهم ، وإنكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ، ومثُل هذا لا ينكتم ولا ينفكُ ممن يخالف ويَنتم^(٣) .

والكلام في المهد أعجبُ من كلِّ عجب ، وأغربُ من كلِّ غريب ، وأبدعُ من كلِّ بديع ، لأنَّ إحياء الموتى والمشي على الماء ، وإقامة المُقعد ، وإبراء الأعمى ، وإبراء الأكمه^(٤) قد أتت به الأنبياء ، وعرفه الرُّسل ، ودار في أسماهم . ولم يتكلم صبي قطُّ ، ولا مولودٌ في المهد .

وكيف ضاعت هذه الآية ، ومقطعت حُجة هذه العلامة من بين كلِّ

علامة ؟ !

وبعدُ ، فكلُّ أُعجوبة يأتى بها الرجال^(٥) ، والمعروفون بالبيان ،

(١) م : « والخزر » ، تحريف . والخزر : جبل من التُّرك كان مقر حكمهم في سهوب القوقاز الحالية . وانظر مادني (بلغار) و (الخزر) في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ب ، م : « ولم يكن ليضادوكُم » .

(٣) ب فقط : « ويتم » ، بالثاء .

(٤) الأكمه : الذي يولد أعمى ، ومصغره لكه ، بالتحريك . وربما جاء الكه في البشر لعلى المارضى ، كما جاء في قول سويد بن أبي كاهل الليشكري في اللقيطات ٢٠٠ :

كُهِتَ عَيْنَاهُ لِمَا أَيْفَتَا فهو يلحى نفسه لما نزع

(٥) م ، ب ، م : « الرجل » ، وأثبت ماقي ط .

والمستويون إلى صوابِ الرأي . تكون^(١) الحيلة في الظَّنِّ إليها أقرب ، وخوفُ الخُدعةِ عليها أغلب . والصبيُّ المولودُ عاجزٌ في الفطرة ، ممتنعٌ من كلِّ حيلة ، لا يُحتاج فيه إلى نظر ، ولا يشبهه من شاهده بدخُل^(٢) .

٢ - فصل منه

وسنقول في جميع ما وردَ علينا من مسائلكم ، وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم ، بالشواهد الظاهرة ، والحُجج القويّة ، والأدلة الاضطرارية ، ثم نسألهم بعد جوابنا إياهم عن وجوبِ يعرفون بها انتقاض قولهم ، وانتشارِ مذهبهم^(٣) ، وثافتَ دينهم .

ونحن نعوذ بالله من التكلّف وانتحالِ مالا نُحِين ، ونسأله القصدَ في القول والعمل ، وأن يكون ذلك لوجهه ، ولنصرة دينه ، إنّه قريبٌ مجيب .

فإنّا مبتدئٌ في ذكر الأسبابِ التي لما^(٤) صارت النصارى أحبَّ إلى العوامِّ من المجوس ، وأسلمَ صدوراً عندهم من اليهود ، وأقربَ مودةً ، وأقلَّ غائلةً ، وأصغرَ كُفراً ، وأهونَ عذاباً .

ولذلك أسبابٌ كثيرة ، ووجوهٌ واضحة ، يعرفها من نظر ، ويجهلها من لم ينظر .

(١) ب : م : « تكون » ، صوابه في ط .

(٢) ط فقط : « ولا يشبهه » . والدخُل ، بالتحريك وبالفتح أيضاً : الرية والنش . قال الله تعالى : « تتخفون إيمانكم دخلاً بينكم » . وفي كلام أبيه الحسن : ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخُل

(٣) انتشار مذهبهم : تفرقه وعدم ترابطه . ويقولون : ضم الله شركك ، بالتحريك ، أي لم شطك .

(٤) ب : « التي بها » .

أَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا جِيرَانَ الْمُسْلِمِينَ بِبَثْرٍ وَغَيْرِهَا ، وَعَدَاوَةُ الْجِيرَانِ شَبِيهَةٌ بِعَدَاوَةِ الْأَقَارِبِ فِي شِدَّةِ التَّمَكُّنِ وَثَبَاتِ الْحَقْدِ ، وَإِنَّمَا يُعَادِي الْإِنْسَانُ مَنْ يَعْرِفُ ، وَيَعِيلُ عَلَى مَنْ يَرَى ، وَيُنَاقِضُ مَنْ يُشَاكِلُ ، وَيَبْلُو لَهُ عِيُوبُ مَنْ يُخَالِطُ . وَعَلَى قَلَرِ الْحَبِّ وَالْقُرْبِ يَكُونُ الْبُغْضُ وَالْبُعدُ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوبُ الْجِيرَانِ وَبَنَى الْأَعْمَامُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَسَائِرِ الْعَرَبِ أَطْوَلَ ، وَعَدَاوَتُهُمْ أَشَدَّ .

فَلَمَّا صَارَ الْمُهَاجِرُونَ لِلْيَهُودِ جِيرَانًا ، وَقَدْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ مُتَقَلِّمَةً الْجَوَارِ ، مَشَارِكَةً فِي الدَّارِ ، حَسَلَتْهُمْ الْيَهُودُ عَلَى النِّعْمَةِ ^(١) فِي اللَّيْنِ ، وَالْاجْتِمَاعِ بَعْدَ الْإِفْتِرَاقِ ، وَالتَّوَاصُلِ بَعْدَ التَّقَاعُطِ ، وَشَبَّهُوا عَلَى الْعَوَامِّ ^(٢) ، وَاسْتَأْثَرُوا الضَّعْفَةَ ، وَمَاكَلُوا ^(٣) الْأَعْدَاءَ وَالْحَصْدَةَ ، ثُمَّ جَاوَزُوا الطَّعْنَ وَإِدْخَالَ الشُّبْهَةِ ، إِلَى الْمَنَاجِزَةِ وَالْمُنَابَلَةِ بِالْعَدَاوَةِ ، فَجَمَعُوا كَيْدَهُمْ ، وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي قِتَالِهِمْ ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَطَالَ ذَلِكَ وَاسْتَفَاضَ فِيهِمْ ^(٤) وَظَهَرَ ، وَتَرَادَفَ لَذَلِكَ التَّيْظُ ، وَتَضَاعَفَ الْبُغْضُ ، وَتَمَكَّنَ الْحَقْدُ .

وَكَانَتْ النَّصَارَى لِبَعْدِ دِيَارِهِمْ ^(٥) ، مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُهَاجَرِهِ ، لَا يَتَكَلَّفُونَ طَعْنًا ^(٦) ، وَلَا يُثِيرُونَ كَيْدًا ^(٧) ،

(١) ب ، م : « حَسَلَتْهُمْ الْيَهُودُ النِّعْمَةُ » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، يُقَالُ حَصَدَ عَلَى الشَّيْءِ ، وَحَصَدَ لِيَاءَهُ ، كَمَا فِي قَوْلِ شَرِّ بْنِ الْحَارِثِ الْقُضْرِيِّ :

فَقُلْتُ إِلَى الطَّلَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زُعِيمُ حَسَدِ الْإِنْسِ الطَّلَامِ

(٢) ط فقط : « الْقَوَامِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) ب ، م : « وَمَاكَلُوا » ، صَوَابُهُ فِي ط . وَلِلْمَالَةِ : الْمُسَاعَدَةُ ، وَالْمُنَابَلَةُ .

(٤) ب ، م : « وَاسْتَفَاضَ فِيهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٥) ب ، م : « دِيَارَهَا » .

(٦) ب ، م : « لَا يَتَكَلَّفُونَ طَعْنًا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) ب ، م : « وَلَا يَسْتَرِكِدُّونَ » ، وَالْوَجْهُ فِي ط .

ولا يجمعون على حرب^(١) . فكان هذا أول أسباب ما غلظت القلوب على اليهود، ولينها على النصارى .

ثم كان من أمر المهاجرين إلى الحبشة ، واعتمادهم على تلك الجنبية^(٢) ما حجبهم^(٣) إلى عوام المسلمين . وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم ، وبقتل ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود . ومن شأن الناس حب من اصطنع إليهم خيراً أو جرى على يديه^(٤) ، أراد الله بذلك أو لم يرده ، وبقيض^(٥) كان أم باتفاق .

وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلظت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجّت ، واستألت قلوب الرعاع والسفلة ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾^(٦) . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٧) . وفي نفس الآية أعظم الدليل على أن الله تعالى لم يعز هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية^(٨) واليعقوبية^(٩) ، وإنما عني

(١) ب ، م : « ولا يجمع على حرب » ، تحريف .

(٢) الجنبية : الجانب . وفيه فقط : « الجهة » .

(٣) ب فقط : « ما حجبهم » ، صوابه في م ، ط .

(٤) الكلام يمه إلى كلمة « باتفاق » ساقط من ط .

(٥) في الأصل ، وهو هنا ب ، م : « وبقيض » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ٨٢ من سورة المائدة .

(٧) يفي الآيات ٨٢ - ٨٥ من سورة المائدة .

(٨) ب فقط : « الملكانية » ، صوابه في م ، ط . ويقال ملكانية وملكانية أيضاً بالهمز ،

كما في مفاتيح العلوم ٢٣ . ويقال أيضاً للملكية ، كما في التنبيه والإشراف السعوي ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣١ . وجاء في مفاتيح العلوم ٢٣ : « وهم منسوبون إلى ملكاء ، وهم

أقدمهم » ، أي أقدم النصارى . وفي الملل والنحل ٢ : ٦٢ : « الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر

بالرؤم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبين إلى « ملكا » ومعناه الملك بالبريانية .

والمراد بهم أتباع مذنب قياسرة الروم الذي يسمى أيضاً للمذنب الخلقيدون ، الذي أقره الجمع

المعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١م . وفي مفاتيح العلوم : « وأهل الروم كلهم ملكانية » . وانظر

تاريخ الألة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(٩) اليعقوبية ، أو اليعاقبة : ثلاثة فرق قدماء النصارى ، وهم الملكانية ، والتسبورية ، =

صَرَبَ بِحَيْرٍ^(١) ، وَصَرَبَ الرَّهْبَانُ الَّذِينَ كَانَ يَخْلُمُهُمْ سَلْمَانُ^(٢) .
وبين حَمَلٍ قوله^(٣) : ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ على القَلَطِ منهم
في الأسماء ، وبين أن نجزم عليهم^(٤) لأنَّهم نصارى - فرق .

كما ذكر اليهودُ أَنَّهُ جاءَ الإسلامُ وملوكُ العربِ رجلانَ : عَسَافُ
ولُخْمَى ، وهما نصراانيان ، وقد كانت العربُ تَلْبِينُ لهما ، وتؤدِّي
الإتاوةَ إليهما ، فكان تعظيمُ قلوبهم لهما راجعاً^(٥) إلى تعظيمِ دينهما .
وكانت تِهَامَةٌ ، وإن كانت لِقَاحاً^(٦) لا تلبين اللبَّين^(٧) ، ولا تؤدِّي

= واليقوية . وم ينسبون إلى مار يعقوب . قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم : « وم قليل » .
وفي الفصل لابن حزم ١ : ٤٩ : « ينسبون إلى يعقوب البرذعاني ، وكان راهباً بالقسطنطينية » .
وانظر الملل والنحل ٢ : ٦٦ .

(١) بحيرا الراهب ، بفتح الباء ، كما في القاموس ، وقد رسم بالياء في آخره في القاموس
وشرحه ، والوجه كتابته بالألف كما في الإصابة ٥٩٥ . وهو الذي لقى الرسول صلى الله عليه وسلم
قبل البشارة في ركب قريش حين زلوا بصرى من أرض الشام ، فاستضافهم جميعاً ، وعرف رسول
الله بما كان يعرف من صفته من قبل . السيرة ١١٥ - ١١٧ .

(٢) سلمان الفارسي : صحابي جليل ، أصله من رام هرمز ، وقيل من أسبهان ، وكان قد
سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث ، فخرج في طلب ذلك ، وأسلم ، وشهد بدراً ،
وآخرى التي بينه وبين أبي الدرداء . الإصابة ٣٤٥٠ والسيرة ١٣٦ ، ٣٤٥ ، ٦٦٧ ، ٦٧٧ .
ب : « نجد منهم سلمان » م : « يعلمهم سلمان » وفي ط : « يعلمهم سلمان » ، والصواب ما أثبت .
وقد وجدت نصاً صريحاً في سيرة ابن هشام ١٣٨ يقول فيه سلمان لأصدق الكنيعة في الشام قبل
إسلامه : « إنني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون منك وأخدمك في كنيسة » . ثم روى
السيرة تنقله في كتابات الموصل ، ونصيبين ، وعمورية ، ومن عمورية انتقل إلى أرض العرب
حتى كان بالمنية ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل في الإسلام .

(٣) ب : م : « وبين قوله » يسقط كلمة « حمل » .

(٤) ب : م : « نجزم » ط : « نجري » . وأثبت ما في م .

(٥) ب : م : « راجعة » ط : « راجع » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) يقال حتى لقاح ، كسحاب : لم يدينوا الملوك ولم يملكوا ولم يصحب سبأ في
الجاهلية . قال ثعلب : مشتق من لقاح اللقحة ، لأن اللقحة إذا لقحت لم تطارح القمل .

(٧) كلمة « الدين » ساقطة من ط . وفي ب ، م : « لا يدين » . صوابهما في ط .

الإثاوة : ولا تَلِين للمُلُوك : فَإِنَّهَا^(١) كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس ، وتصغير ما صغروا .

ونصرانيَّة النعمان وملوك غَسَّان مشهورة في العرب ، معروفة عند أهل النسب ، ولولا ذلك لدللتُ عليها^(٢) بالأشعار المعروفة ، والأخبار الصحيحة .

وقد كانت تتجر إلى الشام ، وينفذ^(٣) رجالها إلى ملوك الروم ، ولها رحلة في الشتاء والصيف ، في تجارة مرة إلى الحبشة ، ومرة قبل الشام ، ومرة يثرب^(٤) ، ومصيفها بالطائف ، ومرة منيحين مستأنفاً بحمده^(٥) ، فكانوا أصحاب نعمة ، وذلك مشهورٌ مذكورٌ في القرآن ، وعند أهل المعرفة .

وقد كانت تهاجر إلى الحبشة^(٦) ، وتأتي باب النجاشي واهدة ، فيجُوبهم بالجزيل^(٧) ، ويعرف لهم الأقدار ، ولم تكن تعرف كسرى^(٨) ، ولا تأنس بهم . وقبصر النجاشي نصرانيان ، فكان ذلك أيضاً للنصارى ، دون اليهود .

والآخر من الناس تبعٌ للأول في تعظيم من عظم ، وتصغير من صغر .

(١) ب ، م : « وبأئها » ط : « لأنها » ، والوجه ما أثبت

(٢) ب فقط : « عليه » تحريف . (٣) ط فقط : « وتنفذ » .

(٤) ومرة يثرب ، ساقطة من ط .

(٥) وكذا وردت هذه العبارة في ب . م مع سقوطها من ط . لكن في م : « بحمده » . ولعلها

« ومرة مبيتين » من أين ومن تيمناً ، إذا أتى اليمن .

(٦) ب ، م : « تهاجر الحبشة » ، صوابها في ط .

(٧) يجوبهم ، من الجلب ، وهو السلاء بلا من ولا جزاء . ب ، م : « فيجوبهم » ط :

« فيجوبهم » ، صوابها ما أثبت .

(٨) ط : « ولم يكن يعرف ذلك كسرى » .

وأخرى^(١) : أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية ، وعليها غالبية ، إلا مَصْرَ ، فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ، ولم تَفُشْ فيها النصرانية ، إلا ما^(٢) كان من قومٍ منهم نزلوا الحيرة^(٣) يسمون : العباد ، فإنهم كانوا نصارى ، وهم مغمورون مع نَبَذٍ يسير^(٤) في بعض القبائل . ولم تعرف مَصْرَ إلا دين العرب ، ثم الإسلام .

وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها : على لخم ، وغسان ، والحارث بن كعب بنجران ، وقُضَاعَةَ ، وطى ، في قبائل كثيرة ، وأحياء معروفة . ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس وأفناء بكر^(٥) ، ثم في آل وذى الجَلَيْنِ خاصة .

وجاء الإسلام وليست اليهودية^(٦) بغالبة على قبيلة ، إلا ما كان من ناسٍ من البائية ، ونَبَذٍ يسير^(٧) من جميع إباد وربيعة . ومعظم اليهودية إنما كانت بيثرب وحِمير وتيآء ووادي القُرى ، في ولد هَارُونَ ، دون العرب .

فقطف قلوب دهماه العرب على النصارى المُلْكُ الذى كان فيهم ، والمقاربة التى كانت لهم . ثم رأت عوامنا أن فيها مُلْكاً قائماً ، وأن فيهم عرباً كثيرة^(٨) ، وأن بنات الروم وكندن الملوك الإسلام ، وأن في

(١) ط : « وأخرى ، وحى » .

(٢) في الأصول : « إلا من كان » ، ووجه ما أثبت .

(٣) نزلوا الحيرة ، ساقط من ب .

(٤) النَبَذُ ، بالفتح : الشيء القليل . ب فقط : « مغمورون مع نَبَذٍ يسير » ،

صوابه في ط .

(٥) الاقتاء : الأخلط المزاج من هاهنا وهاهنا ، الواحد فتو ، بالكسر .

(٦) ب ، م : « لليهودية » ، صوابه في ط .

(٧) ب : « ونَبَذٍ يسير » تحريف . وانظر ما مضى قريباً .

(٨) ب ، م : « عرباً كثيرة » صوابه بالعين المهملة كما في ط .

النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين ، فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ، ولم يروا ذلك في اليهود .

وإنما اختلفت ^(١) أحوال اليهود والنصارى في ذلك لأن اليهود ترى أن النظر في الفلسفة ^(٢) كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنه مجلبة لكل شبهة ، وأنه لا علم إلا ما كان في التوراة وكُتب الأنبياء ، وأن الإيمان بالطب ، وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج إلى الدهرية ، والخلاف على الأسلاف وأهل القلوة ، حتى إنهم ليُبهرجون المشهور بذلك ، ويحرّمون كلام من سلك ^(٣) سبيل أولئك .

ولو علمت العوام أن النصارى والرّوم ليست لهم حكمة ولا بيان ، ولا بُعد رؤية ^(٤) ، إلا حكمة الكف ، من الخُط والتَّجَر والتَّصوِير ، وحياكة البزبون ^(٥) لأخرجتهم من حدود الأدباء ، ولمَحْتَهُم من ديوان الفلاسفة والحكماء ؛ لأنّ كتاب المنطق والكون والفساد ، وكتاب العلوى ^(٦) ، وغير ذلك ، لأرسطاطاليس ^(٧) ، وليس بروي ولا نصراني . وكتاب المجسطي لبطليموس ^(٨) ، وليس بروي ولا نصراني . وكتاب إقليدس لإقليدس ، وليس بروي ولا نصراني .

(١) ب ، م : « اختلف » .

(٢) ب فقط : « في الفلسفة » .

(٣) ط : « كلام مالك » .

(٤) ب ، م : « رؤية » .

(٥) البزبون : السمنس . قال ابن بري : هو رقيق البياض . وضبطه صاحب القاموس كجردل وعصفور ، وصاحب اللسان بالقسم فقط . ط : « البيرون » تحريف . وانظر اللسان والقاموس (بز) .

(٦) ذكره في الحيوان ٦ : ٢٨٠ باسم « الآثار العلوية » . ط فقط : « العلوى » تحريف .

(٧) ب ، م : « لأرسطاطاليس » ، وأثبت ما في ط والحيوان .

(٨) انظر حواشي الحيوان ١ : ٨٠ .

وكتاب الطب لجالينوس ، ولم يكن رومياً ولا نصرانياً .

وكذلك كتب ديمقراط وبقراط وأفلاطون ، وفلان وفلان .

وهؤلاء ناس^(١) من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم ، وهم اليونانيون ، ودينهم غير دينهم ، وأدبهم غير أدبهم ، أولئك علماء ، وهؤلاء صنّاع أخذوا كتبهم^(٢) لقرب الجوار ، وتذاني الدار ، فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم ، ومنها ما حوّلوه إلى ملتهم . إلا ما كان من مشهور كتبهم ، ومعلوم حكيمهم ، فإنهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا أن اليونانيين قبيل من قبائل الروم ، ففخروا^(٣) بأديانهم على اليهود ، واستطالوا بها على العرب ، وبلّغوا بها على الهند^(٤) ، حتى زعموا أن حكماءنا أتباع حكمائهم ، وأن فلاسفتنا اقتلدوا على مثالمهم^(٥) ، فهذا هذا .

ودينهم^(٦) يرحمك الله - يضاهي الزندقة ، ويناسب في بعض وجوه قول الدهرية ، وهم من أسباب كل خيرة وشبهة .

والدليل على ذلك أنا لم نر أهل ملّة^(٧) قط أكثر زندقة من النصارى ، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم^(٨) .

وكذلك شأن كل من نظر في الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة :
ألا ترى أن أكثر من قُتل في الزندقة ممن كان ينتحل الإسلام ويُظهره ،

(١) ط فقط : « أناس » .

(٢) ب : « أخذ وكتبهم » ، وهو تحريف كتابي .

(٣) ب ، م : « فقبروا » ، صوابه في ط

(٤) البليغ والبنوخ : تطاول الرجل بكلامه واختصاره ، وفعله كفرح يفرح ، وقده يقعد .

(٥) ب : « اقتدروا » ، تحريف . ط : « احطروا » ، وأثبت ما لم .

(٦) ط : « فهذا هو دينهم » ، وإغاله قصرًا من القنصر . وما أثبت من ب ، م هو

لغة الجاهل .

(٧) ط : « أهل مكة » ، صوابه في ب ، م .

(٨) الترنح : التمايل والاضطراب . وفي جميع الأصول : « متحيزاً » بالزاي ، صوابه

ما أثبت .

هم^(١) الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى .

على أنك لو عددت اليوم أهل القنّة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم إلا كذلك .

ومما عظمهم في قلوب العوام ، وحبيبهم إلى الطغّام ، أن منهم كتاب السلاطين ، وفرأيتي الملك^(٢) ، وأطبّاء الأشراف ، والعطارين والصيارفة . ولا تجد اليهودي إلا صبغاً ، أو دبّاغاً ، أو حجّاماً ، أو قصّاباً ، أو شعّاباً .

فلما رأت العوام اليهود والنصارى توهّمت أن دين اليهود في الأديان كصناعتهم في الصناعات ، وأن كفرهم أقدر الكفر ، إذ كانوا هم أقدر الأمم . وإنما صارت النصارى أقلّ مساختة من اليهود^(٣) ، على شدة مساختة النصارى ، لأن الإسرائيل لا يزوج إلا الإسرائيل ، وكل مناحيهم مردودة فيهم^(٤) ، ومقصورة عليهم ، وكانت الغرائب لا تشوبهم ، وفحولة الأجناس لا تضرب ولا تضرب فيهم ، لم يُنجبوا في عقل ولا أسر ولا ملح^(٥) . وإنك لتعرف ذلك في الخيل والإبل ، والحمير والحمام . ونحن - رحمك الله - لم نخالف العوام في كثرة أموال النصارى ، وأن فيهم ملوكاً قائماً ، وأن ثيابهم أنظف^(٦) ، وأن صناعتهم أحسن .

(١) ب : « هم » ، والقروا مقسمة .

(٢) يراد بالفرّاش من يتهد فرّاش البيت وأثاثه . وانظر ما كتبت في ذلك في (حول ديوان البحري) ٣٩ - ٤٠ والحيوان ٣ : ٤٣٥ .

(٣) المسيح من الناس : القلي : القلي لا ملاحه له . وقد نسخ مساختة .

(٤) ب : « وكل مناحيهم مردود فيهم » ط ، م : « وكل مناحيهم مردودة فيهم » ، صوابها ما أثبت .

(٥) الأسر : شدة الخلق . وفي التنزيل العزيز : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » . والملح ، بالكسر : الرضاع والبن .

(٦) ب : « وأن ما هم » م : « ما هم » ط : « ما هم » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق في ٣٢٥ من قوله : « والنصارى وإن كان أنظف ثوباً » .

وإنما خالفنا في فرق ما بين الكُفَرين والفرقتين ، في شدة المعاندة واللَّجاجة ، والإرصاد لأهل الإسلام بكلِّ مَكيدة ، مع لُؤْم الأصول ، وخبث الأعراق .

فأما المُلْك والصَّناعة والميثة ، فقد علمنا أنَّهم اتَّخذوا البراذين الشهيرة ^(١) ، والخيَل العِثاق ، واتَّخذوا الجِرِّقات ^(٢) ، وضربوا بالصَّوالبِ ، وتحذفوا الملبى ^(٣) ، وليسوا المُلحَم والمطبقة ^(٤) ، واتَّخذوا الشاكِريَّة ^(٥) ، وتسمَّوا بالحسن والحُسين ، والعباس والفضل وعلى ، واكتنَّوا بذلك أجمع ، ولم يبقَ إلَّا أن يتسمَّوا بمحمَّد ، ويكتنَّوا بإبي القاسم . فرغب إليهم المسلمون ، وترك كثيرٌ منهم عقَدَ الزنائير ، وعقدَها آخرون ^(٦) دون ثيابهم ، وامتنع كثيرٌ من كُبرائهم من إعطاء الجزية ، وأنفوا مع أقْدلارهم من دفعها ^(٧) وسبُّوا مَنْ سبَّهم ، وضربوا من ضَرَبهم .

(١) الشهيرة ، سبق تفسيرها في ١٢٨ . وكلمة « اتَّخذوا » ساقطة من ب ، م .
(٢) الجوقَّة : جماعة من الناس ، مربة كما في شفاء الغليل . والمراد فرق الفروسيَّة ونحوها .
(٣) تحفيف الشعر : تطريزه وتوسيته . وفي اللسان : « قال النضر : التحفيف في الطرَّة أن تجمل سَكينة كما تفعل النصارى » . فقد وضع التحذف هنا موضع التحفيف . وفي الأصول هنا : « وتحذفوا » ، ولا وجه له .

(٤) في اللسان : « الملحم : جنس من الثياب » . وفي القاموس : « وككرم : جنس من الثياب » . وألمح التاسع الثوب . وفي المثل : « ألم ما أسديت » أي تم ما ابتدأته من الإحسان . والهمة : بالضم : غيوط النتج المرصبة يلحم بها السدي ، كما في المصمِّ الوسيط . وفيه أيضاً : « الملحم جنس من الثياب يخطف نوع مداه ونوع لحته » كالصوف والقطن ، أو الحرير والقطن ، أي لا يكونان من نوع واحد . أما المطبقة ، فهي من قولهم : طابق بين قيسين : ليس أحدهما على الآخر . فالمراد الثياب المزودة المطبقة .

(٥) الشاكِرية ، يراد بهم الجند المتأجرون ؛ لأن الشاكِري معناه كما في القاموس : الأجير المستخدم ، معرب جاكِر . وانظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٠ .

(٦) ب ، م : « وعقدوها آخرون » ، وأثبت ما في ط .

(٧) ب ، م : « وأنف مع أقْدلارهم من دفع » ، صوابه في ط .

وما لم لا يفعلون ذلك وأكثر منه : وقضأتنا أو عاثتهم^(١) يرون أن دم الجاثليق^(٢) والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلي العباس وحمة .

ويرون أن النصرائي إذا قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم بالنواية^(٣) أنه ليس عليه إلا التهزير والتأديب^(٤) ، ثم يحتجون أنهم إنما قالوا ذلك لأن أم النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة . فسيحان الله العظيم ! ما أعجب هذا القول^(٥) وأبين انتشاره^(٦) !

ومن حكم النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا يسأؤونا في المجلس ، ومن قوله : « وإن سبوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم » .

وهم إذا قذفوا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن له عند أمته إلا التهزير والتأديب . وزعموا أن افتراءهم على النبي ليس ينكث للعهد ، ولا ينقض للعقد .

وقد أمر النبي عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد منا عالية^(٧) في قبولنا منهم^(٨) ، وعقلينا للمتهم ، دون إراقة دمهم^(٩) . وقد حكم الله تعالى عليهم^(١٠) بالذلة والمسكنة .

(١) ط فقط : « عاثتهم » .

(٢) الجاثليق ، بفتح الجاء : رئيس من رؤساء النصاري ، يكون تحت المطران ، ثم الأسقف ثم القسيس ، ثم الكهناس .

(٣) النواية ، بالفتح : الضلال . ب ، م : « بالنواية » ، صوابه في ط .

(٤) التهزير : التأديب والعقاب .

(٥) ب ، م : « القوم » ، تحريف ماق ط .

(٦) انتشار الأمر : عدم إحكامه . ط فقط : « انتشاره » .

(٧) ب ، م : « عليه » ، وتصح إذا قرئت « عليه » .

(٨) ب ، م : « منه » .

(٩) ب ، م : « وسقنا له دمه دون إراقة دمه » .

(١٠) ب ، م : « عليه » .

أو ما ينبغي^(١) للجاهل أن يعلم أن الأئمة الراشدين ، والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية ، وعقد الذمة عدم الافتراء^(٢) على النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة ، إلا^(٣) لأن ذلك عندهم أعظم في الميون ، وأجل في الصلور من أن يحتاجوا إلى تخليده في الكتب ، وإلى إظهار ذكره بالشرط ، وإلى تنبيته بالبينات^(٤) ، بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم ، والمطمعة فيهم ، ولظنوا أنهم في القدر الذي يحتاج فيه^(٥) إلى هذا وشبهه .

وإنما يتوأنق الناس في شروطهم ، ويفسرون في عهودهم ما يمكن فيه الشبهة ، أو يقع فيه الغلط ، أو يتنبى عنه الحاكم^(٦) ، وينساه الشاهد ، ويتعلق به الخصم ، فأما الواضح الجلي^(٧) ، والظاهر الذي لا يخيل^(٨) فما وجه اشتراطه ، والتشغل بذكره .

وأما ما احتاجوا إلى ذكره في الشروط ، وكان مما يجوز أن يظهر في العهد فقد فعلوه ، وهو كالذلة والصغارة^(٩) ، وإعطاء الجزية ، ومقاسمة الكنائس ، وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض ، وأشباه ذلك . فأما

(١) ط فقط : « وما ينبغي » .

(٢) كلمة « عدم » من ط .

(٣) إلا ، سابقة من ب .

(٤) ط : « وتنبية بالبينات » .

(٥) ب ، م : « فيهم » .

(٦) غوى عنه غباء وغباوة : لم يفطن له . ب ، م : « يتنبى » بالثون . ط : « يبا » ،

صوابها ما أثبت .

(٧) الجلي : الظاهر . ب ، م : « الجليل » .

(٨) لا يخيل على أحد : لا يشكل . ط : « لا يخيل غيره » ، تحريف .

(٩) الصغارة : كسجاية : صغر القدر . وفي اللسان : « ابن سيده : الصغر والصغارة :

خلاف العظم . وقيل الصغر في الجرم والصغارة في القدر » . ب ، م : « والصغيرة » ط :

« الصغارة » بالفاء ، ووجهها ما أثبت .

أن يقولوا لمن هو أدلُّ من الدليل ، وأقلُّ من القليل ، وهو الطالبُ الراغبُ في أخذِ قديته ، والإنعامِ عليه بقبضِ جزئته وحَقْنِ دمه : نَعَاهُكَ على أن لا تفتري^(١) على أمة^(٢) رسول ربِّ العالمين ، وخاتمِ النبيين ، وسيدِ الأولين والآخِرِينَ^(٣) فهذا ما لا يجوز^(٤) في تدبيرِ أوساطِ الناس ، فكيف بالجلَّةِ والعُلَّةِ ، وأئمةِ الخليقة ، ومصابيحِ الدجى ، ومَنَارِ الهدى ، مع أنفةِ العربِ ، وبأوِ السلطان^(٥) ، وغلبةِ الدولة ، وعزِّ الإسلام ، وظهورِ الحجة ، والوعدِ بالنصرة .

على أنَّ هذه الأمة لم تُبتَلْ باليهود ، ولا المجوس ، ولا الصابئين كما ابتليتْ بالنصارى^(٦) . وذلك أنَّهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا ، والضعيف بالأسناد من روايتنا ، والمتشابه من آيِ كتابنا ، ثم يخلطون بضعفائنا ، ويسألون عنها عوامنا ، مع ما قد يعلمون من مسائلِ المُلحدِّين ، والزنادقةِ الملاعين ، وحتى مع ذلك ربَّما تبرَّعوا^(٧) إلى علمائنا ، وأهلِ الأقدارِ مِنَّا ، ويَشْعَبُونَ على القوى^(٨) ، ويُلْبَسُونَ على الضَّعِيفِ .

ومن البلاء أن كلَّ إنسانٍ من المسلمين يرى أنَّه مشكلم ، وأنَّه ليس أحدٌ أحقُّ بِمَحَاجَّةِ الملَّحِلِينَ من أحد .

وبعد ، فلولاً متكلِّمُو النصارى وأطبائُهُمْ ومنجِّمُوهم ما صار إلى

(١) ب : م : « يماهلك أن لا يفتري » ، ومع سقوط « على » ، وصوابه في ط .

(٢) ب : م : « على أم » .

(٣) ب : م : « وخير سيد الأولين والآخِرِينَ » ، تحريف .

(٤) ب : م : « فهذا ما يجوز » ، تحريف .

(٥) البأو : الكبر والنفخ والمظلة . ب : « وبأو » ط : « وشأو » ، صوابها في ب .

(٦) ط : « كما ابتلت بالنصارى » ، صوابه في ب : م .

(٧) ب : « تبرَّعوا » .

(٨) ب : م : « على القوم » ، صوابه في ط .

أغبيائنا^(١) وظرفائنا ، ومُجاننا وأحدائنا^(٢) شئء من كتب المائنية^(٣) ،
والديصانية^(٤) ، والمرقونية^(٥) ، والفلانية^(٦) ، ولما عرفوا غير كتاب
الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكانت تلك الكتب مستورة
عند^(٧) أهلها ، ومُخللة^(٨) في أيدي ورثتها . فكلُّ سُخنة عين^(٩)
رأيناها في أحدائنا وأغبيائنا فحين قيلهم كان أولها .

وأنت إذا سمعتَ كلامهم في الغفو والصفح ، وذكرهم للسياحة ،
وزرايتهم على كلِّ من أكل اللحمان^(١٠) ، ورغبتهم في أكل الحبوب ،
وترك الحيوان ، وتزهدهم في النكاح ، وتركهم لطلب الولد ، ومديحهم
للجائليق والطُمران والأسقف والرهبان ، وترك النكاح وطلب النسل ،
وتعظيمهم الرؤساء - علمتَ أنَّ بين دينهم وبين الزندقة نسباً ، وأنهم
يحنون إلى ذلك المذهب .

(١) م : « أغفائنا » ب ، ط : « أغفائنا » ، صوابها ما أثبت . وانظر ما سيأتي في
في السطر الخامس .

(٢) المغان : جمع ماغن . ب ، م هوحنائنا « ، صوابه في ط . والأحداث : جمع حدث .
وفي ب ، م : « وأغدائنا » ط : « وأغدائنا » ، صوابها ما أثبت .

(٣) المائنية : أتباع ماني . وانظر ما سبق في ٢٥٤ .

(٤) الديصانية : فرقة من المجوس . قال ابن التميمي : « إنما سمي صاحبهم بديصان باسم
نهر ولد عليه . هو قبل ماني . والمغنايان قريب بيهضما من بعض ، وإنما بينهما خلف في
اختلاط النور بالظلمة » . وانظر الملل ٢ : ٨٨ والفهرست ٧٤ : ٤٦ .

(٥) المرقونية : فرقة من المجوس ، أتباع مرقون . أثبت قديمين أصليين متضادين أحدهما
النور والآخر الظلمة ، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو الملل الجامع . وفي مفاتيح العلوم ٢٥ :
« المرقونية » . وفي جميع الأصول : « المرقونية » ، تحريف . وانظر الملل والنحل ٢ : ٨٩
ومعجم استيعباس . ١٢١٨ .

(٦) لعله كناية عن أي فرقة كانت .

(٧) ب فقط : « مسطورة » .

(٨) غلاة : متروكة . وفي جميع الأصول : « غلاة » بالحاء المهملة .

(٩) صخرة العين : تقيض قرنتها ، وذلك من حرارة الخزن . وفي ب فقط : « صخرة »

بالمهملة ، تحريف .

(١٠) الزراية : العيب والإنكار . ب : « وفريتهم » ، صوابه في م ، ط
(٢١ - وسائل الملاحظ)

والعجبُ أنَّ كلَّ جائليقٍ لا ينكح ، ولا يطلبُ الولد . وكذلك كلُّ مطرانٍ ^(١) ، وكلُّ أسقفٍ . وكذلك كلُّ أصحاب الصوامع من البعقوبية ، والمقيمين في الديارات ^(٢) والبيوت من النسطورية . وكلُّ راهبٍ في الأرض وراهبية ، مع كثرة الرهبان والرواهب ، ومع تشبه أكثر القسيسين بهم في ذلك ^(٣) ، ومع ما فيهم ^(٤) من كثرة الغزاة ، وما يكون فيهم ممَّا يكون في الناس ، من المرأة العاقر ، والرجل العقيم .

على أنَّ من تزوج منهم امرأة لم يقلبْ على الاستبدال بها ، ولا على أن يتزوج أخرى معها ^(٥) ، ولا على التسرُّى عليها . وهم مع هذا قد طبَّقوا الأرض ، ومَلَّثوا الآفاق ، وغلبوا الأمم بالعدد ، وبكثرة الولد . وذلك ممَّا زاد في مصائبنا ، وعظمت به محنتنا .

وممَّا زاد فيهم ، وأثني عندهم ، أنهم يأخذون من سائر الأمم ، ولا يعطونهم ، لأنَّ كلَّ دينٍ جاحدٌ لدين ، أخذَ منه الكثير ، وأعطاه القليل .

٣ - فصل منه

وممَّا يدلُّ على قلة رحمتهم ، وفساد قلوبهم أنهم أصحاب الخِصاء من بين جميع الأمم ، والخِصاء أشدُّ المثلة ، وأعظم ما رُكب به إنسان ^(٦) ثم يفعلون ذلك بأطفالٍ لا ذنبَ لهم ، ولا دَفَعَ عندهم .

(١) المطران ، يفتح للم وكسرها ، كما في القاموس .

(٢) ط : « الليورات » تحريف . ويراد بالديارات أديار النصارى . والديارات معروفة في جرج الدار إذ هو جمع لها ، فهي جمع للديار . وانظر مقدمة كتاب « الديارات » للشافعي . وأما الجمع المعروف للدير ، بالفتح ، فهو الأديار والأديرة .

(٣) ب ، م : « في زل » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وقع مع ما فيهم » ، صوابه في ط .

(٥) ط ، ساقطة من ب . وفي ب ، م : « يزوج » .

(٦) ط . فقط : « ركب إنسان » .

ولا نَعْرِفُ قَوْماً يُعْرِفُونَ بِخِصَاءِ النَّاسِ حَيْثُ مَا كَانُوا إِلَّا بِبِلَادِ
الرُّومِ وَالْحَبَشَةِ ، وَهُمْ فِي غَيْرِهِمَا قَلِيلٌ ، وَأَقَلُّ قَلِيلٌ ^(١) .

عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا إِلَّا مِنْهُمْ ، وَلَا كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ غَيْرَهُمْ ،
ثُمَّ خَصَّوْا أَبْنَاءَهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ فِي بَيْعِهِمْ . وَلَيْسَ الْخِصَاءُ إِلَّا فِي دِينِ
الصَّابِئِينَ ، فَإِنَّ الْعَابِدَ رَبِّمَا خَصَّى نَفْسَهُ ^(٢) ، وَلَا يَسْتَحِلُّ خِصَاءَ
ابْنِهِ ^(٣) . فَلَوْ تَمَّتْ إِرَادَتُهُمْ فِي خِصَاءِ أَوْلَادِهِمْ فِي تَرْكِ النِّكَاحِ وَطَلَبِ
النَّسْلِ كَمَا حَكَيْتُ لَكَ قَبْلَ هَذَا - لَانْقَطَعَ النَّسْلُ ، وَذَهَبَ الدِّينُ ،
وَقُتِرَ الْخَلْقُ .

وَالنَّصْرَانِيُّ وَإِنْ كَانَ أَنْظَفَ ثَوْباً ، وَأَحْسَنَ صِنَاعَةً ، وَأَقْلَّ مَسَاخَةً ^(٤) ،
فَلِإِنَّ بَاطِنَهُ أَلْأَمُّ وَأَقْدَرُ وَأَسْمَجُ ، لِأَنَّهُ أَقْلَفُ ، وَلَا يَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ،
وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ ، وَامْرَأَتُهُ جُنْبٌ لَا تَطْهَرُ مِنَ الْحَيْضِ ، وَلَا مِنَ
النَّفَاسِ ، وَيَغْشَاهَا فِي الطَّمْثِ ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مَخْتُونَةٍ .

وَهُمْ مَعَ شَرَارَةِ طِبَائِعِهِمْ ^(٥) ، وَغَلَبَةِ شَهَوَاتِهِمْ لَيْسَ فِي دِينِهِمْ مَزَاجِرٌ
كَتَارِ الْأَبْدِ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَالْمُنُودِ وَالْقَوْدِ وَالْقَصَاصِ فِي الدُّنْيَا ، فَكَيْفَ
يُجَانِبُ مَا يَفْسِدُهُ ، وَيُؤْثِرُ مَا يَصْلُحُهُ مِنْ كَانَتْ حَالُهُ كَذَلِكَ . وَهَلْ
يُصْلِحُ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ كَمَا قُلْنَا ^(٦) ؟ وَهَلْ يَهْتَجِعُ عَلَى الْفَسَادِ إِلَّا مَنْ وَصَفْنَا ^(٧) ؟

(١) انظر الحيوان ١ : ١١٩ ، ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان ١ : ١٢٥ .

(٣) ب ، م : « خِصَاءَ نَفْسِهِ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٤) انظر ما مضى في ص ٣١٨

(٥) يُقَالُ : شَرٌّ يَشْرُ وَيُشَرُّ شَرّاً ، وَشَرَارَةٌ ، فَهُوَ شَرِيرٌ كَأَمِيرٍ ، وَشَرِيرٌ كَكَيْتٍ .
وَفِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « شَرَارٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثَبَتْ . وَانظر الحيوان ٤ : ٢٩٧ / ٦ : ٤٦٠ .
وَأَمَّا الشَّرَارُ ، بِالْكَسْرِ وَكَجِبَلٍ ، فَهُوَ مَا يَصْطَلِرُ مِنَ النَّارِ ، وَاحِدَتُهُمَا بِهَا .

(٦) ب ، م : « مُجَانِبُ مَا يَفْسِدُهُ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) ب ، م : « وَهَلْ يَصْلِحُ الدُّنْيَا كَمَا قَالُوا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٨) ب ، م : « وَهَلْ يَهْتَجِعُ عَلَى الْفَسَادِ إِلَّا كَمَا وَصَفْنَا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

ولو جَهِلْتَ بِكُلِّ جَهْلِكَ ، وَجَمَعْتَ كُلَّ عَقْلِكَ أَنْ تَفْهَمَ قَوْلَهُمْ فِي الْمَسِيحِ ، لَمَا قُدِرْتَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَعْرِفَ بِهِ حَدَّ النِّصْرَانِيَّةِ ، وَخَاصَّةً قَوْلَهُمْ فِي الْإِلَهِيَّةِ .

وكيف تقدر ^(١) على ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألتَه عن قولهم في المسيح لقال قولاً ، ثم إن خلوت بأخيه لأُمِّه وأبيه وهو نسطوري مثله فسألتَه عن قولهم في المسيح لأنك بخلاف أخيه وصنوه . وكذلك جميع المَلَكَانِيَّةِ واليَعْقُوبِيَّةِ ^(٢) . ولذلك صِرْنَا لَا نَعْقِلُ حَقِيقَةَ النِّصْرَانِيَّةِ ، كَمَا نَعْرِفُ ^(٣) جَمِيعَ الْأَدْيَانِ .

على أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الدِّينَ لَا يَخْرُجُ فِي الْقِيَاسِ ، وَلَا يَقُومُ عَلَى الْمَسَائِلِ ^(٤) ، وَلَا يَثْبِتُ فِي الْاِمْتِحَانِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّسْلِيمِ لِمَا فِي الْكِتَابِ ، وَالتَّقْلِيدِ لِلْأَسْلَافِ . وَلَعَمْرِي ، إِنَّ ^(٥) مَنْ كَانَ دِينُهُ دِينَهُمْ لِيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَذِرَ بِمَثَلُ عُلَمَائِهِمْ .

وَزَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ النِّصْرَانِيَّةِ مِنَ الْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ وَالزُّنَادِقَةِ فَهُوَ مَعْذُورٌ ، مَا لَمْ يَتَعَمَّدَ الْبَاطِلَ ، وَيُعَانِدِ الْحَقَّ . فَلِذَا صَارُوا إِلَى الْيَهُودِ قَضَوْا عَلَيْهِمْ بِالْمَعَانِدَةِ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ طَرِيقِ الْفَلَطِ وَالشُّبْهَةِ .

٤ - فُصِّلَ مِنْهُ

فَأَمَّا مَسْأَلَتُهُمْ فِي كَلَامِ عِيسَى فِي الْمَهْدِ : أَنَّ النِّصْرَانِيَّةَ مَعَ حُبِّهِمْ لِنُتْقُونَةِ أَمْرِهِ لَا يُثْبِتُونَهُ ، وَقَوْلُهُمْ : إِنَّا تَقْوَلُنَاهُ وَرَوَيْنَاهُ عَنْ غَيْرِ الثَّقَاتِ ^(٦) ،

(١) ب ، م : « يَقْدِرُ » .

(٢) انظر مائتي في ص ٣١٢ .

(٣) م فقط : « يَعْرِفُ » .

(٤) في جميع الأصول : « الْمَسَائِلُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٥) إِنْ ، سَاقِطَةٌ مِنْ ط .

(٦) في جميع النسخ : « الثَّقَاتُ » ، وَهُوَ غَطَّاءُ فِي الرِّسْمِ ، لِأَنَّهُ جَمْعُ ثَقَّةٍ .

وَأَنَّ الدليل على أَنَّ عيسى لم يتكلم في المهد أَنَّ اليهود لا يعرفونه ، وكذلك المجوس ، وكذلك الهند والخَزَرُ والدَّيْلَم . فنقول في جواب مسألتهم عند إنكارهم كلامَ المسيح في المهد مولوداً .

يقال لهم : إِنَّكُمْ حين سَوِّمَ المسألة وموهموها ، ونظمت ألقاظها ، ظننتم أَنَّكُمْ قد أنجحتُم^(١) ، وبلغتم غايتكم . ولعمري لئن حَسَنَ ظاهرها ، وراعَ الأسماعَ مَخرَجها^(٢) ، إِنَّها لقببحةُ المفتش ، سيئةُ المعري .

ولعمري أَنَّ لو كانت اليهود تقرأ لكم بإحياء الأربعة الذين تَزعمون^(٣) ، وإقامة المُقعد الذي تدعون ، وإطعام الجعج الكثير من الأرغفة اليسيرة ، وتصيير الماء جَملاً^(٤) ، والمشى على الماء ، ثم أنكرتِ الكلامَ في المهد من بين جميع آياته وبراهينه^(٥) لكان لكم في ذلك مقال ، وإلى الطمن سبيل . فأمَّا وهم يَجحدون ذلك أجمع ، فمرة يضحكون ، ومرة يضاظون ويقولون : إِنَّهُ صاحبُ رُقَى ونيرجات^(٦) ، ومداوى^(٧) (١) أنجح : صار ذا نجح وظفر . ويقال أيضاً نجح ، إذا أصاب طلبه . ط فقط : نجحت وأثبت ما في ب ، م .

(٢) ب فقط : « مخرجاها » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « يزعمون » . وهؤلاء الأربعة فيها يذكر المفسرون هم : « هازر » ، وكان صديقاً له ، أحياء بعد ثلاثة أيام فقام من قبره يقطر دمه ويبى إلى أن ولد له . والثاني : ابن الصبوز أحياء وهو على سرير الموت ، فزل عن أعناق الرجال وحل سريرته ، ويبى إلى أن ولد له . والثالث : بنت البشار ، وقد تمت بولدها بعد ما حيت . والرابع : سام بن نوح عليه السلام . سألوه أن يحييه ليخبرهم عن حال السفينة . فخرج من قبره . هذا ما ذكره أبو حيان في تفسيره ٢ : ٤٦٧ .

(٤) الجملة ، بالتصريك ، وكذا بالفتح : الماء الجلمد . وقيل : هو بالتصريك يكون جماً جامداً ، مثل خادم وخدم . ب فقط : « جامداً » .

(٥) ب ، م : « وبرهانه » ، صوابه في ط .

(٦) كلما في ب والحيوان ٤ : ٣٧٠ . في م ، ط : « نيرجات » ، وهما لفتان في التصريب قال صاحب القاموس : « والنيرج » ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به . وعقب عليه التريبي بقوله : « هكذا في سائر النسخ . والمتقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في كتاب الماروف لابن قتيبة ١٧٨ : « وكان صاحب نيرجات » . وأقول : هو بالفارسية « نيرتك » .

مجانين ، ومتطبب ، وصاحب حيل وتربص خلع^(١) ، وقراءة كتب ، وكان لسنا مسكيناً^(٢) ، ومقتولاً مرحوماً ، ولقد كان قبل ذلك صياداً سملك ، وصاحب شبك ، وكذلك أصحابه . وأنه خرج على مواطاة منهم له ، وأنه لم يكن ليرشدة^(٣) .

وأحسنهم قولاً ، وألينهم مذهباً من زعم أنه ابن يوسف النجار^(٤) . وأنه قد كان واطاً ذلك المقعد قبل إقامته بسنين ، حتى إذا شهّر بالفقعة^(٥) ، وعُرف موضعه في الزماني ، مرّ به في جمع من الناس كأنه لا يريد ، فشكا إليه الزمان وقلة الحيلة ، وشدة الحاجة ، فقال : ناولني يدك . فناوله يده ، فاجتذبه فأقامه ، فكان تجمع^(٦) لطول السعد ، حتى استمر بعد ذلك .

وأنه لم يُحى^(٧) ميتاً قط ، وإنما كان داوى رجلاً يقال له « لا عازر »^(٨) ، إذ^(٩) أُغيب عليه يوماً وليلة ، وكانت أمه^(١٠) ضعيفة العقل ، قليلة المعرفة ، فمرّ بها^(١١) ، فإذا هي تصرخ وتبكي ، فلخل إليها

(١) التربص : المكث والانتظار . ب ، م : « وتربص » . و ط : « وصاحب » وأرى الوجه فيها أثبت .

(٢) ب ، م : « سكيناً » ، وأثبت ما في ط .

(٣) يقال هو ليرشدة بالكسر وقد يفتح : نقض قولهم : لزنية أو لغير رشدة . والرشدة :

النكاح الصحيح . ط : « لم يكن له شدة » ، تحريف .

(٤) ط : « وأحسنهم قولاً وألينهم مذهباً » ، تحريف .

(٥) الفقعة ، بالكسر : شرب من القعود .

(٦) ط فقط : « تجمّد » .

(٧) ب ، م : « لم يحيى » ، تحريف .

(٨) في جميع الأصول : « لا عازر » ، وإنما هو « لعازر » المذكور في إنجيل يوحنا ١١ : ٤٣ .

(٩) ب فقط : « إذا » .

(١٠) في إنجيل يوحنا ١١ : « أنها أخته وأسمها « مرثا » . وفيه أيضاً أن يسوع كان يحب مرثا وأختها ولعازر . ويفهم من هذا أيضاً أن له أختين .

(١١) ط فقط : « بهما » .

لِيُسَكِّنَهَا وَيُعْزِيَهَا ، وَجَسَّ عِرْقَهُ فَرَأَى فِيهِ عِلَامَةَ الْحَيَاةِ ، فَدَاوَاهُ حَتَّى أَقَامَهُ ، فَكَانَتْ لِقَلَّةٍ مَعْرِفَتِهَا ^(١) لَا تَشْكُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، وَلَفَرَحَهَا بِحَيَاتِهِ تَشْنِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَتَتَحَدَّثُ بِهِ .

فَكَيْفَ تَسْتَشْهَدُونَ قَوْمًا هَذَا قَوْلُهُمْ فِي صَاحِبِكُمْ ، حِينَ قَالُوا : كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ صَبِيٌّ فِي الْمَهْدِ مَوْلوداً ^(٢) ، فَيَجْهَلُ ^(٣) الْأَوَّلِياءَ وَالْأَعْدَاءَ . وَلَوْ كَانَتْ الْمَجُوسُ تَقِيرُ لِعِيسَى بِعِلَامَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَأْذَنِي أُعْجُوبَةٍ ، لَكَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْكِرُوا عَلَيْنَا بِهِمْ ^(٤) ، وَتَسْتَعِينُوا بِإِنْكَارِهِمْ . فَأَمَّا وَحَالُ عِيسَى فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ الْمَجُوسِ كَحَالِ زَرَادُشْتِ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ النَّصَارَى فَمَا اعْتَلَّاهُمْ بِهِمْ ، وَتَعَلَّقَهُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ ؟

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : وَكَيْفَ لَمْ تَعْرِفِ الْمَنْدُ وَالْخَزَرْ وَالتُّرُكُ ذَلِكَ ؟ فَمَتَى أَقَرَّتِ الْمَنْدُ لِمُوسَى بِأُعْجُوبَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَضَّلَا عَنْ عِيسَى ؟ وَمَتَى أَقَرَّتِ لِنَبِيِّ بَآيَةِ ، أَوْ رَوَّتْ لَهُ سِيرَةً ، حَتَّى تَسْتَشْهَدُوا ^(٥) الْمَنْدَ عَلَى كَلَامِ عِيسَى فِي الْمَهْدِ ؟

وَمَتَى كَانَتْ التُّرُكُ وَالْدَّبِلُومُ وَالْخَزَرْ وَالْبَبِيرُ ^(٦) وَالطَّلِيسَانُ ^(٧) مَذْكُورَةً فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ ، مُحْتِجًا بِهَا عَلَى هَذَا الضَّرْبِ ؟

(١) ب ، م : « بِقَلَّةٍ مَعْرِفَتِهَا » .

(٢) ب ، م : « مَوْلُودٌ » .

(٣) ب فقط : « لِيَجْهَلَهُ » .

(٤) ب ، م : « وَتَنْكِرُوا عَلَيْنَا بِهِمْ » .

(٥) ب ، م : « حَتَّى يَسْتَشْهَدُوا » .

(٦) الببیر ، بیامین : أمة قديمة يبدو أنها من أم الترك ، وتقرن بالطليسان ، كما في البيان ١ : ١٣٧ . وجاء في الطبری ٤ : ٢٤٦ : « فَبَيْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبِلَ بْنِ عَوْفِ الْأَحْمَرِيِّ فِي أَرَبَةِ آلَافٍ . فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ مَوْقَانَ وَالْبَبِيرِ وَالطَّلِيسَانِ » ، ب : « وَالسَّرُورِ » م « وَالسَّرِ » ط : « وَالتَّتَرِ » ، صَوَاهِجُهَا مَا أَثْبَتَ . وَلَمْ تَرُدَّ « التَّتَرِ » فِي أَثَرٍ مِنْ أَثَرِ الْجَلِيسِطِ ، كَمَا أَنَّ مَعْرِفَةَ الْعَرَبِ بِالتَّتَرِ جَاءَتْ مَتَأَخِّرَةً ، إِذْ لَمْ يَرُدِّ ذِكْرُهُمْ فِي الْكَامِلِ لِإِنْ الْأَثَرِ قَبْلَ سَنَةِ ٣٤٥ .

(٧) الطليسان : إقليم واسع كبير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٤٤ . سمى البلدان . وانظر الحاشية السابقة .

فإن سألونا عن أنفسهم فقالوا : ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحدٍ بئته ؟ أجبناهم بعد إسقاط نكيرهم^(١) وتشنيعهم ، وتزوير شهودهم .
 وجوابنا^(٢) : أنهم إنما قيلوا دينهم^(٣) عن أربعة أنفس : اثنان منهم من الحواريين يزعمهم^(٤) : يوحنا ، ومتى . واثنان من المستجيبة^(٥) وهما : مارقش ولوقش^(٦) ، وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ، ولا تعتمد الكذب ، ولا التواطؤ^(٧) على الأمور ، والاصطلاح على اقتسام الرياسة^(٨) ، وتسليم كل واحدٍ منهم لصاحبه حصته التي شرطها له .

فإن قالوا : إنهم كانوا أفضل من أن يتعملوا كذباً ، وأحفظ من أن ينسوا شيئاً ، وأعلى^(٩) من أن يغلطوا في دين الله تعالى ، أو يُفسيحوا عهداً .

قلنا : إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل ، وتضادها في كتبهم^(١٠) ، واختلافهم في نفس المسيح ، مع اختلاف شرائعهم ، دليل على صحة قولنا فيهم^(١١) ، وغفلتكم عنهم .

(١) في الأصول : « نكيرهم » .

(٢) ط فقط : « جوابنا » .

(٣) قبلوا دينهم : أخذوه وتلقوه ، كما يقبل الرجل الفار من المستق والقابلة الولد من الوالدة .

(٤) ب فقط : « يزعمهم » ، تحريف .

(٥) ب فقط : « من المسيحية » ، تحريف .

(٦) هـا حرقش ولوقش .

(٧) ب ، م : « ولا التواطؤ » ، صوابها في ط .

(٨) ب ، م : « والاصطلاح على اقتسام الرياسة » ، صوابه في ط .

(٩) ب ، م : « وأعلى » ، تحريف ماق ط .

(١٠) ب ، م : « وتضاد مبادئ كتبهم » .

(١١) الكلام ينه إلى نهاية هذه الرسالة بجميع فصولها ، ساقط من ط .

وما يُنكر من مثل لَوْقَسَ أَنْ يَقُولَ باطلاً ، وليس من الحواريين ، وقد كان يهودياً قَبْلَ ذلك بآثامٍ يسيرة ، ومن هو عندكم من الحواريين خَيْرٌ من لَوْقَسَ عند المسيح في ظاهر الحكم بالطَّهارة ، والطِّباعِ الشَّرِيفة ، وبراعة السَّاحة .

٥ - فصل منه (١)

وسألتم عن قولهم : إذا كان تعالى قد اتخذ عبداً من عباده خليلاً ، فهل يجوز أن يتخذ عبداً من عباده ولداً ، يريد بذلك إظهار رحمته له ، ومحَبَّته إياه ، وحَسَنَ تربيته وتأديبه له ، ولُطْفِ منزلته منه ، كما سمى عبداً من عباده خليلاً ، وهو يريد تشریفه وتعظيمه ، والدَّلالة على خاصِّ حاله عنده .

وقد رأيت من المتكلمين من يُجيز ذلك ولا يُنكره ، إذا كان ذلك على التَّبْنِي والتَّربية والإبانة له بلُطْفِ المنزلة ، والاختصاص له بالرحمة والمحبة ، لا على جهة الولادة ، واتخاذ الصاحبة . ويقول (٢) : ليس في القياس فرقٌ بين اتخاذ الولد على التَّبْنِي والتَّربية وبين اتخاذ الخليل على الولاية والمحبة .

وزعم أنَّ الله تعالى يحكم في الأسماء بما أَحَبَّ ، كما أنَّ له أن يحكم في المعاني بما أَحَبَّ .

وكان يجوزُ دعوى أهل الكتاب على التَّوراة والإنجيل والزبور ، وكتب الأنبياء صلواتُ الله عليهم في قولهم : إِنَّ الله قال : « إسرائيل

(١) هذا الفصل وما يليه من الفصول إلى نهاية هذه الرسالة ساقط من مذكرات سيق التتبع .

(٢) ب : « وتقول » م : « وتقول » ، صوابها ما أثبت .

يُكْرَى^(١) « أَى هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَبَنَيْتُ مِنْ خَلْقِي . وَأَنَّهُ قَالَ : « إِسْرَائِيلُ بَكْرَى ، وَبَنُوهُ أَوْلَادِي » . وَأَنَّهُ قَالَ لِلدَّوُدَ : « سَيُودُكَ لَكَ غَلَامٌ ، وَيُسَمَّى ابْنُ ابْنِي ، وَأُسَمَّى لَهُ أَبَا^(٢) » . وَأَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أَنَا أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ ، وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ^(٣) » ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَوَاتِهِمْ : « يَا أَبَانَا فِي السَّمَاءِ ، تَقَلَّسْ اسْمُكَ^(٤) » . فِي أُمُورٍ عَجِيبَةٍ ، وَمَذَاهِبَ شَنِيعَةٍ^(٥) ، يَدُلُّ عَلَى سُوءِ عِبَادَةِ الْيَهُودِ^(٦) ، وَسُوءِ تَأْوِيلِ أَصْحَابِ الْكِتَابِ ، وَجَهْلِهِمْ مَجَازَاتِ الْكَلَامِ ، وَتَصَارِيفِ اللَّغَاتِ ، وَنَقْلِ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ ، وَمَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَا لَا يَجُوزُ . وَسَبَبُ هَذَا التَّأْوِيلِ كُلُّهُ الْفِيَّ وَالْتِقَالُ ، وَاعْتِقَادُ التَّشْبِيهِ .

وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّمَا وَضَعْتَ الْأَسْمَاءَ عَلَى أَقْدَارِ الْمَصْلُحَةِ ، وَعَلَى قَدَرِ مَا يَقَابِلُ مِنْ طِبَاعِ الْأُمَمِ . فَرُبَّمَا كَانَ أَصْلَحُ الْأُمُورِ وَأَمْتَنَهَا^(٧) أَنْ يَتَّبِعَنَاهُ اللَّهُ أَوْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، أَوْ يُخَاطِبَهُ بِلَا تَرْجُمَانِ ، أَوْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ ، أَوْ يُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ عَاقِرٍ وَعَقِيمٍ . وَرُبَّمَا كَانَتْ الْمَصْلُحَةُ غَيْرَ ذَلِكَ

(١) فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ ٤ : ٢٢ : « فَضَلُّوا لِقَرْمُونَ : هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ ، إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرِ » . وَفِي سَفَرِ هُوشَع ١١ : ١ : « لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحَبَّهُتُهُ وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي » . وَفِي رِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى أَمَلِ رُومِيَّةِ ٩ : ٤ : « الَّذِينَ هُمُ إِسْرَائِيلِيُّونَ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْوَعْدَ » .

(٢) فِي صُورِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ ٧ : ١٢ - ١٤ : « مَتَى كَلَّمْتُ أَيْمَانَكُمْ وَاسْتَطِجَمْتُ مَعَ آبَائِكُمْ أَتَمَّ بِدَعْوَتِكُمْ نَسَكًا الْفَنَى يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكُمْ وَأَثْبَتَ مَلِكُهُ . هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لَأَسْمَى وَأَنَا أَثْبَتُ كُرْسِيَّ مَلِكُهُ إِلَى الْأَبَدِ . أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا » .

(٣) جَاءَ فِي إِنْجِيلِ يُوَحْنَا ٢٠ : ١٧ فِي مُخَاطَبَةِ مَعْنَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْمِ الْمَجْدَلِيَّةِ : « قَالَ لَهَا يَسُوعُ : لَا تَلْسَعِي لِأَنِّي لَمْ أَصْغِدْ بِهَذَا إِلَى أَبِي . وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ : إِنِّي أَصْغِدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ » .

(٤) فِي إِنْجِيلِ مَتَّى ٦ : ٩ : « فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا : أَبَانَا الْفَنَى فِي السَّمَوَاتِ يَتَقَلَّسْ اسْمُكَ » . وَانْتَظِرْ أَيْضًا إِنْجِيلَ لُوقَا ١١ : ٢

(٥) ب : « شَيْءٌ » م : « شَيْءٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ ، وَإِنْ كَانَتْ « شَيْءٌ » مَحْصِيَةً أَيْضًا .

(٦) ب : « صِبَاةٌ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي م .

(٧) ب : « وَأَمَّا » م : « وَأَمَّا » ، وَلِلَّ وَجْهًا مَا أَثْبَتَ .

كله. وكما نعبئنا أن نسميه جواداً ونهانا أن نسميه سخيّاً أو سريّاً^(١) وأمرنا أن نسميه مؤمناً ونهانا أن نسميه مسلماً، وأمرنا أن نسميه رحيماً ونهانا أن نسميه رقيقاً.

وقياس هذا كله واحد، وإنما يتسع ويسهل على قدر العادة وكثرتها. ولعل ذلك كله قد كان شائعاً في دين هود وصالح وشعيب وإسماعيل، إذ كان^(٢) شائعاً في كلام العرب في إثبات ذلك وإنكاره.

وأما نحن - رحمك الله - فلإنا لا نُجيزُ أن يكون لله ولد، لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبني، ونرى أن تجوز ذلك جهلاً عظيم، وإثم كبير؛ لأنه لو جاز أن يكون أباً ليعقوب لجاز أن يكون جداً ليوسف، ولو جاز أن يكون جداً وأباً، وكان ذلك لا يُوجب نسباً، ولا يؤهمُ مشاكلةً في بعض الوجوه، ولا ينقص من عظم، ولا يحط من بهاء، لجاز أيضاً أن يكون عمّاً وخالاً؛ لأنه إن جاز أن يسميه^(٣) من أجل الرحمة والمحبة والتأديب - أباً، جاز أن يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد أخاً^(٤)، ولجاز أن يجد له صاحباً وصديقاً، وهذا ما لا يجوزُهُ إلا من لا يعرف عظمة الله، وصغر قدر الإنسان.

وليس بحكيم من ابتلَلَ نفسه في توقيف عبئه، ووضَعَ من قدره في التوقُّر على غيره. وليس من الحكمة أن تُحسنَ إلى عبدك بأن تسميه إلى

(١) في النسخين: «سرياً» والصواب مأثبات. والسرى: وصف من سرو كثير ودعا ورضى، سرواً وسرواً وسراً وسراء، وهي المروعة في شرف.

(٢) م: «إذا كان».

(٣) الكلام يذهب إلى «يسميه» التالية ساقط من م.

(٤) في النسخين: «والتفضيل أخاً والتسويد أخاً»، و«أخاً» الأولى مقحمة.

نفسك ، وتأتي من الفضل ما لا يجبُ بتضييع ما يجب . وكثيرُ الحمد لا يقوم بقليل الذم^(١) ، ولم يحمده الله ولم يعرف إلميته من جواز عليه صفات البشر ، ومُناسبة الخلق ، ومُقاربة العباد .

وبعد ، فلا يخلو المولى في رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين : إما أن يكون لا يقدر على كرامته إلا بهوان نفسه ، ويكون على ذلك قادراً ، مع وقارة العظمة ، وتمام البهاء .

وإن كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلا بأن ينقص^(٢) من قدر نفسه فهذا هو العجز ، وضيق الذرع^(٣) .

وإن كان على ذلك قادراً فآثر ابتذال نفسه والخطأ من شرفه فهذا هو الجهل الذي لا يحتمل^(٤) .

والوجهان عن الله جلّ جلاله منفيان .

ووجه آخر يعرفون به صحة قولي ، وصواب مذهبي ، وذلك أن الله تبارك وتعالى لو علم أنه قد كان فيما أنزل من كتبه على بني إسرائيل : إن أباكم كان بكرى وابني ، وإنكم أبناء بكرى - لما كان تغضب عليهم^(٥) إذ قالوا : نحن أبناء الله ، فكيف لا يكون ابنُ ابنِ الله ابنه^(٦) ،

(١) في التسخين : « ما لا يقول بقليل الذم » ، والصواب حذف « ما » . لا يقوم به : لا يماذله .

(٢) ب : « ينقص » ، صوابه في م .

(٣) الذرع : الطائفة ، وهو أيضاً : بسط اليد . والمراد ضيق الخلق ، على الخلل . م : « الخرج » ، تحريف .

(٤) في التسخين : « لا يحمل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) التنقيب : التفتيش ، واستتار الرأى التنقيب لشدة غليان القدر في قوله :

إذا أحشوها بالوقود تنقبت على اللحم حتى تترك اللحم بادياً

وفي التسخين : « تمصب » بالعين المهملة ، صوابه ما أثبت . وانظر الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٦) ب : « لا يكون ابن ابنه » م : « لا يكون ابن ابنه » . والصواب ما أثبت .

وهذا من تمام الإكرام ، وكمال المحبة ، ولا سيما إن كان قال في التوراة : بنو إسرائيل أبناء بكرى .

وأنت تعلم أنَّ العربَ حين زعمت أنَّ الملائكة بناتُ الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره ، وغضب على أهله ، وإن كان يعلم أنَّ العرب لم تجعل الملائكة بناته على الولادة واتخاذ الصاحبة ، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله قد كان يُخير عباده قبل ذلك بأنَّ يعقوبَ ابنه ، وأنَّ سليمانَ ابنه ، وأنَّ عِزْرَأَ ابنه ، وأنَّ عيسى ابنه ^(١) ؟ .

فالله تعالى أعظمُ من أن يكون له أبوةٌ من صفاته ، والإنسان أحقر من أن يكون بنوةُ الله من أنسابه .

والقول بأنَّ الله يكون أباً وجداً ^(٢) وأخاً وعمّاً ، للنصارى ألزم ، وإن كان للآخرين لازماً ، لأنَّ النصارى تزعم أنَّ الله هو المسيح بنُ مريم ، وأنَّ المسيحَ قال للحواريين : « إخوتي » . فلو كان للحواريين أولادٌ لجاز أن يكون الله عنهم !

بل قد يزعمون أنَّ مرقسَ هو ابن شمعون الصفا ^(٣) ، وأن زوزرى ابنته ، وأنَّ النصارى تُقرُّ أنَّ في إنجيل مرقس ^(٤) : « ما زاد ^(٥) أمك وإخوتك على الباب » وتفسيرها : « ما زاد ^(٦) : معلم . فهم لا يمتنعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أباً وجداً وعمّاً .

(١) وأن عزيرا ابنه ، سلق من ب .

(٢) ب : « أباً واحداً » ، سواء في م .

(٣) في الفصل لآين حزم ٢ : ٢ أن ماركس هو تلميذ شمعون الصفا بن ثوما .

(٤) في التسخين : « في الإنجيل مرقس » سواء ما أثبت . وانظر إنجيل مرقس ٣ : ٣٢ .

(٥) ب : « ماذا » يذالين معجبتين . والذي في الإنجيل : « هو ذا » .

(٦) ب : « ماذا » يذالين معجبتين .

ولولا^(١) أَنَّ اللهَ قد حكى عن اليهود أَنَّهُم قالوا : إِنَّ « عزيزاً ابنُ الله^(٢) » ، « ويدُ الله مغلوله^(٣) » ، نو^(٤) { إن الله فقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ^(٥) } وحكى عن النَّصَارَى أَنَّهُم قالوا : « المسيح ابنُ الله » وقال : « قالت النَّصَارَى المسيحُ ابنُ الله^(٦) » . وقال : « لقد كَفَرَ الذين قالوا إِنَّ الله ثالثُ ثَلَاثَةٍ^(٧) » - لكنَّيْ لَأَنَّ أَخِرَّ من السَّاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أَلْفِظَ بِحَرْفٍ مِمَّا يَقُولُونَ . ولكنِّي لَا أَصِلُ إِلَى إظهار جميعِ مخازيهم ، وما يُسِرُّونَ من فضائحهم ، إِلَّا بِالْإِخبارِ عنهم ، والحكايةِ منهم .

فإِنْ قالوا : خَبَرُونَا عن الله ، وعن التَّوراةِ ، أليست حقًّا^(٨) ؟ قلنا : نعم . قالوا : فَإِنَّ فِيهَا « إِسْرَائِيلُ بِكْرِى^(٩) » وجميعُ ما ذَكَرْتُمْ عِنا معروفٌ فِي الكُتُبِ .

قلنا : إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا أَتَوْا من قِلَّةِ المعرفةِ بِوجوهِ الكلامِ ، ومن سوءِ التَّرجمةِ ، مع الحكمِ بما يَسِيقُ إِلَى القلوبِ . ولَعَمْرِي أَنَّ لو كانت لهم عقولُ المسلمينَ ومعرفةُهم بما يجوزُ فِي كلامِ العربِ ، وما يجوزُ على اللهِ ، مع قَصَاحَتِهِم بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، لَوَجَدُوا لَذلكَ الكلامَ تَأْوِيلًا حسنًا ، ومُخَرَّجًا سَهْلًا ، ووجهًا قريبًا . ولو كانوا أَيْضًا لم يُعْطَلُوا فِي سائِرِ ما تَرَجَّمُوا لَكَانَ لِقَائِي مَقَالًا ، وَلَطَاعِي مَلْخَلًا ، وَلَكِنَّهُمْ يَخْبِرُونَ أَنَّ

(١) ب : « ولو » .

(٢) إشارة إلى الآية الكرمة : « وقالت اليهود عزيز ابن الله » ، وهي الآية ٣٠ من التوبة .

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية ١٨١ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٠ من سورة التوبة . والاقْتِباسُ هنا بطَرَحِ الواوِ ، فَإِنَّ نَصَ الآيةِ : « وقالت النَّصارَى » . وهو أمر جائز كما أُثِرَتْ إِلَى ذلكِ فِي كِتَابِي تَحْقِيقِ النُّصُوصِ ص ٥١ .

(٦) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٧) فِي التَّنْصِيحِ : « حق » ، سِوَاهِ ما أَثْبَتَ .

(٨) انظر ما سبق فِي حِوَالِي ص ٣٣٢ .

الله تبارك وتعالى قال في العَشْر الآيَاتِ^(١) التي كتبها أصابعُ الله :
 « إِنِّي أَنَا اللهُ الشَّدِيدُ ، وَإِنِّي أَنَا اللهُ الثَّقَفُ^(٢) ، وَأَنَا النَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ
 النَّيْرَانُ^(٣) ، أَخَذَ الْأَبْنَاءَ بِحَوْبِ الْآبَاءِ ، الْقُرُونُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ
 إِلَى السَّابِعِ^(٤) . وَأَنَّ دَاوُدَ قَالَ فِي الزَّبُورِ : « وَافْتَحْ عَيْنَكَ يَا رَبُّ »
 وَ « قُمْ يَا رَبُّ » ، وَ « أَصْغِرْ إِلَى سَمْعِكَ يَا رَبُّ^(٥) » . وَأَنَّ دَاوُدَ خَبَّرَ أَيْضاً
 فِي مَكَانٍ آخَرَ عَنْ اللهِ تَعَالَى : « وَانْتَبِهْ اللهُ كَمَا يَنْتَبِهُ السُّكْرَانُ الَّذِي قَدْ
 شَرِبَ الْخَمْرَ^(٦) » . وَأَنَّ مُوسَى قَالَ فِي التَّوْرَةِ : « خَلَقَ اللهُ الْأَشْيَاءَ
 بِكَلِمَتِهِ ، وَبِرُوحِ نَفْسِهِ » . وَأَنَّ اللهُ قَالَ فِي التَّوْرَةِ لِابْنِ إِسْرَائِيلَ :
 « بِنِزَاعِي الشَّدِيدَةِ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ^(٧) » . وَأَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ
 إِشْعِيَاءَ : « أَحْمَدُ اللهُ حَمْدًا جَلِيدًا ، أَحْمَدُهُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ ، بِمَلَأِ الْجَزَائِرِ
 وَسُكَّانَهَا ، وَالْبُحُورَ وَالْقَفَارَ وَمَا فِيهَا ، وَيَكُونُ بَنُو قَيْدَارَ فِي الْقُصُورِ ،
 وَسُكَّانُ الْجِبَالِ^(٨) - يَعْنِي قَيْدَارَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ - لَيَصِيرُوا وَيُصَيِّرُوا اللهُ
 الْقُسْرَ وَالْكَرَامَةَ ، وَيَسْبُحُوا بِحَمْدِ اللهِ فِي الْجَزَائِرِ^(٩) » .

(١) في النسختين : « في العشر آيات » ، والوجه ما أثبت .

(٢) الثقف : الفطن الذي .

(٣) في النسختين : « أكل النيران » .

(٤) في سفر الخروج ٣٤ : ٧ : « مفتتحة إثم الآباء في أبناء الأبناء في الجيل الثالث

والرابع » .

(٥) انظر الزمير ١٧ : ١ و ٢٨ : ٢١ و ٦١ : ١

(٦) في الزمير ٧٨ : ٦٥ : « فاستيقظ الرب كأنهم كجبار مغيث من الخمر » . عيط الشارب :

قال عيط عيط ، بكسر العين ، وقد عيط تغيطا .

(٧) انظر الخروج ١٣ : ٤ والثنية ٤ : ٢٤ / ٥ : ١٥ و الزمير ١٣٦ : ١١ - ١٢ .

(٨) في سفر إشعياء ٤٢ : ١٥ ، ١١ : « غنوا الرب أغنية جديدة تسيبها من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤها ، والجزائر وسكانها . ترفع البرية ومنهاتها صوتها الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان صالح من وجوس الجبال » .

(٩) في سفر إشعياء ٤٢ : ١١ - ١٢ : « ليهنؤا . ليهنؤا الرب مجدًا ويهنؤوا بتسبيحه في الجزائر » . وفي الأصل هنا : « يصيحوا ويصيروا لله القسرة والكرامة ، ويلبسون بحمد الله في الجزائر » . وقد أصلحت العبارة في ضوء ما في القسرة .

وأنه قال على إثر ذلك : « ويخرج الرب^(١) كالجبار ، وكالرجل الشجاع المجرب^(٢) ، ويَزْجُرُ ويصرخ ، ويهيج الحرب والحمية ، ويقتل أعداءه^(٣) ، يفرح السماء والأرض » .

وأن الله قال أيضاً في كتاب إشعياء : « سَكَتُ . قال : هو متى أسكت ، مثل المرأة التي قد أخذها الطلق للولادة أتلهف^(٤) ، وإن تراني أريد أحرث الجبال والشعب^(٥) ، وأخذ بالعرب في طريق لا يعرفونه^(٦) » . وكلهم على هذا اللفظ العربي مُجمِع . ومعنى هذا لا يجوزُه أحد من أهل العلم ، ومثل هذا كثير تركته لمعرفتكم به .

وأنت تعلم أن اليهود لو أدخلوا القرآن فترجموه بالعبرانية لأخرجوه من معانيه ، ولحوّلوه عن وجوهه ، وما ظنك بهم إذا ترجموا : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾^(٧) ، و ﴿ لَتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾^(٨) ، و ﴿ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٩) ، و ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(١٠) ، و ﴿ نَاصِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(١١) ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾^(١٢) ،

(١) في التسخين : « ويحيي الرب » وفي سفر إشعياء : « الرب كالجبار يخرج » .

(٢) في سفر إشعياء : « كرجل حروب يهش غيرته »

(٣) في سفر إشعياء : « يهتف ويصرخ ويقوى حل أعدائه » .

(٤) لا يريد أن في العبارة تحريفاً . والذي في سفر إشعياء ٤٢ : ١٤ : « قد صمت منذ الدهر ، سكنت تجلست . كالوالدة أسبح أنفخ وأنغرماً » . سكنت وتجلست جاء التكرار فيها .

(٥) في سفر إشعياء : « أغرب الجبال والأكام وأجفف كل عشبها وأجبل الأنهار ييبساً وأنشف الآجام » .

(٦) كذا . والذي في السفر : « وأسير المعنى في طريق لم يعرفوها » . أسير من التسيير ، والمعنى : جمع أعمى

(٧) الآية ٥٥ من سورة الفرقان . (٨) الآية ٣٩ من سورة طه .

(٩) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

(١٠) الآية ٥ من سورة طه .

(١١) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة القياية .

(١٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

و ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١) ، و ﴿جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢) .
وقد يُعلم أنَّ مفسري كتابنا وأصحاب التأويل مِنَّا أحسنُ معرفةً ،
وأعلمُ بوجوه الكلام من اليهود ، ومتأولِي الكتب ، ونحن قد نجد في
تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صفته ، ولا عند المتكلمين في مقاييسهم^(٣) ،
ولا عند النحويين في عربيتهم . فما ظنُّك باليهود مع غباوتهم وغيثهم ،
وقلة نظريهم وتقليدِهم ؟

وهذا بابٌ قد غلِطت فيه العربُ أنفسها ، وفصحاءُ أهل اللغة إذا
غلِطت قلوبها ، وأخطأت عقولها ، فكيف بغيرهم ممن لا يعلم كعلمها ؟
سمع بعضُ العرب قولَ جميع العرب : « القلوب بيد الله » ، وقولهم
في الدعاء : « نواصينا بيد الله » وقوله جل ذكره : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٤) ،
وقولهم : « هذا من آيادي الله ونِعَمِهِ عَلَيْنَا » وقد كان من لغتهم أنَّ الكُفْرَ
أيضاً يدُ^(٥) ، كما أنَّ النعمة يد ، والقدرة يد ، فغلط الشاعر^(٦) فقال :
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا^(٧)

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٣) في النسخين : « مقاييسهم » .

(٤) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٥) في النسخين : « الكفر أيضاً يد » ، والوجه ما أثبت . وهو تمهيد للاستنباط
بالبيت التال ، الذي أثبت للإله كفاً ، وذلك من سوء أدب الشاعر ، وإنما يعبر باليد في ذات
الله معنى النسبة والقدرة .

(٦) هو محمد بن حازم الباهل كان في العقد ٣ : ٢٠٦ . وسماه « ابن أبي حازم » ، محريف .
وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهل . كان من ساكني بغداد ، ومولده وملتؤه بالبصرة . وهو
من شعراء الدولة العباسية . شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء الناس . ولم يبلغ من الخلفاء
إلا المأمون . كان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وهو صاحب البيت المشهور :

يا راقه الليل سروراً بأوله إن الحوادث قد يطرُق أنصارا

وقد طابجه يحيى بن أكرم على إخصاره الشعر ، فأجاباه بأشعار حسن .

انظر الأغاني ١٢ : ١٥١ - ١٦٠ والمرزباني ٤٢٩ وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(٧) في العقد : • فلا تحزن فإن الأمور •

وقد كان إبراهيمُ بن سيارٍ النظامُ يعجب بجوابٍ ، وأنا ذاكرُهُ إن شاء الله . وعليه كانت علماء المعتزلة ، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً .

وذلك أنه كان يجعل الخليلَ مثل الحبيب ، مثل الولي ، وكان يقول : خليلُ الرحمن مثل حبيبه ووليّه وناصره . وكانت الخلّة والولاية والمدحّة سواء .

قالوا : ولما كانت كلّها عنده سواء جاز أن يسمّى عبداً له ولداً ، لمكان التربية التي ليست بحضّانة ، ولمكان الرّحمة التي لا تُشتق من الرحم^(١) ، لأنّ إنساناً لو رحم جرّو كلبَ قريبه لم يجز أن يسمّيه ولداً ويسمّى نفسه أباً . ولو التقط صبيّاً قريبه جاز أن يسمّيه ولداً ويسمّى نفسه له أباً ، لأنّه شبّه ولده ، وقد يؤكّد لثله مثله . وليس بين الكلاب والبشر أرحام ، فإذا كان شبّه^(٢) الإنسان أبعد من الله تعالى من شبّه الجرّو بالإنسان ، كان الله أحقّ بالأب يجعله ولده ، وينسبه إلى نفسه .

قلنا لإبراهيم النظام عند جوابه هذا وقياسه^(٣) الذي قاس عليه ، في المعارضة والموازنة بين قياسينا وقياسه : أرأيت كلباً ألفَ كلابه^(٤) ، وحامى وأحمى دونه ، هل يجوز أن يتخذَه بذلك كلّهُ خليلاً ، مع بُعد التشابّه والتناسب ؟

فإذا قال : لا . قلنا : فالعبدُ الصالح أبعدُ شبهاً من الله من ذلك الكلبِ المحين إلى كلابه ، فكيف جازَ في قياسك أن يكون الله خليلَ

(١) في التسخين : « لا يشتق » ، تحريف .

(٢) ب : « شبّه » .

(٣) ب : « وإن قياسه » .

(٤) الكلاب : صاحب الكلاب ، كما أن المكلّب صاحبها الذي يعلمها أغد الصيد ويستطاد

بها . ب : « أرأيت كلاباً » ، صوابه في م .

من لا يشاكله لمكان إحسانه ، ولا يجوز للكلاب أن يسمّى كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حسن تربيته له ، وتأديبه إياه ، ولمكان حسن الكلب وكسبه عليه ، وقيامه مقام الولد الكاسب والأخ ، والبار .

والعبد الصالح لا يشبه الله في وجه من الوجوه ، والكلب قد يشبه كلابه لوجوه كثيرة ، بل ما أشبهه به مما خالفه فيه ، وإن كانت العلة التي منعت من تسمية الكلب خليلاً ولداً بعد شبهه من الإنسان .

فلو قلتم ^(١) : فما الجواب الذي أجبت فيه ، والوجه الذي أرتضيتَه ؟ قلنا : إن إبراهيم صلوات الله عليه ، وإن كان خليلاً ، فلم يكن خليلاً بخلة كانت بينه وبين الله تعالى ، لأن الخلة والإخاء والصداقة والتصافي والخلة وأشياء ذلك منفية عن الله تعالى عز ذكره ، فيما بينه وبين عباده ، على أن الإخاء والصداقة داخلتان في الخلة ، والخلة أعم الاسمين ، وأخص الحالتين . ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخلة ^(٢) التي أدخلها الله على نفسه وماله ، وبين أن يكون خليلاً [بالخلة وأن يكون خليلاً ^(٣)] بخلة بينه وبين ربّه - فرق ظاهر ، وبون واضح . وذلك أن إبراهيم عليه السلام اختلّ في الله تعالى اختلالاً لم يختلّه أحد قبله . لقذفهم إياه في النار ، وذبحه ابنه ، وحمله على ماله في الضيافة والمواساة والأثرة ، وبعداوة قومه ، والبراءة من أبويه في حياتهما ، وبعد موتهما ، وترك وطنه ، والهجرة إلى غير داره ومسقط رأسه . فصار لهذه الشدائد مختلاً في الله ، وخليلاً في الله . والخليل والمختل ^(٤) سواء في كلام

(١) في النسخين : فلم قلتم ، والوجه ما أثبت .

(٢) الخلة ، بالفتح : الحلية والتقر .

(٣) تكلة يفترق إليها الكلام .

(٤) في النسخين : « غول » ، تحريف . وفي السان : « ورجل غل وختل وغيل وأخل : معلم فقير » .

العرب . والدليل على أَنَّ يكون الخليل من الخلَّة كما يكون من الخلَّة قولُ زهير بن أبي سُلمى ، وهو يمدح هَرَمًا :

وإِنَّ أَنَاهُ خَلِيلُ يَوْمٍ مَسْنَبَةٍ يَقُولُ لَا عَاجِزٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ^(١)

وقال آخر :

وإِنِّي إِلَى أَنْ تَسْعَفَانِي بِحَاجَةٍ إِلَى آلَ لَيْلَى مَرَّةً لَخَلِيلٍ
وهو لَا يمدحه بَأَنَّ خليله وصديقَه يكون فقيرًا سائلًا ، يَأْتِي يَوْمَ
المَسْأَلَةِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ لِلصَّدَقَةِ والعَطِيَةِ ، وَإِنَّمَا الخليل في هذا الموضع من
الخلَّة والاختلال ، لَا من الخلَّة والخلال .

وكَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام حين صار في الله مختلًا أَضَافَهُ اللهُ إِلَى
نَفْسِهِ ، وَأَبَانَهُ بِذَلِكَ عَنْ سَائِرِ أَوْلِيَائِهِ ، فَسَمَاهُ خَلِيلَ اللهِ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ ،
كَمَا سَمَّى الْكُتُبَةَ : بَيْتَ اللهِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْبُيُوتِ ، وَأَهْلَ مَكَّةَ : أَهْلَ اللهِ
مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْبُلْدَانِ . وَسَمَّى نَاقَةَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَام : نَاقَةَ اللهِ مِنْ بَيْنِ
جَمِيعِ النُّوقِ . وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَثَوَابٍ
وَعِقَابٍ . كَمَا قَالُوا : دَعَا فِي لَعْنَةِ اللهِ ، وَفِي نَارِ اللهِ وَفِي حَرْقِهِ . وَكَمَا قَالَ
لِلْقُرْآنِ : كِتَابَ اللهِ ، وَلِلْمَحْرَمِ : شَهْرَ اللهِ . وَ[على هذا المثال قيل لحمزة
رحمة الله ورضوانه عزَّ ذكره عليه : أَسَدُ اللهِ ، و^(٢)] لِمَخَالِدِ رَحْمَةِ اللهِ
عليه : سَيْفُ اللهِ تَعَالَى .

وفي قياسنا هذا لَا يَجُوزُ : أَنَّ اللهَ خليلَ إِبْرَاهِيمَ ، كَمَا يَقَالُ : إِنْ
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ .

(١) ديوان زهير ١٥٣ والنسخ ٤ : ٤٢٩ .

(٢) هذه التكملة من م وإن كانت عبارة الدعاء هذه ليست من أسلوب الجاحظ .

فإن قال قائل : فكيف لم يقدموه على جميع الأنبياء ، إذ كان الله قدّمه بهذا الاسم الذى ليس لأحد مثله ؟

قلنا : إن هذا الاسم اشتق له من عمله وحاله وصفته ، وقد قيل لموسى عليه السلام : كلّم الله ، وقيل لعيسى : روح الله ، ولم يُقل ذلك لإبراهيم ، ولا لمحمد صلوات الله عليهما ، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم أرفع درجةً منهم ، لأن الله تعالى كلّم الأنبياء عليهم السلام على ألسنة الملائكة ، وكلّم موسى كما كلّم الملائكة ، فلهذه العلة قيل : كلّم الله . وخلق في نطف الرجال أن قلّظها^(١) في أرحام النساء على ما أجرى عليه تركيب العالم ، وطباع الدنيا ، وخلق في رحم مريم روحاً وجسداً ، على غير مجرى العادة ، وما عليه المناكحة . فلهذه الخاصة قيل له : روح الله .

وقد يجوز أن يكون في نبي من الأنبياء خصلة شريفة ، ولا تكون تلك الخصلة بعينها في نبي أرفع درجة منه ، ويكون في ذلك النبي خصال شريفة ليست في الآخر . وكذلك جميع الناس ، كالرجل يكون له أبوان ، فيحسن برهما وتعاملهما ، والصبر عليهما ، وهو أعرج لا يقدر على الجهاد ، وفقير لا يقدر على الإنفاق . ويكون آخر لا أب له ولا أم له ، وهو ذو مال كثير ، وخلق سوى ، وجلد طاهر ، فأطاع هذا بالجهاد والإنفاق ، وأطاع ذلك ببر والديه والصبر عليهما .

والكلام إذا حرك تشعب ، وإذا ثبت أصله كثرت فئوته ، واتسعت طرقه . ولولا ملالة القارئ ، ومداراة المستمع لكان بسط القول في جميع ما يعرض أنتم للدليل ، وأجمع للكتاب ، ولكننا إنما ابتدأنا الكتاب لنقتصر به على كسر النصرانية فقط .

(١) في النسختين : « إذ قلّظها » ، ووجه العبارة بما ترى .

٦ - فصل منه

قلنا في جواب آخر : إن كان المسيح إنما صار ابنَ الله لَأَنَّ الله خلقه من غير ذكر ، فأدم وحواء^(١) إِذْ كانا^(٢) من غير ذكر وأنثى أحقُّ بذلك ، إِنْ كانت العلَّةُ في اتخاذهِ ولداً أَنَّهُ خلقه من غير ذكر . وإن كان ذلك لمكان التربية فهل ربَّاهُ إلَّا كما ربَّى موسى^(٣) ، وداود ، وجميع الأنبياء . وهل تأويل : « ربَّاهُ » إلَّا غَدَاهُ ، ورزقه ، وأطعمه ، وسقاه ، فقد فعل ذلك^(٤) بجميع الناس . وَلَمْ سَمِّينَ سَقِيَهُ لَمْ وإطعامه إِيَّاهُم تربية ؟ وَلَمْ رَبَّاهُ وَأَنْتُمْ لا تريدون إلَّا غَدَاهُ ورزقه ، وهو لَمْ يَحْضُنْهُ ، ولم يباشر تغليبه ، ولم يتولَّ بنفسه سَقِيَهُ وإطعامه ، فيكون ذلك سبباً له دون غيره ، وإنما سقاه لَبِنَ أُمِّهِ فِي صِغَرِهِ ، وَغَدَاهُ بِالْحُبُوبِ والماء في كبره .

٧ - فصل منه

والأعجوبة في آدم عليه السلام أَيْدُعُ ، وتربيته أكرم ، ومُنْقَلَبُهُ أعلى وأشرف ، إِذْ كانت الممَاءُ دارَهُ ، والجنةُ منزلُهُ ، والملائكةُ خُدَّامَهُ . بل هو المَقْدَمُ بالسُّجُودِ ، والسُّجُودُ أَشَدُّ الخُضُوعِ . وإن كان يَحْضُنُ التعليم والتثقيف^(٥) ؛ فَمَنْ كان الله تعالى يخاطبه ، ويتولى مناجاته دون أَنْ يُرْسَلَ إليه ملائكته ويبعث إليه رُسُلَهُ ، أَقْرَبُ منزلةً ، وأشرف مرتبةً ، وأحقُّ بِشَرْفِ التَّأْدِيبِ وفضيلةِ التعليم .

(١) رحمت في النسختين : « حوى » .

(٢) ب : « إِذَا كان » م : « إِذَا كان » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في النسختين « إِلا حماد بن موسى » ، صوابه ما أثبت ، وهو من دقيق التحريف ، حرفت « كا » إلى « حاد » و « وى » إلى « د بن » .

(٤) ب : « فهل فعل ذلك » ، صوابه في م .

(٥) أى « وإن كان تقديمه بحسن التعليم » ، وكلمة « التثقيف » ساقطة من م . وفي النسختين : « وإن كان بحسن التعليم » ، والوجه ما أثبت .

وكان الله تعالى يكلم آدم كما كان يكلم ملائكته ، ثم علمه الأسماء كلها ، ولم يكن ليعلمه الأسماء كلها إلا بالمعاني كلها ، فإذا [كان ^(١)] ذلك كذلك فقد علمه ^(٢) جميع مصالحه ومصلحه ولده ، وتلك نهاية طبايع الآدميين ، ومبلغ قوى المخلوقين .

٨ - فصل منه

فلما قولهم إنا نقول على الناس ما لا يعرفونه ^(٣) ، ولا يجوز أن يدينوا به ، وهو قولنا إن اليهود قالت : إن الله تعالى فقيرٌ ونحن أغنياء . وأنها قالت : إن يد الله مغلولة ، وإنها قالت : إن عزيراً ابنُ الله ، وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم ، ينكرون ذلك ويأبونه أشد الإباء .

قلنا لهم : إن اليهود لعنهم الله تعالى كانت تطعن على القرآن ، وتلمس نقضه ، وتطلب عيبه ، وتخطئ فيه صاحبه ، وتأتيه من كل وجه ، وترسله بكل حيلة ، ليتبس على الضعفاء ، وتستميل قلوب الأغنياء ^(٤) .

فلما سمعت قول الله تعالى لعباده الذين أعطاهم ، قرضاً ، وسألم قرضاً على التضعيف ، فقال عز من قائل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ^(٥) 〉 . قالت اليهود ^(٦) على وجه الطعن والعيب والتخطئة والتعنّت : تزعم أن الله يستقرض منا ، وما استقرض منا

(١) تكلة يفقر إليها الكلام .

(٢) ب : قول عليه ، صوابه في م .

(٣) سقطت كلمة « لا » من النسخين ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٤) ب : « الأغنياء » ، صوابه في م . وفي النسخين : « ويستميل » ، تحريف .

(٥) الآية ٢٤ من سورة البقرة . وقرأة نصب « فيضاعفه » هي لامهم وابن عامر ويقوب .

وقرأة الجهمود « فيضاعفه » بالرفع حل الاستغناء . إتحاف فضلاء البشر ١٥٩ .

(٦) ب : « قالت » فقط .

لألفقره وغنانا ! فكفرت بذلك القول إذ كان^(١) على وجه التّكذيب والتّخطئة ، لا على وجه أنّ دينها كان في الأصل أنّ الله فقير ، وأنّ عباده أغنياء . وكيف يعتقد إنسان أنّ الله عاجز عما يقدر عليه ، مع إقراره^(٢) بأنّه الذي خلقه ورزقه ، وإن شاء حرّمه ، وإن شاء عبّده ، وإن شاء عفا عنه . وقدرته على جميع ذلك كقدرته على واحد .

ومجاز الآية في اللّغة واضح ، وتأويلها بيّن ؟ وذلك أنّ الرجل منهم كان يُقرض صاحبه لإرفاقه^(٣) ، ليعود إليه مع أصل ماله اليسير من ربحه ، ثم هو مخاطر به إلى أن يعود في ملكه . فقال لهم - بحسن عادته ومنته : أسوا فقراءكم^(٤) ، وأعطوا في الحقّ أقرباءكم ، من المال الذي أعطيتكم ، والنّعم التي خولتكم ، بأمرى إليّاكم وصحائي لكم ، فأعتدّه منكم قرضاً وإن كنت أولى به منكم ، فأنّا مؤفّيك حقوقكم إلى ما لا ترتقي إليه همة ولا تبلغه أمنيّة . على أنّكم قد آمنتم من الخطار ، وسلمتم من التّغريب .

والرجل يقول لعبّده^(٥) : أسلفني درهماً ، عند الحاجة تفرّض له^(٦) ، وهو يعلم أنّ عبده وماله له . وإنما هذا كلامٌ وفعلٌ يدلّ على حسن الملكة ، والتّفصّل على العبد والأمة ، وإخبار منه لعبّده أنّه سيُعبد عليه ما كانت سخّت به نفسه .

(١) ب : « إذا كان » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « مع قراره » .

(٣) الإرفاق : التّفخ . وفي م : « لإرفاقه » .

(٤) المؤاظة : مصدر آسأ بهاله : أناله منه وجله فيه أسوة ، فهي للمشاركة . وفي الحديث « ما أحد على أعظم يدأ من أبي بكر ، آسأ بنفسه وماله » . ' وفي ب : « واسوا » على التخفيف ، وإن ذكر صاحب اللسان أنها لغة ضيقة ، في حديث الحديبية : « إن المشركين واسونا الصلح » .

(٥) ب : « لعبد » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « تفرّض له » ، تحريف ما أثبت .

وهذا ليس بغلطٍ في الكلام ولا يضيق فيه ^(١) ولكن المتعنت يتعلّق بكلّ سبب ، ويتشبّه بكلّ ما وجد .

وأما إخباره عن اليهود أنّها قالت : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ^(٢) ﴾ ، فلم يذهب إلى أنّ اليهود ترى أنّ ^(٣) ساعده مشلوبة إلى عنقه بغلّ . وكيف يذهب إلى هذا ذاهبٌ ، ويَلِينُ به دائن ؟ ! لأنّه لا بدّ أن يكون يذهب إلى أنّه غلّ نفسه أو غلّ غيره . وأيّهما كان ، فإنّه منقُ عن وهم كلّ بالغ يحتمل التكليف ، وعاقلي يحتمل التثقيف ، ولكنّ اليهود قَوْمٌ جَبَرِيَّةٌ ، والجبريّة ^(٤) تُبْخَلُّ الله مرّةً ، وتظلمه مرّةً ^(٥) ، وإن لم تُقرّ بأسانها ، وتُشهِد على إقرارها ، بقولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ يَحْنُونُ بِرّه وإِحْسَانه ^(٦) . وقولهم : مَغْلُولَةٌ ، لا [يعني] ^(٧) أنّ غِبره حبسه ومنعه ، ولكن إذا كان عندهم أنّه الذي منع أياديّه ، وَحَبَسَ نِعْمه ؛ فهي مَحْبُوسَةٌ بحبسه ، وممنوعة بمنحه .

والذي يدلُّ على أنّهم أرادوا باليدين النعمة والإفضال ، دون

(١) في الأصلين : « وهذا ليس يغلط في الكلام ولا يضيق فيه » .

(٢) الآية ٦٤ من سورة المائدة . (٣) في النسختين : « بأن » تحريف .

(٤) في اللسان : « الجبرية : الذي يقولون : أجبر الله العباد على الذنوب ، أي أكرههم عليه » . والمعروف عند المتكلمين أنّ الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت العبد فضلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً . والجبرية المتوسطة التي تثبت العبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أراً ما في الفعل وسى ذلك كسباً فليس بجبري . والمسرّة يسمعون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلاً - جبرياً . الملل والنحل ١ : ١٠٨ .

(٥) في اللسان (غلام ٢٦٧) : « وظلمه (بالتشديد) : أنّاه أنه ظالم ، لو نسب إلى الظلم وأنته :

أمت تظالني ولست بظالم وتظني نبياً ولست بنائم

وفي ب : « وتظلمه » ، صوابه ما أثبت من م .

(٦) يره ، ساقطة من ب . وهي في م : « يده » ، ووجه هذه ما أثبت .

(٧) تكله يفتر إلى مثلها الكلام .

السَّاعِدِ والنَّزاعِ ، جَوَابُ كَلَامِهِمْ حِينَ قَالَ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ^(١) 》 . دَلِيلًا عَلَى مَا قُلْنَا ، وَشَاهِدًا عَلَى مَا وَصَفْنَا .
فَإِنْ قَالُوا : فَكَيْفَ لَمْ نَقُلْ إِنَّ الْيَهُودَ بَخَلَّتِ اللَّهُ وَجَعَلَتْ إِحْسَانَهُ ،
دُونَ أَنْ يَقَالَ إِنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ؟

قُلْنَا : إِنَّ أَرَادَ اللَّهُ الْإِخْبَارَ عَنْ كُفْرِ قَوْمٍ ^(٢) وَسَخِطَ عَلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ لَمْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ دِينِهِمْ وَعِيُوبِهِمْ بِأَحْسَنِ الْمَخَارِجِ ، وَبِجَلِيلِهَا ^(٣)
بِأَحْسَنِ الْأَلْفَاظِ . وَكَيْفَ وَهُوَ يَرِيدُ التَّنْفِيرَ عَنْ قَوْلِهِمْ ، وَأَنْ يَبْغِضَهُمْ
إِلَى مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ .

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَلْيِينَ الْأَمْرِ وَتَصْفِيرَهُ وَتَسْهِيلَهُ ، لَقَالَ قَوْلًا غَيْرَ
هَذَا . وَكُلُّ ^(٤) صَلَقٍ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ . فَهَذَا مَجَازٌ مَسْأَلَتُهُمْ فِي اللُّغَةِ ،
وَهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْيَهُودَ لَا تَقُولُ إِنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ . فَإِنَّ الْيَهُودَ فِي
ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَاصٌّ ، وَالْآخَرُ عَامٌّ فِي جَمَاعَتِهِمْ .
فَأَمَّا الْخَاصُّ ، فَإِنَّ نَاسًا مِنْهُمْ لَمَّا رَأَوْا عَزِيرًا أَعَادَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ
مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، بَعْدَ ذُرُوسِهَا وَشَتَاتِ أَمْرِهَا غَلَوًا فِيهِ ، وَقَالُوا ذَلِكَ ،
وَهُوَ مَشْهُورٌ ^(٥) مِنْ أَمْرِهِمْ . وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ بَقَايَاهُمْ لِبَالِيَمَنْ وَالشَّامِ
وَدَاخِلِ بِلَادِ الرُّومِ . وَهَؤُلَاءِ بِأَعْيَانِهِمْ يَقُولُونَ : إِنَّ إِسْرَائِيلَ اللَّهُ ابْنُهُ ^(٦) ،
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِ تَنَاسُبِ النَّاسِ ، وَصَارَ ^(٧) ذَلِكَ الْأَسْمُ لُتْزِيرَ

(١) مِنَ الْآيَةِ ٦٤ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

(٢) ب : « عِلَّ كُفْرَ قَوْمٍ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) م : « وَبِجَلِيلِهَا » .

(٤) فِي التَّسَخُّنِ : « وَحُلْ » ، وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ . (٥) ب : « مَشْهُودٌ » .

(٦) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٣٣١ - ٣٣٢ . وَهُوَ تَرْجَمَةُ لِكَلِمَةِ « إِسْرَاءُ » وَ « لَيْلٍ » . وَفِي

تَقْسِيرِ أَبِي حَيَّانٍ ١ : ١٧١ أَنَّ « إِسْرَاءَ » بِمَعْنَى الْقَبْدِ ، فِي الْمَعْرَابِيَةِ .

(٧) ب : « وَسَارَ » بِالسَّيْنِ .

بالطاعة والعلامة ، والمرتبة لأنه^(١) من ولد إسرائيل .

والقول الذى هو عامٌ فيهم ، أن كلَّ يهوديٍّ^(٢) ولدهُ إسرائيل ، فهو ابنُ الله ، إذ لم يجعلوا ابنَ ابنٍ قطُّ إلا وهو ابن .

٩ - فصل منه

فإن قالوا : ليس المسيحُ روحُ الله وكلمته ، كما قال عزّ ذكره : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحُ منه ﴾^(٣) أو ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أمه أنه نفخ فيها من روحه ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها^(٤) ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر أنه لا أبَ له ، وأنه^(٥) كان خالقاً ، إذ كان يخلقُ من الطين كهيئة الطير ، فيكون حياً طائراً ؟ فأىُّ شيءٍ بقي^(٦) من الدلالات على مخالفته لمشكلة^(٧) جميع الخلق ، ومباينة جميع البشر ؟

قلنا لم : إنكم إنما سألتمونا عن كتابنا ، وما يجوزُ في لغتنا وكلامنا ، ولم تسألونا عما يجوزُ في لغتكم وكلامكم . ولو أننا جَوَزْنَا ما في لغتنا مالا يجوزُ ، وقلنا على الله تعالى مالا نعرفُ ، كنّا بذلك عند الله والسامعينَ في حدِّ المكائرين ، وأسوأ حالاً من المنقطعين ، وكُنّا قد أعطيناكم أكثرَ مما سألتم ، وجَرْنَا بكم فوق أمنيَّتكم .

(١) ب : « لا لأنه » . و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

(٢) في النسختين : « أن يكون يهودي » .

(٣) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٤) في الأصل : « أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها ، أخبر أنه نفخ فيها من روحه » وفي هذا تكرار لا وجه له .

(٥) ب : « وإن » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « بقي » ، تحريف .

(٧) في النسختين : « مشكلة » . والمقصود نفي المشاكلة .

ولو كنّا إذا قلنا : عيسى رُوح الله وكلمته ، وجب علينا^(١) في لغتنا أن يجعله الله ولداً ، ونَجْعَلَهُ^(٢) مع الله تعالى إلهاً ، ونقول^(٣) : إنّ روحاً كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم . فكُنّا إذا قلنا : إنّ الله سَمَّى جبريلَ رُوحَ الله ورُوحَ القدس ، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى . وقد علمت أنّ ذلك ليس من ديننا ، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا ، فكيف نُظهر للناس قولاً لا نقوله ، وديناً لا نرتضيه .

ولو كان قوله جلّ ذكره^(٤) : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾^(٥) يُوجبُ نفخاً كَنَفَخَ الرِّقُّ ، أو كَنَفَخَ الصَّائِغُ في المِنْفَاخِ ، وأنَّ بعضَ الرُّوحِ التي كانت فيه انفصلت فاصلةً إلى بطنه وبطن أمه^(٦) ، لكان قوله في آدم يوجب له ذلك ؛ لأنّه قال : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾^(٧) . . إلى قوله : ﴿ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾^(٨) وكذلك قوله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾^(٩) .

والنفخ يكون من وجوه ، والرُّوح يكون من وجوه :

فمنها ما أضافه إلى نفسه ، ومنها ما لم يُضِفْهُ إلى نفسه . وإنّما

(١) ب : « وجب علينا » ، تحريف ، ما في م .

(٢) في النسختين : « ويجعله » ، محرف .

(٣) في النسختين : « ويقول » .

(٤) في النسختين : « ولو قال جلّ ذكره » . فيقطع الكلام عما بعده .

(٥) من الآية ٩١ من الأنبياء و ١٢ من التحريم .

(٦) في النسختين : « بعض روح » .

(٧) في النسختين : « بطنها وبطن أمها » .

(٨) الآيتان ٧ و ٨ من سورة السجدة .

(٩) الآية ٩ من سورة السجدة .

(١٠) الآية ٢٩ من الحجر و ٧٢ من ص .

يكون ذلك على قدر ما عَظُم من الأمور ، فمِمَّا سَمِيَ رُوحاً وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، جِبْرِيلُ الرُّوحِ الْأَمِينُ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَالتَّوْفِيقُ قَوْلُ مُوسَى حِينَ قَالَ : إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَجَابُوا فُلَانًا النَّبِيَّ وَلَمْ يُجِيبُوكَ . فَقَالَ لَهُ ^(١) : « إِنَّ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ^(٢) .

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ رُوحاً ، وَجَعَلَهُ يُقِيمُ لِلنَّاسِ مَصَالِحَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، فَلَمَّا اشْتَبَهَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَلَزَمَهَا اسْمُهَا فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ^(٣) ﴾ وقال : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ^(٤) ﴾ .

١٠ - فصل منه

قَدْ جَعَلْنَا فِي جَوَابَتِهِمْ وَقَلَمْنَا مَسَائِلَهُمْ ^(٥) ، بِمَا لَمْ يَكُونُوا لِيَبْلَغُوهُ لَا تَفْسَهُمْ ، لِيَكُونَ الدَّلِيلُ تَاماً ، وَالْجَوَابُ جَامِعاً ، وَلِيَعْلَمَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتَدَبَّرَ هَذَا الْجَوَابَ ، أَنَّا لَمْ نَعْتَمِدْ عَجْزَهُمْ ، وَلَمْ نَنْتَهِزْ غِرَّتَهُمْ ، وَأَنَّ الْإِدْلَالَ بِالْحُجَّةِ ، وَالثَّقَّةَ بِالْفَلَجِ وَالنَّصْرَةَ ، هُوَ الَّذِي دَعَانَا إِلَى أَنْ نُخْبِرَ عَنْهُمْ بِمَا لَيْسَ عَنْدهُمْ ، وَأَلَّا نَقُولَ فِي مَسَائِلِهِمْ بِخَفَى لَمْ يَتَّبِعْهُ لَهُ مُتَتَّبِعٌ ، أَوْ يُثِيرَ إِلَيْهِ مَشِيرٌ ^(٦) ، وَأَلَّا يُوردوا فَيَا يَسْتَقْبَلُونَ ، عَلَى

(١) ب : « قَالُوا لَهُ » ، تحريف .

(٢) إشارة إلى ما جاء في سفر العدد ١١ : ٢٧ - ٢٩ : « فَرَكَّضَ غَلَامَ وَأَخْبَرَ مُوسَى وَقَالَ : أَلَدَادُ وَمِيَادُ يَتَيَّانُ فِي الْحَلَةِ . فَأَجَابَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ خَادِمُ مُوسَى مِنْ حُدَاتِهِ وَقَالَ : يَا بَنِي مُوسَى ، أَرَدَعَمَا . فَقَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ تَعَارَ أَنْتَ لِي ، يَا لَيْتَ كُلِّ شَعْبٍ الرَّبِّ كَانُوا أَنْبِيَاءَ إِذَا جِئِلَ الرَّبِّ رُوحَهُ عَلَيْهِمْ » .

(٣) الآية ٢ من الشورى .

(٤) الآية ٤ من المارج .

(٥) : « وَقَوَّمتَا مَسَائِلَهُمْ » .

(٦) في النصين : « أَوْ يثير » ، وإِنَّمَا هُوَ عَطْفٌ عَلَى : « لَمْ يَتَّبِعْ » .

ضُعْفَائِنَا وَمَنْ قَصُرَ نَظَرُهُ مِنَّا ، شَيْئاً إِلَّا وَالْجَوَابُ قَدْ سَلَفَ فِيهِ ،
وَأَلَسْتَهُمْ قَدْ مَدَّلْتُ بِهِ ^(١) .

ونسألهم إن شاء الله ، ونجيب عنهم ، ونستقصي لهم في جواباتهم ،
كما سألناهم أنفسنا ^(٢) ، واستقصينا لهم في مسائلهم
فيقال لهم : هل يَخْلُو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله ، أو إلهاً بلا
إنسان ؟ أو أن يكون إلهاً وإنساناً ؟

فإن زعموا أنه كان إلهاً بلا إنسان ، قلنا لهم : فهو الذي كان
صغيراً فَشَبَّ وَالتَّحَى ^(٣) ، والذي كان يأكل ويشرب ، وَيَنْجُو
ويبول ، وَقَتِيلَ بِزَعْمِكُمْ وَصَلِبَ ، وولدتَه مريمُ وأرضعته ، أم غيره هو
الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا ؟ فأى شئ معنى الإنسان
إلاً ما وصفنا وعَلَدْنَا ؟

وكيف يكون إلهاً بلا إنسان ، وهو الموصوفُ بجميع صفات
الإنسان . وليس القولُ في غيره مِمَّنْ صَفَتْهُ كَصَفَتْهُ إِلَّا كَالْقَوْلِ فِيهِ
كَاشِفًا لَهَا عَلَى غَيْرِهِ ؟

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر
البشرية ، ولكن لما كان اللاهوت فيه ، صار خالقاً وسمى إلهاً . قلنا
لهم : خبرونا عن اللاهوت . أكان فيه وفي غيره ^(٤) ، أم كان فيه دون
غيره ؟

(١) مدلت به : أذاعته وأفضته ، وأصل المثل إشاعة السر . قال قيس بن الخلم :

فلا تملل بهرك كل سر إذا ما جاوز الاثنين فاشي

ب : « قد دلت به » : « قد زلت به » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « كما سألناهم أنفسنا » ، صوابه في م .

(٣) التحى : ظهرت عليه . ب : « والتحى » بالهم ، تحريف .

(٤) ب : « أكان فيه وفي غيره » فقط ، وبقيّة العبارة من م مع سقوط كلمة « فيه »

الثانية ، وقد أجبنا تلكة القول .

فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ وَقٍ غَيْرِهِ ، فَلَيْسَ هُوَ أَوَّلَىٰ بِأَنْ يَكُونَ خَالِقًا وَيَتَسَمَّى إِلَهًا مِنْ غَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ ، فَقَدْ صَارَ اللَّاهُوتُ جَمْعًا .

وسنقول في الكثر عليهم إذا صيرنا إلى القول في التشبيه ، وهو قول مُعْظَمُهُمْ ^(١) ، والذي كان عليه جماعتهم ، إلا أن خالفهم من متكلميهم ومفلسفيهم ، فإنهم يقولون بالتشبيه ^(٢) والتجسيم ، فإِذَا رَأَوْا من كثرة الشناعة ، وعجزاً عن الجواب . وكفى بالتشبيه قُبْحاً ، وهو قول يَمُومُ الْيَهُودَ وَإِخْوَانَهُمْ من الرَّافِضَةِ ، وشياطينهم من المَشْبَهَةِ وَالْحَسَوِيَّةِ ^(٣) والنَّابِتَةِ ^(٤) ، وهو بعد متفرق في الناس . والله تعالى المستعان .

(١) ب : « قول من لم » م : « متعلم » ، وأثبت ما رأيت الصواب .

(٢) في النسخة : وفي التشبيه .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الحشوية في ص. ٢٨٨

(٤) في النسختين : ، النابتة ، ، وأثبت وأقرأ قلبها لأن هؤلاء غير هؤلاء . وانظر النابتة

فهرس الكتب والرسائل

صفحة	
٣	الحاسد والمحسود .
٢٥	المعلمين .
٥٣	الترييم والتلويز .
١١١	فى مدح النبيذ وصفة أصحابه .
١٢٩	طبقات المغنين .
١٣٧	النساء .
١٦١	مناقب الترك .
٢٢١	حجج النبوة .
٢٨٣	خلق القرآن .
٣٠١	الرد على النصارى .

مكتبة الجامعة
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

مكتبة
عبد السلام محمد هارون

رسائل الجاحظ

الجزء الرابع

إهداء من

الفصول المختارة من كتب الجاحظ

اختيار الأعلام عبادة بن حسان

[الطبعة الأولى]

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

من كتابه في
الرزق على المشيئة

من صدر كتابه في الرد على المشبه^(١)

أما بعد . فقد اختلف أهل الصلاة في معنى التوحيد . وإن كانوا قد أجمعوا على انتحالوا اسمه . فليس يكون كل من انتحل اسم التوحيد موحدًا إذا جعل الواحد ذا أجزاء ، وشبهه بشيء^(٢) ذي أجزاء .

ولو أن زاعماً زعم أن أحداً لا يكون مشبهاً وإن زعم أن الله يرى بالعيون ، ويوجد ببعض الحواس ، حتى يزعم أنه يرى كما يرى الإنسان ، ويدرك كما تدرك الألوان^(٣) كان كمن قال : لا يكون العبد لله مكلفاً ، وإن زعم أنه يقول مالا يفعل ، حتى يزعم أنه يكلف . ولا يكون العبد لله مجزواً^(٤) ، وإن زعم أنه يعذب من لم يعط^(٥) السبب الذي به ينال طاعته ، حتى يزعم أنه مجزور^(٦) .

ولو أن رجلاً قال لقائل : عندي جذر مائة^(٧) ، كان عندنا كفوله :

(١) ب : « المشبه به » ، صوابه ق م ، وهذا الكتاب ما سقط من نسخة ط المطبوعة على هامش الكامل . وقد سبق لمحاظ رسالة في هذا المعنى ، هي « نفى التشبيه » ولكنها غير هذا الكتاب ، انظر رسائل المحاضر ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠ . والمقابلة هنا على نسخة التيمورية فقط المرموز لها بالرمز (م) .

(٢) في النسختين : « شيء » والوجه ما أثبت .

(٣) ب : « كما يدرك الألوان » .

(٤) المجزور : الذي ينسب إلى الله المجزور ، أي النظم . وفي النسختين : « مجزوراً » برأين ، صوابه ما أثبت .

(٥) في النسختين : « لم يعطيه » ، تحريف .

(٦) في النسختين : « مجزور » . وانظر ما سبق .

(٧) الجذر ، يفتح الجيم وكسرهما ، أو بكسرهما فقط : أصل الحساب ، كما في القاموس . وفي مفاتيح العلوم ١١ عند كلامه على الأرقام : « الجذر كل ما تقسره في نفسه . . . وهو مثل جذر المائة وهو عشرة ، وجذر تسعة وهو ثلاثة ، وجذر أربعة وهو اثنان » . وهذا ما يسمى بالجذر المطلق . أما الجذر الأصم فهو ما لا يؤول إلى علم حقيقته بالعدد . وقد مثل له الخوارزمي بجذر الاثنين ، وجذر الثلاثة ، وجذر البشرة . وفي ب : « جزر » ، صوابه ق م .

فلان عشرة . وكذلك إذا قال : فلان قد ناقضَ في كلامه ، فهو عندنا كقوله : فلان^(١) قد أحالَ في كلامه .

ولو قال : ناقضَ ولم يُجِلْ^(٢) ، له عندى جدر مائة^(٣) وليس له عندى عشرة . كان كالذى يقول : ركبت غيراً ولم أركب حماراً ، وشربت المدامة ولم أشرب خمرأ .

وللمعانى دلالات وأسماء ، فمن دلَّ على المعنى بواحدةٍ منها ، وباسمٍ من أسمائها ، لم نسأله أن يوفينا الجميع ، وأن يأتى على الكلِّ ، ولم يُلْتَفَتْ إلى منع مانع ، إذا كان الذى منع مثل الذى أعطى .

وقد أنبأ الله عن نفسه ، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٤) فأقر القوم بظاهر هذا الكلام ، ثم جعلوه فى المعنى يشبه كلَّ شيء^(٥) ، إذ جعلوه جسماً ، فقد جعلوه مُحَلَّتاً ومخلوقاً ، لأنَّ دلالة الحلو^(٦) ، والشهادة على التدبير ، ثابتان فى الأجسام ، وإنما لزمها ذلك لأنَّهما أجسام^(٧) لا لغير ذلك ، لأنَّ الجسم إذا تحرك وسكن ، وعجز وقوى ، وبقى وقضى . وزاد ونقص ، ومازج الأجسام وتخلص لأنَّه جسم ، ولولا أنَّه جسمٌ لاستحالَ ذلك منه ، ولَمَّا جاز عليه

(١) ب : « فلان » ، صوابه فى م .

(٢) لم يجل ، من الإحالة ، وهو الإتيان بالحال من الكلام ، أى المستحيل . وفى النسختين : « لم يجل » بالخاء المعجمة ، صوابها ما أثبت .

(٣) ب : « جزر مائة » بالزاي ، صوابه فى م . وانظر ما مضى فى الصفحة السابقة .

(٤) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٥) م : « لشيء كل شيء » .

(٦) فى النسختين : « الحلو » .

(٧) ب : « لزمها ذلك لأنَّهما أجسام » م : « لزمهما ذلك لأنَّهما أجسام » والوجه ما أثبت .

هذه الأمور التي أوجبتْها الجسمية^(١) ، [و^(٢)] هي الدالة على حدوث الأجسام . فواجب أن يكون كلُّ جسم كذلك . إذا كانت الأجسام مستوية في الجسمية^(٣) ، وإذا كان كلُّ جسم منها أيضاً لزمه ذلك^(٤) .
وقد اختلف أصحاب التشبيه في مناهب التشبيه .

فقال بعضهم : نقول^(٥) : إنه جسمٌ . وكلُّ جسمٍ طويلٌ .
وقال آخرون : نقول^(٦) : إنه جسمٌ . ولا نقول^(٧) إنه طويلٌ ،
لأننا إنما جعلناه جسماً لنُخرجه من باب العلم ، إذ كنّا متى أخبرنا عن شيء ، فقد جعلناه معقولا متوهماً . ولا معقول ولا متوهمٌ إلا الجسم .
وليست بنا حاجة إلى أن نجعله طويلاً . وليس في كونه جسماً إيجابٌ لأن يكون طويلاً . لأن الجسم يكون طويلاً وغير طويل . كالمدور ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك . ولا يكون الشيء إلا معقولا ، ولا المعقول إلا جسماً .
فلذلك جعلناه جسماً ، ولم نجعله طويلاً .

فينبغي - يرحمك الله - لصاحب هذه المقالة . إن لم يجعله طويلاً أن يجعله عريضاً ، وإن لم يجعله عريضاً أن يجعله مدوراً ، وإن لم يجعله مدوراً أن يجعله مثلثاً ، وإن لم يجعله مثلثاً أن يجعله مربعاً .
وإن أقرَّ بهيمة من الميثاث فقد دخل فيما كره .

ولا أعلم المدور ، والمثلث ، والمربع ، والخمس ، والصلب ، والمزوى^(٨) ، وغير ذلك من الميثاث . إلا أنشع في اللفظ . وأحقر في الوهم .

(١) ب : الجسة .

(٢) ليست في النسختين .

(٣) في النسختين : لزمه ذلك لأنه فقط . ، تحريف .

(٤) في النسختين : يقول ، والوجه ما أثبت .

(٥) المزوى : ذو الزوايا والأركان . م : المزوى . ب : المزوى المهمة ، تحريف .

٢- فصل منه

وقال أصحاب الرؤية : اعتلّم علينا بقول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١) ، وقلتم : هذه الآية مبهمّة ، وخرجت مخرج العموم ، والعالم غير الخاص .

وقد صدقتم . كذلك العالم إلى أن يخصّه الله بآية أخرى ، وذلك أن الله تعالى لو كان قال : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ثم لم يقل : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢) لعلنا أنه قد استثنى آخره من جميع الأبصار^(٣) .

قالوا : وإنما ذلك مثل قوله : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤) ومثل قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾^(٥) وهذه الأخبار مبهمّة عامّة ، فلما قال : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾^(٦) ولما قال^(٧) ، أيضاً : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٨) علمنا أن القول الثاني قد خصّ القول الأول . وكذلك أيضاً قوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ .

(١) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة النّازعات .

(٣) يقال لقيه آخره ويأخّره ، بالتحريك فهما ، لى أخيراً . ب : « آخر » ، صوابه في م .

(٤) الآية ٦٥ من سورة البقرة .

(٥) الآية ١٧٩ من آل عمران .

(٦) الآية ٤٩ من سورة هود .

(٧) في النسختين : « ولو قال » ، والوجه ما أثبت .

(٨) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

قلنا للقوم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَالَ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ^(١) 》 . بعد أَنْ قَالَ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ^(٢) 》 . علمنا أَنَّ ذَلِكَ استثناء لبعض ما قَالَ إِنِّي لَا أَطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ . وهذا الاستثناء لَا اخْتِلَافَ فِي لَفْظِهِ وَلَا فِي مَعْنَاهُ ، وَلَا يَحْتَمِلُ ظَاهِرُ لَفْظِهِ غَيْرَ مَعْنَاهُ عَلَمًا .

وعندَ خصوصنا فيه أَشَدُّ الاختلاف . وظاهر لفظه ^(٣) يَحْتَمِلُ وجهًا آخَرَ غير مذهبوا إليه . والفقهاء وأصحاب التفسير يختلفون في تأويله وهم لَا يختلفون في تأويل قوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ^(٤) 》 قال : ذكر ابن مهدي عن سُفْيَانَ ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ^(٥) 》 أَنَّهُ قَالَ : نَتَنَظَّرُ ثَوَابَ رَبِّهَا . وذكر أبو معاوية ^(٦) عن إسماعيل ابن أبي خالد ^(٧) عن أبي صالح ^(٨)

(١) الآية ٤٩ من سورة هود . وفي النسختين : « ذلك من أنباء الغيب » ، تحريف ، فإن تمام هذه : « نوحى إليك وما كنت لأبهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » . وليست مرادة هنا . وهي الآية ٤٤ من آل عمران .

(٢) الآية ١٧٩ من آل عمران . ولاريب أنها سابقة للآية ٤٩ من هود .

(٣) ب : « وظ لفظه » وهو اختصار كتابي لكلمة « ظاهر » . وفي م : « وظاهر لفظه » كما أثبت .

(٤) الآية ٤٩ من سورة هود .

(٥) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة التينة .

(٦) هو محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم ، أبو معاوية الفرير الكوفي . روى عن عاصم الأحول ، والأعشى ، ودانود بن أبي هند ، وإسماعيل بن أبي خاله وغيرهم . وروى عنه ابن جريج ، ويحيى القطان ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم . توفي سنة ١٩٥ . تهذيب التهذيب .

(٧) إسماعيل بن أبي خاله الأحسى ، مولاهم . روى عن أبيه وجمع من الصحابة وكبار التابعين . وعنه شعبة ، والفيثانان ، وابن المبارك وغيرهم . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو ياذام ، أو ياذان ، أبو صالح ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب . روى عن علي وابن عباس وأبي هريرة . وعنه الأعشى ، وسماك بن حرب ، وسفيان الثوري وغيرهم . تهذيب التهذيب .

مثل ذلك . وأبو صالح ومجاهدٌ من كبار أصحاب ابن عباس ،
ومن العامة^(١) ، ومن الثقات في التفسير .
فهذا فرقٌ بين .

وبعد ، ففي حُجج العقول أن الله لا يُشبه الخلق بوجهٍ من الوجوه ،
فلذا كان مرثياً فقد أشبهه في أكثر الوجوه .

وإذا كان قولهم في النظر يحتمل ما قلتم ، وما قال خصمكم . مع
موافقة أبي صالح ومجاهد في التأويل . وكان ذلك أولى بنفي التشبيه
الذي قد دلَّ عليه العقل ، ثم القرآن : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) -
كان التأويل ما قال خصمكم دون ما قلتم .

٣ - فصل منه

ثم رجَّع الكلام إلى أول المسألة . حيث جعلنا القرآن بيننا قاضياً:
وأُتلفناه حاكماً ، فقلنا :

قد رأينا الله استعظمَ الرؤية استعظماً شديداً ، وغَضِبَ على مَنْ
طلبَ ذلك وأرادَه ، ثم عَذَّبَ عليه : وعَجَبَ عباده ممن سأله ذلك ،
وحلَّوهم أن يسلكوا سبيلَ الماضين ، فقال في كتابه لنبيه صلى الله عليه
وسلم : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ
سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾^(٣).

فإن كان الله تعالى - في الحقيقة - يجوزُ أن يكون مرثياً ، وببعض
الحواس مُترسكاً ، وكان ذلك عليه جائزاً ، فالقوم إنما سألوا أمراً

(١) كل ما وردت هذه الكلمة في النسخين .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) ١٥٢ من النساء .

ممكناً ، وقد طمِعُوا في مَطْمَع ، فَلَمْ غَضِبَ هذا الغَضَبَ ، واستعظمَ سؤالهم هذا الاستعظام . وضرب به هذا المثل . وجعله غايةً في الجُرْأَةِ^(١) وفي الاستِخفاف بالربوبية .

فإن قالوا : لَأَنَّ ذلك^(٢) كان لايجوز في الدنيا ؛ فقدره^(٣) الله تعالى على ذلك في الدنيا كقدرته عليه في الآخرة .

فإن قالوا : ليس لذلك استعظمَ سؤالهم ، ولكن لأنهم تقلعوا بين يديه .

قلنا : لم صار هذا السؤالُ تقلعاً عليه واستخفافاً به ، والشيء الذي طلبوه^(٤) هو مجزؤٌ في عقولهم ، وقد أطمعهم فيه أَنْ جُوزوه عندهم^(٥) ، والقومُ لم يَسْأَلُوا ظُلماً ولا عُبْثاً ولا مُحَالاً . ومن عادة المسئول^(٦) التفضلُ ، وأنه فاعلٌ ذلك بهم يوماً .

فإن قالوا : إنما صار ذلك الطلبُ كُفْراً وذنْباً عظيماً^(٧) لأنه قد كان قال لهم^(٨) : إِنِّي لَا أَتَجَلَّى لِأَحَدٍ في الدُّنْيَا .

قلنا : فإن كان^(٩) الأمرُ على ما قلتمْ لكان في تفسير إنكاره لطلبهم^(١٠) دليلٌ على ما يقولون ، ولذِكْرُ تقلعهم بعد البَيَان ، بل قال : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا

(١) ب : « وجهه غاية في الجراءة » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « كَانَ قَالُوا فَإِنَّ لَأَنَّ ذلك » ، صوابه ما أثبت .

(٣) في النسختين : « وقدره » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) ب : « الذي هو طلبوه » ، و « هو » مقتضاه .

(٥) م : « إِذْ جُوزُوهُ عَنْهُمْ » .

(٦) في النسختين : « ومن عادة المسئول » ، تحريف .

(٧) ب : « أَوْ ذَنْباً عَظِيماً » .

(٨) في النسختين : « فَقَالَ لَهُمْ » .

(٩) ب : « فَلَوْ كَانَ » .

(١٠) في النسختين : « في تفسيره إنكارهم لطلبهم » .

مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً^(١) ؟ لا غير ذلك .
فإن قالوا : إنما غَضِبَ اللَّهُ عليهم لَأَنَّهُ ليس لأحدٍ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ اللَّهَ تعالى
يُرى جَهْرَةً .

قلنا : وأى شيء تأويل قول القائل : رَأَيْتُ اللَّهَ جَهْرَةً إِلَّا الْمَعَانِيَةَ ،
أو إِعْلَانَ الْمَعَانِيَةِ^(٢) ؟ قال الله عزَّ ذكره : ﴿ لَا يُحِيبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ^(٣) 》 . والجهر هو الإعلان والرفع والإشاعة ؛ فهل يراه أهل
الجنة - إذا رَفَعَ عنهم الْحُجُبَ ، ودَخَلُوا عليه وجَلَسُوا على الكرسيِّ عنده -
إِلَّا جَهْرَةً ؟ كما تأولتم الحديث الذى رويتموه^(٤) عن النبي صلى الله
عليه وسلم : « لَا تَصَامُونَ فى رؤيته كما لا تَصَامُونَ فى الْقَمَرِ ليلةَ البدر^(٥) » ،
إِلَّا أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ سِرًّا ، لَأَنَّهُ ليس إِلَّا السِّرُّ والجهر ، وليس
إِلَّا الإعلان والإخفاء ، وليس إِلَّا الْمَعَانِيَةَ .

فإن قالوا : نحن لا نقول بالمعانية ، ونقول : نراه ، ولا نقول
نُعَانِيهِ .

قلنا : ولم ، وأنتم تَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِكُمْ ؟ فمن جَعَلَ لَكُمْ أَنْ تقولوا نَرَاهُ
بالعين ، ومنَعَكُمْ أَنْ تقولوا نُعَانِيهِ بالعين ؟ وهل اشْتَقَّتْ الْمَعَانِيَةُ إِلَّا من
العين ؟ .

(١) الآية ١٥٣ من النساء .

(٢) فى التسخين : « أو بإعلان المعانية » .

(٣) الآية ١٤٨ من النساء .

(٤) ب : « رأيتوه » ، صوابه فى م .

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب مواعيت الصلاة وفى التفسير والتوحيد ، ومسلم فى الصلاة ،

وأبو داود وابن ماجه فى السنة ، والترمذى فى صفة الجنة ، من حديث جرير بن عبد الله . وانظر

الحديث ٥٨ من الألف المختارة واللسان (ضم) .

فإن قالوا : لا يجوز أن يُلفَظَ بالمعينة إلا في الشيء الذي تقع ^(١) عينه على ، وتقع عيني عليه . فأمّا إذا كان أحطنا ذا عين ، والآخر [ليس ^(٢)] ذا عين ، فغير جائز أن تُسمى ^(٣) الرؤية معينة ، وإنما المعينة مثل المخاصمة ، ولا يجوز أن أقول : خاصمت إلا وهناك من يخاصمني .

قلنا : قد يقول الناسُ أسلم فلانٌ حين عاينَ السيف ، وليس للسيف عين ، وليس هناك من يقاتله . على أنكم قد تزعمون أن الله عينا لا كاليون وبدأ لا كالأبله ، وله عينٌ بلا كيف ، وسمعٌ بلا كيف .

٤ - فصل منه

وقالت - أيضاً - المشبهة :

الدليل على أنه جسمُ قوله عز ذكره : ﴿ وَجَاءَ رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا ^(٤) ﴾ . قالوا : فلا يجيء إلا إلى مكانٍ هو فيه ^(٥) ، ولو جاز أن يجيء إلى مكانٍ هو فيه جاز أن يخرج منه ^(٦) وهو فيه . فإذا أخبر الله أنه في السموات والأرض ، وقلم إن الدنيا كلها لا تخلو منه ، وإنه فيها ، فإذا كان الأمر كذلك ، وكانت الدنيا محدودة ، كان ^(٧) الذي يكون في بعضها أو في كلها محدوداً ، إذا كان لم يجاوزها . ولو جاوزها لخرج إلى مكانٍ ، ولا يجوز أن يخرج منها إلا إلى مكان .

(١) م : يقع .

(٢) تكلة يفطر إليها الكلام .

(٣) في النسختين : يسى .

(٤) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٥) في النسختين : قالوا فلا يجوز إلى مكان هو فيه ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سيأتى .

(٦) ب : جاز يخرج منه م : جاز يخرج منه ، سواء ما أثبت .

(٧) في النسختين : وكان ، والواو مقسمة .

وقالوا : قد أخبر الله أنه في السموات والأرض ، والله لا يخاطب عباده إلا بما يعقلون ، ولو خاطبهم بما لا يعقلون لكان قد كلّفهم ما لا يطيقون ، ومنّ خاطب من لا يفهم بالقهم عنه فقد وضع المخاطبة في غير موضعها . فهذا مقال القوم .

ونحن نقول : إن الشيء قد يكون في الشيء على وجوه ، وسنذكر لك الوجوه ، ونلحق كل واحد منها بشكله^(١) وبما يجوز فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلنا للقوم : أليس قد خاطب الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، والذين خبر أنهم لا يستطيعون سماعاً ؟

فإن قالوا : إن العرب قد تسمى المتعاضد أعمى ، والمتصايم أصم ، ويقولون لمن عمل عمل لا يعقل : لا يعقل^(٢) ؛ وإنما الكلام محمول على كلام . وذلك أن المتعاضد إذا تعاضد ، صار في الجهل كالأعمى ، فلما أشبهه من وجه سمي باسمه .

قلنا : قد صدقتم ؛ ولكن ليس الأصل . والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له . فإذا قالوا ذلك ، قلنا : فلم زعمتم أن له ناظراً ، وأخطئتم بالمجاز والتشبيه^(٣) ، وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه ؟

فإن قالوا : إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى ، والثاني جائز عليه ، والله لا يتكلم بكلام إلا ولذلك الكلام وجه^(٤) إما

(١) ب : « بكل واحد منها شكله » م : « بكل واحد منها يشكله » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « ويقولون لمن عمل عمل لا يعقل . » وتكلمه من م .

(٣) ب : « والتشبه » ، صوابه في م .

(٤) ب : « إلا » ، والوجه في م .

أن يكون هو الأصل والمحمول عليه ؛ وإما أن يكون هو الفرع والاشتقاق
اللى تسميه العرب مجازاً .

فإذا نظرنا في كلام الله - وهو عندنا عادلٌ غير جائر^(١) ، وهو جلُّ
جلاله يقول : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(٢) ﴾ علمنا أنهم لو كانوا
منقوصين غير وافرين ، كانوا قد كلّفوا ما لا يطيقون ، والمكلّف
لعباده ما لا يطيقون جائراً ظالماً . فإذا كان لا يليق ذلك به علمنا
أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين . وإذا كانوا كذلك ،
صار الواجب أن نحكم^(٣) بالفرع والمجاز ، ونَدَعِ الأصل والمحمول
عليه^(٤) . قلنا : هم عُمَى وصُمٌّ ولا يعقلون^(٥) على أنهم تعاموا وتساموا
وعملوا عمل من لا يعقل^(٦) .

فإذا قالوا ذلك قلنا لهم : فإننا لم نَعُدْ هذا المذهب في قوله : ﴿ نَاصِرَةٌ ﴾ ،
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٧) ﴾ وفي قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ^(٨) ﴾ .

وقد يقولون : جاءنا فلان بنفسه ؛ ويقولون : جاءنا بولده ، وجاءنا
بخير كثير . وذلك على معانٍ مختلفة .

(١) م : « غير جائر » بالزاي ، تحريف .

(٢) الآية ١٧١ من البقرة .

(٣) في النسخين : « يحكم بالفرع والمجاز ويدع الأصل » .

(٤) ب : « والمحمول على المجاز » ، صوابه في م .

(٥) في النسخين : « قلنا هو أمي وأسم ولا يعقل » مع سقوط كلمة « يعقل » من ب .
ولرى الوجه فيما أثبت .

(٦) وعملوا ، ساقطة من ب .

(٧) الآية ٢٢ من سورة القدر .

(٨) الآية ٢ من سورة الأنعام .

ويقولون : جاعتنا السماء بأمر عظيم ، والسماء في مكانها .
وقد يقولون - أيضاً - : جاعتنا السماء ، وهم إنما يريدون الغيم
الذي يكون به المطر^(١) من شيق السماء وناحيتها ووجهها .

(١) به ، سابقة من ب .

١٢

من كتابه في
مقالة العثمانية

(٢ - رسائل الجاهل - ج ٤)

١ - الفصل

من صدر كتابه في مقالة النجاشية^(١)

زَعَمَتِ النُّجَاشِيَّةُ أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلَاهَا بِالْإِمَامَةِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ . وَكَانَ أَوَّلَ مَا دَلَّاهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى فَضِيلَتِهِ ، وَخَاصَّةً مِنْزَلَتِهِ ، وَشِدَّةَ اسْتِحْقَاقِهِ - إِسْلَامُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِهِ وَفِي عَصَرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَاماً : فَقَالَ قَوْمٌ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ . وَقَالَ نَفَرٌ : خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ .

عَلَى أَنَّا إِذَا تَفَقَّدْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَأَحْصَيْنَا أَحَادِيثَهُمْ ، وَعَدَدْنَا رِجَالَهُمْ ، وَصَحَّحْنَا أَسَانِيدَهُمْ ، كَانَ الْخَيْرُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ أَعْمَ ، وَرِجَالَهُ أَكْثَرَ ، وَإِسْنَادُهُ أَصَحَّ ؛ وَهُوَ بِذَلِكَ أَشْهُرُ ، وَاللَّفْظُ بِهِ أَظْهَرُ . مَعَ الْأَشْعَارِ الصَّحِيحَةِ ، وَالْأَمْثَالِ الْمُسْتَفِيزَةِ ، فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْعَارِ وَبَيْنَ الْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا امْتَنَعَ فِي مَجِيشِهَا وَأَصْلِ مَخْرَجِهَا الشَّاعِرُ ، وَالِاتِّفَاقُ وَالتَّوَاطُّؤُ^(٢) .

وَلَكِنَّا نَدْعُ هَذَا الْمَذْهَبَ جَانِباً ، وَنَضْرِبُ عَنْهُ صَفْحاً ، اقْتِدَاراً عَلَى الْحِجَّةِ ، وَثَقَّةً بِالْقُلُوجِ وَالْقُوَّةِ^(٣) ، وَنَقْتَصِرُ عَلَى أَدْنَى مَنَازِلِ أَبِي بَكْرٍ ،

(١) نُشِرَ الْكِتَابُ كَامِلًا بِصَحْفِي فِي دَارِ الْكِتَابِ الْقُرْبِيِّ سَنَةِ ١٣٧٤ . وَنُشِرَ الْأَسْتِزْاجُ حَسَنَ السُّنُوذِيِّ فُصُولًا مِنْهُ مُتَّعِبَةً مِنْ شَرْحِ نَبِيحِ الْإِبْلَاقِ لِابْنِ أَبِي الْخَلِيدِ ، وَهِيَ فُصُولٌ يَشِيْعُ فِيهَا الْإِخْتِصَارُ وَالِاخْتِرَالُ ، بَلَغَ أَنَّ أَوْجَزَتْ صَفْحَتَانِ مِنْهَا فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ أَسْطُرٍ . انْتَهَرَ مُقَدِّمُ لِكْتَابِ النُّجَاشِيَّةِ وَلَا سَبِيحًا ص ١٤ .

وَقَدْ مَقُطِعَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مِنْ مَطْبُوعَةِ هَامِشِ الْكَامِلِ ، فَانْقَضَتْ الْمَقَابِلَةُ هُنَا عَلَى نَسْخِي ب ، م وَنَسْخِي مِنَ النُّجَاشِيَّةِ الَّتِي رَمَزْتُ لَهَا هُنَا بِالرَّمْزِ (ع) .

(٢) انْتَهَرَ لِقَشَاعِرُ مَا مَضَى فِي الرِّسَالَةِ ٣ : ٢٤٨ ، ٢٥١ .

(٣) الْفَلَجُ ، بِالْفَتْحِ ، الْفَلْجُ وَالْقُرُوزُ .

وَنَزَّلَ عَلَى حَكَمِ الْخَصْمِ ، مَعَ سَرَفِهِ وَمَيْعَلِهِ ، فَتَقُولُ ^(١) :

لَمَّا وَجَدْنَا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ خُبَابًا وَزَيْدًا أَسْلَمَا قَبْلَهُ ، فَأَوْسَطُ الْأُمُورِ ^(٢)
وَأَعْدَلُهَا وَأَقْرَبُهَا مِنْ مَحَبَّةِ الْجَمِيعِ وَرِضَى الْمَخَالِفِ ، أَنْ نَجْعَلَ ^(٣) إِسْلَامَهُمْ
كَانَ مَعًا ؛ إِذْ ادَّعَوْا ^(٤) أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِي ذَلِكَ مُتَكَافِئَةٌ ، وَالْأَثَارُ مُتَدَاغِفَةٌ ؛
وَلَيْسَ فِي الْأَشْعَارِ دَلَالَةٌ ، وَلَا فِي الْأَمْثَالِ حُجَّةٌ . وَلَمْ يَجْلُوا أَحَدِي
الْقَضِيَّتَيْنِ أُولَى فِي حُجَّةِ الْعَقْلِ مِنَ الْأُخْرَى .

وَقَالُوا : فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : فَمَا بِالْكُمْ لَمْ تَذْكُرُوا عَلِيًّا فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ كَثْرَةَ مَقْلَمِيهِ وَالرَّوَايَةِ فِيهِ ؟

قُلْنَا : لِأَنَّا قَدْ عَلِمْنَا بِالْوَجْهِ الصَّحِيحِ ، وَالشَّهَادَةِ الْقَائِمَةِ أَنَّهُ أَسْلَمَ
وَهُوَ حَدَّثَ غَيْرَ ، وَلَمْ نَكُذِّبِ النَّاقِلِينَ ^(٥) . وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَزْعُمَ أَنَّ
إِسْلَامَهُ كَانَ لِأَحَدٍ ^(٦) بِإِسْلَامِ الْبَالِغِينَ ؛ لِأَنَّ الْمَقْلُولَ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ
خَمْسِ سَنِينَ ، وَالْمَكْثَرُ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ ^(٧) ، وَالْقِيَاسُ
يُوجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَوْسَطِ الرَّوَايَتَيْنِ ، وَبِالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ^(٨) . وَإِنَّمَا
يُعْرَفُ حَقُّ ذَلِكَ مِنْ بَاطِلِهِ بِأَنْ تَحْصِيَ سِنِيهِ ^(٩) الَّتِي وَلَّى فِيهَا ، وَسِنِي
عُمَانَ ، وَسِنِي أَبِي بَكْرٍ ، وَسِنِي الْمُهْجَرَةِ وَمَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رِسَالَتِهِ ، وَإِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ

(١) الميط : الكتاب . وفي التسخين : « فيقول » ، صوابه في ح .

(٢) في التسخين : « وأوسط الأمور » ، والوجه من ح .

(٣) في التسخين : « أن نجعل » ، تحريف .

(٤) كلمة « إذ » ماقلة ، وإثباتها من ح .

(٥) في التسخين : « ولم يكذب الناقلين » صوابه في ح .

(٦) في التسخين : « ولم يستطع أن يزعم إن إسلامه كان لاحق » ، تحريف ما أثبت من ح .

(٧) ب : « لأن المقلل زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين » فقط . وإكالة من ح و ج .

(٨) في التسخين : « من الأمرين » ، صوابه في ح .

(٩) ب فقط : « سننه » تحريف .

تنظر في أقاويل الناس في عمره ، وفي قول القليل والكثير ، فنأخذ بأوسطها^(١) ، وهو أعدلها ، وتطرح قول^(٢) المقتصّر والغالب ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط^(٣) ما روى من عمره وسنينه ، وسننى عثمان ، وسننى عمر ، وسننى أبى بكر ، والمهجرة ، ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، إلى وقت إسلامه . فإذا فعلت وجدت الأمر على ما قلنا ، وكما فسرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفة ، لا يستطيع أحد جهلها ، والخلاف عليها ، لأنّ الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا^(٤) تفضيل بعض على بعض ، وليس يمكن ذلك ، مع علمهم وأسبابهم^(٥) . فإذا ثبت عندك بالذى أوضحنا وشرحنا ، أنه كان ابن سبع سنين ، أقل سنة وأكثر سنة^(٦) علمت بذلك أنه لو كان ابن أكثر من ذلك بستين وثلاث وأربع ، لا يكون إسلامه إسلام المكلف^(٧) العارف بفضيلة ما دخل فيه ، ونقصان ما خرج منه .

والتأويل المجمع عليه أن غلباً قبل سنة أربعين في رمضان .

وقالوا : وإن قالوا : فله وهو ابن سبع سنين وثمان ، فقد بلغ من فطنته وذكائه ، وصحة لبّه ، وصدق حسّه^(٨) ، وانكشف المواقب

(١) ع : « أوسطها » .

(٢) قول ، سابقة من ب .

(٣) في النسخين : « ما أوسطها » ، صوابه في ع .

(٤) م ، ع : « لم يسلوا » .

(٥) ب : « واستأنهم » م : « واستأنهم » ، صوابه في ع . وجلها فيجور في نسخته :

« واستأنهم » .

(٦) في النسخين : « وأقل سنه وأكثر سنه » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٧) م : « ولا يكون » والقرار مقحة ، وكلمة « لإسلام » سابقة في النسخين ، وأثبتها فيجور في نسخته كما في ع .

(٨) في النسخين : « حسه » ، صوابه في ع .

له ، وإن لم يكن جرب الأمور ، ولا فاتح الرجال : ولا نازع الخصوم .
[أن^(١)] يعرف جميع^(٢) ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنما نتكلم^(٣) على ظاهر الأحكام ، وما شاهدنا عليه طباع الأطفال ، فوجدنا حكم ابن سبع سنين وثمان سنين ، وتسع سنين ، حيث رأيناه وبلغنا خبره - ما لم نعلم مُغيَّب أمره^(٤) ، وخاصة طباعه - حكم الأطفال . وليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه ، والذي نعرف من شكله بلعل وعسى ، لأننا كنا لاندري^(٥) ، لعله قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلهذه قد كان ذا نقص فيها . أجاب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون على^(٦) في المغيَّب^(٧) قد أسلم إسلام البالغ المختار . غير أن الحكم فيه عنده على مجرى أمثاله وأشكاله ، الذين إذا أسلموا وهم في مثل سنه ، كان إسلامهم عن تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فإنما علماء الثمانية ومتكلموهم ، وأهل القدم والرياسة فيهم ، فإنهم قالوا : إن علماً لو كان ، وهو ابن ست سنين ، وثمان سنين ، وتسع سنين ، يعرف فصل^(٨) ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة . وفرق ما بين المنجم والنبي ، وحتى يعرف الحجة من الحيلة ، وقهر الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد الأريب ، ويعد غور المتنبي ،

(١) تكلة يفتر إليها الكلام . وبهذا في ع : « ما يعرف » .

(٢) كلمة « جميع » ساقطة من ب . وفي م بعدها : « ما يجب »

(٣) ب : « إنما يتكلم به » م : « إنما يتكلم » ، وأثبت ما في ح .

(٤) في النسختين : « ما نعلم مغيَّب أمره » ، والقوجه ما أثبت من ح .

(٥) م فقط : « كما لا ندري » .

(٦) ب : « هل فعل المغيَّب » صوابه في م ، ع .

(٧) في النسختين . « فضل » بالصاد المعجمة ، والأوخر أن تكون بالهملة ، كما في ع .

وكيف يَنْلِيسُ على العقلاء^(١) وَيَسْتَمِيلُ عُقُولَ الدُّهَمَاءِ ، ويعرف الممكن^(٢) في الطباع من المتنوع فيها ، وما قد يحدث^(٣) بالاتفاق مما يحدث بالأسباب ، ويعرف أقدَارَ القُوَى في مبلغ الحيلة ومُنْتَهَى البطش وما لا يحتمل إحداثه إِلَّا الخالق ، وما يجوز على الله ممَّا لا يجوز في توحيله وعذله ، وكيف التحفُّظ من الهوى ، وكيف الاحتراسُ من تقلُّم الخادع في الحيلة - كان كونه بهذه الحال وهذه الصفة^(٤) ، مع فرط الصِّبَا والحِدَاثَةِ ، وقِلَّةِ التَّجَارِبِ والممارسة - خروجاً من نُشُوْ العادة^(٥) ، والمعروف مما عليه تركيبُ الأُمَّة .

ولو كان على هذه الصِّفَةِ ، ومع هذه الخاصَّة ، كان حُجَّةً على العامة وآيَةً تدلُّ على المبانيَّة^(٦) . ولم يكن الله تعالى ليخصَّه بمثل هذه الآيَةِ ، وبمثل هذه الأعجوبة إِلَّا وهو يريد أَنْ يحجِّجَ بها لَهُ ، ويخبر بها عنه^(٧) ، ويجعلها^(٨) قاطعةً لعذر الشاهد ، وحُجَّةً الغائب ، ولا يُغَيِّبُهَا هَذَرًا ، ولا يكتمها باطلاً^(٩) .

ولو أراد الاحتجاج له بها^(١٠) شهر أمرها^(١١) وكشف قناعها ، وحَمَلَ

(١) يقال لبست الأمر على القوم ألبساً ، إذا شبه عليهم وجعله مشكلاً . وفي الكتاب العزيز : « ولبست عليهم ما يلبسون » .

(٢) في النسختين : « المتكبر » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٣) كلمة « ما » ساقطة من النسختين ، ثابتة في ع .

(٤) ب : فقط : « العفة » ، تحريف .

(٥) ع : « نشوء العادة » .

(٦) في النسختين : « وأنه يدل على المبانيَّة » ، صوابه في ع .

(٧) ب : « أَنْ يحجج لما يغير لاهته » ، صوابه في م ، ع .

(٨) ب : « ويجعل » ، تحريف .

(٩) ب ، م : « ولا يكتمها باطلاً » . وأثبت ما في ع .

(١٠) ب : « له لها » ، صوابه في م ، ع .

(١١) في النسختين : « شهر بأمرها » ، تحريف .

النفوسَ على معرفتها ، وسَخَّرَ الألسنةَ لنقلها . والأصمَاعَ لإدراكها ،
لئلاَّ يكونَ لَغْوًا ساقطاً ، وَزَحياً منسياً ؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى لا يبتدعُ أعجوبةً .
ولا يخترعُ آيةً ، ولا ينقضُ العادةَ إلَّا للتعريفِ والإعذار ، والمصلحةِ
والاستبصار . ولولا ذلك لم يكنَ لفعْلِها معنى ، ولا لرسالته حجةً . واللهُ
تبارك اسمه ، تعالى ^(١) أن يتركَ الأمورَ سُدىً ، والتَّلبيرَ نَشْراً .

وأنتم تزعمون أنه لا يصل أحدٌ إلى معرفة نبيٍّ ، وكَذِبَ مُتَنَبِّئٍ ، حتى
تجتمع له هذه المعارفُ التي ذكرنا ، والأسبابُ التي فصلنا .

ولولا أَنَّ اللهَ تعالى أَخْبَرَ عن يحيى بن زكريَّا أَنَّهُ آتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ،
وَأَنَّهُ أُنْطِقَ عِيسَى فِي الْمَهْدِ رَضِيحاً ، مَا كَانَا فِي الْحُكْمِ إِلَّا كَسَائِرِ الْبَشَرِ ^(٢)
فَلَاذِلْ يَنْطِقُ لَمَلٌ [بِذَلِكَ ^(٣)] ، وَلَا جَاءَ الْخَبْرُ بِهِ مَجِيءَ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ
وَالشَّهَادَةِ الصَّادِقَةِ ، فَاَلْمُلُومُ عِنْدَنَا فِي الْحُكْمِ وَالنُّغَيْبِ جَمِيعاً أَنَّ طِبَاعَهُ
كَطِبَاعِ عَمِيهِ الْعَبَّاسِ وَحَمَزَةٍ - وَهِيَ أَمْسٌ ^(٤) بِمَعْدُنْ جَمِيعِ الْخَيْرِ مِنْهُ ،
وَكَطِبَاعِ أَخَوَيْهِ جَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ ، وَكَطِبَاعِ أَبِيهِ وَرَجَالِ عَصَرِهِ وَسَادَةِ
رَهْطِهِ .

ولو أنَّ إِنْسَاناً ادَّعَى مِثْلَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ جَعْفَرٍ ، أَوْ لَعَمَّةٍ حَمَزَةٍ أَوْ
الْعَبَّاسِ - وَهُوَ حَلِيمٌ قَرِيضٌ - مَا كَانَ عِنْدَنَا فِي أَمْرِهِ إِلَّا مِثْلُ مَا عِنْدَنَا فِيهِ .
وَلَوْ لَمْ نَعْلَمْ ^(٥) الرِّوَاغُضُ وَمَنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَهَا فِي هَذَا ، بَاطِلَ هَذِهِ
الدَّعْوَى ، وَفَسَادَ هَذَا الْمَعْنَى ، إِذَا صَدَقَتْ نَفْسُهَا ، وَلَمْ تَقْلُدْ رِجَالَهَا ،

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَتَعَالَى » . وَالْوَجْهُ خُفِيَ لِلرَّوَاكِ كَمَا سَيَأْتِي فِي ص ٢٧ س ٤ .
ج : « وَاللهُ يَصَالُ » .

(٢) ج : « مَا كَانَا فِي الْحُكْمِ وَلَا فِي النَّبِيِّ إِلَّا كَسَائِرِ الرِّسْلِ » .

(٣) بِذَلِكَ ، تَكْلُفٌ مِنْ ج .

(٤) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « أَمِينٌ » ، سِوَاهِ مِنْ ج .

(٥) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « تَمَلُّ » ، وَجِهَهَا مَا أَثْبَتَ . وَفِي ج : « قَرَفَ » .

وَتَحَقَّقْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَثَرَتِ التَّقْوَى ، إِلَّا بِتَرْكِ عَلِيٍّ - رَضِوانَ اللَّهِ عَلَيْهِ -
ذَكَرَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ . وَالاحتِجَاجُ عَلَى خَصْمِهِ وَأَهْلِ دَعْوِهِ ، مُدَّ نَارَ عِ
الرِّجَالِ ^(١) ، وَخَاصَّمَ الْأَكْفَاءَ ، وَجَامَعَ أَهْلَ الشُّورَى ، وَلَيَّ وَوَلَّيَّ عَلَيْهِ ،
وَالنَّاسَ [بَيْنَ ^(٢)] مَعَانِدٍ يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْرِيعِ ، وَمُرْتَادٍ يَحْتَاجُ إِلَى
الْمَادَّةِ ^(٣) ، وَغُفْلٍ يَحْتَاجُ ^(٤) إِلَى أَنْ يُكْتَرَّ لَهُ مِنَ الْحِجَّةِ ، وَيُنَابَعَ لَهُ مِنَ
الْأَمَارَاتِ وَالِدَّلَالَاتِ ، مَعَ حَاجَةِ الْقُرُونِ الثَّانِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ ^(٥) وَمَعْدِنِ
الْأَمْرِ ؛ لِأَنَّ الْحِجَّةَ إِذَا لَمْ تَصُحَّ لَعَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَهْلِ دَعْوِهِ ،
فَهِىَ ^(٦) عَنْ وَلَدِهِ أَصْبَرَ ، وَهَمْنُهُمْ أَضْعَفُ .

ثم لم ينقل ناقل واحد أنَّ علياً احتجَّ بذلك في موقف ، ولا ذكره
في مجلس ، ولا قام به خطيباً ، ولا أدلى به وائثاً ، ولا همس به إلى
مُوافِقٍ ^(٧) ، ولا احتجَّ به على مخالف ، فقد ذكر فضائله وفخر بقرابته
وسابقته ، وكاتَرَ بِمَحَاسِنِهِ ^(٨) ومواقفه مُدَّ جَامِعَ الشُّورَى وَنَاضِلَهُمْ ، إِلَى
أَنْ ابْتُلِيَ بِمَسَاوِرَةِ مَعَاوِيَةَ وَطَمَعِهِ فِيهِ ، وَجُلُوسِ أَكْثَرِ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلِيهِ عَنْ عَوْنِهِ . وَالشَّدُّ عَلَى عَصُدِهِ ، كَمَا قَالَ
عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : لَقَدْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرُونَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ، مَاخَفَتْ فِيهَا مِنْهُمْ عَشْرُونَ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ شَهِدَ الْجَمْلَ مِنْ

(١) فِي التَّسْنِينِ : « بَارِع » ، صَوَابٌ فِي ع .

(٢) التَّكْلُفَةُ مِنْ ع .

(٣) ع : « وَرَادَ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِرْشَادِ » .

(٤) الْفُلُّ ، بِالْفَمِّ : الَّذِي لَمْ يَجِبْ الْأُمُورُ . وَفِي التَّسْنِينِ : « وَحَقْلٌ لَا يَحْتَاجُ » ،

صَوَابُهُ مِنْ ع .

(٥) ب : « لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَوْ الْحَقِّ » م : « لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَوْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ » ، وَهُوَ تَكَرَّرَ

لَا وَجْهَ لَهُ .

(٦) فِي التَّسْنِينِ : « نَهْوٌ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ ع .

(٧) هَذَا الصَّوَابُ فِي ع ، وَهُوَ الَّذِي يُلَاحِظُ « مُخَالَفَ » ، وَفِي التَّسْنِينِ : « مُرَافِقٌ » بِالرَّاءِ .

(٨) فِي التَّسْنِينِ : « عَاجِزَةٌ » وَالْوَجْهُ فِي ع .

شهد بدماء أكثر من أربعة فقد كذب ، كان على وعمار في شق ، وطلحة والزبير في شق .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج ، وتشجيع الموافق وقد نصب نفسه للخاصة والعامة وللمولى والمعادى ^(١) ومن لا يحل له في دينه ترك ^(٢) الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أن قتالهم كان واجباً ، وقد نصبه الرسول مفرعاً ^(٣) ومعلماً ، ونص عليه قائماً ، وجعله للناس إماماً ، وأوجب طاعته ، وجعله حجة في الناس ، يقوم مقامه .

وأعجب من ذلك أنه لم يدع هذا له أحد في دهره كما لم يدع لنفسه ^(٤) ، مع عظيم ما قالوا فيه في عسكره ، وبعد وفاته ، حتى يقول إنسان واحد : إن الدليل على إقامته ^(٥) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعاه إلى الإسلام ، فكلفت التصديق ^(٦) قبل بلوغه وإدراكه ، ليكون ذلك آية له في عصره ، وحجة له ولولده على من بعده .

وقد كان على أعلم بالأمور من أن يدع ذكر أكثر حُججه والذي يأن به من شكله ، ويذكر أصغر حُججه ، والذي يشاكلة فيه غيره ^(٧) . وقد كان في عسكره من لا يأن ^(٨) في الإفراط ، زيادة في القدر ^(٩) .

(١) ع : « ولما نزل والمعادى » .

(٢) ب فقط : « وترك » ، والواو مقسمة :

(٣) مفرعاً : يفرغ إليه عند الحاجة إذا دم الأمر . وفي التستين : « مفرعاً » ، صوابه

في ع .

(٤) هذا ما في ع . وفي التستين : « بنفسه » .

(٥) أي إقامته إماماً . ولما في ع : « إقامته » .

(٦) ب قبل : « فكلفت للتصديق » .

(٧) ع : « والذي يشاركه فيه غيره » .

(٨) ب : « يأن » ، صوابه في م ، ع .

(٩) ع : « من لا يأن في الإفراط » ، ومن يجب أن الإفراط زيادة في القدر .

والعجب له - إن كان الأمر على ما ذكرتم - كيف لم يقف يوم
الجمَل . أو يوم صِفَيْن ، أو يومَ النهر^(١) ، في موقف يكون فيه من
عدوه جراً يرى ويسمع فيقول : « ثباً لكم وتعباً ! كيف تقتاتلون^(٢) ،
وتجحدون فضيلتي ، وقد خُصِصْتُ بآية ، حتى كنت كيجي بن
زكريّا ، وعيسى بن مريم » فلا يمنع الناس من أن يَمْوجُوا ، فإذا
ماجُوا تكلّموا على أقدارِ عَظَمَتِهِمْ^(٣) ، وعِلْمُهُمْ مُخْتَلَفَةٌ ، فلا يثبت أمرهم^(٤)
أن يعود إلى فرقة ، فينْ ذَاكِرٍ^(٥) قد كان ناسياً ، ومن نازِعٍ قد كان
مُصِراً^(٦) ، ومن مترنّحٍ قد كان غالطاً ، مع ما كان يشيع من الحجة
في الآفاق ، ويستفيض في الأطراف ، وتحلُّهُ الرُّكبان ، ويتهادى في
المجالس^(٧) . فهذا كان أشدَّ على طلحة والزبير وعائشة ، ومعوية ،
وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنّانٍ طريرٍ وسيفٍ شهير^(٨) .
ومعلومٌ عند ذوى التجربة والعارفين بطبائع الأتباع وعلل الأجناد^(٩)
أنَّ السّاكر تتنقّضُ مرائرها ، ويتشرُّ أمرها ، وتنقلب على قائدها^(١٠) بآيسر
من هذه الحجة وأخفى من هذه الشهادة .

-
- (١) يوم النهر أو النهوان : وقفة مشهورة لأمر المؤمنين على بن أبي طالب مع الخوارج
في سنة ٣٧ . انظر غيرها في العبرى ٥ : ٧٢ - ٩٢ والمقد ٤ : ٣٥١ .
(٢) جَلَدٌ إحدى التوئين : نون الرفع أو نون الوقاية ، وهو مبحث نحوي .
(٣) ب فقط : « قدر عظمته » .
(٤) ع : « ولا يثبت أمرهم » .
(٥) ب فقط : « فن ذكر » ، تحريف .
(٦) ب فقط : « مضراً » ، تحريف . وتزع عن الأمر : كف ورجع .
(٧) في التسخين : « وتهادى في المجالس » ، تحريف .
(٨) ع : « مشهور » . شهر البيت : ملك من غنمه .
(٩) في التسخين : « الأحاد » ، صوابه في ع .
(١٠) في التسخين : « ويتقلب » ، صوابه في ع . وفي ب : « على تايدها » ، صوابه في م .
وفي ع : « قادتها » .

وقد علمت ما صنعت المصاحف في طبائع أصحاب علي رضوان الله عليه ، حين رقعها عمرو أشد ما كان أصحاب علي استبصاراً في قتالهم ، ثم لم ينتقص علي من أصحابه إلا أهل الجد والنجدة ، وأصحاب البرانس والبصرة^(١) .

وكما علمت^(٢) من تحول عسكر عبد الله بن وهب حين اعتزلوا مع قزوة بن نوفل^(٣) لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار ، والوهن في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج - مع ظهوره ، ومعرفة الناس له - إلى أن نحشو به كتابنا^(٤) .

فلما إسلامه وهو حلت غرير ، وصبي صغير ، فهذا ما نلقه ؛ غير أنه إسلام ناديب وتلقين وتربية . وبين إسلام التكليف والامتحان^(٥) ، وبين التلقين والتربية ، فرق عظيم ، ومحنة واضحة .

وقالت العنانية : إن قالت الشيعة : إن الأمر ليس كما حكيم ولا كما هيأتموه لأنفسكم ، بل نزعتم أنه قد كانت هنالك في أيام حداثة وصباه فضيلة ومزید ذكاه^(٦) ، ولم يبلغ الأمر^(٧) حد الأعجوبة والآية ، قلنا : إن

(١) هذا ما في ع . وفي التستين : « أصحاب المراس » . وانظر المقد ٤ : ٣٥١ ففيه : « إن علياً لما اختلف عليه أهل الهروان والقرى وأصحاب البرانس » . الجوهري : البرنس : قلنوة طويلة . وكان السالك يلبسوها في صدر الإسلام . وانظر لسان العرب (برنس) .

(٢) ع : « وكما علمت » .

(٣) قزوة بن نوفل الأنصبي ، ذكره ابن حبان في الصحابة ثم توفي فيه . وقال ابن شامير : لا تصح له صحبة . وقال أبو حاتم : إنما الصحبة لأبيه . قال المزياني : كان رئيس الشراة . الإصابة ٧٠٣٣ .

(٤) هذا ما في ع . وفي التستين : « نحشو كتابنا » .

(٥) ب فقط : « وبين إسلام التكليف وبين الامتحان » .

(٦) ع : « ومزية ذكاه » .

(٧) في التستين : ولم يبلغ إلا من ، وهو تحريف واضح ، صوابه في ع .

الذى ذهبتم إليه - أيضاً - لا بد فيه من أحد وجهين : إما أن يكون قد كان لا يزال يوجد في الصبيان مثله في الفطنة والذكاء ، وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، وكان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن المادة خارجاً . فإذا كان قد يوجد مثله - على عزته وقلته - فما كان إلا كبحض من نرى اليوم ممن يتعجب من كَيْسِه وفطنته^(١) ، وحفظه وحكايته ، وسرعته قبوله ، على صغر سنه ، وقلة تجربته . فإن كانت حاله هذه الحال ، وطبقته على هذا المثال ، فإننا لم نجد صبياً قط وإن أفرط كَيْسُه ، وحسنت فطنته ، وأعجب به أهله يحتمل ولاية الله وعلوته ، والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنه ما جئنا ولا جاء عند أحد منا بخبر صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنه قد كان لعل خاصة ، دون قريش عامة ، في صباه ، من إتقان الأمور ، وصحة المعارف ، وجودة المخارج ، ما لم يكن لأحد من إخوته ، وعمومه وآبائه .

وإن كان القدر الذى كان عليه على من المعرفة والذكاء القدر الذى لا نجد له فيه مثلاً^(٢) ، ولا رأينا له شكلاً^(٣) ، فهذا هو البليغ الذى يحتج به على المنكرين^(٤) ، ويُقْلَج على المعارضين^(٥) ، ويُبَيِّن^(٦) للمسترشدين . وهذا باب قد فرغنا منه مرة .

(١) في التسخين : « من كبه وقلته » ، والصواب ما أثبت . وفي ع : « من حبه وقلته » .

(٢) ب : « والذكاء الذى لا يجد له فيه مثلاً » ، تحريف .

(٣) في التسخين : « ولأن أماله لشكلاً » ، صوابه في ع .

(٤) هذا ما في ع . وفي التسخين : « المنكر » .

(٥) القلج : الفوز والظفر . وفي التسخين : « يفلح » بالياء المهملة ، صوابه في ع .

(٦) ب : « وتبين » م : « وتبين » ، صوابها في ع .

ولو كان الأمر في عليٍّ كما يقولون لكان ذلك حجة للرسول في رسالته ^(١) ولعل في إمامته ^(٢) .

والآية إذا كانت للرسول وخليفة الرسول كان أشهرها ؛ لأن وضوح أمر الرسول يزيد ^(٣) على ما للإمام ، ويزيده إشراقاً واستنارةً وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله تعالى قد عرف أهل عصرهما ذلك ، وهم الشهداء على من يعلم من القرون ، ثم أسقط حجته ^(٤) . فلا تخلو تلك الحجة ، وتلك الشهادة من ضربين : إما أن تكون ضاعَتْ وضلَّتْ ، وإما أن تكون ^(٥) قد قامت وظهرت . فإن كانت قد ضاعت فلعل كثيراً من حُجج الرسول قد ضاع . وما جعل الباقي أولى بالتمام من الساقط ، والساقط من شكل الثابت ، لأنه حجة على شيئين ، والثابت حجة على شيء . ولا يخلو أمر الساقط من ضربين : إما أن يكون الله - تبارك وتعالى - لم يرد تمامه ، أو يكون ^(٦) قد أراده . وأي هذين كان ، ففساده واضح ^(٧) عند قارئ الكتاب ، وإن كانت الآية فيه قد نمت ، إذ كانت الشهادة قد قامت علينا بها ، كما كانت شهادة البان قائمة عليهم فيها ^(٨) . فليس في الأرض عثمانيٌّ إلّا وهو يكابر عقله ، ويعجده علمه .

(١) في رسالته ، سابقة من ب .

(٢) هذا ما في ج . وفي النسخين : « في إقامته » .

(٣) هذا ما في ج . وفي النسخين : « يرى » ، تحريف .

(٤) ج : « ثم يسقط حجه » .

(٥) في النسخين : « يكون » ، صوابه في ج .

(٦) م فقط : « يكون » .

(٧) في النسخين : « ويكون » ، صوابه في ج .

(٨) ب فقط : « فساد واضح » ، تحريف .

(٩) هذا الصواب من م ، ج . وفي ب : « إذا كانت شهادة البان قائمة عليهم فيها » ، وهو نقص وتحريف .

ولعمري ، إنا لنجد ^(١) في الصبيان من لو لقتته ^(٢) ، أو كتبت له
أغمض المائي وألطفها ، وأغمض الحُجيج وأبعدها ، وأكثرها لفظاً وأطولها ،
ثم أخلتَه بلزَميه وحفظه لحفظه حفظاً عجيباً ، ولهذه هذا ذليلاً ^(٣) .
فلما معرفة صحيحه من سقيمه ، وحقه من باطله ، وقبيل ما بين
المُقرَّب به والدليل ، والاحتراش من حيث يؤق المخلوعون ^(٤) ، والتحطُّط
من مكر الخادعين ، وتأتى المجرَّب ^(٥) ، ورفق السَّاحر ^(٦) ، وخلاصة
المتنبئ ^(٧) ، وزجر الكهان ، وأخبار المنجمين . وفرق ما بين نظم القرآن
وتأليفه ، فليس يعرف فروق النظم ، واختلاف البحث والنثر ^(٨) إلا
من عرف القصيدة من الرجز ، والمخمس من الأسجاع ، والمزدوج ^(٩) من
المنثور ، والخطب من الرسائل ، وحتى يعرف العجز المارض الذي يجوز
ارتفاعه ، من العجز الذي هو صفة في الذات .

إذا عَرَفَ صُنُوفَ التَّأْلِيفِ عَرَفَ مَبَايِنَةَ نَظْمِ الْقُرْآنِ لِسَائِرِ الْكَلَامِ
ثم لا يكتفى بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأن حكم
البشر حكم واحد في العجز الطبيعي ، وإن تفاوتوا في العجز المارض .

(١) ب فقط : « لا نجد » ، تحريف .

(٢) ع : « من لو لقتته وسدته » .

(٣) يقال هذا القرآن والحديث هذا : سرده . والدليل : التصحیح . وفي ب : « لهذه
هذا ذليلاً » ، صوابه في ع .

(٤) في التستين : « من حيث يؤق المخلوعين » ، صوابه في ع .

(٥) الأصمى : تأق فلان لحاجته ، إذا ترقى لها وأتاهها من وجهها . وفي التستين :
« ويأتى المجرَّب » . وفي أصل ع : « ومن المجرَّب » بإعمال التاء من القط . صواب ما أثبت .

(٦) في التستين : « وسحر رفق السَّاحر » ، صوابه في ع .

(٧) هذا الصواب في ع . وفي التستين : « المتنبئ » ، تحريف .

(٨) ع : « فروق النظر واختلاف في البحث » .

(٩) ب فقط : « بالذات » .

وهذا مالا يُوجد عند صبيٍّ ابنِ تسع سنين ، أو ثمان سنين ، أو سبع سنين أبداً ، عَرَفَ ذلك عارفٌ أو جهله جاهل .

ولا يجوز أن يعرف عارفٌ معنى الرسالة إلا بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلا أن يجعلَ جاعِلُ التقليدِ والنشوء^(١) والإلفَ لا عليه الآباءُ ، وتعظيمُ الكبراء معرفةً وبقيناً .

وليس يبين ما اضطربَ ، ودخله الخلاجُ [عند^(٢)] ورودِ معاني لعلٍّ وعسى ، مما لا يمكن في المقول^(٣) إلا بحجةٍ تُخرج^(٤) القلبَ إلى اليقين عن التجويز .

ولقد أعيننا أن نجد هذه المعرفةَ إلا في الخاصِّ من الرجال وأهل الكمال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير ، والحدث الغرير ! مع أنك لو أذرت^(٥) معاني بعض ما وُصف لك^(٦) على أذكي صبيٍّ في الأرض ، وأسرعِه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً ، وقد سويته له ودلّته^(٧) ، وقربته منه ، وكفّيته مؤونة الرؤية ، ووَحْشة الفكرة ، لم يعرف قدره ، ولا فصل^(٨) حقه من باطله ، ولا فرق بين الدلالة وشبيه الدلالة . فكيف له بأن يكون^(٩) هو المتولّي لتجربته وحلِّ عقده وتخليص مشابيه^(١٠) ، واستشارته من معلنه ؟

(١) النشوء، أي النشوء ، يعني به أثر المنشأ . وفي التسخين : « البشر » ، صوابه في ع .

(٢) التكلة من ع .

(٣) ع : « في المقول » .

(٤) هذا ما في ع . وفي التسخين : « لحجة تخرج » ، تحريف .

(٥) في التسخين : « أردت » ، صوابه في ع .

(٦) ع : « ما وصفت لك » .

(٧) وكذا في ع . ولعلها : « ذلته » ، أي يستره له تيسيراً .

(٨) في التسخين : « فضل » بالضاد المجبة ، تحريف .

(٩) ب قط : « أن يكون » .

(١٠) في التسخين : « وتخليص مشابه » ، صوابه في ع .

وَكُلُّ كَلَامٍ خَرَجَ مِنَ التَّعَارُفِ فَهُوَ رَجِيعٌ يَهْرُجُ ، وَلَقَدْ سَاقَطَ .

وقد نجد الصبي الذكي يَعْرِفُ مِنَ التَّعَرُّضِ وجهاً ، ومن النخو صدرًا ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الغناء أصواتاً . فأما العلم بأصول الأديان ، ومَخَارِجِ المَلَلِ ^(١) وتَأْوِيلِ اللَّيْنِ ، والتَحْفُظُ مِنَ الْبِدْعِ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ الْكَلَامُ فِي حُجُجِ الْعُقُولِ ، والتعليل والتجوير ^(٢) ، والعلمُ بِالْأَخْبَارِ وتقدير الأشكال ، فليس هذا موجوداً إلا عند العلماء . فأما الحَنُوءُ وَالطُّغَامُ ^(٣) ، فإنما هم أداة للقادة ، وجَوَارِحُ السَّادَةِ ^(٤) ؛

وإنما يعرف شدة الكلام في أصول الأديان مَنْ قد صَلَّيَ بِهِ ، وسال في مَضَائِقِهِ ^(٥) ، وجائى الأضداد ^(٦) ونازع الأخصاء .

٢ - فصل منه ^(٧)

وقد علمت ماصنع أبو بكر في ماله ، وكان المال أربعين ألفاً ، فَأَتَفَقَهَ عَلَى نَوَائِبِ الْإِسْلَامِ وَحُفُوقِهِ ، ولم يكن ماله ميراثاً لم يكد فيه ، فهو غَزِيرٌ ^(٨) لا يشمر بعُسر اجتاعه ، وامتناع رُجوعه ، ولا كان هبة

(١) في التسخين : « الملك » ، صوابه في ع .

(٢) في التسخين : « التجويد » ، صوابه في ع .

(٣) الحشر من الناس ، يفتح الحاء ، والحشوة بضمها : الرذائل منهم ومن لا يستند عليه . ومثله الطغام ، بالفتح .

(٤) أي بمنزلة الجوارح من البدن . وجوارح الإنسان : أعضاؤه وعوامل جسده ، كيديه ورجليه ، لأنهم يخرجون الخير والشر ، أي يكتسبه . وفي التسخين : « غوارح » ، صوابه في ع . وسبأ في أوائل الفصل الرابع : « ومقام السامة من الخاصة مقام جوارح الإنسان من الإنسان » .

(٥) ع : « وسلك في مضايقه » .

(٦) جائأه : جلس معه على ركيته الصخرة . وفي التسخين : « وحائى » ، صوابها

بالجيم كما في ع .

(٧) انظر الثمانية ٣٥ .

(٨) في التسخين : « غرير » برأين ، صوابه في ع .

(٣ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

ملك^(١) فيكون أسمع لطبعته ، وأخرق في إنفاقه^(٢) ، بل كان ثمره كله وكتب جلاله وتعرضه .

ثم لم يكن خفيف الظهر ، قليل النسل ، قليل العيال ، فيكون قد جمع اليسارين ؛ لأن المثل الصحيح السائر المعنى : « قلة العيال أحد اليسارين » ، بل كان ذا بنين وبنات وزوجة ، وخدم وحشم ، يقول^(٣) مع ذلك أبويه وما ولدا . ولم يكن فتى حدثا فتزه أريحية الشباب ، وغرابة الحدائق . ولم يكن يحذاء إنفاقه طمع يدعو ، ولا رغبة تحلوه . ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يد مشهورة فيخاف البعاز في ترك مواساته ، وإنفاقه عليه ، ولا كان من رهط دنيا^(٤) فيسب بترك مكانته^(٥) ومعاونته وإرفاقه . فكان إنفاقه على الوجه الذي لا يجد أبلغ في غاية الفضل منه ، ولا أدل على غاية البصيرة منه^(٦) .

وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطن مكة من المشركين ، وقد تعلمون حسن صنيع كثير منهم ، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل يومئذ أمتع أهل البطحاء^(٨) ، وهو رأس الكفر .

(١) في النسخين : « حيث ملك » ، وصححه ق . ح .

(٢) أخرق ، من الخرق ، بالقسم وبالتصريك ، وهو ضد الرقيق . والخرق : الكرم الضعيف ، كالخرق بالكسر . ب : « وأطلق » ، صوابه ق ، م ، ح .

(٣) في النسخين : « بن » ، صوابه ق . ح .

(٤) هذا الصواب من ح . وفي النسخين : « يقول » .

(٥) هو من قولهم : هو ابن عمه دنيا ، بكسر الدال مع التنوين وعنه ، وبضمها مع ترك الحرف ، إذا كان ابن عمه لا لاسق النسب . وفي النسخين : « دنيا » ، صوابه ق . ح .

(٦) الكفاية : المأونة . وفي النسخين : « مكانته » ، تحريف ما في ح .

(٧) ب ، م : « ولا أدل عليه » ، صوابه ق . ح . وفي ب : « البصرة منه » ، صوابه ق ، م ، ح .

في ح : « غاية الصلوة والبصيرة منه » .

(٨) ب ، ح : « أمتع البطحاء » ، وأثبت ما في م . ويطحاء مكة وأبطحاء : مسيل وادها .

وقريش البطاح : الذين ينزلون البطحاء . وقريش الظواهر : الذين ينزلون ماحول مكة .

ثم صَنِّعَ عُمَرُ حَيْثُ يَقُولُ يَوْمَ أَسْلَمَ : « وَاللَّهِ لَا تَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ » ، حَتَّى قَالَ بَعْدَ مَوْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : « وَمَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ » .

٣ - فصل منه (١)

ولو كان في ذلك الزمان القتال ممكناً ، والوثوب مطعماً ، لقاتل أبو بكرٍ ونهض كما نهض في الردة (٢) ، وإنما قاتل على في الزمان الذي قد أقرن فيه أهل الإسلام لأهل الشرك (٣) ، وطمعوا أن تكون الحرب سجالاً ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مفتون مفرد (٤) ومطروود مشرد (٥) ومضروب معذب (٦) ، في الزمان الذي ليس بالإسلام (٧) وأهليه نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر رضى الله عنه : « طوبى لمن مات في نائنة الإسلام » ، يقول : في أيام ضغفه وقَلْبته ، بحيث كانت الطاعة أعظم لفرط الامتحان ، والبلاء أغلظ لثقل الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم ، كانت الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سواء مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ، ولا دفع عنه ، ومباطش مُقرن (٨) يشقى غيظه ، ويروى غليله ، وله مُقْلَمٌ يكتفه ويشجّهه .

(١) انظر الثبانية ص ٢٩ .

(٢) في التسخين : « كما تقص في الردة » ، صوابه في ع .

(٣) يقال أقرن له ، أى ألقاه وقدر عليه ، كما يقال أقرنت فلاناً : صرت له قرناً .

(٤) في التسخين : « مفتون مذبذب » .

(٥) ب : « مشروب » وفي م : « مشرود » ، صوابهما في ع .

(٦) في التسخين : « مغرب » ، صوابه في ع . وانظر ما سيأتى في البطر ١٤ .

(٧) م فقط : « في الإسلام » .

(٨) المبالغة : مفاعلة من البطش ، وهو السطوة والأخذ بالنف . والقرن : الحقيق

القادر . وفي التسخين : « مفرد » ، صوابه في ع .

ولا سواء مَقهورٌ لا يُغاث ، ولم يَنْزِلِ القرآنُ بعد بظْفَرِهِ . وقد
هَتَكَ اليأسُ ^(١) لما ألقى حجابَ قلبه ^(٢) ونَقَضَ ^(٣) قوى طمعه حتى بَقِيَ
وليس معه إلا احتسابه ؛ ومقاتلٌ في عسكره معه عزُّ الرجال ، وقُوَّة
الطَّمع ، وطيب نفسِ الآمل .

٤ - فصل منه ^(٤)

وإنَّ سألَ سائل فقال : هل على النَّاسِ أن يَتَّخِذُوا إماماً ، وأن
يُقيموا خليفة ؟

قيل لهم : إنَّ قولكم «النَّاسِ» يحتمل الخاصَّة والعامة . فإنَّ كنتم قصدتم
إليهما ، ولم تَفْصِلوا بين حالِيهما ، فإنَّما نَزَعُكُمْ أَنَّ العامَّة لا تَعْرِفُ معنى
الإمامة ، وتَأْوِيلُ الخلافة ، ولا تَفْصِلُ بين ^(٥) فضل وجودها ونقص
عدمها ، ولأَيِّ شَيْءٍ ارْتَدَّتْ ^(٦) ، ولأَيِّ أَمْرٍ أَمَلْتِ ، وكيف مَاتَتِهَا والسَّبِيلُ
إليها ، بل هي مع كلِّ رِيحٍ تَهْبُ ، وناشئة تنجُم . ولعلَّها بالمُبْطِلِينَ
أَقْرُبُ عَيْناً منها بالمُحَقِّقِينَ ، وإنَّما العامَّةُ أَدَاةٌ للخاصَّة تَبْتَذِلُهَا لِلْمَهِنِ ،
وتُزَجِّجِي لها الأُمُورَ ^(٧) ، وتَصُولُ بِهَا عَلَى الْعُلُوِّ ، وتَسُدُّ بِهَا الثُّغُورَ .

ومَقَامُ العامَّةِ من الخاصَّة مَقَامُ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فإنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا فَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَإِذَا أَبْصَرَ عَزَمَ ، وَإِذَا عَزَمَ تَحَرَّكَ أَوْ سَكَنَ ،
وهما بالجوارحِ دُونَ الْقُلُوبِ .

(١) في النسخين : «الناس» ، صوابه في ع .

(٢) ألقى : وجد . وفي ع : «لغول ما لقي حجاب قلبه» .

(٣) في النسخين : «ويفس» صوابه في ع .

(٤) كتاب البيانية ص ٢٥٠ .

(٥) في النسخين : «من» ، صوابه في ع .

(٦) في النسخين : «أردت» ، صوابه في ع .

(٧) ع : «بها الأمور» .

وكما أنَّ الجوارح لا تعرف قَصْدَ النفس . ولا تروى في الأمور ، ولم يخرجها ذلك من الطاعة للزم ، فكذلك العامة ، لا تعرف قصد القادة^(١) ولا تدبير الخاصة ، ولا تروى معها^(٢) ، وليس يخرجها ذلك من عزمها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والجوارح والعوام ، وإن كانت مسخرة ومدبرة . فقد تمتنع لعل تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها^(٣) ، كاليد يعرض لها الفاليج واللسان يختره الخرس ، فلا تقدر^(٤) النفس على تسليدهما وتقويتها ، ولو اشتد عزمها ، وحسن تأتيتها^(٥) ورفقها . وكذلك العامة عند نفورها وتهيجها^(٦) ، وغلبة الهوى والسخط عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة ، وتمهد الساسة^(٧) . غير أنَّ معصية الجارحة أيسر ضرراً^(٨) ، وأهون أمراً ، لأنَّ العامة إذا انتكست للخاصة^(٩) ، وتنكرت للقادة ، وتشزنت على الرأسة^(١٠) ، كان البوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وصلاح الدنيا ، وتمام النعمة في تدبير الخاصة وطاعة العامة ، كما أنَّ كمال المنفعة وتمام ذلك الحاجة بصواب قصد النفس^(١١) ؛ [لأنَّ

(١) في النسخين : « ولا تعرف قصد العامة » تحريف ، والوار فيه مقحمة ، والصواب

في ع .

(٢) في النسخين : « ولا يروى معها » ، ووجه من ع .

(٣) في النسخين : « لعل يدخلها وأمور تصرفها وأسباب ينقضها » ، صوابها في ع .

(٤) ب فقط : « يقدر » ، تحريف .

(٥) ب فقط : « تأتيتها » ، عطف .

(٦) في النسخين : « عند نفورها » ، صوابه في ع . وفي ع : « وتهيجها » .

(٧) في النسخين : « السيلة » ، والصواب في ع .

(٨) في النسخين : « طورا » ، صوابه في ع .

(٩) في النسخين و ع : « انتكست بالخاصة » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(١٠) التشزنت : التصبب وعدم الانقياد . والرأسة : جمع رائس ، وهو السائس . وفي

النسخين : « تشربت »

(١١) ب فقط : « تصواب قصد النفس »

النفس [^(١) لو أدركت كلُّ بغيّة ، وأوفت على كلِّ غاية ، وفتحت كلَّ مُستغني ، واستشارت كلَّ دفين ^(٢) ، ثم لم يُطعها ^(٣) اللسان بحسن العبارة واليد بحسن الكتابة ^(٤) ، كان [وجود ^(٥)] ذلك المستنبط - وإنَّ جلَّ قدره - وعلمه سواء .

فبالخاصّة نحتاج إلى العامّة كمحاجة العامّة إلى الخاصّة ، وكذلك القلب والجراحة ، وإنّما هم جندٌ للدفع ^(٦) ، وسلاحٌ للقطع ، وكالتّرس للرأي ، والفأس للنّجار . وليس مضيّ سيف صارم بكفّ امرئ صارم ، بأنّفى من شجاعٍ أطلع أميره ، وقلّد إمامه .

وما كلبُ أشلاه ربه ، وأحمشه كلابه ^(٧) ، بأفراطٍ نزقاً ولا أسرع تقلماً ، ولا أشدَّ تهوراً من جنديٍّ أغراه طمعه ، وصاح به فائده .

وليس في الأعمال أقلُّ من الاختيار ، ولا في الاختيار أقلُّ من الصّواب ، فليأب ^(٨) كلُّ عملٍ اختياره ، وصفوّة كلِّ اختيار صوابه . ومع كثرة الاختيار يكثر الصواب ، وأكثر النّاس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً ^(٩) مُوجبه أقلّهم اختياراً ، وأقلّهم اختياراً أقلّهم صواباً .

(١) التكلّة من ع .

(٢) استشارته : حاجه واستخرجه . وفي النسختين : « واستشارت » ، صوابه في ع .

(٣) ب فقط : ثم لم يطعها ، تحريف .

(٤) ب فقط : « لحسن الكتابة » ، حرف .

(٥) التكلّة من ع .

(٦) م : « ساقط من م . وفي ع : « وإنّما العامة جند الدفع » .

(٧) ع : « أحشه » ، بالثين للمسجة ، أي حرضه .

(٨) ب : « فليأب » م : « فليأت » ، صوابها في ع .

(٩) ب : « أسباب » ، صوابه في م ، ع .

فإن قالوا : فقد ينبغي للعوام أن لا يكونوا مأمورين ولا منهيين ،
ولا عاصين ولا مطيعين .

قيل لهم : أما فيما يعرفون فقد يعصون ويطيعون .

فإن قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

قيل لهم : أما الذي يعرفون ، فالتنزيل^(١) المجرد بغير تأويل ،
وجملة الشريعة بغيرها^(٢) ، وما جُلَّ من الخبر واستفاض^(٣) ، وكثر
ترداده على الأسماع ، وكرّره على الأفهام .

وأما الذي يجهلون فتأويل المُنَزَّل وتفسير المَجْمَل ، وغامض السُّنَنِ
التي حَمَلَتْها الخواصُّ عن الخواصِّ ، من حملة الأثر وطلّاب الخبر ممّا
يُنْكَلَفُ معرفته ، ويُنْتَبَغُ^(٤) في مواضعه ، ولا يهجم^(٥) على طالبه ، ولا
يَقْهَرُ سَمْعَ القاعد عنه .

والخبر خبران : خبر ليس للخاصّة فيه فضلٌ على العامة ، وهو
كما سنَّ الرسولُ صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام ، وأبواب القضاء
والطلاق ، والمناسك ، والبيوع ، والأشربة ، والكفّارات ، وأشباه ذلك .

وباب آخر يجهله العوام ، ويَخِيطُ فيه الحشو ولا تَشْعُرُ بمعجزها^(٦)
ولا موضع دأبها^(٧) . ومتى جرى سببه ، أو ظهر شيء منه تسنّمت

(١) في التنسخين : « كالنزِيل » ، صوابه في ع .

(٢) ب : « تفسير » ، صوابه في م ، ع .

(٣) ب فقط : « واستفاض » ، تحريف .

(٤) ع : « ويتبع » .

(٥) ب فقط : « ولا يهجم » .

(٦) هذا ما في ع . وفي التنسخين : « بمرها » .

(٧) ب فقط : « دأبها » ، تحريف .

أعلاه ، وركبت حَوَمته ^(١) ، كالكلام ^(٢) في الله . وفي التشبيه ، والوعيد ، والوعيد ، لأنها قد عجزت ^(٣) عن دعوى الفتيا ، ولا تتهافت فيها ، ولا تنسك ^(٤) فيما لا يُعرف منها ، ولا تتوحش من الكلام في التعديل والتجويز ^(٥) ، ولا تفرغ من الكلام في الاختيار والطباع ، ومعجى الآثار ، وكل ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله ، في الله تعالى وفي غيره .

ولو برز عالم ^(٦) على جادةٍ منهج وقارعة طريق ، فنازع في النحو واحتج في العروض ، وخاض في الفتيا ، وذكر النجوم والحساب ، والطب والمنسمة ، وأبواب الصناعات ، لم يعرض له ، ولم يفتحه ^(٧) إلا أهل هذه الطبقات .

ولو نطق بحرف في القدر حتى يذكر العلم والمشية ، والتكليف والاستطاعة ، وهل خلق الله تعالى الكفر وقدره أو لم يخلقه ولم يقدره ، لم يبق ^(٨) حمال أغثر ^(٩) ، ولا بطل أغث ^(١٠) ، ولا خامل غفل ^(١١) ولا غبي

(١) حومة البحر والرميل والقتال ونحوه : مظهر أو أشد موضع فيه .

(٢) في النسختين : « فالكلام » ، صوابه في ع .

(٣) ع : « قد تعجز » .

(٤) التمسك : أن يمضي متصفاً بغير وجهه . وفي النسختين : « تتسع » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٥) في النسختين : « التعديل والتحرير » ، والوجه ما أثبت .

(٦) في النسختين : « عالماً » ، صوابه في ع .

(٧) في النسختين : « ولم يفتحه » ، صوابه في ع .

(٨) في النسختين : « ولم يبق » ، والوجه حذف الواو كما في ع .

(٩) الأغثر : الأحمق الجاهل . وفي النسختين : « جمال أغبر » .

(١٠) البطل : ذو الباطل . والتبطل : قبل البطالة ، وهو اتباع اللهو والمهالة . وفي

النسختين ع : « يظاف » ، ولعل وجهه أثبت

(١١) في النسختين : « ولا حامل » ، بالماء المهملة ، صوابه في ع .

كهام^(١) ، ولا جاهلُ سفيه^(٢) ، إِلَّا وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَا حَاجَ^(٣) وَصُوبَهُ وَخَطَأَهُ^(٤) ثم لا يرضى حتى يتوَلَّى من أَرْضَاهُ ، وَيَكْفُرُ مَنْ خَالَفَ هَوَاهُ ، فَإِنْ جَارَاهُ^(٥) محقٌ ، وَأَغْلَظَ لَهُ وَاعِظٌ ، وَاتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ بِحَضْرَتِهِ أَشْكَالُهُ^(٦) استغوى أمثاله ، فَاشْتَعَلُوا فَتْنَةً وَأَخْصَرُوا نَارًا .

فليس لمن كانت هذه حاله أن يتحيز مع الخاصة ، مع أنه لو حَسُنَتْ نِيَّتُهُ ، لم تحتمل فِطْرَتُهُ معرفةَ القُصُول ، وتُمييزَ الأمور .

فإن قالوا : وَلَمْ يَلْمُوهُمْ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، كما لا يعرفون عدلَهُ من جَوْرِهِ ، وتشبيهه بِخَلْقِهِ^(٧) مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ عَنْهُ . وكما لا يعرفون القرآنَ وتفسيرَ جَمَلِهِ ، وتَأْوِيلَ مُنْزَلِهِ .

قيل لهم : إِنَّ قُلُوبَ الْبَالِغِينَ^(٨) مَسْخُورَةٌ لِمَعْرِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٩) ، ومحمولة على تصديق المرسلين ، بالتنبيه على مواضع الأدلة ، وقَصْرِ النُّفُوسِ عَلَى الرُّؤْيَا ، وَمَنْعِهَا عَنِ الْجَوْلَانِ وَالتَّصَرُّفِ ، وَكُلِّ مَارِثَةٍ عَنِ التَّفَكِيرِ^(١٠) ، وَشَقْلِ عَنِ التَّحْصِيلِ ، مِنْ وَسْوَسةٍ أَوْ نِزَاعِ شَهْوَةٍ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَالِمٌ يَكُنْ مَعْتَوْهَا أَوْ طَفَلًا ، فَمَحْجُوجٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ ، عِنْدَ

(١) الكهام : الضمير الذي لا غناء عنه . في التسخين : « ولاغي » ، والصواب في ع .

(٢) الملاحاة : المنازعة والمفاضة . في التسخين : « لاجاه » ، بالهم تحريف .

(٣) خطاه : سهل خطاه . وفي التسخين : « وخطأه » صوابه في ع .

(٤) في التسخين : « جازاه » بالزاي ، تحريف .

(٥) ب فقط : « أشكال » .

(٦) في التسخين : « وتشبيهه من خلقه » ، صوابه في ع .

(٧) في التسخين : « التابعين » ، صوابه في ع .

(٨) يقان بخره للأثر ، أي كلفه به وقهره عليه . وفي الكتاب العزيز : « ونخر لكم الشمس والقمر » ، أي ظاهما ، وكذلك « نخر لكم الفلك » . وفي التسخين : « مسخرة بخره » ، صوابه في ع .

(٩) ربه عن الأمر : حجه وصرته . وفي التسخين : « وكلما ريب » والصواب في ع .

جميع المسلمين . ولا يكون محجوباً حتى يكون عالماً بما أمر به ، عارفاً بما نهى عنه ؛ لأن من لم يعلم^(١) في أى الضربين سُخِّطَ الله ، وفي أى نوعٍ رضاه ، ثم ركب السُّخْطَ أو أتى الرِّضَا^(٢) لم يكن ذلك منه إلا على اتفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد . والله تبارك يتعالى عن أن يعاقب من لم يردّ خلافه ، ولم يعرف رضاه . أو يحمّد من لم يعتمد رضاه ، ولم يقصد إليه . ولم يكن الله تعالى ليعدّل صنعه ويسوى أداته^(٣) ويفرق^(٤) بينه وبين المتقوص في بنيته وتركيبه^(٥) ، إلا ليفرق بين حاله وبين الطفل والعتوه . وليس للمعرفة وجه إلا لتبصيره وتخييره^(٦) ، ولولا ذلك لم يكن للذي خُصَّ به من الإيانة وتعديل الصّنعَة ، وإحكام البنيّة معنى . والله تعالى^(٧) عن فعل ما لا معنى له .

وفي قول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٨) دليلٌ على ما قلنا . وليس لأحد أن يُخرج بعض الجنّ والإنس من أن يكون خلقاً للعبادة إلا بحجة ، ولا حجة إلا في عقل ، أو في كتاب ، أو خبر .

فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للعبادة^(٩) والاختيار ، فلم قلتم : إنهم غير مأثورين بإقامة الأئمة والاختيار مع

(١) ب فقط : « لا لمن لم يعلم » ، تحريف .

(٢) في النسخين : « أو أتى الرضا » ، صوابه في ج .

(٣) في النسخين : « أداته » ، والوجه ما أثبت من ج .

(٤) هذا الصواب من ج . وفي النسخين : « ويسوى » .

(٥) في النسخين : « في سه وتركيبه » ، تحريف .

(٦) في النسخين : « وتجيره » ، صوابه في ج .

(٧) ج : « يصل » .

(٨) الآية ٥٦ من سورة الناريات .

(٩) في النسخين : « إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للعباد » ، صوابه في ج .

الأمة . وحكمهم حكمُ المسلمين المتعبدين . وإنما الإمام إمام المسلمين المتعبدين ؟

قلنا: إنما يلزم الناس الأمرُ فيما عَرَفُوا سبيله . وليس للعوامُ - خاصة - معرفةٌ بسبيل إقامة الأئمة ^(١) فيلزمها ، أو يجرى عليها أمرٌ أو نهي .

والعامةُ وإن كانت تعرف جُمْلَ الدين بقدر ما معها من العقول ، فإنه لم يبلغ من قوَّة عقولها ، وكثرة خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ولم يبلغ من ضعف عقولها أن تنحطَّ إلى طبقة المجانين والأطفال .

وأقْدَارُ طبائع العوامُ والخواص ، ليست مجهولة ^(٢) فيحتاج ^(٣) إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أنَّ طبائع الرُّسل فوق طبائع الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك النَّاسُ على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب ، في البخل والسَّخاء ، والبلادة والذكاء ، والتَّندر والوفاء ، والمجنون والنَّجدة ، والصَّبر والجَزَع ، والطَّيش والجلُم ، والكِبَر والتَّيَهُ ، والحِفْظ والنَّسيان ، واليِّ والبيان .

ولو كانت العامةُ تعرف من الدِّين والدُّنيا ما تعرف الخاصةُ ، كانت العامةُ خاصةً ، وذهب التفاضلُ في المعرفة ، والتَّباينُ في البنية . ولو لم يخالف بين طبائعهم لسقط الامتحان وبطل الاختيار ، ولم يكن في الأرض اختيار ، وإنَّما خولف بينهم في الغريزة ليصبرَ بها صابر ^(٤) ، ويشكرُ شاكراً ، وليتفقوا على الطَّاعة ، ولذلك كان الاختلاف ، وهو سبب الائتلاف .

(١) ب : « معرفة السبيل إقامة الأئمة » م : « معرفة لسبيل » ، وأثبت ما في ع .

(٢) في النسخين : « وليست بمجهولة » ، والواو مقمعة .

(٣) ح : « فيحتاج » .

(٤) ح : « ليصبر صابر » .

١٣

من كتابه في

المسائل أجواباً في المعرفة

١ - فصل

من صلب كتاب المسائل والجوابات في المعرفة^(١)

بِالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وما توفيقنا إلا بالله .

اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها تبايناً مُفرطاً . فزعم قومٌ أَنَّ المعارفَ كُلَّها فعلُ الفاعلين [لا معرفة] ^(٢) لم ^(٣) يتقدمها سبب منهم ^(٤) ، ولم يوجبها علّة ^(٥) من أفعالهم . ولم يرجعوا إلى معرفة الله ورسوله ، والعلم بشرائعه ، ولا إلى كل ما فيه الاختلاف والمنازعة ، وما لا يُعرف حَقائِقُهُ إِلَّا بالتفكر والمناظرة ، دون ترك الحواس الخمس .

فزعموا أَنَّ ذلك أجمَعُ فَعِلُهُمْ ، على الأسباب الموجبة ^(٦) ، والعِللِ المتعلّمة ، وجعلوا مع ذلك سبيلَ المعرفة بصدق الأخبار ، كالعلم بالأمصار القائمة ، والأَيام الماضية ، كيدر وأحد والخندق ، ، وغير ذلك من الوقائع والأَيام ، كالعلم بفرغانة ^(٧) والأَنْطُلُس ، والصَّين والجَبْشَة ، وغير ذلك من القرى والأمصار - سبيلَ الاكتساب ^(٨) والاختيار ، إذ كانوا ^(٩) هم الذين نظروا حتّى عرفوا فَصْلَ ما بينَ المجيء الذي لا يكذب مثله ، والمجيء الذي يمكن الكذب في مثله .

(١) هذا الكتاب لم ينشر من قبل ، كما سقط من نسخة ط ، ، فالقابلة هنا بين نسختي التحف

البريطاني واليهودية فقط : ب ، م

(٢) تكملة يقضيها الكلام .

(٣) ب : « سبب منه » .

(٤) ب : « عليه » .

(٥) ب : « المرجية » ، صوابه في م .

(٦) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء القهر متاخمة لبلاد تركستان ، كما ذكر ياقوت . وهي بفتح الفاء .

(٧) ب ، م : « وسبيل الاكتساب » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب : « إذا كانوا » .

فزعوا أن جميع المعارف سبيلها سبيل واحد ، ووجوه دلائلها وعللها متساوية ، إلا ما وجد الحواس بقية ، وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة ، وكان هو القاهر ، للحاسة ، والمستوى على القوة ، من غير أن يكون من البصر فتح ، ومن السمع إصفاء^(١) ومن الأنف شم ، ومن القم قوق ومن البصرة مس^(٢) ، فإن ذلك الوجود فعل الله دون الإنسان ، على ما طبع عليه البشر ، وركب عليه الخلق .

قالوا : فإذا كان ذلك الحواس الخمس إذا تقدمته الأسباب ، وأوجبه العلة قبل المتقدم فيه والموجب له ، ودرك الحواس أصل المعارف ، وهو المستشهد على الغائب^(٣) ، والدليل على الخفي ، وبقدر صحته تصح المعارف ، وبقدر فساده تفسد^(٤) - فالذي تستخرجه الأذهان منه ، وتستشهد عليه ، كعلم التوحيد ، والتعليل والتجوير^(٥) ، وغامض التأويل ، وكل ما أظهرته العقول بالبحث ، وأدركته النفوس بالفكر من كل علم ، وصناعة الحساب والمناسة ، والصياغة^(٦) والفلاحة - أجدر أن يكون فعله والمنسوب إلى كسبه .

قالوا : فالدليل على ذلك الحواس فعل الإنسان على ما وصفنا واشترطنا^(٧) ، من إيجاب الأسباب ، وتقدم العلة : أن الفاتح بصره لو لم يفتح لم يدرك . فلما كان البصر قد يوجد مع عدم الإدراك بولا يعلم الإدراك مع

(١) ب : « صفاء » م : « صفاء » ، صوابها ما أثبت .

(٢) البصرة : ظاهر الجمل ، وجهه يشر . و في ب : « ومن البشر » .

(٣) ب : « وهو المستشهد على الغائب » ، صوابه ق ح .

(٤) في النسخين : « ويد صحه » وكذلك : « ويد فساده » ، والوجه ما أثبت ما هو لغة الجاحظ .

(٥) في النسخين : « والتجوير » ، والوجه أثبت . وانظر ما سبق في ص ٣٣ ، ٤٠ .

(٦) ب : « والصياغة » بالياء الموحدة .

(٧) ب : « واشترطنا » ، صوابه ق م .

وجود الفتح ، كان ذلك دليلاً على أن الإدراك إنما كان لعلّة الفتح ، ولم يكن لعلّة البصر ، لأنّه لو كان لعلّة صحتّ البصر كانت الصّحة لا توجد أبداً إلاّ والإدراك موجود^(١) . فإذا كانت الصّحة قد توجد مع علم الإدراك ، ولا يُعلم الإدراك^(٢) مع وجود الفتح ، كان ذلك شاهداً على أنّه إنما كان لعلّة الفتح دون صّحة البصر .

وقالوا : ولأنّ طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتّى جعلها الفاتح بالفتح عاملة ، ولأنّ الفتح علّة الإدراك ومقدّمة بين يديه ، وتوطئة له . وليس الإدراك علّة للفتح ولا مقدّمة بين يديه ، ولا توطئة له ، فواجب أن يكون فعل الفاتح ، لأنّ السبب إذا كان موجباً فالسبب تبع له .

٢ - فصل منه

ثم قالوا بعد الفراغ من ذلك الحواس في معرفة الله ورسوله وكلّ ما فيه الاختلاف والتنازع ، أن ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون يحدث من الإنسان لعلّة النظر المتقدّم ، أو يكون يحدث على الابتداء ، لا عن علّة موجبة وسبب متقدّم . فإن كانوا أحلثوه على الابتداء ، فلا فعل^(٣) أولى بالاختيار ، ولا أبعد من الاضطراب منه .

وإن كان إنما كان لعلّة النظر المتقدّم ، كما قد دلّلنا في صدر الكلام على أن ذلك الحواس فعل الإنسان إذا تقدّم في سببه ، فالعلم

(١) في النسخين : « موجوداً » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « ولا يحتم الإدراك » ، صوابه في م .

(٣) في النسخين : « ولا فعل » ، وإنما هو جواب ما تقدم .

(٤) - مسائل الجاهل - ج ٤

بالله وكتبه ورسله أجدر أن يكون فعله . إذ كان^(١) من أجل نظره علم ،
ومن جهة بحثه أدرك .

فهذه جمل دلائل هؤلاء القوم . ورئيسهم بشر بن المتحر .

ثم هم بعد ذلك مختلفون في ذلك الحواس إلا ما اعتمد إدراكه بعينه
وقصد إليه بالفتح والإرادة ؛ لأنَّ الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة
ما كان فعل الفتح . فكيف يجوز أن يكون الإدراك فعله من غير قصد .
ولو جاز أن يكون الفتح فعل الإنسان من غير أن يكون أراده وقصد
إليه ، ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق ؛ لأنَّه كان لا يجوز
أن يكون ذهب الحجر إذا لم يدفعه ، ولم يقصد إليه ، ولم يخطر له على
بال ، فعله . فكذلك الإدراك إذا لم يخطر على باله ، ولم يقصد إليه ،
ولم يتممه ، لا يكون فعله .

٣ - فصل منه

وليس على المخبر بقصد خصمه^(٢) والواصف للذهب غيره^(٣) ،
أن يجعل باطلهم حقاً ، وفاسدكم صحيحاً ، ولكن عليه أن يقول بقدر
ما تحمله النحلة ، وتوسع له المقالة ، وعليه أن لا يحكى عن خصمه
ويُخبر عن مخالفه إلا وأدنى منازله ألا يعجز عما يلقوه ، ولا ينهى^(٤)
عما أدركوه .

(١) في النسخين : « لو كان » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسخين : « والمخبر نفسه خصمه » ، تحريف . وسيأتى في آخر الفصل : « ألا يحكى من
من خصمه » . فهذا أقرب تصحيح .

(٣) ب : « مذهب غيره » .

(٤) ب : « ينهاه » ، « ينهاه » ، والوجه ما أثبت .

٤ - فصل منه

وقد زعم آخرون أَنَّ المعارفَ ثمانية أجناس : واحدٌ منها اختيارٌ ، وسبعةٌ منها اضطرار . فخمسةٌ منها دَرَكُ الحواسِّ الخمس ، ثم المعرفةُ بصِدْقِ الأخبار ، كالعلم بالقرى والأمصار ، والسير والآثار ، ثم معرفة الإنسان إذا خاطبَ صاحبه أَنَّهُ موجهٌ^(١) بكلامه إليه ، وقاصدٌ به نحوه .

وأما الاختيار فكالعلم بالله ورُسُلِهِ ، وتأويلِ كتابه ، والمستنبطِ من علم الفتيا وأحكامه ، وكلُّ ما كان فيه الاختلاف والمنازعة^(٢) . وكان سبيلُ علمه النظرَ والفكرة . ورئيس هؤلاء أبو إسحاق .

وزعم مُعمرٌ^(٣) أَنَّ العلمَ عشرةٌ أجناس : خمسةٌ منها دَرَكُ الحواسِّ ، والعلم السادس كالسير الماضية والبُلدان القائمة ، والسابع : علمك بقصد المخاطبِ إليك وإرادته إِيَّاكَ ، عند المحاورة والمنازعة . وقبل ذلك : وجود الإنسان لنفسه ، وكان يجعلهُ أولَ العلوم ، ويقدمهُ على دَرَكِ الحواسِّ . وكان يقول : ينبغي أن يقلّم وجود الإنسان لنفسه على وجوده لغيره . وكان يجعلهُ علماً خارجاً من دَرَكِ الحواسِّ ؛ لأنَّ الإنسان لو كان أصمَّ^(٤) لأحسَّ نفسه ولم يحسَّ [صوته] ، ولو كان أعمى^(٥) لأحسَّ نفسه ولم يُحسَّ [أرائحته] . وكذلك سبيل المذاقات والملامس . فلما كان المعنى

(١) ب : « أن موجه » ، م : « أنه موجه » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) في القسطين : « اختلاف والمنازعة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سمر بن عباد السلمي ، بتشديد الميم ، كما سبق في ترجمة ٢ : ٢٨٧ .

(٤) في القسطين : « لو كان عمى » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الأخشم من الخشم ، بالتحريك ، وهو ألا يجد ريح طيب ولا نتن .

(٦) الكلمة من م فقط .

كذلك وجب أن يُفَرَّدَ من دَرَكَ الحواسِّ، ويُجَعَلَ علماً ثامناً على حيَّالِهِ^(١) وقائماً بنفسه^(٢).

ثم جعل العلم التاسع : علمَ الإنسان بآئِهِ^(٣) لا يخلو من أن يكون قدماً أو حديثاً.

وجعل العلم العاشر : علمه بآئِهِ مُحَدَّثٌ وليس بقديم.

٥ - ففصل منه

ولست آلوَّ جُهِدًا في الكلام والإيجاز^(٤) في الإدخال على بشر بن المتمر في دَرَكَ الحواسِّ ، ثم على أبي إسحاق^(٥) في ذلك ، وفي غيره ممَّا ذَكَرْتُ من مذاهبه ، وتركه قياسَ ما بَيَّنَّي عليه إن شاء الله ، لنصير إلى الكلام في المعرفة ، فإني إليه أجريتُ ، وإياه اعتقدت ، ولكنني أحببت أن أبدي فسادَ أصولهم^(٦) قبل فروعهم ، فإنَّ ذلك أَقْتَلُ للدهاء^(٧) وأبلغ في الشفاء ، وأجسم للعرق ، وأقطع للمادة ، وأخف في المؤونة على من قرأ الكتاب ، وتدبر المسألة والجواب . وبالله ذي المنِّ والطول نستعين .

(١) على حياله ، أي وحده . وأصل الحيال خيط يشد من حزام البير المقدم إلى حزام المؤخر . وفي النسختين : « غياله » ، تحريف .

(٢) ب : « وقائلاً بنفسه » ، صوابه في م .

(٣) في النسختين : « فآئِهِ » ، تحريف ما أثبت .

(٤) في النسختين : « ولست ألوجب ذاك الكلام والإيجاز » .

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٦) ب : « أن أبرئ إفساد أصولهم » م : « أن أبرأ فساد أصولهم » ، والوجه ما أثبت .

(٧) في النسختين : « أثبت للدهاء » ، تحريف .

٦ - فصل

من رده على أبي إسحاق النظام وأصحابه

يقال لهم : حدثونا عن العلم بالله ورسوله وتأويل كتبه ، وعن علم القدر وعلم المشيئة ، والأسماء والأحكام . أيا كِتَابٍ هو أم باضطرار ؟

فإن زعموا أنه باكتساب قيل لهم : فخيرُونا عن علمكم بأن ذلك أجمع اكتساب ، أيا كِتَابٍ هو أم باضطرار ؟ فإن قالوا : باكتساب . قيل لهم : أو ليس اعتقادُ خلاف ذلك أجمع باكتساب ؟

فإن قالوا : نعم . قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب أفليس كل واحد من المكسبين عند نفسه على الصواب ؟
فإذا قالوا : نعم . قيل لهم : [أو ليس كل واحد منهما ساكن القلب إلى مذهبه واختياره ؟

فإذا قالوا نعم قيل لهم ^(١) : فما يؤمن الحق من الخطأ ؟ وليس سكون القلب وثقتُه علامة للحق ، لأن ذلك لو كان علامة لكان البطل محققاً ، إذ كان ^(٢) قد يجد من السكون والثقة ما لا يجد الحق .

وقلنا ^(٣) : وما معنى خلافه إلا أن يكون البطل شاكاً ، أو يكون عارفاً بتقصيره ، أو يكون مكثراً لوهم يجله . فإذا لم يكن كذلك فلا فرق بين العقودين .

(١) التكلة من م .

(٢) ب : « إذا كان فيه » ، تحريف .

(٣) قلنا ، استبرار الكلام السابق . وق التسخين « قلنا » بدون ولو .

فإن قالوا : إن فرق ما بينهما أن سكون^(١) قلب المحق حق في عينه ، وسكون قلب المبطل باطل في عينه .

قلنا : أو ليس ذلك غير محول لسكون المبطل عن الثقة إلى الاضطراب ولا مغيرة إلى الاكتراث ؟

فإذا قالوا ذلك ، قيل لهم : فما يؤمن المحق أن يكون سكونه أيضاً باطلاً في عينه إذا كان سكونه لا ينقص^(٢) عن سكون المبطل . ولئن كان [فرق^(٣)] السكون بينهما ظاهراً الاجتهاد والعبادة^(٤) ، فمن أظهر اجتهاداً من الزهبان في الصوامع ، والخوارج في بلد النفوس ؟

فإن قالوا : الفرق بينهما أن المحق قد استشهد الضرورات ، والمبطل لم يستشهد^(٥) .

قلنا : فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات^(٦) . حتى لو سأله سائل فقال : ما يؤمنك من الخطأ ؟ لقال : استهادي للضرورات .

فإن زعموا أن المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات ، لأن ذلك هو علامة الحق ، والفصل بينه وبين الباطل .

قلنا : وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قط^(٧) ، أو نظري شيء^(٨) إلا أولاً ونظريه إنما هو على أصل الاضطراب ؛ لأن المفكر لا يبلغ من جهله

(١) في النسختين : « أن سكون » صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « لا ينفصل عن » م : « لا ينفصل من » ، والوجه ما أثبت .

(٣) يمثلها يلتم الكلام .

(٤) في النسختين : « والعبادة » ، تحريف .

(٥) ب : « لم يستشهداه » تحريف . والكلام يمد إل : « والضرورات » التالية ساقط من ب .

(٦) يمد ق ب فقط : « أو لم يقتضها » وهو تكرار لما سبق .

(٧) ب : « ونظر في شيء » ، صوابه ق م .

أن يستشهد الخوف ، بل من شأن الناس أن يستدلوا بالظاهر على الباطن إذا أرادوا النظر والقياس ؛ ثم هم بعد ذلك يخطئون أو يصيبون .

وقلنا^(١) : فينبغي أن يكون كل مبطل في الأرض قد علم حين يقال له : ما يؤمنك أن تكون مبطلا ؟ أنه لم يستشهد الضرورات . وأنكر أصله الذي قاس عليه واستنبط منه ضرورة ، وأنه إنما قال بالعسف أو بالتقليد . وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنهم على خطأ^(٢) أو يكونوا شككاً ، أو يكونوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات ، وإن كانوا قد تركوا ذلك عند بعض المقدمات . فإن كانوا قد علموا أنهم لم يستشهدوا الضرورات ، وإن كانوا شككاً فيها ؛ فليس على ظهر الأرض مخطئ إلا وهو عالم بموضع خطئه ، أو شك فيه . أو كانوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات ، فما يؤمنكم أن تكونوا كذلك ؟

فإن قالوا : ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا .

قلنا : أولستم^(٣) معشر أبي إسحاق النظام تختلفون^(٤) في أمور كثيرة ، وقد كنتم تختلفون صاحبكم خلافاً كثيراً ، وكلكم إذا سأله سائل : ما يؤمنك أن تكون على باطل^(٥) ؟ قال : لا أتى مستشهد للضرورات . فهل

(١) استمرار الكلام السابق . وفي النصين : « قلنا » بدون ولو .

(٢) انطواء ، كسحاب : انطأ ، وهي كثيرة في لغة الجاحظ . ب : « خطأ » .

(٣) في النصين : « ولستم » ، وإنما هو استهزاء .

(٤) ب : « يختلفون » ، صوابه في م .

(٥) في النصين : « إذا سأله سائل يؤمنك أن يكون على باطل » . والوجهما أثبت .

يخلو أمركم من أحد وجهين : إما أن تكونوا صادقين على أنفسكم ،
أو كاذبين عليها ؟

فإن كنتم صادقين فقد صار قلبُ الحق كقلبِ المُبطل ؛ إذ كان
كلُّ واحد عند نفسه مستشهداً للضرورات .

وإن كنتم كاذبين فهل منكم محقٌّ إلا وهو يلقى الخصمَ بمثل دعواه
في استشهاد الضرورات ؟ وهل منكم واحدٌ على حياله ^(١) محقاً أو مبطلاً
إلا وجوبه لنا مثلُ جوابِ صاحبه . فإذا كانت ^(٢) القلوب قد تكون
عند أنفسها مستشعدة للضرورات ، وهي غيرُ مستشعدة لها ، وكونُ
القلب كذلك هو علامة الحق ؛ فما الفرق بين قلب الحق والمبطل ^(٣) ؟
ومع ذلك إنا وجلنا صاحبكم قبلكم ووجلناكم بعلمه قد رجعتم عن أقاويل
كثيرة ، بعد أن كان جوابكم لمن سألكم مأيؤمينكم أن تكونوا على باطل ،
أن تقولوا ^(٤) : استشهدنا للضرورات ^(٥) . ونحن لو سألناكم عما رجعتم
عنه ، فقلنا لكم : لعلكم على خطأ ، ولعلكم من هذه الأقاويل على غرر ،
لم يعبء جوابكم استشهاد الضرورات .

(١) ب : « حياله » بالمرحلة ، صوابه في م . وانظر ما سبق في ٥٢ س ١ .

(٢) ب : « إذا كانت » ، وأثبت ما في م .

(٣) ب : « لقلب الحق والمبطل » .

(٤) ب : « أن يقولوا » تحريف .

(٥) ب : « استشهدنا للضرورات » ، صوابه في م .

٧ - فصل

من هذا الكتاب في الجوابات

ثم إنني واصل^(١) قولي في المعرفة ومجيب خصمي في معنى الاستطاعة وفي أي أوجهها^(٢) يحسن التكليف وتثبت الحجة ، ومع أيها يسهل التكليف^(٣) وتسقط الحجة .

فلولي ما أقول في ذلك : أن الله - جل ذكره - لا يكلف أحداً فعل شيء ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر ، زائل الحجة .

ولن^(٤) يكون العبد كذلك إلا وهو صحيح البنية ، معتل الزواج ، وافر الأسباب ، مخلى السرب ، عالم بكيفية الفعل ، حاضر التوازن ، معتل الخواطر ، عارف بما عليه وله .

ولن يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال الملوثة ، والحالات المعروفة ، التي عليها مجاري الأفعال يومن أجلها يكون الاختيار ولما يحسن التكليف ، ويجب القرض^(٥) ، ويجوز العقاب ، ويحسن الثواب .

ولو كان الإنسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً ، لكان^(٦) من لا سلم له للصعود مستطيعاً .

(١) في النسخين : « واصل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسخين : « ووجهها » ، صوابه ما أثبت .

(٣) في النسخين : « ومع أيها يسهل التكليف » والوجه ما أثبت .

(٤) في النسخين : « وإن » ، تحريف .

(٥) ب : « ويجب » ، صوابه ق م .

(٦) في النسخين : « لكن » ، صوابه ما أثبت .

ولن يكون أيضاً مع ذلك كله للفعل مختاراً ، وله في الحقيقة دون
الجزأ مستطياً ، إلا وجميع أوامره في وزن جميع زواجره ، حتى إذا
ما قابلت بين مَرَجُوهما وَمَخُوفهما ، وبين تقديم اللَّذَّةِ وخوف الآخرة ،
وبين تعجيل المكروه وتأجيل العاقبة ، وجلتُهُما في الحذر^(١) والرفع ،
وفي القَبْضِ والبسط سواء .

ولا يكون أيضاً كذلك إلا وبقاؤه في الحال الثانية معلوم ، لأن
الفعل حارسٌ والطَّباعُ محروسة ، والنفس عليها موقفة . فإن كان الحارس
أقوى من طباعها كان ميلُ النفس معه طياعاً ؛ لأنَّ من شأن النفس
الميلُ إلى أقوى الحارسين ، وأمنتِ السَّبيين^(٢) .

ومنى كانت القوتان متكافئتين كان الفعل اختيارياً ، ومن حدَّ
الغلبة خارجاً^(٣) ، وإن كانت الغلبة تختلف في اللَّين والشَّدة ، وبعضها
أخفى وبعضها أظهر ، كخبر الإنسان من وهج السموم إذا لم يحضره
دواعي الصبر ، وأسباب المكث . وهو من لَهَب الحريق أشدَّ نَفَرَةً ،
وأبعد وثبةً ، وأسرع حركة .

ومنى قويت الطبيعة على النقل أوهنته وغيَّرتَه ، ومنى توهَّنت وتغيَّرت
تغيَّرت^(٤) المعاني في وهمه^(٥) ، وتمثلت له على غير حقيقتها . ومنى كان

(١) الحذر : تقبُّض الرِّض . وفي التنخين : « الحذر » ، ووجه ما أثبت . وفي ما قبلها :
« وجبتُها » ، صوابه في ب .

(٢) ب : « أقوى الحارس وأمن السَّبيين » ، م : « أقوى الحارس وأمن السَّبيين » ،
والوجه ما أثبت .

(٣) ب : « ومن وجد الغلبة خارجاً » م : « ومن جد الغلبة خارجاً » و « الغلب »
و « الغلبة » بمعنى واحد . وفي الكتاب التريز : « وهم من بعد عليهم سيفلون » . وصواب ما قبلها
« وسدحه » بالهاء المهملة كما أثبت .

(٤) في التنخين : « وتوهنت » ، وإنما هي جواب « متى » .

(٥) الروم : « غطرات القلب والنقل والفكر » . ب : « وحه » صوابه في م .

كذلك كل^(١) عن إدراك ما عليه في العاقبة ، وزينت له الشهوات ركوب^(٢) مافي العاجلة .

ومنى - أيضاً - فضلت قُوى عقله على قُوى طبائمه أوهمت طبائمه ، ومنى كانت كذلك آثر الحزم والآجلة^(٣) على اللذة العاجلة ، طبعاً لا يمتنع منه ، وواجباً^(٤) لا يستطيع غيره .

ولئما تكون النفس مختارة في الحقيقة . ومجانبةً لفعل الطبيعة إذا كانت أخلاطها مختلة ، وأسبابها متساوية ، وعللها متكافئة ، فإذا علل الله تركيبه وسوى أسبابه ، وعرفه ما عليه وله ، كان الإنسان للعقل مستطيعاً في الحقيقة ، وكان التكليف لازماً له بالحجة .

ولولا أنك تحتاج إلى التعريف بأن المأمور المنهى^(٥) لابد له من التسوية والتعليل لما قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ ﴾ .

ولو جاز أن يعلم موضع غيها ورشدنا من غير أن يسويها ويهيئها^(٦) لكان ذكر التسوية فضلاً من القول . والله يتعالى^(٧) عن هذا وشبهه علواً كبيراً .

(١) كل كلالا : غشت وأما . وفي ب : « متى كان كذلك كان » وفي م : « متى كان كذلك » فقط . ووجهها ما أثبت .

(٢) الآجلة : الآخرة ، والمراد لذات الآخرة .

(٣) ب : « وواجب » ، صوابه ق م .

(٤) ب : « المأمور والمنهى » . والمراد أن الإنسان مأمور بمنى ما ، لا واحد منهما .

(٥) الآيات ٦-٨ من سورة الشمس .

(٦) ب : « وحيثها » ، صوابه ق م .

(٧) م : « تعالى » . وانظر ملحق في ٢٤ : ٥ و ٤٢ : ٤ .

٨ - ففصل

في جواب من يسأل عن المعرفة باضطراب هي أم باكتساب

قلنا : إنَّ الناس لم يعرفوا الله إِلَّا مِنْ قِبَلِ الرُّسُلِ ، ولم يعرفوه من قِبَلِ الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق ، والزيادة والنقصان .

على أَنَّا لا نشكُّ أَنَّ رجلاً من الموحِّدين قد عرفوا وجوهاً من الدلالة على الله بعد أَن عَرَفُوهُ مِنْ قِبَلِ الرُّسُلِ ، فتكلَّفوا من ذلك ما لا يجبُ عليهم ، وأصابوا من غامضِ العلم ما لا يقدِّر عليه عوامهم ، من غير أَن يكونوا تكلَّفوا ذلك لشكٍّ وجُلُوهُ ، أو حَيْرَةٍ خافوها ؛ لِأَنَّ أعلام الرُّسُلِ مُقَيِّنة ، ودلائلُهَا واضحة ، وشواهدُهَا متجَلِّية ، وسلطانُهَا قاهر ، وبرهانُهَا ظاهر .

فإن قال : أباكتساب علموا^(١) صِلَقَ الرُّسُلِ أم باضطراب ؟ قلنا : باضطراب .

فإن قالوا : فخبرونا عن مَنْ عَابَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُجَّتُهُ ، وَالتَّنْبِيَّ وَحِيلَتُهُ ، كَيْفَ يَعْلَمُ^(٢) صِدْقَ النَّبِيِّ مِنْ كَذِبِ التَّنْبِيِّ ، وهو لم ينظر ولم يفكر ؟

فإن قلتم : إِنَّهُ نَظَرَ ، وَفَكَّرَ ، فَقَدْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْاِكْتِسَابِ .

وإن قلتم : إِنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ وَلَمْ يَفَكَّرْ فَلَمْ يَعْرِفِ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا دُونَ أَنْ يَجْهَلَ ؟ وَكَيْفَ عِلْمُ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ الْحُجَّةَ مِنَ الْحِيلَةِ ؟ وَمَا يُؤْمِنُهُ

(١) ب : « علموا » ، صوابه في م -

(٢) في النسختين : « نعلم » بالتون .

أن يكون مبطلاً إذا كان لم ينظر في أمور الدنيا ، ولم يختبر معانيها حتى يعرف المتنع من الممكن ، وما لا يزال يكون بالاتفاق مما لا يمكن ذلك فيه ؟

وكيف ولم يعرف العادة ومجرى الطبيعة وإلى أين تبلغ الحيلة وأين تعجز الحيلة^(١) ، وعند أي ضرب يسقطان ، وعلى أي ضرب يقومان ؟ ولم عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين عاين شامده وأبصر أعاجيبه ، من غير امتحان لما^(٢) وتعقب لمعانيها ، دون أن يعتقد^(٣) صدق النبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخلعه وحيله ؟

بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكرة فيها وتقلب لأمرها .

والدنيا بأسرها دلالة عما عرف صدق النبي حين أبصر دلالته من غير تفكير فيها أو تقلب لأمرها^(٤) .

وقد علمنا أن الدنيا دالة على أن شواهد النبي دالة ، ومنى كان ظاهر أحدهما يغني عن التفكير كان الآخر مثله ، إذ لم يكن في القياس بينهما فرق ، ولا في العقول فضل .

قلنا : إن تجارب البائع قبل أن يهجم على دلالات الرسل تأتي على جميع ذلك^(٥) . ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الثغور وعلاقات الدنيا ، والتجربة لتصريف أمورها ، كما

(١) ب : « الحيلة » ، صوابها في م .

(٢) ب : « من غير أي امتحان لها » . (٣) ب : « يعتقد » .

(٤) ب : « وتقلب لأمرها » ، صوابه في م . والكلام منه إلى « لأمرها » التالية

ساقطة من م .

(٥) في التسخين : « يأتي عل جميع ذلك » ، والوجه ما أنهت .

وصل إلى معرفة صدق النبي إلا بعد مقدمات كثيرة ، ورتيبات منزلة ؛
لأنّ مُشاهد الشواهد إنّما تُضطره المشاهدة لها إذا كان قد جرب الدنيا ،
وعرف تصرفها وعادتها قبل ذلك .

ولو لم يكن جربها قبل ذلك حين عرف منتهى قوّة بطش الإنسان
وحيلته ، وعرف الممكن من الممتنع ، وما يمكن قوله بالاتفاق مما لا يمكن ،
لما عرفت ذلك .

فإن قالوا : وكيف جرب ذلك وعقله ، وأتقنه وحفظه ، وهو طفل
غريّر وحلث صغير ؛ لأنّ غير البالغ طفل إلى أن يبلغ ، وحين يبلغ
فقد هجم على النبي صلى الله عليه وسلم وشواهده ، أو هجم عليه النبي
بشواهده ، إما بخبر مُقنع أو ببيان شاف . ففي أية الحالين جرب وعرف ،
وميز وحفظ ، في حال الطفولة والغرارة ؟ وهذا غير معروف في التجربة
والعادة ، والذي عليه رُكبت الطبيعة .

أمّا ^(١) في حال البلوغ والتّمام فحال البلوغ ^(٢) هي الحال التي أبلغه
الله الرسالة ، وقاده إلى رؤية الحجة ، واستأجر البرهان ومخرج الرسالة .

فلذا كان الأمر ، كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل إلى العلم
بصدق النبي وقد أراه برهانه ، وأسمّاه حُججه ، حتّى يمكث بعد ذلك
دهراً يمتحن الدنيا ويتعقب أمورها ، ويعمل التجربة فيها . فإن كان
ذلك كذلك فلم سمّيتموه بالغا ، وليس في طاقته بعد العلم بفصل ما بين
النبي والمتنبّي ؟

(١) في النسختين : « أم » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « وحال البلوغ » صوابه ما أثبت .

قلنا : إِنَّ التَّجَرِبَةَ عَلَى ضَرَبَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَقْصِدَ الرَّجُلُ إِلَى امْتِحَانِ شَيْءٍ لِيَعْرِفَ مَخْبِرَهُ عَمَّا عَرَفَ مَنْظَرَهُ .

وَالْآخَرُ : أَنْ يَهْجُمَ عَلَى عِلْمٍ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .

وقد يسمَّى الإنسان مجرباً ، قاصداً أو هاجماً ، فيزعم أَنَّ البالغ قد سَقَطَ من بطن أُمِّه إلى أَنْ يَبْلُغَ ، مُقَلِّباً في الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ ^(١) ، وَمُضَرِّقاً في خِلَالِ الْحَالَاتِ ، بِالْمَعْرِفَةِ ^(٢) الَّتِي تُلْقِحُهُ الدُّنْيَا ، بِمَا تُورِدُ عَلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِهَا ، وَيَزِدَادُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَعْرِفَةً ، وَتَفْيِئَةِ الْأَيَّامِ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَرِبَةٍ ، كَمَا يَزِدَادُ لِسَانُهُ قُوَّةً ، وَعَظْمُهُ صَلَابَةً ، وَلَحْمُهُ شِدَّةً ، مِنْ أُمِّ تُنَاغِيهِ ، وَظَنَرِ تَلْهِمِهِ ، وَطِفْلِ يَلَاعِبِهِ ، وَطَبِيبٍ يَعَالِجُهُ ، وَنَفْسٍ تَدْعُوهُ ، وَطَبِيعَةٍ تُعِينُهُ ، وَشَهْوَةٍ تَبْعُهُ ، وَوَجَعٍ يُقْلِقُهُ ، كَمَا يَزِيدُهُ الزَّمَانُ فِي قُوَّتِهِ ، وَيَشُدُّ مِنْ عَظْمِهِ وَلَحْمِهِ ، وَيَزِيدُهُ الْغِنَاءَ عَظَماً ، وَكَثْرَةَ الْغَضَبِ وَالتَّقْلِيبِ جَلْدًا . فَإِذَا دَرَجَ وَجَبَا ، وَضَحُكُ وَبَكَى ، وَأَمَكْنَهُ أَنْ يَكْبُرَ لِإِنَاءٍ أَوْ يُكَبِّرَهُ ، أَوْ يَسُودَ ثَوْبًا ، أَوْ يَضْرِبَ دَابِرَةَ الْخَادِمِ ^(٣) ، وَانْتَهَرَهُ الْقَيِّمُ ^(٤) . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَابَّهُ وَدَأْبُهُمْ حَتَّى يَفْهَمَ الْإِغْرَاءَ وَالزُّجْرَ ، وَالتَّخْلِيَةَ وَالْإِنْتِهَارَ ، كَمَا يَعْرِفُ الْكَلْبُ اسْمَهُ إِذَا أَلْحَ عَلَيْهِ الْكَلَّابُ بِهِ . وَكَمَا يَعْرِفُ الْمَجْنُونُ لِقَبَهُ ، وَكَمَا يُحْضِرُ الْفَرَسُ مَنْ وَقَعَ السُّوطُ مِنْ كَثْرَةِ وَقْعِهِ بَعْدَ رَفْعِهِ عَلَيْهِ ^(٥) .

(١) في التسخين : « الحلة » ، تحريف ، وفي م : « مقلب » .

(٢) في التسخين : « المعرفة » .

(٣) كلمة « الخادم » سابقة من م . وفي التسخين : « دبر » .

(٤) اللقم : من يقوم على تربيته . والانتهار : شدة الزجر . وفي م : « وأن تهزه » .

تحريف .

(٥) انظر الحيوان ٧ : ٨٧ .

٩ - فصل منه في هذا المعنى

فإذا استحكمت هذه الأمور في قلبه ، وثبتت في غلده ^(١) وصحت في معرفته ، فهو حيثئذ بالغ محتمل . وعند ذلك يسخر الله سمعه للخبر المتلج ، أو يصره لمعاينة الشاهد المقنع ، على يدَي الرسول الصادق ، ولا يتركه هملاً ، ولا يدعه غفلاً ^(٢) ، وقد علل طبعه وأحكم صنعه ، ووفر أسبابه ، فلا يحتاج عند معاينته رسولاً يحيي الموتى ، ويبرئ الأكفم والأبرص ، ويغلق البحر ، إلى تكبير ، ولا تخمير ^(٣) ولا امتحان ولا تجربة ، لأنه قد فرغ من ذلك أجمع ، واستحكم عنده العلم الذي أدب به ، وهبى له وأورد عليه .

لأن كان لم يكن لذلك عامداً ، ولا إليه قاصداً ولا به متنياً ^(٤) ، وإنما هو عبد عباه سيده ، ورثه مولاه ، وهباه خالقه لأمر لا يشتر به من مصلحته ، ولا يخطر على باله من الصنع له حين غفاه به ، وقاده إليه ، وهباه له .

فإذا أورد عليه دعوى رسول ^(٥) ، وأنته تشهد له بإحياء الموتى وفتح البحر ، وبكل شيء قد عرف عجز البشر عن فعله والقوة عليه ، علم بتجاربه المتقدمة بمعادة النبيا ، أن ذلك [ليس ^(٦)] من صنع البشر ، وأن مثله

(١) الخلد ، بالتحريك : البال ، والقلب ، والنفس ، ب : « وثبت » ، صوابها ق م .

(٢) النفل ، بالضم : من لا يربى غيره ولا ينشئ شراً . وفي التنسين : « مغفلاً » ، وما أثبت هو لنة الجاسط .

(٣) التخمير : أن يتردد بين الأمرين ويوازن بينهما . م : « تخمير » .

(٤) متى بالأمر : اهتم به وشغل ، فهو متى . وفي التنسين : « متنياً » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ب : « رسوله » .

(٦) تكله يفتر الكلام إليها .

لا يقعُ اتِّفَاقًا ، وَأَنَّ الْحَيْلَ لَا تَبْلُغُهُ ، فلا يمتنعُ مَعَ رُؤيةِ البرهانِ^(١) وفهمِ الدَّعوى ، أن يعلمَ أَنَّ الرِّسُولَ صادقٌ ، وَأَنَّ الرَّاىَ عليه كاذبٌ .

١٠ - فصل منه

ولولا أَنَّ هذا كلامٌ لم يكن من ذكره بُدٌّ ، لَأَنَّ تَأْسِيسُ مَا بَعْدَهُ^(٢) ، ومقلَّعة^(٣) لما بين يديه ، وتوطئةٌ له ، لاقتضيت الكلام في المعرفة اقتضابا ، ولكن يمتنعى عَجْزُ أَكْثَرِ النَّاسِ عن فهم غايته فيه إلا بتنزيله وترتيبه^(٤) .

وكلُّ كلامٍ أُتِيَ على قُرْعه ، ولم تُخَبَّرْ عن أصله فهو خِلَاجٌ لاغناه عنده^(٥) ، وواهنٌ لا ثبات له .

(١) في النسختين : « من رؤية البرهان » . والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « بد لأنه لا تأسس لما بعده » م : « بدلالة لا تأسس لما بعده » والصواب ما استخرجت منها .

(٣) ب : « ومقلَّعة » ، صوابه في م .

(٤) في النسختين : « إلا تنزيله وترتيبه » ، تحريف .

(٥) الخِلَاج : الناقص . وفي الحديث : « كل صلاة لا يقرأ فيها بفاعلة الكتاب فهي خِلَاج » ، أي ذات خِلَاج ، وهو نقصان . والثناء ، بالفتح : النفع والكفاية . ب : « لاغى عنده » م : « لاغيا عنه » ، تحريف .

(٥ - وسائل الجاحظ - ج ٤)

من رسالة في
المعاد والعاش

فصل

١ - من صدر كتابه في الماد والماء^(١)

أما بعد فإن جماعات أهل الحكمة قالوا :

واجب على كل حكيم أن يحسن الارتياذ لموضع البُخية : وأن يتبين أسباب الأمور ، ويَهْدَ لمواقبها .

فإنما حُمِلت العلماء بحسن التثبُّت في أوائل الأمور ، واستشفاقهم^(٢) بحقولهم ما تجيء به الوقائب^(٣) ، فيعلمون عند استقياها ما تؤولُ به الحالات في استبصارها : ويقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم .
فأما معرفة الأمور عند تكتشفها ، وما يظهر من خفياتها : فذلك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول ، والعالم والجاهل .

ولئن قد عرفتُك - أكرمك الله - في أيام الخلَّة ، وحيث^(٤) سلطان الموى المخلط للأعراض أغلب على نظرائك ، وسكر الشباب

(١) هذا الكتاب ما سقط من نسخة ط . وقد سبق نشره كاملاً في الجزء الأول من الرسائل ٨٧ - ١٣٤ . وعنوانه في السابق « الماد والماء » . وقد خلطت في الفصل الثاني من هذه الاختيارات أن الملاحظ قد قدم « الماد » على « الماد » كما هنا . والنص فيه : « فرأيت أن أجمع لك كتاباً من الأدب جاملاً لعم كثير من الماد والماء » . وقد وجدت أن أكثر تصوياتي مطابقة لما في الرسائل .

(٢) ب : « واستشفاقهم » ، صوابه في م والرسائل .

(٣) في النسختين : « ما تجيء به الوقائب » ، وأوجه ما أنيب ، كما في الرسائل .

(٤) في النسختين : « وحيث » ؛ صوابه ما أنيب من الرسائل .

والجِدَّةُ ^(١) للتَّحْيِيَيْنِ اللَّذَيْنِ وَالرَّوْعَةُ مُسْتَوِيٌّ عَلَى لِدَانِكَ ^(٢) . فَفَقَنْتَهُمْ ^(٣)
بِبَسْطَةِ الْمَقْدَرَةِ ، وَحُمِيَّا الْحَدَاثَةِ ، وَفَضْلِي الْجِدَّةُ ^(٤) ، مَعَ مَا ^(٥) تَقَلَّمْتَهُمْ
بِهِ مِنَ الرَّسَامَةِ فِي الصُّورَةِ ، وَالْجَمَالِ فِي الْحَيْثَةِ .

وهذه أسبابُ تكادُ أن توجبَ الانقيادَ للهوى ، وتُلجِّجُ في المهالكِ ^(٦)
ولا يسلمُ معها إلا المنقطعُ القرينُ في صحَّةِ الفِطْرَةِ ، وَكَمَالِ الْعَقْلِ .
فاستبَلَّتَهُمُ الشَّهَوَاتُ حَتَّى أَعْطَوْهَا أَزْمَةً أَدْبَانَهُمْ ، وَسَلَّطَوْهَا عَلَى مُرُوءَاتِهِمْ
وَأَبَاحُوهَا أَعْرَاضَهُمْ ، قَالَتْ بِأَكْثَرِهِمُ الْحَالُ إِلَى ذَلِكَ الْعُدْمِ ، وَفَقَدِ عِزُّ
الغنى في العاجلِ ، مَعَ التَّدَامَةِ الطَّوِيَّةِ وَالْحَسْرَةِ فِي الْآجِلِ .

وخرجتْ نَسِيجَ وَخَلِكِ أَوْحَلِيًّا ^(٧) فِي نَفْسِكَ . حَكَمْتُ وَكَيْلَ اللَّهِ
عِنْدَكَ - وَهُوَ عَقْلُكَ - عَلَى هَوَاكَ ، وَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ أَزْمَةً أَمْرِكَ ، فَسَلَّكَ بِكَ
طَرِيقَ السَّلَامَةِ ، وَأَسْلَمَكَ إِلَى الْعَاقِبَةِ الْمَحْمُودَةِ ، وَبَلَغَ بِكَ مِنْ نَيْلِ اللَّذَاتِ
أَكْثَرَ مِمَّا بَلَّغُوا ^(٨) ، وَنَالَ بِكَ مِنَ الشَّهَوَاتِ أَكْثَرَ مِمَّا نَالُوا ، وَصَرَّفَكَ

(١) الجِدَّةُ : النِّفَى الَّذِي لَا تَقْرُبُهُ ، يُقَالُ وَجَدَ بَعْدَ جِدَّةٍ : أَيْسَرَ وَاتَّسَمَتْ حَالُهُ . يَقُولُ
أَبُو النَّعْمَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٤٤٨ :

- عَلِمْتُ يَا بَاجِشَ بْنَ صَعْدَةَ •
- أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ •
- مَفْسَدَةُ الدَّرَةِ أَيْ مَفْسَدَةُ •

وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « الْجِدَّةُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) اللَّذَاتُ : جَمْعُ لَذَّةٍ ، وَهُوَ التَّرَبُّبُ الْمُقَارِبُ فِي الْعُمُرِ وَالْوِلَادَةِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ :
« لِلذَّاتِ » ، تَحْرِيفٌ مِثْلُ الرِّسَالِ .

(٣) ب « فَفَقَنْتَهُمْ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٤) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « الْحَدَّةُ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي الْخَوَاشِي .

(٥) ب : « مَعَ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٦) الْمُرُوفُ لِمَجِّ تَلْجِيبًا : خَاضَ الْهَبَّةَ . وَكَفَكَ لَجِبَتِ الْبَقِيَّةُ : أَيْ خَاضَتِ الْعَبَّةَ . فَهُوَ
نَعْلٌ لَا زِمَ . وَقَدْ اسْتَمْلَهُ الْجَاسِطُ هَذَا مُتَعَدِّيًا . وَفِي الرِّسَالِ : « وَلَجَّ مِنَ الْمَهَالِكِ » .

(٧) الْأَوْحَى : نَسَبَةٌ إِلَى الْأَوْحَدِ ، أَيْ الْوَحِيدِ . الْجَوْهَرِيُّ : « يُقَالُ لَسْتُ فِي هَذَا
فِي هَذَا الْأَمْرِ يَا وَحْدَ ، وَلَا يُقَالُ لِلْأَنثَى وَحْدًا » . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « أَوْحَدًا » بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ ،
صَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ مِنَ الرِّسَالِ .

(٨) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « أَكْثَرَ مَا بَلَّغُوا » ، صَوَابُهُ فِي الرِّسَالِ .

من صُنُوف النعم في أَكْثَر مِمَّا تصرفوا . وَرَبَطَ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي
خَوَّلَكَ مَا أَطْلَقَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِيْشَارُ اللَّهِ ^(١) . وَتَسْلِيْطُهُمْ الْفَوْرَى [عَلَى أَنْفُسِهِمْ] ^(٢)
فَخَاضَ بِكَ تِلْكَ اللَّجْجَ . وَاسْتَنْقَذَكَ مِنْ تِلْكَ الْمَاعِطِ ^(٣) ، فَأَخْرَجَكَ
سَلِيمَ اللَّيْنِ ، وَافِرَ الْمُرُوَّةِ . نَقَى الْبِرْصَ ، كَثِيرَ الشَّرَاءِ ، بَيَّنَّ الْجِلَّةَ ^(٤) .
وَذَلِكَ سَبِيلُ مَنْ كَانَ مَيْلُهُ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى هَوَاهُ .

فَلَمْ أَزَلْ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا تِلْكَ بِفَضِيلَتِكَ عَارِفًا ، وَلَكَ بِنِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَكَ غَابِطًا ، أَرَى ظَوَاهِرَ أَمْرِكَ الْمَحْمُودَةِ تَدْعُونِي إِلَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ ،
وَأَسْأَلُ عَنْ بَوَاطِنِ أَحْوَالِكَ ^(٥) فَيَزِيدُنِي رَغْبَةً فِي الْإِتِّصَالِ بِكَ ، اِزْتِيَادًا مَتْنِي
لِمَوْضِعِ الْخَيْرَةِ ^(٦) فِي الْأُخُوَّةِ ، وَالتَّيَّاسُ لِإِصَابَةِ الْإِصْطِفَاءِ فِي الْمُوَدَّةِ ،
وَتَخِيرًا لِمُسْتَوْدَعِ الرَّجَاءِ فِي النَّاتِيَةِ .

فَلَمَّا مَحَصَّنَتْكَ الْخَيْرَةُ ^(٧) ، وَكشَفَ الْإِبْتِلَاءُ عَنِ الْمَحْمَلَةِ ، وَقَضَتْ
لَكَ التَّجَارِبَ بِالْقَلَمَةِ ، وَشَهِدَتْ لَكَ قُلُوبُ الْعَامَّةِ بِالْقَبُولِ وَالْمَحَبَّةِ ،
وَقَطَعَ اللَّهُ عُلُرَ مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الْإِتِّصَالَ بِكَ : طَلَبْتُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ
وَالْإِتِّصَالَ بِحَبْلِكَ ، وَمَتَّتُ بِحَرْمَةِ الْأَدَبِ ^(٨) وَذِمَامِ كَرَمِكَ ^(٩) .

(١) فِي التَّخْنِيقِ : « مِنْ إِيْشَارِ اللَّهِ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنَ الرِّسَالِ .

(٢) التَّكْلُفَةُ مِنَ الرِّسَالِ .

(٣) الْمَاعِطُ : الْمَهَالِكُ . م : « الْمَاعِطُ » ، صَوَابُهُ مِنَ الرِّسَالِ .

(٤) ب : « كَثِيرَ الْبَرِّ مِنَ الْجِلَّةِ » م : « كَثِيرَ أَكْثَرُ مِنَ الْجِلَّةِ » ، صَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ

مِنَ الرِّسَالِ .

(٥) هَذَا مَا يُقَابَلُ « ظَوَاهِرَ أَمْرِكَ » السَّابِقَةِ . وَفِي التَّخْنِيقِ : « تَوَاطَى أَحْوَالِكَ » ،

تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنَ الرِّسَالِ .

(٦) الْخَيْرَةُ : الْإِنْخِيلُ . وَفِي التَّخْنِيقِ : « لِمَوْضِعِ الْخَيْرَةِ » ، وَإِنَّمَا يَرْتَادُ الْمَوْضِعَ

وَالْمَكَانَ ، فَالْصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنَ الرِّسَالِ .

(٧) مَحَصَّ عَصًا وَمَحَصَّ تَحِيصًا : خَلَصَهُ مَا يَشْرِبُهُ أَوْ يَبِيَهُ . وَمِثْلُهُ مَحَصَّ نَهْرًا

مَحْضًا وَمَحَصَّ : وَفِي الرِّسَالِ : « مَحَصَّنَتْكَ الْخَيْرَةُ » .

(٨) الْمَتَّ : التَّوَسَّلَ بِقَرَابَةٍ أَوْ بِحِمَاةٍ . وَفِي التَّخْنِيقِ : « وَهَتْ » ، صَوَابُهُ فِي الرِّسَالِ .

(٩) الذِّمَامُ : الْحَقُّ وَالْحَرَمَةُ . ب فَقَطْ : « وَذِمَامُ كَرَمِكَ » ، تَحْرِيفٌ .

وكان من نعمة الله عندي أن جعل أبا عبد الله^(١) - حفظه الله - وسيلتي إليك ، فوجدتُ المطلبَ سهلاً ، والمُرادَ محموداً . وأفضيتُ إلى ما يَجُوزُ الأُمْنِيَّةُ^(٢) وَيَقُوتُ الأَمَلُ . فوصلتُ إِنْخَائِي بِمُودَّتِكَ ، وَخَلَطْتُ بِنَفْسِكَ ، وَأَسْتَنْتِي فِي مَرَامِي ذَوِي الْخَاصَّةِ بِكَ^(٣) تَفَضُّلاً لَامِجَازَةً ، وَتَطَوُّلاً لِمُكَافَاةِ ، فَأَمِنْتُ الْخَطُوبَ ، وَاعْتَلَيْتُ عَلَى الزَّمَانِ ، وَاتَّخَذْتُ لِلْأَحْدَاثِ عُدَّةً ، وَمِنْ نَوَائِبِ النَّهْرِ حِصْنًا مَنِيعًا .

فلما جَرَتْ الْمُؤَانَسَةُ^(٤) ، وَتَقَلَّبْتُ مِنْ فَضْلِكَ فِي صَنُوفِ النُّعْمَةِ ، وَزَادَ تَصَرُّفِي فِي مَوَاهِبِكَ^(٥) فِي السُّرُورِ وَالْحَبِيرَةِ^(٦) ، أَرَدْتُ خَيْرَةَ الْمَشَاهِدَةِ فَبَلَوْتُ أَخْلَاقَكَ ، وَامْتَحَنْتُ شَيْئَكَ ، وَعَجَمْتُ مَذَاهِبَكَ ، عَلَى حِينِ غَفْلَتِكَ ، وَفِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَقْلُ فِيهَا تَحْفَظُكَ ، أُرَاعِي حَرَكَاتِكَ^(٧) ، وَأُرَاقِبُ مَخَارِجَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، فَأَرَى [مِنْ^(٨)] اسْتِصْفَارِكَ اعْظِيمَ النُّعْمَةِ الَّتِي تَنْعَمُ بِهَا ، وَاسْتِكْثَارِكَ لِقَابِلِ الشُّكْرِ مِنْ شَاكِرِيكَ ، مَا أَعْرِفُ بِهِ وَبِمَا قَدْ بَلَوْتُ مِنْ غَيْرِكَ^(٩) وَمَا قَدْ شَهِدْتُ لِي بِهِ عَلَيْكَ التَّجَارِبُ^(١٠) ، أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ طَبْعٌ غَيْرُ تَكَلُّفٍ .

هيهاتَ ما يكادُ ذُو التَّكَلُّفِ أَنْ يَخْنِيَ عَلَى أَهْلِ الْقَبَاوَةِ ، فَكَيْفَ

عَلَى مِثْلِي مِنَ الْمُتَصَفِّحِينَ ؟

(١) الظاهر أنه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد .

(٢) في النسخين : « تجوز الأُمْنِيَّة » ، صوابه في الرسائل .

(٣) في النسخين : « بل » ، صوابه في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « حَزَتْ الْمُؤَانَسَةُ » .

(٥) في الرسائل : « وَزَادَ يَصْرِي مِنْ مَوَاهِبِكَ » .

(٦) الحَبِيرَةُ ، يَفْتَحُ الْحَاءُ ، وَيَالْتَحْرِيكُ : السُّرُورُ ، كَالْجَبُورِ . وَفِي النسخين :

« الْحَبِيرَةُ » ، صوابه في الرسائل .

(٧) ب : « جَرَأَتِكَ » م : « حَرَائِكَ » ، صوابهما في الرسائل .

(٨) التَّكَلُّفُ مِنَ الرِّسَالَةِ .

(٩) في النسخين : « أَعْرِفُ بِمَا قَدْ بَلَوْتُ مِنْ غَيْرِكَ » ، فَقَطْ . وَتَكَلُّمَةُ الْبَيَارَةِ مِنَ الرِّسَالَةِ .

(١٠) م : « وَمَا قَدْ شَهِدْتُ لِي بِهِ التَّجَارِبُ عَلَيْكَ » . وَ « عَلَيْكَ » سَاقِطَةٌ مِنَ الرِّسَالَةِ .

٢ - فصل منه

ولم أَزَلْ - أَبْقَاكَ اللهُ - بالموضع الذى عرفتَ من جَمْعِ الكُتُبِ
ودراستها والنَّظَرِ فيها . ومعلومٌ أَنَّ طَوْلَ دراستِها إِنَّمَا هو تَصَفُّحُ عقولِ
العالمين ، والعلمُ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ - صلواتُ اللهِ تعالى عليهم أَجمعين -
وَذَوَى الحِكْمَةِ من الماضينَ والباقيينَ من جميعِ الأُمَمِ ، وكتبِ أَهلِ المللِ .

فَرَأَيْتُ أَنَّ أَجْمَعَ لك كِتَاباً من الأدبِ ، جامعاً لعلمٍ كثيرٍ من أمرِ
المعاد والمعاش ، أَصِفُ لك فيه عِلَلُ الأشياءِ ، وأخبرُكَ بِسَبَابِها ،
وما أَتَّفَقَتْ عليه مُحَاسِنُ الأُمَمِ . وعلمتُ أَنَّ ذلكَ من أعظمِ ما أَبرَكَ
به ^(١) ، وأرجو ما أَتَقَرَّبُ به إِلَيْكَ .

وكان الذى حَدَّثَنِي إلى ذلكَ ^(٢) ما رَأَيْتُ اللهُ تعالى قَسَمَ لك من
العَقْلِ والفهمِ ، ورَكَّبَ فيكَ من الطبعِ الكريمِ .

وقد اجتمعتِ الحِكْماءُ على أَنَّ العَقْلَ المطبوعَ والكرمَ الفريزى ،
لَا يَبْلُغَانِ غَايَةَ الكَمالِ إِلَّا بِمَعَاوَنَةِ العَقْلِ المكتسبِ ^(٣) ، ومثلوا ذلكَ بالنارِ
والمَحْطَبِ ، والمِصْبَاحِ واللُّهُنِ ، وذلكَ أَنَّ العَقْلَ الفريزى آتةٌ والمَكْتَسَبُ
مادَّةٌ ، وإِنَّمَا الأدبُ عَقْلٌ غيرُكَ تَزِيدُهُ في عَقْلِكَ .

ورَأَيْتُ كَثِيراً من واضعى الأدبِ ^(٤) قَبْلِي ، قد عهدوا إلى الغابرينَ
بِعَدَمِهِم في الآدابِ عهدوداً قاربوا فيها الحَقَّ ، وأحسنوا فيها الدَّلالةَ . إِلَّا

(١) ب : « ما أَتَرَكَ به » م : « ما تَرَكَ به » ، والوجه ما أَثَبَت من الرسائل .

(٢) الرسائل : « عل ذلك » .

(٣) في النسختين : « إِلَّا بِمَعَاوَنَةِ العَقْلِ المكتسبِ » ، صوابه في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « الآداب » .

أَنْتَى رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا رَسَمُوا مِنْ ذَلِكَ فُرُوعاً لَمْ يَبِينُوا عِلْلَهَا . . وصفات حسنة لم يَكْشِفُوا أسبابها ، وأموراً محمودة لم يَنْلُوكَ عَلَى أَصُولِهَا .

فَإِنْ كَانَ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ رَوَايَاتٍ رَوَّهَا عَنْ أَسْلَافِهِمْ ، وَوَرِثَاتٍ وَرِثُوهَا عَنْ أَكَابِرِهِمْ فَقَدْ قَامُوا بِإِدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَلَمْ يَبْلُغُوا فَضِيلَةَ مَنْ [طَبَّ لِمَنْ ^(١)] اسْتَطَبَّ ، وَإِنْ كَانُوا تَرَكُوا الدَّلَالََةَ عَلَى عِلَلِ الْأُمُورِ ، الَّتِي ^(٢) بِمَعْرِفَةِ عِلْلِهَا يُوصَلُ إِلَى مِبَاشَرَةِ الْيَقِينِ فِيهَا ، وَيُنْتَهَى إِلَى غَايَةِ الْإِسْتِبْصَارِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَتَعَلَّوْا فِي ذَلِكَ مَنَازِلَةَ الظَّنِّ بِهَا ^(٣) .

وَلَمْ تَجِدْ ^(٤) وَصَايَا أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَبَداً إِلَّا مُبَيَّنَّةَ الْأَسْبَابِ ، مَكْشُوفَةَ الْعِلَلِ ، مَضْرُوبَةً مَعَهَا الْأَمْثَالُ .

٣- فصل منه

وَلَنْ أَدْعَ ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْخَفِيَّةِ مَوْضِعاً إِلَّا أَقَمْتُ لَكَ بِهَا ^(٦) بِلَازِءَ كُلِّ شَبْهَةٍ مِنْهُ دَلِيلاً ، وَمَعَ كُلِّ خَفٍّ مِنَ الْحَقِّ حِجَّةً ظَاهِرَةً ، تَسْتَنْبِطُ بِهَا ^(٧) غَوَامِضَ الْبِرْهَانِ ، وَتَسْتَشِيرُ بِهَا ^(٨) دَقَائِقَ الصُّوَابِ ، وَتَسْتَشْفُّ بِهَا سِرَاطِرَ الْقُلُوبِ ^(٩) ، فَتَنَاقِي بِمَا تَنَاقَى عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَتَدْعُ مَا تَدْعُ

(١) تَكْلَفَ ضَرُورِيَّةً . طَبَّ : وَصَفَ الدَّوَاءَ وَالطَّلَاجَ . وَاسْتَطَبَّ : طَلَبَ ذَلِكَ .

(٢) فِي التَّنْخِيثِ : « وَالَّتِي » ، وَالرَّوَايَةُ مُقْحَمَةٌ .

(٣) فِي التَّنْخِيثِ : « الشَّنْ بِهَا » ، حُجُوبُهَا فِي الرِّسَالَةِ .

(٤) فِي الرِّسَالَةِ : « وَلَنْ يَجْعَلُوا » .

(٥) الرِّسَالَةُ : « فَلَمْ أَدْعُ » .

(٦) بِهَا ، مِنْ م . وَلَيْسَتْ فِي ب وَلَا الرِّسَالَةُ .

(٧) فِي التَّنْخِيثِ : « وَيَسْتَنْبِطُ بِهَا » ، وَالصُّوَابُ مَا أَثْبِتَ . وَقَدْ اسْتَمَرَّتِ الْبَيَانَةُ فِي التَّنْخِيثِ

إِلَى آخِرِ هَذَا الْقِسْمِ بِالْتَّخْيِيرِ بِالْأَنِيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَطْلٌ كَانَتْ الرِّسَالَةُ .

(٨) ب : « وَيَسْتَشِيرُ بِهَا » ، م : « وَيَسْتَشِيرُ بِهَا » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبِتَ . وَفِي الرِّسَالَةِ :

« وَتَسْتَشِيرُ بِهَا دَقَائِقَ الصُّوَابِ » .

(٩) فِي التَّنْخِيثِ : « وَيَسْتَشْفُّ بِهَا سِرَاطِرَ الْقُلُوبِ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبِتَ .

عن خِبرَةٍ . ولا يكون بك وحشةٌ إلى معرفة^(١) كثيرٍ ما يغيب عنك
إذا عرفتَ الملل والأسباب ، حتى كأنَّكَ مشاهدٌ لِضَمِيرِ كُلِّ امرئٍ
لمعرفتك بِطَبْعِهِ وَمَارُكَبٍ عَلَيْهِ .

٤ - فصل منه^(٢)

اعلم أنَّكَ إذا أهملتَ ما وصفتُ لك عرضتَ تنبِيرَكَ إلى الاختلاط ،
وإنْ آثَرْتَ الهَوَيْنَى ، وتكَلَّمتَ على الكُفَايَةِ فى الأمر الذى لا يجوز فيه
إِلَّا نَظْرُكَ ، وَزَجَّيْتَ^(٣) أَمْرَكَ على رأى مدخول ، وأصلٍ غيرِ محكم ،
رجعَ ذلك عليك بما لو حُكِّمَ فيه علوك^(٤) كان ذلك غايةَ أَمْنِيَّتِهِ
وشفاء غيظه .

واعلم أنَّ إجرائكَ الأمورَ مَجَارِيَهَا ، واستعمالَكَ الأشياءِ على وُجُوهِهَا ،
يجمعُ لك ألفَةَ القُلُوبِ ، فَيُعَامِلُكَ^(٥) كُلٌّ من عاملك بِمُودَةٍ ، وأخذٍ
وإعطاء^(٦) ، وهو على ثقةٍ من بَصْرِكَ^(٧) بمَوَاضِعِ الإِنْصَافِ^(٨) ، وَعِلْمِكَ
بِمَوَارِدِ الأمورِ .

(١) التَّكْلِمَةُ مِنَ الرِّسَالِ .

(٢) انظر الرسائل ١ : ١٠٥ .

(٣) التَّزْجِيَةُ : السُّوقُ وَالنَّفْعُ . فى التَّنْجِيْنِ : « وَرَجِيْتُ » بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، صَوَابِهِ
مِنَ الرِّسَالِ .

(٤) الرِّسَالِ : « قِيلَ عِلُّوكَ » .

(٥) فى التَّنْجِيْنِ : « وَيُعَامِلُكَ » ، وَالْوَجْهُ مَا فى الرِّسَالِ .

(٦) فى الرِّسَالِ : « أَوْ أَخَذَ أَوْ إِعْطَاهُ » .

(٧) فى التَّنْجِيْنِ : « مِنْ نَصْرِكَ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) مَا يَبْدُو إِلَى نَهَايَةِ هَذَا الْفَصْلِ مُنْطَبِسٌ إِلَى التَّيْبُورِيَّةِ .

٥ - فصل منه^(١)

فإن ابتليتَ قى بعض الأوقات بمن يتقرب بحرمته^(٢)، وبعث
بدالة، يطلب المكافأة^(٣) بأكثر مما يستوجب، فدعاك الكرم والحياة إلى
تفضيله على^(٤) من هو أحق به، إما خوفاً من لسانه، أو مداراةً لغيره،
فلا تدع الاعتذار إلى من هو فوقه من أهل البلاء والنصيحة^(٥)
وإظهار ما أردت من ذلك لهم^(٦)، فإن أهل خاصتك والمؤمنين على
أسرارك، هم شركائك في العيش، فلا تستهين^(٧) بشيء من أمورهم،
فإن الرجل قد يترك الشيء من ذلك اتكالاً على حسن رأي أخيه، فلا
يزال ذلك^(٨) يجرح في القلب وينمو، حتى يولد ضغناً ويحول عداوة.
فتحفظ من هذا الباب، واحمل إخوانك عليه بجهدك.

وستجد من يتصل بك بمن يقبله إفراط الجرم^(٩)، وحمياً الشره،
ولين جانبك له، على أن يتقيم العاقبة، ويطلب اللحوق بمنازل من
ليس مثله^(١٠)، ولا له مثل دأبه، فتلقاه لا تصنع به مستقيلاً. ولعروفك
مستصغراً.

وصلاح من كانت هذه حاله بخلاف ما فسد عليه أمره.

(١) الرسائل ١ : ١٠٨ .

(٢) الرسائل : ٥ بمن يضرب بحمة .

(٣) ب فقط : المكافآت .

(٤) ب فقط : إلى ، تحريف .

(٥) م : البلاء والنصيحة ، تحريف .

(٦) ق النصين : من ذلك لم ، صوابه في الرسائل .

(٧) ق النصين : لا تستهين ، وإثبات إلقاء من الرسائل .

(٨) ق النصين : كذلك .

(٩) ق النصين : الحزم ، صوابه في الرسائل .

(١٠) ق الرسائل : من ليس هو مثله .

فأعرف طرائفهم وشيمهم ، ودلوكل من لا بد لك من معاشرته ،
بالدواء^(١) الذي هو أنجع فيه ، إن لنا قليلاً ، وإن شدة فئدة ، فقد
قيل في مثل :

مَنْ لَا يُؤَدِّبُهُ الْجَمْبُ — لُ فَيُفْقِرَ عَقَبَتُهُ صَلَاحَهُ^(٢)

٦ - فصل منه^(٣)

واعلم أن المقادير ربما جرت بخلاف ما تُقدَّر الحكاء^(٤) ، فينال
بها الجاهل في نفسه ، المخلط في تدبيره ، ما لا ينال الحازم الأريب
الحلير ، فلا يدعوتك^(٥) ما ترى من ذلك إلى التضييع والأتكال على
مثل تلك الحال ؛ فإن الحكاء قد اجتمعت على [أن]^(٦) مَنْ أَخَذَ بِالْحَزْمِ
وَقَدَّمَ الْحَزْمَ ، فَجَاءَتْهُ الْمَقَادِيرُ خِلَافَ مَا قَدَّرَ^(٧) ؛ كان عندهم أحمد
رأياً ، وأوجب عذراً مَنْ عَمِلَ بِالتَّغْرِيطِ ، وإن اتفقت له الأمور على
ما أراد .

ولا تكونن بشيء مما في يدك أشدَّ ضيقاً ، ولا عليه أشدَّ حثباً منك
بالآخر الذي قد بلوته بالسراء والضراء^(٨) فعرفت مذايقه ، وخبرت
شيمه ، وصنع لك غيبه ، وسلمت لك ناحيته ، فإنه شقيق رُوحك ،
وباب الروح إلى حياتك ، ومُسْتَمْدُ رأيك وتوأم عقلك .

(١) في التسخين : « فالدواء » ، صوابه من الرسائل .

(٢) ورد البيت حجة الثر في التسخين . وقد نسب إلى هارون الرشيد في العقد ٦٠ :
أو لعله تمثل به . ورواية العقد : « من لم يؤدبه » .

(٣) الرسائل ١ : ١٢١ .

(٤) ب : « ما يقدر الحكاء » .

(٥) في التسخين : « لا يدعوتك » ، وأثبت ما في الرسائل .

(٦) التكلفة من الرسائل .

(٧) في الرسائل : « بخلاف ما قدر » .

(٨) الرسائل : « في السراء والضراء » .

ولست منتفعاً بعيشي مع الوحلة ، ولا بد من المؤانسة .

وكثرة الاستبدال يهجمُ بصاحبه على المكروه .

فإن صفا لك أخ فكن به أشدَّ رُصناً منك بنفائس أموالك ، ثم لا يُزهدنك فيه أن ترى خلقاً أو خطقين تكرههما ، فإن نفسك التي هي أخصُّ النفوس بك لاتعطيك المقادة في كل ما تريد ^(١) ، فكيف بنفس غيرك .

وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره . وقد قالت الحكماء :

« من لك بأخيك كله ^(٢) . » و : « أي الرجال المهذب ^(٣) . »

٧ - فصل منه ^(٤)

واعلم أنك موسومٌ بيسماً من قارنت ، ومتسوبٌ إليك أفاعيل من صاحبت . فتحرز من دُخلاء سوء ، وأظهر مجانية أهل الريب ^(٥) ، وقد جرت لك في ذلك الأمثال ، وسطرت فيه الأقاويل ^(٦) ، فقالوا : المرء حيث يجعل نفسه ^(٧) .

(١) في النسختين : « التي لا تطيك » وكلمة « التي » مقحمة . وفي ب و القارة في كلما تريد م : « القادة في كل ما تريد » ، صوابهما ما أثبت من الرسائل . والمقادة : الاتقياد والمطاوعة .

(٢) في النسختين : « وكيف » .

(٣) قاله أكرم بن صفي ، كما في للمصريين للسجستاني ١٢ . وورد في جمهرة السكري

١ : ٣١٠ / ٢ : ٢٨٣ بدون نسبة . ونظمه أبو تمام فقال :

ما شين المنيون مثل عقله من لك يوماً بأخيك كله

(٤) من قول النابغة الذبياني في ديوانه ١٤ :

ولست بمحقق أصلاً لائله عل شعث أي الرجال المهذب

(٥) رسائل الجاحظ ١ : ١٢٦ .

(٦) الرسائل : « ومجالاة أهل الريب » .

(٧) الرسائل : « وسطرت لك فيه الأقاويل » .

(٨) منه قول مقترن فروة في البيان ٢ : ١٠٣ و ٣ : ٢٢٨ :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه في صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقالوا : « يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بقريته » .

وقالوا : « المرء بشكله » ، و « المرء بأليفه » .

ولن تقلِّدَ أن تتحرَّزَ من الناس ^(١) ، ولكن أقلِّدْ المؤمنةَ إلا بأهل
البراعةِ من كلِّ دَنَسٍ .

واعلمَ أنَّ المرءَ بقَلْبِهِ ما يَسْبِقُ إليه يُعرَفُ . وبالمستفيض من أفعاله
يُوصَفُ . فإنَّ كان بين ذلك كثيرٌ من أخلاقه ^(٢) أغناه النَّاسُ ، وحكوا
عليه بالغالبِ من أمره .

فاجتهد أن يَكُونَ ^(٣) أغلبُ الأشياءِ على أفعالِكَ كلُّ ما يَحْمَدُهُ العوامُ
ولا تُلِّمهُ الجماعات ، فإنَّ ذلك يُغْنِي على [كلِّ] ^(٤) خطيئٍ إن كان .

فبادِرْ أَسَنَةَ النَّاسِ واشْتَغِلْهَا ^(٥) بحسينِكَ ، فإنَّهم إلى كلِّ سيِّئٍ ^(٦)
سِرَاعٌ ، واستظهِرْ على مَنْ دونَكَ بالتفَضُّلِ ، وعلى نظرائِكَ بالإنصافِ ،
وعلى كلِّ مَنْ فوقَكَ بالإجلالِ ، تَأَخَّذْ بوثائقِ الأمورِ وبأزمَةِ التَّلبيرِ .

(١) ب : « تتحرَّز من الناس » . الرسائل : « ولن تقدر على التحرز من جماعة الناس » .

(٢) الرسائل : « من أفعاله » .

(٣) في النسختين : « أن تكون » .

(٤) التكملة من الرسائل .

(٥) الرسائل : « فاشغلها » .

(٦) الرسائل : « إلى كل شيء » ، وصحبها هناك بما أثبت هنا . وفي النسختين : « إلى

كل شر » .

من رسالة في
الحمد والثناء

١ - فصل

من صلو رسالته إلى محمد بن عبد الملك
في الجد والمزول^(١)

جُعِلَتْ فداك ، ليس من اختياري^(٢) ، النُّخْلَ على الزُّرْعِ^(٣) .
أَقْصَيْتَنِي ، ولا على مَيْلِي إلى الصَّدَقَةِ دُونَ إعْطَاءِ الْخَرَّاجِ عَاقِبَتِي ،
ولا لُبْخُضِ دَفْعِ الْإِثْنَاوَةِ وَالرِّضَا بِالْجِزْيَةِ حَرَمَتَنِي . ولست أدري لم كَرِهْتَ
قُرْبِي ، وَهَوَيْتَ بُعْدِي . واستغفلتَ رَوْحِي وَنَفْسِي . واستطلتَ عُمرِي
وَأَيَّامَ مُقَامِي ؟ وَلَمْ سَرْتُكَ سَيِّئَتِي وَمَصِيبَتِي . وسألتك حَسَنَتِي وسلامتي ؟
نعم . حتَّى سَأَلْتُكَ عَزَائِي وَتَجَمُّلِي ، بِقَلْرِ مَا سَرَّكَ جَزَعِي وَتَضَجُّرِي ، وَحَتَّى
تَمَنَّيْتُ أَنْ أَخْطِيْكَ عَلَيْكَ ، فَتَجْعَلَ خَطَايَا^(٤) حِجَّةً لَكَ فِي إِبْعَادِي^(٥) ،
وَكَرِهْتَ صَوَابِي فِيكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَجْعَلَ ذَرِيعَةً إِلَى تَقْرِيبِي^(٦) .

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَغْضَبَكَ . وَكَانَ هُوَ السَّبَبُ لِمَوْجِلَّتِكَ ،
فليس - أَبْهَاكَ اللَّهُ - هَذَا الْحَقْدُ فِي طَبَقَةِ هَذَا الذَّنْبِ . ولا هَذِهِ الْمُطَالَبَةُ
مِنْ شَكْلِ هَذِهِ الْجَرِيعَةِ .

(١) هذه الرسالة ماسقط أيضاً نسخة ط . وسبق نشرها كاملة في ١ : ٢٢٧ - ٢٧٨ .

(٢) في الرسائل : « ليس من أجيل اختياري » .

(٣) ألف الماحظ كتاب (الزرع والنخل) لإبراهيم بن العباس الصول المتوفى سنة ٢٤٢
فتنه خمسة آلاف دينار ، كما ألف كتاب (الحيوان) محمد بن عبد الملك الزيات فتنه مثلها .
وكتاب (البيان والبيان) لقاضي أحد بن أبي دواد فتنه كذلك . معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ .
وجه في الحيوان ١ : ٤ نظير هذا النص موجهاً إلى محمد بن عبد الملك الزيات : « وعين
بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب » .

(٤) الخطاء ، كمحباب : الخطأ ، ضد الصواب . وانظر الرسائل ١ : ٣٥٣ . كما استعمل
الماحظ الكلمة بهذه الصيغة في الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٣٠٠ . وفي التستين : « تصجل ،
صوابه في الرسائل » .

(٥) م فقط : « ليمادي » .

(٦) هذا ما في الرسائل . وفي التستين : « تقرّب » ، تحريف .

٢ - فصل منها^(١)

فَأَيُّ شَيْءٍ أَبْقَيْتَ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاشِفَ . وَلِلْمَوَافِقِ الْمَلَاطِفَ^(٢) ،
وَلِلْمُعْتَمِدِ الْمُصِيرَ ، وَلِلْقَادِرِ الْمُدْلَى ؟

وَمَنْ عَاقَبَ عَلَى الصَّغِيرِ بِعُقُوبَةِ الْكَبِيرِ ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ بِعُقُوبَةِ
الْإِصْرَارِ ، وَعَلَى الْخَطَا بِعُقُوبَةِ الْعَمْدِ . وَعَلَى مَعْصِيَةِ الْمُتَسَرِّ بِعُقُوبَةِ
الْمُعْتَلِّ . وَمَنْ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَعَالَى وَالْأَسَافِلِ ، وَبَيْنَ الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى .
عَاقَبَ عَلَى الزُّنَى بِعُقُوبَةِ السَّرْقَةِ . وَعَلَى الْقَتْلِ بِعُقُوبَةِ الْقَذْفِ . وَمَنْ خَرَجَ
إِلَى ذَاكَ فِي بَابِ الْعِقَابِ ، خَرَجَ إِلَى مِثْلِهِ فِي بَابِ الثَّوَابِ .
وَمَنْ خَرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْزَانِ . وَخَالَفَ جَمِيعَ التَّعْلِيلِ كَانَ بَغَايَةً^(٣)
الْعِقَابِ أَحَقُّ ، وَبِهِ أَوْلَى .

وَالدَّلِيلُ عَلَى شِدَّةِ غَيْظِكَ وَغَلِيَانِ صَدْرِكَ ، قُوَّةُ حَرَكَتِكَ ، وَإِبْطَاءُ
فِتْرَتِكَ ، وَبُعْدُ الْغَايَةِ فِي احْتِيَالِكَ .

وَمِنْ الْبُرْهَانِ عَلَى بَيَانِ الْغَضَبِ وَعَلَى عِظَمِ الذَّنْبِ ، تَمَكُّنُ الْحَقْدِ
وَرُسُوحُ الْغَيْظِ ، وَبُعْدُ الْوَثْبَةِ وَشِدَّةُ الصُّوْلَةِ . وَهَذَا الْبُرْهَانُ صَحِيحٌ مَا صَحَّ
النَّظْمُ ، وَقَامَ التَّحْلِيلُ ، وَاسْتَوَتْ الْأَسْبَابُ .

وَلَا أَعْلَمُ نَارًا أَبْلَغَ فِي إِخْرَاقِ أَهْلِهَا مِنْ نَارِ الْغَيْظِ ، وَلَا حَرَكَةً
أَنْقَضَ لِقَوَى الْأَبْدَانِ مِنْ طَلَبِ الطَّوَائِلِ^(٤) ، مَعَ قَلَّةِ الْهَلْوَةِ . وَالْجَهْلِ
بِمَنَافِعِ الْجَمَامِ^(٥) ، وَإِعْطَاءِ الْحَالَاتِ أَقْسَامَهَا مِنَ التَّدْبِيرِ .

(١) ب : « منها » فقط ، بإسقاط كلمة « فصل » .

(٢) في الرسائل : « والمناطق الملائمات » .

(٣) ب : « في غاية » .

(٤) الطوائف : جمع طائفة ، وهي « وتر وفحل » ، يقال طلب بين فلان بطائفة . أي بوثر

كان له فهم . م : « من طلب التمهيل » ، صوابه في ب والرسائل .

(٥) الجمام ، كسماب : الراحة . وفي التنسين : « الجمام » تمسحيف .

ولا أعلم تجارةً أكثر خُسْراناً ولا أخفَّ ميزاناً . من عداوة العاقل العالم . وإطلاق لسان الجليس والمُدْخِلِي . والشُّعَارِ دُونَ الدُّنَارِ ^(١) ،
والخاصُّ دُونَ العامِّ .

والطالبُ - أَيْقَاكَ اللهُ ^(٢) - يَعْزِضُ ظَنِرَ مَالِهِ يَخْرِجُ الْمَطْلُوبُ ، وإليه
الخيار ^(٣) ما لَمْ تَقَعِ الْمُنَازَلَةُ .

ومن الْحَزْمِ أَلَّا تَخْرُجَ [إِلَى ^(٤)] الْعَنُو إِلَّا وَمَعَكَ مِنَ الْقُرَى مَا يَغْتُمُّ
الْفَضْلَةَ الَّتِي يَتِيحُهَا لَهُ ^(٥) الْإِخْرَاجُ ، وَلَا بَدَّ - أَيْضاً - مِنْ حَزْمٍ
يَحْتَرِكُ مَصَارِعَ الْبَغْيِ ، وَيَخَوْفُكَ نَاصِرَ الْمَطْلُوبِ ^(٦) .

٣ - فصل منها

والله لقد كنتُ أكره لك سَرَفَ الرُّضَا ، مخافة جواذبه إلى سَرَفِ
الموى ، فما ظَنُّكَ بِسَرَفِ النَّصَبِ . وَيَقْلِبُ اللَّيْظُ ، وَلَا سِيَّما مِمَّنْ تَعُودُ
[إِيْمَانُ ^(٧)] النَّفْسِ وَلَمْ يَعُودْهَا ^(٨) الصَّبْرُ . وَلَمْ يَعْرِفْهَا مَوْضِعَ الْحِظِّ فِي
تَجَرُّعِ مَرَارَةِ الْعَفْوِ ^(٩) . وَإِنَّمَا الْمَرَادُ ^(١٠) مِنَ الْأُمُورِ عَوَاقِبُهَا لَا عَوَاجِلُهَا .

(١) ب : « الدنار » ، تحريف . والشعار : حاول شرَّجيد الإنسان ، دون ماسواه
من الثياب . والدنار : ما كان من الثياب فوق الشعار . وفي المثل : « هم الدنار دون الدنار »
وصف بالمودة والقرب . وفي حديث الأنصار : « أنتم الدنار والناس الدنار » .

(٢) في الرسائل : « جعلت فداك » .

(٣) في القسطنطين : « إليه الخيار » بإسقاط الواو الثابتة في الرسائل .

(٤) التكملة من الرسائل .

(٥) الرسائل : « يتيحها له » .

(٦) أي من تطلبه من الأعداء .

(٧) التكملة من الرسائل .

(٨) ب : « ولا يعودها » م : « ولا يعودها » ، ووجهه من الرسائل .

(٩) في القسطنطين : « مرارته » فقط ، صوابه في الرسائل .

(١٠) الرسائل : « وأن المراد » .

وقد كنتُ أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ إِفْرَاطِ السُّرُورِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِإِفْرَاطِ
النِّغْظِ . وقد قال الناس : « لَا خَيْرَ فِي طَوْلِ الرَّاحَةِ إِذَا كَانَ يُوْرِثُ الْعُقْلَةَ ،
وَلَا فِي طَوْلِ الْكُفَايَةِ ^(١) إِذَا كَانَ يُؤَدِّي إِلَى الْمَعْجَزَةِ . وَلَا فِي كَثْرَةِ الْيَنَى
إِذَا كَانَ يُخْرِجُ إِلَى الْبِلْدَةِ ^(٢) .

جُعِلَتْ فِدَاكَ - إِنَّ دَاءَ الْحُزْنِ ، وَإِنْ كَانَ قَاتِلًا ، فَإِنَّهُ دَاءٌ بِمِثْلِ ^(٣) ،
وَشَقْمُهُ سَقَمٌ مُطَاوِلٌ ، وَمَعَهُ مِنَ التَّهْمَلِ ^(٤) بِقَدْرِ قِسْطِهِ . مِنْ أُنَاةِ الْمِرَّةِ
السُّودَاءِ ، وَدَاءِ الْغَيْظِ سَقِيَّةٌ طِيَّاشٌ ، وَعَجُولُ فَحَّاشٌ ، يُعْجِلُ عَنْ
التَّوْبَةِ ، وَيَقْطَعُ دُونَ الْوَصِيَّةِ .

٤ - فصيل منها ^(٥)

وَرُبْتُ ^(٦) كَلِمَةً لَا تَوْضِيعَ إِلَّا عَلَى مَعْنَاهَا الَّتِي جُعِلَتْ حَظُّهُ وَصَارَتْ هِيَ
حَقُّهُ ، وَالذَّلَالَةُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ ، كَالْعَزْمِ وَالْعِلْمِ ، وَالْحِلْمِ وَالرَّفْقِ ^(٧) ، وَالْأَنَاةِ
وَالْمُدَارَاةِ ، وَالْقَصْدِ وَالْعَمَلِ ، وَكَالِإِتِّهَازِ وَالِإِهْتِبَالِ ^(٨) ، وَكَالْيَأْسِ
وَالْأَمَلِ ^(٩) ، وَكَالْخُرْقِ وَالْمَعْجَلَةِ ^(١٠) ، وَالْمُدَاهَنَةِ وَالتَّسَرُّعِ ، وَالْعُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ .

(١) الرسائل : « وَلَا فِي الْكُفَايَةِ » .

(٢) البلدة ، بفتح الباء وضمة : البلدة ، ضد التفاد والذكاء والمضاد في الأمور .

(٣) ب : « دَاءٌ طَلٌّ » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « التَّهْمَلُ » ، وإِنَّمَا المراد التَّهْمَلُ ، أَيْ الْبَلَاءُ ، كَأَنَّهُ الرِّسَالُ .

(٥) رسائل الجاحظ ١ : ٢٤٣ .

(٦) في النسختين : « دَرَبْتُ » ، صَوَابُهُ فِي الرِّسَالِ .

(٧) ب : « كَالْعَزْمِ وَالْحِلْمِ ، وَالْعِلْمِ وَالرَّفْقِ » ، تحريف ما فِي مِثْلِ الرِّسَالِ .

(٨) في النسختين : « وَالِإِهْتِبَالِ » صَوَابُهُ فِي الرِّسَالِ ، وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « وَكَالِإِتِّهَازِ » .

مِنَ الرِّسَالِ حِينَ الطَّبْعِ ، فَتَثَبَّتْ هُنَاكَ .

(٩) في النسختين : « وَالْأَمْنِ » ، تحريف .

(١٠) الخرق بالضم : ضد الرفق ، وَالْإِيْحَنُ الرَّجُلُ الْعَمَلُ وَالتَّصَرُّفُ فِي الْأُمُورِ . ب :

« وَكَالْعُلُوِّ » تحريف .

وَرُبُّ^(٩) كلمة تدور مع واصلتها^(١٠) . وَتَنْقَلِبُ مع جَارَتِهَا ، وإِزاء صاحبَتِهَا^(١١) ، وعلى قَدَرِ مَا تُقَابِلُ من الحالات وتُلاقى من الأسباب^(١٢) ، كالْحَبِّ والبغض ، والغَضَبِ والرضا ، والعَزْمِ والإرادة ، والإقبال والإدبار ، والجدِّ والفتور . لأنَّ كُلَّ هذا البابِ الأخيرِ يكون في الخير والشر ، ويكون محموداً ويكون مذموماً .

وصاحبُ العَجَلَةِ - أبقاك الله^(١٣) - صاحبُ لتغريبٍ ومُخاطرةٍ^(١٤) ، إنَّ ظَفِيرَ لم يَحْمِلْهُ عاقل^(١٥) ، وإن لم يظفر قطْعَتُهُ المَلَامُوم . والرَّيْثُ أخو المَعْبِزَةِ ، ومَقْرُونٌ بالحِصَةِ ، وعلى مَلَوَاجَةِ اللامَةِ .

وصاحبُ الأَنَاءَةِ ، إن ظفر نَفَعَ^(١٦) خَيْرُهُ بِالْغَنَمِ ، وَنَفَعَ نَفْسَهُ بِشَمْرَةِ العلم ، وطاب ذِكْرُهُ ودام شُكْرُهُ ، وَحُفِظَ فِيهِ وَلَهُ . وإن حُرِمَ فَمَبْسُوطٌ عَنْزُهُ ومَصُوبٌ رَأْيُهُ^(١٧) مع انتفاعه بِعِلْمِهِ ، وما يَجِدُ من عِزٍّ حَزَمَهُ ، ونُبِيلٌ صَوَابِهِ^(١٨) .

(١) الرسائل : « ودبت » .

(٢) الرسائل : « مع غلظها » .

(٣) في النسختين : « وإرادة صاحبها » ، صوابه من الرسائل .

(٤) في النسختين : « ما يقابل » و « يلاق » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الرسائل : أجزاك الله .

(٦) م : « صاحب التغيرير ومُخاطرة » ، صوابه في ب . وفي الرسائل : « تغريب ومُخاطرة » .

(٧) الرسائل : « لم يحمد عالم » .

(٨) في النسختين : « يقع » في هذا الموضع وتاليه ، صوابها في الرسائل .

(٩) في النسختين : « ومصور رأيه » تحريف ما في الرسائل .

(١٠) ب : « من عز حزمه ونيل صوابه » ، صوابه في م والرسائل .

٥ - فصل منها (١)

ومن كانت طبيعته مأمونةً عليه عند نفسه ، وكان دواه رائدةً
الذى لا يَكْنِبُهُ ، والتأمرُ عليه دون عقله (٢) . ولم يتوكل لما لا يهواه على
ما يهوى ، ولم ينصر (٣) تالد الإخوان على الطارف ، ولم يُنصِف المملول
المُبْعَد (٤) من المُستطرف المُقَرَّب (٥) . ولم يَخَف أن تجتنبه العادة (٦)
وتنحكم عليه الطبيعة - فليرسم حُجَجُهما ويصور صُورهما في كتاب
مقروء (٧) أو لفظ مسموع ، ثم يعرضهما على جهابذة المَعَانِي وأطباء أدواء
العقول . على أن لا يختار إلا من لا يدري أى النوعين يتقى ، وأيهما
يُحَاي ، وأيهما دأؤه (٨) ، وأيهما دواؤه . فإن لم يستعمل ذلك لم يزل
متورطاً في الخطأ (٩) مُغموراً باللُخب .

سمعتك وأنت تُريدنى وكأنك تُريد غيرى ، أو كأنك تُشير على
من غير أن تُنصنى ، وتقول : إني لأعجبُ ممن ترك دفاتر علميه
متفرقة ، وكراريس كُتُوبه غير مجموعة ولا منظومة ، كيف يعرضها

(١) الرسائل ١ : ٢٤٥ . والكلام مسبق هناك يقول الجاحظ : « وقال أيضاً » ينس
الضعفان الذى كان يخاطب أسد بن عبد الله القسرى .

(٢) في النسختين : « حقه » ، صوابه في الرسائل .

(٣) في النسختين : « ولم يصبر » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « المملوك » ، صوابه في الرسائل . وفي ب : « على المجد » . و « على »
مقحمة .

(٥) ب : « من المستطرف » صوابه في م والرسائل . وفي النسختين : « والمقرب »
بزيادة واو .

(٦) ب فقط : « تجتنبه العادة » .

(٧) ب : « مقرر » تحريف ، صوابه في م . وفي الرسائل : « مفرد » .

(٨) في النسختين : « يدأوه » ، صوابه في الرسائل وإن كان النص فيها : « وأيهما
دواؤه وأيهما دأؤه » .

(٩) في النسختين : « الخطأ » ، والوجه ما أثبت . وانظر سابق في حواشي ١٢

للتخرم^(١) ، وكيف لا يَمنعها من التخرق^(٢) ؟ ١٩ .

وعلى أَنَّ الدَفتر إذا انقطعت جِزَامته^(٣) وانحلَّ شَداده^(٤) ، وتخرمت رُبَطه^(٥) ، ولم تكن دُونه وِقاية ، ولا دُونه جُنَّة ، تفرق ورقه ، واشتدَّ جمعه^(٦) ، وعُسر نَظْمه ، وامتنع تَأليفه ، وضاع أكثره^(٧) .

والدَفَتانِ أجمع ، وضُمَّ الجلود لها أَصُونُ والحَزَمُ لها أَصلح .
وينبغي للأشكال أَنْ تُنظَّم^(٨) ، والأشياء أَنْ تُؤَلَّفَ^(٩) ؛ فَإِنَّ التَأليفَ يَزِيدُ الأجزاء الحسنة حُسْنًا ، والاجتماعَ يحدث للمساوى^(١٠) في الضعف قوَّة .

٦ - أصل منها^(١١)

أنت - أبغاك الله - شاعرٌ وأنا راوية ، وأنت طويلٌ وأنا قصير ،
وأنت أصلع وأنا أنزع^(١٢) ، وأنت صاحبُ بَرَادِينِ وأنا صاحبُ حَبِيرٍ ،

(١) في الرسائل ١ : ٢٤٦ : «التجرم» من قولهم تجرم الليل ، إذا ذهب . وفي ب : «التخرم» ، تحريف .

(٢) في الرسائل : «من التفرق» .

(٣) الجزامة والمزام : اسم لما شدي به . ب : «غرلته» صوابه في م والرسائل .

(٤) في التسخين : «سفاده» ، صوابه في الرسائل .

(٥) هذا ما في الرسائل . وفي التسخين : «وكرمت ربطه» .

(٦) في الرسائل : «وإذا تفرق ورقه اشتد جمعه» .

(٧) الرسائل : «وربما ضاع أكثره» .

(٨) ب : «وينبغي الأشكال أن ينظم» م : «وينبغي أن ينظم» ، صوابهما في الرسائل .

(٩) أن ، ساقطة من ب . وفي الرسائل : «والأشياء» .

(١٠) ب : «لحدث المتساوي» م : «لحديث المتساوي» ، صوابهما من الرسائل .

(١١) الرسائل ١ : ٢٦٥ .

(١٢) النزاع ، بالتحريك : انخسر مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة . وأصلع :

ذهاب الشعر من مقدم الرأس إلى مؤخره ، وكذلك إن ذهب وسطه . وأوضح ضمها للزعة والعلمة بالتحريك فيها ، وبالفهم أيضاً في الصلح .

وأنت ركينٌ وأنا عَجُولٌ . وأنت تدبِّرُ نَفْسَكَ^(١) وتقيمُ أَوَدَ غيرك ،
وتتسعُ لجميع الرعيَّةِ ، وتبلغُ بتدبيرك^(٢) أقصى الأُمَّةِ . وأنا أعجزُ عن
تدبيرى^(٣) وعن تدبير أمتي وعبدى . وأنت منعمٌ وأنا شاكر^(٤) ، وأنت
مَلِكٌ وأنا سوقة . وأنت مُصْطَنِعٌ وأنا صنيعة^(٥) ، وأنت تفعلُ وأنا
أصيف . وأنت متقدمٌ^(٦) وأنا تابع ، وأنت إذا نازعتَ الرُّجَالَ وناهضتَ
الأنفُخاءَ لم تنقل بعد فراغك وانقطاع كلامك : لو كنتُ قلتُ كذا لكان
أجودُ ، ولو تركتُ قولَ كذا كان أحسن . وأمضيتُ الأمورَ على حقائقها ،
وسلّمتُ إليها أقساطها ، على مقادير حقوقها ، فلم تندم بعد قول ، ولم
تأسف بعد سكوت . وأنا إن تكلمتُ ندمت ، وإن جازيتُ أبدعتُ^(٧) .

٧ - فصل منها^(٨)

وقد منحك [جَلَدٌ^(٩)] شَبَابِي كَمَلًا ، وَغَرَبَ نَشَاطِي مُقْتَبِلًا ،
فكان لك مَهَنَاتُ ، وثمرَةُ قَوَاهِ ، واحتملتُ دونك غُرَامَهُ وَغَرَبَهُ^(١٠) ، فكان
لك غُنْمُهُ وَعَلَى غُرْمِهِ .

(١) في الرسائل : « لنفسك » .

(٢) في التسخين : « ويبلغ تدبيرك » صوابه في الرسائل .

(٣) في الرسائل : « عن نفسي » .

(٤) ب فقط : « شاعر » ، تحريف .

(٥) في التسخين : « صنيعة » بالهاء ، وأنت ما في الرسائل .

(٦) في الرسائل : « وأنت مقدم » .

(٧) القبارة : مفاعلة من الجرى في المثنى وغيره . وفي التسخين : « جازيت » صوابه

في الرسائل . وأبدع الرجل ، بالبناء المجهول والمعلوم أيضاً : كلت راحته أو عطيت . وفي

التسخين : « بدعت » : صوابها في الرسائل .

(٨) الرسائل ١ : ٢٧٤ .

(٩) الكلمة من رسائل .

(١٠) الغرام ، بالقم : الشقة . والغرب : الحقة . في التسخين : « غرامه » . تحريف ما في

الرسائل . وفي ب فقط : « وعزبه » ، تحريف .

وأعطيتك عند إديبار بدني قوة رأيي، وعند تكامل معرفتي نتيجة تجربي ، واحملتُ دونك وهنَّ الكبير وإسقامَ الهرم .

وخيرُ شركائك مَنْ أعطاك^(١) ما صفا وأخذَ لنفسه ما كثر . وأفضلُ خُطائِكَ من كُفَّاكَ مؤونته وأحضرَكَ معُونته ، وكان كلاله عليه ونشاطه لك .

وأكرم دُخلائِكَ وأشكر مواليك^(٢) مَنْ لا يظنُّ أَنَّكَ تسمي جَزِيلَ ماتِحِمْ في بَذْلِكَ^(٣) ومُؤانسِكَ مؤونة ، ولا تتابع^(٤) إحسانكَ إليه نعمة . بل يرى أنَّ نعمةَ الشَّاكِر فوقَ نعمةِ الواهب ، ونعمةُ الواد^(٥) المُخْلِص ، فوق [نعمة^(٦)] الجوادِ المُعْغِي .

(١) ب : « إعطائك » م : « إعطاء » ، صوابهما في الرسائل .

(٢) في الرسائل : « مؤملِك » .

(٣) في النسختين : « ما يحتمل » وفي م : « في ذلك » ، صوابهما من الرسائل .

(٤) في النسختين : « تتابع » ، تحريف .

(٥) في النسختين : « الوارد » ، صوابه من الرسائل .

(٦) التكلة من الرسائل .

١٦

من كتابه في
التوكلاء

١ - فصل

من صدر كتابه في الوكلاء^(١)

وَقَفَّكَ اللَّهُ لِلطَّاعَةِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَأَفْلَجَكَ بِالْحُجَّةِ^(٢) ،
وَحَتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ .

عَبَّرَتْ^(٣) - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَزْمَانُ^(٤) وَأَنْتَ عِنْدِي مِمَّنْ لَا يُغْنِي
الْقَوْلَ إِلَّا بَعْدَ التَّثْبُتِ ، وَلَا يُخْرِجُ الْكِتَابَ إِلَّا بَعْدَ التَّصْفُحِ ، وَكَتَبْتُ
حَرِيًّا بِتَهْنِئَةٍ^(٥) الرَّأْيَ الْقَطِيرَ ، جَدِيرًا أَنْ تُمِيلَ بِنَفْسِكَ عَاقِبَةَ التَّفْرِيطِ^(٦) .
وَلَوْلَا^(٧) كَثْرَةُ مُرُورِ أَيَّامِ الْمُطَالِبَةِ عَلَيْكَ لَمَا ثَقُلَ عَلَيْكَ التَّثْبُتُ ، وَلَوْلَا^(٨)
قِصَرُ أَيَّامِ التَّحْصِيلِ لَمَّا وَثَقَتْ بِأَوَّلِ خَاطِرٍ ، وَلَوْلَا سُوءُ الْعَادَةِ لَمَّا
كَتَبْتُكَ رَائِدَ التَّنَظَّرِ وَاتَّهَمْتُ الرَّأْيَ .

وَاعْتَرِامُ الْغَضَبَانِ^(٩) يَهْوُرُ الْأَعْمَارُ^(١٠) ، فَإِنَّ الْغَضَبِيَّانِ^(١١) أَسْوَأُ أَثَرًا

(١) نُشِرَ شَيْئًا مِنْهُ بِإِشْرَافِ رِشْدِ ص ١٩٤ - ١٩٥ وَفِي مَجْمُوعَةِ سَامِي ثَلَاثِينَ صَفْحَةً مِنْهُ ١٧٠ -
١٧٢ بِاسْمِ (الْوَكَلَاءِ) تَنْتَهَى بِنَهَايَةِ الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْإِخْتِيَارِ . وَيَدُلُّ أَنْ نَسْخَةَ السَّامِي
مَبْثُورَةٌ . وَلَقَدْ رَمَزْتُ لَهَا كَلَامًا لَوْفَ بِالرَّمْزِ (مِج) .

(٢) أَفْلَجَ : أَظْفَرَهُ ، مِنْ الْفُلْجِ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الظُّفْرُ . مِ قَطَطَ : « أَطْلَحَ » ، تَعْرِيفٌ .

(٣) عَبَّرَتْ : مَقَّتْ وَاقْتَضَتْ ، وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « عَبَّرَتْ » وَالْوَجْهُ مِنْ مِج .

(٤) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « زَمَانٌ » ، صَوَابُهُ فِي مِج .

(٥) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « نَهْنَه » ، صَوَابُهُ فِي مِج .

(٦) التَّمِيلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ كَالْتَرَجِيعِ بَيْنَهُمَا ، كَأَنَّهُ مِيلٌ بَيْنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ . فِي النَّسَخَتَيْنِ :
« أَنْ يَمِيلَ » ، صَوَابُهُ فِي مِج .

(٧) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَلَيْسَ » ، صَوَابُهُ فِي مِج .

(٨) مِ قَطَطَ : « وَلَوْ » .

(٩) الْإِعْتِرَافُ : الشُّكُّ وَالشَّرَافَةُ . وَفِي حَدِيثٍ عَلٍ : « عَلِ حِينَ قَرَأَ مِنَ الرُّسُلِ » ، وَاعْتَرَامُ
مِنْ النَّفْسِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « إِغْرَامُ الْعَمِيَانِ » وَيَعْنُونَ الْوَلَا . وَفِي مِج : « وَاعْتَرَامُ
النَّبِيَّانِ » . وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(١٠) يَهْوُرُهَا : يُلْغَبُ بِهَا . فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَتَهْوُرُ الْأَعْمَارُ » مَعَ زِيَادَةِ الْوَلَا ،
صَوَابُهُ فِي مِج .

(١١) فِي جَمِيعِ النَّسخِ : « النَّبِيَّانِ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

على نفسهم من السكران ، ولولا أَنَّ نارَ الْقَضْبِ تخبو قبل إفاقة العتوه .
وَضَبَابَ السُّكْرِ يَنْكَشِفُ قَبْلَ انْكَشَافِ غُرُوبِ عَقْلِ الْمُدَلِّهِ . وَأَنَّ حَكْمَ
الظَّاعِنِ خِلَافُ حَكْمِ الْمَقِيمِ ، وَقَضِيَّةُ الْجَنَازِ (١) خِلَافُ قَضِيَّةِ الْمَاكْتِ ،
لَكَانَتْ حَالُ الْقَضْبَانِ (٢) أَسْوَأَ مَغْيَةٍ ، وَجِهْلُهُ أَوْفَى ، عَلَى أَنَّ الْحَكْمَ لَهُ أَلْزَمُ
وَالنَّاسَ لَهُ أَلْوَمُ .

وما أكثر ما يُقْحِمُ القَضْبُ الْمَقَاحِمَ الَّتِي لَا يَبْلُغُنَهَا جَنَايَةُ الْجُنُونِ ،
وَفَرَطُ جَهْلِ الْمَضْرُوعِ .

٢ - فصل منه

وَأَنَّ الْقَمَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَدِيمَ الْآلَةِ ، مَنْقَطِعَ الْمَادَّةِ ، يَرَى الْفَى رُشْدًا
وَالْعَلُوَ قَصْدًا . فَلَوْ كُنْتَ إِذَا جَنَيْتَ لَمْ تُقِمِّمْ عَلَى الْجَنَايَةِ ، وَإِذَا عَزَمْتَ
عَلَى الْقَوْلِ لَمْ تُخْلِذْهُ فِي الْكُتُبِ ، وَإِذَا خَلَقْتَهُ لَمْ تُظْهِرِ التَّبَجُّحَ بِهِ ،
وَالِاسْتِيفَارَ فِيهِ ، كَانَ عِلَاجُ ذَلِكَ أَيْسَرَ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ سَقَمِكَ أَقْصَرَ (٣) .
فَأَخْزَى (٤) اللَّهُ التَّصَمِيمَ إِلَّا مَعَ الْحَزَمِ ، وَالْإِعْتَزَامَ إِلَّا بَعْدَ التَّثَبُّتِ
وَالْعِلْمَ إِلَّا مَعَ الْقَرِيحَةِ الْمَحْمُودَةِ ، وَالنَّظَرَ إِلَّا مَعَ اسْتِقْصَاءِ الرُّوْيَةِ .
وَأَخْلَقَنِي بَعْنِ كَانَ فِي صِفَتِكَ ، وَآخِرَ (٥) بَعْنِ جَرَى عَلَى ذَرْبِكَ (٦) ،
إِلَّا يَكُونُ سَبَبُ تَسْرُعِهِ ، وَعِلَّةُ تَشَعُّنِهِ إِلَّا مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ .
وَجَمِيعُ الْخَيْرِ رَاجِعٌ إِلَى سَعَةِ الصَّلْوِ . فَقَدْ صَحَّ الْآنَ أَنَّ سَعَةَ الصَّدْرِ
أَصْلُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْخَيْرِ فِرْعُ .

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « الْخَتَارُ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٢) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « الْمَيَاتِنُ » . (٣) الْقَم ، بِالْفَمِ وَيَا تَحْرِيكُ : الْمَرَضُ .

(٤) فِي النُّسخَتَيْنِ : « فَأَجْرِي » ، صَوَابُهُ فِي مَجْ .

(٥) ب : « وَأُخْرَى » ، م : « وَأَجْرِي » ، صَوَابُهُمَا فِي مَجْ .

(٦) لِلدُّوبِ : الْحَارِيقُ . وَفِي جَمِيعِ النُّسخِ : « عَنْ دَرِيكَ » .

وقد رأيتك - حفظك الله - خَوَّنتَ جميع الوكلاء وفَجَرْتَهُمْ ،
 وشَنَعْتَ على جميع الورَّاقين وظَلَمْتَهُمْ ، وجمعتَ جميعَ المُعلِّمينَ ومهَجَرْتَهُمْ ،
 وحَقِيقَتُ مساوِيَتِهِمْ ، وتَناسَيْتَ محاسِنَهُمْ ، واقتَصَرْتَ^(١) على ذكرِ مثالبِ
 الأعلامِ^(٢) والجلَّةِ ، حتَّى صَوَّبَ نَفْسَكَ عندَ السَّامِعِ^(٣) لكلامِكَ ، والقارئِ
 كتابِكَ^(٤) ، أنكَ ممن يُنكَرُ الحقُّ جهلاً^(٥) ، أو يتركُه معاندَةً له^(٦) . وقد
 علمَ النَّاسُ أنَّ من تركه جهلاً به أصغرُ إثمًا^(٧) ممن تركه عمداً .

ولعمري إنَّ العلمَ لَطَوُّعٌ يديك ، والمتصرِّفُ مع خواطرك ، والمستملي
 من بلبثتك ، كما يستملي من ثمرة فِكرك ، والمحصِّلُ من رويِّتك . ولكنَّ
 الرَّأْيَ لك أن لا تثقَ بما يَرسُمه اليُلمُ في الخَلَا ، وتَتَوَقَّاهُ في الملا .

اعلم أنَّك متى تَفَرَّدْتَ^(٨) بعلمِكَ استرسلتَ إليه . ومتى انْتَمَنْتَ على
 نَفْسِكَ نَوَاجِمَ خواطرك ، فقد أَمَكَنْتَ العدوَّ من رِيْقَةٍ عنقك . وبنِيَّةُ
 الطَّبَائِعِ وتركيبُ النفوسِ ، والذي جَرَّتْ عليه العادة ، إهمالُ النَّفْسِ
 في الخَلَا ، واحتفالُها في المَلَا^(٩) .

فتوقَّفْ عندَ العادة ، واتَّهَمِ النَّفْسَ عندَ الاسترسال والثَّقة . قال ابن
 هَرَمَةَ :

(١) ب : « واستصبرت » م : « وابصرت » ، صوابها في مج .

(٢) ب فقط : « مسالِب » ، تحريف .

(٣) في التنسخين : « السامع » ، صوابه في مج .

(٤) م ، مج : « ولقارئ كتابك » ضوابه ما أثبت . وفي ب : « ولقارئ كتابك » .

(٥) ب : « ما تنكر » م ، مج : « ومن تنكر » ، صوابها ما أثبت .

(٦) ب ، مج : « أو تركه » م : « أو يتركه » ، صوابها ما أثبت .

(٧) ب فقط : « إسمًا » .

(٨) في التنسخين : « تفررت » وفي مج : « تفرت » وأرى السواب في ما أثبت .

(٩) الملا : جماعة الناس . وفي ب : « واغفلها » ، وفي م ، مج : « وإغفلها » ، والوجه
 ما أثبت . وانظر ما سبق من قوله : « وتوقَّاه في الملا » ، فالمراد حبها في مواجهة الناس .

(٧ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمُ غَطَوْتُهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ عِيٌّ وَإِكْتَارٌ^(١)

وبئس الشيء العُجْبُ ، وَحَسُنَ الظَّنُّ بِالْبَلْبَةِ !

واعلم أَنَّ هذه الحالَ التي ارْتَضَيْتَهَا لَشَأْنِكَ هي أَمْنِيَّةُ الْعُلُوِّ ، وَتَهْزَةُ الْخَضَمِ ، وَمَتَى أَبْرَزْتَ كِتَابَكَ عَلَى هذه الصُّورَةِ وَأَفْرَقْتَهُ هَذَا الْإِفْرَاقَ ، ثُمَّ سَبَّكَتَهُ هَذَا السَّبْكَ ، فَلَيْسَ بَعْدُكَ حَاجَةٌ إِلَى التَّكْذِيبِ عَلَيْكَ ، وَقَوْلِ الزُّورِ فَيْكَ ، لِأَنَّكَ قَدْ مَكَّنْتَهُ مِنْ عَرِضِكَ ، وَحَكَّمْتَهُ فِي نَفْسِكَ .

وبعدُ ، فَمَنْ يَعِزُّ عَنْ عَيْبِ كِتَابٍ لَمْ يُحَرِّسْ بِالتَّثْبِيتِ^(٢) ، وَلَمْ يُحَصِّنْ بِالتَّصْفِیحِ ، وَلَمْ يُغَبِّ بِالْمَعَاوَدَةِ وَالنَّظَرِ ، وَلَمْ يُقَلِّبْ فِيهِ الطَّرْفَ مِنْ جِهَةِ الْإِشْفَاقِ وَالْحَطَرِ^(٣) . فَكَيْفَ يَوْفُقُ اللَّهُ الْوَائِقَ بِنَفْسِهِ ، وَالْمُسْتَبْدَّ بِرَأْيِهِ^(٤) لِأَدَبِ رَبِّهِ ، وَلِمَا وَصَّى بِهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [حِينَ قَالَ لِرَجُلٍ خَاصَمَ عِنْدَهُ رَجُلًا فَقَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : حَسْبِيَ اللَّهُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥)] : « أَبْلِلِ اللَّهَ مِنْ نَفْسِكَ عُلُرًا^(٦) » ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ .

(١) فِي التَّنْخِيحِ : « يَمُزُّ الْيَوْمَ » وَفِي مَجِّ : « يَمُزُّ الْقَوْمَ » ، صَوَاهِمَا مِنَ الْيَانِ ٢٠٣ : ١ وَالْجِيَوَانِ ١ : ٤ / ٨٨ : ٢٠٧ وَأَدَبُ الْكِتَابِ الصُّوْلُ ١٥٧ لَكِنْ عِنْدَ الصُّوْلِ :

إِنَّ الْحَدِيثَ يَغْفُ الْقَوْمُ غَطَوْتُهُ حَتَّى يَمُورَ بِالْبَيْتِ مُضَاهَاً

وَالْبَيْتُ مُفْرَدٌ فِي الْغِيَوَانِ ١١٩ . غَطَوْتُهُ ، أَيِ حِينَ يَخْتَلِ بِمُضَمِّهِمْ بَعْضُ لِمَا وَرَثَتِهِ وَتَبَادُلِهِ .

(٢) ب : « كِتَابُكَ لَمْ يُحَرِّسْ » م : « كِتَابُكَ يُحَرِّسُ » بِمَقْطُوعٍ « لَمْ » ، صَوَاهِمَا فِي مَجِّ .

(٣) ب : « الْإِشْفَاقُ » صَوَاهِيهِ فِي مَجِّ ، مَجِّ .

(٤) فِي التَّنْخِيحِ : « وَالتَّائِزُ » ، صَوَاهِيهِ مَا أَتَيْتُ مِنْ مَجِّ .

(٥) التَّحْكَةُ مِنْ مَجِّ ، مَجِّ .

(٦) أَبْلَيْتُهُ عُنْرًا : أَدَيْتُهُ إِلَيْهِ قَبْلَهُ ، أَيِ بَيَّنْتُ لَهُ وَجْهَ الْمَرِّ لِأَزِيلَ عَنِ الْوَجْهِ . وَفِي حَدِيثٍ

بِرِ الْوَالِدَيْنِ أَيْضًا : « أَبْلِ اللَّهَ عُنْرًا فِي بَرَحِهِ » ، أَيِ أَحْسَنَ فِيمَا يَبْتَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ بِرَكَ لِيَأْخُذَ .

وزعمت في أول تشنيك عليهم ، فقلت : قال يعقوب بن عبيد
لبعض ولده حين قال له في مرضه : أي شيء تشتهي ؟ قال : كبدٌ
وكيل^(١) .

وقد كان ترك التجارة من سوء معاملتهم وفُحش خباثتهم .

(١) بمعنى أن يلوك كبده . وفي التفسيرين : « كبد وكيل » ووجهه في م .

٣ - فصل (١)

من جوابه عن الوكلاء

قد فهمنا عُنركَ وسَمِعنا قولك ، فاسمع الآنَ ما نقول :

اعلم أنَّ الوكيل ، والأجير ، والأمين ، والوصي ، في جملة الأمر ، يَجْرُونَ مَجْرَى واحداً . فَأَيْشِي لك ^(١) أَنْ تَقْضِيَ عَلَى الجميع بِإِسَاءَةِ البعض . ولو بَهْرَجْنَا ^(٢) جميعَ الوكلاء وَخَوَّنَا جميعَ الأمناء ، وأنْهَمْنَا جميعَ الأوصياءَ وأسْقَطْنَاهُمْ ، ومنعنا الناسَ الارتفاقَ بهم ، لظَهَرَتِ الخَلَّةُ وشاعتِ المَعْجَزَةُ ، وبطلتِ العُقْدُ ^(٣) وَفَسَدَتِ المستغَلَّاتُ ، واضطربتِ التِّجَارَاتُ ، وعادتِ النُّعْمَةُ بليَّةً والمَّوْنَةُ حِرماناً ، والأمرُ مهملاً ، والعهدُ مَرِيحاً ^(٤) .

ولو أَنَّ التِّجَارَ وأهلَ الجهازِ ^(٥) صَاحَبُوا الجمالينَ والمُكَارِينِ ^(٦)

(١) هذا الفصل ما انفردت به الفسختان إذ لم يرد في مجموعة الساسي ولا في نسخة الكامل . وقد تعرض ريشر في ١٩٤ - ١٩٥ لفقول في الوكلاء .

(٢) أيش ، في معنى أى شيء ، كما يقال في ويل لأمه : ويله ، عل التخفيف . وهو استعمال قديم ، وجدته في صحيح البخاري : « قيل يا رسول الله ، أيش هو ؟ قال : القتل القتل » . انظر فتح الباري ١٣ : ١١ . ومن الخطأ ضبط هزته بالكسر . وانظر ابن يمين ٤ : ١٠٢ وتاريخ بغداد ٢ : ٨٨ والأغاني ١ : ١٧٤ وشفاء الغليل ١٥ وتحقيقات وتبنيات في معجم لسان العرب من تأليف ٤٩ ، ١٤٥ .

(٣) الهيرة : الإهمال والإعذار .

(٤) العقد : جمع عقدة ، بالقسم ، وهو كل ما عقد عليه .

(٥) المريج ، من المرج ، بالترسيك ، وهو الفساد والاختلاط والاضطراب . ومنه في الكتاب العزيز : « بل كذبوا بالحق لما جاؤهم فهم في أمر مريج » . الآية الخامسة من ق . ب : « مريحا » بالمهمله ، تحريف .

(٦) الجهاز ، بالفتح والكسر ، أو الكسر لغة وديته : كل ما يجيء لعروس أو مسافر ، أو مجاهد ، أو ميت .

(٧) جمع مكار ، وهو من يكريك دابته أو نفسه بالأجر . والكراء . ككتاب : أجرة المستأجر . في الفسختين : « والمكاريين » بياين ، صوابه بياء واحدة .

والملاحين ، حتى يعاينوا ما نَزَلَ بأموالهم في تلك الطرق والمياه ، والمسالك والمخانات ، لكان عسى أن يترك أكثرهم الجَهَّاز .

٤ - فصل منه

وقد قال الله عز وجل : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ يَمَّا فَضِّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(١) 〉 ، وقال : ﴿ فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ^(٢) 〉 وقال : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِيفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ^(٣) 〉 .

وقال يوسف النبي صلى الله عليه وسلم لفرعون وكافراً : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ عَلِيمٌ ^(٤) 〉 .

وقالت بنت شُعيب في مومي بن عمران : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ^(٥) 〉 : فَجَمَعَ جميع ما يُحتاج إليه في الكلمتين .

وفي قياسك هذا إسقاطُ جميع ما أدبنا الله به ، وجعله رِباطاً لمرادنا في ديننا ، ونظاماً لمصالحنا في دنيانا .

والذي يلزمُ لك أن لا أعظمهم بالبراءة ، والذي يلزمك أن لاتعظمهم بالتهمته ، وأن تعلم أن نفعهم عام ، وخيرهم خاص .

وقالوا : مثلُ الإمام الجائر مثلُ المطر ، فإنه يهدم على الضعيف ، ويمنع المسافر .

(١) من الآية ٣٤ في سورة النساء . واتصّر النص في ب على : « الرجال قوامون على النساء » .

النساء .

(٢) من الآية ٦ من النساء . وفي ب : « فمن كان غنياً » ، تحريف .

(٣) من الآية ٦ في سورة النساء .

(٤) من الآية ٥٥ في سورة يوسف .

(٥) من الآية ٢٦ من سورة القصص .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « نَحَالِيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ^(١) » .
والمطر وإن أَفْسَدَ بعضَ الثَّمارِ - وَأَضْرَبَ ببعضِ الْأَكْرَةِ ^(٢) فَإِنَّ نَفْعَهُ
غَامِرٌ لضرره ^(٣) .

وليس شيءٌ ^(٤) من الدُّنْيَا يكون نَفْعُهُ محضاً - وشرُّهُ صرفاً - وكذلك
الإمامُ الجائزُ ، وإن استأثَرَ ببعضِ القِيِّ ، وعَطَّلَ بعضَ الحُكْمِ - فَإِنَّ
مضارَّهُ مغمورةٌ بمنافقته .

قالوا : وكذلك أمر الوُكَلَاءِ والأوصياءِ والأُمَنَاءِ - لا تعلم قوماً
الشَّرَّ فيهِمْ أعمُّ ولا الفِشْ فيهِمْ أكثرُ من الْأَكْرَةِ ^(٥) . وما يجوز لنا مع
هذا أن نَعْمَهُم بِالْحُكْمِ مع أَنَّ الحاجةَ إليهِمْ شديدةٌ ، ونَزَعَ هذه العادةَ
[وهذا ^(٦)] الخُلُقِ مِنْهُمْ أَشَدُّ .

٥ - فصل منه

وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ الذَّنْبَ مَقْسُومٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ وَكَلَّتِكَ . فارجِعْ إِلَى نَفْسِكَ
فَلَعَلَّكَ أَنْ تَرَى أَنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَ ^(٧) مِنْ قِبَلِ الْفِرَاسَةِ ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنَّكَ
لَمْ تَقْطَعْ لِمِ الْأَجْرَةِ السَّنِيَّةِ ، وَحَمَلْتَهُمْ عَلَى غَايَةِ الْمَشَقَّةِ فِي آدَاءِ الْأَمَانَةِ
وَتَمَامِ النَّصِيحَةِ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجَمْعِ والاستسقاء ، من حديث مطول لأنس بن مالك . كما
أخرجه مسلم في صلاة الاستسقاء . وفي اللسان (حول) : « يريد : اللهم أنزل النيث علينا في مواضع
النبات لا في مواضع الأبنية » .
(٢) الْأَكْرَةُ : جمع للأكار ، بالتشديد ، وهو الحراث والزراوع للأرض . قال الجوهري :
« كأنه جمع أكر في التقدير » . وفي ب : « الأكرا » وفي م : « الأكرار » . والوجه
ما أثبت . وانظر ما سبق .

(٣) أي غالب عليه . وفي النسختين : « غامراً لضرره » ، تحريف .

(٤) ب : « لشيء » ، صوابه في م .

(٥) انظر ما سبق في الحاشية الثانية .

(٦) الكلمة من م .

(٧) ب : « أنك أتيت » وفي م : « إنما أتيت » ، والوجه ما أثبت .

٦ - فصل منه

ولأيد^(١) في باب البصر بجواهر الرجال من صدق الجس ، ومن
 صحة الفراسة . ومن الاستدلال في البعض على الكل^(٢) ، كما استدلّت
 بنتُ شبيب - صلوات الله عليه - حين قصّت لموسى - عليه السلام
 بالأمانة والقوة ، وهما الركنان اللذان بُنِيَ عليهما الوكالة .

٧ - فصل منه

وقد قالوا : ليس ممّا يستعمل الناسُ كلمةً أضرّ بالعلم والعلماء ،
 ولا أضرّ بالخاصّة والعامة ، من قولهم^(٣) : « ماترك الأول للآخر شيئاً » .
 ولو استعمل الناسُ معنى هذا الكلام فتركوا جميع التكلف ، ولم
 يتعاطوا إلا مقدار ما كان في أيديهم لفقّلوا^(٤) علماً جماً ومرافق لا تحصى ،
 ولكن آتَى الله إلا أن يُقَسِّمَ نِعَمَهُ بين طبقاتٍ جميع عبادِهِ قِسْماً عدل ،
 يُعْطَى كُلُّ قَوْمٍ وَكُلُّ أُمَّةٍ حِصَّتَهَا ونصيبها ، على تمام مرأشَد الدِّين ،
 وكَمال مصالح الدنيا .

فهؤلاء ملوكُ فارسَ نزلوا على شاطئ الدُّجَلَة . من دون الصُّرَة^(٥)

(١) ولا يَد ، ساقطة من ب .

(٢) هذا من شواهد الاستعمال القديم لكلمتي « كل » و « بعض » مقرونتين بأل . وانظر
 الرسائل ١ : ٢٤٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ .

(٣) تكررت هذه العبارة من أول الفصل إلى هنا في التفسيرين ، والوجه خلفها كما
 صحت .

(٤) في التفسيرين : « أفقّلوا » ، صوابه ما أثبت .

(٥) قال ياقوت : هما نهران ينبعان : العرة الكبرى والصرة الصغرى ، ولا أعرف
 أنا إلا واحدة . هو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول ، بينها وبين بغداد
 فرسخ ، ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد .

إلى فوق بغداد ، في القصور والبساتين ؛ وكانوا أصحاب نظير وفكر ، واستخراج واستنباط ، من لدن أزدشير بن بابك إلى فيروز بن يزدجرد .

وقبل ذلك مانزلهما ملوك الأشكان ، بعد ملوك الأرثوان^(١) .

فهل رأيتم أحدا اتخذ حراقة^(٢) ، أو زلالة^(٣) ، أو قاريا^(٤) !

وهل عرفوا الخيش^(٥) مع حر البلاد ووقع السموم ؟

وهل عرفوا الجميزات^(٦) لأسفارهم ومُنْتَزَهاتهم ؟

(١) الأشكان ، من ملوك الطوائف في فارس ، حكموا بعد الإسكندر بمائة وستين سنة . ويسمى السموذي : « الأشكان » و « الأشكانيون » . التنبيه والإشراف ٨٢ ، ٩٣ ، وفي مجمع استنجاس ٦٦ : « أشكانيان » . ومثلهم « الأرثوان » يفتح الدال كما في مجمع استنجاس . وملوك الطوائف هؤلاء : جماعة بين الفرس الأول والثانية ظهرت بعد قتل الإسكندر الأكبر دارا بن دارا وتغلبه على الفرس ، وقد نصب الإسكندر كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد الفرس وال عراق ، واستبد كل منهم بناحيته ، واستمر ملكهم ١٥٧ سنة إلى أن ظهر عليهم أودشير بن بابك وأسس دولة الفرس الثانية . قال السموذي في مروج الذهب ١ : ٢٣٤ : « وهم ملوك الجبال من بلاد الديفور ، وتهاوند ، وهذان ، ماسيدان ، وأذربيجان . وكان كل ملك منهم على هذا الصقع يسمى بالاسم الأم : أشكان ، فقبل لائر ملوك الطوائف : « الأشكانيون » . ثم ذكر أيضا أن الأرثوان هم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق » .

(٢) في الصحاح والقاموس أن الحراقات سفن بالبصرة ، وفيها مراى نيران العدو ، وذكر المعجم الوسيط من معانيها السفينة الخفيفة الممر . وهي المرادة هنا . وكان لظاهر بن الحسين حراقة في بغداد ، فركبها يوما ، فقال في ذلك مقص من صديق الخلق الشاعر :
عجبت لحراقة ابن الحسين لا غرقت كيف لا تفرق
ومجران من فوقها واحد وآخر من تحتها مطبق
وأصعب من ذلك أحوالها وقد سها كيف لا تورق
وانظر وفيات الأعيان في ترجمة ظاهر بن الحسين وزير المأمون .

(٣) يبدو أنها ضرب من السفن الخفيفة السريعة ، من قولهم زل زليلا وزلولا : مر سريعا .

(٤) الخيش : ثياب رقاقة النسيج ، غلاظ الخيوط ، تتخذ من مشاقة الكتان . وانظر ماسبق في ١ : ٣٩٣ . وفي التنصتين : « وهل حرف الخيش » ، صوابه ما أثبت .

(٥) الجميزات : التنجائب من الإبل تروح في سيرها . وانظر الحيوان ١ : ٨٣ / ٤ .
٢٤٧ : ٧ / ٤٥٩ : ١ .

وهل عرف فَلَاحُومَ الثَّمارِ المطعَّمة ، وغراسَ النخل على الكُرَدَاتِ
المسطَّرة ^(١) ؟

وأيْن كانوا عن استخراج قُوهِ العُصْفُر ^(٢) ؟ وأيْن كانوا عن
تغليق ^(٣) الثُّور والمُدن ، وإقامة ميل الحيطان والسَّواري المائلة الرُّوس ،
الرفيعة السُّموك المركَّبة بحضَّها على بعض ؟

وأيْن كانوا عن مراكب البحر في مُمارسة العدو الذي في البحر ، إن
طارَت البوارج أدركَتْها ^(٤) ، وإن أكرهتها فاتتها ^(٥) بعد أن كان القومُ
أسرى في بلاد الهند ، يتحكَّمون عليهم ويتلَّعون بهم ؟

وأيْن كانوا عن الرُّمى بالثيران ؟

نعم ، وكانوا يتخلَّون الأحصار وينفقون عليها الأموال ، رجالُهم
دسَمُ العمائم ، وسيحَّة القلائس ، وكان الرُّجلُ منهم إذا مرَّ بالطار ، أو
جلسَ إليه ، فأراد كرامته دَهَنَ رأسه ولحيته ، لا يحشَم من ذلك
الكبير ، وكان أهل البيت إذا طبخوا اللَّحْمَ غرَفوا للجار والجارَة غَرَفَةً
غَرَفَةً .

(١) الكُرَدَات : جمع كُرْدَة ، بالفم . وهي الفتاة بين المزارع . وفي النسخين :
« الكُرَدَات » ، ولا وجه لها .

(٢) القُوهِ بالفم : واحد الأنواء ، وهي التوابل ، وتجمع الأنواء على أنواءه . وفي
النسخين : « قُوهِ العُصْفُر » .

(٣) في النسخين : « تغليق » بالعين المهملة .

(٤) السُّموك : جمع سَمَك بالفتح ، وهو السقف ، والعلو والارتفاع . وفيه في الكتاب
العزيز : « وضع سَمَكها فساواها » .

(٥) البوارج : السفن الكبار ، أو سفن البحر تتخذ لقتال ، واحداًها بارجة . وفي
النسخين : « البوارج » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٦) أكرهه على أمر : حمله عليه وهو له كاره . وفي النسخين : « كرهها » تحريف .

١٧

من كتابه في

الأوطان والبلدان

١ - فصل

من صبر كتابه في الأوطان والبلدان^(١)

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى ، وَكَفَاكَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، وَأَنْلَجَ
صَبْرَكَ بِالْيَقِينِ ، وَأَعَزَّكَ بِالْقَنَاعَةِ ، وَخَوَّضَكَ لِكَ السَّعَادَةِ ، وَجَعَلَكَ
مِنَ الشَّاكِرِينَ .

سَأَلْتُ - أَبَقَاكَ اللَّهُ - أَنْ أَكْتُبَ لَكَ كِتَابًا فِي تَفَاوُلِ الْبُلْدَانِ ،
وَكَيْفِ قَنَاعَةِ النَّفْسِ بِالْأَوْطَانِ ، وَمَا فِي لَزُومِهَا مِنَ الْفَشَلِ وَالنَّقْصِ^(٢) ،
وَمَا فِي الطَّلَبِ مِنْ عِلْمِ التَّجَارِبِ وَالْعَقْلِ .

وَذَكَرْتُ أَنَّ طُولَ الْمَقَامِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَقْرِ ، كَمَا أَنَّ الْحَرَكَةَ مِنْ
أَسْبَابِ الْبُسرِ ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ الْقَائِلِ : « النَّاسُ بِأَزْمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ
بِبَآئِهِمْ » .

وَنَسِيتُ - أَبَقَاكَ اللَّهُ - عَمَلَ الْبُلْدَانِ ، وَتَصَرُّفَ الْأَزْمَانِ ، وَأَثَارَهُمَا
فِي الصُّوَرِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَفِي الشَّمَائِلِ وَالْآدَابِ ، وَفِي اللُّغَاتِ وَالشُّهُوَاتِ ، وَفِي
الْهَمِّ وَالْمَحِيشَاتِ ، وَفِي الْمَكَاسِبِ وَالصَّنَاعَاتِ ، عَلَى مَا دَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ
بِالْحِكْمَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالتَّدَابِيرِ الْعَجِيبَةِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْاِخْتِلَافِ سَبَبًا لِلْاِتِّصَالِ ، وَجَعَلَ الشُّكَّ
دَاعِيَةً إِلَى الْيَقِينِ ، وَسُبْحَانَ مَنْ عَرَّفَنَا مَا فِي الْحَيَرَةِ مِنَ الدُّلَّةِ ، وَمَا فِي

(١) لم يرد في غير هذه المصنوعة ، وهو غير كتابه « الحنين إلى الأوطان » الذي تقدم
نشره في الرسائل ٢ : ٣٨٣ - ٣١٢ . وقد تعرض ديشر لبحث كتاب الحنين إلى الأوطان في
ص ٤٨٨ . وقد حل المحقق في مروج الذهب ١ : ١٠٩-١٠٠ على هذا الكتاب وصماه « كتاب
الأصهار وجنائب البلدان » .

(٢) ب : « والنفس » ، صوابه في م .

الشُّكُّ مِنَ الْوَحْشَةِ، وَمَا فِي الْيَقِينِ مِنَ الْبِرِّ، وَمَا فِي الْإِخْلَاصِ مِنَ الْأَنْسِ .
وقلت : ابدأ لي بالشَّامِ ومصر ، وفضل ما بينهما ، وتحصيل جماعتهما ،
وذكرتَ أَنَّ ذلكَ سيجرُّ العراقَ والحجازَ ، والنَّجْدَ^(١) والأغوارَ ، وذكرَ
الْقُرَى والأَمْصَارَ ، والبراري والبحار .

واعلمْ - أَبَقَاكَ اللهُ - أَنَّا مَتَى قَدَّمْنَا ذِكْرَ الْمُؤَخَّرِ وَأَخَّرْنَا ذِكْرَ الْمَقْدَّمِ ،
فَسَدَّ النُّظَامَ وَذَهَبَ الْمُرَاتِبُ . وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ أَقْدَمَ شَيْئاً مِنْ ذِكْرِ الْقُرَى
عَلَى ذِكْرِ أُمِّ جَمِيعِ الْقُرَى : وَأَوَّلَى الْأُمُورِ بِنَا ذِكْرُ خِصَالِ مَكَّةَ ، ثُمَّ خِصَالِ
الْمَدِينَةِ .

ولولا ما يجبُ من تقديم ماقدَّم اللهُ وتأخير ماأخَّرَ لكانَ ، الغالبُ على
النفوسِ ذِكْرُ الْأَوْطَانِ وموقعها من قلب الإنسان .

وقد قال الأولُ^(٢) : « عَمَّرَ اللهُ الْبُلْدَانَ بِحُبِّ الْأَوْطَانِ » ، وقال ابنُ
الزُّبَيْرِ : « لَيْسَ النَّاسُ بِشَيْءٍ مِنْ أَقْسَامِهِمْ أَقْتَنَعَ مِنْهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ »^(٣) .

[وَأُولُو الْأَمَانِ اللهُ بِهِ عَلَى كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ مِنَ التَّرْغِيبِ^(٤) فِي كُلِّ مَا تَحْتَ
أَيْدِيهِمْ ، وَتَزْيِينِ كُلِّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُدْرَتُهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ مَفْرُوضاً
إِلَى الْعُقُولِ ، وَإِلَى اخْتِيَارَاتِ النُّفُوسِ - مَسْكَنُ أَهْلِ الْفِيَاضِ وَالْأَدْغَالِ
فِي الْعَمَقِ وَاللُّثْقِ^(٥) ، وَلَمَّا سَكَنُوا مَعَ الْبَعُوضِ وَالْهَمَجِ^(٦) ، وَلَمَّا سَكَنَ سُكَّانُ

(١) ب : « والنَّجْدُ » ، صوابه في م .

(٢) هو عمر بن الخطاب كما في رسالة الحنين إلى الأوطان ٣٨٩ ونسب هذا القول في
مناقب الترك ٦٤ إلى « البدي » .

(٣) رسائل الجاحظ ١ : ٦٤ والحيوان ٣ : ٢٢٧ .

(٤) م : « التَّزْيِينِ » ، صوابه في ب .

(٥) العمق ، بالتحرير : التني يورث ثقلاً ووخامة . وأرض عمقة : فند ريمها
وخم من كثرة الأتداء فصارَتْ موية . وفي التفتين : « العمق » صوابه بالتين المعجمة :
والثقي : التني والحمر ، ويقال له : والطين لثقي أيضاً .

(٦) الهجج : ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجوه الفم والحميز .

القلاع^(١) في قلال الجبال، ولما أقام أصحاب البراري مع الثَّباب والأفاعي
وحيث من عَزَّ بَزَّ، ولا أقام أهل الأَطراف في المخاوف والتَّغْيِير^(٢)،
ولما رَضِيَ أهل النيران ويطون الأودية بثلث المساكن، ولا تَمَسُّ^(٣)
الجميع السُّكنى في الواسطة، وفي بَيْضَة العرب^(٤)، وفي دار الأَمْن
والْمَنَّة. وكذلك كانت تكون أحوالهم في اختيار المكاسب والصناعات
وفي اختيار الأسماء والشَّهَوَات. ولا ختاروا^(٥) الخَطِير على الحَقِير،
والكَبِير على الصَّغِير.

ألا تراهم قد اختاروا ماهو أقبح على ماهو أحسن من الأسماء والصناعات،
ومن المنازل والسيارات، من غير أن يكونوا خُدِعوا أو استُكِرَّهوا.

ولو اجتمعوا على اختيار ماهو أرفع، ورَفَضَ ماهو أَوْضَع من اسم
أو كُتِبَة، وفي تجارة وصناعة، ومن شهوة وهمة، للنهبت المعالات،
وبَطَل التَّمْيِيز، ولوقع التَّجَاذُب^(٦) والتَّغَالِب^(٧)، ثم التَّحَارُب، ولصاروا
عَرَضاً للتَّفَانِي، وأَكَلَةً لِلْبَوَار^(٨).

فالحمد لله أَكْثَرَ الحَمْدِ وَأَطْيَبَهُ على نعمه، ماظْهَرَ منها وما بَطَّنَ،
وما جَهِلَ منها وما عَلِمَ!

(١) ب : «سكك». صوابه في م. وفي النسختين بعده : «الفلاح»، صوابه ما أثبت.
والقلاع : جمع قلعة، وهي الحصن في الجبل.
(٢) ب : «والتغير». صوابه بالراء المهملة. غرر بنفسه تقريراً : عرضها للهلكة.
(٢) في النسختين : «ولا اتمس». صواب رسمه ما أثبت، إذ هي لام الجواب
وليست «لا» الثانية.

(٤) بيضة العرب : موضع سلطانهم ومجتمعهم.
(٥) في النسختين : «ولا اختاروا». وانظر التنبيه السابق.
(٦) في النسختين : «التجاذب» صوابه بالذال. والتجاذب : التنازع، مفاعلة من
الجلب.

(٧) ب : «ثم التغالب».

(٨) البوار : المهلك. والأكلة : بالغم والفتن : المأكول.

ذكر الله تعالى الثَّيَّارَ فَخَبَّرَ عَنْ مَوَاقِعِهَا مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(١) 〉 . فَسَوَّى بَيْنَ مَوَاقِعِ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ وَبَيْنَ الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ . وَقَالَ : ﴿ وَمَالَنَا إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ^(٢) 〉 . فَسَوَّى بَيْنَ مَوَاقِعِ الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَبَيْنَ مَوَاقِعِ هَلَاكِ آبْنَانِهِمْ .

٢ - فصل منه

فقسم الله تعالى المصالحَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْقَلْبِ ، وَبَيْنَ الثُّرَيَّةِ وَالْوَطَنِ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ أَرْبَعُ وَأَرْفَعُ ، حِينَ جَعَلَ مَجَارَى الْأَرْزَاقِ مَعَ الْحَرَكَةِ وَالْعَلَبِ . وَأَكْثَرَ ذَلِكَ ^(٣) مَا كَانَ مَعَ طَوْلِ الْإِغْتِرَابِ ، وَالْبُعْدِ فِي الْمَسَافَةِ ، لِيُقْبِلَكَ الْأُمُورَ ، فَيُمْكِنَ الْإِخْتِبَارُ ^(٤) وَيَحْسَنَ الْإِخْتِيَارُ .

وَالْعَقْلُ الْمَوْلُودُ مَتْنَاهُ الْحُدُودُ ، وَعَقْلُ التَّجَارِبِ لَا يُوقِفُ مِنْهُ حِلٌّ . أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِفِ الْوَطَنِ عَلَيْهِمْ مَفْتَرَضًا ^(٥) ، وَقِيدًا مُضْمَنًا ، وَلَمْ يَجْعَلْ كِفَايَاتِهِمْ مَقْصُورَةً عَلَيْهِمْ ، مُحْتَسِبَةً لَهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ ؟ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٦) 〉 . فَحَسَمَ الْحَاجَاتِ فَجَعَلَ أَكْثَرَهَا فِي الْبُعْدِ . وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ

(١) الآية ٦٦ من النساء .

(٢) الآية ٢٤٦ من البقرة .

(٣) في النسختين : « وأكثر من ذلك » .

(٤) م : « الاختيار » بالياء المثناة من أسفل .

(٥) م : « مترصاً » . والمترص : الحكم المقوم ، كما يترص للمقد والميزان ونحوهما .

(٦) الآية ٢٠ من سورة المزل .

فَقَسَلُ اللَّهِ ^(١) فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ وَالْإِطْلَاقَ عَلَى مُخْرَجِ الْعُمُومِ ، فَلَمْ يَخْصُ
أَرْضاً دُونَ أَرْضِ ، وَلَا قُرْباً دُونَ بُعْدِ .

٣ - فَصَلْ مِنْهُ

ونحن ، وإنْ أَطْنَبْنَا فِي ذِكْرِ جُمْلَةِ الْقَوْلِ فِي الْوَطَنِ ، وَمَا يَعْمَلُ فِي
الطَّبَائِعِ ، فَإِنَّا لَمْ نَذْكُرْ خِصَالَ بِلَدٍ بَعِيْنَهَا . فَتَكُونُ قَدْ خَالَفْنَا إِلَى
تَقْدِيمِ الْمُؤَخَّرِ وَتَأْخِيرِ الْمَقْدَمِ .

قالوا : ولم نجعل ولم ننكر ^(٢) أَنَّ نَفْسَ الْإِلْفِ يَكُونُ ^(٣) مِنْ صِلَاحِ
الطَّبِيعَةِ ، حَتَّى إِذَا أَصْحَابُ الْكِلَابِ ^(٤) لِيَجْلِسُوا هَذَا مِنْ مَفَاخِرِهَا عَلَى
جَمِيعِ مَا يُعَايِرُ النَّاسَ فِي دُورِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ : وَذَلِكَ
أَنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ إِذَا هَجَمَ مَنْزِلَهُ ^(٥) وَاخْتَارَ غَيْرَهُ ، لَمْ يَتَّبِعْهُ فَرَسٌ
وَلَا بَقْلٌ وَلَا حِمَارٌ ، وَلَا دَيْكٌ وَلَا دَجَاجَةٌ ، وَلَا حَمَامَةٌ وَلَا حَمَامٌ ، وَلَا هِرٌّ
وَلَا هَمْرَةٌ ، وَلَا شَاةٌ ، وَلَا عُصْفُورٌ ، فَإِنَّ الْمَصَافِيرَ تَأْلَفُ دُورَ النَّاسِ ،
وَلَا تَكَادُ تَقِيمُ فِيهَا إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا . وَالْخَطَاطِيُّفُ تَقْطَعُ إِلَيْهِمْ لَتَقِيمَ فِيهَا
إِلَى أَوَانِ حَاجَتِهَا إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِهَا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ
مِمَّا تَبَوَّأَ فِي الدُّورِ بِاجْتِلَاحِهِمْ لَهَا ، وَلَا مَاتَبَوْا فِي دُورِهِمْ مِمَّا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ
أَحْنٌ مِنَ الْكَلْبِ ، فَإِنَّهُ يُؤْثِرُهُ عَلَى وَطَنِهِ ، وَيَحْمِيهِ عَنْ يَغْشَاةٍ .

(١) الآية ١٠ من سورة البقرة . وفي النسختين : « فإذا قضيت الصلاة » تحريف قرآن .

(٢) في النسختين : « ولم نذكر » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في النسختين : « تكون » .

(٤) في النسختين : « الكلاب » ، والوجه ما أثبت .

(٥) هجم منزله هجما : هجم . وهجم البيت ، إذا قوض . ومنه قول علقمة :

صل كان جناحيه وجوزوه بيت أظلمت به عرقاء مهجوم

(٨ - وسائل الملاحظ - ج ٤)

فذكروا الكلبَ بهذا الخُلُقِ الذي تفرَّد به دونَ جميع الحيوان .
وقالوا في وجه آخر : أكرم الصفايا أشدها وَلَهَا إلى أولادها^(١) ،
وأكرم الإبلَ أحنها إلى أعطانها^(٢) ، وأكرم الأفلاء^(٣) أشدها ملازمةً
لأمهاتها ، وخير الناس أَلْفُهُم للناس .

٤ - فصل منه

وقلم : خبرونا عن الخصال التي بانَّت بها قريشٌ عن جميع الناس .
وأنا أعلم أنك لم تُرد هذا ، وإنما أردتَ الخصالَ التي بانَّت بها قريشٌ
من سائر العرب ، كما ذكرنا في الكتاب الأول الخصالَ التي بانَّت بها
العرب عن العجم ، لأنَّ قريشاً والعربَ قد يَسْتَوُونَ في مناقبَ كثيرة . قد
يُلْقَى في العرب الجوادُ المَبْرُ^(٤) وكذلك الحليم والشجاع ، حتى يأتى
على خصالٍ حميدة ؛ ولكننا نريد الخصائصَ التي في قريشٍ دون العرب .
فمن ذلك أننا لم نرقِشياً انتسب إلى قبيلة من قبائل العرب ، وقد
رأينا في قبائل العرب^(٥) الأشرافَ رجالاً - إلى الساعة - يتتسبون في
قريش ، كمنحو الذي وجَلَّنا في بني مُرَّة بن عوف ، والذي وجَلَّنا من
ذلك في بني سُلَيم ، وفي خزاعة ، وفي قبائل شريفة .

(١) الصفايا : جمع صفيه ، وهي الناقة والشاة الزئيرة اللبن .

(٢) اللبن للإبل كالوطن للناس . وقد غلب على مبركها حول الخوض . ب : « أعطانها » ،

صوابه في م .

(٣) الأفلاء : جمع فلو بالكسر ، أو فلو كمنو ، أو فلو بضتين مع التشديد ، وهو

المهر الذي لم يرش ، أو الذي بلغ السنة .

(٤) المبر : الثالب . وفي اللسان (بر ١١٩) : « ومثل رجل من بني أسد : أنمرق

الفرس الكرم ؟ قال : أمرف الجواد المبر من البلي . المقرئ » . ب : « المبرن » م : « المبرن »

والوجه ما أثبت .

(٥) ب : « كبار العرب » ، صوابه في م .

ومما بانّت قريش أنها لم تَلِدْ في الجاهلية ولداً قط [لغيرها^(١)]
ولقد أخذ ذلك منهم سكّانُ الطائف ، لقرب الجوار وبعضِ المصاهرة ،
ولأنّهم كانوا حُمساً ، وقريش حُمستهم .

ومما بانّت^(٢) به قريش من سائر العرب أنّ الله تعالى جاء بالإسلام
وليس في أيدي جميع العرب سبيّة^(٣) من جميع نساء قريش ، ولا وُجِلُوا
في جميع أيدي العرب ولداً من امرأة من قريش .

ومما بانّت^(٤) به قريش من سائر العرب أنها لم تكن تزوّج أحداً
من أشراف العرب إلّا على أن يتحمّس . وكانوا يزوّجون من غير أن
يُشترطَ عليهم ، وهي عامر بن صعصعة ، وثقيف ، وخزاعة ، والحارث
ابن كعب ، وكانوا ديانين^(٥) ، ولذلك تركوا الفزوَ لما فيه من النَّصَب^(٦)
والغشم^(٧) ، واستحلال الأموال والقروج .

ومن العجب أنّهم مع تركهم الفزوَ كانوا أعزّ وأمثل ، مثل أيام
الفيجار^(٨) وذات كهف^(٩) .

(١) بما أو ينحوها يصح الكلام . وانظر ما سبق في نهاية الفقرة التالية .

(٢) في النسختين : « وما بانّت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) السبية : المسبية التي لحقها البلاء ، وهو الأسر والتهب . ب : « نسية » م : « سبية » ،

صوابها ما أثبت . (٤) في النسختين : « وما بانّت » ، تحريف .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي النسختين : « دياتين » . والديان : المالك والقاضي ،

ولارجه له هنا . وانظر الحيوان ٤ : ١٩٧ .

(٦) في النسختين : « النصب » بالضاد المحجمة ، صوابه ما أثبت .

(٧) النثم : النظم . ب : « القثم » م : « المثم » صوابها بالثين المحجمة .

(٨) أيام الفجار ، يكثر القتل . حروب أريية كانت أولها وثالثها بين كنانة

وهوازن وثانيتها بين قريش وهوازن ورابعتها بين قريش وكنانة كلهوين وهوازن . وكانت كلها

قبل البعثة بست وعشرين سنة . وانظر السند ٥ : ٢٥١-٢٥٧ . ب : « مثل أيام الفجار » م :

« أيام القنار » ، وبإسقاط ، « مثل » والوجه ما أثبت .

(٩) ذات كهف : موضع كانت فيه وقعة لم . وفيه يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

رومومون الصلاح بذات كهف وما فيها لم سلح وقار

الصلاح ، بالكر : الصلح . وانظر المفضليات ٣٤١ .

ألا ترى أنهم عند بُيَانِ الكَفَّةِ قَالَ رؤسَاهُمْ : لَا تُخْرِجُوا فِي نَفَقَاتِكُمْ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا مِنْ صَدَقَاتِ نَسَائِكُمْ^(١) ، وَمَوَارِيثِ آبَائِكُمْ ! أَرَادُوا مَا لَمْ يَكْسِبُوهُ وَلَا يَشْكُونُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ مِنَ الْحَرَامِ شَيْءٌ .

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ كَسْبَهُمْ لَمَّا قَلَّ مِنْ قِبَلِ تَرْكِهِمُ الْغَزْوِ ، وَمَالُوا إِلَى الْإِيْلَافِ وَالْجِهَادِ ، لَمْ يَغْتَرِمُوا مِنْ بُخْلِ التَّجَارِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَابْتُخِلَ خِلْفَةُ فِي الطَّبَاعِ ، فَأَعْطَوْا الشُّعْرَاءَ كَمَا يُعْطَى الْمُلُوكُ ، وَقَرَّوْا الْأَصْيَافَ ، وَوَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَقَامُوا بِنَوَائِبِ زُورِ الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَحْلَهُمْ يَحْيَسُ الْحَيْسَةَ فِي الْأَنْطَاعِ^(٢) فَيَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ ، وَالرَّاجِلُ وَالرَّاكِبُ^(٣) وَأَطْعَمُوا بَدَلَ الْحَيْسِ الْفَالَوْدَجَ^(٤) . أَلَا تَرَى أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ يَقُولُ ، وَيَذْكُرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُلْدَعَانَ^(٥) :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مَشْمَعْلٌ وَحُفْرٌ فَوْقَ دَارَتِهِ يَنَادِي^(٦)

(١) الصَّدَقَاتُ : الْمَهْرُ ، وَهِيَ بِفَتْحِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا فَتَحُ الصَّادِ ، وَمِثْلُهَا الصَّدَقَةُ بِفَتْحِ الصَّادِ وَفَتْحِهَا سَمْعٌ ، وَكَذَلِكَ الصَّدَاقُ كَسَمَابٍ وَكَكُتَابٍ . وَفِي الْكِتَابِ الْغَزِيرِ : « وَأَتَوْا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ لَحِقَةً » ، لَمْ تَقْرَأْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا أَرْبَعُ عَشْرَةَ إِلَّا بَفَتْحِ الصَّادِ وَغَمِ الدَّالِ . وَانْظُرْ تَقْسِيرَ أَبِي حَيَّانَ ٣ : ١٦٦ وَالْإِنْجَافَ ١٨٦ .

(٢) الْحَيْسُ : طَعَامٌ يَتَخَذُ مِنَ الْبُرِّ وَالْأَقْطِ يَدْقَانِ ثُمَّ يَمِزْنَانِ بِالْمَسْنِ عَجِينًا شَدِيدًا حَتَّى يَنْبَرِ النَّوَى مِنْهُ نَوَافِدٌ ثُمَّ يَسْوِي كَالْتَرِيدِ . وَالتَّلْعُ بِتَثْنِيَةِ النَّوْنِ : سَبَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ .

(٣) الرَّاجِلُ : مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ ، مُقَابِلُ الرَّاكِبِ . وَفِي التَّمَنِّيْنِ : « الدَّاعِلُ » ، صَوَابُهُ مَا أَتَيْتُ .

(٤) الْفَالَوْدَجُ وَالْفَالَوْدَجُ : طَعَامٌ يَتَخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالسَّلِ ، مَعْرُوبٌ . وَانْظُرْ صِنْفَةَ مُتَقَدِّمَةِ فِي كِتَابِ الْمَلِيحِ الْبَيْهَقِيِّ ص ٧٦ .

(٥) جُلْدَعَانُ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، كَأَنَّ فِي الْقَامُوسِ (جَدْعٌ) . وَفِي التَّمَنِّيْنِ : « جُلْدَعَانُ » . تَصْحِيفٌ . وَعَبَدَ اللَّهُ هَذَا جَوَادٌ مَعْرُوفٌ مَاتَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُلْدَعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَدِّ بْنِ تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ . وَقَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَهِدْتُ مَا دُفِنَ فِي دَارِ ابْنِ جُلْدَعَانَ » . وَفِي الْإِسَابَةِ ٥٧٨ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « إِذَا اشْتَرَيْتَ نَعْلًا فَاسْتَبْدِعْهَا ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ دَابَّةً فَلَا تُسْغِرْهَا ، وَإِذَا كَانَ عَنْكَ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمْهَا » . وَسَأَلَتْ عَائِشَةُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ وَذَكَرَتْ لَهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجُودِ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ رَبُّ أَنْفَرِ لِحَظِي يَوْمَ النَّبِيِّ » . وَانْظُرِ الْأَغْنَى ٢ : ٨ - وَالْمَقْدَرُ ١ : ٥٤ / ٢ : ٢٣ / ٤٧ . وَالْخَبِيرُ لِابْنِ حَبِيبٍ ١٣٧ - ١٣٩ .

(٦) الرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « وَأَعْرَفُ فَوْقَ دَارَتِهِ » . دِيوَانُ أُمَيَّةَ ٢٧ وَالْبَيَانُ ١٧ : ١ وَالْأَغْنَى ٣ : ٨ .

إلى رُدْحٍ من الشَّيزَى مِلَاءٍ لُبَابَ الْبُرِّ يُبَلِّكَ بِالشَّهَادِ^(١)

فَلُبَابُ الْبُرِّ هُوَ هَذَا النَّشَاءُ ، وَالشَّهَادُ يَعْنِي بِهِ الْعَسَلُ .

أَلَا تَرَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : « أَتُرَوْنِي لَا أَعْرِفُ طَيْبَ الطَّعَامِ ؟

لُبَابُ الْبُرِّ بِصِغَارِ الْمِعْزَى » ، يَعْنِي خُبْزَ الْحَوَارَى بِصِغَارِ الْجَدَاءِ^(٢) .

وَلَقَدْ مَدَحَتْهُمْ الشُّعْرَاءُ كَمَا يُمدِّحُ الْمُلُوكَ ، وَمَدَحَتْهُمْ الْفِرْسَانُ وَالْأَشْرَافُ

وَأَخْلَعُوا جَوَائِزَهُمْ ، مِنْهُمْ : دَرِيدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .

وَمِنْ خِصَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ فِي شَيْءٍ مِنْ جَفَائِهِمْ ،

وَعَلِظَتْ شَهَوَاتُهُمْ ، وَكَانُوا لَا يَأْكُلُونَ الصُّبَابَ ، وَلَا شَيْئاً مِنَ الْحَشَرَاتِ ،

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَوْا خِوَانَهُ بِضَبٍّ فَقَالَ :

« لَيْسَ مِنْ طَعَامِ قَوْمِي » ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْرِشُونَ الصُّبَابَ^(٣) ، وَيَصِيدُونَ

الْيَرَابِيعَ ، وَيَمْلَأُونَ الْقَنَافِذَ^(٤) ، أَصْحَابُ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ ، وَخُبْزَ التَّنَانِيرِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بِيَدِ

أَتْنَى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » .

وَذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِنَّمَا كَانَتْ الْقَبِيلَةُ لِاتِّكَادِ تَرَى

(١) رُدْحٌ : أَيُّ تَصَاعُطٍ ، لَوَاحِدَةٌ رَدَحٍ كَسَابِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « رُوحٌ »
تَحْرِيفٌ . وَالشَّيزَى : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَتَخَذُهُ مِنَ الْقَصَاعِ . يَبْلِكُ : يَخْلَطُ . وَالشَّهَادُ : جَمْعُ شَهْدٍ
بِالْفَتْحِ وَالْقَسَمِ ، وَهُوَ الْعَسَلُ مَا دَامَ لَمْ يَمِصَّ مِنْ شَمْعِهِ .

(٢) الْحَوَارَى : يَنْسُبُ إِلَيْهَا وَتَشْدِيدُ الْوَاوِ ، مَقْصُورٌ : الْعَلَقُ الْأَيْشُ ، وَهُوَ لُبَابُ الدَّقِيقِ
وَأَجْرُهُ وَأَخْلَعَهُ . وَالْجَدَاءُ : جَمْعُ جَدَى ، كَمَا يَجْمَعُ أَيْضاً عَلَى أَجْدٍ وَجَدِيَانِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ :
« الْجَدَى » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) حَرَشَ الصَّبَّ يَحْرِشُهُ ، بِالْكَسْرِ ، حَرَشاً : صَادَةً ، كَأَحْرَشِهِ . وَذَلِكَ بِأَنَّهُ
يَحْرِكُ يَدَهُ عَلَى بَابِ جَمْعِهِ لِيُظْهِرَ حَيْثُ ، فَيَخْرُجُ ذَنَبُهُ لِيُخْرِجَهَا فَيَأْكُلَهُ .

(٤) يَمْلَأُونَهُ : يَمْلَأُونَهُ فِي الْمَلَّةِ ، وَهُوَ الرَّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَبَرُ ، يَشْتَوُونَهُ لِيُزِيلُوا .

وَتُسَمَّعُ إِلَّا مِنْ قَبِيلَتِهَا وَرَجُلَهَا ، فَلَيْسَ عَنْدهُمْ ، إِلَّا عِنْدَ قَبِيلٍ وَاحِدٍ ، مِنْ
الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَالشَّمَائِلِ ، وَالْحِلْمِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
إِلَّا فِي الْقَرْطِ .

وَكَانَتْ الْعَرَبُ قَاطِبَةً تَرِدُ مَكَّةَ فِي أَيَّامِ الْمَوْسَمِ ، وَتَرِدُ أَسْوَاقَ عَكَاظٍ
وَذَا الْمَجَازِ ، وَتَقِيمُ هُنَاكَ الْأَيَّامَ الطُّوَالَ ، فَتَعْرِفُ قَرِيضَ^(١) ، لاجْتِمَاعِ
الْأَخْلَاقِ لَمْ [وَ] الشَّمَائِلِ وَالْأَلْفَازِ ، وَالْعُقُولِ وَالْأَحْلَامِ ، وَهِيَ وَادِعَةٌ^(٢)
وَذَلِكَ قَاتِمٌ لَهَا ، رَاهِنٌ عَنْدهَا فِي كُلِّ عَامٍ ، تَتَمَلَّكُ عَلَيْهِمْ^(٣) فَيَقْتَسِمُونَهُمْ ،
فَتَكُونُ غَطْفَانٌ لِلْيَبْرِ^(٤) ، وَبَنُو عَامِرٍ لَكُنَا ، وَنَعِمَ لَكُنَا ، تَغْلِبُهَا الْمَنَاسِكُ^(٥)
وَتَقُومُ بِجَمِيعِ شَأْنِهَا .

٥ - فصل منه

وَفَتَحَ مَكَّةَ يَسْمَى فَتْحَ الْفَتْوحِ ؛ وَهُوَ بَيْتُ اللَّهِ ، وَأَهْلُهُ وَحُجَّاجُهُ زُورَارُ
اللَّهِ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ ؛ وَفِيهِ الْجِبَرُ ، وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ .
وَلَهُ زَمْزَمٌ ، وَهِيَ هَزْمَةُ جَبْرِيلَ^(٦) - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - ، وَمَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ . وَمَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شُرِبَ لَهُ ، الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي سِوَاهُ^(٧) .

(١) عَرَفَ يَرْفَعُ مَرَاتَةً : صَارَ عَرِيفًا ، أَيْ سَيِّدًا .

(٢) ب : « وَادِعَةٌ » ، صَوَابُهُ فِي ش .

(٣) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « يَتَمَلَّكُ عَلَيْهِمْ » .

(٤) الْمِيدَةُ : الطَّلَامُ يَتَنَاهَدُ الْمَرْءَ ، أَيْ يَجْلِبُهُ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « الْمِيدَةُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) لَهَا : « وَتَغْلِبُ السَّمَكُ » .

(٦) مِنْ أَهْلِ زَمْزَمٍ « هَزْمَةُ جَبْرِيلَ » لِأَنَّهُ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ فَانْخَفَضَ الْمَكَانُ فَتَجَاعَلَ الْمَاءُ ،

أَوْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأَرْضَ ، أَيْ كَسَرَ وَجْهَهَا عَنْ عَيْنِهَا حَتَّى قَاضَتْ بِالْمَاءِ الْفُرُودَ . وَتُسَمَّى زَمْزَمُ
أَيْضًا : « وَكُفَّةُ جَبْرِيلَ » . وَفِي ب : « وَهُوَ زَمْزَمَةُ جَبْرِيلَ » وَفِي م : « وَهُوَ زَمْزَمُ جَبْرِيلَ » ،
صَوَابُهُمَا مَا أَتَيْتُ .

(٧) الْبَادِي : الْمَقِيمُ بِالْبَادِيَةِ . ب : « وَالْيَاءُ » ، وَهِيَ لَفَةٌ صَحِيحَةٌ جَائِزَةٌ قَرَأَ بِهَا جَهْرَةً الْقُرَّاءُ
فِي الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ ، وَأَتَيْتُ الْيَاءَ فِي الْوَصْلِ فَقَطَّ وَدَشَ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبُو جَعْفَرٍ . أَمَّا يَتَقَوَّبُ
وَأَمِنْ كَثِيرٌ فَقَدْ أَتَيْتُ الْيَاءَ فِي الْحَالِينِ جَيِّدًا . إِنْخَافَ فَضْلَاءُ الْبَيْتِ ٣١٤ فِي الْآيَةِ ٢٥ مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ .

وبسبب كرامته أرسل الله طَيْرَ الْأَبَابِيلِ^(١) وحجارة السَّجِيلِ . وأهله
حُصْنٌ وَلَقَاحٌ^(٢) لَا يُوَدُّونَ إِنَاوَةَ ، وَلَمْ السَّقَايَةُ ، ودار النَّدْوَةِ . والرَّفَادَةُ ،
وَالسَّدَانَةُ .

قال : وأقسم الله تعالى بها ، قال : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ
بِهَذَا الْبَلَدِ^(٣) 》 . وقوله جل ذكره : (لَا أَقْسِمُ) أى : أقسم ، وإنما
قوله « لَا » فى هذا الموضع صلة ، ليس على معنى « لَا » الذى هو خلاف
« نعم » .

وقالوا : ولو كان قوله : ﴿ وَلِيُطَوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْحَتِيقِ^(٤) 》 يراد به
تقادمُ البنيان ، وما تعاوَرَه^(٥) من كُرُورِ الزَّمان ، لم يكن فضله على
سائر البلدان ، لَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَحُلْ مِنْ بَيْتٍ وَدَارٍ ، وَسُكَّانُ وَبُنْيَانٍ . وقد
مَرَّتْ الْأَيَّامُ عَلَى مِصْرَ ، وَحَرَّانَ ، وَالْحِيرَةَ ، وَالسُّوسَ الْأَقْصَى^(٦) ، وَأَشْبَاهِ
ذَلِكَ ، فَجَبَلَ الْبَيْتَ الْحَتِيقَ صَفَةً لَهُ ، وَلَوْ كَانَ ذَهَبَ إِلَى مَا يَمْنُونُ . كَانَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَعَقَّ وَتَغَرَّ عَلَيْهِ الْأَزْمَنَةُ لَيْسَ بِحَتِيقٍ . وهذا الاسم قد أُطْلِقَ
لَهُ إِبْطِلَاقًا ، فَاسَمَهُ الْبَيْتَ الْحَتِيقَ ، كَمَا أَنَّ اسْمَهُ بَيْتُ اللَّهِ .

ومن زعم أن الله تعالى حرَّمَهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَقَوْلُنَا
هَذَا مُصَدِّقٌ لَهُ^(٧) .

(١) هذا ما فى م . والأبَابِيلُ : الجاهلات . وفى ب : « طيراً أبابيل » .

(٢) حصى : جمع أحص ، وهو الشدِيدُ الصَّلْبُ فى الدِّينِ وَالْقِتَالِ . ويقال قوم لقاح ،
يفتح اللام ، وسى لقاح : لم يفتنوا الملوك ولم يملكوا ولم يسبهم فى الجاهلية سباً . وفى النسختين :
« لقاح » بالقاء ، صوابه ما أثبت .

(٣) الآية ١ ، ٢ من سورة البلد .

(٤) الآية ٢٩ من سورة الحج .

(٥) تعاوَرَه : تَعَاوَلَ عَلَيْهِ وَتَمَلَّقَ . وفى ب : « تعاوَدَه » بالذال ، صوابه فى م .

(٦) السُّوسُ الْأَقْصَى : كَوْزَةُ بَانْتَرَبَ ، قَصَبُهَا طَرْقَلَةٌ . وأما السُّوسُ الْأَدْنَى ففى
بلدة بخوزستان . وبين السوسين سيرة شهرين ، كما ذكر ياقوت .

(٧) ب : « مصدق » ومع سقوط « له » .

ومن زعم أنه إنما صار حراماً مذ حرمه إبراهيم . كان قد زعم أنه قد كان ولا يقال له عتيق ولا حرام .

قالوا : ومما يصدق تأويلنا أنه لم يعرف إلا وهو لقاح ^(١) ، ولا أدى أهله إناوة قط ^(٢) ، ولا وطئته الملوكة بالتمليك : أن سابوردا الأكشاف ، ويخت نصر وأبا يكسوم وغيرهم ، قد أرادوه ^(٣) فحال الله تعالى دونه ، فتلك عادة فيه ، وسنة جارية له .

ولولا أن تبع آتاه حاجباً ، على جهة التعظيم والتدين بالطواف ، فحبه وطاف به ، وكساه الوصائل ^(٤) ، لأخرجه الله منه .

وحجه بعض ملوك غسان ولخم ، وهم نصارى ، تعظيماً له ، ولما جعل الله له في القلوب .

والعتيق يكون من رقب العبودية ، كالعبد يعتقه مولاه . ويكون عتيقاً من النار ، كالثائب من الكبائر ، وكالرجل يدعو إلى الإيمان فيستجاب له ، ويتعلم ^(٥) ناس على يده ، فهم أيضاً عتقاء ^(٦) .
ويكون الرجل عتيقاً من عتق الوجه .

وربما كان عتيقاً كما يقال للفرس عتيق وليس بهجين ولا مقرف . وقد سمي أبو بكر بن أبي قحافة - رضوان الله عليه - عتيقاً . من طريق عتق الوجه ، ومن طريق أنهم طلبوا المثالب والعيوب التي كانت تكون

(١) انظر ما مضى في الحاشية الثانية من ص ١١٩ .

(٢) في التسخين : « فقط » .

(٣) في التسخين : « قد أدوه » .

(٤) الوصائل : ثياب يمانية ، وقيل ثياب حر غسطة يمانية ، واحداً ومثله .

(٥) في التسخين : « وتعلم » .

(٦) ب : « فهو أيضاً عتقاء » م : « فهو أيضاً عتقا » . ووجه ما أثبت .

في الأمهات والآباء فلم يَجِدوها ، قالوا^(١) : ما هذا إلا عتيق .

٦ - فصل منه

قد قلنا في الخصال التي بانَتْ بها قريشٌ دونَ العرب . ونحن ذاكرون
- وبالله التوفيقُ - الخِصَالَ التي بانَتْ بها بَنُو هاشمٍ دونَ قريش .

فلَوَّلُ ذلكَ النبوةَ . التي هي جِماعُ خِصالِ الخَيْرِ^(٢) ، وأَعلاها
وأَفْضَلُها ، وأَجْلُها وأَسَنُها .

ثمَّ وَجَدْنَا فِيهِمْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ بَنَى أَعْمَامُ في زَمَانٍ واحدٍ ، كُلُّهُمْ يَسْمَى
عَلِيًّا ، وَكُلُّ واحدٍ منَ الثَّلَاثَةِ سَيِّدٌ فقيهٌ ، عَالِمٌ عابِدٌ ، يَصْلُحُ لِلرِّيَاسَةِ
والإِمَامَةِ ، مِثْلَ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ ،
وعَلِيِّ بنِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ ، وَعَلِيٍّ
ابنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ بنِ أَبِي طَالِبٍ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ .

ثمَّ وَجَدْنَا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ بَنَى أَعْمَامُ ، في زَمَانٍ واحدٍ ، كُلُّهُمْ يَسْمَى
مُحَمَّدًا ، وَكُلُّهُمْ سَيِّدٌ وفقيهٌ عابِدٌ . يَصْلُحُ لِلرِّيَاسَةِ والإِمَامَةِ ، مِثْلَ مُحَمَّدٍ
ابنِ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ ، وَمُحَمَّدٍ بنِ
عَلِيٍّ بنِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ ، وَمِثْلَ
مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ بنِ أَبِي طَالِبٍ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ .

وهذا منَ أَغْرَبِ مَا يَنْتَهِيَا^(٣) في العالمِ ، وَيَتَّفَقُ في الأَزْمَةِ ، وَهَذِهِ^(٤)
لا يَشْرَكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ . ولا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ مِثْلَهَا أَحَدٌ .

(١) ب : « قال » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « خصال جاع الخير » ، والوجه ما أثبت . وجماع الشيء بالكسر :
جميعه ومثله . يقال : « انخر جاع الإثم » . وفي قول الحسين رضي الله عنه : « اتقوا
هذه الأهواء التي جاعها الفضيلة وسيبأها النار » . اللسان (جع ٤٠٥) .

(٣) في النسختين : « تَبَيَّأ » .

(٤) م : « وهذا » ، صوابه في ب .

ولبنى هاشم واحدة^(١) مبرّزة . وثانية نادرة ، يتقلّمون بها على جميع الناس . وذلك أنا لا نعرف في جميع مملكة العرب ، وفي جميع مملكة العجم . وفي جميع الأقاليم السبعة . ملكاً واحداً مُلكه من نصاب واحد^(٢) : وفي مغرس رسالة - إلّا من بني هاشم . فإنّ ملكهم العباس ابن عبد المطلب - عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، والعلم وارث ، والعلم أب . ولا نعلم أمة تدعى مثل هذا لملكها .

وهذا شيء سمعته من أبي غبيدة . ومنه استملت هذا المعنى .
ولبنى هاشم - منذ ملكوا هذه الدفعة - دون أيام علي بن أبي طالب والحسين بن علي إلى يومنا هذا مائة وست عشرة سنة^(٣) . كان أول بركتهم أنّ الله - تعالى - رفع الثّواعين والموتان الجارف ، فإنهم كانوا يُحصّلون حصداً بعد حصد .

ثمّ الذي تبيّن واتّفق ، وخصّ به آل أبي طالب من الغرائب والعجائب والفضائل ، ما لم نجده في أحد سواهم : وذلك أنّ أول هاشمي هاشميّ الأبوين كان في الدنيا وليد لأبي طالب ، لأنّ أباهم عبد مناف . وهو أبو طالب بن شيبه - وهو عبد المطلب - بن هاشم - وهو عمرو - وهو أبو شيبه . وشيبه هو عبد المطلب . وهو أبو الحارث وسيد الوادي غير مدافع . بن عمرو : وهو هاشم بن المغيرة ، وهو عبد مناف .

ثمّ الذي تبيّن لبني أبي طالب الأربعة : أنّ أربعة إخوة كان بين كلّ واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواء . وهذا عجب .

(١) أي ، خصّة ، أو ميزة . ب : « واحد » تحريف ما في م .

(٢) في النسختين : « واحدة » تحريف .

(٣) هذا يؤخّر عن تأليف هذا الكتاب ، وهو سنة ٢٤٨ ، أي قبل وفاة الجاحظ بسبع

سنوات .

ومن الغرائب التي خُصَّوا بها ، أغنى ولدَ أبي طالب ، أننا لا نعلم الإذكار في بلدٍ من البلدان . وفي جيلٍ من الأجيال ، [إلا^(١)] أهل خراسان فمن دونهم ، فإنَّ الإذكار فيهم قاشي ، كما أنك لا تجد من وراء بلاد مصر إلاَّ مثنائاً ، ثم لا ترى فيهنَّ مُفيداً^(٢) بل لا ترى إلاَّ التؤامَ ومن البنات .

فتهيأ في آل أبي طالب من الإذكار ما لم نعرفه^(٣) في قديم الدهر وحديثه ، ولا فيما قُرب من البلدان ولا فيما بُعد .

وذلك أنَّ آل أبي طالب أخصُّوا منذُ أعوامٍ وحُصِّلوا ، فكانوا قريباً من ألفين وثلاثمائة ، ثم لا يزيد عدُّ نسايم على رجلهم إلاَّ دون العشر^(٤) . وهذا عجيب .

وإن كنتَ تريد أن تتعرف^(٥) فضل البناتِ على البنين ، وفضل إناثِ الحيوانات على ذكورها ، فابدأ فخذ أربعين ذراعاً عن يمينك ، وأربعين ذراعاً عن يسارك ، وأربعين خلفك ، وأربعين أمامك ، ثم عدَّ الرجال والنساء حتى تعرف ما قلنا^(٦) ، فتعلم أنَّ الله تعالى لم يُحلِّل للرجل الواحد من النساء أربعاً ثم أربعاً ، متى وقع بين موتٍ أو طلاقٍ ، ثم كذلك للواحد^(٧) مابين الواحدية من الإماماء إلى مايشاء من العدد ، مجموعاتٍ ومفترقات ، ثلاثاً يَبْتَقِينَ إلاَّ ذواتِ أزواج^(٨) .

(١) تكله يفتر إليها صحة الكلام .

(٢) أفدت : ولدت ولداً واحداً ، وإن كان من عاداتها أن تلد واحداً فهي مفاد .

(٣) في النسختين : « يعرفه » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « لادون البشر » ، صوابه في م .

(٥) م : « أن تعرف » .

(٦) ب : « بما قلنا » .

(٧) في النسختين : « الواحد » .

(٨) ب : « لاذوات أزواج » م : « لاذات أزواج » ، والوجه ما أثبت .

ثم انظر في شأن ذَوَاتِ الْبَيْضِ^(١) وذوات الأولاد فإنك ستري في دار خمسين دجاجةً وديكاً واحداً ، ومن الإبل المَجْمُةَ وفحلاً واحداً ، ومن الحميم العانةَ وعيراً واحداً . فلما حصلوا كل مئناث وكل مذكار ، فوجدوا آل أبي طالب قد برعوا على الناس وقضلوهم^(٢) ، عرف الناس موضع الفضيلة له والخصوصية .

وفي ولد أبي طالب - أيضاً - أعجوبة أخرى ، وذلك أنه لم يوجد قط في أطفالهم طفل يحبو ، بل يزحف زحفاً ثلثاً ينكشف منه عن شيء يسوءه ، ليكون أوفر لبهاته ، وأذل على ماخصوا به .

ولم ين الأعاجيب خصلة أخرى : وذلك أن عبيد الله بن زياد قتل الحسين في يوم عاشوراء ، وقتله الله يوم عاشوراء في السنة الأخرى .

وقالوا : لا نعلم موضع رجل من شجعان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان له من عدد القتلى^(٣) ما كان لعل رضوان الله عليه ، ولا كان لأحد مع ذلك من قتل الرؤساء والسادة ، والمتبوعين والقادة ، ما كان لعل بن أبي طالب . وقتل رئيس واحد ، وإن كان دون بعض الفرسان في الشدة ، أشد ؛ فإن قتل الرئيس أَرَدُ على المسلمين وأقوى لهم من قتل الفارسي الذي هو أشد من ذلك السيد .

وأيضاً - أنه قد جمع بين قتل الرؤساء وبين قتل الشجعان .

وله أعجوبة أخرى ؛ وذلك أنه مع كثرة ما قتل وما بارز ، وما مشى بالسيف إلى السيف ، لم يُجرح قط^(٤) ولا جرح إنساناً إلا قتلته ،

(١) في النسخين : « ولا ذات البيض » ، صوابه ما أثبت .

(٢) م : « وقضوا » .

(٣) في النسخين : « من عدد القتلى » ، والصواب ما أثبت . والمراد عدد من قتل من ناله .

(٤) م : « لم يخرج قط » ، صوابه ق ب .

ولا نعلم في الأرض متى ذُكر السبق في الإسلام والتقدم فيه ، ومتى ذُكر الفقه في الدين ، ومتى ذُكر الزهد في الأموال التي تشاجر الناس عليها ، ومتى ذُكر الإعطاء في الماعون ، كان مذكوراً في هذه الحالات كلها - إلا على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

قالوا : وكان الحسن يقول : قد يكون الرجل عالماً وليس بعابد ، وعابداً وليس بعالم ، وعابداً وليس بعقل ، وعاقلاً وليس بعابد . وسليمان ابن يسار^(١) عالم عاقل عابد ، فانظر أين يقع خصال سليمان من خصال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولم يكن قصيدنا في أول هذا الكتاب إلى ذكر هاشم ، وقد كان قصيدنا الإخبار عن مكة بما قد كتبناه في صدر هذا الكتاب ، ولكن ذكر خصال مكة جر ذكر^(٢) خصال قریش ، وذكر خصال قریش جر ذكر^(٣) خصال بني هاشم .

فإن أحسبت أن تعرف جملة القول في خصال بني هاشم فانظر في كتابي هذا الذي فرقته فيه بين خصال بني عبد مناف وبين بني مخزوم ، وفرقت^(٤) ما بين عبد شمس ، فإنه هناك أوفر وأجمع ، إن شاء الله تعالى .

(١) هو أبو أيوب ، أو أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ، سليمان بن يسار الملال اللقي ، مولد ميمونة ، ويقال كان مكاتباً لأم سلمة . روى عن ميمونة وأم سلمة وعاتكة وزيد ابن ثابت وابن عباس وغيرهم . وعنه عمرو وعبد الله ابنا دينار ، وأبو الزناد والزهري ونافع وغيرهم . وكان ثقة عابداً ، يصوم يوماً ويفطر يوماً . ولد سنة ٢٧ وتوفي سنة ١٠٧ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٢ : ٤٥ .

(٢) ب : « جر ذلك » ، صوابه في م .

(٣) ب : « جر ذلك » ، صوابه في م .

(٤) م : « وفرق » ، وأثبت ما في ب .

٧ - فصل منه

قالوا: وقد تعجبَ الناسُ من ثباتِ قريش ، وجزالة عطايهم ، واحتمالهم المؤنَّ الغلاظ^(١) في دوام كسبهم من التجارة ، وقد علموا أنَّ البخلَ والبصر^(٢) في الطُفیف مقرونٌ في التجارة ، وذلك خلقٌ من أخلاقهم . وعلى ذلك شاهدُ أهلِ الترقيح^(٣) والتكسب والتلنيق^(٤) .

فكان في ثبات جودهم العالی على جود الأجواد ، وهم قومٌ لا كسبَ لهم إلا من التجارة ، عَجِبُ من العَجَب .

ثم جاء ما هو أعجبُ من هذا وأطم^(٥) ، وذلك أننا قد علمنا أنَّ الرومَ قَبْلَ التَّليْنِ بالنصرانية ، كانت تنصفُ من ملوك فارس ، وكانت الحروب بينهم سجالاً ، فلما صارت لا تَليْنُ بالقتل والقتال ، والقود والقصاص ، اعتراهم مثلُ ما يعتري الجبناء حتى صاروا يتكلفون القتالَ تكلفاً . ولما خامرت طبائعتهم تلك النِّيانة ، وسرَّت في لحومهم ودمائهم فصارت^(٦) تلك النِّيانة تعرّض عليهم ، خرّجوا من حدود الغالبية إلى أنَّ صاروا مغلوبين .

وإلى مثل ذلك صارت حالُ التُّغزُر^(٧) من التُّرك . بعد أن كانوا

(١) ب : « المؤمن الغلاظ » ، صوابه في م .

(٢) في النسخين : « والبصر » .

(٣) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه . م : « الترقيح » ، تحريف .

(٤) في النسخين : « والمكسب » ، والوجه ما أثبت . والتلنيق : البخل والشفح ، مأخوذ من التلنيق بكسر التوْن وقصها ، وهو سبب التلنيق والفرم .

وفي حديث الحسن : « لمن أذه الدائق ومن دق » . والمراد به هنا الحرص والدقة في المعاملة .

(٥) أي أكثر وأطم . ومعها الطامة ، وهي القيامة ، والداهية .

(٦) م : « فسارت » ، صوابه في ب .

(٧) التُّغزُر : جيل من التُّرك كانوا يعيشون في بقاع موعظة نحو الغرب ، وكانوا جيوشاً هزلياً ، أو القرائق . وقد اتحد من نسلهم أحد بن طولون . انظر دائرة المعارف الإسلامية في رسمها . ب : « التُّغزُر » م : « التُّغزُر » صوابها ما أثبت . وانظر حواشي الكامل لابن الأثير ١١ : ١٧٨ بيروت .

أَنجَادَهُمْ وَحَمَاتَهُمْ ، وَكَانُوا يَتَقَدَّمُونَ الْخَرْجِيَّةَ^(١) ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْعَدَدِ أَضْعَافَهُمْ ، فَلَمَّا دَانُوا بِالزُّنْدَقَةِ - وَدِينُ الزُّنْدَقَةِ فِي الْكَفِّ وَالسُّلْمِ - أَسْوَأَ مِنْ دِينِ النَّصَارَى - نَقَصَتْ تِلْكَ الشُّجَاعَةُ ، وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّهَامَةُ .

وَقَرِيشٌ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعَرَبِ دَانُوا بِالتَّحْمُسِ ، وَتَشَدَّدُوا فِي الدِّينِ ، فَتَرَكَوا الْغَزَا كِرَاهَةً لِلْسَّيِّئِ وَاسْتَحْلَالِ الْأَمْوَالِ وَاسْتِحْسَانِ الْقَضَبِ ؛ فَلَمَّا تَرَكَوا الْغَزَا لَمْ تَبْقَ مَكْسَبَةٌ سِوَى التَّجَارَةِ ، فَضَرَبُوا فِي الْبِلَادِ إِلَى قَيْصَرَ بِالرُّومِ ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحِمْصَةِ ، وَإِلَى الْمُقَوْقِسِ بِصُرٍّ ، وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ تُجَّارًا خُلَطَاءَ ، وَبَانُوا بِاللِّبَانَةِ وَالتَّحْمُسِ ، فَحَمَسُوا بَنِي عَامِرِ ابْنِ صَعْبَةَ ، وَحَمَسُوا الْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ ، فَكَانُوا - وَإِنْ كَانُوا حُمَسًا - لَا يَتَرَكونَ الْغَزَا وَالسَّيِّئَ وَوِطَةَ النِّسَاءِ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالِ ، فَكَانَتْ نَجَلَتُهُمْ - وَإِنْ كَانَ أَنْقَصَ - فَلِإِنَّهَا عَلَى حَالِ النَّجَلَةِ ، وَلَمْ يَفْقِدْ فِي ذَلِكَ بَقِيَّةً^(٢) .

وَتَرَكَتْ قَرِيشُ الْغَزَا بَيْتًا ، فَكَانُوا - مَعَ طَوْلِ تَرْكِ الْغَزَا - إِذَا غَزَوْا كَالْأَسْوَدِ عَلَى بَرَائِثِهَا ، مَعَ الرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، وَالْبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ .

أَفَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَبْقَى نَجَلَتُهُمْ ، وَتَثْبُتَ بِسَائِلَتِهِمْ ، ثُمَّ يَغْلِبُونَ الْأَنْجَادَ وَالْأَجَادَ ، وَيَقْرَعُونَ الشُّجْعَانَ^(٣) ؟ ! وَهَئَانِ الْأَعْجُوبَتَانِ بَيْنَتَانِ^(٤) .

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ سَبَبَ اسْتِفَاضَةِ النُّجَلَةِ^(٥) فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْخَوَارِجِ

(١) ق ب : « الْخَرْجِيَّة » م : « الْخَرْجِيَّة » ، صوابها مَا أَثَبَتْ . وَانْظُرْ دَائِرَةَ الْمَعَارِفِ (عَرْنَج) وَ (قَرْنَج) .

(٢) الْبَقِيَّةُ : الْفَضْلُ فِيمَا يَبْلُغُ بِهِ .

(٣) فِي التَّحْمُسِ : « وَيَقْرَعُونَ الشُّجْعَانَ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثَبَتْ . قَرَعَ الْقَوْمُ : عَلِمَ وَفَاتَهُمْ .

(٤) فِي التَّحْمُسِ : « بِلَيْتَانِ » .

(٥) ب : « أَنَّ السَّبَبَ اسْتِفَاضَةُ النُّجَلَةِ » ، صَوَابُهُ ق م .

وتقتلهم في ذلك ، إنما هو بسبب الديانة ، لأننا نجد عبيدهم ومواليهم ونساءهم ، يقاتلون مثل قتالهم ، ونجد السجستاني وهو عجمي ، ونجد اليماني والبحراني والخوزي^(١) [وهم غير^(٢) عرب] ، ونجد إياضية عمان وهي بلاد عرب ، وإياضية تاهرت وهي بلاد عجم ، كلهم في القتال والنجدة ، وثبات العزقة ، والثقة في البأس سواء . فاستوت حالهم في النجدة مع اختلاف أنسابهم وبلدانهم . أفما في هذا دليل على أن الذي سوى بينهم التدين بالقتال ، وضروب كثيرة من هذا الفن ؟
وذلك كله مضمور في كفي ، والحمد لله .

وقد تجلبون عموم السخف والجهل والكذب في المواعيد ، والفش في الصناعة ، في الحاككة^(٣) ، فدل استواء حالهم في ذلك على استواء عملهم . ليست هناك علة إلا الصناعة ؛ لأن الحاككة في كل بلد شيء واحد . وكذلك النخاس وصاحب الخلقان^(٤) ، وبياع السلم . وكذلك الملاحون وأصحاب السباد ، أولهم كآخريهم ، وكهولهم كشبانهم ، ولكن قل في استواء الحجامين في حب التبيذ^(٥) !

٨ - فصل منه

في ذكر المدينة

وأمر المدينة عجب ، وفي تربها وتربها^(٦) وهواها ، دليل وشاهد

(١) م : « والخوزي » . والخوز هم أهل خوزستان .

(٢) تكله يقتصر الكلام إليها .

(٣) ما يبدى إلى « الحاككة » التالية ، ساقط من م .

(٤) انظر لأصحاب الخلقان ما مضى في ١ : ٥٢ والحيوان ٢ : ١٠٥ .

(٥) أي حدث عنهم ولا حرج .

(٦) القرية : ظاهر الأرض . ومطه في الحيوان ٣ : ١٤٢ : « وفي ربيع تربها وبنة

تربها » .

وبرهاناً على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها طيبة تنقي حثها وتنصع طيبها»^(١) «لأن من دخلها أو أقام فيها . كانتا من كان»^(٢) من الناس . فإنه يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة . ليس لها اسم في الأرايح»^(٣) ، وبذلك السبب طاب طيبها والمعجونات من الطيب فيها . وكذلك العود وجميع البخور ، يضاعف طيبها في تلك البلدة على كل بلد استعمل ذلك الطيب بعينه فيها .

وكذلك صيّاها^(٤) والبَلَح^(٥) والأترج^(٦) والسفرجل ، أغنى المجعول منها سُحْباً للصبيان والنساء^(٧) .

فإن ذكروا طيب سابور^(٨) فإنما طيب سابور بطيب أرياح الرياحين ، وذلك من ريح رياحينها وبساتينها وأنوارها ، ولذلك يقوى في زمان ، ويضعف في زمان .

ونحن قد ندخل دجلة^(٩) في نهر الأبلّة بالأسحار ، فنجد من تلك

(١) في اللسان (نص) : «وفي الحديث : المدينة كالأكبر ، تنقي حثها وتنصع طيبها ، أي تخلصه» . وانظر الألف المختارة الحديث ١٥٩ . وفي رواية أخرى .

(٢) م : «ماكان» .

(٣) ركنا في الحيوان ٧ : ٢٣٠ : «وجد منها عرفاً طيباً وبنة صبية لا تقى على أحد ولا يستطيع أن يمسها» .

(٤) السباح ، يوزن كان : حطر أو غسل ، كما في القاموس . وفي التستين : «سباحها» ، تحريف . وانظر الحيوان ٣ : ١٤٢ - ١٤٣

(٥) في التستين : «والتلج» ، صوابه من الحيوان ٣ : ١٤٤ ، وفي : «وإن الجورية السوداء لتجمل في رأسها شيئاً من بلع وشيئاً من نضوج مما لا قيمة له لوانه على أهله ، فتجد لذلك خرة طيبة ، وطيب رائحة لا يملأ بيت مروس من ذوى الأقدام» .

(٦) السحب ، بفتح السين : جمع سحب ككتاب ، وهو غيط ينظم فيه غرز وتلبسه الصبيان والجوارى .

(٧) سابور : كودة بأرض فارس ، مدينها التوبندجان ، أو شهرستان . وهي كودة نزهة كما ذكر ياقوت .

(٨) ب : «دخلة» ، صوابه في م .

(٩) (٩ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

الحدائق ، ونحن في وَسَطِ النهر ، مِثْلُ ما يجد أهل سابورَ من تلك الرائحة .

وطَبِيبَةٌ^(١) التي يسمونها المدينة ، هذا الطَّيِّبُ خِلْقَةٌ فيها ، وجوهريَّةٌ منها ، وموجودٌ في جميع أحوالها . وإنَّ الطَّيِّبَ والمعنوناتِ لَتُحْمَلُ إليها فتزداد فيها طيباً ، وهو ضدُّ^(٢) قَصَبَةِ الأهواز وأنطاكية ، فإنَّ التَّوَالِيَّ تستحيل الاستحالة الشَّديدة^(٣) .

ولسنا نشكُّ أنَّ ناساً يتتايون^(٤) المواضع التي يباع فيها التَّوَى المنقَّع ، فيستنشقون تلك الرائحة ، يُعَجِّبون بها ويلتمسونها ، بقدر فِرارنا نحن من مواقع التَّوَى عندنا بالعراق ، ولو كان من التَّوَى المَعْجُوم ومن تَوَى الأفواه^(٥) .

ونحن لا نشكُّ أنَّ الرجل الذي يأكل بالعراق أربع جَرَادٍ^(٦) في مقعد واحد من المَيْسَانِ^(٧) والمَوْصِلِ ، أنَّه لا يأكل من أقراص المدينة قُرْصَيْنِ ؛ ولو كان ذلك لغلظ فيه أو لفساد كان في حبه وطَّيِّبُه لَظَهَرَ ذلك في التَّخَمِّ وسوء الاستمرار ، ولتولَّد على طول الأيام من ذلك أوجاعٌ وفساد كثير .

ولم يكن بها طاعونٌ قطُّ ولا جُذام .

(١) طيبة ، بالفتح : اسم للمدينة ، وبالكسر : اسم من أسماء زمزم .

(٢) ب : « عند » ، صوابه في م .

(٣) الغالية : ضرب من الطَّيِّب ، وقد تفل ، أي تخلق بها .

(٤) ب : « يتتايون » .

(٥) المَعْجُوم : الملقوق . والأفواه : جمع فوه كسوق ، وهي الثَّوَابِلُ وفوائج الطَّيِّب .

وانظر الحيران ٣ : ١٤٤

(٦) الجرادة : الرغيف ، فارسي مرعب . ويقال جردي أيضاً .

(٧) نَبْهَةٌ إل ميسان ، بالفتح ، وهي كورة بسواد العراق .

وليس لبلدة من البلدان من الشُّهرة^(١) في الفقه مألهم ولرجالهم ،
وذكر عبد الملك بن مروان رَوْحَ بن زَنْبَاعٍ^(٢) فمدحه فقال : جمع
أبو زُرَّة فقه الحجاز ، ودَّعَاءُ العراق ، وطاعة أهل الشام^(٣) .

٩- فصل منه

في ذكر مصر

قال أبو الخطَّاب^(٤) : لم يذكر الله جلَّ وعزَّ شيئاً من البلدان باسمِهِ
في القرآن كما ذكر مِصْرَ ، حيث يقول : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ
لَا مِرْيَةَ أَكْرِيهِ مَضَىٰ ﴾^(٥) . وقال : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ
أَبُوئِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾^(٦) . وقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ
مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّعَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعِلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾^(٧)
وقال تعالى : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا سَأَلْتُمْ ﴾^(٨) . وقال في آية :
﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾^(٩) .

(١) في النسختين : « الشهرة » ، صوابه ما أثبت .

(٢) هو أبو زُرَّة روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذلي . قال ابن حجر في الإصابة :
ذكره بعضهم في الصحابة ولا يصح له صحبة ، بل يجوز أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم . وكان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغاني ١٧ : ١١١ . وزوجه عبد الملك
ابن مروان أم جعفر بنت النعمان بن بشير . الحيوان ١ : ٢٢٦ . وكان سيد جذام . البيان ١ : ٣٤٦
(٣) الخبر في الإصابة ٢٧٠٧ .

(٤) أبو الخطاب هذا هو قتادة بن دعامة السكوسي البصري . وهو من ولد أعمى ، وكان
تابعياً عالماً كبيراً نساباً ، وذا علم في القرآن والحديث والفقه . أخذ عن الحسن وابن سيرين ،
وعنه أيوب السخيتاني وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم . وروى له البخاري ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ في أيام هشام بن الملك .
تهذيب التهذيب ، ووفيات الأعيان ، وصحاح الأديب ، والمطرف ، وتكتل الحليان .

(٥) الآية ٢١ من سورة يوسف . (٦) الآية ٩٩ من سورة يوسف .

(٧) الآية ٨٧ من سورة يونس . والكلام بعدها إلى « تجري من تحتي » ساقط من ب .

(٨) الآية ٦١ من سورة البقرة . وقرأ الحسن والأعمش : « مصر » بـ لا تنوين . وانظر

إتحاف فضلاء البشر ١٣٧ .

(٩) الآية ٥١ من سورة الفرقان .

وذكر مصرَ في القرآن بالكِنَاية عن خاصّة اسمِها ، فمن ذلك :
﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ^(١) ﴾ قالوا ^(٢) :
هي مدينة مَنَف ^(٣) ، وهو موضعُ منزلِ فرعون .

وأخبرني شيخٌ من آل أبي طالبٍ من ولد عليٍّ صحيحُ الخبرِ : مَنَف دارُ فرعون ، ودُرْتُ في مجالسِهِ ومثاويه ^(٤) وعُرفه وصِفاهه ، فإذا كلُّه حجرٌ واحدٌ منقور ؛ فلئن كانوا هَنَلَمَوْهُ وأحكوا بِناءه حتّى صار في اللامسة واحداً . لا يُسْتَبَانُ فيه مَجْمَعُ حَجَرَيْنِ ، ولا مُلتَقَى صَخْرَتَيْنِ فهذا عَجَبٌ . ولئن كان جِبَلًا واحدًا ، ودَكًا واحدًا ، فنقرته الرجالُ بالمناكير حتّى خرقت فيه تلك المَخَارِق ، إنَّ هذا لأَعْجَبُ .

وفي القرآن : ﴿ قُلْنَ أَبْرَحَ الْأَرْضِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ^(٥) ﴾ .

قال : والأرضُ ها هنا مصر . وفي هذا الموضع كلامٌ حسنٌ ، ولكنّا ندعُه مخافة أن نخرج إلى غير الباب الذي أَلْفَنَّا له هذا الكتاب .

قالوا : وسَمَّى الله تعالى مَلِكًا مِصرَ «العَزِيز» ، وهو صاحبُ يوسف ، وسَمَّى صاحبَ موسى « فرعون » .

قالوا : وكان أصلُ عُتُو فرعونَ مُلْكَه العَظِيمَ ، ومملكته التي لا تُشَبَّهها مملكة .

(١) الآية ٣٠ من سورة يوسف .

(٢) ب : « قال » .

(٣) في النسختين : « مرو » ، صوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى .

(٤) اللغوي : المنزل ، وموضع الإقامة . وفي النسختين : « ومساويه » ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٥) الآية ٨٠ من سورة يوسف .

قالوا : ومنهم مؤمن آلِ فرعون . وهي آسية بنت مزاحم .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيدة نساء العالم خديجة بنت
خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت
مزاحم » .

قال ^(١) : ولما هم فرعون يقتل موسى قالت آسية : لا تقتله عسى
أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . وقالت : وكيف تقتله ، والله ما يعرف الجمره
من الثمرة .

ومنهم السحرة الذين كانوا قد أبروا على أهل الأرض ^(٢) ، فلما
أبصروا بالأعلام ، وأيقنوا بالبرهان ، استبصروا وتابوا توبة ماتابها
ما عز بن مالك ^(٣) ، ولا أحد من العالمين ، حتى قالوا لفرعون : ﴿ اقض
ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليفزر لنا
خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ^(٤) 〉 .

وجاء في الحديث : « من أخرب خزائن الله قتلته لعنة الله » . قالوا ^(٥) :

(١) أي شيخ من آل أبي طالب . أو لعلها : « قالوا » .

(٢) أبروا عليهم إبراؤ : غلبهم . ومنه قول طرفة :

يكشفون الفجر عن ذي شرم ويرون عسل الآبي السبر
وزي النسيجين : « قد أبروا على أهل الأرض » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ما عز بن مالك : أحد الصحابة ، كان قد زنى فآثر على نفسه ، وانطلق إلى رسول الله
يطلب منه إقامة الحد عليه ، وألح في ذلك إلحاساً . فأمر الرسول بريحه فرج ، فلما حسه
من الحجارة انطلق يسى ، فاجله رجل يلحى جزور فصره فصره . وقال صلى الله عليه وسلم
في شأنه : « لقد تاب توبة لو تابها ملائكة من أمي لأجزأت عنهم » ، كما قال : « والله نفسى
بيده إنه الآن لن أنهار الجنة يقض فيها » . انظر مسند أحمد : ٢١٧ والسنة الكبرى
البيهقي ٨ : ٢٢٥ - ٢٢٨ ومسلم ٢ : ٣٣ - ٣٥ والإصابة ٧٥٨١ وتؤويل مختلف الحديث لابن
قتيبة ٢٢٨ - ٢٤١

(٤) الآية ٧٢ من سورة طه . ونصها : « فلقض ما أنت قاض » ، والاحتباس من القرآن
الكريم مع ترك حرف جالز لا بأس به . انظر حواشي الجيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٥١ .
(٥) ب : « قال » ، وأثبت ما في م .

خزائن الله هي مصر ، أما سمعتم قول يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ (١) ؟

وقال عبد الله بن عمرو : « البركة عشرُ بركات : تسعُ بمصر والواحدة في جميع الأرض » .

١٠ - فصل منه

وقال أهل العراق : سألنا بطريق خَرْشَنَةَ (٢) عن خَرَّاجِ الرُّومِ ، فذكر مقداراً (٣) من المال ، وقال . هو كذا وكذا قِنْطَاراً . فنظر بعضُ الوزراء فإذا خَرَّاجُ مصر وَحْدَهُ يُضْعِفُ على خَرَّاجِ بلادِ الرومِ إذا جُمِعَتْ أبوابُ المالِ من البلادِ جميعاً .

وزعم أبو الخطاب (٤) أَنَّ أَرْضَ مصر جُبِيتْ أربعةَ آلافِ ألفِ دينار .

١١ - فصل منه

ولا أعلمُ الفُرْقَةَ في المقربِ إلا أكثرَ من الفُرْقَةِ في المشرقِ ، إلا أَنَّ أَهْلَ المغربِ إذا خرجوا لم يَزِيدُوا على البِدْعَةِ والضَّلَالَةِ ، والخارجيُّ في

(١) الآية ٥٥ من سورة يوسف .

(٢) خَرْشَنَةُ : بلدٌ قربَ ملطية من بلادِ الرومِ ، كما في ياقوت . وانظر الجوهري ٣ : ٢١٥ والبيان والتبيين ٢ : ٤٤ ، ٢٦٥ . وفي النسختين : « حرسه » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ب : « مقدار » ، صوابه في م .

(٤) أبو الخطاب قلادة بن دعامة المترجم في ص ١٣١ .

المشرق لا يرعى بذلك حتى يجوزَه إلى الكفر ، مثل المقنع^(١) وشيخان^(٢) والإصبيد^(٣) وبابك^(٤) ، وهذا الضرب .

١٢ - فصل منه

وقد علمنا أن لجماعة بني هاشم^(٥) طائفاً^(٦) في وجوههم يستبين به كرمُ الصق وكرمُ التجار^(٧) ، وليس ذلك لغيرهم .

ولقد كادت الأهواز تُغيد هذا المعنى على هاشمية الأهواز ، ولولا

(١) هذا هو المقنع الحرساني ، وكان قد خرج على المهدي بخراسان سنة ١٦١ . وكان أمود قصاراً ، من قرية يقال لها « كازه كيردان » ، وكان قد حرف شيئاً من المهتمة والحيل والبرنجات فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التنسخ ، واحتجب عن الناس بمرقع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين أربع عشرة سنة ، أباح لهم فيها كثيراً من المحرمات ، فوجه إليه المهدي عدة من قواده ، وجعل المقنع يجمع الطعام عدة الحصار في قلعة بكش ، وقد تمكن سيد الحرش من تشييد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سماً وسقاه نساء وأهله فأتوا جميعاً ، ودخل المسلمون قلعه سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي . الطبري في حوادث ١٦١ - ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ - ٢٤٥ والآثار الباقية لليزوني ٢١١ وشروح سقط القرنة ١٥٤٥ .

(٢) هو شيخان بن عبد العزيز المروزي الشكري ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد بعد مقتل الضحاك بن قيس الشيباني رأس الخوارج ، وقد طارده مروان حتى صار شيخان إلى عمان فقتله بها جلتنى بن مسعود سنة ١٢٩ . الطبري في حوادث سنة ١٢٩ . وفي التستئين : صيفاد .

(٣) هو الفرخان ، إصبيد خراسان على طبرستان . وقد جرى فتح طبرستان على يد سويد ابن مقرن سنة ٢٢ ، وذلك بعد عهد بالصلح تاريخه سنة ١٨ . انظر الطبري . والإصبيد هو بالفارسية « إصبيد » بضم الباء الأول فقط ، ومعناه : القائد العام . استنجاس ٤٨ . وفي ب : « والإصبيد » وفي م : « والإصبيد » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) هو بابك الخرمي ، وليس الخرمية بعد موت زعيمهم جلويديان بن سهل ، ولشعت شوكة في أيام المتصم ، وحاربه الأفشين واستولى على مقله مدينة البذ ، ثم وقع في يد سهل بن سباط بطريق أرمينية وقبض عليه وهو يصطاد ، ووصله إلى الأفشين ، وصلبه المتصم سنة ٢٢٢ . الطبري ، ودائرة المعارف الإسلامية .

(٥) ب : « أن الجماعة بني هاشم » ، صوابه في م .

(٦) ب : « طائفاً » ، صوابه في م . والطابع ، بالفتح والكسر : ألقاب التي يتخبط به ، وكذا الميم التي توسم به اللوالب ، والمراد هنا العلامة .

(٧) التجار ، بكسر النون : الأصل والحسب . ب : « التجار » ، م : « البخار » صوابهما ما أثبت .

أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ لَقَدْ كَادَتْ^(١) طَمَسَتْ عَلَى ذَلِكَ الْعِثْقَ وَمَحَتْ^(٢) .
فَتَرَبُّهُهَا خِلَافُ تَرْبَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ
تَخَرَّقَ طُرُقَ الْمَدِينَةِ^(٣) وَجَدَ رَائِحَةً طَيِّبَةً لَيْسَتْ مِنَ الْأَرَابِيحِ الْمَعْرُوفَةِ الْأَسْمَاءِ .

١٣ - فصل منه

قال زياد : الكوفة جارية جميلة لا مَالَ لها ، فهي تُخَطَّبُ لجمالها .
والبصرة عَجُوزٌ شوهاء ذاتُ مالٍ فهي تُخَطَّبُ للمالِها .

١٤ - فصل منه

والقراة خيرٌ من ماءِ النَّيْلِ^(٤) . وإِذَا دَجَلَةُ فَإِنَّ مَاءَهَا يَقْطَعُ شَهْرَةَ
الرُّجَالِ . وَيَذْهَبُ بِصَهِيلِ الْخَيْلِ ، وَلَا يَذْهَبُ بِصَهِيلِهَا إِلَّا مَعَ ذَهَابِ
نَشَاطِهَا ، وَنَقْصَانِ قَوَاهَا ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَسِمِ^(٥) النَّازِلُونَ عَلَيْهَا أَصَابَهُمْ قَحُولٌ
فِي عِظَامِهِمْ^(٦) ، وَيُبْسُ فِي جُلُودِهِمْ .

وَجَمِيعُ الْعَرَبِ النَّازِلِينَ عَلَى شِسَاطِي دِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى بَلَدِ^(٧)

(١) في النسختين : « لولا أن الله غالب على أمره ولقد كادت » ، والوجه إثبات الواو
في أول الكلام وحذفها في آخره .

(٢) في النسختين : « وحجه » ، صوابها ما أثبت .

(٣) تحرق ، أراد يتخلل . ولم أجد نصاً على هذا الفعل إلا ماورد في اللسان ١١ : ٣٦ :
« قال أبو عثمان : الخارق : الملاس يتخرقون الأرض ، بينما هم بأرض إذا هم بأخرى » . وكذا
ماورد في الحيوان ٢ : ٣٣١ من قوله : « يتخرق السانير » .

(٤) يعني نيل الكوفة ، وهو خليج كبير يتخلل من القراة ، حفره الحجاج بن يوسف
وسماه باسم نيل مصر .

(٥) التسم : طلب التسم واستنشقه . في النسختين : « يتسم » ، ولا وجه له .

(٦) القحول : اليبس . م : « القحول » صوابه ق ب .

(٧) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ ، وينسب إليها جماعة
كبيرة من السلاء . ويقال لها أيضاً « بلط » بالطاء . قال ياقوت : « وبلد أيضاً : بلدة معروفة
من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحرق » من أعمال بغداد ، لا أعرف من ينسب إليها .

لا يرعون الخيل في الصيف على أواربها^(١) على شاطئ دجلة ، ولا يسقونها من مائها ، لما يخاف عليها من الصدام^(٢) ، وغير ذلك من الآفات .
وأصحاب الخيل من العتاق والبراذين إنما يسقونها بسر من رأى^(٣) ، ممّا احتفروها من كارياتهم^(٤) ولا يسقونها من ماء دجلة ، وذلك أنّ ماء دجلة مختلط ، وليس هو ماء واحداً ، ينصب فيها من الزابئين^(٥) والنهروانات^(٦) وماء القرات ، وغير ذلك من المياه .

واختلاف الطعام إذا دخل جوف الإنسان من ألوان الطيبخ والإدام غير ضار^(٧) ، وإن دخل جوف الإنسان من شراب مختلف كنحو الخمر والسكر وتبيد التمر والداذي كان ضاراً . وكذلك الماء ، لأنّه متى أراد أن يتجرّع جرّعاً من الماء الحارّ لصلوّه أو لغير ذلك ، فإنّ أعجله أمر فبرده بماء بارد ثم حسّاه ضرّه ذلك ، وإن تركه حتّى يفتّر ببرد الهواء لم يضره . وسبيل المشروب غير سبيل المأكول .

فإن كان هذا فضيلة مائناً على ماء دجلة فما ظنك بفضله على ماء

(١) الأوارى : جمع آرى ، عل وزن فاعول . وهو محبس الدابة . ب : « أواربها »

صوابه في م .

(٢) الصدام ، بضم الصاد وكسرها : داء يأخذ في دوس الثواب . وقال ابن شبل : داء يأخذ الإبل فتضعض بطونها وتنع الماء وهي عطاش لها ما حتى تبرأ أو تموت .

(٣) م : « يئر من رأى » ، تحريف .

(٤) كذا في النسخين . ولعلها « كراهم » . والكراپ : مجلّى الماء في الوادي .

(٥) الزابئين : منى الزاب ، الزاب الأعلى والزاب الأسفل . فالأعل بين الموصل ولابل . والأسفل غرجه من جبال السلق ، وبينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة . ب : « الزابئين » صوابه في م .

(٦) هي ثلاث نهروانات : الأعلى ، والأوسط ، والأسفل . وهي كورة واسعة بين بغداد وراسد من الجانب الشرق .

(٧) ب : « غير ضار » .

البصرة ، وهو ماء مختلط من ماء البحر ومن الماء المستنقع في أصول القصب والبردي قال الله تعالى : ﴿ هَذَا عَذْبُ فِرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾^(١) . والفِرَاتُ أعذبها عُذْبَةً ، وإنما اشْتَقَّ الفِرَاتُ لكلِّ ماءٍ عَذْبٍ ، من فِرَاتِ الكوفة .

١٥ - فصل منه

في ذكر البصرة

كان يقال : الدنيا البصرة^(٢) .

وقال الأحنف لأهل الكوفة : « نحن أعزى منكم برية^(٣) ، وأكثر منكم بحرية^(٤) ، وأبعد منكم سريّة^(٥) ، وأكثر منكم ذُرِّيّة^(٦) » .

وقال الخليل بن أحمد في وصف القصر المذكور بالبصرة^(٧) :

زُرْ وادى القصر نعم القصر والوادي

لا بدّ من زورة عن غير ميعاد^(٨)

ترقى بها السفن والظلمان واقفة

والقصب والتون والملاح والحادي^(٩)

(١) الآية ٥٣ من سورة الفرقان . (٢) في النسختين : « الدنيا والبصرة » .

(٣) في النسختين : « أهل » ، تحريف . « وأعلى » بالذال من الملة بفتح الميم ، وهي الأرض الخصب . وانظر اليان ٧ : ٩٣ - ٩٤ . وفي محاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ : « أعذب منكم برية » ، تحريف .

(٤) نظير هذا القول في معجم البلدان في رسم الكوفة ، منسوب إلى عبد الملك بن الأعمى السدي بلفظ : « نحن والله يا أمير المؤمنين أوسع منكم برية ، وأعد في البرية ، وأكثر منهم ذرية ، وأعظم منهم نفراً . يأتينا ماؤنا عفواً صفاً ، ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو قاتل » .

(٥) انظر نسبة الشعر في حواشي الحيوان ٦ : ٩٨ . والقصر الذي يشير إليه هو قصر أوس بن ثعلبة بن زهر بن وديعة ، وكان ولي خراسان في الدولة الأموية . وبالبصرة أيضاً قصر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر معجم البلدان .

(٦) ب : « من غير ميعاد » .

(٧) الظلمان ، بالكسر والضم أيضاً : جمع ظلم ، وهو ذكر النعام . ب : والتظلمات ،

صوابه في م وحيون الأخبار ١ : ٢١٧ حيث ورد بهذه الرواية . وفي الحيوان : « ترى به السفن

كالظلمان واقفة » . وفي الأيتمة ١ : ٩٦ وثمار القلوب ٤١٨ : « رقى به السفن والظلمان حاضرة » .

ومن أتى هذا القصر وأتى قصر آنس^(١) رأى أرضاً كالكاפור^(٢) ،
 وثروة ثرية ، ورأى ضباً يُحترش ، وعزلاً يُقتنص ، وسكاً يُصاد ،
 ما بين صاحب شيص وصاحب شبكة ، ويسمع غناء ملاح على سكاكه ،
 وحذاء جمال على بعيره .

قالوا : وفي أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الخزير^(٣) يذكر
 الناس أنهم لم يروا قط هواء أعلك ، ولا نسيماً أرق ، ولا ماء أطيب
 منها في ذلك الموضع .

وقال جعفر بن سليمان^(٤) : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين
 العراق ، والمربد عين البصرة ، وداري عين المربد » .

وقال أبو الحسن وأبو عبيدة : « بُصرت البصرة سنة أربع عشرة ،
 وكوّفت الكوفة سنة سبع عشرة » .

١٦ - فصل منه

زعم أهل الكوفة أن البصرة أسرع الأرض خراباً ، وأخيبها تراباً ،
 وأبعدتها من السماء وأسرعها غرقاً ، ومقيض مائها البحر ، ثم يخرج ذلك
 إلى البحر الأعظم .

وكيف تفرق^(٥) ، وهم لا يستطيعون أن يوصلوا ماء الفيض^(٦) إلى

(١) هو قصر آنس بن مالك ، كما سبق في الحواشي ص ١٢٨ .

(٢) الكافور ؛ ضرب من الطيب . ب : « كالكاورة » ، صوابه في م .

(٣) الخزير ، بستان مسجدين ، كما في مصحح البلدان . وفي م : « الخيزر » ، تحريف .

(٤) المقدم ٦ : ٢٤٩ .

(٥) ب : « يعرف » ، صوابه في م .

(٦) ب : « الفيض » ، بالتين المعجمة .

جياضهم إلا بعد أن يرتفع ذلك الماء في الهواء ثلاثين ذراعاً ، في كلّ سقاية بعينها ، لا ليحوضي بعينه^(١) .

وهذه أرض بغداد في كلّ زيادة ماء ينبع الماء في أجواف قصورهم الشارعة بعد إحكام المسنّيات^(٢) التي لا يقوى عليها إلا الملوك ، ثم يهلمون الدّار التي على دجلة فيكسّون^(٣) بها تلك السّكك ، ويتوقعون الفرق في كلّ ساعة .

قال : وهم يعبّون ماء البصرة ، وماء البصرة رقيقٌ قد ذهب عنه الطّين والرّمْل المشوّب بماء بغداد والكوفة ، لطول مُقامه بالبليحة ، وقد لَانَ وصفا ورقّ .

وإنّ قلم: إنّ الماء الجارى أمراً من الساكن ، فكيف يكون ساكناً مع تلك الأمواج العظام والرياح العواصف ، والماء المنقلب من العلوّ^(٤) إلى السفّل ؟ ومع هذا إنّهُ إذا سار^(٥) من مخرجهِ إلى ناحية المَدَار^(٦) ونهر أبي الأسد^(٧) وسائر الأنهار ، وإذا بَعُدَ من مدخلهِ إلى البصرة من الشّقّ القصير ، جَرَى منقُضاً إلى الصُّخُور والحجارة ، فراسخٌ وفراسخٌ ، حتّى يتنهّى إلينا .

(١) ب : « لا يحوض » .

(٢) المسنّيات : جمع مسنّة ، وهو سدّ يبنى لحجز ماء النيل أو النهر ، به مفاتيح الماء

تفتح على قدر الحاجة . م : « المنيّات » .

(٣) م : « فيكسّون » ب : « فيكسّون » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « من الموال » .

(٥) في التسنّتين : « : « صار » .

(٦) المذار : بلدة في ميسان بين واسط والبصرة ، قصها حجة بن غزوان في أيام عمر بن

الخطّاب بعد البصرة . وفي التسنّتين : « الدار » ، صوابه ما أثبت .

(٧) ذكره ياقوت وقال : « أحد شوب دجلة بين المذار ومطرفة في طريق البصرة ، يصب

هناك في دجلة النطلي » .

ويدلُّ على صلاح ماثم كثرة دُورهم . وطولُ أعمارهم ، وحُسْنُ عقولهم ، ورفقُ أَكْفُهُمْ . وحَقُّهم لجميع الصناعات ، وتقْلُهُم في ذلك لجميع الناس .

ويُسْتَدَلُّ على كرم طِينِهِمْ ببياض كيزانهم^(١) وعلوبة الماء الباث في قِلالهم ، وفي لون آجرهم ، كأنَّما سُبِكَ من مُحِّ بِيض^(٢) . وإذا رأيت بناءهم وبياضَ الجصِّ الأبيض بين الآجرِّ الأصفر لم تجد لذلك شيئاً أقرب من الفِضة بين تضاعيف الذهب .

فإذا كان زمانُ غَلَبَةِ ماء البحر فإنَّ مُسْتَقَامَ من العَلْبِ الزَّلال الصافي ، التَّمِيرُ في الأبدان^(٣) ، على أقلِّ من فرسخ ، وربما كان أقلِّ من ميل .

ونهر الكوفة الذي يسمونه إنَّما هو شُعْبَةٌ من أنهار الفرات ، وربما جَفَّ حتَّى لا يكون لهم مُسْتَقَى إلَّا على رأس فرسخ^(٤) ، وأكثرَ من ذلك ، حتَّى يَحْفِرُوا الآبَارَ في بُطُونِ نَهْرِهِمْ^(٥) ، وحتَّى يضرَّ ذلك بِحَقْصِهِمْ وأشجارهم . فليَنظُرُوا أيُّما أَضَرُّ وأيُّما أَعْيَبَ .

وليس نهرٌ من الأنهار التي تَصُبُّ في دجلة إلَّا هو أعظم وأكبر وأعرض من موضع الجسر^(٦) من نهر الكوفة ، وإنَّما جسره سبع سفائن ،

(١) ب : « بياض كيزانهم » ، صوابه في ش .

(٢) مع البيض : ماقى داخله من أسفر وأبيض . والمح أيضاً : صفرة البيض ، وبياضه هو الترقه . وفي التنخيتين : « مخ » بالميمنة ، صوابه ما أثبت .

(٣) التمر : إلزاكى التابع في الرى .

(٤) في التنخيتين : « فرس » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٥) النهر : بشتين : جمع نهر . وفي الكتاب العزيز : « إن المتقين في جنات ونهر » في قراءة زهير ، والأعمش ، وأبي نعيم ، وأبي جابر الجعفي ، وهو كرم وورن . تفسير أبي حيان ٨ : ١٨٤ . وقراءة الجيهور : « ونهر » بفتحين .

(٦) في التنخيتين : « يخصب » ، صوابه ما أثبت .

(٧) في التنخيتين : « والجسر » بقتلح الواو .

لا نمر عليه دابةً لأنها جُلُوعٌ مَقِيدَةٌ بِلا طينٍ، وما يمشى عليه الماشي إلا بالجهد ؛ فما ظنك بالحوافر والخفاف والأظلاف ؟ !

وعامة الكوفة خرابٌ يباب^(١) ، ومن بات فيها علم أنه في قرية من نهري ورستاق من الرساتيق ، بما يسمع من صباح بنات آوى ، وضباح الثعالب ، وأصوات السباع^(٢) . وإنما الفرات دما^(٣) إلى ما اتصل به إلى بلاد الرقة ، وفوق ذلك .

فلما نهرهم فالنيل أكبر منه ، وأكثر ماء ، وأدوم جرية^(٤) .

وقد تعلمون كثرة عدد أنهار البصرة ، وغلبة الماء ، وتطفح الأنهار^(٥) . وتبقى النخلة عشرين ومائة سنة وكأنها قدح^(٦) . وليس يرى من قُرب القرية التي يقال لها « النيل » إلى أقصى أنهار الكوفة نخلة طالَت شيئاً إلا وهي معوجة كالمنجل . ثم لم نر غارس نخلي قط في أطراف الأرض يرغب في فسيل كوفي^(٧) ، لعلمه بخبيث مغرسه ، وسوء نشوه ، وفساد تربته ، ولؤم طبيعه .

وليس لليالِي شهر رمضان في مسجدهم غُضارة ولا بهاء ، وليس منار مساجدهم^(٨) على صُور منار البصرة ، ولكن على صُور منار الملكانية واليعقوبية^(٩) .

(١) اليباب : إتباع التراب بمناه . وفي التسخين : « نيب » ، تحريف .

(٢) ب : « الثعالب » ، وهو تكرار ، والوجه ما أثبت من م .

(٣) كلما في التسخين .

(٤) في التسخين : « جرة » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الصلح : مطاوع ملقه تطبيقاً : ملاه . ولم تذكر المعاجم هذا المطاوع .

(٦) القلح ، بالكسر : السهم قبل أن يراش ويتصل . وانظر محاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ .

(٧) في التسخين : « لوف » ، صوابه ما أثبت .

(٨) ب : « مسجدهم » . والمنار : جمع منارة ، وهي المظنفة .

(٩) انظر ما مضى في ٣ : ٣١٠ .

ورأينا بها مسجداً خراباً تأويه الكلابُ والسباع ، وهو يضاف إلى
عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه .

ولو كان بالبصرة بيتٌ دخله عليّ بن أبي طالب ماراً لتمسحوا به
وعَمَرُوهُ بأنفسهم وأموالهم .

وغيري من بات أنه لم يركواكبها زاهرة قط ، وأنه لم يرها إلا
ودونها هبوة^(١) ، وكان في ماتهم مزاج دهن . وأسواقهم تشهد على أهلها
بالفقر . وهم أشدُّ بغضاً لأهل البصرة من أهل البصرة لهم ، وأهل البصرة
هم أحسن جواراً ، وأقلُّ بلخاً ، وأقلُّ فخراً .

ثم العجب من أهل بغداد وميلهم معهم ، وعيبيهم إيانا في استعمال
السَّماذ في أرضنا ولنخلنا ، ونحن نراهم يُسْمَلون بقولهم بالعيرة^(٢)
اليابسة صِرْفاً ، فإذا طلع وصار له ورق ذَرَوْا عليه من تلك العيرة اليابسة
حتى يسكن في خلال ذلك الورق .

ويريد أحدهم أن يبنى داراً فيجئ إلى مَزْبلة^(٣) ، فيضرب منها
لَبِناً ، فإن كانت داره مطمئنة ذات قعر حشا من تلك المَزْبلة التي
لو وجدها أصحاب السَّماذ عندنا لباعوها بالأموال النفسية .

ثم يسجرون تنانيرهم بالكساحات التي فيها من كل شيء ، وبالأبعار
والأخشاء ، وكذلك مواقد الكيران^(٤) .

(١) الهبوة : النبرة . ورق التنخين : « هفوة » ، تحريف .

(٢) في التنخين : « بيطرة » ، تحريف .

(٣) المَزْبلة : بفتح الميم والياء ، ويفتحها مع ضم الياء : الموضع الذي يلي فيه التزبل .

(٤) الكيران : جمع كور ، بالنغم ، وهو مجرة اللباد . م : « الكيزان » ، صوابه

وتمتلي ركاباً^(١) ثورهم عِزَّةً فلا يصيبون لها مكاناً، فيحفرون لذلك في بيوتهم آباراً، حتى ربما حفر أحطهم في مجلسه، وفي أنبل موضع من داره. فليس ينبغي لمن كان كذلك أن يعيب البصريين بالتسميد.

١٧ - فصل منه

وليس في الأرض بلدة أرفق بأهلها من بلدة لا يعزُّ بها النقد، وكلُّ مبيع بها يمكن.

فالشمامات وأشباؤها الدِّينار والدِّرهم بها عزيزان، والأشياء بها رخيصة لبعدها المتنقل، وقلة عدد من يتشاع. ففي ما^(٢) يخرج من أرضهم أبداً فضل عن حاجتهم^(٣).

والأهواز، وبغداد، والعسكر، يكثر فيها الدرهم ويعزُّ فيها المبيع لكثرة عدد الناس وعدد الدراهم.

وبالبصرة الأثمان ممكنة والمُثمنات ممكنة، وكذلك الصناعات، وأجور أصحاب الصناعات. وما ظنك ببلدة يدخلها في البادية^(٤) من أيام الصَّرام إلى بعد ذلك بأشهر، ما بين ألفي سفينة تمر أو أكثر في كلِّ يوم، لا يبيت فيها سفينة واحدة، فإن باتت فإنما صاحبها هو الذي يُبيتها، لأنه لو كان حط^(٥) في كلِّ ألف رطلٍ قيراطاً لانتسفت انتسافاً^(٦). ولو أن رجلاً ابتنى داراً يُتممها ويكملها ببغداد، أو بالكوفة،

(١) الركابا : جمع ركبة ، وهي البئر .

(٢) ب : « فيها » . م : « فيها » .

(٣) م : « حاجتهم » .

(٤) أي البادية ، وهو الأول .

(٥) أي وضع من الثمن وأرضه .

(٦) القيراط بالعراق : نصف عشر الدينار . ب : « لا انتسفت » ، صوابه في م .

أو بالأهواز . وفي موضع من هذه المواضع . فبلغت نفقتها مائة ألف درهم ، فإن البصرى إذا بنى مثلها بالبصرة لم ينفق خمسين ألفاً ؛ لأن الدار إنما يتم بناؤها بالعُيُن واللِّين . وبالأجر^(١) والجص^(٢) . والأجذاع والساج والخشب . والحديد والصُّناع . وكل هذا يمكن بالبصرة على الشطر مما يمكن في غيرها . وهذا معروف .

ولم نر بلدة قط تكون أسعارها ممكنة^(٣) مع كثرة الجماع بها إلا البصرة : طعامهم أجود الطعام . وسعرهم أرخص الأسعار ، وتمرم أكثر التمور . وزرع ديسهم أكثر^(٤) . وعلى طول الزمان أنشبر ، يبقى ترمهم الشهرين^(٥) عشرين سنة . ثم بعد ذلك يخلط بغيره فيجىء له اللئس الكثير . والعنب الحلو . والمخائر القوى^(٦) .

ومن يطمع من جميع أهل النخل أن يبيع فسيلاً بسبعين ديناراً . أو بخونة^(٧) بمائة دينار ، أو جريباً بألف دينار^(٨) غير أهل البصرة ؟

١٨ - فصل منه

ولأهل البصرة المد والجزر على حساب منازل القمر لا يقدرون من ذلك شيئاً . يأتيهم الماء حتى يقف على أبوابهم ؛ فإن شاموا أذنوا . وإن شاموا حجبوه .

(١) ب : « والأجر والجص » .

(٢) في النسخين : « يكون أسعارها ممكنة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الرعب ، بالفتح : فصل كل شيء ، كربع السجين والقيق والبر ونحوها .

(٤) الثبريز بكسر الهمزة وضمها : ضرب من التمر . ويقال أيضاً سهرز بالسين المهملة

وبكسر الهمزة وضمها . ب : « يقاء » م : « يقاء » ، ووجه ما أثبت .

(٥) الحارث : التفلط . ب : « والحارث » تصحيف .

(٦) البخونة بفتح الباء وتوالت : ضرب من التمر .

(٧) الجريب : مساحة تربو على ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان .

(٨) - راجع إلى الجاحظ - ج ٤ ()

ومن العَجَب لِقَوْمٍ يَعْبُونَ البَصْرَةَ لِقُرْبِ البحرِ والبَطِيحَةِ^(١) ؛
ولو اجتهد أعلمُ النَّاسِ وأنطقُ النَّاسِ أن يجمعَ في كتابٍ واحدٍ منافعَ
هذه البطيحة ، وهذه الأجمة ، لما قَدَّرَ عليها .

قال زياد : قَصَبَةٌ خيرٌ من نَخْلَةٍ .

وبحقُّ أقول : لقد جَهِدْتَ جَهْدِي أن أجمعَ منافعَ القصبِ ومَرافِقَه
وأجْناسَه ، وجميعَ تصرفِه وما يجيئ منه . فما قَدَّرْتَ عليه حتى قطعته
وأنا محترفٌ بالعجز ، مستسلمٌ له .

فأما بحرُنَا هذا فقد طُمَّ على كُلِّ بحرٍ وأوى عليه ؛ لأنَّ كُلَّ بحرٍ
في الأرض لم يجعلِ اللهُ فيه من الخيرات شيئاً ؛ إلا بحرُنَا هذا ، الموصولُ
ببحرِ الهند إلى مالا تذكر .

وأنتَ تسمعُ بملوحةِ ماءِ البحرِ ، وتستسقطه وتزري عليه . والبحرُ
هو الذي يَخْلُقُ اللهُ تعالى منه اللُّزَّ الذي بيعت الواحدة منه بخمسين
ألفَ دينارٍ ؛ وَيَخْلُقُ في جوفه العنبرُ ، وقد تعرفون قَدْرَ العنبرِ . فشيءٌ
يولدُ هذينِ الجوهرينِ^(٢) كيف يُحَقَّرُ ؟

ولو أنا أخذنا خصالَ هذه الأجمة وما عَظَمْنَا من شأنها . فقدَفْنَا بها
في زاويةٍ من زوايا بحرِنَا هذا لَصَلَّتْ حتى لا نجد لها حِصّاً . وهما لنا
خالصانِ دونكم ، وليس يصلُ إليكم منهما شيءٌ إلا بسببِنَا^(٣) وتعلينَا
فصل غنا^(٤) .

(١) البطيحة : أرض واسعة بين واسط البصرة ، جمعها بطائح ، سميت بذلك لأن المياه
تبلط فيها ، أي سالت واتسعت في الأرض .

(٢) م : « الجوهرية » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « سببنا » ، صوابه في م .

(٤) كذا في النسخين .

وقال بعض خطبائنا^(١) : نحن أكرمُ بلاداً ، وأوسعُ سواداً^(٢) ،
وأكثرُ ساجداً وعاجاً وديباجاً ، وأكثرُ خراجاً .

لأنَّ خراجَ العراقِ مائةُ ألفِ ألفٍ واثنا عَشَرَ ألفَ ألفٍ ، وخراج
البصرة من ذلك ستون ألفَ ألفٍ ، وخراج الكوفة خمسون ألفَ ألفٍ .

١٩ - فصل منه

في ذكر الحيرة

ورأيت الحيرة البيضاء وما جعلها^(٣) الله بيضاء ، وما رأيت فيها
داراً يُذكر^(٤) إلا دار عَوْنِ النَّصْرَانِي الْعِبَادَانِي^(٥) .

ورأيت التُّربة التي بينها وبين قَصَبَةِ الكوفة ، ورأيت لون الأرضِ
فلذا هو أكْهَبُ^(٦) كثيرِ الحَصَى ، خَيْرُنُ الْمَسِّ .

والحيرة أرضٌ باردةٌ في الشَّتَاءِ ، وفي الصَّيْفِ يَنْزِعُونَ سُتُورَ بيوتهم
بمخافةٍ لإحراقِ السَّمائمِ لها .

(١) هو أبو بكر المثلث ، كما في البيان ١ : ٣٥٧ / ٢ : ٩٤ . ونسب بعض هذا القول
إلى خالد بن صفوان في مصب البلدان (رسم البصرة) ومخاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ .

(٢) السواد : القري والريف . وفي التسنين : « سوداً » .

(٣) في التسنين : « وما جعله » .

(٤) في التسنين : « يذكر » ، والنداء مؤنثة .

(٥) ذكره الجاحظ في الحيوان ٤ : ٢٧ قال : « وكان طيائرو رئيس الجائليق ، قد هم
بمنع كلام عون العبادي عندما بلغته من اتخاذا السرازي » . والمعروف في النسبة إلى « العباد » :
عبادي .

(٦) الكهبة ، بالضم : غيرة مشربة سواداً .

١٨

من رسالتي
البلغة والإيجاز

١ - فصل

من صلو رسالته في البلاغة والإيجاز^(١)

قال عمرو بن بحر الجاحظ : درجت الأرض من العَرَب والعجم على
إينار الإيجاز ، وحند الاختصار ، وذهم الإكثار والتطويل والتكرار ،
وكل ما فُضِّلَ عن المقدار .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت ، دائم السكت^(٢)
يتكلم بجوامع الكلم ، لا فُضِّلَ ولا تقصير ، وكان يُبغض الثرثارين
المتشلقين^(٣) .

وكان يقال : أفصح الناس أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم بليغة .
وبالبلاغة إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز^(٤) ، ومعرفة
الفصل من الوصل .

وقيل : العاقل من خزن لسانه . ووزن كلامه ، وخاف الندامة .

وحسن البيان محمود ، وحسن الصمت حكم^(٥) .

(١) هي مما سقط من نسخة هامش الكامل . وليس لها موضع غير نسخي المتحف البريطاني
والتيبورية ، فاتصرت المقابلة عليهما .

(٢) السكت : السكوت . ب : « السمت » ، ولا وجه له هنا .

(٣) المتشلقون : المتوسمون في الكلام من غير احتياط واحترار .

(٤) كلمة « الإيجاز » فقط سابقة من م .

(٥) الحكم ، بالفهم : الحكمة . وفي الحكم : « الصمت حكم وتقلي فاطمة » . الميداني

١ : ٣٦٧ وجهزة الأشبال ١ : ٩٦ والمستقصى ١ : ٣٢٨ مع نسخة في الميداني والمستقصى
إلى لقمان الحكيم . وأورده العسكري حديثاً من حديث ابن عمر ، وأورده كذلك السيوطي في الجامع
الصغير برقم ١٥٧ وذكر أنه حديث ضعيف . وأورده في اللسان (حكم) هيئة شطرنج بيت .

وربما كان الإيجاز محموداً - والإكثار منوعاً . وربما رأيت
الإكثار أحمد من الإيجاز . ولكل مذهب وجه عند العاقل . ولكل
مكان مقال^(١) ، ولكل كلام جواب . مع أن الإيجاز أسهل مراماً^(٢)
وأيسر مطلباً من الإطناب ، ومن قتر على الكثير كان على القليل
أقصر .

والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد ،
والإكثار للتشديد .

٢ - فصل منه

وأما الممنوم من المقال ، فما دعا إلى الملأل ، وجاوز المقدار ،
واشتمل على الإكثار ، وخرج من مجرى العادة .

وكل شيء أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وسعه ، عاد إلى ضد
طباعه ، فتحول البارد حاراً ، ويصير النافع ضاراً ، كالصندل البارد
إن أفرط في حركته^(٣) عاد حاراً مؤذياً ، [و^(٤)] كالثلج يطفى قلبه
الحرارة ، وكثيره يحركها .

وكذلك القرد لما فرط قبحه ، وتناهت سجايته^(٥) استعطيح
واستظرف .

وإلى هنا ذهب من عذ الإكثار عياً ، والإيجاز بلاغة .

(١) المروى « لكل مقام مقال » . ومنه قول الخطيب فيما أنشد ابن ربي في اللسان (حن) :

نحن على ههنا الملك فإن لكل مقام مقالاً

وليس في قصيدته التي على هذا الروي في ديوانه ٣١ - ٣٤ .

(٢) المرام : المطلب والنية . ب : « مرى » ، صوابه في م .

(٣) ب : « في حركه » ، صوابه في م .

(٤) ليست في النسخين .

(٥) م : « سجايته » ، صوابه في ب .

من کتابہ فی
تفضیل البطن علی الظهر

١ - فصل

من صدر كتابه في تفضيل البطن على الظهر^(١)

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الشُّبْهَةِ . وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى .
وَفَضَّلَاتِ الْمَنَى ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكَ تَأْدِيباً^(٢) مُؤَدِّياً إِلَى الزِّيَادَةِ فِي
إِحْسَانِهِ^(٣) ، وَتَوْفِيقاً مُوجِباً لِرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ .

وقد كان كتابك يا ابنِ أخي - وفقك الله - وَرَدَّ عَلَيَّ ، تَصِفُ فِيهِ
فَضِيلَةَ الظُّهُورِ وَصِفَاءَ يَدْلُ عَلَى شَغْفِكَ بِهَا ، وَحُبِّكَ لِيَابِهَا ، وَحَنِينِكَ إِلَيْهَا
وَإِثَارِكَ لَهَا ، وَفَهْمُهُ .

فَلَمْ تَمْنَحْ - أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَدْوِكَ^(٤) - مِنَ الْإِجَابَةِ عَنْ كِتَابِكَ فِي
وَقْتِ زُرُودِهِ ، إِلَّا عَوَارِضُ أَشْغَالٍ مَانِعَةٍ ، وَحَوَادِثُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالِانْتِقَالِ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ عَاتِقَةٍ .

وَلَمْ آمَنْ أَنْ لَوْ نَلَّخَرِ الْجَوَابُ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَلَّخَرُ ، أَنْ يَسْبِقَ
إِلَى قَلْبِكَ أَنِّي رَاضٍ بِاخْتِيَارِكَ^(٥) ، وَمُسَلِّمٌ لِلنَّهْبِكَ . وَمُوَافِقٌ لَكَ فِيهِ .
مُسَاعِدٌ لَكَ عَلَيْهِ ، وَمُنْقَادٌ مَعَكَ فِيهَا اعْتَقَدْتَ مِنْهُ . وَمُجِدٌّ فِي طَلْبِهِ ،
وَمُحَرِّضٌ عَلَيْهِ^(٦) .

(١) هذا الكتاب أيضاً مما سقط من نسخة الكامل . فالجواب هنا على التسخين : المتصف ،
والتي وريته .

(٢) ب : « بأدبنا » ، صوابه في م

(٣) في التسخين : « إلى الزيادة المؤدية في إحسانه » بإقحام كلمة « المؤدية »

(٤) ب : « أعوذ » تحريف . وفي التسخين . « من عدوك » ، ووجه ما أثبت .

(٥) ب : « في أرضي » ، « أن أرضي » ، ووجه ما أثبت .

(٦) في التسخين : « وعرض عليه » بالخاء المهملة .

فبادرتُ بكتابي هذا . منبهاً لك من سِنَةِ رَقْدِكَ ^(١) ، وداعياً إلى رشدك . فإنَّكَ تعلم .. وإن كنتَ لي في مذهبي مخالفاً ، وفي اعتقادي مبانياً ^(٢) - أأنَّ اجتماعَ انتباينين فيما يقعُ بصلاحيهما أولى في حكم العقل ، وطريق المعرفة [منه ^(٣)] فيما أبادهما . وعاد بالضرر في اختيارهما عليهما .

وأنا ، وإن كنتُ كشفتُ لك قِنَاعَ الخِلاف ، وأبديت ^(٤) مكنونَ الغُمير بالمضادة ^(٥) ، وجاهلتني بِنُصرةِ الرأى والعقيدة ^(٦) في حُبِّ الظهور ، وتلفيقِ الفضائل لها ، غَيْرُ مُستشيرٍ لليأس ^(٧) من رجعتك ، ولا شاكٍّ في لطائفِ حكمتك ، وغوامضِ فطنتك .

وقد أعلمُ أَنَّ مَعَكَ - بحمدِ الله - بصيرةَ المعترين ، وتمييزَ الموقنين وأَنَّكَ إذا أُنعمت ^(٨) فكراً وبحثاً ونظراً ، رَجَعْتَ إلى أصلٍ قَوِيٍّ الانقياد والموافقة ^(٩) ، ولم تَتَوَرَّطْ ^(١٠) في اللجاجِ فِعْلَ الْمُعْجِبِينَ ، ولم يتداخلك ^(١١) غِرَّةُ المنتحلين ؛ فإنَّا رأينا قوماً انتحلوا الحكمةَ وليسوا من أهلها ، بل هم أعلامُ الدَّعوى ، وحلفاءُ الجهالة ^(١٢) ، وأتباعُ الخطأ ، وشيخ

(١) في النسخين : « عن سنة رقْدك » .

(٢) في النسخين : « مبانياً » .

(٣) تكلة يفتر إليها الكلام .

(٤) أبديت : أظهرت . وفي النسخين : « أبدأت » ، تحريف .

(٥) المضادة : المخالفة . وفي النسخين : « بالمقابلة » ، تحريف .

(٦) ب : « والمقد » م : « والعقيدة » .

(٧) في النسخين : « للناس » .

(٨) ب : « أُنعمت » ، وأثبت ماوم .

(٩) ب : « والموافقة » بالهاء ، صوابه في م

(١٠) في النسخين : « ولم يتورط » .

(١١) ب : « ولم يتداخلك » .

(١٢) م : « وحلفاء الجهالة » .

الضلالة ، ونحو النقص^(١) ، الذين قامت عليهم الحجة بما نَحَلُّوه أنفسهم من اسمها . وسلبوه من فهم عظيم قدرها^(٢) ومعرفة جليل خطرَها ، ولم يَجَلُّوا الرِّين عن قلوبهم والصدأ عن أسماعهم ، بالتغوير والبحث والتكشُّف^(٣) ، ولم ينصِّبوا في عقولهم لأنفسهم أصلاً يثْلون في اعتقادهم عليه^(٤) ، ويرجعون عند الحيرة^(٥) في اختلاف آرائهم إليه . ففعلوا ، وأصبح الجهلُ لهم إماماً ، والسُّفهاء لهم قادة وأعلاماً .

ونحن نسأل الله بِحَوْلِهِ وطَوْلِهِ وَمَنَّهُ ، ألاَّ يجعلَكَ من أهل هذه الصِّفَةِ ، وأن يُرِيكَ الحقَّ حقاً فتتبعه ، والباطل باطلاً فتجنِّبه ، وأن يُعَمِّنَا ببركة هذا الدعاء ، وجماعة المسلمين . وأن يأخذ [إلى^(٦)] الخير بنواصينا ، ويجمع على الهدى قلوبنا ، ويؤلِّفَ فيه ذاتَ بَيْنِنَا ، فإنَّكَ ما علمتُ - وأتَقَلَّدُ في ذلك أمانة القول - مَنْ أُحِبَّ موافقته ومُخالطته ، وأن يكون في فَضْلِهِ مقدماً ، وعن كلِّ عُضْبَةٍ منزهاً .

وما أعلم حالاً أنا عليها في الرِّغْبَةِ لك فيما أرغب لنفسي فيه ، والسُّرُورِ بتكامل أحوالك ، واستواء مذهبك . وما أَزَايِنُ^(٧) به من إرشادك ونصيحتك ، وتسديلك وتوفيقك . إلاَّ وصدقُ الطَّوْبَةِ مِنِّي فيها أبلغ من إسهاي في فَضْلِ صفتها . والله تعالى المُعِينُ والمُؤَيِّدُ والمُوفِّقُ ، والمبدع ، وَحْدَهُ لا شريك له . والحمد لله ، كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيراً .

(١) الخول ، أصله ما أظلى المرء من ثم وعيب وإماء . والمراد هنا الأتباع .

(٢) ب : « فهم عظيم قدرها » ، صوابه في م . (٣) م : « والتكشيف » .

(٤) في النسخين : « يثبتون عليه في اعتقادهم عليه » و « عليه » الأولى مقسمة .

(٥) في النسخين : « الحيرة » .

(٦) تكله بفقر الكلام إليها .

(٧) زايين : دافع . وفي ب : « أزيين » م : « أزيين » .

٢ - فصل منه

والحقُّ بينَ من التمسَه ، والمتهجُّ واضحٌ لمن أراد أن يسلكَه . وليس في العُتودِ ذرَكٌ^(١) ولا مع الاعترام نلج^(٢) . والرجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التماذى في الباطل ، وتركُ الذنبِ أيسرُ من التماسِ الحُجة . كما كان غَضُّ الطرفِ أهوَك من الحنينِ إلى الشهوة . وبالله تعالى التوفيق .

٣ - فصل منه

نبدأ الآنَ بذكر ما خصَّ الله به البطون من الفضائل ، ليرجع راجعٌ ، ويُنيبَ منيبٌ مفكرٌ ، وينتبه راقدٌ^(٣) ، ويُبصر متحجّرٌ ، ويستغفر ملذبٌ^(٤) ، ويستقبل مخطئٌ^(٥) ، وينزع مُصرٌ ، ويستقيم عائدٌ^(٦) ، ويتأمل غمرٌ ، ويرشد قوًى ، ويعلم جاهلٌ ، ويزداد عالمٌ . قال الله عزَّ وجلَّ فيها وَصَفَ به النُّحْلُ : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٧) .

وَبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في خيرِ بطونٍ قريش .
ووجدنا الأغلبَ في صفةِ الرجلِ أن يقال إنه معروفٌ بكذا مُدْخَرٌ من بَطْنِ أُمِّه . ولا يقال من ظهر أبيه .

(١) العتود: الميل عن الحق . والدرك ، بالتحريك : الإدراك والطاق .

(٢) الاعترام : من العرام ، وهو الجهل والشفة والشراسة . وفي التسخين : « الإغرام » .

(٣) م : « وينتبه راقد » ، صوابه في ب .

(٤) ب : « ويشف ملذب » ، صوابه في م .

(٥) الاستقالة : طلب الإقانة ، وهي الغفوة والصفح .

(٦) العائد : المائل عن الحق .

(٧) الآية ٦٩ من سورة النحل .

ويقال في صفات النساء: « قُبُّ البطون نواع » . ويقال: خُمَصَانَةُ
البَطْنُ ، ولا يقال : خُمَصَانَةُ الظَّهْرِ .

ويقال : فلانُ بَطْنٌ بالأُمُور . ولا يقال : ظَهَر . ويقال : بِطَانَةُ
الرَّجُلِ ^(١) وِطْهَارَتُهُ ، فَيُبْدَأُ بِالْبَطَانَةِ .

وبطن القِرطاس خيرٌ من ظهره ، وبطن الصَّحيفة موضعُ النَّفْعِ منها
لا ظهرها ، وبِبطْنِ القَلَمِ يُكْتَبُ لا بظهره . وبِبطْنِ السُّكَيْنِ يُقْطَعُ
لا بظهرها .

وخلق الله جلَّ وعزَّ آدَمَ من طِينٍ . ونَسَلَهُ ^(٢) من بَطْنِ حَوَاءَ .

ورأينا أكثرَ المنافع من الأغذية في البُطُونِ لا في الظُّهُورِ ؛ فبطون
البقرِ ^(٣) أَطْيَبُ من ظهورها . وبطن الثَّاءِ كذلك .

ومن أَفْضَلِ ^(٤) صفاتِ عليٍّ رضي الله عنه أَنَّ كانَ أَخْمَصَ بَطِينًا .
وَأَسْمَعُ من غنائِهِمْ :

بَطْنِي عَلَى بَطْنِكَ يَا جَارِيَةَ لَا نَمَطًا نَبْغِي وَلَا بَارِيَةَ ^(٥)

ولم يقل « ظهري على ظهرك » ، فجعل مِمَّا سِوَا البَطْنِ غَانِيًا عَنِ الْوِطَاءِ ،
كَافِيًا مِنَ الْفِطَاءِ .

ولو لم يكن في البطن من الْفَضِيلَةِ إِلَّا أَنَّ الْوَجْهَ الْحَسَنَ ، وَالْمَنْظَرَ ^(٦)

(١) في التسنين : « الرجل » بالجم ، تحريف .

(٢) في التسنين : « ووسله » ، والصواب ما أثبت .

(٣) في التسنين : « البقرة » .

(٤) في التسنين : « فضل » .

(٥) النَّمَطُ : واحد الأَمْطِ ، وهو ضرب من البسط . والْبَارِيَةُ : تخفف الْبَارِيَةَ بِتَشْدِيدِ
الْيَاءِ ، وهي الحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ .

(٦) في التسنين : « والمُتَلَقُّ » ، ووجهه ما أثبت .

الَأَمِيقَ مِنْ حِيزِهِ ، وَفِي الظَّهْرِ مِنَ الْغَيْبِ ، إِلَّا أَنَّ الدُّبُرَ فِي جَانِبِهِ ، لَكَانَ فِيهَا أَوْضَحُ الْأَدَلَةِ عَلَى كَرَمِ الْبَطْنِ وَلَوْمِ الظَّهْرِ .

وَلَمْ نَرِهِمْ وَصَفُوا الرَّجُلَ بِالْفُحُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ إِلَّا مَنْ تَلَقَّاهُ ، وَبِالْغَيْبِ وَالْأَيْبَةِ إِلَّا مَنْ ظَهَرَهُ .

وَإِذَا وَصَفُوا الشَّجَاعَ قَالُوا : مَرَّ فُلَانٌ قُعْمًا ، وَإِذَا وَصَفُوا الْجَبَانَ قَالُوا : وَكَيْ مُلْبِئِرًا .

وَلَشَتَّانَ بَيْنَ الْوَصَفَيْنِ : بَيْنَ مَنْ يَلْقَى الْحَرْبَ بِوَجْهِهِ وَبَيْنَ مَنْ يَلْقَاهُ بِقَفَاهُ^(١) ، وَبَيْنَ النَّاسِكِ وَالْمُنْكَوْحِ ، وَالرَّاكِبِ وَالْمَرْكُوبِ ، وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ ، وَالْآتِي وَالْمَأْتِي ، وَالْأَسْفَلِي وَالْأَعْلَى ، وَالزَّائِرِ وَالْمَزُورِ ، وَالْقَاهِرِ وَالْمَقْهُورِ .

وَلَمَّا رَأَيْنَا الْكَنُوزَ الْعَادِيَّةَ^(٢) وَالنُّخَاتِيرَ النَّفِيسَةَ ، وَالْجَوَاهِرَ الثَّمِينَةَ مِثْلَ الدَّرِّ الْأَصْفَرِ ، وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالزُّمُرُودِ الْأَخْضَرِ ، وَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْعِيقَانِ وَاللُّجَيْنِ ، وَالزُّرْنَيْخِ وَالزُّبَيْقِ . وَالْحَدِيدِ وَالْبُورَقِ^(٣) ، وَالنَّفْطِ وَالْقَارِ ، وَصُنُوفِ الْأَحْجَارِ ، وَجَمِيعِ مَنَافِعِ الْعَالَمِ وَأَدَوَاتِهِمْ وَأَلَاثِمِهِمْ ، لَحَرِيْبِهِمْ وَسَلْمِهِمْ ، وَزَرْعِهِمْ وَصَرْعِهِمْ ، وَمَنَافِعِهِمْ وَمَرَاقِفِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَسَائِرَ مَا يَأْكُلُونَهُ وَيَشْرَبُونَهُ ، وَيَلْبَسُونَهُ وَيَشْمُونَهُ ، وَيَسْتَفْعُونَ بِرَائِحَتِهِ وَطَعْمِهِ ، وَدَائِجِ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا يُسْتَنْبِطُ مِنْهَا اسْتِنْبَاطًا ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهَا اسْتِخْرَاجًا ، وَأَنَّ عَلَى ظَهْرِهَا الْمَوَامُّ الْقَاتِلَةَ ، وَالسَّبَاعَ الْعَادِيَّةَ الَّتِي فِي أَصْغَرِهَا تَلْفُ النَفُوسِ وَدَوَاعِي الْقَنَاءِ وَعَوَارِضُ الْبَلَاءِ ،

(١) الحرب مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا .

(٢) العادية : القديمة ، منسوبة إلى عاد .

(٣) البورق ، بضم الباء : الثغرون . القاموس ، ونذكرة دلود ، والمتجدد .

وأنه قل ما يمشی على ظهرها من دابة - إلا وهو للمرء عدو ، وللموت رسول ، وعلى الملكة دليل - لم يتمتع [ق] عقولنا ، وآرائنا ومعرفتنا^(١) من الإقرار بتفضيل البطن على الظهر في كل وقت - وعلى كل حال .

ومن فضيلة البطن على الظهر أن أحداً إن ابتلي فيه بداء^(٢) كان مستوراً ، وإن شاء أن يكتمه كتّمه عن أهله ، ومن لا ينطوى عنه شيء من أمره ، وغاير دهره .

ومن بلية الظهر أنه إن كان ذاك^(٣) ظهر ويان ، مثل الجرب والسلع^(٤) والخنازير وما أشبهها ، مما سلّمت منه البطن وجعل خاصاً في الظهور .

وفضّل الله تعالى البطن بأن جعل لإتيان النساء ، وطلب الولد ، والتباس الكثرة مباحاً من تلقائها ، محرّماً في المحاش^(٥) من ورائها ، لأنه حرام على الأمة لإتيان النساء في أدبارهن ، لما جاء في الحديث عن الصادق صلى الله عليه وسلم : « لا تأتوا النساء في محاشهن » .

وقد ترى بطنانة الثوب تقوم بنفسها - ولا ترى الظهر تستغنى .

وجعل الله تعالى البطن وعاء لخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل أول دلائل نبوته أن أهبط إليه ملكاً حين أُنْفَع ، وهو يدُرج^(٦)

(١) في النسخين : « لم يتمتع عقولنا وآرائنا ومعرفتنا » . وقد أكلت النص وصححه بما ترى .

(٢) ب : « بداء إن » م : « بداء إن » ، و « إن » مقسمة ، والصواب ما أثبت .

(٣) في النسخين : « إن كان ذا » .

(٤) السلع : جمع سلعة ، بالكسر ، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الدقة . وفي ب : « والبيع » ، صوابه في م .

(٥) المحاش : جمع محشة ، يفتح الميم وتشديد الشين ، وهي الدبر .

(٦) في النسخين : « وهو مع تدريج » .

مع غِلْمان الحَيِّ في هوازن . وهو مستَرَضَعٌ ^(١) في بني سعد ، حين شَقَّ عن بطنه . ثم استخرج قلبه فحشَى نوراً . ثم خَمَّ بِخَاتَمِ النبوة . ولم يكن ذلك من قِبَلِ الظَّهْرِ .

٤ - فصل منه

ومِمَّا فَضَّلَتْ بِاِ الْبَطُونُ : أَنَّ لَحْمَ السَّرَّةِ من الشاة أَطْيَبُ اللَّحْمِ ، وَلَحْمُ السَّرَّةِ من السَّمَكِ الموصوفُ ، وَسَرَّةُ حِمَارِ الوحشِ شِفَاءٌ يُتَدَاوَى بِهَا ، ومن سَرَّةِ الطَّيَاءِ يُسْتَخْرَجُ السَّك . وهذا كُلُّهُ خاصٌّ لِلْبَطُونِ ليس للظَّهْر منه شيءٌ .

وبدأ اللهُ عزَّ وجلَّ في ذكرِ القَوَاحِشِ بما ظهر منها ، ولم يبدأ بما بَطَنَ فقال : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ^(٢) ﴾ ، فجعله ابتداءً في الذم ^(٣) .

والظَّهْر في أَكْثَرِ أحواله سَمِجٌ ، والبطن في أَكْثَرِ أحواله حَسَنٌ . والظَّهْر في كُلِّ الأَوَاقِ وَحْشَةٌ وَوَحْشٌ ، والبطن في كُلِّ الأَوَاقِ سَكَنٌ وأنس .

ولم نَرَهُمْ حينَ بالغُوا في صفاتِ النساءِ يذكرونها إِلَّا من جهةِ البطنِ فقالوا : مُتَمَجَّةُ الْخَصْرِ ، لِلنَّيْلَةِ الْعِناقِ ، طَيِّبَةُ النُّكْحَةِ ، حُلوةِ الْعَيْنَيْنِ ، ساحرةُ الطَّرْفِ ، كَأَنَّ سُرَّتَهَا مُدْمِنٌ ^(٤) ، وَكَأَنَّ فَاهَا خَاتَمٌ ، وَكَأَنَّ ثَلْبِيهَا حُفَّانٌ ، وَكَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ . وليس للظَّهْرِ في شيءٍ من تلك الصفاتِ حَظٌّ ^(٥) .

(١) ب : « مسترضع » ، سوابه في م .

(٢) الآية ٣٣ من الأعراف .

(٣) ب : « ابتداء الذم » .

(٤) الملمع : قارورة اللعن .

(٥) في النسختين : « من ذلك الدعاء » .

وَأَنَّى تَبْلُغُ فِي صِفَةِ الْبُطُونِ ، وَإِنْ أَسْهِنَّا ، وَكَمْ عَمَى أَنْ نَحْصِيَ
مِنْ مَعَايِبِ الظُّهُورِ ^(١) وَإِنْ اجْتَهَدْنَا وَبَالَغْنَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ حَدَّ الزَّائِقِ ثَمَانُونَ
جِلْدَةً مَا لَمْ يَكُنْ مُحْصَنًا ، وَحَدَّ اللَّوْطِيِّ أَنْ يُحْرَقَ ، وَكِلَاهُمَا فَجُورٌ
وَرَجَاسَةٌ ، وَإِثْمٌ وَنَجَاسَةٌ ، إِلَّا أَنْ أَيْسَرَ الْمَكْرُوهِينَ أَحَقُّ بِأَنْ يَمِيلَ إِلَيْهِ
مَنْ ابْتَدَى ، وَخَيْرُ الشَّرِّينَ أَحْسَنُ فِي الْوَصْفِ مِنْ شَرِّ الشَّرِّينَ .

وَلَوْ أَنَا رَأَيْنَا رَجُلًا فِي سَوَاقٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْبَلُ امْرَأَةً فَسَأَلْنَاهُ
عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : امْرَأَتِي . وَسَأَلُوهَا فَقَالَتْ : زَوْجِي - لَدَرَأْنَا عَنْهُمَا الْحَدَّ ،
لَأَنَّ هَذَا حُكْمُ الْإِسْلَامِ . وَلَوْ رَأَيْنَاهُ يَقْبَلُ غُلَامًا لِأَدْبِنَاهُ وَجَبَسَنَاهُ ، لَأَنَّ
الْحُكْمَ فِي هَذَا غَيْرُ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ يَمْتَنَعُ فِي الْعُقُولِ وَالْمَعْرِفَةِ أَنْ يَقْبَلَ الرَّجُلُ فِي حُبِّ
مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ حَتَّى يَقْبَلَهَا فِي الْمَلَا كَمَا يَقْبَلُهَا فِي الْخَلَا ، يَصْدُقُ ذَلِكَ
حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ : « وَقَعَتْ فِي يَدِي جَارِيَةٌ يَوْمَ جُلُودَاءَ كَأَنَّ عُنُقَهَا لِابْرِيقُ
فِضَّةٍ قَمَا صَبَرْتُ حَتَّى قَبَلْتُهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » .

• - فصل منه

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِفْرَاطَكَ فِي وَصْفِ فَضِيلَةِ الظُّهُورِ ،
وَفِي مَحَلِّ الرَّبِّيةِ وَقَعْتَ ، لَأَنَّا رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أَظْهَرَ لَنَا
خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا ، وَمِنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا » .

وَلِئَمَا يَصِفُ فَضْلَ الظُّهْرِ مَنْ كَانَ مُعَرِّمًا بِحُبِّ الظُّهُورِ ، وَإِلَى رُكُوبِهِ
صَبًّا ، وَبِالنُّوْمِ عَلَيْهِ مُسْتَهْتَرًا ، وَبِالْوَلُوعِ بِطَلْبِهِ مُوَكَّلًا - وَمَنْ كَانَ لِلْحَلَالِ

(١) ب : « أَنْ نَحْصِيَ مِنْ مَعَايِبِ الظُّهُورِ » ، تَحْرِيفٌ .

مُبايِنًا ، ولِسبيله مُفَارِقًا ، ولَأَهله قَالِيًا . وللحرام معاوِدًا . وبِجِهله مُتَمَسِكًا^(١) وإلى قَرِبه دَاعِيًا ، ولَأَهله مَوَالِيًا .

وقد اضطررنا بتصييرك^(٢) المفضولَ فاضلا . والعالمَ خاصًا ، والخيسَ نفيسًا ، والمحمودَ مذمومًا ، والمعروفَ منكراً ، والمؤخرَ مقدماً ، والمقدمَ مؤخرًا ، والحلالَ حرامًا ، والحرامَ حلالًا ، والبِدعةَ سُنةً ، والسُّنةَ بِدعةً ، والحظرَ إطلاقًا ، والإطلاقَ حَظْرًا ، والحقيقةَ شُبْهَةً ، والشُبْهَةَ حَقِيقَةً ، والشَيْنَ زَيْنًا ، والزَيْنَ شَيْنًا ، والزُّجرَ أمرًا ، والأمرَ زَجْرًا ، والذَّمَّ أصلاً ، والأصلَ وهماً . والعلمَ جهلاً ، والجهلَ فضلًا^(٣) - إلى أنْ أدخلنا عليك الظَّنَّ ، وألحقناك التُّهمةَ ، ونسَبناك إلى غير أصلك ، ونَحَلناك غيرَ عقيدتك ، وقَضينا عليك بغيرِ مذهبك . وه يداك أوكنا ، وفاك نفع^(٤) . فلا يبعد الله غيرك !

أوجدنا أَيْها الضالُّ المُضِلُّ ، المَغلوبَ على رأيه ، المَسلوبَ فهمه ، المُولَّى على تمييزه ، النَّاكِصَ على عقبه في اختياره^(٥) ، المَفارقَ لأصل عقده^(٦) ، المُدْبِرَ بعد الإقبال في معرفته . السَّاقِطَ بعد الهوى في ورطته ، المتخلَّى من فهمه^(٧) ، الغَيَّ عن إفهامه . المُضَيِّعَ لحكته : المنزوع

(١) متسكاً ، ساقط من م .

(٢) ب : « بصيرك » ، صوابه في م . وفي م أيضاً : « وقد اضطررنا » .

(٣) ب : « والجهل علماً » ، صوابه في م .

(٤) م : « وفك نفع » . والمعروف : « وفك نفع » . الفاسخ ٤٨ ، والميدان ٢ : ٣٢٥ وجهرة السكري ٢ : ٤٣٠ . والوكاء : المحيط الذي يشد به رأس السقاء . وأصله أن رجلاً أراد أن يغير نهراً على سقاء ، فلم ينفذه ولم يركه على ما ينبغي ، فلما توسط النهر انحلت الوكاء . فصار : الفرق الترق ! فقليل له هذا الخلل ، أي إنك من قبل نفسك أنتيت .

(٥) في النسخين : « في اختيار » ، ووجه ما أثبت .

(٦) ب : « الموافق لأصل عقده » ، صوابه في م .

(٧) في النسخين : « المتحل » ، بالخاء المعجمة ، تحريف .

عَقَلُهُ ، الْمُخْتَلَسُ لَهُ ، الْمُسْتَطَارُ جَنَانُهُ ، الْمَعْلُومُ بَيَانُهُ ، فِي الظُّهُورِ بَعْدَ
الْقَضَائِلِ الَّتِي أَوْجَلَّنَا كَهَا فِي الْبُلُغُونَ ، إِمَّا قَيْلاً ، وَإِمَّا اخْتِيَاراً^(١) ،
وَإِمَّا ضَرُورَةً ، وَإِمَّا اخْتِيَاراً وَإِمَّا اكْتِسَاباً ، أَوْ فِي كِتَابٍ مَنْزِلٍ ، أَوْ سُنَّةٍ
مَأْثُورَةٍ ، أَوْ عَادَةٍ مَحْمُودَةٍ ، أَوْ حِيلَاحٍ عَلَى خَيْرٍ .

أَمْ هَلْ لَكَ فِي مَقَاتِلِكَ مِنْ إِمَامٍ تَأْتَمُّ بِهِ ، أَوْ أَسْتَاذٍ تَقْتَنِي أَثَرَهُ ،
وَتَهْتَدِي بِهِدَاهِ ، وَتَسْلُكُ سَنَّتَهُ .

٦ - فصل منه

وَقَدْ خَفَّتَنِي^(٢) عَلَيْكَ عِنْدَ انْتِهَائِي إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ رِقَّةً ، وَتَدَاخَلَتَنِي
لَكَ رَحْمَةٌ ، وَوَجَدْتُ لَكَ بَقِيَّةً فِي نَفْسِي ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَحِّمُ أَهْلُ الْبَلَاءِ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ
تَفْضِيلاً .

فَرَأَيْتُ أَنَّ أَخِي بِأَبْسَطِ الدُّعَاءِ لَكَ كِتَابِي ، وَأَنَّ أُحَرِّزَ بِهِ أَجْرِي
وَقُتُوبِي ، وَرَجِيتُ أَنْ تُثَيِّبَ^(٣) وَتَرْجِعَ بَعْدَ الْجِمَاحِ وَاللِّجَاجِ ،
فَإِنَّ لِلْجَوَادِ اسْتِقْلَالاً بَعْدَ الْكِبُورَةِ ، وَلِلشُّجَاعِ كَرَّةً بَعْدَ الْكَشْفَةِ^(٤) ، وَلِلْحَلِيمِ
عَطْفَةً بَعْدَ النُّبُوَةِ .

وَأَنَا أَقُولُ : جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَبْصَرَ رُشْدِهِ ، وَعَرَفَ حَقَّهُ ،
وَأَتَرَ الْإِنْصَافِ وَلِاسْتِعْمَلِهِ ، وَرَفَضَ الْهَوَى وَاطَّرَحَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ
يَبْتَلِ بِالْهَوَى إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ ، وَلَمْ يُبْعِدْ إِلَّا مَنْ اسْتَبْعَدَهُ .

(١) فِي السَّخِينِ : « أَخْبَاراً » .

(٢) م : « خَفَّتَنِي » .

(٣) مِنَ الْإِنَابَةِ ، وَهِيَ التَّوْبَةُ وَالرَّجُوعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . ب : « تُثَيِّبُ » ، صَوَابُهُ ق م .

(٤) الْكَشْفَةُ : الْحَزَّةُ . كَشَفَ الْقَوْمُ ، مِنْ بَابِ فَرَحَ : انْهَزَمُوا .

٢٠

من كتابه في

النبل والتنبيل ودم الكبر

١ - فصل

من صدر كتابه في التبيل والتبيل وذم الكبير^(١)

قد قرأتُ كتابَكَ وفهمته ، وتتبعْتُ كلَّ ما فيه واستقصيته ، فوجدتُ الذي ترجعُ إليه بعد التَّطويل . وتَقِفُ عنده بعد التَّحصيل ، قد سَلَفَ القولُ مِنَّا في عَيْتِهِ ، وشاعَ الحَبَرُ عَنَّا في ذَمِّهِ^(٢) ، وفي النَّصَبِ لأهله ، والمُبَايَنَةِ لأَصْحَابِهِ ، وفي التَّعَجُّبِ مِنْهُمْ ، وإظهارِ النُّقْيِ عَنْهُمْ .

والجملةُ أَنَّ فرطَ العُجْبِ إذا قارنَ كثرةَ الجهلِ ، والتَّعَرُّضَ للعبِ إذا وافقَ قِلَّةَ الاكتراثِ ، بَطَلَتِ المزاجِرُ^(٣) ، وماتتِ الخواطرُ . ومتى تفاقمَ الذاءُ ، وتفاوتَ العلاجُ ، صارَ الوعيدُ لغواً مطرَحاً ، والعقابُ حكماً مستعملاً .

وقد أصبحَ شيخُكَ ، وليس يملكُ من عقابِهِمْ إِلَّا التوقيفُ ، ولا من تَأْديبِهِمْ إِلَّا التعريفُ .

ولو ملكتُناهم مُلْكُ السُّلْطَانِ ، وقهرناهم قَهْرَ الوَلَاةِ ، لنهكناهم عقوبةً بالضَّرْبِ^(٤) ، ولَقَمَعناهم بالحَصْرِ^(٥) .

(١) سظم هذا الكتاب ساطق من هاشم الكامل ، إذ يبدأ النص فيه من أواخر الفصل الخامس ص ١٧ ، بعد قوله : « وإنما عائد الله تعالى » . وجاء الكلام بعده مصلاً مغلطاً بمقتضى الكتاب المأثور ، وهو « الرد على التصاري » . وانظر ص ٣٢٩ من الجزء الثالث من الرسائل . والتبيل : تكلف التبيل وإدماؤه .

(٢) ب : « وشاع الخبر » ، صوابه في م .

(٣) ب : « وطلب المزاجير » ، صوابه في م .

(٤) تهكع عقوبة : بالغ فيها ، يهكع يهكأ .

(٥) الحصر : الحبس هنا . والمحصير : الحبس . وفي التتزيل العزيز : « وجعلنا جهنم

للكافرين حصيراً » .

والكبير - أعزك الله تعالى - باب لا يُعدُّ احتياله حِلماً^(١) ، ولا الصبر على أهله حَزْماً ، ولا ترك عقابهم عقراً ، ولا الفضل عليهم مَجْداً ، ولا التناقل عنهم كرمًا ، ولا الإمساك عن ذبهم صَمْتاً .

واعلم أنَّ حملَ الغنى^(٢) أشدُّ من حمل الفقر ، واحتيالَ الفقر أهونُ من احتيالِ الذلِّ . على أنَّ الرضا بالفقر قناعةٌ وعزٌّ ، واحتيالُ الذلِّ نذالةٌ وسُخْفٌ . ولئن كانوا قد أفرطوا في لَوَمِ العشيبة ، والتكبر على ذوى الحرمة ، لقد أفرطت في سوء الاختيار ، وفي طول مُقَامِكَ على العار .

وأنت مع شِبة عَجَبِكَ بنفسك ، ورضاك عن عقلك . خالطت من مَوْتِهِ يَضْحِكُ السِّنُّ ، وحياته تورث الحزن^(٣) ، وتشاغلُك به من أعظم اللَّبَنِ .

وشكوتُ تنبئهم عليك ، واستصغارهم لك ، وأنتك أكثرُ منهم في المحصول ، وفي حقائق المَقُولِ^(٤) . ولو كنت كما تقول لما أَقَمْتَ على الذلِّ وَلَمَّا تَجَرَّعَتِ الصَّبْرَ وَأَنْتَ بِمَنْدُوحَةٍ مِنْهُمْ ، وَبِنَجْوَةٍ عَنْهُمْ . ولعارضتهم من الكبير بما يَبْضُهُمْ^(٥) ، ومن الامتناع بما يَبْهَرُهُمْ .

وقلت : ولو كانوا من أهل النبل عند الموازنة ، أو كان معهم ما يَظْلُقُ النَّاسُ فِيهِ عند المقايسة لَعَذَرْتُهُمْ واحتججتُ عنهم^(٦) ، ولسترتُ عِيْبَتَهُمْ ، ولرَفَعْتُ وَهْيَهُمْ . ولكن أمرهم مكشوفٌ ، وظاهرهم معروف .

(١) في النسختين : « وإلا حِلماً » .

(٢) م : « المنا » بالمهمله ، صوابه في ب .

(٣) ب : « وحيرته يورث الحزن » ، صوابه في م .

(٤) م : « المَقُول » .

(٥) المحض : الكسر والفتح . وفي النسختين : « يَبْضُهُمْ » ، وهو عكس ما يراد .

(٦) ب : « واحتجبت » ، والوجه ما أثبت من م .

وإن كان أمرهم كما قلت ، وشأنهم كما وصفت ، فذاك ألوم لك ،
وأثبت للحجة عليك .

وسأؤخر عَنَّاكَ إلى الفراغ منهم ، وتوقيفك بعد التنويه بهم .

أقول : وإن كان النبل بالنبل ، واستحقاق العظم ^(١) بالتعظيم
وبقلة التذم والاحتذار ، وبالتهاون بالإقرار ، فكل من كان أقل حياء ،
وأتم فحاة ، وأشد تصلفاً ، وأضعف عُدَّة ، أحق بالنبل وأولى بالعلم .

وليس الذي يُوجب لك الرُفعة أن تكون عند نفسك -- دون أن
يراء الناس -- ربيعاً ، وتكون في الحقيقة وضيعاً .

ومنى كنت من أهل النبل لم يضرْك التبلد ، ومنى لم تكن من
أهلِهِ لم ينفعْك التنبُّل .

وليس النبل كالرزق ، يكون مرزوقاً الحرمان ^(٢) أليق به ، ولا يكون
نبيلاً السخافة أشبه به ^(٣) .

وكل شيء من أمر الدنيا قد يحظى به غيرُ أهلِهِ ، كما يحظى به
أهلُهُ .

وما ظنك بشيء المروعة خصلة من خصاله ، وبَعْدُ الممة خطة من
خلاله ، وبهاء المنظر سبب من أسبابه ، وجزالة اللفظ شعبة من شعبه ،
والمقامات الكريمة طريق من طرقه .

(١) في النسخين : « العظم » .

(٢) في النسخين : « مرزوقاً من الحرمان وأليق به » .

(٣) في النسخين : « نبيلاً من السخافة أشبه به » . يريد أن النبل ينبغي أن يكون كاملاً ،
وليس كالرزق قليله وكثيره سواء .

٢ - فصل منه

واعلم أنك متى لم تأخذ للنبل أخيه ، ولم تُعِم له أداته ، وتأتبه من وجهه^(١) ، وتُفَمُّ بحقه ، كنت مع الغناء مُبَغَضاً ، ومع التكلف مُسْتَصْلَفاً . ومن تَبَغَضَ فقد استهدف للشتم^(٢) ، وتصدى للملام .

فإن كان لا يَحِلُّ بالشتم ، ولا يجزع من اللِّم ، فعُدّه ميتاً إن كان حياً ، وكلباً إن كان إنساناً .

وإن كان ممن يكثرث ويجزع ، ويُجسُّ ويتألم ، فقد خسر الراحة والمحبة ، وريح النَّصَبِ . والمُنَمَّة .

وبعد ، فالنَّيْلُ كَلِفٌ بالمولوى عنه ، شَيْفٌ للمُقِيلِ عليه ، لازقٌ بمن رَفَعَهُ ، شليدٌ النِّفَارِ ممن طَلَبَهُ .

٣ - فصل منه

والسَّيِّدُ المطاعُ لم يسهلْ عليه الكَفَمُ ، ولم يكن له كَنَفُ الجِلْمِ ، إلا بعد طولِ تَجَرُّعٍ للغيظ . ومُقاساةٍ للصبر . وقد كان مَعْنَى الْقَلْبِ دَهْرَهُ ، ومكودَ النفسِ عُمُرَهُ . والحربُ سجالٌ بينه وبين الجِلْمِ ، وتوَلَّى بينه وبين الكَفَمِ . فلما انقادت له العشيرةُ ، وسَمَحَتْ له بالطاعة ، ووثقَ بظهور القدرة خِلافَ المَعْجَزَةِ^(٣) سَهَّلَ عليه الصَّبْرُ ، وعَمَرَ^(٤)

(١) ب : « وتأته من وجهه » م : « وتأدبه من وجهه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الشتم : مصدر شام ، كالشامة . وفي النسختين : « للأشتم » ، تحريف .

(٣) أي يده العجز . وفي الكتاب العزيز : « وإذن لا يليئون خلافاً إلا قليلاً » الآية ٧٦ من

سورة الإسراء . وقرأ عطاء بن أبي رباح : « يهلك إلا قليلاً » . تفسير أبي حيان ٦ : ٦٦ . وانظر

السان (خلف) ٤٣٤ .

(٤) في النسختين : « عمر » بالعين المهملة ، ولا وجه له .

بعلوه دواعي الجَزَع ، بطلت المجاذبة^(١) ، وذهبت المُسَاجلة .

والذى كان دعاهُ إلى تكْلِيفِ العِظَمِ في بلدِ أمره وإلى اِحْتِمَالِ المَكْرُوهِ في أوَّلِ شأنه ، الأَمَلُ في الرِّياسَةِ ، والطَّمَعُ في السِّيادةِ ، ثمَّ لم يَتَمَّ له أمره ، ولم يستحِكمْ له عَقْدُهُ إلَّا بعد ثلاثة أَشْيَاءَ : الاحْتِمَالِ ، ثم الاعْتِيادُ ، ثم ظُهور طاعة الرُّجُلِ .

ولولا خَوْفُ جميع المَظْلُومِينَ من أَن يُظَنَّ بِهِم العِجْزُ ، وأَلَّا يُوجَّهَ اِحْتِمَالُهُمْ إلى الدَّلِّ^(٢) لَزَاخَمَ السَّادَةُ في الحِطِّ رِجَالُ لَيْسُوا في أَنْفُسِهِمْ بِلُونِهِمْ ، وَلَقَمَرَهُمْ بَعْضُ مَنْ لَيْسَ مَعَهُ من أَسْبَابِهِمْ .

٤ - فصل منه

ولا يكون المرءُ نبيلًا حتَّى يكون نبيلَ الرَّأْيِ ، نبيلَ اللَّفْظِ ، نبيلَ العِقلِ ، نبيلَ الخُلُقِ ، نبيلَ المنْظَرِ ، بِعِيدِ المَذْهَبِ في التَّنْزُّهِ ، طَاهِرِ الثُّوبِ من الفُحُوشِ ، إِنْ وَاثَقَ ذَلِكَ عِرْقًا صَالِحًا ، وَمَجْدًا تَالِدًا ..

فَالخَارِجِيُّ قد يَتَنَبَّلُ بِنَفْسِهِ ، وَالتَّابِيُّ قد يَخْرُجُ بِطَبْعِهِ . وَلِكُلِّ عَزٍّ أَوَّلٌ ، وَأَوَّلُ كُلِّ قَلِيمٍ حَادِثٌ .

وَمَنْ حُقِّقَ النَّبِيلُ أَن تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونُكَ ، وَتُنْصَفَ مِنْ هُوَ مِثْلُكَ ، وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ .

(١) في النسختين : « وبطلت المجاذبة » والوارد مقحمة ، وإنما الكلام جواب منها السابقة .

(٢) ب : « الدِّل » ، صوابه في م .

٥ - فصل منه

وكان بعضُ الأشراف في زمان الأحنف ، لا يَحْتَقِرُ أَحَدًا ^(١) ،
ولا يتحركُ لزاثر ، وكان يقول :

• ثَلان ذو المَضَبات ما يتحطَّل ^(٢) •

فكان الأحنف مايزداد إلا عُلُوًّا ، وكان ذلك الرجل لايزداد إلا
تَسْفَلًا .

وقد ذم الله تعالى المتكبرين ، ولعن المتجبرين ، وأجمعت الأمة
عل عيبه ، والبراعة منه ، وحتى سُمِّيَ المتكبر نائها ، كالذي يَحْتَبِطُ في
الثَّيَّةِ بلا أمارَةٍ ، ويتمسِّفُ الأرض بلا علامة .

ولعلَّ قائلًا أن يقول : لو كان اسم المتكبر قبيحًا ، ولو كان المتكبر
ملعومًا ، لَمَّا وصفَ الله تعالى بهما نَفْسَهُ ، وَلَمَّا نوَّهَ بهما في التنزيل حين
قال : ﴿ الجَبَّارُ المتكَبِّرُ ^(٣) ﴾ ، ثم قال : ﴿ له الأسماءُ الحُسْنَى ^(٤) ﴾ .

قلنا لم : إِنَّ الإنسانَ المخلوقَ المسخَّرَ ، والضعيفَ الميسَّرَ ، لا يليقُ ^(٥)
به إلا التلُّلُ ، ولا يجوزُ له إلا التواضع .

وكيف يليقُ الكبيرُ بمن إن جاعَ صُرِعَ ، وإن شبعَ طغى ، وما يشبه
الكبرُ بمن يأكلُ ويشربُ ، ويبولُ وينجُو . وكيف يستحقُّ الكبيرُ
ويستوجبُ العظمةَ من ينقصُهُ النَّصَبُ ، ويُفْسِدُهُ الراحةُ ؟ .

(١) م : « يتحقَّر » ، صوابه في ب .

(٢) - الفرزدق في ديوانه ٧١٧ واللسان (حلل ١٨٤) . وصدده :

• فادفع بكفك إن أردت ينساعنا •

(٣) من الآية ٢٣ من الحشر .

(٤) من الآية ٢٤ من سورة الحشر وهي كفك في الآية ٨ من سورة طه . وفي التسنخين :

« وله » والواو مقحمة في نص الآية . انظر تحقيق النصوص لكتابه ص ٤٨ .

(٥) في التسنخين : « لا يليق به » ، صوابه ما أثبت . وانظر ما سبق .

فإذا كان الكبير لا يليق بالمخلوق فإنما يليق بالخالق ؛ وإنما عانده
الله تعالى بالكبر^(١) لتعليه طوره^(٢) ، ولجهله لقدره^(٣) ، وانتحاله ما لا يجوز
إلا لربه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « العظمة رداء الله ، فمن
نازعه رداؤه قصمه^(٤) » .

٦ - فصل منه

والنبييل لا يتنبئ ، كما أن الفصيح لا يتفصح ، لأن النبييل يكفيه
تنبؤه عن التنبئ ، والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح . ولم يتزود
أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه ، ولا تطلوكل متناول إلا لو هن قد
أحس به [في^(٥)] قوته .

والكبر من جميع الناس قبيح ، ومن كل العباد مسخوط^(٦) ، إلا
أنه عند الناس من عظماء الأعراب ، وأشياء الأعراب أوجد^(٧) ، وهو
لم أسرع ، لجفاهم وبُعدهم من الجماعة ، ولقلة مخالطتهم لأهل العفة
والرعة^(٨) ، والأدب والصنعة^(٩) .

(١) هنا ينهى السقط الكبير في نسخة هامش الكامل (ط) التي أشرت إليه في ص ٣٢٩ من
٣٢٩ من الجزء الثالث من الرسائل . وستبدأ المقابلة هنا حل النسخ الثلاثة : النسخ البريطاني
(ب) والنسخة السجيرية (م) ونسخة الكامل (ط) .

(٢) ب ، م : « ليعيه » ، صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « ويجهله لقدره » ، والصواب في ط .

(٤) ورد في سنن ابن ماجه برقم ٤١٧٤ ، ٤١٧٥ حديثاً قسباً أوله « يقول الله سبحانه :
الكبرياء رداء ، والفضة إزار » ، من نازعي واحد منها القتيبي في جهنم^(٥) ، من حديث أبي هريرة .
ومن حديث ابن عباس بلفظ : « القتيبي في النار » .

(٥) كلمة « في » ساقطة من النسخ الثلاثة . وزدتها تكملة لقول .

(٦) في ط : « والكبر من جميع الناس قبيح مسخوط » .

(٧) أوجد ، أي أكثر وجوداً . وفي جميع النسخ : « أجود » .

(٨) الرعة بالراء المكسورة : القورع . وفي ب ، م : « الرعة » .

(٩) هذا ما في ط . وفي ب ، م : « الصنعة » .

٧- فصل منه

ولم نَرَ الكبير يَسُوغُ عندهم وَيُسْتَحْسَنُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ :

من ذلك أَن يكونَ المتكبرُ صَعْباً بَلَوِيّاً ، وَذَا عُرْضِيَّةً وَحْشِيّاً^(١) ، ولا يكونَ حَضَرِيّاً وَلَا مَدْرِيّاً ، فيحمل ذلك منه على جهة الصُّعوبة ومذهب الجاهليَّةِ ، وعلى التَّنْجِيهِ^(٢) والأعرابيَّةِ .

أو يكونَ ذلك منه على جهة الانتقام والمُعَارَضَةِ ، والمكافأة والمقابلة^(٣) .

أو على أَن لا يكونَ تكبرُهُ إِلَّا على الملوك والجبابرة ، والفَرَاعِنَةِ وأشباه الفراعنة .

وصاحبك هذا خارجٌ من هذه الخصال ، مُجَانِبٌ لهذه الخِلَالِ . إن أصاب صديقاً تَعَطَّمَ عليه^(٤) ، وإن آتاه ضيفٌ تغافل عنه^(٥) ، وإن آتاه ضيفٌ من عليه ، وإن صادف حليماً اعتمر به^(٦) .

وينبغي أَن يكونَ خضوعُهُ لِمَنْ فوقه^(٧) على حَسَبِ تكبرِهِ على مَنْ دونه .

ومن صفة اللئيم أَن يَظْلِمَ الضَّعِيفَ ، وَيَظْلِمَ نَفْسَهُ الْقَوِيَّ ، وَيَقْتُلَ

(١) ب : « وإذا » ، صوابه في م ، ط . والعرضية ، يضم العين : العجضية والصمودية ، وأن يركب رأسه من التَّخَوُّفِ . اللسان (عرض ٤١) . والكلمة محرقة في الأصول .
في ب : « عارضته » ، وفي م : « عرضته » ، وفي ط : « غرسة » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « ولا التنجيه » ، صوابه في م . وفي ط : « وعلى المنجية » .

(٣) ب : « المقالة » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « يظلم عليه » ، صوابه في ط .

(٥) ب : « ضيف » ، صوابه في م ، ط . وفي ب ، م : « يخلف له » ، صوابه في ط .

(٦) به ، ساقطة من ب . وفي ط : « اعتل به » .

(٧) هذا ما في ط . وفي ب ، م : « لمن رفته » .

الصَّريع . ويجهزَ على الجريح . ويطلبُ المارِبَ ، ويهرُبُ من الطَّالِبِ ، ولا يطلبُ من الطَّوائِلِ إلَّا مالا خطارَ فيه ^(١) ولا يتكبرُ إلَّا حيث لا يرجع مضرته عليه ^(٢) ، ولا يقفُو الثقةَ ولا المروعةَ ^(٣) ، ولا يعمل على حقيقته ^(٤) .

ومن اختار أن يبغي تَبَدُّي ^(٥) ، ومن أراد أن يسمعَ قوله ساء خلقه ، إذ كان لا يحفل ببغضِ الناسِ له ووحشةِ قلوبِهِم منه ، واحتيايِهِم في مُبَاعَلَتِهِ ، وقلةِ ملابستِهِ ^(٦) .

وليس يأمنُ اللّثيمَ على إتيانِ جميعِ ما اشتغل عليه اسمُ اللّومِ إلَّا حاسد .

فإذا ^(٧) رأيته يعقُ أباه ، ويحسدُ أخاه ، ويظلمُ الضَّعيفَ ، ويستخفُّ بالأديبِ ، فلا تبعِذه من الخيانة ، إذ كانت ^(٨) الخيانة لؤماً ، ولا من الكذب ، إذ كان الكذب لؤماً ، ولا من النِّميمة ، إذ كانت النِّميمة لؤماً . ولا تأمنه على الكُفرِ فإنَّه ألأمُ اللّومِ ، وأقبحُ الفُذرِ ^(٩) .

ومن رأيته منصرفاً عن بعض اللّومِ . وتاركاً لبعض التَّبَيُّحِ ، فإياكَ أن توجّهَ ذلك منه على التجنُّبِ له . والرَّغبة عنه ، والإيثارِ لخلافه ،

(١) ط : « ما لا خطر فيه » .

(٢) ط : « مضرته عليه » .

(٣) يقفُو : يتبع . والثقة : التقوى ، وهي أيضاً المصانة . ب ، م : « يفت البنية » ، صوابها في ط .

(٤) ط : « حقيقة » .

(٥) ب : « يبي يبي » م : « يبي يبي » ، وأرى الوجه فيا أثبت . تيلي : سكن البادية . على أن هذه العبارة ساقطة من ط .

(٦) الملايسة : المخالطة . م ، ط : « ساعدته » .

(٧) ب : « إذا » بغير فاء .

(٨) ب : « إذا » هنا وفي الموضعين التاليين .

(٩) ب فقط : « الفذر » ، تحريف .

ولكن على أنه لا يشتبهه أو لا يقدر عليه^(١) ، أو يخاف من مرارة العاقبة^(٢) أمراً يعنى على حلاوة العاجل ، لأنَّ اللُّؤْمَ كُلَّهُ أصلٌ واحدٌ وإن تفرقت فروعه ، وجنسٌ واحدٌ وإن اختلفت صوره ، والقيعلُ محمولٌ على غلبته^(٣) ، تابعٌ لسمته . والشكل ذاهبٌ على شكله ، منقطعٌ إلى أصله ، صائرٌ إليه وإن أبطأ عنه ، ونازعٌ إليه وإن حيلَ دونه . وكذلك تناسبُ الكرمِ وحينئذٍ بعفيه لبعض^(٤) .

ولم تر العيونُ ، ولا سمعت الآذانُ ، ولا توهمت العقولُ عملاً اجتنابه ذو عقلٍ ، أو اختاره ذو علمٍ ، بأوياً^(٥) مغيبةً ، ولا أنكذ عاقبةً ، ولا أوتخَمَ مرعىً ، ولا أبعَدَ مهوىً ، ولا أضُرَّ على دينٍ ، ولا أفسدَ لمرضٍ ، ولا أوجبَ لسخطِ الله ، ولا أدعى إلى مقتلِ الناس ، ولا أبعَدَ من الفلاح ، ولا أظهرَ بُغوراً عن التوبة ، ولا أقلَّ ذكراً عند الحقيقة ، ولا أنقصَ للطبيعة^(٦) ، ولا أمتنع من العلم ، ولا أشدَّ خلافاً على العلم ، من التكبر في غير موضعه ، والتنبيل في غير كُنْهه .

وما ظنك بشيء العُجْبُ شقيقه ، والبَذْخُ صديقُه ، والنَّفَجُ أليفُه^(٧) ، والصِّلَفُ عقيده^(٨) .

والبَدَاخُ متزَيِّد^(٩) ، والنَّفَاجُ كذابٌ ، والمتكبر ظالمٌ ، والمُعْجَبُ

(١) ب ، م : « أولاً لا يقدر عليه » . (٢) ب : « مرارة العاقبة » ، تحريف .

(٣) ب ، م : غلبة ، صوابه في ط .

(٤) م : « يبعث » ، تحريف . وفي ط : « إلى بعض » .

(٥) ما بعد هذه الكلمة إل « على دين » التالية ، ساقط من ط .

(٦) أنقص : الإفساد والقلب ، وأصله ضد الإبرام . وفي جميع النسخ : « أنقص »

بالصاد ، تحريف .

(٧) في اللسان : « وجل نفاج : ذو نفج يقول مالا يفعل ، ويفتخر بما ليس له ولا فيه » .

(٨) العقيد : الصاحب ، كأنك تماقده وتحالفه . وفي قول أبي خراش :

كَمِ مِنْ عَقِيدٍ وَجَارٍ حَلَّ عَتَمٍ وَمِنْ جَارٍ يَبْهَدُ اللَّهَ قَدْ تَقَلَّوْا

(٩) ب فقط : « متزايد » ، تحريف .

وشرُّ العيوبِ ما كان مضمناً بعيوب ، وشرُّ الذنوبِ ما كان علةً للذنوبِ (١) .

والكبر أول ذنب كان في السماوات والأرض ، وأعظم جرّم كان من الجن والإنس ، وأشهر تعصّب كان في الثقلين ، وعنه لجّ إبليس في الطغيان ، وعنا على ربّ العالمين ، وخلاً ربّه في التبشير ^(١) ، وتلقّى قوله بالردّ . ومن أجله استوجب السخطة ، وأخرج من الجنة ، وقيل له : ﴿ ما يكون لك أن تتكبر فيها ^(٢) 》 .

ولإفراطه في التعظيم خرج إلى غاية القسوة ، ولشدته قسوته احتزم على الإصرار ، وتتابع^(١) في غاية الإفساد ، ودعا إلى كل قبيح ، وزين كل شر^(٢) ، وعن مصيبتيه أخرج آدم من الجنة ، وشهر في كل أفق وأمة ، ومن أجله نصب العداوة^(٣) للبرية ، وتفرغ^(٤) من كل شيء إلا من إهلاك نسله^(٥) ، فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ، ولا يضاهيه

(١) ب : للجنوب : م : بجنوب : ط : الجنوب : « والوجه ما أثبت .
 (٢) ب فقط : وفي التبدير : محريف . وهو قول إيليس : « أجب أن خلقت طياً » ،
 « خلقتني من نار وخلقته من طين » .
 (٣) من الآية ١٢ من الأعراف : « قال فاحيط ما فيها يكون لك أن تكبر فيها » .
 (٤) الصانع ، بالياء التحتية المكسرة : التناطع والتهاافت . وفي الأصول : « تابع » ،
 والوجه ما أثبت من لغة الجاهل .
 (٥) ب : م : « غي » ، « صوابه في ط .
 (٦) في الأصول : « نصبت الملاءة » .
 (٧) ب : م : « وتفرع » ، « صوابه في ط .
 (٨) ب : م : « أطاع نسله » ، « صوابه في ط .

في نسب^(١) ، ولا يُشاكله في صناعة ، وعن ذلك^(٢) قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وظلم القوى الضعيف ، ومن أجله أهلك الله الأمم بالمنع والرجف ، وبالحسف وبالطوفان ، والريح العقيم^(٣) ، وأدخلهم النار ، وأقنطهم من الخروج .

والكبر هو الذي زين لإبليس ترك السجود ، وهمه شرف الأئمة^(٤) ، وصور له عز الانتقاض^(٥) ، وحُبَّ إليه المخالفة ، وأنسه بالوعدة والرخسة ، وهون عليه سُخط الرب ، وسهل عليه عقاب الأبد ، ووعده الظفر ، ومنأه السلامة ، ولقنه الاحتجاج بالباطل ، وزين له قول الزور ، وزهله في جوار الملائكة^(٦) ، وجمع له خلال السوء ، ونظم له خلال الشر ، لأنه حسد الحسد ظلم ، وكذب والكذب ذل ، وخدع والخديعة لثم . وحلف على الزور ، وذلك فجور . وخطأ ربه ، وتخطئة الله جهل ، وأخطأ في جلي القياس^(٧) وذلك غي ، ولج اللجاج ضعف . وفرق بين التكبر والتبلى^(٨) . وجمع بين الرغبة عن صنيع الملائكة^(٩) وبين الدخول في أعمال السفلة .

واحتج بأن النار خير من الطين . ومنافع العالم نافع أربعة

(١) حقا الصواب من ط . و ق ب : م : « ولا يشاكله » . والمضادة : المشابهة .

(٢) ط : « ومن ذلك » .

(٣) انظر ما مضى في ص ١٥٨ .

(٤) ط : « وأومره شر الأئمة » ب : م : « وومره سرف الأئمة » ، والوجه فيها ما أثبت . أي جملة يوم التعريف في الأئمة والكبر .

(٥) عز ، سابقة من ط . وهي ق م : « عن » ، تحريف . والانتقاض : المخالفة . وفي جميع الأصول : « الانتقاض » .

(٦) ب فقط : « الملكية » ، تحريف .

(٧) الجلي : الظاهر الواضح . م : « جليل القياس » .

(٨) ب : « والتبلى » م : « والتبذ » ، وأثبت ما في ط .

(٩) رحت في ب : الملكية .

أركان : نارٌ يابسة حارة ، وماء باردٌ سيال ، وأرضٌ باردة يابسة ، وهواءٌ حارٌّ رطب . ليس منها شيءٌ مع مُزاوجته لخلافه إلا وهو مُخَيِّ مُبَيِّ^(١) . على أَنَّ النارَ نِعمةُ اللَّهِ من بين جميع الأصناف ، وهى أَسْرَعُهُنْ إتِّلافاً لما صار فيها . وأَمْحَقُهُنْ لما دنا منها .

هذا كله ثمرةُ الكبير ، ونتائجُ النِّيةِ . والتَّكَبُّرُ شَرٌّ من القسوة ، كما أَنَّ القسوةَ شرٌّ المَعاصِي . والتَّواضُعُ خَيْرٌ الرَّحمةِ^(٢) ، كما أَنَّ الرَّحمةَ خَيْرُ الطَّاعاتِ .

والكبيرُ معنىً يتَّعَظَّمُ به جِماعُ الشَّرِّ ، والتَّواضُعُ معنىً يتَّعَظَّمُ به^(٣) جِماعُ الخيرِ ، والتَّواضُعُ عَقِيبُ الكِبَرِ . والرَّحمةُ عَقِيبُ القسوةِ . فإذا كان للطَّاعةِ قدرٌ من الثَّوابِ فلتَرَكْها وَعَقِيبُها ، ولما يُوازِنُها^(٤) ويَكايلُها ، مثلُ ذلك القدرِ من الإِقابِ . وموضعُ الطَّاعةِ من طبقاتِ الرُّضَا ، كموضعِ تَرَكْها من طبقاتِ السُّخْطِ^(٥) إذ^(٦) كانت الطَّاعةُ واجبةً ، والتَّرَكُّ مَحْصيةً .

والكِبَرُ من أسبابِ القسوةِ . ولو كان الكبير لا يعترى إلا الشَّرِيفُ والجميلُ ، أو الجوادُ ، أو الوفيُّ أو الصِّلوقُ ، كان أَهْوَنَ لَأَمْرِهِ ، وأَقْلَ لَشَيْنِهِ . وكان^(٧) يعرضُ لأهل الخيرِ ، وكان لا يَظْلُطُ فيه إلا أهلُ الفضلِ ،

(١) ب : فقط : « محي » تحريف .

(٢) ب : م : « خير من الرحمة » . والمراد غير أنواع الرحمة ، كما قيل : « خير البر عاجله » .

(٣) به : ساقطة من م . ويطأ ط : « فيه » .

(٤) في جميع الأصول : « ويوازنها » .

(٥) ب : فقط : « وموضع الطاعة من طبقات السخط » . والتكلمة من م ، ط .

(٦) ب : « إذا » ، تحريف .

(٧) هذا الصواب من ب . وق م ، ط : « أو كان » .

ولكننا نجده في السفلة ، كما نجده ^(١) في العلية ، ونجده في القبيح
كما نجده في الحسن ، وفي النعم ^(٢) كما نجده في الجميل . وفي اللئيم
الناقص ، كما نجده في الوقيء الكامل ، وفي الجبان كما نجده في
الشجاع ، وفي الكنوب كما نجده في الصديق ، وفي العبد كما نجده
في الحر ، وفي اللئيم ذى الجزية والصغار والدلة ، كما نجده في
قايض جزيته والمسلط على إذلاله .

ولو كان في الكبر خير لما كان في دهر الجاهلية أظهر منه في دهر
الإسلام ، ولما كان في العبد أفشى منه في الحر ^(٣) ، ولما كان في السند
أعم منه في الروم والفرس .

وليس الذى كان فيه آل ساسان ^(٤) وأنو شروان وجميع ولد أزدشير
لبن بابك كان ^(٥) من الكثير في شيء . تلك سياسة للعوام ، وتفخيم لأمر
السلطان ، وتسليد للملك .

ولم يكن ^(٦) في الخلفاء أشد نخوة من الوليد بن عبد الملك ، وكان
أجهلهم وأحنهم ^(٧) . وما كان في ولاية العراق أعظم كبراً من يوسف
ابن عمر ، وما كان ^(٨) أشجعهم ولا أبصرهم ، ولا أتمهم قواماً ،
ولا أحسنهم كلاماً .

(١) ب : « كان أن نجده » .

(٢) اللئيم ، من السامة ، وهو القبيح والقتل . وفي جميع الأصول : « اللئيم » باللام
المحبة ، تعريف .

(٣) ب ، م : « الملو » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول : « كان فيه آل ساسان » . و « من » مقحمة .

(٥) سقطت « كان » هذه من ط فقط .

(٦) ب ، م : « ولو لم يكن » و « لو » مقحمة ليست في ط .

(٧) ب فقط : « هو كان أجهلهم » ، تعريف .

(٨) ب ، م : « ولا كان » ، والوجه ما أثبت من م .

ولم يَدْعُ الرُّبُوبِيَّةَ مَلِكَ قَطُّ^(١) إِلَّا فِرْعَوْنُ ، ولم يك مقلعاً في
مَرْكَبِهِ^(٢) ، ولا في شَرْفِ حَصْبِهِ ، ولا في نُبُلِ مَنْظَرِهِ ، وَكَمَالِ خَلْقِهِ ،
ولا في سَعَةِ سُلْطَانِهِ وشرف رعيته وكرم ناحيته . ولا كان فوق المُلُوكِ
الأعظم والجلَّةِ الأكابر ، بل دون كثيرٍ منهم في الحَصْبِ وشرفِ المُلِكِ^(٣)
وكرم الرعيَّةِ ، وَمَنَّةِ السُّلْطَانِ ، والسُّطُورَةِ على المُلُوكِ .
ولو كان الكبرُ فضيلةً وفي التَّيْبِ^(٤) مروءةً ، لما رغب عنه بنو هاشمٍ
ولكان عبدُ المطلبِ أولى الناس منه بالغاية ، وأحقُّهم بِأَقْصَى النِّهَايَةِ .

ولو كان محمودُ العاجلي ومرجُو الآجلِ^(٥) ، وكان من أسباب السيادة
أو من حُقوقِ الرِّيسَةِ ، لباتَرَ إليه سيِّدُ بنى تميم ، وهو الأحنفُ بنُ قيسٍ ،
ولشَّعَ عليه سيِّدُ بكرِ بنِ وائلٍ^(٦) وهو ملكٌ ، ولاستولى عليه سيِّدُ الأزدِ
وهو المهلبُ .

ولقد ذكر أبو عمرو بنُ العلاء جميعَ حُيُوبِ السَّادَةِ ، وما كان فيهم
من الخِلَالِ المنعومة ، حيث قال : « ما رأينا شيئاً يمنع من السُّودُدِ إِلَّا
وقد وجدناه في سيِّدٍ : وجدنا البخل يمنع^(٧) من السُّودُدِ . وكان

(١) ب ، م : « ولا يدع » ب : « ملكاً » ، والصواب في الأول من ط ، وفي الثانية
من م ، ط .

(٢) في اللسان : « والمركب أيضاً : الأصل والمنبت ، تقول فلان كرم المركب ،
أي كرم أصل منصبه في قومه » . ب ، ط : « موكب » وفي م : « موكب » بالواو أيضاً
مع ضبطه بضم الميم وفتح الواو وتشديد الكاف المفتوحة ، وصوابها بالراء كما أثبت . وانظر ٢٠٣ .

(٣) م : « بل دون كثير منهم وشرف الملك » هذا النص الذي أكلته من ب ، ط .

(٤) في ، ساقطة من ب ، م .

(٥) ب ، م : « أو مرجو الآجل » .

(٦) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل ، الذي يضرب به المثل فيقال : « أحر من كليب وائل » ، حمله جاسس
ابن مرة الشيباني ، فكان ذلك سبب الحرب بين بكر وكنانة وتطلب أرميين عاماً .

(٧) كلمة « يمنع » ساقطة من ب .

أبوسفيان بن حرب بخيلاً ، والجهار^(١) يمنع من السُّودد ، وكان عامراً بن
الطفيل سيِّداً ، وكان عامراً ، والظلم يمنع من السُّودد ، وكان حُذيفة
ابن بدر ظلوماً ، وكان سيد غطفان ، والحق يمنع من السُّودد ، وكان
عُتَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ مُحَقَّقاً^(٢) ، وكان سيِّداً ، والإملاق يمنع من السُّودد ،
وكان عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ^(٣) مُمْلِقاً ، وقلة العلد تمنع من السُّودد وكان
شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدٍ سيِّداً ، ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلاً ، والحذافة
تمنع من السُّودد ، وساد أبو جهل وما طرَّ شاربه^(٤) ، ودخل دار الندوة
وما استوتَ لحيته^(٥) .

فذكر الظلم ، والحق ، والبخل ، والفقر ، والجهار ، وذكر العيوب
ولم يذكر الكثير ، لأنَّ هذه الأخلاق وإن كانت داءً فإنَّ في فضول
أحلامهم وفي سائر أمورهم ما يُدَاوِي به ذلك الداء ، ويُعالج به ذلك
السُّقم ، وليس الداء المُمكن كالداء المُفضَّل ، وليس الباب المُغلق
كالْمُسْتَبْهَم ، والأخلاق التي لا يمكن معها السُّودد^(٦) ، مثلُ الكثير والكذب
والسُّخف ، ومثلُ الجهل بالسياسة .

(١) الجهار والمعارة : القصور . وأصل المعارة الإتيان ليلاً للقصور ، ثم غلب على
الزنى مطلقاً .

(٢) عتيبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . وكان اسمه حذيفة فلقب عتيبة ، لأنه
كان قد أصابته شجة فحفظت عيناه . شهد حنيناً والمثقف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة
٦١٤٦ - ب : م : « عتيبة بن حصن » ، صوابه في ط .

(٣) عتية بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . قتل يوم بدر كافراً ، هو وأخوه شيبة
ابن ربيعة ، وهو والد هند بنت حبة أم معاوية بن أبي سفيان . جمهرة أنساب العرب ٧٦ - ٧٧
والسير ٥٠٧ . جوتين . وفي ب : « عتية » ، صوابه في م ، ط .

(٤) يقال طرَّ شاربه : طلع ونبت . ويقال أيضاً طرَّ ، بالياء المجهول ، قال الأزهري :
والأول أنصح . ب : « ساربه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) في جميع الأصول : « واستوت لحيته » ، واللوجه ما أثبت .

(٦) ب : « التي لم يكن معها السُّودد » ، صوابه في م ، ط .

وخرجت خارجة بخراسان فقليل لفتيبة بن مسلم : لو وجهت إليهم
وكعب بن أبي سود لكفاهم^(١) فقال : وكعب رجل عظيم الكبر ، في أنفه
خنزروانة ، وفي رأسه نثرة ، وإنما أنفه في أسلوب^(٢) ، ومن عظم كبره
اشد عجه^(٣) ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيًا ، ولم يؤمر نصيبًا ،
ومن تبجح^(٤) بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيدًا ، ومن
الخذلان قريبًا ، والخطأ^(٥) مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة .
وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا نصيب .

ومن تكبر على علوه حقه ، وإذا حقه نهاون بأمره . ومن نهاون
بخصمه ووثق بفضله قوته قل احتراسه ، ومن قل احتراسه كثر عثاره .

وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب إلا كان منكوبًا ومهزومًا
ومخدوعًا . ولا يشعر^(٦) حتى يكون علوه عنده . وخصمه فيما يغلب
عليه أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحضر
من عقق^(٧) ، وأشد إقدامًا من الأسد ، وأوثب من فهد ، وأحقد من

(١) ب ، م : « كفاهم » .

(٢) يقال إن أنفه في أسلوب ، إذا كان متكبرًا . وأصل الأسلوب : الطريق . قال :

أنوفهم بالفخر في أسلوب وشعر الأستاذ بالجلبوب
وقط : « وإنما أنف في أسلوب » ، تحريف .

(٣) ب : « شدة عجه » ، والصواب في م ، ط .

(٤) ب ، م : « تبجح » ، صوابه في ط . والتبجح : الفخر .

(٥) الخطأ : الخطأ ، وتكثر في لغة الجاحظ . م ، ط : « والخطأ » .

(٦) يشعر موضعها يباشر في ب ، م . وكلمة « ولا » سابقة من ب فقط .

(٧) انظر الحيوان ١ : ٢٢٠ / ١٧٤ : ٣ / ١٨ : ٥ / ٣٥ . والشق بفتح

العينين ، وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ، على قدر الجملة وشكله الثراب .

وانظر مسمي الملوغ ١٥٥ ، ١٨٨ .

جَمَلٌ ، وَأَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ ، وَأَعْدَرٌ مِنْ ذَنْبٍ ^(١) ، وَأَسْخَى مِنْ لَافِظَةٍ ^(٢) ،
وَأَشَحُّ مِنْ صَبِيٍّ ، وَأَجْمَعُ مِنْ ذُرَّةٍ ، وَأَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ ^(٣) ، وَأَصْبَرُ مِنْ
صَبٍّ . فَإِنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَسْمَحُ ^(٤) بِالْإِنْيَاةِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، وَتَحْفَظُ ^(٥)
عَلَى قَدْرِ الْخَوْفِ ، وَتَطْلُبُ عَلَى قَدْرِ الطَّمَعِ ، وَتَطْمَعُ عَلَى قَدْرِ السَّبَبِ .

٨ - فصل منه

وأقول بعد هذا كله : إِنَّ النَّاسَ قَدْ ظَلَمُوا أَهْلَ الْحِلْمِ وَالْعَزَمِ ،
حِينَ زَعَمُوا أَنَّ الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْهِمُ الْإِحْتِمَالَ مَعْرِفَةَ النَّاسِ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى
الِإِنْتِقَامِ ، فَكَيْفَ وَالْمَذْكُورُ بِالْحِلْمِ وَالْمَشْهُورُ بِالْإِحْتِمَالَ يَقْبِضُ لَهُ مِنَ
السُّفَهَاءِ ، وَيُوَفِّي لَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَذَاءِ مَا لَا يَقُومُ لَهُ صَبِيرٌ . وَلَا يَنْهَضُ بِهِ
عَزَمٌ . بَلْ عَلَى قَدْرِ حِلْمِهِ يُتَعَرَّضُ لَهُ ^(٦) ، وَعَلَى قَدْرِ عَزَمِهِ يُمْتَحَنُ صَبْرُهُ ^(٧)
وَلِأَنَّ الَّذِي سَهَّلَ عَلَيْهِ الْحِلْمَ ^(٨) . وَمَكَّنَهُ مِنَ الْعَزَمِ ، مَعْرِفَةُ النَّاسِ
بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ ، واقتداره ^(٩) عَلَى شَفَاءِ الْغَيْظِ ؛ فَإِنَّ مَنْعَهُ لِنَفْسِهِ ،
وَمَجَادِبَتَهُ لَطَبِهِ مَعَ الْغَيْظِ الشَّدِيدِ ، وَالْقُدْرَةُ الظَّاهِرَةُ ، أَشَدُّ عَلَيْهِ فِي الْمَزَاوِلَةِ

(١) ب : « وَأَعْدَرٌ » صوابه في م ، ط .

(٢) الالفة : التلک ، لأنه يفتى على الحية يفتى منقاره ثم يحدف بها قدام الدجاجة ،
والله فيه للبالغة كراوية . وانظر الحيوان ٢ : ١٤٨ حيث أجرى فيه بحثاً . ط : « لالفة » ؛
بالقاف ، تحريف . وفي م : « الألفة » ، صوابها في ب .

(٣) في جميع الأصول : « أحرص » بالسين ، وإنما هي بالصاد ، كما في الحيوان
٢٢٦ - ٢٢٧ . وفيه بحث .

(٤) ب ، م : « تسع » ، صوابه في ط .

(٥) ب : « ويتحفظ » تحريف . ووسمت في م بتاء وياء في أولها ، لتقرأ بالوجهين ،
والصواب في ط .

(٦) ب ، م : « بل على قدر حلمهم يتعرض لهم » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « وعلى قدر عزيمتهم يمتحن صبرهم » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « عليهم الحلم » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « واقتداره » صوابه في م ، ط .

وَأَبْلَغُ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْمَكَابِدَةِ^(١) ، مِنْ صَبْرِ الشُّكْلِ عَلَى أَذَى شِكْلِهِ ، وَاحْتِمَالِ الْمَظْلُومِ عَنْ مِثْلِهِ ، وَإِنْ خَافَ الطَّمَسَ ، وَتَوَقَّعَ الْغَيْبَ .

٩ - فِصْل مِنْهُ

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ، فَمَنْ شَأْنِ الْآيَامِ أَنْ يُظْلَمَ الْمَرْءُ أَكْثَرَ مُحَاسِنِهِ مَا كَانَ تَابِعاً ، فَإِذَا عَادَ مَتَّبِعاً عَادَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُحَاسِنِ غَيْرِهِ بِأَضْعَافٍ مَا مَنَعَتْهُ مِنْ مُحَاسِنِ نَفْسِهِ ، حَتَّى يُضَافَ إِلَيْهِ مِنْ شَوَارِدِ الْأَفْعَالِ^(٢) ، وَمِنْ شَوَارِدِ الْمَكَارِمِ إِنْ كَانَ سَيِّداً ، وَمِنْ غَرِيبِ الْأَمْثَالِ إِنْ كَانَ مُنْطَلِقاً^(٣) ، وَمِنْ خِيَارِ الْقَصَائِدِ إِنْ كَانَ شَاعِراً ، مِمَّا لَا أَمَارَاتٍ لَهَا ، وَلَا سِمَاتٍ عَلَيْهَا .

فَكَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ وَصَنِيعَةٍ غَرَاءَ^(٤) ، ضَلَّتْ فَلَمْ يَقُمْ بِهَا نَاشِدٌ ، وَخَفِيَتْ فَلَمْ يُظْهَرْهَا شَاكِرٌ . وَالَّذِي ضَاعَ لِلتَّابِعِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعاً^(٥) ، أَكْثَرَ مِمَّا حُفِظَ ، وَالَّذِي نُسِيَ^(٦) أَكْثَرَ مِمَّا ذُكِرَ ، وَمَا ظَنَنْكَ بِشَيْءٍ بَقِيَّتُهُ^(٧) تَهْبُ السِّيَادَةُ ، وَمَشْكُورُهُ يَهْبُ الرِّيَاسَةُ^(٨) ، عَلَى قَلَّةِ الشُّكْرِ ، وَكَثْرَةِ الْكَفْرِ .

وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ تَامَ النَّفْسِ نَاقِصَ الْأَدَاةِ ، فَلَا يُسْتَبَانُ فَضْلُهُ ، وَلَا يُعْظَمُ قَدْرُهُ ، كَالْمُعْرِجِ الَّذِي لَا عَشِيرَةَ لَهُ^(٩) ، وَالْإِنَاوِيَّ الَّذِي

(١) الْمَكَابِدَةُ : الْمَقَامَةُ وَالْمَنَاقِبَةُ . ب ، م : « الْمَكَابِدَةُ » ، صَوَابُهُ ق ط .

(٢) ط : « حَتَّى يُضَافَ » ، م ، ط : « وَمِنْ شَوَارِدِ الْأَفْعَالِ » .

(٣) ب : « مُنْطَلِقاً » ، م : « مُنْطَلِقاً » ، صَوَابُهُ ق ط .

(٤) ب : « وَصَنِيعَةٍ غَرَاءَ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) ب : « مَتَّبِعاً » ، م : « مَتَّبِعاً » ، صَوَابُهُمَا ق ط .

(٦) ط فَقَطْ : « كَمْ » .

(٧) ب ، م : « يَبْقَى » ، صَوَابُهُمَا أَثَبْتُ . وَق ط : « مَذْكُورَةٌ » .

(٨) م : « وَمَشْكُورُهُ يَهْبُ الرِّيَاسَةُ » .

(٩) الْمُعْرِجُ : الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَلَا عَشِيرَةَ ، فَإِذَا جُنِيَ جَنَاتُهُ كَانَتْ جَنَاتُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ .

لَا قَوْمَ لَهُ ^(١) . وَقَدْ يَعْظُمُ الْمُفْرَجُ الَّذِي لَا وِلَاءَ لَهُ وَلَا عَقْدُ جَوَارٍ ، وَلَا عَهْدُ حِلْفٍ ، إِذَا بَرَعَ فِي الْغَيْقَةِ وَيَلْغَى فِي الزُّهْدِ . بِأَكْثَرِ مِنْ تَعْظِيمِ السَّيِّدِ . كَجَهَةِ تَعْظِيمِ الدِّيَّانِ . كَمَا أَنَّ طَاعَةَ السُّلْطَانِ غَيْرُ طَاعَةِ السَّادَةِ ، وَالسُّلْطَانُ إِنَّمَا يَحْلِكُ أَبْدَانِ النَّاسِ ، وَلَمْ يَخْيَارُ فِي عَقُولِهِمْ ، وَكَذَلِكَ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ . وَطَاعَةُ النَّاسِ لِلسَّيِّدِ ، وَطَاعَةُ الدِّيَّانِ طَاعَةً مُحِبَّةً وَدِينُونَةً ، وَالْقُلُوبُ أَطْوَعُ لَهَا مِنَ الْأَبْدَانِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السُّلْطَانُ مَرْضِيًّا ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنَ السَّيِّدِ ، وَأَوْجَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الدِّيَّانِ .

وَرَبِّمَا سَادَ الْأَتَاوِيُّ لِأَنَّهُ عَرَبِيٌّ ^(٢) عَلَى حَالٍ . وَالْمُفْرَجُ لَا يَسُودُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَجَمِيٌّ لَا حِلْفَ لَهُ ، وَلَا عَقْدَ جَوَارٍ ، وَلَا وِلَاءَ مَعْرُوفٍ ، وَلَا نَسَبٍ ثَابِتٍ . وَلَيْسَ التَّسْوِيدُ إِلَّا فِي الْعَرَبِ ، وَالْعَجَمُ لَا تُطِيعُ إِلَّا لِلْمُلُوكِ .

وَالَّذِي أَحْرَجَ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى تَسْوِيدِ الرِّجَالِ وَطَاعَةِ الْأَكْبَارِ . بَعْدَ دَوْرِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ ^(٣) وَالْقُضَاةِ ، وَأَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ^(٤) ، وَالْمَسَالِحِ وَالْعُمَالِ . فَكَانَ السَّيِّدُ ، فِي مَنَعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَمَنَعَ غَيْرِهِمْ مِنْهُمْ ، وَوُثُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، فِي كَثِيرٍ مِنْ مَعَالِي السُّلْطَانِ .

(١) الْأَتَاوِيُّ : الْغَرِيبُ الَّذِي هُوَ فِي شَيْرِ وَطَنِهِ . وَهُوَ يَنْتَلِثُ الْهَمْزَةُ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَسْوَلِ : « حَزِي » ، وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) ب : « وَالْأَحْكَامُ » ، صَوَابُهُ فَم ، ط .

(٤) هُمُ الرُّؤَسَاءُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانُوا إِذَا غَزَوْا وَغَنَسُوا أَخَذَ الرَّئِيسُ رِبْعَ الْفَتْنَةِ ، يُقَالُ مَعْدَ ذَلِكَ : قَدَرِبَهُمْ ، وَمَا يَأْخُذُهُ هُوَ الْمَرْبَاعُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنَةَ الْقُضَيْ (الْأَصْمَعِيَّاتُ ٣٧) :

لَكَ الْمَرْبَاعُ مِنْهُمْ وَالْمَرْبَاعُ وَحُسْكَكَ وَالْفَتْنَةُ وَالْفَتْنُ

من رسالتي

المودة والمخالطة، إلى أنى الفرج

١- فصل

من رسالته إلى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة^(١)

أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأنم نعمته عليك .

زعم - أبقاك الله - كثير ممن يقرض الشعر ويروي معانيه ،
ويتكلف الأدب ويحبيه^(٢) ، أنه قد يمدح المرجو المأمول ، والمغشى^(٣)
المزور^(٤) ، بأن يكون مخلوعاً ، وعيى الطرف مغفلاً^(٥) ، وسلم الصدر
لراغبين ، وحسن الظن بالطالبيين^(٦) ، قليل الفطنة لأبواب الاعتذار ،
عاجزاً عن التخلص إلى معاني الاعتلال^(٧) ، قليل الجذق برد الشفعا ،

(١) هذه الرسالة غير رسالته إليه التي كتب بها إليه يذكر فيها من كانت كنيته « أبا حيان »
مطابقة لكنية الجاحظ . وسبق نشرها في الجزء الأول من الرسائل ٣٢١ - ٣٢٢ . وأبو الفرج هذا
هو محمد بن نجاح بن سلمة ، كما في جمع الجواهر للمصري ١٧١ . وأبوه نجاح بن سلمة كان حل
ديوان التوقيع في خلافة المتوكل ، وقتله سنة ٢٤٥ ووجه إلى ابنه : أبي الفرج هذا وأبي عمه ،
فأخذ أبو الفرج ، وهرب أبو عمه ، كما ذكر الطبري في حوادث تلك السنة .
وقد نشرها السخوني في رسائل الجاحظ ٣٠٣ - ٣١٠ كما سبق نشرها في هامش الكامل .
والمقابلة هنا على النسخ الثلاثة ب ، م ، ط .

(٢) يحبيه : يمتاز ويصطفيه . ب ، م : « ويكلف الأدب » ، صوابه في ط .
(٣) ط : « المرجو المأمول والمغشى المزور » ، صوابه في ب ، م .
(٤) القسي ، حل وزن خذر وفرح : الأحمى . يقال رجل حم وامرأة حمية . وفي قول زهير :
وأعلم علم اليوم والأس قبله . واكتفى عن علم ما في عدم
(٥) ب ، م : « بالظالمين » ، صوابه ما أثبت .
(٦) الاعتلال : بيان اللمة . وفي الأصول : « الاعتذار » ولا يرجه له .

شديدة الخوف من مَبَاسِمْ الشعراء^(١) ، حَصِيرًا^(٢) عند الاحتجاج للمنع ،
سلسَ القياد إذا نَبِهَتْهُ لِلْبَذَلِ^(٣) ، واخْجُرُوا بقول الشاعر :

لَيْتَ الْخَلِيفَةَ فَاخَذَعُهُ بِمَسْأَلَةٍ إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدِعُ

فانتحالُ المأمول للَغْفلة التي تَعْتَرِي الكرام ، وانخِداً^(٤) الجواد
لِخُدْعِ الطالبين وَمَخَارِقِ الْمُسْتَبِيعِينَ^(٥) ، بَابُ مِنَ التَّكْرُمِ ، ومن
استدعاه الرَّاغِبُ ، والتعرُّضُ للمُجْتَلَبِ ، والتلطُّفُ لاستخراج الأموال ،
والاحتِبالُ لحلَّ عَقْدِ الْأَشْغَاءِ ، وتَبْيِيجُ طبائع الكرام .

وَأَنَا أَزْعُمُ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - أَنَّ لِقَارَارِ الْمَسْئُولِ بِمَا يَنْحَلُّ مِنْ ذَلِكَ نَوْكٌ^(٦) ،
وإِضْمَارُهُ لَوْمْ ، حَتَّى تَصِحَّ الْقِسْمَةُ^(٧) ، وَيَعْتَدِلَ الْوِزْنُ .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَذْكِيرٍ يُنَاسِبُ^(٨) الْاِقْتِضَاءَ ، وَمِنْ اِقْتِضَاءِ

(١) في جميع الأصول : « مَبَاسِمٌ » ، صوابه ما أثبت . والمبَاسِم : جمع مبسم . وهو المكواة
أو الأداة التي تؤسم بها الدواب ، ويقال في جمعها أيضاً مَوَاسِم . والمسرَاد بالمبَاسِم هنا
آثار الهجاء للاذع . قال المتلمس :

ولو شِيرُ أَمْوَالٍ أَرَادُوا تَقْصِيقَ جِلَّتْ لَمْ فَوْقَ الْفَرَائِيقِ مِيسَا

يقول : أجموع هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الأتف .

(٢) الحَصِير : ضرب من القي في المنطق . حصر حصرًا مثل تعب تعبًا . ب : « حَصِيرًا »
م : « حَصِيرًا » ط : « حَصِيرًا » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ب : ط : « إِذَا نَبِهَتْهُ نَبْهَةً لِلْبَذَلِ » بالتكرار . صوابه في م .

(٤) ب : م : « وَانْخِداً » ط : « وَانْخِداً » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) المراد بالمخاريق هنا الإدماعات الكاذبة . وقال الخبيري في شرح المثلقات : « قيل
المخاريق ما مثل بالشيء وليس به ، نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر حواشي الحيوان
٣٧٨ : ٤ .

(٦) النوك ، بضم النون وقصفا : الحق . والنكلة ، بالكسر : البلية . ط : « يَنْجَلِ » ،
تحريف .

(٧) ط : « الْقِيَمَةُ » .

(٨) ب : م : « تَذْكَرُ تَنَاسِبُ » ط : « تَذْكَرُ يَنَاسِبُ » ، ووجهها ما أثبت .

يُضَارِعُ الْإِلْحَاحَ . وَمِنْ جِرْصِي يَعُودُ إِلَى الْجِرْمَانِ . وَمِنْ رِسَالَةٍ ظَاهِرُهَا زُهْدٌ ، وَبَاطِنُهَا رَغْبَةٌ . فَإِنَّ أَسْقَطَ الْكَلَامِ وَأَوْغَدَهُ ^(١) ، وَأَبْيَنَهُ مِنَ السَّامَةِ وَأَنْكَدَهُ ، مَا أَظْهَرَ التَّزَاهَةَ وَأَضْمَرَ الْجِرْصَ . وَتَجَلَّى لِلْعُيُونِ بَعِينِ الْقَنَاعَةِ : وَاسْتَشَرَّ ^(٢) ذَلَّةَ الْاِفْتِقَارِ .

وَأَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ . وَأَقْبَحُ مِنْهُ وَأَفْحَشُ . أَنْ يَقْظُنُ صَاحِبَهُ أَنَّ مَعْنَاهُ خَفِيُّ وَهُوَ ظَاهِرٌ . وَتَأْوِيلُهُ بَعِيدُ الْغَوَرِ وَهُوَ قَرِيبُ الْقَمَرِ ^(٣) .

فَنَسَّأَلُ اللَّهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ فَإِنَّهَا أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى اتِّصَالِ نِعْمَتِنَا بِنِعْمَتِكُمْ ، وَمَا أَلْهَمَنَا اللَّهُ مِنْ وَصْفِ مُحَاسِنِكُمْ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مُسْتَفْتَحَ كِتَابِهِ . وَآخِرَ دَعْوَى أَهْلِ جَنَّتِهِ .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا اجْتَهَدَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَاسْتَفْرَغَ مَجْهُودَهُ فِي طَاعَةِ سَيِّدِهِ ، لِيَهَبَ لَهُ الْإِخْلَاصَ فِي الدُّعَاءِ لَمْزَ أَنْتَمَ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، لَكَانَ حَرْبًا بِذَلِكَ أَنْ يُدْرِكَ أَقْصَى غَايَةِ الْكَرَمِ فِي الْعَاجِلِ ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ فِي الْآجِلِ .

وَعَلَى أَنِّي لَا أَعْرِفُ مَعْنَى أَجْمَعَ لِمُخْتِصَالِ الشُّكْرِ ، وَلَا أَدُلُّ عَلَى جِمَاعِ الْفَضْلِ ، مِنْ سَخَاوَةِ النَّفْسِ بِإِدَاءِ الْوَلِجِبِ ^(٤) .

(١) أَوْغَدَهُ ، مِنْ الْوُغْدَةِ ، وَهِيَ الثَّلَّةُ وَالضَّغْفُ وَالزُّومُ . ج ب ، م : « أَوْغَدَهُ » ، صَوَابُهُ قُطْ .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَاسْتَشَعَ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثَبَتْ . وَالشَّمَارُ : مَا لَوْ جَسَدَ الْمَرْءِ مِنَ الْخِيَابِ .

(٣) ج ب ، م : « الْفَقْر » ، صَوَابُهُ قُطْ .

(٤) السُّخْلُوةُ : السَّخَاءُ ، وَمُظْهَرُهَا السُّخُو وَالسُّخُوَةُ بِضَمِّينِ فَيُحْمَلُ مَعِ تَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَكَذَلِكَ السُّخَا بِالْقَمَرِ .

ونحن وإن لم نكن أعطينا الإخلاص^(١) جميع حقّه . فإنّ المرء مع من أحبّ ، وله ما احتسب .

ولا أعلم شيئاً أزيّد في السيئة من استصغارها ، ولا أحبط للحسنة من العُجب بها^(٢) .

وبما يستديم الخطأ لُبُّ التَّقْصِيرِ^(٣) وإهمال النفس ، وترك التوقّف ، وقلة المحاسبة ، وبعْد العهد بالثبوت . ومهما رجعنا إليه من ضعف في عزم ، وهان علينا ما نفقِد من مناقل الحِلْمِ^(٤) . فلإنّا لا نجتمع بين التَّقْصِيرِ والإنكار^(٥) .

ونعوذُ بالله أن نقصّر في ثناء على مُحسن ، أو دعاء لمُنعم . ولئن اعتدّنا لأنفسنا بصدق المؤدّة^(٦) - وبجميل الذّكر ، فلمّا يُعَدُّ لكم^(٧) ، مِن تحقّق الآمال ، والنّهوض بالأنقال أكثر .

على أنكم لم تُحملونا إلّا الخِفّ ، وقد حملناكم الثّقَل . ولم تسألونا الجزاء على إحسانكم : وقد سألناكم الجزاء على ما سألناكم . ولم تكلفونا ما يَجِبُ لكم ، وكلفناكم ما لا يجب .

ومن إفراط الجهل أن نتذكّر حقنا في حُسن الظنّ ، ولا نتذكّر

(١) في الأصول : « الإخلاص » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : م : « لحسة » وأثبت ما في ط . وفي ب : « من العجب لما » ، تحريف .

(٣) لُبّ ، ساقطة من ط . وفي ب : « وما يستيد » ، صوابه في م ، ط .

(٤) المناقل : المراسل ، والطرق المختصرة .

(٥) ب فقط : « والانتكال » .

(٦) ب فقط : « لنفسنا » ، وفي ب : م : « بمودة الصدق » .

(٧) ط : « فأيّد لكم » .

حَقِّكُمْ فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ الظَّنِّ^(١) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« مَا عَظَّمْتُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَظَّمْتُ عَلَيْهِ مُؤْنَةَ النَّاسِ^(٢) » .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلَزَمَكُمْ الْمُؤْنَةَ الثَّقَالَ ، وَوَصَلَ بِكُمْ آمَالَ الرِّجَالِ .
وَامْتَحَنَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى تَجَرُّعِ الْمُرَارِ ، وَكَلَّفَكُمْ مُفَارَقَةَ الْمَحْبُوبِ مِنْ
الْأَمْوَالِ ، أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَيْكُمْ ، وَيُحَبِّبَهَا إِلَيْكُمْ ، حَتَّى يَكُونَ شَفْعُكُمْ بِالْإِحْسَانِ
الْبَادِعِ إِلَيْهِ ، وَصِيَابَتِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ الْحَامِلِ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى يَكُونَ حُبُّ
التَّفَضُّلِ ، وَالْمَحَبَّةُ لِعَقْدَادِ الْوَيْنِ الْغَايَةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي الْمُدَبِّرَ ، وَالنَّهَائِيَّةَ
الَّتِي تَعْلِزُ الْمُقَصِّرَ ، وَحَتَّى تُكْرِهُوا عَلَى الْخَيْرِ مِنْ أَخْطَأَ حَظَّهُ^(٣) ،
وَتَفْتَحُوا بَابَ الطَّلَبِ لِمَنْ قَصَرَ بِهِ الْعَجْزُ .

ثُمَّ اعْلَمْ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَنَّ الَّذِي وَجِدَ فِي الْعِبَرَةِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ
التَّجَرُّبَةُ ، وَاتَّسَقَ بِهِ النِّظْمُ ، وَقَامَ عَلَيْهِ وَزَنُ الْحُكْمِ ، وَأُطْرِدَ مِنْهُ النَّسَقُ ،
وَأَثْبَتَهُ الْفَحْصُ^(٤) ، وَشَهِدَتْ لَهُ الْعُقُولُ . أَنَّ مِنْ أَوَّلِ أَسْبَابِ الْخُطْطَةِ ،
وَالنَّوَاعِي إِلَى الْمَحَبَّةِ ، مَا يُوجِدُ^(٥) عَلَى بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْقَبُولِ عِنْدَ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَقِلَّةِ انْقِبَاضِ النُّفُوسِ مَعَ أَوَّلِ لَحْظَةٍ^(٦) ، ثُمَّ اتِّفَاقِ الْأَسْبَابِ
الَّتِي تَقَعُ بِالْمُوَافَقَةِ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَجَالَسَةِ ، وَتَلَاقِ النُّفُوسِ بِالْمَشَاكِلَةِ عِنْدَ
أَوَّلِ الْخُطْطَةِ .

وَالْأَدَبُ أَدْبَانِ : أَدَبُ خُلُقٍ ، وَأَدَبُ رِوَايَةٍ ، وَلَا تَكْمُلُ أُمُورُ صَاحِبِ

(١) ط : « أَنْ تَذَكَّرَ حَقًّا فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ الظَّنِّ » ، وَأَثْبَتَ السَّقَطَ مِنْ ب ، م .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي قِصَاصِ الْحَوَائِجِ عَنْ عَائِشَةَ ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ مِنْ مَعَاذِ
الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ٧٩٤٢ . وَتَمَامُهُ : « فَنَ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمُؤْنَةَ لِلنَّاسِ فَقَدْ عَرَضَ تِلْكَ النِّعْمَةُ لِقُرْوَالِ » .

(٣) ب فقط : « خِطَّة » ، تَحْرِيفٌ .

(٤) ب ، م : « وَثَبَتَ الْفَحْصُ » .

(٥) ط : « مَا يُوجِدُهُ » ، صَوَابُهُ فِي ب ، م . وَفِي م بَعْدَهُ : « عَلَى بَعْضِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) ط : « الْخُطْطَةُ » .

الأدب إلا بهما ، ولا يجتمع له أسباب التمام إلا من أجلهما ، ولا يُعدُّ في الرؤساء ، ولا يُنقَى به الخِصَر في الأدباء ، حتى يكون عقله المتأمر عليهما ، والسائس لهما^(١) .

٢ - لفصل منه

فإن تُمِت بعد ذلك أسباب الملاحاة تحت المصافاة ، وحنُّ الإلف إلى سَكَنته^(٢) . والشأن قبل ذلك لِمَا يَسْبِقُ إلى القلب^(٣) ، ويخفُّ على النَّفْس ، ولذلك احترس الحازم المستعنى عليه^(٤) من السابق إلى قلب الحاكم عليه .

وكذلك^(٥) التمسوا الرفق والتوفيق ، والإيجاز وحسن الاختصار ، وانخفاض الصوت ، وأن يُخرج الظالم كلامه مُخْرَجَ لَفْظِ المظلوم .

نعم ، وحتى يترك اللحن بحجته بعد^(٦) ، ويخلف الداهية كثيراً من أدبه ، ويغض من مجاس منطوقه . التماساً لمواساة خصمه في ضعف الحيلة ، والتشبه به في قلة القنطة .

نعم ، وحتى يكتب كتاب سعاية ومحل وإغراق وتحد^(٧) ، فيلحن في إعرابه . ويتسَخَّف في ألفاظه^(٨) ، ويتجنب القصد ، ويهرب من

(١) الوار ساقطة من ب . وفي ط : « والسائس له » تحريف .

(٢) ط : « وحن » تحريف . وفي ب : م : « وحن الألف » .

(٣) في الأصول : « ما يسبق القلب » ، ووجه ما أثبت .

(٤) ب : « الحازم المستعنى عليه » ، صوابه في م : ط .

(٥) ط : « ولذلك » .

(٦) سقطت كلمة « نعم » والوار يملأها من ط .

(٧) الكلمة ساقطة من ط . وهي في ب : « مجد » وفي م : « مجد » يكون ولو قبلها ،

ولعل الوجه ما أثبت .

(٨) ب فقط : « ويتسَخَّف في ألفاظه » .

اللَّفْظُ الْمُعْجَبُ لِيُخْفِيَ مَكَانَ حِلْقَةٍ^(١) ، وَيُسْتَبَرَّ مَوْضِعَ رَفْقِهِ ، حَتَّى لَا يَحْتَرَسَ مِنْهُ الْخَصَمُ . وَلَا يَتَحَفَّظُ مِنْهُ صَاحِبُ الْحَكْمِ ، بَعْدَ أَنْ لَا يَفْهَمُ بَيِّنَ مَعْنَاهُ ، وَلَا يَقْصُرُ فِي الْإِفْصَاحِ عَنْ تَفْسِيرِ مِثْرَاهُ^(٢) ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ الْمَنَى^(٣) فِيهِ أَبَيَّنَ ، وَذُو الْفَبَاوَةِ أَفْطَنَ ، وَالرَّادِيُّ أَجْوَدُ . وَالْأَتَوَكُّ أَحْزَمُ ، وَالْمُضَيِّعُ أَحْكَمُ ؛ إِذْ كَانَ غَرَضُهُ الَّذِي إِيَّاهُ يَرْمِي ، وَغَايَتُهُ الَّتِي إِلَيْهَا يُجْرِي ، الْإِنْتِفَاعَ بِالْمَعْنَى الْمُتَخَيَّرِ^(٤) دُونَ الْمُبَاهَاةِ بِاللَّفْظِ ، وَإِنَّمَا كَانَ غَايَتُهُ لِإِصَالِ الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ دُونَ نَصِيبِ السَّمْعِ مِنْ اللَّفْظِ الْمُؤَنَّقِ ، وَالْمَعْنَى الْمُتَخَيَّرِ ؛ بَلْ رُبَّمَا لَمْ يَرْضَ بِاللَّفْظِ السَّلِيمِ حَتَّى يُسْقِمَهُ لِيَقَعَ الْعَجْزُ مَوْضِعَ الْقُوَّةِ ، وَيُعَرَّضَ الْيَمْنَى^(٥) فِي مَحَلِّ الْبَلَاغَةِ . إِذَا كَانَ حَقٌّ ذَلِكَ الْمَكَانَ اللَّفْظُ الدُّوْنُ^(٦) ، وَالْمَعْنَى الْفَعْلُ .

هَذَا إِذَا كَانَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ . وَمَوْلَى لَفْظِ الْمَحَلِّ وَالسَّاعِيَةِ ، مِمَّنْ يَتَصَرَّفُ قَلَمُهُ ، وَيَعْلَلُ لِسَانَهُ ، وَيَلْتَزِقُ^(٧) فِي مَذَاهِبِهِ ، وَيَكُونُ فِي سَعَةِ وَجِلٍّ لَأَنَّهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ^(٨) إِلَى طَبَقَةِ الذَّلِّ وَهُوَ عَزِيزٌ ، وَمَحَلٌّ الْيَمْنَى وَهُوَ بَلِيجٌ ، وَيَتَحَوَّلُ فِي هَيْئَةِ الْمَظْلُومِ وَهُوَ ظَالِمٌ ، وَيُمْكِنُهُ تَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، وَسَتَرُ الْعُيُوبِ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا شَاءَ طَفَا ، وَإِذَا شَاءَ وَسَبَّ ، وَإِذَا شَاءَ أَخْرَجَهُ غُفْلًا صَحِيحًا^(٩) .

(١) ط : « حلقته » ، تحريف .

(٢) المنزى : القصة . وفي ب ، م : « منواه » ، تحريف .

(٣) المنى : المنى ، والتي أكثر استعمالاً ، وهو الساجز عن البيان . ب ، م : « المنى » . صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « المتخير » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « المنى » ، صوابه في ط .

(٦) ط : « المفعول » .

(٧) لعلها « ويتصرف » .

(٨) في جميع الأصول : « ويكون في وسه وصل » ، والوجه ما أثبت ، وفي ب فقط

« يحيط نفسه » ، تحريف .

(٩) غفلاً ، أي مجرداً من الزخرف . وفي جميع الأصول : « غفلاً » ، ولا وجه له .

وما أَكْثَرَ من لا يُحْسِنُ إِلَّا الْجَيِّدَ^(١) ، فَإِنْ طَلَبَ الرَّدَى جَاوَزَهُ^(٢) .
 كما أَنَّهُ مَا أَكْثَرَ من لا يَسْتَطِيعُ إِلَّا الرَّدَى ، فَإِنْ طَلَبَ الْجَيِّدَ قَصَرَ عَنْهُ .
 وليس كُلُّ بَلِيغٍ يَكُونُ بِذَلِكَ الطَّبَاعِ^(٣) ، وَمُيَسِّرُ الْأَدَاةِ ، وَمَوْسِعاً
 عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِ اللِّسَانِ ، وَمَعْنُوناً عَلَيْهِ^(٤) فِي تَحْوِيلِ الْقَلَمِ .
 وما أَكْثَرَ من البَصْرَاءِ مَنْ يَحْكِي الْعُمَيَّانِ^(٥) ، وَيُحَوِّلُ لِسَانَهُ إِلَى
 صُورَةِ لَفْظِ الْقَافَاءِ بِمَا لَا يَبْلُغُهُ الْقَافَاءُ وَلَا يُحْسِنُهُ التَّمَتُّاعُ . وقد نَجَدُ من
 هُوَ أَبْسَطُ لِسَاناً وَأَبْلَغُ قَلْماً ، لَا يَسْتَطِيعُ مَجَاوِزَةَ مَا بِشِرْكِهِ ، وَالْخُرُوجَ
 بِمَا قَصَرَ عَنْهُ .

٣ - فصل منها

ولولا الحدودُ المحصَّلة والأقسامُ المعدَّلة^(٦) ، لكانت الأمور سُدىً ،
 والتَّدَابِيرُ مُهْمَلَةً ، ولكانت عَوْرَةُ الْحَكِيمِ بَادِيَةً ، ولاختلطت السافلة
 بالعالية .

٤ - فصل منها

وَأَنَا أَقُولُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ : لو لم أَضْمَرْ لَكُمْ مَجَبَةً قَدِيمَةً ، ولم أَضْمَرْ^(٧)
 بِكُمْ^(٨) بِشْفِيعٍ مِنَ الْمَشَاكِلَةِ . ولا سببَ الْأَدِيبِ إِلَى الْأَدِيبِ^(٩) ، ولم

(١) ب فقط : « إل الجيد » .

(٢) ب ، م : « حاوره » .

(٣) الطباع : اللبج ، كما أَنَّهُ أَيْضاً جَمْعُ طَبِيعٍ . ط : « يظك الطباع » .

(٤) أي مَتَعاً عَلَيْهِ . وفي الكتاب العزيز : « ولقد مَتَّعْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى » . ط ٣٧ .

(٥) ب : « وما أَكْثَرَ من بَصْرٍ » م : « من البصر » ، صوابهما في ط . والبصراء :

جَمْعُ بَصِيرٍ .

(٦) ط فقط : « الممتدة » .

(٧) ضَمْرِي بِهِ ضَرْأٌ وَضَرْأُوهُ : لَهْجٌ ، واعتاده فلا يَكْدُ يَصْبِرُ عَنْهُ .

(٨) ب : « ولا سببَ الْأَدِيبِ » فقط .

يكن على قبول . ولا على حلاوة عند المحصول . ولم أكن إلا رجلاً من
عُرُضِ المعارف ، ومن جُهور الأتباع - لَكَانَ في إحسانكم إلينا ، وإنعامكم
علينا ، دليل على أننا قد أخطأنا المحبة . وأصفينا لكم المودة .

وإذا عرفتم - ذلك بالدليل النَّير الذي أنتم سببه . والبرهان الواضح
الذي إليكم مرجعه . لم يكن لنا عند الناس إلا توقعُ ثمرة الحب ،
ونتيجة جميل الرأي ، وانتظار ما عليه مُجازاة القلوب .

وبقدر الإنعام تجود النفوس بالمودة ، وبقدر المودة تنطلق الألسن
بالوصحة .

وهذه الوسيلة أكثر الوسائل ^(١) وأقواها في نفسى : أتى لم أصِل
سببى بمُحرَّم غُمر ^(٢) ولا بمُحَلَّل ^(٣) غُفَل ^(٤) ، ولا بصيق الطَّن حليث .
الغنى ، ولا بزمر المرأة مُستنبت الثرى ^(٥) ؛ بل وصلته بحمال أُنقال ^(٦)
ومقارع أبطال ، وبمن وُلِد في البُسر وربى فيه ، وجرى ^(٧) منه على عرق
ونزع إليه .

٥ - فصل منها

ولا خير في سمين لا يحتمل مُزال أخيه ، وصحيح لا يجبر كسر
صاحبه .

(١) ب ، م : « وسائل » .

(٢) المحرم : الذى لم يخالط المحرم . ويبر محرم : صعب . ب : « سى » مجرم »

صوابه في م ، ط . وفى ط « و غمر » .

(٣) ط : « مجتل » .

(٤) الثرى : الثير . أى ينال خير . به جهه واستخراج .

(٥) م : « لحال أُنقال » ط : « وصلته وصلة لحال أُنقال » : والوجه ما أثبت من ب .

(٦) ب ، م : « وجرى منه » وأثبت ما في ط .

٦ - فصل منها

وقد تنقسم المودة إلى ثلاث^(١) منازل :

منها : ما يكون على احتراز الأريحية وطبع الحرية .

ومنها : ما يكون على قدر فرط وسائل القاقة^(٢)

ومنها : ما يحسن موقعه^(٣) على قدر طباع الحرص وجشع النفس .

فأرفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة . وهو الذي يلوم شكره ، ويبقى على الأيام وده . والثاني هو الذي إنما اشتد حبه على قدر موضع المال من قلب الحريص الجشع ، واللثم الطمع . فهذا الذي لا يشكر ، وإن شكر لم يشكر إلا ليستزيد ، ولم يمدح إلا ليستمد . وعلى أنه لا يأتي الحمد إلا زحفاً ، ولا يفعله إلا تكلفاً .

وأنا أسأل الله الذي قسم له^(٤) أفضل الحظوظ في الإنعام ، أن يقسم لنا أفضل الحظوظ في الشكر . وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا إلا على طاعة توجب الدعاء ، وحرية توجب الثناء . شاكرين كنا أو منعمين ، وراغبين كنا أو مرجئين .

ومن صرف^(٥) الله حاجته إلى الكرام ، وعدل به عن اللثام فلا يعدن نزره في الراغبين ولا في الطالبين المؤمنين ، لأن من لم يجزع مرارة المطال ، ولم يمد للرحيل التسويف ، ويقطع عنقه بطول الانتظار .

(١) ب : م : « على ثلاثة » .

(٢) ب : « وشل » م : « وسل » ، صوابها ق ط .

(٣) ب : « يحصل موقعه » .

(٤) له ، ساقطة من ب .

(٥) ب : « تصرف » صوابه ق م ط .

وَيَخْمِلُ مَكْرُوهَ ذَلِكَ السَّوَالِ . وَيُحْمَلُ عَلَى طَمَعٍ يَحْتَهُ يَأْسٌ ، كَانَ خَارِجًا
مِنْ حُلُودِ الْمُؤْمِلِينَ .

وَمَنْ اسْتَوَى عَلَى طَمَعِهِ الثَّقَةُ بِالْإِنْجَازِ ^(١) ، وَعَلَى طَلِبَتِهِ الْيَقِينُ
بِسُرْعَةِ الظَّفَرِ ، وَعَلَى ظَفَرِهِ الْجَزِيلُ مِنَ الْإِفْضَالِ ، وَعَلَى إِفْضَالِهِ الْعِلْمُ
بِقِلَّةِ التَّثْرِبِ ^(٢) ، وَبِالْأَمَانَةِ مِنَ التَّنْقِصِ ^(٣) بِالنَّاسِ الشُّكْرُ ، وَبِالْبُكُورِ
وَبِالرَّوَّاحِ ^(٤) وَبِالْخُضُوعِ إِذَا دَخَلَ ، وَبِالْإِسْكَاتَةِ إِذَا جَلَسَ . ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ مَا أَنْجَمَ بِهِ عَلَيْهِ ثَوَابًا لِسَالِفِيهِ ، وَلَا تَعْرِيفًا مِنْ كَدِّ ، كَانَتْ
النِّعْمَةُ ^(٥) مُحْضَةً خَالِصَةً ، وَمَهْذَبَةً صَافِيَةً ، وَهِيَ نِعْمَتُكُمْ الَّتِي ابْتَدَأْتُمُونَهَا .
وَلَا تَكُونِ النِّعْمَةُ سَابِقَةً وَلَا الْإِدْنَى شَامِلَةً ^(٦) ، وَلَا السُّتْرُ كَثِيفًا
ذِيئَالًا ، وَكَثِيرَ الْعَرَضِ مُطْبِقًا ، وَدُونَ الْفَقْرِ حَاجِزًا ، وَعَلَى الْيَقِينِ مُلْتَحِفًا ،
حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِكُمْ ، ثُمَّ يُحْتَسَبَ ^(٧) إِلَى شَاكِرٍ حُرٍّ .

٧ - فصل منها

وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تَقْلُمُ بَابَتِنَاءِ الْمَكَارِمِ فِي حَالِ الْمُهْلَةِ ، وَأَخْلَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
فِيهَا بِالثَّقَةِ عَلَى مَقَادِيرِ مَا مَكَّنْتُمُ الْإِنْسَانِيَّةَ ^(٨) . وَمَدَدْتُمُ الْأَطْنَابَ ، وَثَبَّتُمْ
الْقَوَاعِدَ . وَلِلذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ ^(٩) :

(١) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « بِالْإِنْجَازِ » ، صَوَابُهُ مَا أَثَبْتُ .

(٢) التَّثْرِبُ : الْوَرَمُ وَالتَّصِيرُ بِالْفَتْحِ .

(٣) م ، ط : « التَّنْقِصُ » صَوَابُهُ فِي ب .

(٤) ط : « وَبِالنَّدْوِ وَالرَّوَّاحِ » .

(٥) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « النَّعْمَةُ كَانَتْ » ، وَهِيَ مَا أَثَبْتُ .

(٦) ب ، م : « وَلَا أَيْدَى » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) ب ، م : « مُحْتَسَبٌ » .

(٨) الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ بِتَشْدِيدِ الْهَاءِ وَتَخْفِيفِهَا ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ كَقَوْلِهِ أَيْمَنًا : طَلَبُ الْبَيْتِ .

(٩) هُوَ أَمْسُ بْنُ مَرْكَةَ الْخَلَسِيِّ ، كَانَ فِي الْحَيَاةِ ١ : ٨١ . وَانْظُرْ سَيَبُوهَ ١ : ١١٦

وَالْمُقْتَضَبُ ٤ : ٤٣٥ وَالْخَزَائِنَةُ ١ : ٤٧٦ / ٢ : ٤٥٥ وَالْمَجْمَعُ ١ : ١٩٧ .

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لَأَمْرٍ مَا يُسَوِّدُ مِنْ يَسُودُ

وأبو الفرج - أعزّه الله - فَتَى السَّكَرَيْنِ ^(١) ، وأدیبُ المِصرين ^(٢) جمعُ أَرِيحَةَ الشَّبابِ ، وَنَجَابَةَ الكُھُولِ ، ومحبّةُ السَّادَةِ ، وَبَهَاءَ القَادَةِ وأَخْلَاقِ الأَدْبَاءِ ، وَرَشَاقَةَ عُقُولِ الكُتَّابِ . وَالتَّغْلُغْلُ إِلَى دِفَاقِ الصُّوَابِ ، وَالحَلَاوَةِ فِي الصُّلُورِ ، وَالمَهَابَةِ فِي السُّيُونِ ، وَالتَّغْلَمُّ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَالسُّبُقِ عِنْدَ المَحَاوِرَةِ ^(٣) ، شَقِيقُ أَبِيهِ وَشِبْهَ جَدِّهِ ، حَلَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، وَالقُدَّةُ بِالْقُدَّةِ . لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْهُمَا إِلَّا فَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَهُمَا فِيهِ ؛ وَلَمْ يَقْصُرْ عَنْ شَأْنِهِمَا إِلَّا بِقَدْرِ مَاقْصُرَا عَنْ مِثْلِهِمَا ^(٤) ، وَهَمَّ وَإِنْ قَصُرُوا عَنْ مَدَى آبَائِهِمْ ، وَعَنْ غَايَاتِ أَوَائِلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْصُرُوا عَنْ جِلَّةِ الرُّؤَسَاءِ ، وَأَهْلِ السُّوَابِقِ مِنَ الكِبَرَاءِ ، وَلَسْتُ تَرَى تَالِيَهُمْ إِلَّا سَابِقًا ، وَمُصَلِّيَهُمْ إِلَّا لِلْغَايَةِ مُجَاوِزًا . لَيْسَ فِيهِمْ مِثْكِيَّةٌ وَلَا مَبْهُورٌ وَلَا مُنْقَطِعٌ ، قَدْ نَقَعَتْ أَعْرَاقُهُمْ ^(٥) مِنَ الْإِقْرَافِ وَالمُجَنَّةِ ، وَمِنَ الشُّوبِ وَلَوْثِ العُجْمَةِ ^(٦) .

وَمَنْ عَايَنَتْ أبا الفرج وَكَمَالَه ، وَرَأَيْتَ دِيْبَاجَتَهُ وَجَمَالَه ، عَلِمَتْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ضَرَائِبِهِمْ وَقَدِيمٍ نَحْلُهُمْ ^(٧) ، خَارِجِي النُّسْبِ ، وَلَا مَجْهُولُ

(١) الذي في جنى المجتين ٧٨ أن السكرين مرقة ومعنى . ولكن يبدو أن الجاحظ أراد بها عسكر أبي جعفر ، وهي مدينة التي بناها بينداد وهي باب البصرة في الجانب الغربي . والآخر عسكر ولده المهدي ، وهي المعروفة بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد .

(٢) المصراة : الكوفة والبصرة ، كما في جنى المجتين ١٠٦ واللسان (مصر ٢٤) .

(٣) م فقط : « المجاورة » بالجمع .

(٤) السخ ، بالكسر : الأصل . ط : « من منحهما » تحريف . وهو يعني أنهم هم يرتقون في الكرم وأما له .

(٥) التفتيح : التهنيت والتخلص . ب فقط : « نفتت » . تحريف .

(٦) في جمع الأصول : « العجلة » ، والوجه ما أثبت .

(٧) النبل : التل . م : « بنخلهم » ط : « نخلهم » ، صوابها ما أثبت .

المركب^(١) ، ولا بهم مُصمت^(٢) ، ولا كثير الأوضح مغرب^(٣) ، بل لا نرى إلا كل أغر محجل^(٤) ، وكل ضخم المحزم^(٥) هيك^(٦) .

إننى لست أخير عن الموتى ولا أستشهد الغيب^(٧) ، ولا أستدل بالمخلف فيه ولا الغامض الذى تعظم^(٨) المؤنة فى تعرفه ، والشاهد لقولى يُلوح فى وجوههم ، والبُرهان على دعوائى ظاهر فى شأئهم^(٩) ؛ والأخبار مستفيضة ، والشهود متعاونة .

وأنت حين ترى عتق تلك الليباجة ، ورونت ذلك المنظر ، علمت أن الثالث هو قياد^(١٠) هذا الطارف .

أما أنا فلم أر لأبى الفرج - أدام الله كرامته - ذاماً ولا شائناً^(١١) ولا عائباً ولا حاجياً ، بل لم أجده مادحاً قط^(١٢) إلا ومن سمع تسابق^(١٣) إلى

(١) انظر ما سبق فى ص ١٨٢ .

(٢) البهم المصمت : الخالص السواد الذى لا شية فيه . ب فقط : مسط ، تحريف .

(٣) المغرب ، بفتح المراء ، من الإغراب فى الخيل ؛ وهو انشاع الفرة حتى يجاوز العينين ، مع ابيضاض فى الأضفار .

(٤) الأغر من الخيل : الذى غرت أكم من الدم قد وسطت جهة ولم تصب واحدة من العينين . والمجل : الذى يرتفع البياض فى أئمه فى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين . ب : كل شر ، صوابه فى م ، ط .

(٥) المحزم : موضع الخزام من الفرس ، ويوصف بالضخامة ، وعنه قول عنزة فى معلقته : وحشيت سرج عسل حبل الشوى نهمة مراكله نبيل المحزم وأنشد شطب فى صفة رجل :

فقسام وثاب نبيل عزمه لم يلق بوسا لحسه ولادمه

وفى جميع الأصول : « المخرج » ، صوابه ما أثبت .

(٦) الهيكل : الفرس الطويل الضخم .

(٧) اقرأ « التيب » بفتحين : اسم جمع للثياب ، ويضم للثين وتشديد الياء المفتوحة جملاً له أيضاً . ط : « بالتب » .

(٨) ب ، م : « يعظم » . (٩) ظاهر ، ساقطة من ط .

(١٠) ب : « أقياد » : « قياد » ، صوابها فى ط .

(١١) الثانى : البض . ب : « شائنا » وأثبت ما فى م ، ط .

(١٢) ط فقط : « سابق » .

تلك المعاني ، ولا رأيتُ واصفاً له قطُّ إلا وكلُّ من حضر يَهْشُ له ويرتاحُ لقوله . قال الطَّرْمَاح :

هل المجدُ إلا السُّودُودُ القَوْدُ والندى
ورأبُ الثَّأبِ والصَّبْرُ عند المَوَاتِنِ^(١)

ولكن هل المجدُ إلا كَرَمُ الأرومةِ والحَسَبِ^(٢) ، وبُعْدُ الهمةِ ، وكثرةُ الأدبِ ، والثَّباتُ على العهدِ إذا زَلَّتْ الأقدامُ ، وتوكيدُ التقَدُّ إذا انحطَّتْ مَعَايِدُ الكرامِ ، وإلَّا التَّواضُعُ عند حدوثِ النُّعمةِ ، واحتمالُ كُلِّ العُثرةِ^(٣) ، والنَّفَازُ في الكتابةِ ، والإشرافُ على الصَّناعةِ .

والكتابُ هو^(٤) القطبُ الذي عليه مدارُ علمِ مافي العالمِ وآدابِ الملوكِ ، وتلخيصُ الألفاظِ ، والغوصُ على المعاني السُّدادِ^(٥) ، والتخلُّصُ إلى إظهارِ مافي الضَّمائِرِ بأسهلِ القولِ ، والتمييزُ بين الحجةِ والشُّبهةِ وبين المُفَرَّدِ والمُشْتَرَكِ ، وبين المقصورِ والمبسوطِ ، وبين ما يحتملُ التأويلَ ممَّا لا يحتمله ، وبين السُّلَمِ والمعتلِّ .

فبارك الله لهم فيما أعطاهم ، ورَزَّهم الشُّكْرَ على ماخوَّلهم ، وجعل ذلك موصولاً بالسَّلامةِ ، وبما خَطَّ لهم من السَّعادةِ ، إنَّه سميعٌ قريبٌ ، فقال لما يريد .

(١) ب ، م : « والصد عند المواطن » تحريف ، كما ورد البيت محرفاً في ط على هذه الصورة :

هل المجد إلا السودود المود الذي ورب الجلى والصد عند المواطن

وصواب عيظه ما أثبت من النديوان ١٦ هـ . والرأب : الإصلاح . والثأب : القساوة والأمر العظيم يقع بين القوم . والمواطن هي مواطن الحرب ومواقفها .

(٢) الأرومة بفتح الهزنة وضمها : الأصل .

(٣) في جميع الأصول : « وهي » ، والوبية ما أثبت .

(٤) السداد : جمع سديد ، كطريف ونظراف وشديد وشداد . ط : « السخيفة » .

من كتابه في
استحقاق الأمانة

١ - فصل

من صدر كتابه في استحقاق الإمامة^(١)

بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى نَقُولُ ، وَإِلَيْهِ نَقْصِدُ . وَإِيَّاهُ نَدْعُو ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ .

اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْعَةَ رَجُلَانِ : زَيْدِيٌّ . وَرَافِضِيٌّ ، وَبَقِيَّتُهُمْ نَزَرُ جَاءَ لَازِمًا لَهُمْ . وَفِي الْإِخْبَارِ عَنْهُمَا غَنَى عَمَّنْ سِوَاهُمَا .

قَالَتْ عُلَمَاءُ الزَّيْدِيَّةِ : وَجَلْنَا الْفَضْلَ فِي الْفِعْلِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَوَجَدْنَا الْفِعْلَ كُلَّهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

أَوَّلُهَا الْقِيَمُ فِي الْإِسْلَامِ ، حَيْثُ لَا رَغْبَةَ وَلَا رَهْبَةَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَيْهِ .

ثُمَّ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا أَرْغَبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَآمَنُهُمْ عَلَى نَفْسِ الْمَالِ ، وَعُقَاثِلِ النِّسَاءِ ، وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ .

ثُمَّ الْفَقْرُ الَّذِي بِهِ يَعْرِفُ النَّاسُ مَصَالِحَ دُنْيَاهُمْ ، وَمَرَاشِدَ دِينِهِمْ .

ثُمَّ الْمَشَى بِالسَّيْفِ كِفَاحًا بِاللُّبِّ عَنِ الْإِسْلَامِ . وَتَأْسِيسَ الدِّينِ ، وَقَتْلَ عَدُوِّهِ ، وَإِحْيَاءَ وَلِيِّهِ . فَلَيْسَ وَرَاءَ بَذْلِ الْمُهْجَةِ وَاسْتِفْرَاغِ الْقُوَّةِ غَايَةٌ يَطْلُبُهَا طَالِبٌ . وَيَرْتَجِيهَا رَاغِبٌ .

(١) رِشَر ١٦٨ - ١٧٩ وَالسَّلَوِي ٢٤١ - ٢٦٠ وَجَاءَتْ فِي هَاشِمِ الْكَامِلِ ٢ : ٢١٢ - ٢١٨ . وَسَيَأْتِي لَهُ مَسَاقَةٌ أُخْرَى فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بِرَقْمِ ٢٨ وَعَتَوَاتِلُهَا الْجَوَابَاتُ فِي اسْتِحْقَاقِ الْإِمَامَةِ .

(٢) النَّزَرُ : الْقَلِيلُ الْبَعِيدُ . ب : نَعْرَكَأ م : نَعْرَكَأ .

ولم نجد فعلاً خامساً فنذكره . فمضى رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجلٍ دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم ، وتقديمه دونهم ^(١)

وذلك أننا إذا سألنا العلماء والفقهاء ، وأصحاب الأخبار وحُماة الآثار ، عن أول الناس إسلاماً ، قال ^(٢) فريق منهم : علي . وقال فريق منهم : أبو بكر . وقال آخرون : زيد بن حارثة . وقال قوم : خباب . ولم نجد كل واحد من هذه الفرق قاطعاً لمُنتر صاحبه ، ولا ناقلاً له عن مذهبه ، وإن كانت الرواية في تقدم علي أكثر ، واللفظ به أظهر .

وكذلك إذا سألناهم عن الذابيين عن الإسلام ^(٣) بمهجم ^(٤) ، والماشين إلى القرآن بسيوهم ^(٥) ، وجلناهم مختلفين . فمن قائل يقول : علي ، ومن قائل يقول : الزبير . ومن قائل يقول : ابن عَفْرَاء ^(٦) ، ومن قائل يقول : أبو دُجَانة ، ومن قائل يقول : محمد بن مَسْلَمَة ، ومن قائل يقول : طلحة ، ومن قائل يقول : البراء بن مالك .

على أن علياً - رضي الله عنه - من قتل القرآن والفرسان والأكفاء ، ما ليس لهم ، فلا أقل من أن يكون في طبقتهم .

وإن نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا : علي ، وعمر ، وابن مسعود ، وزيد ابن ثابت ، وأبى بن كعب . على أن علياً كان أفقههم ، لأنه كان يُسأل

(١) ب فقط : « دونه » .

(٢) العبارة في ط : « وذلك أنا سألنا . . . فقال » ، والوجه ما أثبت من ب ، م .

(٣) ب ، م : « عن أدب الناس عن الإسلام » .

(٤) ب فقط : « بمهجم » .

(٥) ب ، م : « لسيوهم » ، صوابه في ط .

(٦) انظر لترجيحه وتحقيق اسمه ما كتبت في حواشي كتاب السبئية ص ٤٥ .

وَلَا يَسْأَلُ . وَيُغْنِي وَلَا يَسْتَفْتِي . وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ ،
ولكن لا أَقْلُ من أَنْ نجعلَهُ في طبقتهم وكلّحدهم .

وإن نحن سألناهم عن أهل الزُّهادة^(١) وأصحاب التَّقشُّفِ ، والمعروفين
بِرَفْقِ الدُّنْيَا وِخْلَعِهَا والزُّهْدِ فِيهَا . قالوا : عَلِيٌّ . وأبو الدرداء ، ومُعَاذُ ،
وأبو ذَرٍّ ، وعِمَارُ ، وِبِلَالُ ، وعِيَّانُ بن مَطْعُون . عَلِيٌّ أَنَّ عَلِيًّا أَزْهَدُهُمْ ، لِأَنَّهُ
شَارَكَهُمْ فِي خُشُونَةِ اللَّبَسِ وَخُشُونَةِ الْمَأْكَلِ . والرُّضَا بِالْيَسِيرِ ، والتَّبَلُّغُ
بِالْحَقِيرِ^(٢) وَظَلَعِ النَّفْسِ عَنِ الْفُضُولِ^(٣) . وَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ . وفَارَقِهِمْ
بِأَنَّ مَلَكَ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، وَرَقَابِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . فَكَانَ يَنْضَحُ بَيْتَ
الْمَالِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ، وَيَصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ . وَرَفَعَ سِرَاوِيلَهُ بِأَدَمٍ ، وَقَطَعَ
مَا فَضَلَ مِنْ كُمَيْهِ عَنِ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ بِالشَّفْرِ ، فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ . مع
أَنَّ زُهْدَهُ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ زُهْدِهِمْ ، لِأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ . وَعِبَادَةُ الْعَالَمِ لَيْسَتْ
كِعِبَادَةِ غَيْرِهِ ، كَمَا أَنَّ زَلَّتَهُ لَيْسَتْ كَزَلَّتِهِ غَيْرِهِ ، فَلَا أَقْلُ من أَنْ يُعَدَّ فِي
طَبَقَتِهِمْ .

وَلَمْ نَجِدْهُمْ ذَكَرُوا لِأَبِي بَكْرٍ . وَزَيْدٍ . وَخُبَّابٍ ، مِثْلَ الَّذِي ذَكَرُوا
لَهُ مِنْ بَذْلِ النَّفْسِ وَالْعَنَاءِ^(٤) ، وَالذَّبِّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالسَّيْفِ ، وَلَا ذَكَرُوهُمْ
فِي طَبَقَةِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْقِدَمِ فِي الْإِسْلَامِ . وَلَمْ نَجِدْهُمْ ذَكَرُوا لِابْنِ
عَفْرَاءَ ، وَالزُّبَيْرِ ، وَأَبِي دُجَانَةَ ، وَالْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ ، مِثْلَ الَّذِي ذَكَرُوا لَهُ
مِنَ التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ وَالزُّهْدِ وَالْفَقْهِ . وَلَا ذَكَرُوا أَبَا بَكْرٍ ، وَزَيْدًا ،

(١) م : « الفهارة » ، تحريف .

(٢) تَبْلَغُ بِالسَّيِّءِ تَبْلَغًا : اكْتَفَى بِهِ . بِ قَطُّ : « وَالتَّبْلِيغُ » ، تحريف .

(٣) ضَلَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ : مَتَّحَا عَنْ هَوَاهَا . م : « وَخَلَفَ النَّفْسَ » ط : « وَخَلَفَ

النَّفْسَ » ، وَالصَّوَابُ فِي ب .

(٤) ط : « وَالْعَنَاءُ » .

وخباباً، في طبقة عمرو بن مسعود ، وأبي بن كعب ، كما ذكروا علياً في طبقتهم . ولا ذكروا أبا بكر . وزيداً . وخباباً، في طبقة معاوية . وأبي النرداء ، وأبي ، وعمار ، وبلال ، وعثمان بن مظعون ، كما ذكروا علياً في طبقتهم .

فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ، ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب ، وأهل هذه الطبقات . الذين هم الغايات ، علمنا أنه أفضل ، وأن كل واحد منهم وإن كان قد أخذ من كل خير بنصيب . فإنه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه .

فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي - رضوان الله عليه - وتقديره على غيره .

وزعموا أن علياً كان أولاهم بالخلافة . إلا أنهم كانوا على غيره أقل قسداً واضطراباً ، وأقل طعناً وخلافاً . وذلك أن العرب وقريشاً كانوا في أمره^(١) على طبقات :

فمن رجل^(٢) قد قتل علياً أباه أو ابنه^(٣) . أو أخاه أو ابن عمه ، أو حميمه أو صفيه ، أو سيده أو فارسه . فهو بين مبطين قد أضرب على حقه ، ينتظر الفرصة ويتربص الدائرة . قد كسفت قناعه^(٤) . وأبدى عداوته .

ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضيقه ، يرى أن مشرعهما في نفسه .

(١) م : « في غيره » ، تحريف .

(٢) م ، ط : « من رجل » .

(٣) ط : « قد دام » .

(٤) ب : « وقد كسفت قناعه » بالواو .

ومداراة عدوه . أبلغ في التدبير . وأقرب من الظفر . فإنما يُجْزِئُهُ أدنى علة تحدث . وأولُ تَأْوِيلٍ يَعْرِضُ . أو فتنَةٌ تَنْجُمُ ؛ فهو يَرُودُ الفُرْصَةُ ^(١) ويترقبُ الفِتْنَةَ ، حتى يَصُولَ صَوْلَةَ الأسد . ويَرُوغَ رَوَّغَانِ الثعلب . فيشقى غليله . ويُبْرِدَ ثَلَاثَهُ ^(٢) .

وإذا كان العدو كذلك كان غيرَ مأمونٍ عليه سَرَفُ الغَضَبِ . وأنَّ تَوَهُ له الشَّيْطَانُ الوَثُوبَ ؛ ويزينُ له الطَّلَبَ ؛ لأنَّه قد عرفَ مَنَاهُ . وكيف يَحْتَلُهُ مِن طَرِيقٍ هَوَاهُ . فإذا كان القلبُ كذلك اشتدَّ نَحْفُظُهُ ولم يَقَوُ احتراسه . وكان بِعَرَضٍ مُلْكَةٍ وعلى جناحٍ تَغْرِيرٍ ^(٣) ؛ لأنَّه مُنْقَسِمُ الرَّأْيِ متفرِّقُ النَفْسِ . قد اعتَلَجَ على قلبه غَيْظُ الثَّأْرِ على قُرْبٍ عهده بِأَخْلَاقِ الجَاهِلِيَّةِ . وعادةِ العربِ من الثَّأْرِ وتذكُّرِ الأَحْقَادِ والأَمْرِ القَلِيمِ ، وشِدَّةِ التَّصَمُّيمِ .

ومِن رَجَلٍ غَمَّتْهُ حَدَائِثُهُ ^(٤) ، وَأَنِفٌ أَنْ يَلِيَ عَلَيْهِ أَصْفَرُ مِنْهُ .
ومِن رَجَلٍ عَرَفَ شِلَّتَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَقِلَّةَ اغْتِفَارِهِ فِي دِينِهِ ^(٥) . وَخُشُونَةَ مَذْهَبِهِ .

ومِن رَجُلٍ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ الْمُلْكُ وَالتَّبَوُّهُ يَشْتَانِ ^(٦) فِي نَصَابٍ وَاحِدٍ ، وَيَنْتَبِثَانِ فِي مَقَرٍّ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَقْطَعُ لِأَطْمَاعِ قَرِيشٍ أَنْ يَعُودَ الْمُلْكُ

(١) م ، ط : « الفرقة » .

(٢) م ، ط : « ثلثه » .

(٣) ب ، ط : « وكان يعرض ملكة على جناح على تغرير » ، صوابه في م . والعرض : ما يعرض للإنسان من أحداث الدهر .

(٤) في جميع الأصول : « عمت » . وفي ب فقط : « جددته » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٥) ب ، م : « اعتقاده » ، ط : « اعتقاده » ، وإنما هو الاعتقاد ، أي التسامح والتسامح . يقال غفر له ذنبه واعتفراه أيضاً .

(٦) ب ، م : « يشبان » ، صوابه في ط .

دولة في قبائلها ، ومن قريش خاصة في بني عبد مناف ، الأقرب فالأقرب .
والأدنى فالأدنى ، لأنَّ الرحم كلما كانت أَمْس ، والجوارُ أقرب ،
والصناعة أشكَل ، كان الحسدُ أشدَّ ، والغيظُ أفرط . فكان أقرب الأمور
إلى محبتهم لإخراج الخلافة من ذلك المَعْلَن ، ترفيهاً عن أنفسهم
من ألم الغيظ ، وكَمَد الحسد .

٢ - فصل منها

وضرب من الناس همج هامج ، ورعاع منتشر^(١) ، لا نظام لهم .
ولا اختيارَ عندهم ، وأعراب أجلاف ، وأشباه الأعراب ، يفترقون^(٢)
من حيث يجتمعون ، ويجمعون من حيث يفترقون ، لا تدفع صوتهم
إذا هاجوا ، ولا يؤمن تهيجهم^(٣) إذا سكنوا . إنَّ أخصبوا طغوا في
البلاد^(٤) وإنَّ أجذبوا آثروا العناد . هم^(٥) موكلون ببغض القادة ، وأهل
الثراء والنعمة ، يمتنون له النكبة^(٦) ، ويشتمون بالعسيرة ، ويسرون
بالجولة^(٧) ، ويترقبون الدائرة .

فلما كان الناس عند علي وأبي بكر على الطبقات التي نزلنا^(٨) ،
والمراتب التي رتبنا ، أشفق على أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة
أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب^(٩) ، فدعاه النظر للدين إلى الكف عن

(١) ب ققط : منتشر .

(٢) مايده إلى « يفترقون » التالية ساقط من ط .

(٣) م ققط : تهيجهم .

(٤) ب : يلغوا في البلاد .

(٥) ط : وهم .

(٦) ط : اللبلة .

(٧) ب ققط : ويسرون بالجولة .

(٨) ط : التي ذكرنا .

(٩) الشغب ، بالفتح ، وبالتحريك أيضاً : تهيج الشر . ب ققط : يشغب مشاغب .
تحريف .

الإظهار^(١) ، والتجاني عن الأمر ، فاغتفر الجهول ضناً بالدين ، وإظهاراً للأجلة على العاجلة .

فدل ذلك على رجاحة حلمه ، وقلة حرصه^(٢) ، وسعة صدره ، وشدة زهده ، وقسط سماحه ، وأصاله رأيه .

وعلم أن هلكتهم لا تقوم بإزاء صرف ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم . وقد علم بعد ذلك أن مسيلمة قد أطبق عليه أهل البامة ومن حولها من أهل البادية ، وهم القوم الذين لا يُصطلح بنارهم^(٣) ، ولا يُطعم في ضفتهم وقلة عددهم ، فكان الصواب مآراه على من الكف عن تحريك المَرَج ، إذ أبصر^(٤) أسباب الفتنة شائعة ، وشواكل الفساد بادية^(٥) ، ولو هرج القوم هرجة^(٦) وحلفت بينهم فرقة ، كان حرب بوكرهم^(٧) أغلب من الطمع في سلامتهم .

وقد كان أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وفضلاء أصحابه ، يعرفون

(١) ب : فقط : « من إظهار » .

(٢) وقلة حرصه ، ساقطة من ط .

(٣) يقال : فلان لا يصطلح بناره ، إذا كان شجاعاً لا يطلق . وانظر اللسان (صلا ٢٠١) .
وجهره السكري ٢ : ٣٩٧ . وقد سقطت كلمة « لا » من جميع الأصول ؛ وهو خطأ . وجاء في مقصورة ابن دريد :

لا يصطلح بناره عند الوغى ويصطلح بنساره عند السقري

(٤) ب : فقط : « إذا أبصر » ، تحريف .

(٥) الشواكل : جمع شاكله ، وهي الخاصرة . كناية عن شدة ظهور الفساد . م : « شكوى كل » ، ب : م : « بانية » ، صوابها في ط .

(٦) ب : م : « ولو هاج القوم هرجة » . والمخرج : الاعتلال : الاختلال .

(٧) م : ط : « حزب » ، صوابها في ط . والبرار : الخلائق .

من تلك الآراء^(١) شبيهاً بما يعرفه عليٌّ ، فعلموا أنَّ أَوَّلَ أحكام النَّبِيِّ المبادِرةَ إلى إقامة إمام المسلمين ، ثلاثا يكونوا نَشْرًا^(٢) ، ولثلاثا يجعلوا للمفسدين عِلَّةً وسبباً . فكان أبو بكر أصلح النَّاسِ لما بعد عليٍّ ، فأصابَ في قِيامِهِ ، والمسلمون في إقامته ، وعليٌّ في تسويغِهِ^(٣) والرِّضَا بولايَتِهِ مُنْعَقِدَةٌ منه على الإسلام وأهله . فلَمَّا قَمَعَ اللهُ تعالى أهل الرِّدَّةِ بسيفِ النِّعْمَةِ ، وأبَادَ النِّفَاقَ ، وقَتَلَ مَسِلمَةَ وأسر طلحة ، ومات أصحاب الأوتار^(٤) ، وفَتِنَتِ الضَّغَائِنُ ، راحَ الحقُّ إلى أهله ، وعاد الأمرُ إلى صاحبه .

قالوا : وقد يكون الرَّجُلُ أَفْضَلُ النَّاسِ ويلى عليه مَنْ هُوَ دُونَهُ في الفضل حتَّى يكلفه اللهُ طاعته وتقدِيمَهُ : إمَّا للمصلحة والإشفاق من الفِتْنَةِ كما ذكرنا وفسرنا . وإمَّا للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى^(٥) ، والكلفة ، كما قال اللهُ تعالى للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ^(٦) 》 . والملائكة أَفْضَلُ من آدَمَ ، ولأنَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل عِنْدَ اللهِ^(٧) من المقربين قبل خَلْقِ آدَمَ بدهرٍ طويل ، لما قَلَّمَتْ من العبادة^(٨) واحتمَلَتْ من ثِقَلِ الطَّاعَةِ . وكما مَلَّكَ اللهُ طالوتَ^(٩) على

(١) في جميع الأصول : « من ذلك الآراء » .

(٢) النشر ، بالتشريك : القوم المنفردون لا يجمعهم رئيس . ب فقط : « نشرًا » .

(٣) م ، ط : « في تسويغِهِ » ، صوابها في ب .

(٤) الأوتار : جمع وتر ، بالكسر ، وهو الثَّأر . م ، ط : « الأوتاد » ، صوابه في ب .

(٥) ب : « في المحنة » م : « في الهمة » ، صوابه : في ط . وفي ب أيضاً : « وتشديد

البلوة » م : « وتشديد البلوى » ، وأثبت ما في ط .

(٦) من الآية ٣٤ في سورة البقرة .

(٧) ب : « عِندَ اللهِ » ، تحريف . وفي م : « عِندَ اللهِ » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب فقط : « من عبادة » . (٩) ط : « طالوت » : تحريف .

بنى إسرائيل وفيهم يومئذ داود نبي الله (١) صلى الله عليه وسلم ، وهو نبيهم الذي أخبر الله عنه في القرآن بقوله تعالى (٢) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ (٣) إلى آخر الآية .

(١) م : « داود النبي » .

(٢) بقوله تعالى ، سابقه من ب ، م .

(٣) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة .

من رسالة في
استنجاز الوعد

١ - فصل

من صدر رسالته في استئجاز الوعد

قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم : « اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه » .

فإن كان الوجه إنما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع ، والشام والذائق ، إذا كان حسناً جميلاً ، وعتيقاً بهياً ، فوجهك الذي لا يُخيلُ على أحد كماله^(١) ، لا يُخطئُ حواله^(٢) .

وإن كان ذكر الوجه إنما يقع على حسن وجه المُطلب^(٣) وجماله على جهة الرغبة ، وإن كان ذلك على طريق المثل . وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ ، والفرع المأخوذ من الأصل : فوجه المُطلب إليك أفضل الوجوه وأسناها ، وأصونها وأرضاها . وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيع ، وجماله ظاهر ، ونفقه حاضر ، وخيره غامر ، ألا أن الله تعالى قرّنه مع ذلك باليمن ، وسهله باليسر . وجبه باليسر الحسن ، ودعا إليه بليّن الخطاب^(٤) ، وأظهر في أسمائكم وأسماء آبائكم وفي كنانكم وكنى

(١) هي في هامش الكامل ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٧ وريشر ١٩٥ - ١٩٦ ومجموعة الساسي ١١٧ - ١١٨ . فالقابلة هنا على المخطوطتين ب ، م وكذلك على نسخة هامش الكامل ورمزها (ط) ومجموعة الساسي ورمزها (ج) .

(٢) في اللسان : « وأغاث الشيء » : تشبه . يقال هذا الأمر لا يُخيلُ على أحد ، أي لا يشكّل . وفي جميع الأصول : « يحيل » صوابه بالهاء للمبجّة كما أثبت . وفي معج : « لا يحيد عن » ، وأراه تصرفاً من الناشر .

(٣) الحوال : مصدر حاول الشيء محاولة وحوالاً : رماه وظليه . قال رؤية :

« حوال حمد والتجبار المؤتجر »

وفي معج : « ولا يحق جماله » .

(٤) معج : « المطلب » في هذا الموضع وتاليه .

(٥) في جميع النسخ : « المحباب » ، صوابه ما أثبت . وانظر ص ٢٢٠ م ٢ .

إخوانكم ، من برهان القائل الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به
صنوف الأكل ، وصرف^(١) إليكم وجوه المطالب ؛ فاجتمع فيكم تمام
القوام وبراعة الجمال ، والبشر^(٢) عند اللقاء ، ولين الخطاب والكنف
للخلطاء^(٣) ، وقلة البدخ بالمرتبة الرفيعة ، والزيادة في الإنصاف عند
النعمة الحادثة. فجعل^(٤) الناس وعدهم من أكرم الوعد ، وعقدكم من أوثق
الصدق ، وإطعامكم^(٥) من أصح الإنجاز . وعلموا أنكم تؤيسون^(٦) في
مواضع اليأس ، وتطمعون في مواضع الضمان ، وأن الأمور عندكم موزونة
بعدلة ، والأسباب مقلدة محصلة .

هنا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم^(٧) .

والتقية أحزم^(٨) ، والصّفح إذا كان الصفح أكرم ، والرحمة لمن
استرحم ، والعقاب لمن صمم .

ثم المعرفة بفرق^(٩) ما بين اعتزام الثمر واعتزام المستبصر ، وفصل^(١٠)
ما بين اعتزام الشجاع والبطل ، وبين إقدام الجاهل المتهور .

وقد علم الناس بما شاهدوه منكم . زعيتوه من تدبير ، وعرفوه من

(١) هذا ماقى مج . وفي سائر النسخ : « وضرب » .

(٢) م ، ط : « والبشرة » .

(٣) ب : « واللين والكنف للخلطاء » ، م : « والكنف للخلطاء » ، وأثبت ماقى ط ، مج .

(٤) ب : « يجعل » ، م : « يجعل » ، ط : « يجعل » ، وأثبت ماقى مج .

(٥) ب فقط : « وأطعمكم » ، تحريف .

(٦) ب فقط : « تؤيسون » ، تحريف .

(٧) ب : « والتصميم في موضع التصميم » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « وأتقى أحزم » .

(٩) ب ، م ، ط : « تفرق » ، وفي مج : « فرق » ، والوجه ما أثبت .

(١٠) ب ، م ، ط : « وفصل » ، والوجه ما أثبت من مج .

تصرف حالانكم^(١) ، أنى لم أنزئد لكم ، ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم . وخير للمبيع ما وافق جمال المدوح ، وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف ، وشهد له أهل البيان الظاهر ، والخبر المتظاهر . ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة . ضار المادح^(٢) ولم ينفع المدوح .

هذا إلى الثبات على العهد ، وإحكام العقد ، مع^(٣) الوفاء العجيب ، والرأى المصيب . وتمائم ذلك وكمال ، وسناء ذلك وبهائه^(٤) ، وكثرة^(٥) الشهود لكم ، وإجماع الناس على ذلك فيكم .

ومن قبل نفسه مديحاً لا يعرف [به^(٦)] كان كمداح نفسه . ومن أتاب الكتائبين على كتائبهم كان شريكهم في إنهم ، وشقيقهم في سخطهم ، بل كان المحتجب ليكره^(٧) . المحتمل يؤزره ، إذ كان المتيب عليه^(٨) والداعي إليه .

معاذ الله أن نقول إلا معروفاً غير مجهول ، ونصيف إلا صحيحاً

(١) ط فقط : وحالتكم .

(٢) م فقط : والتابع .

(٣) ب فقط : عل .

(٤) ماضيا مع : وبهائه .

(٥) ماضيا مع : كثرة ، يكون ولو .

(٦) التكلفة من مع .

(٧) المحتجب : الحامل . وفي اللسان : واحتجب فلان الإثم : جبه واحتجبه من خلفه .

قال امرؤ القيس :

فاليوم أسى غير مستحب إثمًا من الله ولا يغسل

ب : . المحقق : م : . المحقق : ط : . المحتجب : . والصواب في مع . وكبر الشيء :

مطلعه . وفي الكتاب العزيز : . ولأن تولي كبره منهم له عذاب عظيم . قال ثعلب : يعني

معلم الإثك . وقرأ حيد الأعرج وحده : . كبره . يضم الكاف .

(٨) م فقط : . التنيب عليه ، تحريف .

غير مدخول ، أو نكون ممن يتوَدَّد بالملَك . ويتقَمَّع على أهل الأندارِ
شَرَهًا إلى مال ، أو حِرصًا على تقرب . وأبعدَ الله الحِرصَ وأخزى
الشَرَهَ والطَّمَع !

فإن شكَّ شاكٌ أو توقَّفَ مرتابٌ فليعرض العامة ، وليتصفَّح ماعند
الخاصة حتى يتبين الصَّبح .

وقالوا في نأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة : « إذا أبردتم البريدَ
فاجعلوه حَسَنَ الوجه . حسنَ الاسم . فكيف إذا قارن حَسَنَ الوجهِ
وحَسَنَ الاسمِ كرمُ الضَّريبة^(١) ، وشرفُ العرق .

وأعيان الأعراف الكريمة ، والأخلاق الشريفة^(٢) ، إذا استجمعت هذا
الاستجماع ، واقرنت هذا الاقتران : كان أتمَّ للنعمة ، وأبرعَ للفضيلة^(٣)
وكانت الوسيلة إليها أسهل ، والمأخذُ نحوها أقرب ، والأسبابُ أمتن .

فلماذا^(٤) انتظمت في هذا السلك ، وجَمَعها هذا النظم : كان الذي يُبرِّد
البريدَ أولى بها من البريد ، وكان مقومُ البلاد أحقَّ بها من حاشيته
الكفاة^(٥) ، إذ التأهيلُ لا يجمع أوجه الصواب^(٦) ، ولا يُحصي^(٧)
مخارج الأسباب ، ولا يظهر بُرهانه ويقوى سلطانه ، حتى يصيب المعدن .

(١) الضريبة : السجدة والطبقة التي ضرب عليها المهر . ب : « وكره » . م ، ط :
« وكرم » . والصواب حذف الواو كما في مع .

(٢) الشريفة ، ساقطة من مع .

(٣) في اللسان : « برع فهو بارع : تم في كل فضيلة وجمال ، وفاز أصحابه ، في العلم
وضيره » . وفي جميع الأصول : « وأبعد للفضيلة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب فقط : « إذا » .

(٥) ماعدا مع : « من حاشية الكفاة » .

(٦) م : « وجاه الصواب » وفي سائر الأصول : « وجه الصواب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) هذا ماقط ط . وفي سائر الأصول : « ولا يحصى » .

وان يكون موضع الرغبة معلناً إلا بعد اشتأله على ترادف خصال الشرف وبعد أن يتوافق إليه ^(١) معاني الكرم بالأعراق الكريمة ، والعادات الحسنة ، على حادث ^(٢) يشهد لمتقدم ^(٣) ، وطارف يدل على تالد .

فإذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثاقب . والمجد راسخ . وإن كان الشأن في صناعة الكلام وفي القدم والرئاسة . وفي خلف يأتريه عن سلف ، وآخر يلقاه عن أول ، فلكم ^(٤) مالا يذهب عنه جاحد . ولا يستطيع جحد معاند .

٢ - فصل منها

وأماؤكم وكناكم بين فرج ونجح . وبين سلامة وفضل . ووجوهكم وفق أمائكم ، وأخلاقكم وفق أعراقكم . لم ^(٥) يضرب التفاوت فيكم بنصيب .

وبعد هذا فإني أستغفر الله من تفريطي في حقوقكم . وأستوهبه ^(٦) طول رقتي عما فرضته لكم ^(٧) .

ولا ضير إن كان هذا الذي قلنا على إختلاص وصحة عهد ، وعلى صلق سيرة وثبات عقد . ينو السيف وهو حسام . ويكبو الطرف وهو جواد ، وينسى الذكور ، ويغفل القطن ^(٨) .

(١) ب ، م : « يتوافق » ، وأثبت ما في ط ، مع .

(٢) ماعدا مع : « على حادث » .

(٣) المتقدم : القديم . وفي الأصول : « لقدم » ، ولا وجه له .

(٤) ماعدا مع : « فلكم » ، والوجه ما أثبت . وفي مع : « كان فلكم » .

(٥) م : « علم » ، ط : « فلكم » وأثبت ما في ب ، مع .

(٦) ب فقط : « واستوهبه » ، تحريف .

(٧) ماعدا ط : « ما فرضه لكم » ، يطلب عفو الله عن تقصير في إظهار ما ألوجب ثم

في نفسه من تمجيد .

(٨) ب ، م : « اللين » ، صوابه في ط ، مع .

وتعوذُ بالله تعالى من العَمَى بعد البَصيرة^(١) ، والحيرة بعد لزوم
الجادة .

كان أبو الفضل - أعزه الله - على ما قد بلغك من التبرع بالوعد^(٢)
وسرعة الإنجاز وتَمَام الضمان . وعلى الله تَمَام النعمة والعافية .

وكان - أيدّه الله - في حاجتي ، كما وصف زيد الخيل نفسه حين
يقول :

وموعِدني حقٌّ كأنَّ قد فعلتها متى ما أعدَّ شيئاً فإنني لغارم^(٣)
وتقول العرب : « مَنْ أشبه أباَه فما ظلم »^(٤) ، تقول^(٥) : لم يضع الشَّبهَ
إلا في موضعه ، لأنَّه لا شاهد أصدق على غيبِ نسبه وخفيِّ نجْله من
الشَّبه القائم فيه^(٦) ، الظَّاهر عليه .

وقد تَقَبَّلْت - أبقاك الله - شِبحك^(٧) : خَلَقَه وخُلِقَه ، وفَعَلَه
وعَزَمَه ، وجزَّ الشَّهامة^(٨) ، والنَّفْس الثَّامة .

(١) م فقط : « البصرة » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « من الوعد » .

(٣) ما معاً سج : « لمازم » . والغارم : من يترمه أداء المال . وفي الكتاب العزيز :
« والثَّالِثِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، وهم الذين لزمهم الدين في الحالة ونحوها .

(٤) ب ، سج : « رابه » ، وهي رواية جيدة يولج بها النحويون والفنيون ، لكن
في م ، ط والحِوَان ١ : ٣٣٧ ونصوص جميع كتب الأمثال : « أباه » . وانظر الفاجر ١٠٣
والبيان ٢ : ٢٢٨ والمسكوى ٢ : ٢٤٤ والمستقصى ٧ : ٢٥٣ . ويؤيد رواية « أباه »
أيضاً ما أنشأوا في مسلم هذه المراتب من قول كعب بن زهير (ديوانه ٦٥) :

فقلت شِبهاتٍ بما قال عالمٌ بهنٍ ومن يشبه أباه فما ظلم
(هـ) ب ، م : « نقول » ، صوابه في ط ، سج .

(٦) فيه ، ساقطة من سج .

(٧) تقليل أباه ، أو شِبهه : تزعج إليه في الشَّبه . والكلمة محرقة في الأصول فصحها ج :
« شِبحك » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب ، م : « ومن الشَّهامة » ، ط : « ومن الشَّهامة » ، صوابه في سج .

ومرجعُ الأفعال إلى الطبايع . ومدارُ الطبايع على جودة اليقين وقوة المنة ، وبهما تَمَّ العزيمة . وتنفَّذُ البصيرة .

هذا مع ما قَسَمَ الله لك من المحبة وَمَنَحَكَ مِنَ اليَقَةِ ، وَسَلَّمَكَ عَنْهُ مِنَ المُنْمَةِ .

والله لو لم يكن فيكم من خصال الحرية ^(١) وخلال النفوس الأبية إِلَّا أَنْكُمْ لَا تَدِينُونَ بِالنِّفَاقِ . وَلَا تَعْلَمُونَ بِالْكَذِبِ ^(٢) وَلَا تَسْتَعْمَلُونَ الْعَوَارِيَةَ فِي مَوْضِعِ الاستقامة ^(٣) . وَحَيْثُ تَجِبُ الثَّقَةُ ^(٤) .

ولا يكون حظُّ الأحرار بالمواعيد صِرْفًا . وَلَا تَتَكَلَّمُونَ ^(٥) عَلَى مَلَائِكَةِ الطَّالِبِ ^(٦) ، وَلَا عَجْزُ الرَّاغِبِ . إِذَا اسْتَنْفَذْتَ أَيَّامَهُ ^(٧) ، وَعَمِيزَتْ نَفَقَتُهُ . وَمَانَتْ أَسْبَابُهُ . بَلْ تُعْجَلُونَ ^(٨) لِمِ الرَّاحَةِ عِنْدَ تَعَلُّرِ الْأُمُورِ إِلَيْكُمْ بِالْإِيَّاسِ ^(٩) . وَتَحَقِّقُونَ ^(١٠) أَطْمَاعَهُمْ عِنْدَ إِمْكَانِ الْأُمُورِ لَكُمْ بِالْإِنْجَاحِ .

٣- فصل منها

وإنَّكَ والله - أيُّهَا الْكَرِيمُ الْمَأْمُورُ . وَالْمُسْتَعِظُ الْمُسْتُولُ - لَا تَزِرُ

(١) مع فقط : « الحرمة » ، تحريف .

(٢) ماعدا ط : « لا تبيعون » ، تحريف . والمراد لا تعلمون مواعيد كاذبة .

(٣) ب ، م : « الاستقامة » ط : « الاستقامة » ، وأثبت متى مع .

(٤) كذا بقى جواب : « لو لم يكن » ، أى لكن ذلك .

(٥) ب : « يتكلمون » م : « يتكلمون » وأثبت متى ط ، مع .

(٦) في جميع الأصول : « ملائكة الطالب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) مع : « استنفذت » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « يعجلون » ، صوابه في ط ، مع .

(٩) الإيَّاس : مصدر آية . وفي اللسان : « وكان في الأصل الإيَّاس بوزن الإيَّاس » .

مع : « بالإيَّاس » .

(١٠) ب فقط : « وتحققون » . تحريف .

المحبة إلا وتحصد الشكر . ولا تكثر المودات إلا إذا أكثر الناس الأموال ^(١) ،
ولا يشيع ^(٢) لك طيب الأحذنة ^(٣) وجمال الحال في العشيرة ، إلا لتجرع ^(٤)
مُرار المكروه . ولن تنهض بأعباء المكارم التي توجبها النعمة وتفرضها
المرتبة حتى تستشعر التفكير ^(٥) في التخلّص إلى إغنائهم ^(٦) ، والقيام
بحسن ظنهم ، وحتى ترحمهم من طول الانتظار ، وترقّ عليهم من
موت الأمل وإحياء القنوط ، وحتى تتغلغل ^(٧) ذلك بالحيل اللطيفة .
والعناية الشديدة الشريفة ، وحتى تتوخى ^(٨) الساعات . وتنتهز الفرص
في الحالات ، وتتخير من الألفاظ أرقها مَسْلكاً ، وأحسنها قَبْراً ، وأجودها
وقوعاً .

(١) هذا ما في ب . وفي م ، ط : « كثر الناس الأموال » وفي ج : « كثرت الناس الأموال »
وكلاهما قرأتان صالحة .

(٢) ما صا ط : « ولا تشيع » .

(٣) ما عا ج : « طلب الأحذنة » .

(٤) ب فقط : « لتجرع » .

(٥) ب : « يستشعر تفكير » م : « يستشعر التفكير » ، صواهما ق ط ، ج .

(٦) ب فقط : « أغنيائهم » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « يتغلغل » ط : « تتغلغل » . وهذه الأخيرة تحريف مطبوع .

(٨) ب ، م : « يتوخى » ، تحريف .

٢٤

من رسالتي
تفضيل النطق على الصمت

١ - فصل

من صدر رسالته في تفصيل النطق على الصمت^(١)

أَمْنَعُ اللَّهَ بِكَ وَأَبْقَى نِعْمَهُ عِنْدَكَ ؛ وَجَعَلَكَ مَنْ إِذَا عَرَفَ الْحَقَّ
انْقَادَ لَهُ ، وَإِذَا رَأَى الْبَاطِلَ أَنْكَرَهُ وَتَزَحَّرَ عَنْهُ .

قد قرأتُ كتابك فيما وصفتَ من فضيلة الصمت ، وشرحتَ من
مناقب السكوت ، ولخصتَ من وضوح أسبابهما^(٢) ، وأحمدتَ من منفعة
عاقبتهما^(٣) ، وجرّيتَ في مجرى فنون الأقاويل فيهما ، وذكرتَ أنك
وجدتَ الصمتَ أفضلَ من الكلام في مواطن كثيرة وإن كان صواباً^(٤) ،
والصمتَ السكوتَ أحمدتَ من المنطق في مواضع جمّة ، وإن كان حقاً .

وزعمتَ أن اللسانَ من مسالك الخنأ^(٥) ، الجالبِ على صاحبه البلاء^(٦)

وقلت : إن حفيظ اللسان أمثلُ من التورط في الكلام .

وسميتَ الغيَ عاقلاً ، والصامتَ حليماً . والساكتَ لبيماً . والمُطَرِّقَ
مفكراً . وسميتَ البليغَ مكثراً والخطيبَ مهذاراً^(٧) والفصيحَ مفطراً ،
والمُنْطِقَ مُطْنِياً .

(١) حاشي الكامل ٢ : ٢٢٧ - ٢٢٨ وريشر ١٨٢ - ١٨٦ وجمموعة الساسى ١٤٨ - ١٥٤

وهى الرموزها بالرمز (مع) .

(٢) ب فقط : « أسباب » .

(٣) أحد الأمر : رضىه ووجده مستحقاً للحمد . ب : « وانتقدت » تعريف . مع :

« وجدت » وأثبت ما في ط .

(٤) ب فقط : « كانا صواباً » .

(٥) الخنا : الفحش ، يقال خنا فى متعلقه يخنو ، مقصور . ط فقط : « الخنا » ، تعريف .

(٦) م فقط : « البلاء » .

(٧) هذا الصواب من مع فقط . وق سائر النسخ : « مهذاراً » ، بالدال المهملة . وهو بالنال

المجعة : الذى يكثر الكلام باللفظ ، وهو الكثير الردى .

وقلت: إنَّك لم تنل على الصمتِ قطُّ وإن كان منك عيًّا ، وإنَّك
نلت على الكلامِ مراراً وإن كان [منك ^(١)] صواباً .

واحتجاجك في ذلك بقول كسرى أنو شروان ، واعتصامك فيها
بما سار من أقاويل الشعراء والمتنبي من كلام الأدباء ، وإفراطهم في مدَّة
الكلام ، وإطنابهم في محملة السكوت .

وأثبتُ - حفظك الله - على جميع ما ذكرت من ذلك ، ووصفتُ
ولخصتُ ، وشرحتُ وأطنبتُ فيها وفرطتُ بالفهم ، وتصفحتها بالعلم ،
ويحسُّ بالجزم ، ووعيتُ بالجزم ، فوجلتُها كلام امرئٍ قد أعجبَ
برأيه وارتطم في هواه ، وظنُّ أنه قد نسج ^(٢) فيها كلاماً ، وألف ألفاظاً
ونسج ^(٣) له معاني على نحو ما خطبه .

ومقصده أن لا يلقى ^(٤) له نقضاً ^(٥) في دهره بعد أن أبرمها ، ولا يجدَ
فيها مناوراً ^(٦) في عصره بعد أن أحكمها . وأنَّ حُجَّتَه قد لزمت جميعَ
الأنام ، ودحضتُ حُجَّةَ قاطبةِ أهل الأديان ، لِمَا شرح فيها من البرهان ،
وأوضحَ بالبيان . وحتىَّ كأنَّ القول من القائل نقضاً ^(٧) ، ورفعُ الوصف
من الواصف تغليباً ^(٨) ، وكان في موضع لا ينازعه فيه أحدٌ ، وقُلِّما يجد

(١) التكلة من سج .

(٢) في جميع الأصول : « نسخ » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سج فقط : « ونسخ » .

(٤) في جميع الأصول : « يلقى » بالقاف ، والوجه ما أثبت من ط .

(٥) م فقط : « ناقضاً » ، تحريف .

(٦) المتأري : « المتأفض والمأدى . ماعدا ط : « متادياً » تحريف .

(٧) ماعدا ط : « نقضاً » .

(٨) كلا . ولعلها : تغلباً .

من يُخاصمه . ولا يلقى ^(١) أبداً من يناضله ، نوصار فلجاً [بحجته ^(٢)]
أوحدياً في لهجته . إذ كان محطه محلّ الوحدة ، والأُنس بالخلوة ،
وكان مثله في ذلك [مثل ^(٣)] من تخلّص إلى الحاكم وخذله فلجٌ
بحجته ^(٤) .

ولإني سأوضح ذلك ببرهانٍ قاطع ، وبيانٍ ساطع ، وأشرح فيه من
الحُجج ما يظهر . ومن الحقّ ما يَقْهَر ، بقدر ما آتت عليه معرفتي ،
وبلغته قوّتي ، وملكتُه طاقتي ، بما لا يستطيع أحدُ رده ، ولا يمكنه إنكاره
وجحدَه . ولا قوة إلّا بالله ، وبه أستعين ^(٥) . وعليه أتوكّل وإليه أُنِيب .
إنّني ^(٦) وجدتُ فضيلةَ الكلام باهرةً ، ومَنْقِبَةَ المنطِقِ ظاهرةً ، في
خلالٍ كثيرة ، وخصالٍ معروفة .

منها : أنّك لا تؤدّي شكرَ الله ولا تقدر على إظهاره إلّا بالكلام .

ومنها : أنّك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك ^(٧) والإبانة عن
ماربك ^(٨) إلّا باللسان . وهذان في العاجل والآجل مع أشياء كثيرة
لو يَسْخُوها الإنسان لوجدَها في المقول موجودة ^(٩) ، وفي المحصول معلومة ^(١٠) .

(١) ب : « يلقى » ، ج : « يلقى » . صوابها في م ، ط .

(٢) بحجته ، ساقطة من ب . و الفلج ، بالفتح : الغالب بحجته الظاهر على خصمه . وفي
اللسان : « ورجل قالج في حجة وقلج » ، كما يقال بالغ وبلغ ، وثابت وثبت .

(٣) التكلّة من ط ، ج .

(٤) م : « فلج » ، ب ، ط : « فلج » ، صوابها في ج .

(٥) ما عدا ج : « نستعين » .

(٦) ما عدا م : « وإنّي » .

(٧) م : « حاجتك » .

(٨) ما عدا ج : « ماربك » .

(٩) ب فقط : « موجوداً » .

(١٠) ب فقط : « معلوماً » .

وعند الحقائق مشتهرة^(١)، وفي التلخيص ظاهرة^(٢).

ولم أجد للصمت فضلاً على الكلام ممّا يحتمله القياس . لأنك تصف الصمت [بالكلام] بولا تصف الكلام به . ولو كان الصمت^(٣) أفضل والسكوت أمثل لما عُرِفَ للآدميين فضلٌ على غيرهم . ولا فرق بينهم وبين شيء من أنواع الحيوان وأخفاف الخلق^(٤) في أصناف جواهرها واختلاف طبائعها ، وافتراق حالاتها وأجناس أبدانها في أعيانها وألوانها . بل لم يمكن أن يميز^(٥) بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة ، وكان كلُّ قائم وقاعد^(٦) ، ومتحرك وساكن ، ومنصوب وثابت ، في شرع سواء^(٧) ومنزلة واحدة ، وقسمة مُشاكلة ، إذ كانوا^(٨) في معنى الصمت بالجنّة^(٩) واحداً ، وفي معنى الكلام بالمنطق متبايناً^(١٠) . ولذلك صارت الأشياء مختلفة في المعاني ، مؤتلفة الأشكال ، إذ كانت^(١١) في أشكال خيلقتها متفقة بتركيب جواهرها^(١٢) ، وتأليف أجزائها ، وكمال أبدانها ، وفي معنى الكمال متباينة عند مفهوم نغماتها ، ومنظوم ألفاظها ، وبيان معالمها وعَدْل شواهدنا .

(١) ب : « مشتهراً » م : « شهيرة » ، والوجه ما أثبت من ط ، مع .

(٢) ب ، م : « ظاهرة » .

(٣) ما بين المقفين ساقط من ب ، كاسقطت كلمة « به » ما عدا ط .

(٤) الأخفاف : الفسروب الخفيفة في الأخلاق والأشكال . م : « وأخفاف » ، تحريف .

وفي ط : « وأصناف » .

(٥) ما عدا ط : « بل لم يكن يميز » .

(٦) في جميع الأصول : « وكان لكل قائم وقاعد » ، والوجه ما أثبت .

(٧) التشرح ، بالتحريك ، ويقال بالفتح أيضاً : السواء ، يقال هذا شرع سواء .

وفي الحديث : « أنتم فيه شرع سواء » ، أي متساوون .

(٨) ب فقط : « إذا كانوا » .

(٩) ب فقط : « بالجنة » ، تحريف .

(١٠) أي شيئاً متبايناً .

(١١) فقط : « إذا كانت » .

(١٢) ما عدا ط : « أجوادها » .

مع أني لم أنكر فضيلة الصمت ، ولم أهجن ذكره إلا أن فضله خاصٌ دون عام ، وفضل الكلام خاصٌ وعام ، وأن الاثنين إذا اشتمل عليهما ففضلٌ كان حظهما أكثر ، ونصيبهما [أوفر من الواحد . ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاهة ^(١)] خلقي ، وخلص أمة .

ومن أكثر ما يُذكرُ للسَّكْت من الفضل . ويوصف له من المنقبة أن يقال يسكت ليتوقى به عن الإثم ^(٢) ، وذلك فضلٌ خاصٌ دون عام .

ومن أقل ما يُحتكم عليه أن يقال غيٌّ أو جاهل ^(٣) ، فيكون في ذلك لازمٌ ذنبٌ على التوهم به ، فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ووط فيه صاحبه من الوزر .

والذي ذُكر من تفضيل الكلام ما ينطبق به القرآن ، وجاءت فيه الروايات عن الثقات ، في الأحاديث المنقولات ، والأقاصيص المرويات ، والسمر والحيكيات ، وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء - أكثرُ من أن يُبلغ آخرُها ، ويُدرَك أولُها ^(٤) ، ولكن قد ذكرتُ من ذلك على قدر الكفاية ، ومن الله التوفيقُ والمداية .

ولم نر الصمت - أسعك الله - أحمد في موضع إلا وكان الكلام فيه أحمد . لتسارع الناس ^(٥) إلى تفضيل الكلام . لظهور علته ، ووضوح جليته ، ومغبرة نفعه .

(١) ما بين المقامين ساقط من ب .

(٢) يقال ، ساقطة من ط . وفي ب فقط : « عن الاسم » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « غي » ، تحريف .

(٤) م فقط : « ويترك أولها » .

(٥) ب فقط : « لسارع الناس » ، تحريف .

وقد ذكر الله جلَّ وعزَّ (١) في قصَّة إبراهيم عليه السلام حين كسَّر الأصنام وجعلها جذًا ، فقال حكاية عنهم : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ أَفَعَلْتَ هَذَا بِاللَّهِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ . قَالَ بَلَى فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (٢) . فكان كلامه سبباً لنجاته ، وعلّة لخلاصه ، وكان كلامه عند ذلك أحمَدَ من صمته غيره في مثل ذلك الموضع ، لأنّه عليه السلام لو سكّت عند سؤالهم لبيّاه لم يكن مكوثه إلّا على بصيرٍ وعلم ، وإنّا تكلمنا لأنّه رأى الكلام أفضل ، وأنّ من تكلم فاحسن قدر أن يسكّت فيحسين ، وليس من سكّت فاحسن قدر أن يتكلم فيحسين .

واعلم - حفظك الله - أنَّ الكلام سبب^م لإيجاب الفضل ،
وهناية إلى معرفة أهل الطول .

ولولا الكلام لم يكن يُعرفُ الفاضلُ من المفضول، في معانٍ كثيرة، لقول الله عزَّ وجلَّ، في بيانِ يوسف عليه السلامُ وكلامه عند عزيز مصر، لما كلمه ﴿فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ النُّبُوءُ لَكِنَّا مَكِينٌ آمِينَ﴾﴾. فلو لم يكن يوسفُ عليه السلامُ أظهرَ فضلَه بالكلام، والإفصاح بالبيان، مع محاسنِه المُنزقة، وأخلاقه الطاهرة، وطبائعه الشريفة، لَمَا عَرَفَ العزيزُ فضلَه، ولا بلغَ تلكَ المنزلةَ لديه، ولا حلَّ ذلكَ الحلَّ منه ﴿١﴾، ولا صار

(۱) مع : • وقد ذكر الاجل وعز • . وانظر ما سبق .

(٢) الآيات ٦٢ ، ٦٣ من سورة الأنبياء .

(۲) ب فقط : • سبب • ، تحریف .

(٤) حج : « لقول الا » ، ويبدو أن هذا وسابقه محاولة طباعية لاختصار لفظ الجلالة ، وهو أمر بشع .

(هـ) ، ب ، مج : « ما كلمه » تحريف ، م : « فلما كلمه قال » ، وأثبت ما في ط .

(٦) الآية ٤٥ من سورة يوسف .

(v) ب : « ولاجل » م : « ولاجل » صوابهما في مع ، ط . وفي فقط : « ذلك الحمل » ،

عنده بموضع الأمانة ، ولكانَ في إِدَادِ غَيْرِهِ^(١) ومنزلةِ مِوَاهُ عند العزيز . ولكنَّ اللهَ جعلَ كلامه سبباً لرفع منزلته ، وعلو مرتبته ، وعلو معرفته فضيلته ، ووسيلةً لتفضيل العزيز لإياه .

ولم آر للصمت فضيلةً في معنى ولا للسكوت منقبةً في شيء إلا وفضيلة الكلام فيها أكثرُ ، ونصيبُ المنطقِ عندها أوفر ، واللفظُ بها أشهر . وكفى بالكلام فضلاً . وبالمنطق منقبةً ، أن جعلَ الله الكلام سبيلَ تهليله وتحميده ، والدالَّ على معالم دينه وشرائع إيمانه ، والدليل إلى رضوانه^(٢) . ولم يرضَ من أحدٍ من خلقه إيماناً إلا بالإقرار ، وجعل مسلكه اللسان ، ومجراه فيه البيان ، وصيره المعبر عما يُضمَره^(٣) والمبين عما يُخبره^(٤) ، والمتبَيَّن عن^(٥) ما لا يستطيعُ بيانه إلا به^(٦) . وهو ترجمانُ القلبِ . والقلب وعاءٌ واعٍ^(٧) .

ولم يُحمد الصمت من أحدٍ إلا توقياً لمعجزه عن إدراك الحق والصواب في إصابة المعنى . وإنما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وإنكارهم إياه ، ليُقرُّوا به ، فإذا فعلوه حُفِنَتْ دماؤهم ، وحُرِّمَتْ أموالهم ، ورُعِيَتْ ذِمَّتُهُمْ . ولو أنَّهم سكتوا ضناً بدينهم لم يكن سبيلُهُم إلا العطب .

(١) مع : « في عداد غيره » ، تحريف .

(٢) مع : « على رضوانه » ، تحريف .

(٣) ب : « وصيره المعبر عنك ما ضميره » م : « وصيره المعبر عنك ما ضميره » .

صوابهاني ط ، مع .

(٤) ب ، م ، مع : « والمبين عنك ما يخبره » ، صوابه في ط .

(٥) ما عدا ط : « عنك » ، تحريف .

(٦) ما عدا مع : « ما يستطيع » وفي مع : « ما لا يستطيع » والوجه ما أثبت . وقد سقطت

« إلا به » من ط .

(٧) مع : « دعاء وراع » .

فاعلم أنَّ الكلام من أسباب الخير لا من [أسباب] الشر^(١).

والكلام - أبقاك الله - سبيل التمييز بين الناس والبهائم - وصيب المعرفة لفضل آدميين على سائر الحيوان^(٢) ، قال^(٣) الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤)﴾. كَرَّمَهُم^(٥) باللسان وجعلهم بالتدبر^(٦).

ولو لم يكن الكلام لما استوجب أحد النعمة ، ولا أقام على أداء ما وجب عليه^(٧) من الشكر سبباً للزيادة ، وعلة لامتحان قلوب العباد . والشكر بالإظهار في القول ، والإبانة باللسان . ولا يُعرف الشكر إلا بهما . والله تعالى يقول : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^(٨)﴾ ، فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة ، عند إظهاره بالقول ، والحمد مفتاحاً للنعمة .

وقد جاء في بعض الآثار : لو أنَّ رجلاً ذَكَرَ الله تعالى وآخر يَسْمَعُ له كان الملعود للمستمع من الأجر ، والمذكور له من الثواب واحداً^(٩) وللمتكلم^(١٠) به عشرة أو أكثر .

فهل ترى - أبقاك الله - أنه وجب له . أحب انشئ^(١١) ذلك وفضل

(١) ب ، م : « إلا من الشر » ، تحريف .

(٢) ب : « على سائر الحيوان » .

(٣) ب : « فقال » .

(٤) الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٥) ب فقط : « أكرمهم » .

(٦) في جميع الأصول : « وجعلهم بالتدبر » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ما عدا ط : « عليهم » .

(٨) الآية ٧ من سورة إبراهيم .

(٩) ب ، م : « واحد » .

(١٠) ب فقط : « والمتكلم » .

(١١) م ج : « العشرة » ، وكلاهما جائز لأنه صفة لملعود مخلوف

به على صاحبه إلا عند استعماله بالنطق به لسانه^(١) . ولم يلزم^(٢) الصمت أحد إلا على حسب وقوع الجهل عليه . فأمّا^(٣) إذا كان الرجل نبيها مميزاً ، عالماً مفوهاً فالصمت مهجنٌ لعلوه وسائر أفضليه^(٤) . كالفداحة لم يستجن نفعها دون تنزيلها^(٥) . ولذلك قيل : « من جهل علماً عاداه » .

٢ - فصل منها

ولم أجِدِ الصّامت مستعاناً به في شيء من المعاني ، ولا مذكوراً في المحافل .

ولم يُذكر الخطباء ولا قَلَمَتُهُمُ الوقودُ عند الخُلفاء إلا لِسًا عرفوه من فَضْلِ لسانِهِمْ وفضيلةِ بيانِهِمْ . وإنَّ أصحَّ ما يُوجد في المقول ، وأوضح ما يُعَدُّ في الموصول للعرب من الفضل - فصاحتها وحسنُ منطقيها ، بَعْدَ فصائلها المذكورة ، وأيامها المشهورة .

ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رُسُلِهِ من العرب ، وجعل لسانه عربياً . وأنزَلَ عليه قرآنه عربياً ، كما قال الله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(١) . فام يُخصَّ اللسان بالبيان ، ولم يُحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام . وحسن العبارة عند المنطق ، وحلاوة اللفظ عند السمع .

واعلم أنَّ الله تعالى لم يُرسل رسولاً ولا بعث نبياً إلا مَنْ كان فضله

(١) سج : « على لسانه » .

(٢) م فقط : « ولا يلزم » .

(٣) ط فقط : « أما » بلا فاء .

(٤) ب ، م : « فضله » .

(٥) المراد بالتزنيده استعمال الزندين ، والكلمة بهذا المعنى لم ترد في المعاجم المتعللة .

(٦) الآية ١٩٥ من سورة الشراء .

في كلامه وبيانه كفضله على المبعوث إليه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لساناً ، وأحسنهم بياناً ، وأسهلهم مخارج للكلام^(١) وأكثرهم فوائد من المعاني ، لأنه كان من جماهير العرب ، مولده في بني هاشم ، وأخواله من بني زهرة . ورضاعه في بني سعد بن بكر ، ومنشؤه في قريش ، ومتزوج في بني أسد بن عبد العزى ، ومهاجرة إلى بني عمرو^(٢) ، وهم الأوس والخزرج من الأنصار . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيند أتى من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر »^(٣) .

ولو لم يكن مما عَدَدْنَا من هؤلاء الأحياء إلا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها ، وكفاية عن من سواها^(٤) ، لأن قريشاً أفصح العرب لساناً وأفضلها بياناً ، وأحضرها جواباً ، وأحسنها بليهة^(٥) ، وأجمعها عند الكلام قلباً .

ثم للعرب أيضاً خصال كثيرة ، ومشاهد كثيرة ، مما يشاكل هذا الباب ، ويضارع هذا المثال ، حذفْتُ ذكرَها خوفَ التطويل فيها^(٦) .

(١) ب ، م : « غلجج الكلام » .

(٢) هكذا وردت « مهاجرة » في جميع الأصول ، وهي صحيحة ولغة الجاحظ تتطلب « مهاجرة » . وعمرو هذا هو مزينة بن عامر ماء الباء بن حارثة النضر بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . والأوس والخزرج أبوها سارثة بن ثعلبة بن عمرو هذا ، الملقب بمزينة . بحجرة ابن حزم ٣٣٢ . ويقول أوس بن الصامت الأنصاري : (المني ١ : ٣٩١ والمنزلة ١ : ٢٢٩) .

أنا ابن مزينة عمرو وجدي أبو عامر ماء الباء

(٣) انظر لسان العرب (يد) .

(٤) في جميع الأصول : « وكفاية من سواها » .

(٥) م فقط : « بليهة » .

(٦) ما عدا ط : « وذكرت التطويل فيها » ، تعريف .

٣ - فصل منها

فهذه كلها دلائل^(١) على تحضي حجتك ونقض قضيتك . وإنما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم ، وأمرهم بالإبلاغ ليلزمهم الحجّة بالكلام لا بالصمت . إذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا لعلّة ظهور إلّا بالتّطق^(٢) .

٤ - فصل منها

في صفة من يقدر على الإبانة

وليس يقوى على ذلك إلّا امرؤ في طبيعته فضل عن احتمال نحيزته^(٣) وفي قريحته زيادة من القوة على صناعته . ويكون حفظه من الاقتدار في المنطق فوق قسطه من التغلب في الكلام . حتى لا يضع اللفظ الحرّ النبيل إلّا على مثله من المعنى ، ولا اللفظ الشريف القخم^(٤) إلّا على مثله من المعنى . نعم ، وحتى يُعطى اللفظ حقّه من البيان . ويوفر على الحديث قسطه من الصواب ، ويجزّل^(٥) للكلام حفظه من المعنى ، ويضع جميعها مواضعها . ويصفقها بصفقتها . ويوفر عليها حقوقها من الإعراب والإفصاح .

(١) م : « دليّة » ط : « دليل » ، وأثبت على سائر النسخ .

(٢) بعده في مج : « والله أعلم » . وبذلك ينتهي النص المذكور في نسخة مجموعة النسخ .

(٣) تحيزه الرجل : طبيعته ، كالتحيزه أيضاً . ط : فقط : « غيرته » .

(٤) الملقم : « .

(٥) م : « ويجزّك » ط : « ويجرك » ، صوابها في ب .

٥ - فصل منها

وبعد، فأى شيء أشهر مَنْقِبَةً وأرفعُ درجةً وأكملُ فضلاً، وأظهر نفعا، وأعظم حُرمةً، من شيء لولا مكانه لم يثبتَ لله رُبُوبِيَّةٌ^(١) ولأنَّ حجة^(٢)، ولم يفصل بين حُجَّةٍ وشُبْهةٍ، وبين الدليل^(٣) وما يتجلى^(٤) في صورة الدليل.

ثم به يُعرَفُ فضلُ الجماعة من الفرقة، والشُبْهة من البدعة، والشُّلُوذ من الاستغاضة.

والكلام سبب^(٥) لتعرُّفِ حقائق الأديان، والقياس في تثبيت الرُبُوبِيَّةِ^(٦) وتصديق الرسالة، والامتحان للتَّهْدِيلِ والتَّجْوِيرِ^(٧) والاضطرار والاختيار^(٨).

(١) ب : « لم يثبت الله يهوئية » محريف .

(٢) م : « القى حجة » . وما بعده إلى « حجة » التالية ساقط من م .

(٣) « بين الله دليل » ساقط من ب .

(٤) ب : « تتجل » .

(٥) ب : « والكلام لسبب » .

(٦) م : « والقياس وإثبات الربوبية » .

(٧) في جميع الأصول : « والتحرر » ، والوجه ما أثبت . والتجوير : نسبة الجور ، أى الظلم إلى الله . وانظر ما سبق في ٤٠٤٣ .

(٨) ط : « للاضطرار والاختيار » صوابه ق ب ، م .

٢٥

من كتابه في
صناعة الاسلام

١ - فصل

من صلو كتابه في صناعة الكلام^(١)

ذكرت حفظك الله تفضيلك^(٢) صناعة الكلام ، والذي خصصت به مذهب النظام ، وشغلك بالمبالغة في النظر ، وصبايتك^(٣) يتهلل به النحل ، مع أنسك بالجماعة ، ووحشتك من الفرقة . والذي تم عليه عزمك من إدامة البحث والتنقيب^(٤) ومن حمل النفس على مكروهاها من التفكير ، ومن الانتساب إليهم والتعرف بهم . والذي تيمأ لك من الاحتساب في الأجر ، والرغبة في صالح الذكر ، والذي رأيت من النصب للرافضة والمارقة ، وطول مفارقة المرجئة والثابتة ، ولكل من اعترض عليهم ، وانحرف عنهم ، والذي يخص به الجبرية ويعم به المشبهة .

فبأيها المتكلم الجماعي ، والمتفق السني ، والنظار المعتزلي ، الذي سمت همته إلى صناعة الكلام مع إدارار الدنيا عنها ، واحتمل ما في التعرض للعوام من الثواب عليها ، ولم يقنعه من الأديان إلا الخالص المحتج^(٥) . ولا من النحل إلا الإبريز المهذب ، ولا من التمييز إلا المحض المصفي . والذي رغب بنفسه عن تقليد الأعمار والحشوة^(٦) ، كما

(١) حاشي الكامل ٢ : ٢٣٨ - ٢٤٦ باسم « صناعة الكلام » وكذا ريشر ١٥٩ - ١٦٢ . وانقردت نسخة التحف البريطاني (ب) باسم « فنية صناعة الكلام » .

(٢) ب قط : « تفصيل » .

(٣) في جميع الأصول : « وصيايتك » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « والتقصير » ، صوابه في ط .

(٥) المحتج : المصنف الخالص ، من قولهم : محنت القصة ، إذا صفتها وخلصتها بالنار . ب قط : « المحتج » تحريف .

(٦) حشوة الناس ، بالضم : وقالهم . م قط : « الحشوية » ، وليست مرادة هنا ، وانظر تحشوية المصنف ٣ : ٢٨٨ .

رَغِبَ عن ادِّعَاءِ الإِلْهَامِ والضرورة ، ورَغِبَ عن ظَلَمِ القِيَّاسِ بقدر رغبته في شرفِ اليقين ^(١) :

لأنَّ صناعةَ الكلامِ عِلْقُ نَفْسٍ ، وجوهرُ ثَمِينٍ ، وهو الكنز الذي لَا يَفْتَنِي وَلَا يَبْلَى ، والصاحب الذي لَا يُمَلُّ وَلَا يُفْلَ ^(٢) ، وهو العيارُ على كُلِّ صناعةٍ ، والزَّمامُ على كُلِّ عبارةٍ ، والقِسْطُ الذي به يُسْتَبَانُ نُقْصَانُ كُلِّ شَيْءٍ ورُجْحَانُهُ ، والرَّأْوُوقُ الذي به يُعرفُ صفاءُ كُلِّ شَيْءٍ وكَثْرَتُهُ ، والذي كُلُّ أَهْلِ عِلْمٍ عليه عِيَالٌ ، وهو لكلِّ تحصيلٍ آلةٌ ومثال .

أَلَا إِنَّهُ تَعَزَّ ^(٣) ، والتَّعَزُّ محروسٌ ، وجَمِيٌّ والحمى ممنوعٌ . والحَرَمُ ^(٤) مصونٌ ، ولن تصونه ^(٥) إِلَّا بابتذالِ نَفْسِكَ دُونَهُ ، ولن تمنعه ^(٦) إِلَّا بِأَنْ تَجِدَ مَهْجَتَكَ ومجهودَكَ ، ولن تَحْرُسَهُ إِلَّا بِالْمَخَاطَرَةِ فِيهِ . والثَّوَابُ على قدرِ المشقةِ ، والتَّوْفِيقُ على مقدارِ حُسْنِ النِّيَّةِ .

وكيف لَا يَكُونُ حَرَمًا وبه عرفنا حُرْمَةَ الشُّهُورِ الحرامِ والحلالِ المنزَّلِ ، والحرامِ المَقْصُولِ ؟ !

وكيف لَا يَكُونُ ثَقْرًا وكلُّ النَّاسِ لَأَهْلِهِ عُلُوٌّ ، وكلُّ الْأُمَمِ لَهُ مُطَالِبٌ .

(١) في جميع الأصول : « شرب اليقين » ، والوجه ما أثبت .

(٢) يفل : يكون في قلبه اللبس والشنن . والإغلال أيضاً : الرقة والحيانة . وفي الأصول : « ولا يفل » ، ولا وجه له .

(٣) في جميع الأصول : « الآفة » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « والحزم » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط : « ولا تصونه » .

(٦) ولن تمنعه ، ساقط من م .

وأحقُّ الشيء ^(١) بالتعظيم ، وأولاهُ بأنَّ يُحْتَمَل فيه كلُّ عظيمٍ ما كان مُسَلِّماً إلى معرفة الصَّغير والكبير ، والمحقير والمخاطر ، وأداة لإظهار الغامض ، وآلةٌ لتخليص الغاشية ^(٢) ، وسبباً للإيجاز يوم الإيجاز والإطناب يوم الإطناب .

وبه يُستدلُّ على صرف ^(٣) ما بين الشَّرين من النقصان . وعلى فَضْل ^(٤) ما بين الخيرين من الرُّجحان ، والذي يصنع في العقول من العبارة وإعطاء الآلة مثل صنيع العقل في الروح ، ومثل صنيع الروح في البدن . وأىُّ شيء أعظمُ من شيء لولا مكانه لم يثبت للربُّ ربوبيةٌ ، ولأنَّ ^(٥) حجة ، ولم يُفصل بين حجة وشبهة ، وبين الدليل وما يُتخيل في صورة الدليل . وبه يُعرف الجماعة من القرقة ، والسنة من البلدة ، والشُّلُوذ من الاستفاضة .

٢ - فصل منه

واعلم أنَّ لصناعة الكلام آفاتٍ كثيرة ، وضروباً من المكروه عجيبة . منها ما هو ظاهرٌ للعيون والعقول ، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون ، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فإنه لا يظهر إلا لكلِّ عقلٍ سليمٍ جيّد التركيب . وذهنٍ صحيحٍ خالص الجوهر ، ثم لا يدركه أيضاً إلا بعد إدمان الفكر ، وإلا بعد دراسة الكتب ، وإلا

(١) ب ، م : « وأحقُّ بالشيء » ، صوابه في ط .

(٢) الغاشية : ما يوشى . ط فقط : « الغاشية » .

(٣) الصرف : التفضل ؛ يقال : فلنا صرف على هذا ، أى فضل . وفي جميع الأصول : ضرب ، صوابه ما أثبت .

(٤) م ، ط : « فضل » بالصاد المهملة ، ولها وجهها .

(٥) ب ، م فقط : « الذى » . وانظر ما مضى في ٢٣٨ .

بعد منظره الشكل الباهر ، والمعلم الصابر . فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية ، فلا بُدَّ من شهوة قوية . ومن تفضيله [على ^(١)] كل صناعة ، مع اليقين بأنه متى اجتهد أنجح ، ومتى أدمن قرع ^(٢) الباب ولج . فإذا أعطى العلم حقه [من الرغبة فيه ، أعطاه حقه] ^(٣) من الثواب عليه .

٣ - فصل منه

ومن آفات صناعة الكلام أن يرى ^(٤) من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها ، وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه حتى يرى المبتدئ أنه كاللنتهى ^(٥) ويخيل إلى الغي أنه فوق الذكي . وأيضاً أنه يعرض عن أهله ^(٦) وينصب لأصحابه من لم ينظر في علمه قط ، ولم يخش في أدب منذ كان ، ولم يدرك ما التمثيل ولا التحصيل ، ولا فرق ما بين الإهمال والتفكير ^(٧) .

وهذه الآفات لا تنحصر الحُصَّاب ولا الكُتَّاب ، ولا أصحاب النحو والعروض ، ولا أصحاب الخبر وحُمال السير ، ولا حفاظ الآثار ولا رؤاة الأشعار ، ولا أصحاب الفرائض ، ولا الخطباء ولا الشرهاء ، ولا أصحاب الأحكام ومن يُفتى ^(٨) في الحلال والحرام ، ولا أصحاب التباويل ،

(١) تكله يفتر الكلام إليها .

(٢) ب ، م : « قرع » ، صوابه في ط .

(٣) م : « فإذا أعطى العلم حقه من الثواب عليه » . فقط يسقط سائر الكلام .

(٤) ب ، م : « يرى » مع سقوط « أن » قبلها . وإثباتها من ط .

(٥) ب ، م : « حتى ترى » إل آخر الكلام . وفي م : « حتى ترى المنتهى » فقط . وأثبت ما في ط .

(٦) ب ، م : « وأيضاً أنه يعرض على أهله » ، صوابه في ط .

(٧) ط : « والتفكير » .

(٨) ب ، م : « يعني » ، صوابه في ط .

ولا الأطباء ولا المنجمين ولا المهنيين ، ولا لدى صناعة ولا لدى
تجارة ، ولا لدى عيلة^(١) ولا لدى مسألة .

فهم هذه البلية مخصصون ، وعليها مقصورون . فللصابر منهم من
الأجر حسب ما حص به من الصبر . وهي الصناعة لا يكاد تظهر
قوتها^(٢) ولا يبلغ أقصاها إلا مع حضور الخصم .

ولا يكاد الخصم يبلغ مجبته منها إلا برفع الصوت وحركة اليد ،
ولا يكاد اجتمعا يكون إلا في المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ،
ولا تحفل نفوسهما^(٣) ، ولا تجتمع قوتهما^(٤) ، ولا تجود القوة
بمكونها وتطوى أقصى ذخيرتها ، التي استخزنت^(٥) ليوم فقرها^(٦) وحاجتها ،
إلا يوم جمع وساعة حُل . وهذه الحال داعية إلى حب القلب .

وليس شيء أدعى إلى التغلب من حب القلب . وطول رفع الصوت
مع التغلب ، وإفساد التغلب^(٧) طباع المفيد ، يوجبان فساد النية ،
وعنان من ذلك الحقيقة . ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطأ جهة
القصد .

وعلم الكلام بتد^(٨) ملقى من الظلم ، متاح له المقص . فهو أبداً محمول

(١) العيلة ، بالفتح : القفر والحاجة . وفي الكتاب العزيز : « وإن خفتم عيلة نفوس
يفتكم الله من فضله إن شاء » .

(٢) م ، ط : « يظهر قوتها » .

(٣) ب ، م : « ولا يحفل نفوسهما » ، والوجه ما أثبت . وقد سقطت هذه العبارة من ط .

(٤) ب ، م : « ولا يجتمع » . وفي ط : « قوتها » وهذه محرفة .

(٥) ب : « ولما استجريت » ، م : « ولما استجريت » ، صوابها ما أثبت . وفي ط .

« التي أعطتها » .

(٦) ب فقط : « اليوم فقرها » . تحريف .

(٧) ب ، م : « التغلب » ، صوابها في ط .

(٨) ب فقط : « أبداً » ، تحريف .

عليه ومُبْخُوسٌ حَظُهُ^(١) وباب الظلم إليه مفتوح ، لا مانع له دونه .
والعلم بما فيه من الضرر يخفى على أكثر العقلاء ، ويقتض على جمهور
الأدباء . وإذا كان ملقى من أكبر العقلاء ، ومخلولاً عند أكثر الأدباء .
فما ظنك بمن كان عقله ضعيفاً ونظره قصيراً ؟ بل ما ظنك بالفلول
الغادر ، والتمر الجاسر ؟ فهذا سبيلُ العوامِ فيه ، وجهلُ عوامِ الخواصِ
به ، وانحرافهم عنه ، وميلُ الملوكِ عليه ، وعداوة بعضٍ لبعضٍ فيه .

وصناعة الكلام كثيرةُ الدُّخْلَاءِ والأدعياء ، قليلةُ الخُلُصِّ والأَصْفِيَاءِ
والنَّجَابَةِ فيها غريبة ، والشروط التي تستحكم بها الصَّنَاعَةُ بعيدةٌ
سحيقةٌ^(٢) ؛ ولدعى القوم من العجز ما ليس لصحيحهم ، ولردى الطباع
في صناعة الكلام من ادعاء المعرفة ما ليس للمطبوع عليها منهم ، بل
لا تكاد تجده إلا مغموراً بالحشوة^(٣) مقصوداً بمخاتل السُّفلة .

ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصَّنَاعَاتِ أن أصحاب
الحساب والمهندسة يزعمون أن سبيلَ الكلام سبيلُ اجتهدِ الرأي ؛
وسبيلُ صوابِ الحُصْنِ ، وفي طريقِ التقريب والتَّوْمِيهِ ، وأنه ليس
العلمُ إلا ما كان طبيعياً واضطراباً لا تأويلَ له ، ولا يحتمل معناه
الوجهة المشتركة ، ولا يتنازعُ ألفاظه الحلولُ المتشابهة . ويزعمون أنه
ليس بين علمهم بالشيء الواحد أنه شيء واحد وأنه غير صاحبه فرق
في معنى الإتيان^(٤) والاستبانة ، وتلج الصدور والحكم بغاية انقذ .

(١) المبخوس : المنقوس . ب فقط : « ومنجوس » .

(٢) السحيقة : البعيدة . وفي الكتاب : « أو تهوى به الريح في مكان سحيق » . وفي
السان : « وإنه لبعيد سحيق » . وفي جميع الأصول : « تحفة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) ط : « بالحسنة » .

(٤) ط فقط : « الاتفاق » .

٤ - فصل منه (١)

فلو كان هذا المهندس الذي أبرم قضيته ، وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته ، نَظَرَ في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة ، وطبيعة مناسبة . وعناية تامة ، وأعاون صادق وقلة شواغل ، وشهرة للعلم ، ويقين بالإصابة ، لكان تهيّب الحكم أزين به . والتوقى أولى به . فكيف بمن لا يكون (٢) عرف من صناعة الكلام ما يعرفه المختص فيه ، والمتوسط له .

على أننا ما وجدنا مهنئاً قط ولا رأينا حاسباً يقول ذلك إلا وهو ممن لا يتوقى سرف القول ، ولا يُشفيق من لائمة المحصلين ، وقضيته قضية من قد عرف الحقائق ، واستبان العواقب ، ووزن الأمور كلها وعجم المآلئ بأسرها ، وعلم من أين وثق كل واثق ، ومن أين غر كل مغرور .

وعلى أنهم يُقرّون (٣) أن في الحساب مالا يعلم ، وأن في الهندسة مالا يدرك ولا يفهم . والتكلمون لا يُقرّون بذلك العجز في صناعتهن ، وبذلك النقص في غرائزهم .

٥ - فصل منه

وأقول : إنه لو لم يكن (٤) في التكلمين من الفضل إلا أنهم قد رأوا إبداء اللبني عن علم الكلام ، وإقبالها إلى الفتيا والأحكام ، وإجماع

(١) فصل منه ، ساقط من ب ثابت في م ، ط .

(٢) ب ، م : « فكيف أن لا يكون » .

(٣) ط : « يقرّون » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « إنه لم يكن » ، صوابه في ط .

الرعية والراعى على إغناء المفتى ، وعلم الفتوى فرع ، وإطباقهم^(١) على جرمان المتكلم ، وعلم الكلام أصل . فلم يتركوا مع ذلك نكلفه ، وشحت نفوسهم عن^(٢) ذلك الحظ . مخافة إدخال الضييم على علم الأصل ، وإشفاقاً من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع^(٣) ، فكان الفقر والقلة آثر عندهم مع إحكام الأصول ، من الغنى والكثرة ، مع حفظ الفروع ، فتركوا أن يكونوا قضاة ، وتركوا^(٤) القضاة وتعليهم^(٥) وتركوا أن يكونوا حكاماً وقنعوا بأن يحكم عليهم ، مع معرفتهم بأن آلتهم أنتم ، وآدابهم أكمل ، وألسنتهم أهد ، ونظرهم أنقب ، وحفظهم أحضر ، وموضع حفظهم أحسن .

والتكلم اسم يشتمل على ما بين الأزرق^(٦) والغالى^(٧) وعلى مادونهما من الخارجى والرافى ، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة ، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة .

(١) ب ، م : « وإطباقها » ، صوابه بى ط .

(٢) ط : « على » .

(٣) ب ، م : « لا اجتماع الأصل والفرع » .

(٤) ب ، م : « وخبروا » .

(٥) « وتعليهم » ساقط من م .

(٦) الأزرق : واحد الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى ، وكان من

الخواارج ، قتل يوم دولاب سنة ٦٥ . وانظر الجزء الأول من الرسائل ص ٤٣ ، ٥١ . ب ، م : « الأزرق » ، صوابه بى ط .

(٧) الغالى : واحد الغلانة . وهو يعنى غلاة الشيعة .

من رسالة في
مدح التجارة ودم عمل الباطل

١ - فصل

من صغر رسالته في مدح التجار ودم عمل السلطان^(١)

أدامَ اللهُ لكِ السَّلامَةَ ، وأسَمَكَ بالنعمة . وختمَ لكِ بالسَّعادة ،
وجعلكِ من الفائزين .

فَهَيئْتُ كتابَ صاحِبِكَ ، ووقفتُ منه على تعدُّ في القول ، وخِيفَ
في الحكم ؛ وسمعتُ قولَه . وهو على كلِّ حالٍ حائرٌ ،^(٢) وطريقُه طريقُهم ،
وكتبُه تشاكلُ كتبهم ، وألفاظُه تُطابقُ ألفاظَهم .

وكذلكِ حالُّنا وحالُ صاحِبِ كتابِكَ فيما يَسْخَطُه من أمرنا ، أتَى
لا أعْتَبِرُ منه ، وأسْتَنَكفُ من الانتسابِ إليه^(٣) ، بل أَسْتَجِي من
الكتابة ، وأسْتَنَكفُ بأنْ أنْصِبَ إليها من البلاغة أنْ أعْرِفَ بها في غير
موضعها ، ومن السَّجِّحِ^(٤) أنْ يظهرَ مِنِّي ، ومن الصَّنِيعَةِ^(٥) أنْ تُعرَفَ
في كسبي ، ومن العُجْبِ بكثيرِ ما يَكُونُ مِنِّي .

وقديماً كَرِهَ ذلكَ أهلُ المروعة والأَنَفَةِ^(٦) . وأهلُ الاختيارِ للصُّوابِ
والصِّدْقِ عن الخطأ : حتَّى إنَّ معاويةَ مع تخطُّفه عن مراتبِ أهلِ السَّابِقَةِ ،
أَتَمَّلَى كتاباً إلى رجلٍ فقال فيه : « لِمَ أَهَوُّ عَلَى من ذَرَّةٍ ، أو كَلْبٍ من

(١) هامش الكامل ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ وريشر ١٨٦ - ١٨٨ ومجموعة السامى ١٥٥ - ١٦٠

وقد انفردت نسخة الكامل بعنوان « مدح التجارة » . وانظر ما سيأتى في ٢٥٤ من ٩ .

(٢) ب : « حاجز » م : « حاجز » ، صوابها في ط .

(٣) ب : « وأسْتَنَكفُ بأن من الانتساب إليه » ، تحريف .

(٤) ب : م : « من السَّجِّحِ » ط : « السَّطِيعِ » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ب : م : « من الصَّنِيعَةِ » ط : « الصَّنِيعَةِ » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ب ، م : « والأَنَفِ » .

كَلَابِ الْحَرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ : « امحُ : من كلاب الحرّة . واكتب : من الكلاب .
كَانَتْ كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ، وأرى أنّه ليس
في موضعه .

٢ - فصل منه

وهذا الكلام لا يزال ينجم من خشوة^(١) أتباع السلطان . فأما
عليّهم ومضاهم^(٢) ، وذو البصائر والتمييز منهم ، ومن فتقته
القطنة^(٣) ، وأرقه^(٤) التأديب ، وأرقه طول الفكر^(٥) ونجوى فيه
الحياء^(٦) وأحكمته التجارب ، فعرف العواقب وأحكم التفصيل^(٧) وتبطن^(٨)
غوامض التحصيل ، فإنهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ،
ويحكمون لهم بالسّلامة في الدين^(٩) ، وطيب الطعمة^(١٠) ، ويعلمون
أنهم أودع الناس يدنا وأهنؤهم عيشاً ، وأمنهم مريباً ، لأنهم في
أفئدتهم كالملوك^(١١) على أسرتهم ، يرغب إليهم أهل الحاجات ، وينزع
إليهم ملتصقو البياعات ، لا تلحقهم الذلّة في مكاسبهم ، ولا يستعبد
الضرع لمعاملتهم^(١٢) .

(١) ط : « خشوة » .

(٢) المصاح ، بالضم : غالص كل شيء . ب : « فأما عليهم » ، تحريف ما في م ، ط .

(٣) ب ، م : « فيقت القطنة » ط : « فوته القطنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) أرقه : أرقه إزقاً . ب ، م : « أرقه » ، صوابه في ط .

(٥) م ، ط : « وأرقه » ، بالفاء ، والوجه ما أثبت من ب . وفي م ، ط : « والفكر » .

(٦) ب : « الجفا » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب : « التفصيل » ، بالضاد المجبة .

(٨) تبطن الأمر : تنسج فيه . ب ، م : « ويتلق » ، ط : « وتلق » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « سلامة الدين » .

(١٠) الطعمة ، بالضم : وجه المكسب .

(١١) م ، ط : « وكمالوك » ، صوابه في ب .

(١٢) الضرع : بالتحريك : الخضر والذلة والاستكانة . ب ، م : « ولا تصعبهم » .

صوابه في ط . وفي أيضاً : « لمعاملتهم » وأثبت ما في م ، ط .

وليس هكنا مَنْ لَابَسَ السُّلْطَانَ بِنَفْسِهِ . وقَارَبَهُ بِخَلْمَتِهِ ؛ فَإِنَّ
أُولَئِكَ لِيَأْسُهُمُ اللَّذَّةُ ، وشِعَارُهُمُ الْمَلَكُ . وقلوبُهُم مِثْنُ مِم لَمْ خَوَّلْ
مَلُوعَةً ، قد لَيسَهَا الرُّعْبُ ، وَأَلْفَهَا الذُّلُّ . وصَحِيحُهَا تَرْقُبُ الْإِحْتِيَاجَ ؛
فَهُمْ مَعَ هَذَا فِي تَكْدِيرٍ وَتَنْفِيسٍ . خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الرَّئِيسِ وَتَنْكِيلِ
الصَّاحِبِ ، وَتَغْيِيرِ الْبُلُوغِ ، وَاعْتِرَاضِ حُلُولِ الْمِخَنِ . فَإِنَّ هِيَ حَلَّتْ
بِهِمْ ، وَكَثِيرًا مَا تَحُلُّ . فَنَاهِيكَ بِهِمْ مَرْخُومِينَ يَرِقُّ لَهُمُ الْأَعْدَاءُ فَضْلًا
عَنِ الْأَوْلِيَاءِ .

فَكَيْفَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ هَذَا ثَمَرُهُ اخْتِيَارُهُ^(١) وَغَايَةُ تَحْصِيلِهِ ، وَبَيْنَ
مَنْ قَدْ نَالَ الرَّفَاقِيَّةَ وَالذَّمَّةَ^(٢) . وسَلِمَ مِنَ الْبَوَائِقِ ، مَعَ كَثْرَةِ الْإِثْرَاءِ
وَقِفَاءِ اللَّذَاتِ ، مِنْ غَيْرِ مِثَّةٍ لِأَحَدٍ . وَلَا مِثَّةٍ يَعْتَدُّ بِهَا رَأِيسٌ^(٣) وَمَنْ
مَوْمِنٌ نِعَمِ الْمُفْضِلِينَ خُلِّيَ ، وَبَيْنَ مَنْ قَدْ اسْتَرْقَهُ الْمَعْرُوفُ ، وَاسْتَمْتَعَهُ
الطَّمَعُ ، وَلَزِمَهُ ثِقَلُ الصَّنِيعَةِ ، وَطَوَّقَ عُقَبَهُ الْإِمْتِنَانُ . وَاسْتَرْهَنَ بِتَحْمُلِ
الشُّكْرِ .

٣ - فصل منها^(٤)

وقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ ، وَصَفِيَّةٌ مِنْ عِبَادِهِ ،
وَالْمُؤْتَمَنُ عَلَى وَحْيِهِ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِ التَّجَارَةِ ، وَهِيَ مَعُولٌمٌ وَعَلَيْهَا مُعْتَمَدٌمٌ ،
وَهِيَ صِنَاعَةُ مَلَفِهِمْ ، وَسِيرَةُ خَلْفِهِمْ .

وَلَقَدْ بَلَغَتْكَ بِسَائِلَتِهِمْ ، وَوُصِفَتْ لَكَ جَلَادَتُهُمْ ، وَنُعُتَتْ^(٥) لَكَ

(١) سَقَلَتْ مِنْ « مِنْ ب » .

(٢) قِيَّ جَمِيعُ الْأُمُورِ : « الْوَقَاعَةُ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) ب : م : « يَتَحَدَّى بِهَا » ط : « يَتَحَدَّى بِهَا » قَطَط . وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) فَصَلَ مِنْهَا ، سَقَطَ مِنْ ب .

(٥) ب : « وَنُتِيتَ وَتَحْرِيفٌ » ط : « وَنُتِيتَ » بِتَاءٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَثْبَتَ مَا قَامَ .

أحلامهم ، وتقرر ^(١) لك سخاؤهم وضيافتهم ، وبئلتهم ومواساتهم .
وبالتجارة كانوا يُعرفون . ولذلك قالت كاهنة اليمن ^(٢) « الله در النيار
لقريش التجار » .

وليس قولهم ^(٣) : قرش لقولم : هاشمي ، وزهري وتيمي ، لأنه
لم يكن لهم أب يسمى قريشاً ^(٤) فيتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم
من التجارة والتقريش ، فهو أفخم أسماهم وأشرف أنسابهم ، وهو الاسم
الذي نوه الله تعالى به في كتابه ، وخصهم به في مُحكم وحيه وتنزيله ،
فجعله قرآناً عربياً يُتلى في المساجد ، ويُكتب في المصاحف ^(٥) ، ويُجهر به
في القرائض ، وحظوة ^(٦) على الحبيب والمخلص .

ولم سوق عكاظ ، وفيهم يقول أبو ذؤيب :

إذا ضربوا القباب على عكاظ . وقام البيع واجتمع الألف ^(٧)

وقد غير ^(٨) النبي صلى الله عليه وسلم برهة من دهره تاجراً ، وشخص
فيه مسافراً ، وباع واشترى حاضراً ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولم يقسم الله مذهباً رضيعاً ، ولا خلقاً زكياً ^(٩) ولا عملاً مريضاً إلا
وحظّه منه أوفر الحظوظ ، وقسمه فيه أجزل الأقسام .

(١) في جميع الأصول : « وقدر » ، والصواب ما أثبت .

(٢) من أبي سعد بن سليم بن زيد بن ليث ، كما في البيرة ٩٢ . وليث هذا هو ابن سود بن
أسلم بن الحناق بن قفصة . جهرة ابن حزم ٤٤٧ .

(٣) في جميع الأصول : « فوقهم » : ووجه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « قرشياً » ، صوابه في م .

(٥) إشارة إلى سورة قريش .

(٦) ب ، م : « وحطوه » .

(٧) ديوان المفلحين ١ : ٩٨ برواية : « إذا بنى القباب على عكاظ » .

(٨) غير : مكث . ب فقط : « عبر » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « خلقياً » ، تحريف .

ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون : ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾^(١) ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾^(٢) .
فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات .

٤ - فصل منه

وإن الذي دعا صاحبك إلى ذم التجارة توهمه بقلته تحصيله ، اسـ
تنقص من العلم والأدب وتقتطع دونهما^(٣) وتمنع منهما^(٤) . فأى صنف
من العلم لم يبلغ التجار فيه غاية ، أو يأخذوا منه بنصيب . أو يكونوا
رؤساء أهله وعليتهم ؟ !

هل كان في التابعين أعلم من سعيد بن المسيب أو أنبل ؟ وقد
كان ناجراً^(٥) يبيع ويشترى ، وهو الذي يقول : ما قصى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآله^(٦) ولا أبو بكر . ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي
- رضوان الله عليهم - قضاء إلا وقد علمته .

وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بآساب قريش . وهو من كان
يقتضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم متوافرون . وله يقد^(٧)
علم بأخبار الجاهلية والإسلام ، مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته ،

(١) الآية ٧ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفرقان .

(٣) ب ، م : « ويتقطع دونهما » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « وتمنع منهما » .

(٥) م : « وكان ناجراً » .

(٦) وآله ، ساقطة من ب .

(٧) م : « يبيض » ، تحريف .

وأمره بالمعروف، وجلالته في أعين الخلفاء . وتقدمه على الجبارين .
 ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته .
 ومسلم بن يسار^(١) في علمه وعبادته ، واشتغاله بطاعة ربه .
 وأيوب السخيتي^(٢) ، ويونس بن عبيد^(٣) ، في فضلها وورعهما .

(١) مسلم بن يسار البصري الأموي . روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السخيتي وغيرهم . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة ، وإذا كان في صلاة كأنه وقد لا يتحرك شيء منه . توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة ، أو إحدى ومائة . تهذيب التهذيب .
 (٢) ب ، م : « السخيتي » . ط : « السخيتاني » ، والصواب ما أثبت . نسبة إلى عمل السخيتان ويه ، والسخيتان : جلود النضان . انظر تقريب التهذيب ولب الباب . وفي القاموس : « والسخيتان ويفتح : جلد الماعز إذا دبغ . مريب » . وهو أيوب بن أبي تيمة كيسان ، أبو بكر البصري ، روى عن عطاء وعكرمة وعمر بن دينار ، وعنه : الأعمش من أقرانه ، وقناعة وهو من شيوخه ، والمهادان والسفيانان وغيرهم . ولد سنة ٦٦ وتوفي سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب . وصفة المسقوفة ٣ : ٢١٢ .

(٣) في الأصول : « يوسف بن عبيد » ، وإنما هو « يونس » . كما في تهذيب التهذيب . وصفة المسقوفة ٣ : ٢٢٢ . توفي سنة ١٣٩ . وانظر الحيوان ١ : ١٦٧ ، ٣٤٠ ، والبيان ١ : ٢٢٠ / ٢ : ٢٢٠ / ٣ : ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٧١ .

٢٧

من كتابه في

الشارب والمشروب

١ - فصل

من صغر كتابه في الشارب والمشروب^(١)

سألت - أكرم الله وجهك ، وأدام رُشدك ، ولطاعته توفيقك ،
حتى تبلغ من مصالح دينك ودُنياك منازلَ ذوى الألباب ، ودرجاتِ
أهلِ الثواب - أن أكتبَ لك صفاتِ الشارب والمشروب وما فيهما من
المدح والميوب ، وأن أميزَ لك بين الأنثبة والخمر ، وأن أفتك على
حدِّ السكر ، وأن أعرفك السببَ الذى يرغب فى شرب الأنثبة وما فيها
من اجتلاب المنفعة ، وما يُكره من نبيذ الأوعية .

وقلت : وما فرقُ ما بين الجر^(٢) والسقاء ، والمزقة والحتم
والدباء^(٣) ، وما القولُ فى الممتل^(٤) والمكسوب ، وما فرق ما بين التقيع
والداذى^(٥) ، وما المطبوخ والبادق^(٦) ، وما الغرنى والروق^(٧) ، وما الذى
يحل من الطيبخ ، وما القول فى شرب الفضيخ ، وهل يُكره نبيذ العكر^(٨) ،

- (١) الكامل ٢ : ٣٥١ - ٢٦٩ ، وريشر ١٦٢ - ١٦٨ ، والستوبى ٢٧٦ - ٢٨٥ .
وهذا السجع الشائع فى صدر هذا الكتاب ، إنما هو حكاية لقول السائل . أما صميم كلام
الجاحظ ورده على السائل فهو يبدأ فى ص ٢٧٢ .
(٢) الجر : جمع الجرّة من الخرف ، وتجمع أيضاً على « جرار » . وفى ط : « الجرار » .
(٣) الحتم : جرار خضر . والقياد ، كرمان : القروع .
(٤) الممتل ، أراذيه الملول ، وهو المبالغ بالملء ، وهى الرماذ الحر . ويأثله المسجور
الذى سجد فى ٢٦٧ . وفى ط : « الممتل » تحريف .
(٥) الداذى : شيء له عتقود مستطيل ، وجهه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار
رطل فى القرق فتصب رائحته ويجود إسكاره .
(٦) البادق ، يفتح الذال وكسرهما : الخمر الأحمر ، هو بالفارسية « باذ » ، وهواس
الخمر بالفارسية .
(٧) الغرنى : الفضيخ من النبيذ ، وهو عصير العنب ، أم شراب يخن من البسر المفصوح
وجهه دون أن تسم النار ، وهو المشدوخ . والروق : المصق بالرواق ، وهو المصفاة .
(٨) العكر : دروي كل شيء ، من ماء أو نبيذ أو غيرها .

وما القول في عتيق السكر - وأنيسة الجرار^(١) ، وما يعمل من السكر .
ولم كره الثعير والقمير^(٢) .

وسألت عن نبيذ العسل والعربات^(٣) وعن رزين سوق الأهواز^(٤) ،
وعن نبيذ أبي يوسف وجمهور^(٥) ، والملق والمسخوم^(٦) . والحلو والترش
شيرين^(٧) ونبيذ الكشمش^(٨) والتين ، ولم كره الجلوس على البواطي
والرياحين^(٩) .

وقلت : وما نصيب الشيطان ، وما حاصل الإنسان ؟
وسألت عن شرب الأنيسة أو كرهها من الأوائل ، وما جرى
بينهم فيها من الأجوبة والمسائل ، وما كانوا عليه فيها من الآراء .
وتشبهوا فيها من الأهواء^(١٠) ، ولأني سبب تضادت فيها الآثار ، واختلقت
فيها الأخبار .

(١) ب ، م : « الجرار » ، صوابه في ط .

(٢) الثعير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينذ فيه التمر ويلق عليه الماء فيصير نبيذاً مسكراً .
والقمير : اللطل بالقار من حب أوزق .

(٣) ط : « العربات » .

(٤) سألني في ٢٦٩ من ١٠ : « وما تقول في رزين الأهواز » .

(٥) ط : « والجمهور » .

(٦) م : « للمسخوم » بالهاء المعجمة .

(٧) غره اللطل في الحيوان ١ : ١٤٣ بأنه الخلو الحامض . وهو مركب من ترش

بشم التاء بمعنى حامض . وشيرين بمعنى حلو . وانظر مجمع استنباط ٢٩٤ ، ٧٧٤ .

(٨) الكشمش : ضرب من التين ، وهو كثير بالسرعة ، كما في اللسان . م : « المشمش »

وهو ضرب من الفاكهة ، قال ابن دريد : لأدري ما هو . وفي اللسان : « وأهل الكوفة يقولون

المشمش - أي يفتح الميمين - وأهل البصرة : المشمش - يعني بكسر الميمين ، يعني الزردالو .

وسردني ٢٧١ برسم واحد هو « الكشمش » .

(٩) البواطي : جمع باطية ، وهي إناء عظيم من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين

الشراب يفرغون منها ويشربون ، إذا وضع فيها الفتح صحت به ورفقت من عظمها وكثرة ما فيها

من الشراب .

(١٠) ط : « وتشبهوا فيها » م : « من الأهواز » ، عرفت أن .

وسألت أن أقصِدَ في ذلك إلى الإيجاز والاختصار ، وحذف الإكثار

وقلت : وإذ جعلَ الله تعالى للعباد عن الخمر المندوحة بالأشربة^(١)
المنية المملوحة ، فما نقول فيما حَسُنَ من الأنبذة صفاء^(٢) ، وبعد
مداه ، واشتلت قواه ، وعثت حتى جاد . وعاد بعد قِلَم الكون^(٣) صافي
اللون ، هل يحلُّ إليه الاجتماع ، وفيه الاكتراع ، إذ كان يهيمُ الطعام
ويوطئ المنام . وهو في لطائف الجسم سار ، وفي خفيات العروق جارٍ ،
ولا يضر معه^(٤) بُرغوث ولا بعوض ولا جرجس عَضُوض^(٥) .

وقلت : وكيف يحلُّ لك تركُ شربه إذا كان لك موافقاً ، ولجسمك
ملائماً^(٦) . ولم لا قلت إن تارك شربه كتارك العلاج من أدول الأدوية^(٧)
وإنه كالمميز على نفسه إذا ترك شربه أفحش الداء . وأنت تعلم أنك
إذا شربته عثلت به طبيعتك ، وأصلحت به صفار جسمك^(٨) ، وأظهرت
به حررة لونك . فاستبدلت به من السقم صحة ، ومن حلول العجز
قوة ، ومن الكسل نشاطاً ، وإلى اللثة انبساطاً ، ومن الغم قرجاً ، ومن
الجمود تحريراً^(٩) ، ومن الوحشة أنساً . وهو في الخلوة خير مسامر ،
وعند الحاجة خير ناصر . يترك الضعيف وهو مثل أسد العرين^(١٠) يلائن
له ولا يلين .

(١) ب فقط : « بالأنبذة » .

(٢) أي صفاء . وفي ط : « ووصفا » .

(٣) عبارة عن التقى وتقاء العهد ، وسيأتي مثل هذه العبارة في ص ٢٦٨ .

(٤) م ، ط : « ولا يضر » بدون واو .

(٥) الجرجس : بيوض صفار . ط : « جرس » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « ملاوماً » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « من الأدوية » وفي ط : « من أدواء الأدوية » ، والوجه ما أثبت . أي من

أشد الأمراض .

(٨) الصفار ، بالضم : صفرة تلو اللون والبشرة . وصاحبه مصفود .

(٩) ب : « من الحسود » بالحاء المعجمة .

(١٠) ط : « مثل الأسد في العرين » .

وقلت : الجيد من الأئبنة يُصْفَى اللَّحْنُ وَيَقْوَى الرُّكْنُ ، ويشدُّ القلبَ والظَّهْرُ ، ويمنع الضَّيْمَ والقَهْرَ ، ويشدُّ المَعْدَةَ ، ويبيحُ للطعام الشهوةَ ، ويقطع عن إكثار الماء ، الذي منه جُلُّ الأدواء ^(١) ، ويحذر ^(٢) رطوبة الرأس ، ويبسج العطاس ، ويشدُّ البَضْعَةَ ، ويزيد في النُّطْفَةِ ، وينفي القرقرة والرَّيَاحَ ، ويبعث الجودَ والسَّماحَ ، ويمنع الطُّحالَ من العَظْمِ ، والمَعْدَةَ من التَّخَمِّ ، ويحذر المِرَّةَ والبَلغمَ ، ويلطف دمَ العروق ويُجْرِيه ، ويُرْقِّه ^(٣) ، ويصفيه ، وينبسط الآمالَ ، ويُنِيعُ البالَ ، ويغشى ^(٤) الغِلظَ في الرُّتَّةَ ، ويصفى البَشْرَةَ ويترك اللونَ كالْمَصْفَرِّ ، ويحذر أذى الرأس في المنخر ، ويمحوه الوجَّهَ ^(٥) ، ويسخن الكُلْيَةَ ، ويلدِّ النومَ ويحلل التَّخَمَ ، ويذهب بالإعياء ، ويغزو لطيفَ الغذاء ، ويطيب الأنفاسَ ، ويطرد الوسواسَ ، ويطرب النفسَ ، ويؤنس من الوحشةَ ، ويسكن الروعةَ ، ويذهب الجشمةَ ، ويقذف فضولَ الصُّلبِ بالإنشراط للجماع ، وفُضُولِ المَعْدَةِ بالمُفْرَاجِ ^(٦) ، ويشجع المرتاعَ ويُرْزِي الذَّليلَ ، ويكثر القليلَ ، ويزيد في جَمالِ الجميلِ ، ويسلِّي الحزنَ ويجمع اللُّحْنَ ، وينني المَهْمَ ^(٧) ، ويطرد القَمَمَ ، ويكشف عن قناع الحَزَمِ ، ويولد في الحليمِ الحلمَ ، ويكفي أضغاثِ الحُلُمِ ^(٨) ، ويحثُّ على الصَّبْرِ ، ويصحح من الفكرِ ، ويرجئُ القانطَ ^(٩) ، ويُرْضِي الساخطَ ، ويُغْنِي عن الجليسِ ، ويقوم مقام الأنيسِ

(١) ط : الذي جلُّ الأدواء منه .

(٢) ب : ويحذر م : ويحذر ، صوابها في ط : يحذرهما : يترها ويذهب بها .

(٣) ط : ويرققه .

(٤) ب : ويغشى .

(٥) قال ابن بري : يقال وجه موه ، أي مزين بهاء الشباب .

(٦) أصل المفراج ، بالضم : شقة السوق ، وسرعة العدو . والمراد سرعة الانحدار .

(٧) ط : ويذهب المَهْمَ .

(٨) يكتبها : يمتها . والأضغاث : الأخطا للثبته .

(٩) القانط : اليأس . يرجيه ترجية : يبعث إليه الرجاء .

وحتى إن عَزَّ لم يَقْطَعْ^(١) مِنْهُ ، وَإِنْ حَصَرَ لم يَصْبِرْ عَنْهُ ، يَدْفَعُ التَّوَالِزَ
العظيمة ، وَيَنْقِي الصَّبْرَ مِنَ الْخَصُومَةِ . وَيَزِيدُ فِي الْمَسَاحِ ، وَسُخُونَةِ
الذَّمَاغِ ، وَيَنْشِطُ الْبَاهُ^(٢) حَتَّى لَا يَزِيْفَ شَيْئاً يَرَاهُ ، وَتَقْبَلُهُ^(٣) جَمِيعُ
الطَّبَائِعِ ، وَبِمُتَجَزِّهِ صُنُوفُ الْبِدَائِعِ ، مِنَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَالنُّصْرَةِ وَالْحُبُورِ^(٤) .
وحتى سَمَّى شَرْبُهُ قَصْفاً^(٥) ، وَسَمَّى فَقْدُهُ خَسْفاً . وَإِنْ شُرِبَ مِنْهُ
الصُّرْفُ بِغَيْرِ مَزَاجٍ ، تَحُلُّ بِغَيْرِ عِلَاجٍ . وَيَكْفِي الْأَحْزَانَ وَالْمُحُومَ ،
وَيَدْفَعُ الْأَهْوَاءَ وَالسُّومَ ، وَيَفْتَحُ اللَّحْنَ ، وَيَمْنَعُ الْغَيْنَ^(٦) ، وَيَلْقَنُ الْجَوَابَ ،
وَلَا يَكِيدُ مِنْهُ الْغِيَابَ^(٧) ، بِهِ تَمَامُ اللَّذَاتِ ، وَكَمَالُ الْمُرُوءَاتِ . لَيْسَ
لِشَيْءٍ كَحُلَاوَتِهِ فِي النُّفُوسِ ، وَكَسُطُوتِهِ فِي الْجِبَاهِ وَالرُّؤُوسِ ، وَكَإِنْشَاظِهِ
لِلْحَلِيطِ وَالْجُلُوسِ ، يَحْمُرُّ الْأَلْوَانَ ، وَيُرْطَّبُ الْأَبْدَانُ ، وَيَخْلَعُ عَنِ الطَّرَبِ
الْأَرْسَانَ .

وَقُلْتُ : وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَهوَ يُلْجِجُ اللِّسَانَ^(٨) ، وَيُكْثِرُ الْمَذْيَانَ ، وَيُظْهِرُ
الْفُضُولَ وَالْأَخْطَالَطَ^(٩) ، وَيُنَاوِبُ^(١٠) الْكَسَلَ بَعْدَ النِّشَاطِ . فَأَمَّا إِذَا تَبَيَّنَ فِي
الرَّأْسِ الْمَيْلَانُ ، وَاخْتَلَفَ عِنْدَ الْمَشْيِ الرِّجْلَانِ ، وَأَكْثَرَ الْإِنْخِفَاقَ^(١١) ، وَالتَّنْخَعُ

(١) حَزَّ ، أَيْ قَلَّ وَنَادَر . ب ، م : « لَمْ يَقْبَسْ مِنْهُ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) ب ، م : « الْبَاهُ » .

(٣) ب ، م : « وَتَقْبَلُهُ » .

(٤) وَالْحُبُورِ ، سَائِلَةٌ مِنْ ب .

(٥) الْقَصْفُ : الْإِثَامَةُ فِي الْعِلَامِ وَالشَّرَابِ وَالْهَوَى . ب ، م « مَصْفَاً » ط : « حَصْفَاً » ،

صَوَابُهُمَا أَثَبَّتَ .

(٦) ب ، م : « الْغَيْنَ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) لَهَا « وَلَا يَكْثُرُ مِنْهُ الْغِيَابُ » .

(٨) هَذَا مَا فِي ط . وَفِي ب ، م : « وَكُلُّ ذَلِكَ أَنْ يَطْلُجَ اللِّسَانُ » .

(٩) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَالْأَخْطَالَطُ » .

(١٠) ب ، م : « وَيُنَاوِبُ » .

(١١) خَفَقَ الْقَلْبُ ، وَخَفِقَ ، وَخَفِقَ ، كُلُّهُ اشْتَغَلَتْ .

والبصاق، واشتملت عليه الغفلة، وجاءت الزلّة بعد الزلّة^(١) ولا سواء إن
صنع بطعامه^(٢)، أو سال على الصدر لُعابه، وصار في حدّ المخزفين^(٣)،
لا يفهم ولا يبين، فتلك^(٤) دلائل النكر. وظهور علامات السكر،
يُنهي الذكر ويورث الفكر، ويهتك الستر، ويسقط من الجدار. ويهور في
الآبار، ويغرق في الأنهار، ويصرف عن المعروف^(٥)، ويعرض للحنوف.
ويحمل على المفوة، ويؤكد الغفلة، ويورث الصباح أو الصمات^(٦)،
ويصرع الفهم للنبات^(٧) فلغير معنى يضحك، ولغير سبب يمتحك^(٨).
ويحيد عن الإنصاف، وينقلب على الساكت الكاف^(٩). ثم يظهر
السرائر، ويطلع على ماني الضمائر، من مكنون الأحقاد، وخفي الاعتقاد.
وقد يقلّ على السكر المتاع، ويطول منه الأرق^(١٠) والصداق، ثم
يورث بالغفوات الخمار، ويختل^(١١) سائر، النهار ويمنع من إقامة الصلوات،
وفهم الأوقات، ويعقب السّل، ويعقب في القلوب الغلّ، ويجصف النطفة.
ويورث الرعشة، ويولد الصغار^(١٢)، وضروب العلل في الإبصار، ويعقب

(١) بعد الزلّة، ساقط من ط.

(٢) صنع بطعامه: قامه.

(٣) الخرف: الذي أخرفه الحرم. ب فقط: «المخزفين» تحريف.

(٤) م: «تلك» ط: «قيل»، «صوابها» ب.

(٥) م: «ويصرف عن المعروف».

(٦) في جميع الأصول: «والصمات»، «والرجح ما أثبت».

(٧) ب: «ويصرع الفهم للنبات».

(٨) المحك: للمشارة والمتابعة في الكلام.

(٩) في جميع الأصول: «الكافي».

(١٠) ب، م: «الترق»، «صوابه» ط.

(١١) ب، م: «ويختل».

(١٢) انظر ما سبق في ص ٢٦٣.

المزَال ، وَيُجَحِّفُ بِالْمَالِ ^(١) وَيَجْفُفُ الطَّبِيعَةَ ^(٢) وَيَقْوَى الْفَاسِدَ مِنَ الْمِرَّةِ ^(٣) وَيُلْدِلُ النَّفْسَ ^(٤) ، وَيُقِيدُ مِزَاجَ الْجِسِّ ^(٥) ، وَيُحْدِثُ الْفُتُورَ فِي الْقَلْبِ ، وَيُطَيِّقُ عِنْدَ الْجَمَاعِ الصَّبَّ ، حَتَّى يَحْدُثَ مِنْ أَجْلِهِ الْفُتُقُ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ رَتْقٌ ، وَيَحْمِلُ عَلَى الْمَظَالِمِ ، وَرُكُوبَ الْمَآثِمِ ، وَتَضْيِيعَ الْحَقُوقِ حَتَّى يَقْتُلَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَكْفُرُ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ .

٢- فصل منه

وَقُلْتُ : وَمِنْ الْخَطُوفِ الْمَعْدِ ^(٦) التَّخَمُ ، وَفِي الْأَبْدَانِ الرَّخَمُ ، وَلِلثَّرَشِ شِيرِينَ رِيَا ح ^(٧) كَمَثَلِ رِيَا ح الْعَلَسِ ، وَخُمُوضَةُ تَوَلَّدَ فِي الْأَسْنَانِ الْقُرْسُ . وَالسَّكَّرُ فَحْصَبُك ^(٨) يَفْرُطُ مَرَاتِهِ ، وَكُسُوفُ لَوْنِهِ ، وَبِشَاعَةُ مَذَاقِهِ ، وَلِفْغَارِ الطَّبِيعَةِ عَنْهُ .

وَأَنْوَاعُ مَا يُعَالَجُ مِنَ الثَّمُورِ وَالْحَبُوبِ فَشَرُّهَا الدَّاءُ الْعُضَالُ .

وَلِلْمَسْجُورِ ^(٩) ، وَالْبَتِي ^(١٠) ، وَأَشْبَاهَهَا كُدُورَةٌ تَرُسُبُ فِي الْمِلْعَةِ ، وَتَوَلَّدَ بَيْنَ الْجِلَّتَيْنِ الْحِكَّةُ . وَأَشْبَاهُ هَذَا كَثِيرَةٌ تَرَكْتُ ذِكْرَهَا ، لِأَنِّي لَمْ أَقْصِدْكَ بِالسَّأَلَةِ أَبْتَغِي مِنْكَ تَحْلِيلَ مَا يَجْلِبُ الْمَضَرَّةَ .

(١) ب : « وَيَجْفُفُ بِالْمَالِ » م : « وَيَجْلُفُ » ، صوابه باق ط .

(٢) ب : « وَيَجْفُفُ الطَّبِيعَةَ » ، صوابه باق ط .

(٣) في جميع الأصول : « الْمِرَّةُ » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « وَيُلْدِلُ النَّفْسَ » ، صوابه باق ط .

(٥) ط : « الْحَسَنُ » .

(٦) المد : جمع ملة . ط فقط : « الْمِلْعَةُ » ، ووجهه باق ط ، م .

(٧) سبق تفسير الثَّرَشِ شِيرِينَ في ٢٦٢ . وفي ط : « وَيُولَدُ السَّكَّرُ رِيَا ح » ، تحريف .

(٨) السَّكَّرُ ، بالتحريك : الخمر نفسها ، أو شراب يتخذ من القمح والكثوث والآس .

ط : « حَبِيبُكَ » يُلَوِّنُ قَلْبَهُ .

(٩) المسجور : يبدو أنه المعالج بالثور . وانظر ما سبق من الكلام على « المثل » في ٢٦١ .

(١٠) كلاً وردت في جميع النسخ .

ولكن ما تقول فيها يَرْك ولا يَسُوك ، وما إذا شربته تَلَقَّته العروق
فاتحة أفواهها كأفواه الفِراخ^(١) ، محسنة اللون مَلدَّة للنفس ، يَجْم^(٢) على
المعدة ، وَيُرود^(٣) في العروق ، وَيَقْصِد إلى القلب فيولد فيه اللذة ، وفي
المعدة المضم ، وهو غسوطا ونضوحها^(٤) ، ويسرع إلى طاعة الكبد ،
ويغض بالعمَل إلى الطحال ، ويتنفخ منه العروق^(٥) ، وتظهر حرته
بين الجلدتين ، ويزيد في اللون ، ويولد الشجاعة والسخاء ، ويريح من
اكتنان الضغن ، ويغنى على تغير النكهة ، وينفي الذفر^(٦) ، ويسرع إلى
الجهة ، ويغنى عن الصلاه ، ويمنع القر^(٧) ؟

وما تقول في نبذ الزبيب الجصص^(٨) والمسل الماذي^(٩) إذا تورّد
لونه ، وتقادم كونه^(١٠) ، ورأيت حرته في صفرته تلوح^(١١) . تراه في
الكأس لكانه^(١٢) بالشمس ملتحف ، شعاعه يضحك في الأكت ؟

وما تقول في عصير الكرّم إذا أجذت طبعه وأنعمت إنضاجه ،
وأحسن اللذّن نتاجه ، فإذا قُض قُض عن غصارة^(١٣) قد صار في لون

(١) في جميع الأصول : « الفرخ » ، والوجه ما أثبت .

(٢) يجم على المعدة : يثقل عليها . ب : « يجم » م : « يجم » صواب في ط .

(٣) يرود : يذهب ويحي . ط فقط : « يزود » ، تحريف .

(٤) النضوح من الفتح ، وهو الرش بالماء . والنضوح : الوجور ، وهو الغراء يوجر
في أي موضع من اللحم كان . ط فقط : « ونضوحها » ، تحريف .

(٥) ط : « ويتنفخ منه » فقط ، بسقوط كلمة « العروق » .

(٦) الذفر ، بالذال المعجمة : الثنن ، وخص به الهياكل ثنن الإبطين . ب فقط : « الزفر » ،
تحريف .

(٧) نسبة إلى حص ، إحدى مدن الشام . ط فقط : « الحص » تحريف .

(٨) الماذي : البسل الأبيض . ط فقط : « المازي » تحريف .

(٩) انظر مثل هذا التعبير فيما سبق ص ٢٦٣ . والمراد به العنق .

(١٠) ب ، م : « يلوح » .

(١١) ط : « كأنه » .

(١٢) الفضارة : التمة والطيب والحب . ب : « فإذا أنقى قضى عن عضارة » ،
والصواب في م ، ط .

البيجادي^(١) في صفاء ياقوتة تلمع في الأكف لمح الدنانير ، ويضئ كالشهاب المتقد .

وما تقول في نبيل عسل مصر ، فإنه يؤدى إلى شاربهِ الصحيح من طعم الزعفران ، لا يلبس الخلقان^(٢) ولا يعود إلا في جلد الدنان ، ولا يستخلم الأنجاس^(٣) ولا تألف الأرجاس^(٤) . وكذلك لا يزكو^(٥) على علاج الجنب والحائض^(٦) ، ولا ينفض^(٧) على شيء من الأجسام لونه حتى لو غُيس فيه فطن لخرج أبيض يقفا^(٨) . وحسبك به في رقة الهواء ، يكثره صافي الماء ، وهو مع ذلك كالزبر ذى الأشبال ، المقترس للأقران ، من عاقره عقره ، ومن صارعه صرعه ؟

وما تقول في رزين الأهواز^(٩) من زبيب الدقايد^(١٠) إذ يعود^(١١) صلباً من غير أن يسئل سلافه^(١٢) ، أو يماط عنه ثقله^(١٣) ، حتى يعود كلون

(١) البجادي : حبر يشبه ياقوت ينض الثبه ، وهو آخر تشويه صفرة خلوية . وهو بالفارسية : « بيجاد » . انظر نخب الأخبار لابن الأكتاف ١٧ - ١٩ وأزهار الأفكار لتيغاني ١٠٠ - ١٠٣ . وفي جميع الأصول : « البحاري » ، « تحريف » .
(٢) الخلقان ، بالضم : جمع خلق ، بالتسريك ، وهو البالي من الثياب . ط : « ما لا يلبس الخلقان » .

(٣) في جميع الأصول : « الأنجاس » ، وأثبت ما يلازم « الأرجاس » .

(٤) ب ، م : « ولا تألف » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « لا تزكو » ، صوابه في ط .

(٦) أي لا يصلح إلا بمعالجة من كان على طهارة .

(٧) ينفض لونه عليه ، أي يسلط اللون نفسه . وفي جميع الأصول : « ينقص » ، والوجه ما أثبت .

(٨) اليق : الشديد البياض . وفي ب ، م : « يقفا » ، صوابه في ط .

(٩) انظر ما سبق في ص ٢٦٢ .

(١٠) يبدو أنه موضع ، أو ضرب من الثنب .

(١١) ب : « يقول » م ، ط : « يقود » ، والوجه ما أثبت .

(١٢) السلاف والسلافة : أفضل وأخلصه . ط : « يسئل سلافة » .

(١٣) الإمالة : الإزالة . والفضل بالفاء : ما رسب من الكدو في أسفل الشيء ، أو ما علامته

فوق المصقوب . ب ، م : « من ثقله » ، صوابه في ط .

العقيق، في رائحة المسك العتيق. أصلب الأنيفة عريكة، وأصلها صلبة، وأشدّها خشونة. ثم لا يستعين بمسك ولا سكر ولا ثوباب^(١) وما ظنك^(٢) به وهو زبيب نقيع، لا يشتد ولا يجود إلا بالضرب الوجيع^(٣) !؟

وما تقول في الثوباب البستاني، سُلالة الرطب الجنى^(٤) بالحُب الرتبلى^(٥)، إذا أوجع ضرباً، وأطيل حبساً، وأعطى صفوه ومنع رفته^(٦)، ويكَلّ ماعنده، فإذا كُثِفَ عنه قِنَاع الطين ظهر في لون الشقر والكُث^(٧) وسَطَعَ برائحة كالسَلو. وإذا هَمَجَ على المعدة لانت له الطبايع، وسكست^(٨) له الأمعاء، وأيس الحضر^(٩)، وانقطع طمع القولنج^(١٠)، وانقادت له

(١) الثوباب: نبيذ العنب أو التمر، كما في معجم استيعباس ٥٤٤. وفي شفاء القليل ٨٧ أنه نبيذ التمر، محرب. وأنشد لابن المعتز:
لا تظلم الثوباب في الفتح يصفاء ماء طيب السرد

ولابن الروي:
على أحد من الثوباب شربة نقصت على شـبابي

قال: وفي سرق شرحه بالنبيذ الأسود. وقال السمعاني: إنه ليس بالريّة.

(٢) ب، م: «ولا ماطك به»، تحريف ماق ط.

(٣) الجنى: الجنى مادام رطباً. وفي الكتاب المنزّه: «تساقط عليك رطباً جنيّاً».

ب، م: «الحنى» بإخاء المهملّة، تحريف ماق ط.

(٤) هذا ماق م، ط. وفي ب: «الرتبلى»، ولعله ضرب من الحباب والجبلو التي يمتزّن فيها الشراب.

(٥) ب، م: «صفوة» صوابه في ط. ب فقط: «ورقة»، صوابه في م، ط.

(٦) ب، م: «من لون»، صوابه في ط. وفي ب: «والكثيت» صوابه في م، ط. وما جمع الشقر وكثيت.

(٧) ب: «سلست»، ط: «سلطت»، صوابهما في م.

(٨) الحضر، بالنهم وبضمين: احتباس البطن. كما أن الأكر، بالنهم وبالفتح: احتباس البول.

(٩) القولنج، ينهم القناب وتفتح اللام وكسرها، وقد تفتح القناب: مرض معوي مؤلم يسرّ معه خروج التفل والريح. ذكر في القاموس ولم يذكر في اللسان. وفي شفاء القليل ١٥٤: «قولنج وتقرس ذكرهما في لغة الفقه، وهما ما عربه للمولود». وفي المعجم الوسيط: «وسبه الهباب القولون». وذكر أن القولون ينهم القناب واللام، هو المني الغليظ الشقي الذي يصل بالمستقيم. وأنه دخيل في الريّة. ب، م: «القلنج»، صوابه في ط.

اليبوسة ، وأذعنت له بالطاعة ، وابتل به الجُد الفحل^(١) ، وارتحل عنه الباسور ، وكفى شارب الوخر^(٢) . فإذا شج^(٣) ماء تلظى ورى بشربه ، هل يحل أن يشتم إذا سكن نجاشه^(٤) ، وآب إليه حلمه^(٥) .

وما تقول في المعتق^(٦) من أنبذة الثمر ، فإنك تنظر إليه وكأن الثيران تلمع من جوفه . قد ركذ ركود الزلال^(٧) حتى لكان شارب يكرع في شهاب ، ولكانه فيرند في وجه سيف^(٨) . وله صفيحة مرآة مجلوة^(٩) تحكي الوجوة في الزجاج ، حتى يهيم فيها الجلاس^(١٠) ؟!

وما تقول في نبذ الجزر ، الذي منه تمتد النطقة وتشد النقطة ، يجلب الأحلام ، ويركد في مخ العظام ؟!

وما تقول في نبذ الكشمش^(١١) الذي لونه لون زمردة خضراء ، صافية ، محكم الصلابة ، مقرط الحرارة ، حديد السورة^(١٢) ، سريع الإفاقة

(١) القتل : الياس . ب فقط : « القتل » ، تحريف .

(٢) أي وخر الباسور وأله . ب ، م : « الوخر » ، صوابه في ط .

(٣) شج بالماء : غلط . ومنه قول المسيب بن طس (في المفضليات ٦١) :

ومها يرف كأنه إذ فقه عانية شجت بـاء يراع

وقول كعب بن زهير (في ديوانه ٧) :

شجت بلى شيم من ماء بحنية صاف بأبطع أضى وهو مشول

وفي ب : « سنى » ، وفي م ، ط : « سنج » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) والشمة كذلك : مزج الشراب بقليل من الماء .

(٥) آب : رجع . ب ، م : « وأباله » تحريف ما أثبت . وفي ط : « وأبل حلمه » ،

تحريف كذلك .

(٦) ب ، م : « الملق » ط : « الملق » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ط فقط : « الزلال » .

(٨) الفرند : ما يرى في صفيحة السيف من أثر موج الضوء . ب ، م : « ولكن فرند في وجه سيف » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « تجلو » ، صوابه في م ، ط .

(١٠) هم : من الروم . وفي جمع النسخ : حتى يهيم فيها .

(١١) الكشمش : سبق تفسيره في ص ٢٦٢ .

(١٢) سورة الشراب : شفقه وحذقه . ب فقط : « حديد السورة » ، تحريف .

عظيم المؤنة ، قصير العمر^(١) ، كثير العمل ، جَمَّ البَنَوَات^(٢) تطمع الآفات فيه ، وتُسرع إليه ١٩

وما تقول في نبئذ التَّيْنُ فإنَّك تعلم أَنَّهُ مع حرارته لَيِّنُ القَرِيكة ، سَكِسُ الطَّيْبَةِ ، عَذْبُ المذاق ، سريع الإطلاق ، مِرْهَمٌ لِلْعُرُوقِ ، نَضُوحٌ لِلْكَبدِ^(٣) فتأخُّ لِلسُّدِّ ، غَسَّالٌ لِلْأَمْعَاءِ ، هَيَّاجٌ لِلْبَاهِ ، أَخَاذٌ لِلثَّمَنِ ، جَلَّابٌ لِلْمُونِ ، مع كسوفِ لونٍ وقبحِ منظر ١٩

وما تقول في نبئذ السُّكَّرُ الذي ليس مقدارُ المنفعة به على قدرِ المؤونة فيه ، هل يوجد في المحصول لشربه معنى محقول ١٩

وما تقول في المَرُوقِ والقَرْيِ^(٤) والْفَضِيخِ^(٥) ؟ أَلَدُ مَشْرُوبَاتٍ في أزمانها وأنفع مأخوذات في إبانها^(٦) . أَقْلُ شَيْءٍ مَوْوَنَةٍ ، وأحسنه معونة ، وأكثر شَيْءٍ قَنُوعاً ، وأسرعه بلوغاً ، ضُمُوزَاتُ^(٧) عُرُوفَاتٍ^(٨) للرجل أَلُوفَاتٍ . ولها أَرَابِيحٌ على الشاهسفرم^(٩) كَأَذْكِي رابحةٍ تُشَمُّ ، أَقْلُ المَشْرُوبَاتِ صُدَاعاً ، وَأَشْلَهُنَّ خِلْدَاعاً .

(١) م ، ب : « كثير قصير العمر » . وكلمة « كثير » مقحقة .

(٢) أي تغير الحالات ، وأمله للرجل ذي الآراء الكثيرة . ترض له فيختار بشفاً ويمسك بشفاً . م ، ب : « البسات » صوابه ما أثبت . وفي ط ، « الهيات » .

(٣) نفوح من النفخ ، وهو الرش بالماء أو الطيب ، وتسكين العطش . م ، ط : « نفوح » تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٦٨ .

(٤) سبق تفسيره في ص ٢٦١ .

(٥) الفضيخ سبق القول فيه في ص ٢٦١ . م ، ب : « والفضيخ » صوابه في ط .

(٦) ط : « ألد المشروبات في أزمانها وأنفع المأخوذات في إبانها » .

(٧) الضُمُوزَاتُ ، من الضُمُوز ، وهي الحية المطرقة ، أو الشديدة . والضُمُوز أيضاً : الساكت لا يتكلم . وفي الأصول : « ضُمُوزَاتٌ » ولا وجه له .

(٨) العُرُوفُ والعُرُوقُ : الصابر المختل . ب فقط : « عُرُوقَاتٌ » تحريف . وفي ب ، م : « الجمل » ، وأثبت ما في ط وثبها : « الرجل الواق » . وفي ب ، م : « العُرُوقَاتُ » والوجه ما أثبت .

(٩) الشاهسفرم : ضرب من الرياضين يقال له ويحان الملك . قال أبو حنيفة : هي فارسية دخلت في كلام العرب . قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين وزجسى يصبحنا في كل دين تفسيميا

ب : « اللثات أسفرم » م ، ط : « اللثاة سفرم » ، ووجهه وكناهه كما أثبت .

٣ - فصل منه

وكرهت أيضاً تقليد المختلف من الآثار فأكون كحاطبٍ ليل ،
دون التأمل والاعتبار بأن ظلام الشك^(١) لا يَجْطُوهُ إِلَّا بِفَتْحِ اليقين .

٤ - فصل منه

قد فهمتُ - أسعئك الله تعالى بطاعته - جميعَ ما ذكرتُ من أنواع
الأنبياء ، ويلمح صفاتها ، والفصل بين جيدها وورديها ، ونافيها وضارها ،
وما سألت من الوقوف على حلودها^(٢) . ولا زلتُ من عدادِ مَنْ يَسْأَلُ
وَيَبْحَثُ^(٣) ، ولا زلنا في عدادِ مَنْ يَشْرَحُ وَيُفْصَحُ .

اعلم - أكرمك الله - أنك لو بحثت عن أحوالِ مَنْ يُؤْثِرُ شَرْبَ
الخمور على الأنبياء ، لم تجد إلا جاهلاً مخفولاً ، أو حنئاً مغروراً ،
أو خليعاً ماجناً ، أو رعاً هامجاً ؛ ومن إذا غلبت بهيمة ، وإذا راح نعمة ،
ليس عنده من المعرفة أكثر^(٤) من انتحال القول بالجماعة ؛ قد مزج له
الصحيح بالمحال ، فهو^(٥) ملينٌ بتقليد الرجال ، يُشعِشُ الرّاح^(٦) ، ويحرّم
المباح ، فمتى عدله عاذلٌ وعظّمه واعظ قال : الأشرية كلّها خمر ، فلا
أشرب إلا أجودتها .

(١) في جميع النسخ : « كلام الشك » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب ، م : « ما سألت » . وفي جميع النسخ : « على حلود » .

(٣) م ، ط : « ولا يبحث » ، تحريف ما في ب .

(٤) ب ، م : « إذا كثرت » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط : « وهو » .

(٦) م ، ط : « لشعشع الدجاج » ، صوابه في ب . وللمشعة : الزجج بالاء التثنية .

(١٨ - رسائل الجاسط - ج ١)

وقد أحببت - أيلك الله - التوثق من إصغاء فهمك ، وسؤت ظناً
 بالقرير^(١) فقلمت لك من التوطئة مايسهل لك^(٢) سبيل المعرفة . وذلك
 إلى مثلك من مثلي حزم^(٣) سيما فيما تحفيت معالنه ودرست مناهجه ،
 وكثرت شبهه ، واشتد غموضه .

ولو لم يكن ذلك وكان قد احتاص^(٤) على البرهان في إظهاره ،
 واحتج^(٥) في الإبانة عنه إلى ذكر ضلله ، ونظيره وشكله ، لم أحش^(٦)
 من الاستعانة بكل ذلك . فكيف والقدرة - بحمد الله - وافرة ، والحجة
 واضحة .

قد يكون الشيء من جنس الحرام^(٧) فيعالج بضرب من العلاج حتى
 يتغير بلون يحدث له ، ورائحة وطعم ونحو ذلك ، فيتغير لذلك اسمه ،
 ويصير حلالاً بعد أن كان حراماً .

• - فصل منه

في تحليل التبيذ دون الخمر

فإن قال لنا قائل : ماتدرون ، لعل الأتبله قد دخلت في ذكر تحريم
 الخمر ، ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر ، خرج
 التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة ، ودخل سائر الأشربة في التحريم
 بالقصد والإرادة .

قلنا : قد علمنا أن ذلك على خلاف ما ذكر السائل ، لأسباب موجودة ،
 وعلل معروفة .

(١) في جميع النسخ : « بالقرير » ، وألوجه ما أثبت .

(٢) التكملة من ط . م ، ط : « حرم » ، تحريف .

(٣) احتاص : التوى فحق وصحب . ب ، م : « احتاص » ، صوابه في ط .

(٤) في جميع النسخ : « واحتج » والوجه ما أثبت .

(٥) ب فقط : « من جنس الحرام » ، تحريف .

منها: أَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ شَهِدُوا نَزُولَ الْفَرَاتِ ، وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي قَاضِ الْمَحْصَنِ أَنْ عَلَيْهِ الْحُدُّ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَشْرَةِ الَّتِي تَسْكُرُ^(١) ، لَيْسَ لَجَهْلِهِمْ أَسْمَاءُ الْخُمُورِ وَمَعَانِيهَا ، وَلَكِنْ لِلْأَخْبَارِ^(٢) الْمَرْوِيَّةِ فِي تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ ، وَالْوَارِدَةِ فِي تَحْلِيلِهَا .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَشْرَةُ كُلُّهَا عِنْدَ أَهْلِ اللَّغَةِ فِي الْقَدِيمِ خَمْرًا لَمَّا احْتَاجُوا إِلَى أَهْلِ الرُّوَايَاتِ فِي الْخَمْرِ ، أَيْ الْأَجْنَاسِ مِنَ الْأَشْرَةِ هِيَ ٩ . كَمَا لَمْ يَخْرُجُوا إِلَى طَلَبِ مَعْرِفَةِ الْقَبِيدِ مِنَ الْإِمَاءِ .

وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ شَرْحُهُ إِنْ اسْتَقْصِيتُ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ .

وَمَا يُنْكَرُ مَنْ خَالَفَنَا^(٣) فِي تَحْلِيلِ الْإِنْبِذَةِ مَعَ إِقْرَارِهِ أَنَّ الْأَشْرَةَ الْمُسْكِرَةَ الْكَثِيرَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْرُوفَةً بِأَسْمَائِهَا وَأَعْيَانِهَا ، وَأَجْنَاسِهَا وَبُلْدَانِهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَدَ لِلْخَمْرِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِهَا فَحَرَّمَهَا ، وَتَرَكَ سَائِرَ الْأَشْرَةِ طَلْقًا مَعَ أَجْنَاسِ سَائِرِ الْمُبَاحِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى تَجْوِيزِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَاحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ إِلَّا أَطْلَقَ لَهُمْ مِنْ جَنْبِهِ ، وَأَبَاحَ مِنْ سِنِّهِ^(٤) وَنَظِيرِهِ وَشَبَّهِهِ ، مَا يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ، لِيُفْنِيَهُمُ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ . أَعْنَى مَاحَرَّمَ بِالسَّمْعِ دُونَ الْمَحَرَّمِ بِالْقُلِّ . قَدْ حَرَّمَ مِنَ الدَّمِ الْمُسْفُوحَ ، وَأَبَاحَ غَيْرَ الْمُسْفُوحِ ، كَجَامِدِهِمُ الطُّحَالِ وَالْكَبِدِ وَمَا أَشَبَّهُهُمَا^(٥)

(١) ب : « يسكر » ، تحريف .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَلَكِنْ الْأَخْبَارُ » .

(٣) ب : « مَنْ خَالَفَنَا » ، تحريف .

(٤) السَّمْعُ ، بِالْكَسْرِ : الْأَصْلُ . م ، ط : « سَنَحْ » ، صَوَابُهُ بِالْمَدِّ الْمَجْمُوعَةُ كَأَنَّ ب .

(٥) ب ، م : « وَمَا أَشَبَّهَا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

وَحَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَأَبَاحَ الذَّكِيَّةَ . وَأَبَاحَ أَيْضاً مَيْتَةَ الْبَحْرِ وَغَيْرَ الْبَحْرِ ،
كَالْجَرَادِ وَشَبِيهِهِ ، وَحَرَّمَ الرُّبَا وَأَبَاحَ الْبَيْعِ ، وَحَرَّمَ بَيْعَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ^(١)
وَأَبَاحَ السَّلَمِ^(٢) ، وَحَرَّمَ الضَّيْمَ وَأَبَاحَ الصُّلْحِ ، وَحَرَّمَ السَّفَاحَ وَأَبَاحَ
النِّكَاحِ . وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَأَبَاحَ الْجَنْدَى الرُّضِيعَ ، وَالْخُرُوفَ وَالْحَوَارِ^(٣) .

وَالْحَلَالُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَوْقِعاً مِنَ الْحَرَامِ .

٦ - فِصْلٌ مِنْهُ .

وَلَعَلَّ قَاتِلًا يَقُولُ : وَأَهْلُ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُكَّانُ
حَرَمِهِ وَدَارِ هِجْرَتِهِ ، أَبْصَرُوا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْمُسْكِرِ وَالْخَمْرِ ، وَمَا
أَبَاحَ الرَّسُولُ وَمَا حَظَرَهُ^(٤) ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَاللَّيْنُ وَمَعَالِمُهُ مِنْ
عِنْدِهِمْ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، وَالْوَحْيُ عَلَيْهِمْ نَزَلَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِيهِمْ دُفِنَ . وَهَمَّ الْمُهَاجِرُونَ السَّابِقُونَ ، وَالْأَنْصَارُ الْمُؤَيَّدُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ . وَكُلُّهُمْ مُجِيعٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَنْبِلَةِ الْمُسْكِرَةِ ، وَأَنَّهَا كَالْخَمْرِ .
وَيُخَلِّفُهُمْ عَلَى يَنْهَاجٍ سَلَفَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْعَاقِبَةِ ، حَتَّى لَئِنْهُمْ جَلَدُوا
عَلَى الرِّيحِ الْخَفِيِّ^(٥) .

وَكَيفَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَكْلِمُونَ بِهِ وَقَدْ شَهِدُوا مَنْ شَهِدَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَرَّمَهَا وَذَمَّهَا ، وَأَمَرَ بِجَلْدِ شَارِبِهَا .

ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ أَيْمَةُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ . فَهَمَّ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ^(٦) عَلَى
رَأْيٍ وَاحِدٍ ، وَأَمَرَ مُتَّفِقٌ ، يَنْهَوْنَ عَنْ شُرْبِهَا ، وَيَجْلِدُونَ عَلَيْهَا .

(١) مَا بَعْدَهُ إِلَى « الضَّيْمِ » سَاقِطٌ مِنْ ط .

(٢) ب : « وَأَبَاحَ لِكِ السَّلَمِ » .

(٣) أَيْ مَا فِيهِمْ مِنْ طَرَاةِ الْخَمْرِ عَوْضاً عَنْ طَرَاةِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ . وَالْحَوَارِ بِالْفِعْلِ : وَلَدَ الْبَاقَةَ
مِنْ وَقْتُ وَلادَتِهِ إِلَى أَنْ يَفْطَمَ وَيُفْصَلَ .

(٤) ب : م : « وَحَظَرَهُ » بِهَوْنٍ مَا .

(٥) أَيْ رِيحَةً الشَّرَابِ ، حَيْثُ لَا يَسْتَتِكُهُ الشَّرَابُ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ٢٧٧ مِنْ ١٠ .

(٦) ط : « فَهَمَّ إِلَى الْيَوْمِ » .

وإنما نقول في ذلك : إِنَّ عِظَمَ حَقِّ الْبِلْدَةِ لَا يُجِلُّ شَيْئاً وَلَا يَحْرُمُهُ ،
وإنما يُعَرِّفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ بِالْكِتَابِ النَّاطِقِ^(١) ، وَالسُّنَّةِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا ،
وَالْقَوْلِ الصَّحِيحِ ، وَالْقِيَاسِ الْمُصِيبِ^(٢) .

وبعد ، فمن هذا المهاجري أو الأنصاري ، الذي رَوَّاهُ عنه تحريم الأئبنة
ثم لم يَرَوَّاهُ عنه التحليل ؟ بل لو أَنْصَفَ الْقَاتِلُ لَعَلِمَ أَنَّ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ حَرَّمُوا الْأُئْبِنَةَ لَيْسُوا^(٣) بِأَفْضَلِ مِنَ الَّذِينَ أَحَلُّوا التُّكَاحَ فِي أَدْبَارِ
النِّسَاءِ ، كَمَا اسْتَحَلَّ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَارِيَةَ الْفُرُوجِ ، وَحَرَّمَ بَعْضُهُمْ
ذُبَابَ الزُّنُوجِ ، لِأَنَّهُمْ فِيهَا زَعَمُوا مُشَوُّهُ الْخَلْقِ . ثُمَّ حَكَمُوا بِالشَّاهِدِ
وَالْيَمِينِ خِلَافاً لظَاهِرِ التَّنْزِيلِ^(٤) . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَإِنْ كَانُوا جَلَدُوا عَلَى
الرِّيحِ الْخَفِيِّ^(٥) فَقَدْ جَلَدُوا عَلَى حَمْلِ الزُّقِّ الْفَارِغِ ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ
آلَةُ الْخَبَرِ^(٦) ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ^(٧) مَنْ يَنْكَرُ عَلَيْهِمْ : فَهَلَّا جَلَدُوا أَنْفُسَهُمْ ؟
لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا وَمَعَهُ آلَةُ الزُّقِّ ! وَكَانَ يَجِبُ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ أَنْ
يُحَكِّمَ بِمَثَلِ ذَلِكَ عَلَى حَامِلِ السَّيْفِ وَالسَّكِينِ وَالسُّمِّ الْقَاتِلِ ، فِي نِظَائِرِ ذَلِكَ ؛
لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا آلَاتُ الْقَتْلِ .

وبعد ، فَأَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ طَبَائِعِ الْإِنْسِ إِلَى طَبِيعِ الْمَلَائِكَةِ .
وَلَوْ كَانَ كُلُّ مَا يَقُولُونَهُ حَقّاً وَصَوَاباً لَجَلَدُوا مَنْ كَانَ فِي دَارِ مَعْبِدِ^(٨) ،

- (١) ب : « وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ الْكِتَابُ النَّاطِقُ » .
- (٢) ط : « الْمُنِيَّةُ » ، وَأُثْبِتَ طاق ب . وَقَدْ سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ م .
- (٣) ب : « لَيْسَ » صَوَابُهُ فِي م ، ط .
- (٤) ب ، م : « عَلَى ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ » وَلَهَا وَجْهٌ .
- (٥) انظر ملحق ق ص ٢٧٧ س ١٤ .
- (٦) أ ، ب : « بَعْضُهُمْ » ، تَحْرِيفٌ .
- (٧) ب ، م : « فَقَدْ كَانَ دَارِ مَعْبِدِ » ط : « جَلَدُوا مَنْ كَانَ دَارِ فِي مَعْبِدِ » ، وَالْوَجْهُ
مَا أُثْبِتَ . وَمَعْبِدُ هَذَا هُوَ مَعْبِدُ بَنِ وَهَبٍ ، مِنْ قَعْمَاءِ الْغَنَيْنِ وَشَهْبُورِجَم . غَيَّرَ فِي أَوَّلِ حَوْلَةِ بَنِي
أُمِيَّةَ ، وَأَدْرَكَ حَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

أَجَادَ طَرِيسٌ وَالرَّيْحَى يَمْسُدُ وَمَا قَصَبَاتِ السِّبْقِ إِلَّا لِمَسْدِ

الْأَغَانِي ٢ : ١٨ - ٢٨ .

والقريظ^(١) ، وابن سريج^(٢) ، ودحمان^(٣) وابن مَعْرُز^(٤) وعَلَوِيَّة^(٥) ،
وابن جامع^(٦) ، ومُخَارِقِي^(٧) ، وشُرَيْكِي^(٨) ، ووَكَيْع^(٩) ، وَحَمَاد^(١٠) ،

(١) اسمه عبد الملك ، وهو من موالى البربر ، ومن أشهر المفتين وكان يضرب بالمود
ويشتر بالفد ويوقع بالقبض ، وكان جليلاً وضيئاً يصنع نفسه ويترها . أخذ عن ابن سريج .
وسمى القريظ لأنه كان طرى الوجه نصرأ غرض الشباب . توفي نحو سنة ٩٥ . الأغانى ٧ :
١٢٩-١٢٨

(٢) هو عبد الله بن سريج ، وكان من أحسن الناس فتاه ، وكان يفتى مرتجلاً ويوقع
بقبض ، وفى زمن عيَّان ، ومات ممرأ فى خلافة هشام بن عبد الملك وله خمس وثمانون سنة .
الأغانى ١ : ٩٤-١٢٥ . وفى جميع الأصول : « ابن سريج » ، صوابه ، ما أثبت .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو . ودحمان بالفتح لقب لقب به ، مشتق من الدسم وهو اللدغ
كما فى السان . وكان مع شهرته بالفتاه رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة معدناً للرج ، وكان
يقول : ما رأيت باملاً أشبه بفتح من الفتاه . وكان من غلمان مبد ، وأعطاه المهدي فى ليلة واحدة
خمين ألف دينار . الأغانى ٥ : ١٣٣-١٣٧ .

(٤) هو سلم بن عرز ، ويكنى أبا الخطاب . وكان أبوه من سدة الكمية وأصله من
الفرس ، وكان كثير الترحال فى طلب الفتاه بين مكة والمدينة وبلاد الفرس والشام حتى ألف
ألفاه من مختار أنتم هذه الأمم جميعاً . وكان يقال له « ستاج العرب » . الأغانى ١ : ١٤٥-١٤٧ .

(٥) هو علي بن عبد الله بن يوسف ، الملقب بعلويه ، كان مفتياً حاذقاً مع خفة روح وطيب
مجالسة ، وملاحة نواذر . وكان إبراهيم الموصلى علمه وخرجه وفى به جيداً ، وفى عهد الأمين
وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إصطاق الموصلى بمدينة بسيرة . الأغانى ١٠ : ١١٥-١١٢٥ .

(٦) هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل ، وكان حسن السميت كثير الصلاة ، قد أخذ السجود
جته ، عابس لباس الفقهاء . وفى الرشيد ، ونال منه عشرة آلاف دينار فى بيتين غناها ، وله
وقائع مع أبي يوسف . الأغانى ١٠ : ٦٥-٧٨ .

(٧) هو مخلوق بن يحيى بن ناولس الجزار ، مول الرشيد ، وكان وهو صبي يتنادى على
ما يبيعه أبوه من اللحم ، لشرائه إبراهيم الموصلى وأعداه الفضل بن يحيى ، فأغذه الرشيد منه ثم اعتقه .
وكان من أخلق الناس بالفتاه ، وأدرك الواقى . الأغانى ٢١ : ١٤٣-١٥٩ .

(٨) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك للنخعي ، أبو عبد الله الكوفي القاضى ، أخذ
من أبي إسحاق السبيعي ، وعبد الملك بن عمير ، وصحاح بن حرب ، والأعشى ، وغيرهم . وعنه :
ابن مهدي ، ووَكَيْع ، وهشيم ، وغيرهم . ولد سنة ٩٠ وتوفى ١٧٧ . تهذيب التهذيب .

(٩) وكيع بن الجراح بن مليح القرظي ، أبو سليمان الكوفي . روى عن أبيه وإسماعيل
ابن أبي خالد ، والأعشى ، وخالد بن دينار وغيرهم . وعنه : سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن
مهدي ، وعبد بن سلام ، وغيرهم . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ . تهذيب التهذيب .

(١٠) حماد بن سلمة بن دينار البصري . روى عن ثابت البناني ، وقتادة ، وعبد الملك بن
عمير وغيرهم . وعنه : ابن جرير ، والثوري ، وشعبة وغيرهم . توفي سنة ١٦٧ .

وإبراهيم^(١) وجماعة التابعين ، والسلف والمتعلمين ، لأن هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر^(٢) ، وأولئك كانوا يمالجون الأغاني التي هي حِلٌّ طَلْقٌ ، على نَقَر العِبدان والطنابير ، والنثايات والصنَج والزنج^(٣) ، والمعاظف التي ليست محرمة ولا منهية عن شيء منها .

ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها ، كالاختلاف في الأغاني^(٤) وصفاتها وأوزانها ، واختلاف مخارجها ، ووجوه مصارفها ومجاريها ، وما يُنمَج ويوصل منها ، وما لِلحِجْرَةِ والحَنَكِ والنَّفَيسِ واللَّهَوَاتِ وتحت اللسان من نغمها^(٥) . وأَيُّ اللِّسَانَيْنِ أطرب^(٦) ، وأَيُّ أصوَب ، وما يُحْفَزُّ بِالْمَحْزِ^(٧) أو يَحْرُكُ بِالْقَمِّ^(٨) ، وكالقول بأنَّ المَرْجَ^(٩) بالينصر أطيب ، أو بالوسطى^(١٠) ؟ والسريع على الزَّيْرِ أَلَدُّ^(١١) ، أو على الشَّيْ^(١٢) ؟ وَالْمُصَمَّدُ^(١٣) في لينٍ أطرب أم المَحْضَرُّ في الشَّدة ؟ لسهل ذلك وَلَسَلْنَا عِلْمَهُ لَمَنْ يَدْعِيهِ ، ولم نُجاذِبْ من يدعي دوننا معرفته^(١٤) .

(١) هو إبراهيم بن زيد بن تيس التميمي ، المرحوم في ٢ : ١٩٣ .

(٢) ب ، م : « التي عندهم خمر » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) المَرْجَ من ملاحى أهل غراسان ، كان غلام به ، وعليه شبهة لوتار ، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنَج . سمى الموسيقى العربية ٣٥ . وانتظر مسمي استينجاس ٦٢٤ . وفي الأصول : « المَرْج » تحريف .

(٤) في جميع الأصول : « في الأوتار » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ب ، م : « من نغمها » ، صوابه في ط .

(٦) انظر اللسانين مسمي الموسيقى العربية ٢٢ ففيه تفصيل واسع . ويراد به وباطات الأوتار ونغمها .

(٧) المَحْزِ : التحريك . ب : « يحرف » م ، ط : « يحقر » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) المَرْجَ : كال صوت فيه ترنم خفيف مطرب . ب ، م : « وكالقول في المَرْج » ، صوابه في ط .

(٩) ط فقط : « وبالوسطى » .

(١٠) الزَّيْرِ : بالكسر : من لوتار العود ، وهو أحد الأوتار الحقيقية .

(١١) الشَّيْ : الوتر الذي يلي الزَّيْرِ . وهو يفتح الميم والثنون المخفضة مع القصير .

(١٢) ب فقط : « أو المصمَّد » .

(١٣) ب ، م : « مرققة » ، صوابه في ط .

٧ - فصل منه

ولمَّج^(١) أصحاب الحديث بحكم^(٢) لم أسمع بمثله في تزييف الرجال ،
وتصحيح الأخبار . وإنما أكثروا في ذلك ، لتعلم حَيْدَهُم عن التفتيش ،
وميلهم عن التنقيح^(٣) ، وانحرافهم عن الإنصاف .

٨ - فصل منه

والذي دعاني إلى وضع جميع هذه الأثرية والوقوف على أجناسها
وبلداتها ، مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف
جميعها ، ولم يسمع بذكرها ، فيتوهم أنني^(٤) في ذكر أجناسها المستشقة^(٥)
وأنواعها المبتدعة ، كالمأذى^(٦) برؤية القرب ، وإن كان قصدي
لذكرها في صدر الكتاب لأقف على حلالات وحرامها ، وكيف اختلفت
الأمم فيها ، وما سبب اعتراض الشك واستكان الشبهة ، ولأن أحتج^(٧)
للمباح^(٨) وأعطيه حقه ، وأكتشف أيضاً عن المحذور فاقسم له قسطه ،
فأكون قد سلكت بالحرام سبيله ، وبالحلال منهجه ، اقتداءً مني بقول
الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تُفْسِدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٩) .

وقد كتبت لك - أكرمك الله - في هذا الكتاب مافيه الجزاية^(١٠)

(١) م فقط : : ولمَّج ، : تحريف .

(٢) ب ، م : : حكم ، : صوابه في ط .

(٣) التنقيح : البحث والتفتيش . م فقط : : التنقيح ، : تحريف .

(٤) ب فقط : : أن ، : تحريف .

(٥) ب : : المستشفة ، : صوابها في م - ط .

(٦) المأذى ، من المأذيان . ب ، م : : كالمأذى من المأذى ، وهذه محرفة صوابها في ط .

(٧) ب : : ولا أحتج للمباح ، : تحريف .

(٨) من الآية ٨٧ من المائدة .

(٩) كذا وردت الجزاية هنا ، بمعنى الإجزاء ، ولا أجد لها سنداً . وق ب : : سعيه

الكفاية والجزاية .

والكيفية ، ولو بسطت القول لوجلت متسماً ، ولأننا منه اللغم^(١) .
 وربما [كان^(٢)] الإقلال في إيجاز أجلى من إكثار يخاف عليه
 الملل^(٣) . فخلطت لك جدًّا هزل^(٤) ، وقرنت لك حجةً بمُلحة ، ليخفَّ
 مؤونة الكتاب على القارئ ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع ، فجعلت
 الهزل بعد الجدِّ جمًّا^(٥) ، والمُلحة بعد الحجة مُستراحاً .

(١) الدم : الكثير . يقال جيش دم أى كثير . وجامع دم من الناس ، أى كثير .

(٢) التكلفة من ط .

(٣) المؤلف : « يخاف منه الملل » . لكن هكذا وردت في الأصول .

(٤) ب : « جد الهزل » .

(٥) الجامع ، كسحاب : الراحة .

من كتابه في

الجوابات واستحقاق الإبرام

١ - فصل (١)

من صدر كتابه في الجوابات في الإمامة
يحكى فيه قول من يميز أكثر من إمام واحد

زعم قوم أن الإمامة (١) لا تجب لرجل واحد بعينه، من رهط واحد بعينه، ولا لواحد من عرض الناس (٢)، وإن كان أكثرهم فضلاً، وأعظمهم عن المسلمين غناء (٣)، بعد أن يكون فرداً في الإمامة لا ثانياً له. وأن الناس إن تركوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك، ولم يكونوا يتركة ضالين ولا عاصين ولا كافرين؛ فإن أقاموه كان ذلك رأياً رأوه، وغير مضيق عليهم تركه.

ولم أن يقيموا اثنين، وجائز لم (٤) أن يقيموا أكثر من ذلك، ولا بأس أن يكونوا عجباً (٥) وموالى، ولكن لابد من حاكم، واحداً (٦) كان أو أكثر على حال. ولا يجوز أن يكون الرجل حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود.

ولم يقل أحد ألبتة أن من الحكم والحاكم بدأ، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم.

وقالوا: وأى ذلك كان، إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك،

(١) الكامل ٢ : ٢٧٩ - ٢٩٠ وهذه الرسالة غير رسالة « استحقاق الإمامة » التي سبق

برقم (٢٢).

(٢) ب : « الأمة » ، تحريف .

(٣) من عرض الناس ، بالنسبة ، أى من أوساطهم ومنطقتهم .

(٤) ب : « غنى » ، تحريف .

(٥) في جميع الأصول : « عجب » .

(٦) ب ، م : « أن يكون أحداً » ، تحريف .

(٧) ب : « واحد » .

فعلی الناس الکف عن محارمهم ، وترك التباهی^(١) فیما بینهم ، والتخاذل عند الحادثة تنوبهم ، من علو^(٢) یدهم من غیرهم . أو خارب یخیف سبلهم^(٣) من أهل دعوتهم .

وعلیهم فیما شجر بینهم إعطاء النصفة من أنفسهم بالغاً ما بلغ ، فی حصر الأمر ویُسره . وعلى کل رجل فی داره وبیته وقبیلته ، وناحیته ومصره ، إذا کان مأموناً ذا صلاح وعلم ، إذا ثبّتت عنده على أخیه وصاحبه وجاره ، وحاشیته من خذلته ، حد أو حکم جناء جان علیهم^(٤) أو على نفسه^(٥) أو ظلم ركبته من غیره ، إقامة ذلك الحکم والحد علیه ، إذا أمکنه مستحقه ، إلا أن یرکب فوقه کاف قد أجرى عنه .

وعلى المجترح للذنب الموجب على نفسه الحد ، والمستحق له ، إمضاء الحکم فی بئنه وماله ، والإمكان من نفسه ، وأن لا یُعاز بقوة^(٦) ، ولا یروغ بحيلة ، ولا یسخط حکم التنزیل فیما نزل به ، وفيما هو بسبيله^(٧) من مال^(٨) أو غیره . وإنما یجب ذلك إذا کان على الفریقین من القیم ، والجانی یمکنه ما کلفه الله من ذلك . فإن أبی القیم إقامة الحق والحد على الجانی بعد استیجابه ، والإمكان من نفسه لإقامة الحد علیه ، فقد عصی

(١) التباهی : تقابل من البهی ، وهو الظلم والبدوان والعدول عن الحق . ب ، م : « وترك التباهی » ط : « وترك الأصل والتباهی » ، صوابهما ما أثبت . وشیان فی ص ٢٨٨ : « یردأدون فسأدا وتباهیاً » .

(٢) ب ، م : « من علو » ، صوابه فی ط .

(٣) الخارب : القس ، أو سارق الإبل خاصة . ب : « سلبهم » ، صوابه فی م ، ط .

(٤) ب ، م : « جازطهم » ، صوابه فی ط .

(٥) فی جمیع الأصول : « علیهم على نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) للمأزة : المناوبة والمشاة .

(٧) فی جمیع الأصول : « لسيله » .

(٨) ب ، م : « من ماله » .

الله تعالى ولم يُؤْتِ في ذلك الأمر نفسه ، لأنَّ الله تعالى قد بيَّنه له ، وأوجبَه عليه ، وقرَّره حين أوضح له الحجَّة وقرب الدلالة ، وطوَّقه المِرْقَة ، ومكَّنه من الفعل .

وقد بَسَطْنَا القُلُوبَ لِلنَّوَى الصَّغِيرِ في صدر الكلام .

وإنَّ أبا الجاني المستحقَّ للحكم والهدى ، الإمكانَ من نفيه وماله ، وما هو يسبيله ، فقد عَصَى الله في ذلك ، كما عصاه في ركوبه ما أوجبَ عليه الهدى ، ولم يُؤْتِ من ربه لما ذكرنا من إيضاح الحجَّة وإثبات القُدرة .

٢ - فصل منه

وقد علمنا^(١) أنَّ من شأن النَّاسِ العربَ إذا خافوا نزولَ المكروه ، والامتناعَ من إضفاء الحلود بعدَ وجوبها عليهم ، ما وَجَّهُوا السَّبِيلَ إلى ذلك . وهذا سببُ إسقاط الأحكام والتفاسد .

وقد أُمِرْنَا أن نترك أسبابَ الفساد ما استطعنا ، وبالنظر للرعيَّة ما أمكنَّا ، فوجب علينا عند الذي قلنا ، أنَّا لو لم نُقيمَ إماماً^(٢) واحداً كان النَّاسُ على ما وصَّفْنَا من التسرع إلى الشيء إذا طمِعوا ، والحرب إذا خافوا . وهذا أمرٌ قد جرَّت به عامَّةُ المِرْقَة ، وفُتِحَتْ عنلنا فيه التَّجَرُّبَةُ .

قلنا عند ذلك إنَّ الإمامة لا تجب على النَّاسِ من طريق الظُّنون وإشفاق النفوس^(٣) .

(١) ب قط : « وقد علم » .

(٢) ب ، م : « أن نقيم إماماً » ، سواه في ط .

(٣) ب ، م : « إشفاق النفوس » بقرط الروي .

وقد رأينا أعظمَ منها خطراً ، وقدراً ونفعاً ، في كلِّ جهةٍ على خلاف ذلك ، وهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله إلى أمةٍ وقد علم أنهم يزدادون مع كفرهم المتكثِّم ^(١) من قِبَلِ ذلك الرسولِ كُفْراً ، بجحدهم له ، وإخراجهم لِيَأْه ، وفصلهم قَتْلَهُ ^(٢) ، ثم لا يكون ذلك مانعاً له من الإرسال إليهم والاحتجاج به عليهم ، لَمَّا كان عليهم أنهم يزدادون فساداً وتباًغيًا ^(٣) ، إذ كان ^(٤) قدَّم لهم ما به ينالون مصالحَ دينهم ودُنياهم . ولَمَّا على الحكيم أن يأتى الأمر الحكيم ، عرفَ ذلك عارفٌ أم جهلُهُ جاهل .

وعلى الجوادِ ذى الرِّحمةِ في جُوده ورحمته ، أن يفعل ما هو أَفْضَلُ في الجود ، وأَبْلَغُ في الإحسان ، وأَلْطَفُ في الإتيان من إيضاح الحُجَّةِ ^(٥) وتسهيل الطُّرُق ، والإبلاغ في الموعظة ، مع ضمان الوَعْدِ بالغاية من الثَّواب والثَّوَام واللَّذَّةِ ، والتَّوَعُّدِ بغاية العقاب في الثَّوَام والمَكْرُوهِ إلى عبادِهِ اللَّيِّنِ كُلِّفَهُم طاعته ، وأهلُ الفاقة إلى عائِدته ^(٦) ونَظَرِهِ وإِحْسَانِهِ .

فإن قَبِلَ ذلك قَابِلٌ ^(٧) فقد أصاب حظَّهُ ، وإن أَبَى ذلك فنَفْسُهُ ظَلَمٌ ^(٨) ، وقد صنع الله به ما هو أَصْلَحُ وإن لم يستطع العبدُ نَفْسُهُ .

(١) ب : م : « مع كفرهم المتكثِّم » ط : « يزدادون من كفرهم » فقط . والوجه فيها ما أثبت .

(٢) في جميع الأصول : « قتلَهُ » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ط : « وبتباًغي » ، وانظر ما سبق في ص ٢٨٦ .

(٤) ب : م : « إذا كان » ، صوابه في ط .

(٥) في جميع الأصول : « ومن إيضاح الحجة » ، والوجه حذف الواو .

(٦) الثلاثة : المعروف والمنفعة .

(٧) ب : « قَبِلَ ذلك قَابِلٌ » ، صوابه في م ، ط .

(٨) ب : « وإن أَباه ذلك فنَفْسُهُ ظالمٌ » م : « وإن أبى ذلك فنَفْسُهُ ظالمٌ » ط : « وإن أبى ذلك فنَفْسُهُ ظالمٌ » . والصواب ما أثبت .

قالوا : فإذا كان الله تبارك وتعالى عالماً بأنَّ القومَ يَزَادُونَ فساداً عند إرسال الرُّسل ، وكان غيرَ صارفٍ لهم عن الإرسال إليهم ، إذْ كان قد عَدَلَ خَلْقَهُمْ ^(١) ، ومَكَّنَهُمْ من مصلحتهم ، فما بالُ الظَّنِّ والجِبانِ بأنَّ النَّاسَ يتفاسِدُونَ ويتنازعون ، إذا لم يَقيموا إماماً واحداً يُوجب فرضاً لم ينطق به كتاب ولم يؤكِّده خبر ^(٢) . وقد رأينا العلم بأنَّ الناس يتفاسدون بما لا يَرِدُ به فرض ^(٣) .

٣ - فصل منه

وقالوا : قد رأينا أهلَ الصَّلاحِ والقَدَرِ ، عند انتشار أمرِ السُّلطانِ ، وغلبة السُّفلةِ والدُّعَارِ ، ومَهِجِ العوامِ ^(٤) ، يقوم منهم القِدْدُ اليسير في الناحية والقبيلة ، والرُّبُّ والمَظلة فيفُلُّ لهم حَدَّ المستطيل ^(٥) ، ويقمع شَذَاذَ الدُّعَارِ ^(٦) ، حَتَّى يَسْرَحَ الضَّعِيفُ ويَأْمَنَ الخائف ، ويتشر التاجر ، وَيُكَبِّرُ جانبَهُم الدُّعَارُ ^(٧) .

وإنما صلاحُ النَّاسِ بقدر تعاونهم وتخاذُلهم . مع أنَّ النَّاسَ لو تركهم المُسلِّطونَ عليهم ^(٨) ، وألجئوا إلى أنفُسهم حَتَّى يتحقَّقَ عندهم أن لا كافٍ إلا بطشهم وحيلهم ، وحَتَّى تكون الحاجة إلى الذَّبِّ ^(٩)

(١) ب : « خلقه » .

(٢) م : « ولا يؤكده خبر » .

(٣) في جميع الأصول : « يتفاسدون ولا يرد به فرض » .

(٤) ط : « ويصح العوام » ، تحريف .

(٥) الفل : الكر والتم . ب : « فيل » م : « فيقل » ط : « فيقم » ، صوابه ما أثبت .

وق ب م : « هم » ، صواب هذه من ط . والاستعانة : الاحتذاء .

(٦) ب : « الدعار » تحريف . وق ط : « شذوذ الدعار » .

(٧) ب م : « ويكرم جانبهم » . وق ب : « الدعار » تحريف .

(٨) ب م : « المسلطون عليهم » .

(٩) ب م : « النجاة » ، تحريف .

والحراسة . والعلم بالكيادة . هي ^(١) التي تحملهم على منع أنفسهم ،
ولذهبت عادة الكفاية . وضعف الائتال . ولتعودوا اليقظة . ولديروا
بالحراسة ، واستشاروا دفين الرأي ؛ لأن الحاجة تفتق الحيلة ^(٢)
وتبحث على الروية ^(٣) ، وكان بالحرى أن يصلح أمر الجميع ؛ لأن طمع
الرأعي إذا عاد بأساً ^(٤) صرّفه في البنى ^(٥) . وكان في ذلك منبهة للنائم
ومشعلة لليقظان ، وضراوة للمواكل ^(٦) ، ومزجرة للبغاة ، حتى ينبت
عليه الصغير ^(٧) ، ويتفحل معه الكبير .

٤ - فصل منه

وزعم قوم أن الإمامة لا تجب إلا بأحد وجه ثلاثة :
إما عقل يدل على سببها ، أو خبر لا يكذب مثله ، أو أنه لا يحتمل
شيئاً من التأويل إلا وجهاً واحداً .

قالوا : فوجدنا الأخبار مختلفة ، والمختلف منها متدافع ^(٨) . وليس
في المتدافع والمتكافئ بيان ولا فضل .

فمن ذلك قول الأنصار ، وهم شطر الناس وأكثرهم ، مع أمانتهم
على دين الله تعالى ، وعلمهم بالكتاب والسنة ، حيث قالت ^(٩) عند وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم : « منا أمير ومنكم أمير » .

(١) ب ، م : « وهي » ، والواو مقحقة .

(٢) ب ، م : « تقيق الحيلة » ، وعرف .

(٣) م فقط : « الروية » ، تحريف .

(٤) ب : « يأساً » . م : « بأساً » وأثبت ما في ط .

(٥) ب ، م : « في سوى البنى » .

(٦) ب ، م : « للمواكل » .

(٧) ب : « ينبت » ، ط : « تكتب عليه الصغيرة » ، والصواب ما أثبت من م .

(٨) ط : « والمتدافع متدافع » ب . م . « والمتدافع منه متدافع » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « حيث قالوا » .

فلو كان قد سَبَقَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أمرٌ ما كان أحدٌ أعلمَ به منهم ، ولا أخلقَ للإقرار والعمل بما يلزم . والصبر عليه ^(١) منهم . بعد الذي ظَهَرَ من احتالهم في حَبْنِ الله تعالى ، والجهاد في سبيله ، والنصرة لنبِيِّه صلى الله عليه وسلم [مع الإيواء والإيثار ، بعد المواساة ، ومحاربة القريب والبعيد . والعرب قاطبة وقريش خاصة . ثم الذي نطق القرآنُ به من تزكيتهم وتفضيلهم ، بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ^(٢)] ، وثقته بهم ^(٣) وثنائه عليهم ^(٤) ، وهو يقول : « أَمَّا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَقِيلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَقِ » ، في أمورٍ كثيرة .

ثم لم يكن قولهم : « منّا أميرٌ ومنكم أمير » ، من صفيه من مفهائهم ضَوَى إليه ^(٥) أمثاله منهم ، فإنَّ لكلِّ قومَ حَصْدَةً وَجْهًا ، وأحدًا وسرعانًا ^(٦) ، من حدِّثَ تبعثه الفُرَاة والأَشْر ^(٧) ، ورجلٌ يحبُّ الجاه والفتنة ، أو مغفلي مخلوع ^(٨) ، أو غرٌّ ذى حَيِّية ^(٩) يؤثّر حَسَبَهُ ونسَبَهُ على دين الله تعالى وطلاعة نبيِّه صلى الله عليه وسلم .

(١) ب فقط : « عليهم » ، تحريف .

(٢) التكلّة من م ، ط .

(٣) في جميع الأصول : « وثقته بهم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في جميع الأصول : « وثنائه عليهم » ، سواء به ما أثبت .

(٥) ضوى إليه : انغمس . وفي اللسان : « يقال ضوى الرجل إلينا أشدّ المضوية ، أي

أوى إلينا » . وفي جميع الأصول : « ضرى إليه » . والوجه ما أثبت .

(٦) السرعان : الأوائل الأشفاء يسرعون إلى الأمر .

(٧) الأشر : المرح والتشاطب ، م . « والأشد » تحريف ما أثبت . وفي ط :

« ولا شد رجل يحب الجاه والفتنة » ، ولا وجه له .

(٨) ط : « مجذوع » م : « مجذوع » ، سواء بهما ما أثبت من ب .

(٩) ب : « أو غر » م : « أو غر » ، سواء بهما في ط . وفي ط : « فوجية »

سواءه في ب ، م .

ولا كان ذلك القول ، إن كان من عليتهم ، في الواحد الشاذ القليل ، بل كان في ذوى أحلامهم والقدم منهم ^(١) .

ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عباد ، سيداً مطاعاً ، ذا سابقة وفضل ، وحليم ونجدة ، وجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستغاث به ^(٢) في الحوادث والمهم من أمره .

ثم كان في الدهم ^(٣) من الأنصار ، والوجوه والجمهور من الأوس والخزرج . فكيف يكون سبق من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا أمر يقطع علماً ^(٤) ويوجب رضاً ، وهؤلاء الأئمة على اللين ، والقوام عليه ، قد قاموا هذا المقام ، وقالوا هذا المقال .

قالوا : فإن قال قائل : فإن القوم كانوا على طبقات ، من ذاكر متعمد ، وناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ، ومن رجلي كان غائباً عن ذلك القول والتأكيد الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، في إقامة إمام يقدّم في أيام وفاته وشكاته ^(٥) ، ومن رجلي قدّم في الإسلام لم يكن من حمال العلم ، فأذكرهم أبو بكر وعمر فذكروا ، ووعظهم فاتمظفوا . فقد كان فيهم الناشئ الفاضل الذي يزجره الذكر ، وينزع إذا بصر ، والمتعمد الذي لم يبلغ من لجاجة وتنايحه ^(٦) ، ورُكوب

(١) ب : « فيهم » .

(٢) ب : « واستأثنت به » م : « واستأثنت به » ط : « واستأثنت به » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أي كان هذا القول في الدهم . والدهم ، بالفتح . السدد الكثير ، كالأدهم . ب : فقط :

« في الوهم » ، تحريف .

(٤) في جميع النسخ . « عدداً » ، والصواب ما أثبت .

(٥) الشكاة ، بفتح الشين : المرض . ب : م : « وسكانه » ، صوابه ما أثبت . والكلمة

ساقطة من ط . وفي ب ، م : « إقامة الإمام »

(٦) التنايع : التباين في الشر والباطل . وفي جميع الأصوات . « وتنايه » بالياء الموحدة ،

صوابه بالياء التحتية المثناة .

رَدَّعُهُ^(١) مَا يُؤَثِّرُ مَعَهُ التَّصَمُّيمُ^(٢) عَلَى حُسْنِ الرَّجُوعِ عِنْدَ الْمَوْحِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالتَّخْوِيفُ بِفَسَادِ الْمَاجِلِ^(٣) . فِي كَثِيرٍ مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْقَدْرُ النَّبِيِّ ، إِمَّا لِلْعَفْلَةِ ، وَإِمَّا لِلإِبْطَاءِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِلْخَمُولِ فِي قَوْمِهِ مَعَ إِسْلَامِهِ وَصِحَّةِ عَقْلِهِ . فِدَاؤُهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ^(٤) يَوْمَ السَّقِيفَةِ حِينَ قَالَا^(٥) : « نَحْنُ الْأَثَمَةُ وَأَنْتُمْ الْوَزَاءُ » . وَحَيْثُ رَوَّاهُ لَمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْأَثَمَةُ مِنْ قَرِيشٍ » . فَلَمَّا اسْتَرْجِعُوا رَجَعُوا .

قُلْنَا : الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَرَوْا فِي كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ انْتِصَارَهُمْ عَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ حُجَّةٌ ، غَضَبُ رُئَسِيهِمْ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مَرَاغِمًا ، فِي رَجَالٍ مِنْ رَهْطِهِ ، مَعَ تَرْكِهِ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَشْيِيعِهِ^(٦) عَلَيْهِمْ بِالشَّامِ .

وَقَدْ قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ خِذْلَانَ الْأَنْصَارِ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : وَاسْتِبْدَادَ الرَّهْطِ مِنْ قَرِيشٍ عَلَيْهِمْ ، بِالْأَمْرِ :

وَعَبَّرَ عَمَّا نَأَمَّا الْأَمْرُ فِيكُمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ التَّشَاجُرِ^(٧)
وَأَنَّ وَزَارَاتِ الْخِلَافَةِ دُونَكُمْ كَمَا جَاءَكُمْ ذَوَالْعَرْشِ دُونَ الْعِشَائِرِ
فَهَلَّا وَزِيرًا وَاحِدًا نَعْتَبُونَهُ بَغِيرِ وَدَادٍ مِنْكُمْ وَأَوَاصِرِ^(٨)

(١) وَكَبَّرَ رَدَّعُهُ : لَمْ يَرُدَّعُهُ شَيْءٌ ، فَبَقِيَ مِنْ وَجْهِهِ .

(٢) ب : « التَّصَمُّيمُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٣) ب : « لِفَسَادِ الْمَاجِلِ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٤) ب ، م : « وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ، وَالْوَجْهُ حُفَّتِ الْوَاوُ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ كَمَا فِي ط .

(٥) ط : « قَالَا » ، وَهُوَ أَمْرٌ جَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

(٦) ب ، م : « وَتَشْيِيعِهِ » ط : « وَتَشْيِيعِهِ » ، صَوَابُهُمَا مَا أَمِث .

(٧) ب : « الرُّسُولُ اللَّهِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) اجْتِبَاءُ : اخْتَارَهُ وَاسْتَطْلَقَهُ . ب ، م : « تَحْتِيزِيهِ » صَوَابُهُ فِي ط .

سَقَى اللَّهُ سَعْدًا يَوْمَ ذَاكَ وَلَا سَقَى عَرَجَلَةً هَابَتْ صَلُورُ الْمُنَابِرِ^(١)
وقال رجلٌ من الأنصار . ودأه على رضوان الله عليه إلى عونهِ
ونُصرتِهِ ، إِمَّا يَوْمَ الْجَمَلِ . أَوْ يَوْمَ صِفِّينَ :

مَالِي أَقَاتِلُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا قَدَرُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا وَكُنَّا قَبْلُ أَنْصَارًا
رَيْلُ لَهَا أَمَةٌ لَوْ أَنَّ قَائِدَهَا يَتَلَوُ الْكِتَابَ وَيَحْتَشِي النَّارَ وَالْعَارَا
أَمَّا قَرِيشٌ فَلَمْ نَسْمَعْ بِمَثَلِهِمْ غَدْرًا وَأَعْجَبَ فِي الْإِسْلَامِ آثَارَا
لَا تَكُنْ عَصْبَةً خَالُوا نَبِيَّهُمْ بِالْعُرْفِ عُرْفًا وَبِالْإِنْكَارِ إِنْكَارًا^(٢)
أَبَا عُمَارَةَ وَالْثَّوَارِي بِبَلْقَعَةٍ فِي يَوْمٍ مُوتَ لَا يَنْفُكُ طَيَّارًا^(٣)
أَبَا عُمَارَةَ^(٤) : حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه ، وقد كان يكنى
أَبَا يَحْيَى ، وَالثَّوَارِي فِي يَوْمِ مُوتِهِ : جعفر بن أبي طالب^(٥) .

وقال رجلٌ من الأنصار من ولد أبي زيد القاري^(٦) ، وذكر أمرَ
الْأَنْصَارِ وَأَمْرَ قَرِيشَ :

(١) العرجلة : جمع عرجلة ، وهم جماعة الرجال يمشون على أقدامهم . وأنشد أبو عبيدة :
راحوا يمشون القلوس عشية عرجلة من بين حاف وناقل
وفي جميع النسخ : « عواجله » بالواو ، صوابه ما أثبت . والمنابر : جمع منبر ، هي أتهم
ليسوا بمطليح . م : « الثواري » ط : « الثواري » ، صوابهما في ب .
(٢) خالوا ، من الخول بالتصريك ، وهم حشم الرجل وأتباعه . والخالل : الذي يخول على
أهله وعياله ، أي يرعى عليهم . وفي ب : « حالوا » ويصح م ، ط : « حالوا » بينهم ،
والوجه ما أثبت .

(٣) جاء في الهيوان ٣ : ٢٣٣ : « ونحن نؤمن بأن جعفرًا الطيار ، ابن أبي طالب ، له
جناحان يطير بهما في الجنان ، جبالا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين في يوم مؤتة »
(٤) ب فقط : « أبو عمار »

(٥) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حل لواء المسلمين
فيه زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيديه فقطعت ، ثم بشياله فقطعت ، فاحتضنه بضمديه فقتل
وغير شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وانظر الإصباح ١١٦٢ وجمهره
أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ وكتب السير

(٦) أي من إخوته وأبناء أبيه ثابت بن الضحاك . ويده هو يده ثابت بن الضحاك ،

دعاهما إلى استبدادهما وحُودهما تذكُرُ قتلى في القليب تكبكبوا
هناك قتلى لا تودى ديانتهم وليس لباكيها روى الصبر مذهب
فإن تغصب الأبناء من قبل من مضى
فوالله ماجئنا قبيحاً ففتحوا^(١)

٥ - فصل منه

قد حكينا قول من خالفنا في وجوب الإمامة ونعظيم الخلافة ،
وفسرنا وجوه اختلافهم ، واستقصينا جميع حججهم ، إذ كان على عذر
لما غاب عنه خصمه^(٢) ، وقد تكفل بالإخبار عنه في ترك الحيطة له ،
والقيام بحججه . كما أنه لا عذر له في التقصير عن إفتاد^(٣) من
يخالفه^(٤) ، وكشف خطأ من يضاده^(٥) عند ما قرأ كتابه^(٦) ، وتفهّم
حججه . لأن أقل ما يُزيل عنّره ، ويُزيح علته ، أن يكون قول خصمه
قد استهدف لعقله ، وأضحّر لسانه^(٧) ، وقد مكّنه من نفسه ، وسلّطه

«الأنصاري» ، كاتب الذي صل الله عليه وسلم وأمينه على الرعي ، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهد ،
وهو الذي كتب المصحف لأبي بكر ، ثم لما كان حين جهز المصاحف إلى الأمصار . توفي سنة
٤٥ هـ . وفيه يقول حسان بن ثابت :

فن للقواق يد حسان وابنه ومن المعلن يد زيد بن ثابت
طبقات القراء : ١ : ٢٩٦ والإصابة ٢٨٧٤ . وفي الخيران ١ : ٣٣٦ : « كانوا يكرهون
أن يقال قراءة عبد الله ، وقراءة سالم ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد » .

(١) ب فقط : « قتل من مضى » .

(٢) م : « إذا كان » . وفي جميع الأصول : « لما غاب عنه خصمه » .

(٣) الإفتاد : تحطت الرأي ، ومثله التفتيد . وفي الأصول : « إفساد ما يخالفه » .

(٤) ط : « وكشف خطأ » . والخطأ : الخطأ . وفي ب ، م : « من يضاده » ، صوابه في ط .

(٥) في الأصول : « عنه من قرأ كتابه » .

(٦) أنصاري : انكشف وظاهر ، من قولهم : أنصرت ، إذا خرج إلى الصحراء . وفي

الأصول : « وأخبر لسانه » ، لكن في ط : « وأخبر لسانه » .

على إظهار عورته . فإذا استراح شغب المنازع ^(١) ، ومدارة المستمع لم يبق إلا أن يقوى على خلافه أو يعجز عنه .

ومن شكر المعرفة بمغاوى الناس ^(٢) ومرآشدهم ، ومضارهم ومنافعهم : أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم ، وأن يتوخى إرشادهم ، وإن جهلوا فضل من يسلى إليهم .

ولن يصاد العلم بمثل بذله ، ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره .

وأعلم أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلقابهم ، إذ كان ^(٣) مع التلاقي يقوى التصنع ، ويكثر التظالم ، وتفرط النصرة ^(٤) ، وتنبعث الحمية . وعند المراحة تشتد الغلبة - وشهوة المباهاة ، والاستحياء من الرجوع ، والأنفة ^(٥) من الخضوع . وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ^(٦) ، ويظهر التباين ، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة ، وبهذه الحالة ، امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة .

وليست في الكتب علة تمنع من ذلك البنية ، وإصابة الحجة ، لأن التوحد بقراءتها ، والمتفرّد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ولا يعاز خصمه ^(٧) .

والكتاب قد يفضل ويرجح على واضحه بأمر :

(١) ب فقط : « من شغب المنازع » تحريف .

(٢) ب : « بمآلب الناس » م ، ط : « بمآرب الناس » . والوجه ما أثبت من الحيوان ٨٤ : ١ . والمراد تقابلها « المغاوى » . وانظر الكلام على « معائب » ماورد في تفسير أبي حيان ٢٧١ : عند الكلام على « معائب » .

(٣) في الأصول : « إذا كان »

(٤) ب ، م : « ويفرط النصرة » .

(٥) ب ، م : « والألفة » ، سواه في ط والحيوان ٨٤ : ١ .

(٦) ب : « يحدث الضغائن » .

(٧) للمآزة : الثالثة . وفي الحيوان ٨٥ : ١ : « ولا يغالب عقله » .

منها : أَنَّ الكتاب يُقرأ بكلِّ مكانٍ وفي كلِّ زمان ، على تَفَاوُتِ
الْأَعْصَارِ . ويُعَدُّ ما بين الأَمْصارِ . وذلك أمرٌ يستحيل في الواضِعِ^(١)
ولا يُطْمَع فيه من الْمُنَازَعِ^(٢) . وقد يذهب العالمُ وتبى كُتُبُهُ^(٣) ،
ويغنى ويبقى أثرُهُ^(٤) .

ولولا ما رَسَمَتْ لنا الأوائلُ في كُتُبِها . وخَطَفَتْ من عَجِيبِ حِكْمِها
ودَوَّنَتْ من أنواعِ سِيرِها^(٥) حتَّى شاهدنا بها ماغاب عَنَّا ، وفتحنا بها
المُسْتَغْلِقَ عَلَيْنَا^(٦) ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرَهم^(٧) ، وأدركنا ما لم
نكن نُدرِكُهُ إِلَّا بهم ، لقد خَسَّ حَقُّنَا في الحكمة ، وانقطع سبيلُنَا
إلى المعرفة .

ولو أَلْجَأْنَا إلى قِلْدَرِ قُوَّتِنَا ومبلغِ خَوَاطِرِنَا ، ومنتهى تجارِبِنَا ، بما
أَدْرَكْنَاهُ حَوَاسِنَا ، وشاهَدْنَاهُ نَفُوسُنَا ، لقد قَلَّتِ المعرفةُ وَقَصُرَتْ الهِمَّةُ
وَضَعُفَتِ الْمَنَّةُ ، فاعتقم الرأى ومات الخاطر ، وتبلَّدَ العقلُ^(٨) ،
واستبدَّ بنا سوءُ العادة .

وَأَكْثَرُ مِنْ كُتُبِهِمْ نَفْعاً ، وأَحْسَنُ مِمَّا تَكَلَّفُوا مَوْقِعاً^(٩) ، كُتُبُ اللَّهِ
تعالى ، الّتي فيها الْهُدَى والرَّحْمَةُ ، والإِخبارُ عن كُلِّ عِبْرَةٍ ، وتَعْرِيفُ
كُلِّ سَيِّئَةٍ وَحَسَنَةٍ .

(١) في الحيوان ١ : ٥٨ : « في واقع الكتاب » .

(٢) ط : « التنازع » تحريف . وفي الحيوان : « والتنازع في المسألة والجواب » .

(٣) ب : م : « ويبقى كُتُبُهُ » وأثبت ما في ط . والقي في الحيوان : « وقد يذهب العالمُ
وتبى كُتُبُهُ » .

(٤) في الحيوان : « ويلعب العقل ويبقى أثرُهُ » .

(٥) ب فقط : « سرها » ، صوابه في م ، ط والحيوان .

(٦) الحيوان : « كل مستغلِقٍ عَلَيْنَا » .

(٧) ب فقط : « أَكْثَرُهم » ، تحريف .

(٨) ج جميع الأصول : « البقل » ، وأثبت ما في الحيوان ١ : ٨٦ .

(٩) في الحيوان : « وأحسن مَوْقِعاً فقط » .

فينبغي أن يكون سبيلنا فيمض بغدنا سبيل من قبلنا فيما . مع
أنا قد وجلنا في العبرة^(١) أكثر مما وجلوا ، كما أن من بعدنا يجد من
العبرة أكثر مما وجلنا .

فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحقق لدينه ، والذاب عن مذهبه ،
وموأي الناس في معرفته ، وقد أمكن القول وأطرق السامع . ونجا من
التقية^(٢) ، وهبت ريح العلماء .

٦ - فصل منه

واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى إلى مخالفته ، غير مخرج
إنعام الله تعالى عليه ، ولا يحول إحسانه إليه^(٣) إلى غير معناه
وحقيقته ، ولم يكن^(٤) إحسان الله في إعطائه الأداة وتبيين الحجة
لينقلب إفساداً وإساءة ؛ لأنَّ المُعانَ على الطاعة عصى بالمعونة ، وأفسد
بالإنعام ، وأساء بالإحسان .

وفرق بين المنعم والمنعم عليه ؛ لأنَّ المنعم عليه يجب أن يكون
شكوراً ، ولحقَّ النعمة راعياً^(٥) ، والمنعم منفردٌ بحسن الإنعام ، وشريكٌ
في جميل الشكر . ولأنَّ المنعم أيضاً هو الذي حَبَّبَ الشكرَ إلى فاعله ،
بالذي قُتِمَ إليه من إحسانه ، وتوَلَّى من يساره^(٦) ، ولذلك جعلوا النعمة
لِقاحاً ، والشكر ولاداً^(٧) . وإنما مثل إعطاء الآلة والتكليف لفعل

(١) في الحيوان : « من العبرة » .

(٢) التقية : الخلد والوف . والذي في الحيوان : « وخوى نجم التقية » .

(٣) ب ققط : « عليه » .

(٤) ب : « وإن يكون » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب : « ويحق النسبة » صوابه في م ، ط . وفي ب « م » راعياً . والوجه ما ثبت من ط .

(٦) م ، ط : « من ساره » ، ولا وجه له . واليسار : التي

(٧) الولاد والولادة والإلادة كلها مصدر للفعل ولد .

الخير^(١) مَثَلُ رَجُلٍ تَصَدَّقَ عَلَى فَقِيرٍ لِيَسْتَرْعِزَ عَوْرَتَهُ ، وَيُقِيمَ مِنْ أَوْدِ صُلْبِهِ ، وَلِيَصْرِفَ فِي مَنَافِعِهِ . وَلَا يَكُونُ إِنْفَاقُ الْفَقِيرِ ذَلِكَ الشَّيْءَ فِي الْفَسَادِ وَالْخِلَافِ وَالْفَوَاحِشِ ، لِيَنْقَلِبَ^(٢) إِحْسَانُ الْمُتَصَدِّقِ إِسَاءَةً . وَإِنَّمَا هَذَا بِصَوَابِ الرَّأْيِ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ صَوَاباً وَإِنْ أَنْجَحَ صَاحِبُهُ^(٣) .

وَقَدْ يُؤْتَى^(٤) الرَّجُلُ مِنْ حَزْمِهِ وَلَا يَكُونُ مَنُوماً ، وَيَحْتَطَى^(٥) بِالْإِسَاءَةِ وَلَا يَكُونُ مَحْمُوداً .

٧ - فصل منه

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى لِيَضَعَ الْعِلَلَ مِيزَاناً بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَعِبَاراً عَلَى عِبَادِهِ ، فَيَنْظُرَ عَقُولُهُمْ فِي ظَاهِرِ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ ، وَيَسِيرَ^(٦) خَلْقُهُ ، وَيَسْتَحْقِيَ بَضْئَهُ ، وَيَعْلَمَ أَنَّ قَضَاءَهُ فِيهِمْ غَيْرُ الَّذِي فَطَرَهُمْ عَلَى اسْتِحْسَانِهِ ، وَتَحِبُّ إِلَيْهِمْ بِهِ ، فِي ظَاهِرِ دِينِهِ ، وَالَّذِي اسْتَوْجِبَ بِهِ عَلَى الشُّكْرِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ .

٨ - فصل منه

وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَبْدُ عَلَى مَا وَصَفْنَا^(٧) مِنَ الْإِسْطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْحَالِ الَّتِي هِيَ أَدْعَى^(٨) إِلَى الْمَصْلَحَةِ ، مَا كَانَ مَتْرُوكاً عَلَى طَبَاعِهِ وَدَوَائِي شَهَوَاتِهِ ، دُونَ تَعْلِيلِ طَبْعِهِ وَتَسْوِيَةِ تَرْكِيبِهِ .

وَلِذَلِكَ أَسْبَابُ نَحْنِ ذَاكِرُهَا ، وَجَاعِلُهَا حِجَّةً فِي إِقَامَةِ الْإِمَامَةِ ،

(١) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « لِفَعْلِ الْخَيْرِ » ، وَإِنَّمَا يُقَالُ كَلَفَهُ بِالْأَمْرِ وَكَلَفَهُ إِيَّاهُ .

(٢) ب ، م : « لِيَنْقَلِبَ » صَوَابُهُ فِي ط .

(٣) ب : « وَإِنَّمَا أَنْجَحَ صَاحِبُهُ » .

(٤) ب ، م : « يُؤْتَى » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٥) يَحْتَطَى . مِنَ الْمَخْطُوءَةِ وَفِي ب ، م : « يَحْتَطَى » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٦) مَا عَدَا ط : « وَيَسِيرُ » .

(٧) ب : « وَصَفْنَا بِهِ » ، وَ « بِهِ » مُقْبَحَةٌ

(٨) ب ، م : « أَدْعَاهُ » ط : « أَدْعَاهُ » ، وَالرَّجْعَةُ مَا أَثْبَتَ

وَأَنَّ عَلَيْهَا مَدَارَ الْمَصْلَحَةِ ، وَأَنَّ طَبِيعَ الْبَشَرِ يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِخْبَارِ إِلَّا عَلَى مَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ ، فنقول :

إِنَّا لَمَّا رَأَيْنَا طَبَائِعَ النَّاسِ وَشَهَوَاتِهِمْ . مِنْ شَأْنِهَا التَّقَلُّبُ إِلَى هَلَكَتِهِمْ وَفَسَادِ دِينِهِمْ ، وَذَهَابِ دُنْيَاهُمْ ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَامَّةُ أَسْرَعَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْخَاصَّةِ ، فَكُلٌّ لَا تَنْفَكَ ^(١) طَبَائِعُهُمْ مِنْ حَمَلِهِمْ عَلَى مَا يُرْذِلُهُمْ .^(٢) مَالِهِمْ يُرْثَوْنَ بِالْقَمْعِ الشَّدِيدِ فِي الْعَاجِلِ ، مِنَ الْقَصَاصِ الْعَادِلِ . ثُمَّ التَّنْكِيلُ فِي الْعُقُوبَةِ عَلَى شَرِّ الْجِنَايَةِ ^(٣) ، وَإِسْقَاطِ الْقَدَرِ ، وَإِزَالَةِ الْعَدَالَةِ ، مَعَ الْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ ، وَالْأَلْقَابِ الْمُهْجِنَةِ . ثُمَّ بِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ وَالْحَبْسِ الطَوِيلِ ، وَالتَّغْرِيبِ عَنِ الْوَطَنِ ^(٤) ، ثُمَّ الْوَعِيدِ بِنَارِ الْأَبَدِ ، مَعَ قُوَّةِ الْجَنَّةِ .

وَأِنَّمَا وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْخِصَالَ لِتَكُونَ لِقُوَّةِ الْعَقْلِ مَادَّةً ، وَلِتَعْدِيلِ الطَّبَائِعِ مَعُونَةً ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا فَضَلَّتْ قُوَى طَبَائِعِهِ وَشَهَوَاتِهِ عَلَى قُوَى عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ ، أَلْفَى ^(٥) بِصَبِيرٍ بِالرُّشْدِ غَيْرِ قَادِرٍ عَلَيْهِ ، فَإِذَا احْتَوَشَتْهُ الْمَخَافَةُ كَانَتْ مَوَادُّ زَوَاجِرِ عَقْلِهِ ، وَأَوَامِرَ رَأْيِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي حَوَادِثِ الطَّبَائِعِ وَذَوَاعِي الشَّهَوَاتِ وَحُبُّ الْعَاجِلِ فَضْلٌ عَلَى زَوَاجِرِ الْعَقْلِ وَأَوَامِرِهِ ^(٦) أَلْفَى الْعَبْدُ مَمْتَنِعاً مِنَ الْغَيِّ قَادِراً عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ وَالْحَسَدَ وَالْبُخْلَ وَالْجُبْنَ ، وَالْفِيرَةَ ، وَحُبُّ الشَّهَوَاتِ وَالنِّسَاءِ ، وَالْمَكَائِرَةَ ^(٧) ،

(١) ب : م : « لَا يَنْفَكَ » .

(٢) الْإِرْدَاءُ : الْإِطَاعَةُ . وَفِي مَقْطَعٍ : « يُرْذِلُهُمْ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « الْخِلَافَةُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) م : « وَالتَّغْرِيبُ عَنِ الْوَطَنِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) ب : « أَلْفَى » ط : « أَلْفَى » ، سَوَاءٌ فِي م .

(٦) ب : « عَنْ عَلَى زَوَاجِرِ الْعَقْلِ » ، وَهِيَ « مَقْعَةٌ » وَ « أَوَامِرٌ » لِمَنْ .

تَحْرِيفٌ .

(٧) ط : « وَالْمَكَائِرَةُ » . وَالْمَكَائِرَةُ : الْمَسْطَةُ .

والمُعْجَب والخَيْلَاء وأنواع هذه إذا قُوِيَتْ دواعيها لأهلها ، واشتدَّتْ جَوَادِبُهَا لصاحبها ، ثم لم يَعْلَمْ أَنَّ فوقه ناقماً عليه ، وأنَّ له منتقماً لنفسه من نفسه ، أو مقتضياً منه لغيره ، كان مَيْلُهُ ودَعَابُهُ مع جَوَادِبِ الطَّبِيعَةِ ودواعي الشَّهْوَةِ طِبَاعاً لا يمتنع معه ، وواجباً لا يستطيع غيره .

أَوْماً^(١) رَأَيْتُهُ كَيْفَ يَخْرُقُ فِي مَالِهِ^(٢) ، وَيُسْرِعُ فِيمَا أَتَتْ لَهُ رَجَالُهُ ، وَشِدَّتْ لَهُ أَوَاتِلُهُ^(٣) ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى لِلْعَوَضِ وَجْهًا ، وَلِلْخَلْفِ سَبَبًا فِي عَاجِلِ دِينِهِ ، وَلَا آجِلِ دُنْيَاهِ ، حَتَّى يَكُونَ وَالِي الْمُسْلِمِينَ هُوَ الَّذِي يَحْجُرُ عَلَيْهِ ؛ لِيَكُونَ مَقْبُضُ الْحَجَرِ وَذُلُّ الْحَظَرِ ، وَغِلْظَةُ الْجَفْوَةِ . وَاللَّقَبُ الْقَبِيحُ ، وَتَسْلِيطُ الْأَشْكَالِ ، مَادَّةٌ لِلَّذِي مَعَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَبِقِيَّةِ عَقْلِهِ .

٩- فصل منه

وقد يكون الرجلُ معروفًا بالنِّزَقِ^(٤) مذكوراً بالطَّيْشِ مُسْتَهَاماً بإظهار الصُّلَّةِ حَتَّى يَتَحَايَ كَلَامَهُ الصَّلِيقُ ، وَيُدَارِيهِ الْجَلِيسُ ، وَيَتْرَكَ مُجَارَاتَهُ^(٥) الْكَرِيمُ ، لِلَّذِي يَعْرِفُونَ مِنْ شَفَاتِهِ^(٦) ، وَبَوَادِرِ حِلَّتِهِ^(٧) وَشِدَّةَ تَعْرُهُ وَالتَّهَابِ ، وَكَثْرَةَ فَلَتَاتِهِ . ثُمَّ لَا يَلِيْثُ أَنْ يَحْفَرُ الْوَالِي الصَّلِيبُ وَالرَّجُلُ الْمَنِيْعُ ، فَيُلْفَى ذَلِيلاً خَاضِعاً ، أَوْ حَلِيماً وَقُوراً ، أَوْ أَدِيباً رَفِيقاً ، أَوْ صَبُوراً مُحْتَضِياً .

(١) ب فقط : « أَوْماً » ، تحريف .

(٢) الخرق ، بالتحريك : تقيض الفرق . ب : « يخرق » ، تحريف .

(٣) في الأصول : « وشدت له أواتله » .

(٤) الخرق : الطيش والخفة . ب : « بالخرف » م : « بالخرق » ، صوابها في ط .

(٥) في الأصول : « مجازاته » بالزاي .

(٦) الشفاة : الشر والأذى . ب : « شفاة » م : « شداته » ، صوابها ما أثبت .

وفي ط : « شفته » .

(٧) ب ، م : « وبادر حده » ، صوابه في ط .

وقد نجله يَجْهَل على خصمه . وَيَسْتَبِيلُ على منازعه . ويَهُمُّ بتناوله والغدير به ^(١) ، فإذا عَرَفَ له حُماة تكفيه ، وجُهاًلًا تحميه ، وجاهاً يمنعه ، ومالاً يَصُول به ، طامَنَ له من شخصه ، وألَانَ له من جانبه ، وسَكَنَ من حركته ، وأغفَأَ نارَ غضبه .

أو ما علمت أَنَّ الخوفَ يطرد السكر ، ويُميت الشهوة ، ويُطْفِئُ الغضب ، ويحطُّ الكثير ، ويذكرُ بالعاقبة ، ويساعدُ العقل ، ويعاونُ التَّوَأَى ، وَيُنْبِتُ الحيلة ^(٢) ويبعث على الروية ؛ حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوباً على عقله ، بمنوعاً من رأيه ، يُسَكِّرُ الشَّبابَ وسكر الفناء ^(٣) وإهمال الأمر ، وثقة العزِّ ، ويَأْوِي القلدة ^(٤) .

١٠ - فصل منه

وإِنَّمَا أَطْنَبْتُ ^(٥) لك في تفسير هذه الأحوال التي عليها الوجودُ والعبرة ، لتعلم أَنَّ الناسَ لو تَرَكُوا وشهواتِهِمْ ، وخطُوا وأهوائِهِمْ ^(٦) وليس معهم من عقولهم إلا حِصَّةَ الغريزة ^(٧) ونصيبُ التركيب . ثم أخطأوا من الموشلين والمودَّبين ، والمعرضين بينَ النفوسِ وأهوائِها ، وبين الطُّبَّانِ وغُلَّيَّيْها ، من الأنبياءِ وخطفائها ، لم يكن في قُوَى عَقُولِهِمْ ما يَدَاوُونُ به أَدْوَاهِهِمْ ، وَيَجْبِرُونَ ^(٨) به من أهوائِهِمْ ، ويقولون به لمحاربة طبائِعِهِمْ ^(٩) ، ويعرفون به جميع مصالِحِهِمْ .

(١) ب ، م : « يتناول بالأمر به » ، صوابه ق ط .

(٢) ب ، م : « ويسبب الحيلة » .

(٣) الفناء ، كسحاب : مقابل الفقر ، وهو الفنى ، تكرر التين فيقصر وتفتح فيمد .

ب ، م : « الفناء ط : « الفناء » صوابها ما أنبت .

(٤) البؤر : الكبر والنفخ .

(٥) ب ، م : « أطبت » ، ووجهه ق ط .

(٦) في الأصول : « تركوا شهواتهم وخطوا أهوائهم » ، والوجه ما أنبت .

(٧) ب فقط : « للغريزة » ، صوابه ق م ، ط .

(٨) الجبر : الإصلاح . وفي الأصول : « ويجبرون » .

(٩) ب فقط : « ويقولون به لمحاربة طبائِعِهِمْ » ، تعريف .

وَأَيُّ دَاءٍ هُوَ أَرَدْتَنِي مِنْ طَبِيعَةٍ تُرَدِّي ، وَشَهْوَةٍ تُطْفِئِي ؟ ! وَمَنْ كَانَ لَا يَعُدُّ الدَّاءَ إِلَّا مَا كَانَ مُؤَلِّماً فِي وَقْتِهِ ، ضَارِباً عَلَى صَاحِبِهِ فِي سَوَادِ لَيْلِهِ ^(١) وَبَيَاضِ نَهَارِهِ ، فَقَدْ جَهِلَ مَعْنَى الدَّاءِ . وَجَاهِلُ الدَّاءِ جَاهِلٌ بِالدَّوَاءِ .

١١ - فصل منه

وَلَكِنَّا نَقُولُ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ وَالْحِزْمِ وَالْحَيْطَةِ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ الْحُكَّامَ وَالسَّادَةَ إِذَا تَقَارَبَتْ أَقْدَارُهُمْ وَتَسَاوَتْ عَيْنَاتُهُمْ ^(٢) قَوِيَتْ دَوَاعِيهِمْ إِلَى طَلَبِ الْاِسْتِعْلَاءِ ، وَاشْتَلَّتْ مَنَافَسَتُهُمْ فِي الْقِلْبَةِ .

وَهَكَذَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي جِيرَانِهِمُ الْأَذْنِينَ فِي الْأَصْهَارِ وَبَيْنِ الْأَعْمَامِ ، وَالتَّقَارِبِينَ فِي الصَّنَاعَاتِ ، كَالْكَلَامِ ، وَالنَّجْمِ ، وَالطَّبِّ وَالْقَتِيَا ، وَالشَّعْرِ ، ، وَالنَّحْوِ وَالْعُرُوضِ ، وَالتَّجَارَةِ ، وَالصَّبَاغَةِ بِوَالْفَلَاخَةِ أَنَّهُمْ إِذَا تَدَانَوْا فِي الْأَقْدَارِ ، وَتَقَارَبُوا فِي الطَّبَقَاتِ ، قَوِيَتْ دَوَاعِيهِمْ إِلَى طَلَبِ الطَّبَةِ ، وَاشْتَلَّتْ جَوَانِبُهُمْ فِي حُبِّ الْمَبَايِنَةِ ، وَالاِسْتِعْلَاءِ عَلَى الرِّيَاسَةِ . وَمَتَى كَانَتْ النَّوَاعِي أَقْوَى كَانَتْ النَّفْسُ إِلَى الْفَسَادِ أَمِيلَةً ، وَالْعِزْمُ أَضْعَفَ ، وَمَوْضِعُ الرُّوِيَةِ ^(٣) أَشْغَلَ ، وَالشَّيْطَانُ فِيهِمْ أَطْمَعُ ، وَكَانَ الْخَوْفُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ ، وَكَانُوا بِمَوَاقِفَةِ الْمَقْسِدِ أُخْرَى : وَإِلَيْهِ أَقْرَبُ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَاصْلَحَ الْأُمُورَ لِلْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ ، إِذَا كَانَتْ ^(٤) النَّفُوسُ وَدَوَاعِيهَا وَمَجْرَى أَعْمَالِهَا عَلَى مَا وَصَفْنَا . أَنْ تَرْفَعَ عَنْهُمْ سَبَابُ التَّحَاوُسِ وَالتَّغَالِبِ . وَالمِبَاهَاةِ وَالمُنَاقَسَةِ .

(١) ب ققط : « في سواد ليله » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « عينتهم » ، سواه في ط .

(٣) ب ، م : « الرقوية » ، صولها في ط .

(٤) ب ققط : « وإذا كانت » ، تحريف .

وإن^(١) ذلك أدعى إلى صلاح ذاتِ البين ، وأمنِ البينة ، وحفظ الأعراف .

وإذا كان الله تبارك وتعالى ، قد كلف الناس النظر لأنفسهم^(٢) ، واستيفاء النعمة عيهم ، وترك الخطار^(٣) بالهلكة والتفرير بالأمة ، وليس عليهم مما يمكنهم^(٤) أكثر من الحيلة والتباعد من التفرير . ولا حال أدعى إلى ذلك أكثر مما وصفنا ، لأنه أشبه الوجوه بتمام المصلحة ، واتممت بالأمن والنعمة .

١٢ - فصل منه

فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه إذا كان القائم بأمر المسلمين بائناً الأمر ، متفرداً بالغاية من الفضل ، كانت دواعي الناس إلى مسابقته ومجاورته أقل .

ولم يكن الله ليطيع^(٥) الدنيا وأهلها على هذه الطبيعة ، ويركبها وأهلها^(٦) هذا التركيب ، حتى تكون إقامة الواحد من الناس أصلح لهم ، إلا . وذلك الواحد موجود عند إرادتهم له ، وقصدهم إليه ؛ لأن الله لا يُلْزِمُ النَّاسَ فِي ظَاهِرِ الرَّأْيِ وَالْحَيْطَةِ إِقَامَةَ الْمَعْلُومِ ، وَتَشْيِيدَ الْمَجْهُولِ^(٧) ؛ لأنَّ عَلَى النَّاسِ التَّسْلِيمَ ، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَصْدُ السَّبِيلِ .

(١) ب : م : « إن » يسقط الواو .

(٢) ب فقط : « إل أنفسهم » ، تحريف .

(٣) الخطار : الخطورة . ط فقط : « الخطر » ، ولا وجه له .

(٤) ب : م : « وليس عليهم أكثر مما يمكنهم » ، و « أكثر » هنا مقسمة .

(٥) ب : م : « ولو لم يكن » . و « لو » مقسمة . وفي م ، ط : « ليعط » تحريف .

صوابه ب : ب .

(٦) ط : « ويركبها أهلها » ، صوابه في ب : م .

(٧) ب : م : « وتشريد المجهول » ، صوابه في ط .

وهل رأيتم مَلِكِينَ أَوْسَيْدِينَ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ ، مِنْ الْعَرَبِ جَمِيعاً أَوْ مِنَ الْعَجَمِ ، لَا يَتَحَيَّفُ أَحَدُهُمَا مِنْ سُلْطَانٍ صَاحِبِهِ وَلَا يَنْهَكَ أَطْرَافَهُ ، وَلَا يُسَاجِلُهُ الْحُرُوبَ ؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَطْمَعُ فِي حَدِّ صَاحِبِهِ وَطَرَفِهِ ، لَتَقَارُبِ الْحَالِ ، وَاسْتَوَاءِ الْقَرَى ^(١) . كَمَا جَاءَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ كَيْفَ كَانَتْ الْحُرُوبُ رَاكِدَةً وَأَمْرُهُمْ مَرِيحٌ ^(٢) ، وَالنَّاسُ نَهَبٌ ، لَيْسَ ثَغَرٌ إِلَّا مَعْطَلٌ ، وَلَا طَرَفٌ إِلَّا مُنْكَشِفٌ ، وَالنَّاسُ فَيَا بَيْنَهُمْ مَشْغُولُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ^(٣) ، مَلُوكُهُمْ مِنْ عَزَّ بَزٌّ ، مَعَ إِنْفَاقِ الْمَالِ ^(٤) ، وَشُغْلِ الْبَالِ ، وَشِدَّةِ الْخِطَارِ ^(٥) ، وَالتَّغْيِيرِ بِالْكُلِّ .

١٣ - فصل منه

فَإِنْ قَالُوا : فَمَا صِفَةُ أَفْضَلِهِمْ ؟

قُلْنَا : أَنْ يَكُونَ أَقْوَى طِبَاتِمَهُ عَقْلَهُ ، ثُمَّ يَصِلَ قُوَّةَ عَقْلِهِ بِشِدَّةِ الْفَحِيصِ وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ ، ثُمَّ يَصِلَ شِدَّةَ فَحِيصِهِ وَكَثْرَةَ سَمَاعِهِ بِحُسْنِ الْعَادَةِ . فَلِذَا جَمَعَ إِلَى قُوَّةِ عَقْلِهِ ^(٦) عِلْماً ، وَإِلَى عِلْمِهِ حَزْماً ، وَإِلَى حَزْمِهِ عِزْماً ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَبْعَثُهُ .

وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ دُونَهُ فِي أُمُورٍ وَهُوَ يَسْتَحِقُّ مَرْتَبَةَ الْإِمَامَةِ ، وَمَنْزِلَةَ الْخِلَافَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَالٍ لَا يَدُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ أَهْلِ دَهْرِهِ . لِأَنَّ مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُقَامَ فِيهِ إِلَّا أَشْبَهُهُ

(١) القرى ، كقضى : جرى الماء في الروض . ب : « واستوى القرى » ، صوابه ق : م ، ط .

(٢) ب : « وأمر مريح » . والمريح : الغلط . وفي الكتاب العزيز : « فهم في أمر مريح » .

(٣) أي هذا نهجهم وسبيلهم . أي من غلب سلب . وهذا المثل لمليه بن الأبرص ،

أو جابر بن الرأان . وانظر القسبي ٣٢ والناسخ ٨٩ والسكري ٢ : ٢٨٨ والسان (بز) .

(٤) ط فقط : « اتفاق المال » .

(٥) ط فقط : « الخطر » .

(٦) ب ، م : « إلى عقله » بإسقاط « قوة » .

النَّاسِ بِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ . وَمِنَ الاسْتِهَانَةِ بِهِ أَنْ يُقَامَ فِيهِ مِنْ لَا يُشَبِّهُهُ
وَلَيْسَ فِي طَرِيقَتِهِ .

وَلِأَنَّمَا يُشَبِّهُهُ الْإِمَامُ الرَّسُولَ بِأَنْ يَكُونَ لَا أَحَدٌ آخَذَ ^(١) بِسِيرَتِهِ
مِنْهُ . فَكَمَا أَنْ يُقَارِبَهُ أَوْ يُدَانِيَهُ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ ، وَلَا يَسَعُ تَمَنِّيهِ ، وَالْدُّعَاءُ بِهِ .

١٤ - فصل منه

وَإِذَا كَانَ قَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ جَرَى بَيْنَهُمُ التَّنَافُسُ
وَالشَّاحَةُ عَلَى مَا وَصَفْنَا فِي يَوْمِ السَّقِيْفَةِ ، ثُمَّ صَنِيعُ أَبِي بَكْرٍ وَقَوْلُهُ لَطْلُحَةً
فِي عَمْرِ ، وَصَنِيعُ عَمْرِ فِي وَضْعِ الثُّورِ وَتَوْعِيلِهِمْ لَهُ بِالْقَتْلِ إِنْ هُمْ لَمْ
يُغَيِّمُوا رَجُلًا قَبْلَ انْقِضَاءِ اللَّيْلِ ، وَنُجُومِ الْقِتْنَةِ ، ثُمَّ صَنِيعُ عُثْمَانَ وَقَوْلُهُ
وَصَبْرُهُ حَتَّى قُتِلَ دُونَهَا وَلَمْ يُحْطَعْهَا ، وَأَقْوَالُ طَلْحَةَ ^(٢) وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ
وَعَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهَا ، لَيْسَتْ بِحِجَّةٍ عَلَى مَا قُلْنَا - فَلَيْسَتْ فِي
الْأَرْضِ دَلَالَةٌ وَلَا حِجَّةٌ قَاطِعَةٌ ^(٣) .

وَفِي هَذَا الْبَابِ الَّذِي وَصَفْنَا ، وَنَزَّلْنَا ^(٤) مِنْ حَالَاتِهِمْ وَبَيَّنَّا ، دَلِيلُ
عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ إِقَامَةَ الْإِمَامِ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَأَنَّ الشَّرْكَاءَ عَنْهَا
مَنْغِيَةٌ ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَجْمَعُ صَلَاحَ الدِّينِ وَإِشَارَةَ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

(١) ب : « الآخذ آخذ » م : « لا آخذ آخذ » ط : « بأن يكون آخذاً » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ب ، م : « وقال طلحة » ، صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « ونولنا » ، وفي ط : « وبيئنا » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ظاهره » ، صوابه بالمهمله كما في ط .

١٥ - فصل منه

وأى مذهب هو أشنع ، وأى قول هو أفحش ، من قول من قال :
لأبد للشاهد من أن يكون طاهراً عدلاً مأموناً ، ولا بأس^(١) أن يكون
القاضي جائراً ، نطقاً فاجراً^(٢) ، وهذا لا يشبه حكم الحكيم ، وصفة
الحليم ، ونظر المرشد ، وترتيب العالم .

(١) في الأصول : « ولا يأمن » .

(٢) الخطف : الذى ينطف بالفسجور ، أى يرى به ويقذف ، أى من أهل الريّة .

ب ، م : « نطقاً » ط : « نطقاً » صوابه بالفاء كما أثبت .

٢٩

من كتابه في

مقالة السريية والرافضة

١ - فصل

من صلوات كتابه في مقالة الزيدية والرافضة^(١)

اعلم - يرحمنا الله وإياك - أَنَّ شِيعَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَيْدِيٌّ
وَرَافِضِيٌّ ، وَبَقِيَّتُهُمْ يَدُّ لَانْتِظَامٍ لَمْ ، وَفِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا غَنَاءٌ^(٢) عَمَّنْ
سِوَاهُمَا^(٣) .

قالت علماء الزيدية : وجدنا القُصْلَ في الفعل دون غيره ، ووجدنا
الفعل كُلَّهُ في أربعة أَقْسَامٍ :

أولها : القِدَمُ في الإسلام حين لا رَغْبَةَ ولا رَهْبَةَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ .
ثم الزُهْدُ في الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ في الدُّنْيَا^(٤) أَرْغَبُهُمْ في الآخِرَةِ ،
وَأَمْنُهُمْ عَلَى نَفَاسِ^(٥) الْأَمْوَالِ ، وَعَقَاتِلِ النِّسَاءِ ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ .

ثم الفَقَهُ الذي بِهِ يَعْرِفُ النَّاسُ مَصَالِحَ دُنْيَاهُمْ ، وَمَرَاشِدَ دِينِهِمْ .

ثم المَشْتِيُّ بالسَّيْفِ كِفَاحاً في اللَّبِّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَتَأْسِييسِ الدِّينِ ؛
وَقَتْلُ عَدُوِّهِ وَإِحْيَاءُ وَلِيِّهِ ؛ فَلَيْسَ فَوْقَ بِلَلِ الْمُهْجَةِ وَاسْتِغْرَاقِ الْقُوَّةِ
غَايَةٌ يَطْلُبُهَا طَالِبٌ ، أَوْ يَرْتَجِيهَا رَاغِبٌ^(٦) .

وَلَمْ نَجِدْ قَوْلًا خَاصًّا فَتَدَكَّرَهُ .

(١) حاشي الكامل ٢ : ٢٩١ - ٣٠١

(٢) الفناء ، بالفتح : الكفاية . ب : غنا . م : غنى . وأثبت ما في ط .

(٣) ط : ومن سواهما .

(٤) ط فقط : وفي الناس .

(٥) ب فقط : نفس الأموال .

(٦) الكفاح : للمواجهة والمصارعة في الحرب لقاء الوجوه .

(٧) ب فقط : ويرتجىها راغب .

فلما رأينا هذه الخصال منجتمعة في رجلٍ دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم ، وتقديمه دونهم .

وذلك أنا سألنا العلماء والفقهاء ، وأصحاب الأخبار ، وحُمَلَ الآثار ، عن أول الناس إسلاماً ، فقال فريقٌ منهم : عليٌّ ، وقال قومٌ : زيد بن حارثة ، وقال قومٌ : خباب . ولم نجد قولَ كلِّ واحدٍ منهم من هذه الفرقِ قطعاً لَمُتَرِ صاحبه ، ولا ناقلاً عن مذهبه ، وإن كانت الرواية في تقديم عليٍّ أشهر ، واللفظُ به أكثر ^(١)

وكذلك إذا سألناهم عن الدَّابِّين عن الإسلام بمهجهُم ^(٢) . والمأشِين إلى الأقران بسُيُوفهم ، وجَنَناهم مختلفين :

فمن قاتل يقول : عليٌّ رضي الله عنه ، ومن قاتل يقول : الزبير ، ومن قاتل يقول : ابن عَفْرَاء ^(٣) ، ومن قاتل يقول : مُحَمَّد بن سَلَمَةَ ، ومن قاتل يقول : طلحة ، ومن قاتل يقول : البراء بن مالك ^(٤) .

على أن لعلَّ من قتل الأقران والفرسان ما ليس لهم ، فلا أقلُّ من أن يكون عليٌّ في طبقتهم .

وإن سألناهم عن الفقهاء والعلماء ، رأيناهم يعلُّون عليّاً كان أفضههم ^(٥) ، وعمر ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب .

(١) ب ققط : « واللفظ أكثر » .

(٢) ب ققط : « بمهجهُم » ، تحريف .

(٣) انظر حواشي صفحة ٢٠٨ .

(٤) البراء بن مالك : صحابي جليل ، وهو أخو أنس بن مالك الأنصاري . وهو قاتل مروزيان الزوادة ، يوم تستر . انظر الإضبة ٦١٧ .

(٥) ط : « يعلُّون علياً أفضههم » .

على أن علياً كان أفقهم^(١)، لأنه كان يسأل ولا يسأل، ويؤمن ولا يستفتي، ويحتاج إليه ولا يحتاج إليهم. ولكن لا أقل من أن نجملهم في طبقتهم وكلهم.

وإن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف، والمعروفين برفض الدنيا وطلبها، والزهد فيها، قالوا: علي، وأبو الرداء، ومعاذ ابن جبل، وأبو ذر، وعمار، وبلال، وعثمان بن مظعون.

على أن علياً أزهدهم، لأنه شاركهم في خشونة اللبس وخشونة المأكل، والرضا باليسير، والتبليغ بالحقير^(٢)، وظلف النفس^(٣)، ومخالفة الشهوات. وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعمى، فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين. ورقع سراويله بالقد^(٤)، وقطع ما فضل من رذئ^(٥) عن أطراف أصابعه بالشفرة. في أمور كثيرة. مع أن زهده أفضل من زهدهم، لأنه أعلم منهم. وعبادة العالم ليست كمباداة غيره، كما أن زلته ليست كركلة غيره. فلا أقل من أن تعلمه في طبقتهم.

ولا نجدهم ذكروا لأبي الرداء، وأبي ذر، وبلال، مثل الذي ذكروا له في باب الفتاة^(٦) واللّب، وبذل النفس. ولم نجدهم ذكروا للزبير، وابن عفران^(٧) وأبي دجانة، والبراء بن مالك، مثل الذي ذكروا له

(١) ب: «أفقه منهم».

(٢) ط: «والتبليغ» تحريف. والتبليغ بالثي: «الاكفاح».

(٣) ظلف النفس: منها وكفها. ط: «وصلف النفس» تحريف.

(٤) ط: «ورقع سراويله» فقط. وفي ب، م: «بأقر» صواب ما أثبت. والقند،

بالكسر: الصبر يقند من الجلد، أي يقطع.

(٥) الرذن، بالنون: إلثم. ب: «من دونه» ط: «من ودائه» والوجه ما أثبت من م.

(٦) ب، م: «الفتاة» والوجه ما أثبت من ط. وانظر ما سبق في ص ٣١١.

(٧) ب فقط: «وإبن عمر». وانظر ما سبق في حواشي ص ٢٠٨.

من التقدم في الإسلام ، والزهد ، والفقه . ولم نجدهم ذكروا لأبي بكرٍ وزيد ، وخباب ، مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والفناء ، والدُّبِّ بالسيف ^(١) ، ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد .

فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ، متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات ، علمنا أنه أفضلهم ، وإن كان كلُّ رجلٍ منهم قد أخذ من كلِّ خيرٍ بنصيب ^(٢) فإنه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميعُ الخيرِ وصنوفه .

٢ - فصل منه

وضرب آخر من الناس همجٌ هامجٌ ^(٣) ، ورعاعٌ منتشرٌ ، لانظامٍ لهم ، ولا اختيارٍ عندهم ، أعرابٌ أجلاف ، وأشباه الأعراب . يفترقون حيث يفترقون ، ويجمعون حيث يجمعون ^(٤) ؛ لا تُلغى صولتهم إذا هاجوا ، ولا يؤمن هيجانهم ^(٥) إذا سكّثوا . إن أخصبوا طغوا في البلاد ، وإن أجذبوا آثروا العناد .

ثم هم موكلون ببغض القادة ، وأهل الثراء ^(٦) والنعمة ، يتمنون النكبة ، ويشتمون بالعترة ، ويسرون بالجولة ، وترقبون الدائرة .
وهم كما وصفوا الطغاة والسفلة .

(١) ب ، م : « والدب بالسيف » ، وإنما هو « الدب » كما في ط . : الدفاع .

(٢) كل ، ساقطة من م .

(٣) الهجج ، بالتصريك : ذال الناس . وأصل الهجج ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الإبل والنم والحير وأمثها . والهامج : الذي ترك بعضه يهوج في بعض ، أو هو على المبالغة ، كما يقال ليل لائل .

(٤) التكملة من م ، ط .

(٥) م : « تهمهم » .

(٦) ط : « وأهل الثرى » ، وهي صيغة . وفي اللسان : « ترى الرجل يثرى يثرى وثراد ، مئود ، وهو ثرى ، إذا كثر ماله » .

(٦) ب : « وم كلما وصفوا » ، سواها في م ، ط .

وقال عليّ رضي الله عنه في دعائه : « نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملّكوا ، وإذا افترقوا لم يعرفوا » . فهوؤلاء هؤلاء .

وضرب آخر قد فقيها في الدين ، وعرفوا سبب الإمامة ، وأقنمهم الحق وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة ، وعرفوا المحبة ^(١) وعرفوا الميمنة ^(٢) وعرفوا المئدة ، ولكنهم قليل في كثير ، ومختار كل زمان ^(٣) . وإن كثروا فهم أقل عدداً وإن كانوا أكثر فقهاً .

فلما كان الناس عند عليّ وأبي بكر وعمر ، وأبي عبيدة ، وأهل السابقة المهاجرين والأنصار ، على الطبقات التي نزلنا ، والمنازل التي رتبنا ، وبالمدينة منافقون يعضون عليهم الأنامل من القبط ، وفيها بطانة لا يألونهم خبالاً ^(٤) ، لا يخفى عليهم موضع الشدة وانتهاز الفرصة ، وهم في ذلك على بقية ^(٥) ، ووافق ^(٦) ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب ، وتوكلهم بذلك ^(٧) في شكاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصح به الخبر .

ثم الذي كان من اجتماع الأنصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا أحزاباً وقالوا : « منا أمير ومنكم أمير » ، فاشفق عليّ أن يظهر لإرادة القيام بأمر الناس ، مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب من وصفنا حاله ، وبيننا طريقته ، فيحدث بينهم فرقة ، والقلوب على

(١) في الأصول : « المحبة » .

(٢) ب ، م : « ويختار كل زمان » ، والوجه ما أثبت . على أن هذه العبارة ساقطة

من ط .

(٣) أي لا يقصرون في إفساد أرواحهم .

(٤) ط فقط : « على تقية » .

(٥) ب ، م : « ووافق » يقط الواف .

(٦) ب : « في ذلك » .

ما وصفتنا ، والمنافقون على ما ذكرنا ، وأهل الردة على ما أخبرنا ، ومنهب الأنصار على ما حكينا .

فدعاه النظر للذين إلى الكف عن الإظهار والتجافى عن الأمور ، وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه ^(١) ، لا يعادل التفرير بالذين ، ولا يقى بالخطر بالأنفس ^(٢) ، لأن في الهيج الباقية ^(٣) ، وفي فساد الذين فساد العاجلة والآجلة . فاغفر الخمول ضنا بالذين ، وأثر الآجلة على العاجلة ، فدل ذلك على رجاسة طبعه ، وقلة حرصه ، وسعة صدره ، وشدة زهده ، وفرط سباحته ^(٤) وأصالة رأيه .

ومنى سخط نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل ، والأمر الجزيل ، نزل من الله تعالى بقاية منازل الذين .

ولما كانت غايتهم في أمرهم أربح الحالين لهم ، وأعون على المقصود ^(٥) إذ علم أن ملكتهم لا تقوم بإزاء صرف ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم .

(١) ب : « لو كانوا أقاموا » م : « لو كان أقاموه » ، وأثبت الوجه من ط .

(٢) ط : « بالخطر بالأنفس » .

(٣) الباقية : الداهية ، يقال باقهم تبوتهم بوقا : أصابهم ، ومثله فقرتهم الفاقة . ب :

« لأن الهيج الباقية » ط : « لأن في الهيج الباقية » ، وأثبت ما في م .

(٤) ب ، م : « سباحه » . والسباح والسباحة بمعنى هو المساطعة ، وهو الجود والسخاء .

(٥) ب ، م : « وأمرذ المقصود عليهم » صوابه في ط .

(٦) ب ، م : « وواعلم » ، صوابه في ط .

٣ - فصل منه

وإنما ذكرتُ لك مذهبَ من لا يجعل القربة والمصَبَّ سبباً إلى الإمامة ، دونَ مَنْ يجعل القربة سبباً من أسبابها وعليلها^(١) ، لأنَّ قد حكيتُه (في كتاب الرافضة) ، وكان ثمَّ أوقع ، وبهم أليق ، وكرهتُ المعادَ من الكلام والتكرار ، لأنَّ ذلك يُغنى عن ذكره في هذا الكتاب ، وهو مسلك واحد ، وسبيل واحد .

وإنما قصدتُ إلى هذا المذهب دونَ مذهب سائر الزيدية في دلائلهم وحُججهم^(٢) ، لأنَّه أحسنُ شيء رأيتُه لهم . وإنما أحكى لك من كلِّ نجلة قولَ حُذاقهم ودَوَى أحلامهم ، لأنَّ فيه دلالة على غيره ، وغنى عما سواه . وقالوا : وقد يكون الرجلُ أفضلَ الناسِ ويلي عليه^(٣) مَنْ هو دونه في الفضل ، حتَّى يكلفه الله طاعته وتقليده ، إما للمصلحة ، وإما للإشفاق من الفتنة^(٤) ، كما ذكرنا وفسرنا ، وإما للتخليط في الميمنة وتشنيد البَلوى والكلفة^(٥) ، كما قال تعالى للملائكة : ﴿ اسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾^(٦) . والملائكةُ أفضلُ من آدم ، فقد كلفهم الله أغلظَ الميحنِ وأشدَّ البَلوى ، إذ ليس في الخضوع أشدَّ من السُّجود على السَّاجِد له . والملائكةُ أفضلُ من آدم ، لأنَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل عند الله تعالى من المقربين قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بدمرٍ طويل ، لِمَا قَنَمَتْ من العبادة^(٧) ، واحمَلَتْ من ثِقَلِ الطَّاعة .

(١) ب فقط : « وعليلها » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « ولأهم » ، تحريف .

(٣) ب : « ويلي غيره » .

(٤) ب ، م : « وإما إشفاق من الفتنة » ، صوابه في ط .

(٥) أي التكليف . وهذه الكلمة ساقطة من م .

(٦) من الآية ٣٤ من البقرة و ١١٦ من طه .

(٧) ب ، م : « المايمنة » . وجهه في ط .

وكما مَلَكَ اللهُ طالوتَ على بني إسرائيل وفيهم يومئذ داودُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نبيُّهم الذي أخبر عنه ^(١) في القرآن : ﴿ وقال لهم نبيُّهم إِنَّ اللهَ قد بَعَثَ لَكُم طالوتَ مَلِكًا ^(٢) 》 .

ثم صَنَعَ النبي صلى الله عليه وسلم حين وَكَّى زيد بن حارثةَ على جعفر الطيارِ يوم مُؤْتة ، وَكَّى أسامةَ على كبراء المهاجرين وفيهم أبو بكرٍ وعمر ، وسَيِّدُ بَنُ زيد بن عمرو بن نُفَيْل ^(٣) ، وسعدُ بْنُ أَبِي وقَّاص ، ورجالٌ ذُو أخطارٍ ^(٤) وأقدار ، من البَدْرِيِّينَ والمهاجِرِينَ ، والسَّابِقِينَ الأوَّلِينَ .

٤ - فصل منه

ولو تَرَكَ النَّاسُ وَقُوَى عقولهم وجمَّاح طبائعهم ، وغلبَ شهواتهم ، وكثُرَ جَهْلهم ، وشُدَّ نَزاعهم إلى ما يُريدُهم ويُطغِبهم ، حتَّى يكونوا مُمَّ اللِّينَ يحترجون ^(٥) من كُلِّ ما أَفسَدَهم بقدر قواهم ، وحتَّى يقفوا على حَدِّ الضَّارِّ والنَّافِعِ ، ويعرفوا فَضْلَ ^(٦) ما بين الدَّاءِ والدَّواءِ ، والأغْلِيَةِ والسُّمومِ ، كان قد كَلَّفهم شَطَطًا ، وأسَلَمهم إلى علوهم ، وشَغَلهم عن

(١) ب : م ، « ضم » ، صوابه في ط .

(٢) الآية ٢٤٧ من البقرة .

(٣) سيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد المزى العلوي ، أحد البشرة المبشرين بالجنة ، وهو زوج أخت عمر بن الخطاب ، أسلم عمر في بيته . انظر الإصابة ٣٢٥٤ وجمهرة ابن حزم ١٥١ وفي الأصول : « سعد بن عمرو بن نفيل » . وليس في الصحابة من يدعى بهذا الاسم . وانظر المائنة ١٤٦ وكذلك ٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٤٨ .

(٤) ط : « وذو أخطار » فقط ، بإسقاط : « ورجال » .

(٥) الاحتجار : الانتاع . والحجر : المنع .

(٦) الفصل : الفرق . وفي جميع الأصول : « فضل » بالمعجمة . وفي ب : « ويعرف » ،

وهذه محرقة .

طاعته التي هي أجدى الأمور عليهم^(١) وأنفعها لهم ، ومن أجلها عدل التركيب وسوى النبوة ، وأخرجهم من حد الطغولة والجهل إلى البلوغ والاعتدال والصحة ، وتعام الأداة والآلة . ولذلك قال عز ذكره : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢) .

ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة ، وخلّاهم وسبر الأمور^(٣) وامتنحان السموم ، واختيار الأغذية^(٤) ، وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة^(٥) وقلة المعرفة^(٦) وغلبة الشهوة ، وتسلب الطبيعة^(٧) ، مع كثرة الحاجة ، والجهل بالعاقبة ، لأثرت عليهم السموم^(٨) ، ولأفناهم الخطأ^(٩) ولأجهز عليهم^(١٠) ، الخبط ، ولتوكلت الأدوات وترادفت الأسقام ، حتى تصير منابا قاتلة ، وخوفا متلفة ، إذ لم يكن عندهم إلا أخذها ، والجهل بحلّودها^(١١) ومنتهى ما يجوز منها والزيادة فيها ، وقلة الاحتراس من توليدها .

فلما كان ذلك كذلك علمنا أن الله تعالى حيث خلق العالم وسكّانه لم يخلقهم إلا لصلاحهم ، ولا يجوز صلاحهم إلا بتبقيتهم^(١٢)

(١) الأجل : الألف . ب ، م : « اسقى » بالخاء المعجمة ، تحريف ما في ط .

(٢) الآية ٦٦ من التواريخ .

(٣) السبر ، بالباء : الاختيار والامتحان . وفي الأصول : « وسبر الأمور » تحريف .

(٤) ب فقط : « واختيار الأغذية » .

(٥) ب ، م : « وفي ضعف الحيلة » .

(٦) ب : « وقوة المعرفة » ، سواء في م ، ط .

(٧) في الأصول : « وتسلب الطبيعة » .

(٨) ب ، م : « لأثر عليهم السموم » .

(٩) ط : « الخبط » .

(١٠) أجهز عليهم إجهازاً : قضى عليهم . وفي ب : « ولأجهز عليهم » بالراء المعجمة .

تحريف ما في م ، ط .

(١١) ب ، م : « لمحوها » ط : « محوئها » ، والوجه ما أثبت .

(١٢) ب فقط : « يتبقيهم » .

ولولا الأمر والنهي ما كان للتبقيّة^(١) وتعديل الفطرة معنى .

ولما أن كان لا بُدَّ للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين ، بين علو^(٢) حاص^(٣) ومطيع ولي ، علمنا أن الناس لا يستطيعون مُدافعة طبايعهم ، ومخالفة أهواهم ، إلّا بالزجر الشديد ، والتوعّد بالعقاب الأليم في الآجل ، بعد التنكيل في العاجل ، إذ كان لا بُدَّ من أن يكونوا^(٤) منهيين^(٥) بالتنكيل معجلًا ، والجزاء الأكبر مؤجلًا ، وكان شأنهم إيشار الأدنى وتسويف الأقصى .

وإذا كانت^(٦) عقولُ الناس لا تبلغ جميعَ مصالحهم في دُنْيَاهُمْ فهم عن مصالح دينهم أعجز ، إذ كان علم الذين مُستنبطًا من علم اللّٰهيا .

وإذا كان العلمُ مباشرةً أو سببًا للمباشرة^(٧) وعلمُ الدنْيا غامضٌ ، فلا يتَحَصَّلُ^(٨) إلى معرفته إلّا بالطبيعة الفائقة ، والعناية الشديدة ، مع تلقين الأئمة . ولأنَّ الناس لو كانوا يبلغون بأنفسهم غايةَ مصالحهم في دينهم ودُنْيَاهُمْ كان لإرسال الرُّسلِ قليلُ النفع ، يسيرُ الفضل .

وإذا كان الناس مع منفعتهم بالعاجل وحبُّهم للبقاء ، ورغبتهم في النِّماء ، وحاجتهم إلى الكفاية ، ومعرفتهم بما فيها^(٩) من السَّلامة لا يبلغون لأنفسهم معرفة ذلك وإصلاحه ، وعلمُ ذلك جليلٌ ظاهرٌ سببه

(١) ب فقط : « التبقيّة » .

(٢) ب ، م : « علو وعاص » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) في جميع الأصول : « من أن يكون » .

(٤) ب ، م : « منهيين بالسل » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط : « وإذا كانت » .

(٦) ب ، م : « بالمباشرة » .

(٧) ب ، م : « لا يتحصّل » ب سقوط اللام .

(٨) ب ، م : « بما فيه » .

بعضه ببعض، كذلك الحواس وما لاقيه^(١)، فهم عن التحليل والتجوير
وتفصيل التأويل^(٢)، والكلام في مجيئ الأخبار وأصول الأديان،
أعجز، وأجتر^(٣) ألا يبلغوا منه الغاية. ولا يدركوا منه الحاجة^(٤)،
لأن علم الدنيا أمران: إمامي يلى الحواس، وإمامي يلى علم الحواس،
وليس كذلك الدين.

فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه لا بد للناس من إمام يعرفهم
جميع مصالحهم.

ووجدنا الأئمة ثلاثة^(٥): رسول، ونبي، وإمام.

فالرسول نبي إمام، والنبي نبي إمام، والإمام ليس برسول ولا نبي.
وإنما اختلفت أسماؤهم ومراتبهم لاختلاف النوااميس^(٦) والطبائع،
وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض، في التزم والتركيب،
وتغير الزمان بتغير الفرض^(٧) وتبدل الشريعة.

فأفضل الناس الرسول، ثم النبي، ثم الإمام.

فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتلى العلة، ويقيم الناس
على جميل مآثلهم، إذ كانت طبائعهم لا تحمل في ابتلاء الأمر

(١) ب، م: «لاقيه».

(٢) في جميع الأصول: «والصحر» صوابه ما أثبت. وانظر ما سبق في ص ٢٢، ٤٠.

(٣) ب، م: «ويقتل» ط: «ويقتل»، والوجه ما أثبت.

(٤) ب، م: «واسل» صوابه في ط.

(٥) ب، م: «ولا كوا منه الحاجة» صواب هذه ما أثبت. وفي ط: «ولا ك

الحاجة». والكتب: الحقيقة.

(٦) ب فقط: «ثلاث»، تحريف.

(٧) ب: «التوكان» م: «التومان»، وأثبت ط.

(٨) ط: «والفرض».

أَكْثَرَ مِنَ الْجُمْل . ولولا أَنَّ في طاقة الناس قَبُولَ التَّلْقِينِ وفَهْمَ الإرشادِ ،
 لكانوا هملاً ، وَلَتَرَكُوا نَشْرًا جَشْرًا^(١) . ولسَقَطَ عنهم الأمرُ والنهي .
 وَلَكُنْهُمْ قد يَفْضَلُونَ بَيْنَ الْأُمُورِ إذا أوردت عليهم : وَكُفُّوا مَثُونَةَ
 التَّجَرِبَةِ : وَعِلَاجَ الاستنباط . ولن يبلِّغُوا بذلك القَدْرَ قلَّدرَ المستغني
 بنفسه ، للمستبدِّ برأيه ، المكففي بفطنته عن إرشاد الرُّسُلِ ، وتلقين
 الأئمة .

ولمَّا جاز أن يكون الرُّسُولُ مرَّةً عربيًّا ومرَّةً عجميًّا ، وليس له بيتٌ
 يُخْطَرُهُ^(٢) ولا شرفٌ يَشْهَرُ موضِعُهُ ؛ لِأَنَّهُ حين كان مبتدئًا : الْعِلْمَةُ وَمُخْرِجُ
 الشَّرِيعَةِ ، كان ذلك أَشْهَرَ من شَرَفِ الحَصْبِ المذكور ، وَأَنْبَأَهُ من البيت
 المقدم . ولأنَّه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب ، إلى القاهر المعقول^(٣)
 والواضح الذي لا يُخِيلُ أن يَشْتَهَرَ^(٤) مثله في الآفاق . ويستفيض
 في الأطراف^(٥) حتَّى يَصْدَعَ عقل الغبيّ ، ويفتقَ طبع العاقل^(٦) .
 وينقص عَزَمَ المعاند^(٧) . وَيَنْتَبِهُ مَنْ أَطَالَ الرِّقْدَةَ^(٨) وَتَخَفَّضَ
 الرُّقَابَ^(٩) وتضرع الخُلُودَ^(١٠) حتَّى يتواضع له كُلُّ شرف ، وَيَتَخَنَّعَ

(١) ب : «نشرا وحشرا ط : «نشرا حشرا» م : «نشرا أو حشرا» ، والوجه ما أثبتت .
 والجشر ، بفتح الجيم أو يفتحها مع فتح الشين ، يقال بنو فلان جشرا إذا كانوا يبيتون مكانهم
 لا يأتون بيوتهم ولا يرجعون إل أهلهم .
 (٢) أخطره إخطاراً : جعله ذا خطر وقدور . وفي م ، ط : «يحطره» ، تحريف ما أثبتت
 من ب .

(٣) ب : «القاهر المعقول» .

(٤) ب ، م : «الذي يشتهر» .

(٥) في الأطراف ، ساقطة من م .

(٦) ط : «ويضيح طبع العاقل» ب ، م : «ويقيق طبع العاقل» ، والوجه ما أثبتت .

(٧) ط : «المعاند الأصيل» .

(٨) ب ، م : «من طول الرقدة» .

(٩) ب ، م : «ويخفض الرقاب» .

(١٠) ب ، م : «ويضرع» . وفي جميع الأصول : «الخلود» صوابه بالغاء المعجمة .

له كل أنف^(١) ، فلا يحتاج حاله معه إلى حال ، ولا مع قدره إلى حسب .
وعلى قدر جهل الأمة وغباء عقولها ، وسوء رعتها^(٢) ، وخُبث عاداتها ،
وغلظ محتنتها ، وشدة حيرتها ، تكون الآيات . كقُلْ لِّلْبَحْرِ ، والمُنْفِي
على الماء ، وإحياء الموتى ، وقصر الشمس عن مجراها^(٣) . لأن النبي الذي
ليس برسول ولا مبتدئ ، ملأه بولامتنى شريعة ، إنما هو للتأكيد والبشارة ،
كإشارة النبي بالرسول الكائن على غابر الأيام^(٤) ، وطول الدهر .

وتوكيد المبشر يحتاج من الأعلام إلى دون ما يحتاج إليه المبتدئ
لأصل الملة ، والمظهر لفرض الشريعة^(٥) ، الناقل للناس عن الضلال
القليهم ، والمادة السيئة ، والجهل الراسخ . فلذلك التقى بشهرة أعلامه ،
وشرف آياته^(٦) ، وذكر شرائعه ، من شهرة بَيِّنَتِهِ وشرف حسبه ، لأنه
لا ذِكْرَ إِلَّا وهو خامل عند ذِكْرِهِ . ولا شَرَفَ إِلَّا وهو وضع عند شرفه .

• • •

انتهاء الفصول التي اختارها عبید الله بن حسان من كتب أبي عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ . رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من نسخ
هذه النسخة يوم الجمعة المبارك الثامن عشر من شهر صفر الخير ، من
شهور سنة أربع وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على
صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية ، على يد كاتبها الفقير عبد الله
المنصورى ، اللهم اغفر له ولوالديه آمين ، آمين ، آمين .

(١) يخ : يلك ويطلع . ب ، م : « ويختل » وجهه ما أثبت . وقد : « ويرغم » .

(٢) الرعة ، كلمة : الورع والتعرج . و « سوء رعتها » ساقط من ط .

(٣) إشارة إلى قصة يوشع أو يشوع عليه السلام ؛ وهو يحارب أعداءه حيث « وقتت

الشمس في كبد الساء ولم تميل للغروب نحو يوم كامل » . سفر يشوع ١٠ : ١٢ - ١٣

(٤) القابر من الأعداء ، يقال لماضي من الزمان والباقي .

(٥) ب : « وشرف حسب آياته » وكلمة « حسب » مقحقة هنا . وما بعد كلمة .

(٦) هذا هو خطام نسخة المخطف البريطاني .

واليك نص ختام النسخة التيمورية :

اتهاء الفصول التي اختارها عيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله .

وكان القراغ من نسخ هذه النسخة في يوم الجمعة المبارك الموافق لثلاث خلعت من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ خسة عشر (كلنا) وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد تم نسخها بيد العبد الحقير ، المعروف بالعجز والتقصير ، عبد أهل السنة والجماعة ، الخاضع لله بالدعاء والطاعة ، الراجي لطف ربه الغني محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بيمينه وكرمه . والصلاة والسلام على خير خلقه ، والحمد لله وحده .

تمت بحمد الله وعونه وحسن توقيفه . آمين .

وقد نقلت هذه النسخة المباركة من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب لأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة كاتبها أبي القاسم (كلنا) عيد الله بن علي رحمه الله .

• • •

وهذا نص ختام المطبوعة على هامش الكامل :

اتتهت الفصول التي اختارها عيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

• • •

أتممت تحقيق هذه النسخة وتحريرها صبيحة الجمعة في السادس من رجب سنة ١٣٩٩ .

وقه الحمد على ما أنعم ، وهو ولي التوفيق .

عبد السلام محمد هارون

الفهارس الفنية

لتصميم : الأول والثاني

من الفصول المتأخرة

١- فهرس القرآن الكريم

- أتى : أتأتون الذكران من العالمين وتلدون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم
١٥٨ : ١
- لجر : ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ١٠١ : ٢
- أسف : فلما أسفونا انتقمنا منهم ٣٣٦ : ١
- أنس : فلأن أنسهم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ١٠١ : ٢
- برح : فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير
الحاكمين ١٣٢ : ٢
- بسط : بل يلهاء مبسوطان ٣٤٦ ، ٣٣٧ : ١
- بعث : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا
٢١٥ : ٢
- وقال لم نبينكم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ٣١٨ : ٢
- بنى : ابن لي صرحاً ٣٠٤ : ١
- تلو : وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن
غير هذا أو ببله ٢٧٦ : ١
- وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ٢٧٥ : ١
- ثلث : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ٣٣٤ : ١
- جير : الجبار المتكبر ١٧٤ : ٢
- جزى : وذلك جزاء المحسنين ٣١٠ : ١
- جعل : ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ٣٧ : ١
- لم نجعل له من قبل سمياً ٣٠٥ : ١
- اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ٢٧٢ : ١
- اجعلني على خزائن الأرض إني خفيظ عليم ١٣٤ ، ١٠١ : ٢
- جلو : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ٣٣٦ : ١
- جهر : أرنا الله جهرة ٢٧٢ : ١
- لايحب الله الجهر بالسوء من القول ١٢ : ٢
- حجج : ثلثا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ٢٤١ ، ٢٤٠ : ١

- حرم : إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... ٢ : ١٦٣
 يأبى الذين آمنوا لا يحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتوا
 ٧ : ٨٠
- حسد : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله... ١ : ٤
 حوط : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ... ٢ : ٨
 خرج : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ٢ : ١٥٩
 خلق : خلقتنى من نار وخلقته من طين ... ١ : ٦
 ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ... ١ : ٦٠
 وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله ... ١ : ٣٤٨
 وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون... ٢ : ٤٢ ، ٣١٩
 دخل : فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء
 الله آمنين ... ٢ : ١٣١
- درك : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ... ٢ : ٨
 ذكر : وليس الذكر كالأنثى ... ١ : ٥١
 ذهب : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ... ١ : ٢٧٧
- رسل : هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
 ولو كره المشركون ... ١ : ٢٦٨ ، ٢٢٥
- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر
 إن كنتم لا تعلمون ... ١ : ٣٠٥
 وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا... ١ : ٢٢٥
 وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون
 فى الأسواق ... ٢ : ٢٥٧
- زوج : وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم (فى قراءة أبى ، وابن مسعود)
 ١ : ١٩٢
- زين : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقطرة
 ١ : ١٤٢
- سأل : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى
 أكبر من ذلك فقالوا أرنأ الله جهرة فأخلى لهم الصاعقة ٢ : ١٠
 فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنأ الله جهرة ٢ : ١١-١٢

- سجد : اهبوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ٢ : ٢١٤ ، ٣١٧
 سمو : له الأسماء الحسنى ... ٢ : ١٧٤
 وهو الله فى السموات والأرض... ٢ : ١٥
 سوى : فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ١ : ٢٤٨
 شرى : وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه ٢ : ١٣١
 شكر : لئن شكرتم لأزيدنكم ... ٢ : ٢٣٦
 صانع : لا يصدعون عنها ولا يترفون ... ١ : ٤٣
 صنف : وجاء ربك والملك صفاً صفاً ١ : ٣٣٧ / ٢ : ١٣ ، ١٥
 صمم : صمم بكم عى فهم لا يعقلون ... ٢ : ١٥
 صنع : لتصنع على عيني ... ١ : ٣٣٦
 طحو : والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فأنهها فجورها و تقواها
 ٢ : ٥٩
 طفاً : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله من نوره ولو كره
 الكافرون ... ١ : ٢٢٥
 طوف : وليطوفوا بالبيت الشئى ... ٢ : ١١٩
 طوى : والسموات مطويات بيمينه ... ١ : ٣٣٦
 عجب : بل عجبى ويسخرون ... ١ : ١٠٨
 وإن تعجب فصجب قولم ... ١ : ١٠٨
 عذب : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ... ٢ : ١٣٨
 عرش : على العرش استوى ... ١ : ٣٣٦
 عرض : وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ... ١ : ٦١
 عشر : قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ... ١ : ٢٧٧
 عفف : ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف
 ٢ : ١٠١
 عين : إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى
 صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين . لا يسهم فيها نصب
 وما هم عنها بمخرجين ... ١ : ٢١
 غل : يد الله مغلولة ... ١ : ٣٣٤ ، ٣٤٥

- غيب : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ... ٢ : ٨
تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا ... ٢ : ٨ ... ٩
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ... ٢ : ٩٠٨
فرد : رب لا تتركني فرداً وأنت خير الوارثين ... ١ : ٥٠
فطر : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا
١ : ٦٩
فعل : قالوا أنت فعلت هذا بالحقنا بالإبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم إن كانوا يتلقون ... ٢ : ٢٣٤
فقر : إن الله فقير ونحن أغنياء ... ١ : ٣٣٤
قتل : ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا
٢ : ١١٢
قرأ : فاقرموا ما تبسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون
يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ... ٢ : ١١٢
قرض : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ... ١ : ٣٤٣
قسم : لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد ... ٢ : ١١٩
قضى : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
٢ : ١١٢
اقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا لينغر
لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ... ٢ : ١٣٣
قول : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله ... ١ : ٣٠٣
الذين قالوا إنا نصارى ... ١ : ٣١١
قالت النصارى المسيح ابن الله ... ١ : ٣٣٤
قوم : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ٢ : ١٠١
كتب : ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه
إلا قليل منهم ... ١ : ٢٤٤ / ٢ : ١٢
كرم : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ... ٢ : ٢٣٦

- كفر : وقال الذين كفروا إن هنا إلا إنك اقرأه وأعانه عليه قوم آخرون
٢٧٦ : ١
- كلم : كلم الله موسى تكليماً ٢٣٧ : ١
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ٢٤٧ : ١
- كون : ما يكون لك أن تتكبر فيها ١٧٩ : ٢
- لسن : بلسان عربي مبين ٢٣٧ : ٢
- مثل : ليس كمثل شيء ١٠ ، ٦ : ٢
- مكن : إنك اليوم مكين أمين ٢٣٤ : ٢
- ملك : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ... ١٣١ : ٢
- ملل : مله أياكم إبراهيم ١٩٢ : ١
- نزل : وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة ١ : ٢٧٦
- تنزل الملائكة والروح ١ : ٣٤٩
- نسر : وقال نوسة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها
١٣٢ : ٢
- نضر : وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ١ : ٢/٣٣٦ : ١٥٤٩٤٨
- نعم : وأما بنعمة ربك فحدث ١١٤ : ١
- نفخ : فنفخنا فيه من روحنا ٣٤٨ : ١
- هبط : اهبطوا مصر الآن لكم ملائمتكم ١٣١ : ٢
- وجد : لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ... ١ : ٣١٠
- وحى : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ١ : ٣٤٩
- وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا
بيوتكم قبلة ١٣١ : ٢
- ودد : ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً
٤ : ١

الفهرس الثاني

٢ - فهرس الحديث

- أبلى الله من نفسك عنراً ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله... ٢ : ٩٨
 أما والله ما علمتكم إلا لتقتلوا عند الطمع وتكثرون عند القزع ٢ : ٢٩١
 إن ربي خبرني أنه قد قتل ربك البارحة ... ١ : ٢٦٩
 أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش ونشأت في بنى سعد بن بكر
 ٢ : ١١٧ ، ٢٣٨
 الأنثى من قریش ... ١ : ٢٩٣
 حوالينا ولا علينا ... ٢ : ١٠٢
 دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ... ١ : ٤
 سيدة نساء العالم خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ،
 وآسية بنت مزاحم... ٢ : ١٣٣
 شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان ... ١ : ١٧٤
 العظيمة رداء الله فمن نازعه رداه قصمه ... ٢ : ١٧٥
 فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... ١ : ٢١
 لا تأتوا النساء في محاشهن ... ٢ : ١٦٢
 لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر ليلة البدر ... ٢ : ١٢
 اللهم اشدد وطأتك على مضر ... ١ : ٢٦٧
 اللهم ستين كسفى يوسف ... ١ : ٢٦٧
 اللهم مزق ملكه كل ممزق ... ١ : ٢٦٨
 ليس بمؤمن من بات شبعاناً وجاره طار ... ١ : ١٣
 ليس من طعام قوى ... ٢ : ١١٧
 ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت عليه مؤنة الناس ... ٢ : ١٩٥
 من أخرب خزائن الله فعليه لعنة الله ... ٢ : ١٣٣
 مولى القوم منهم ... ١ : ١٧١
 وإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوه ... ١ : ٣١٨
 الولاء لحمه كالحمة النسب ... ١ : ١٧١

الفهرس الثالث

٣- فهرس النصوص المأثورة

- الإنجيل : أنا أذهب إلى أبي وأبيكم وإلى والديكم ٣٣٠ : ١
 يا أباي في السماء تقلمس اسمك ٣٣٠ : ١
 التوراة : إسرائيل بكرى وبنيه أولادى ٣٣٠ : ١ ٣٣٤
 صولداك غلام ويسمى لى ابناً واسمى له أبا ٣٣٠ : ١
 خلق الله الأشياء بكلمته ٣٣٥ : ١
 بنزاعى الشديدة أخرجكم من أهل مصر ٣٣٥ : ١
 الوصايا العشر : إني أنا الله الشديد ، وإني أنا الله الضعف ، وأنا النار ٣٣٥ : ١
 إشعياء : سكنت قال : هو متى أسكت ؟ مثل المرأة ٣٣٦ : ١
 احمد الله حمداً جليداً ، احمده فى أقصى الأرض ٣٣٥ : ١
 الزبور : وانتبه الله كما ينتبه السكران ٣٣٥ : ١
 أصغ إلى سمعك يارب ٣٣٥ : ١
 وافتح عينك يارب ٣٣٥ : ١
 الأحنفت بن قيس : نحن أغلى منكم بركة ، وأكثر منكم بحرية ١٣٨ : ٢
 أكرم بن صفي : ما أحب أنى مكفى كل أمر الدنيا ٢١٢ : ١
 الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ٢ : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٥
 أبو بكر : طوبى لمن مات فى نأنة الإسلام ٢ : ٣٥
 أبو بكر ، وعمر : نحن الأئمة وأئمة الوزراء ٢ : ٢٩٣
 أبو بكر الهذلى : نحن أكرم بلاداً وأوسع سواداً ١ : ١٤٧
 رجل لعبد الملك بن مروان : أراك الله فى بنيك مألرى أباك فيك ، وأرى
 بنيك فيك مألراك فى أبيك ١ : ١٤٨
 جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ٢ : ١٣٩
 الحجاج بن يوسف : والله إن ترونى إلا شيطاناً ، واقبلربما رأيتى وإنى لأهمل
 رجل إحداهن ١ : ٩٧ ، ١٤٦

الحسن البصري: الحسد أسرع في الدين من النار في الخطب الياس ١ : ٤
زياد بن أبيه : قصبة خير من نخلة ٢ : ١٤٦

سعيد بن المسيب : ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر
ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم قضاء إلا وقد علمته
٢ : ٢٥٧

عبد الله بن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم
١ : ٢٤٣ / ٢ : ١١٠

عبد الله بن عمر : وقعت في يدى جارية يوم جلواء كأن عظمها ليريق
فضة ٢ : ١٦٤

عبد الله بن عمرو : البركة عشر بركات ، تسع بمصر ، والواحدة في جميع
الأرض ٢ : ١٣٤

عبد الله بن وهب : حب الحرني يكسب النصب ١ : ٢١٢
علي بن أبي طالب : قيمة كل امرئ ما يحسن. ١ : ٢٩
نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا ، وإذا افترقوا لم يعرفوا
٢ : ٣١٥

عمر بن الخطاب : أثروني لا أعرف طبيب الطعام ؟ لباب البر بصغار المعزى
٢ : ١١٧

إنا إذا خلونا كنا كأحدكم ١ : ٩٦
عمر الله البلدان يحب الأوطان ١ : ٢٤٣ / ٢ : ١١٠
من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً
٢ : ١٦٤

والله لاتعبد الله سراً بعد هذا اليوم ٢ : ٣٥
عمر بن لجأ : أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه ١ : ٤١
كاهنة اليمن : لله در الديار ، لقريش التجار ٢ : ٢٥٦
معاوية بن أبي سفيان : يصلون أوطانهم بقطعة أنفسهم ١ : ٢٤٤
موسى عليه السلام : إن روح الله مع كل أحد ١ : ٣٤٩

أقوال غير منسوبة

- إذا أبردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم ... ٢ : ٢٢٢
- اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه ... ٢ : ٢١٩
- أكرم الصفايا أشدها ولماً إلى أولادها ... ٢ : ١١٤
- العجب ترك التعجب من العجب ... ١ : ١١٦
- القلوب بيد الله ... ١ : ٣٣٧
- لاخير في طول الراحة إذا كان يورث الفضلة ... ٢ : ٨٦
- لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب ... ١ : ١١٦
- لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا . فإذا تقاربوا هلكوا ... ١ : ١٤٩
- لو أن رجلاً ذكر الله تعالى وآخر يسمع له كان المملود للمستمع من الأجر
والمذكور له من الثواب واحداً ، وللمتكلم به عشرة أو أكثر
- ٢ : ٢٣٦
- مارأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: تَفَسَّس دأبهم ، وقلب هائم ، وحزن لازم
٥ : ١
- مثل الإمام الجائر مثل المطر ، فإنه يهدم على الضعيف ، ويمتنع المسافر
١ : ١٠١
- المرء مع من أحب ، وله ما أحسب ... ٢ : ١٩٤
- المسافر ومتاعه على قلت إلا من حفظ الله ... ١ : ٤٨
- من غلا دماغه في الصيف غلت قلبه في الشتاء ... ١ : ٢١٢

الفهرس الرابع .

٤ - فهرس الأمثال

أبصر من عقاب ...	١٨٥ : ٢
أبى من الفيت ...	٨٤ : ١
أجمع من ذرة ...	١٨٦ : ٢
أحذر من عقق ...	١٨٥ : ٢
أحرص من كلب ...	١٨٦ : ٢
أحسن من القمر ...	٨٤ : ١
أحسن من يوم الحيلة ...	٨٤ : ١
أحق من جمل ...	١٨٥ : ٢
أحقر من جمل ...	٣٠٠ : ١
أحق من الضيع ...	٢٠ : ١
أرق طباعاً من الهواء ...	٨٥ : ١
أروغ من ثعلب ...	١٨٦ : ٢
أضنى من لافطة ...	١٨٦ : ٢
أسرع من السيل إلى الحدور ...	١٦٣ : ١
أسمع من فرس ...	١٨٥ : ٢
أشجع من صبي ...	١٨٦ : ٢
أشد إقداماً من الأسد ...	١٨٥ : ٢
أصبر من ضب ...	١٨٦ : ٢
أضوأ من الشمس ...	٨٤ : ١
أطهر من الماء ...	٨٥ : ١
أعيا من باقل ...	٢٠ : ١
أغدر من ذتب ...	١٨٦ : ٢
أغفل من هرم ...	٢٠ : ١
ألج من الذباب ...	١٦ : ١
ألح من الذباب ...	١٦ : ١

أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ	٨٥ : ١
إِنْ الْهَوَى يَعْصِي وَيَعْصِم	١٤٧ : ١
أَنْفَهُ فِي أَسْلُوب	١٨٥ : ٢
أَهْدَى مِنْ قَطَاة	١٨٥ : ٢
أَهْدَى مِنَ النَّجْم	٨٥ : ١
أَهْوَنُ مِنْ ذَرَّة	٢٥٣ : ١
أَهْوَنُ مِنْ كَلَابِ الْحَرَّة	٢٥٤ — ٢٥٣ : ٢
أَوْثَبُ مِنْ فَهْد	١٨٥ : ٢
أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْلَب	٧٨ : ٢
الْحَاجَةُ تَفْتِيحُ الْحِيلَةِ	٢٩٠ : ٢
حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ	٢٠٢ : ٢
الْحَرَّةُ تَجْمُوعٌ وَلَا تَأْكُلُ بِثَلَاثِهَا	١٧ : ١
الْحَنَظُ عَلَقُ الدَّهْنِ	٢٩ : ١
الْمَاقِلُ مِنْ خَزَنِ لِسَانِهِ وَوَزْنِ كَلَامِهِ وَخَافَ التَّدَامَةَ	١٥١ : ٢
غَمَزَ فِي قَفَا النَّدِيمِ	١٠٣ : ١
فِي رَأْسِهِ نَعْرَةٌ	٨٥ : ٢
قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ	٣٤ : ٢
لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ	٢١٣ : ٢
لِكُلِّ مَكَانٍ مَقَالٌ	١٥٢ : ٢
مَاتَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئاً	١٠٣ : ٢
مَنَازِكَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِعَقْوَاهَا	٢٩ : ١
الْمَرْءُ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ	٧٨ : ٢
مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ	٢٢٤ : ٢
مَنْ جَهَلَ عِلْماً عَادَاهُ	٢٣٧ : ٢
مَنْ شَابَ شَيْبَ لَه	١٠٥ : ١
مَنْ عَزَّ بَرٌّ	٣٠٥ : ٢ / ١٥٠ : ١
مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَه	٧٨ : ٢
هَلْ يَزْعُرُ النَّخْلَةَ سَقُوطُ الْبَعُوضَةِ	٩٣ : ١
هَلْ يَضِيرُ الْقَمَرُ نِيَّاحُ الْكَلْبِ	٩٣ : ١

الفهرس الخامس
٥ - فهرس الأشعار

١١٦:١	(حارثة بن بدر)	طويل	فيعجبا
١٤٥:١	عكاشة بن محصن	بسيط	عُتابا
٢٩٥:٢	—	طويل	تككبوا

ح

٧٧:٢	هارون الرشيد	مجزو الكامل	صلاحه
------	--------------	-------------	-------

د

٢٠٢:٢	(أنس بن مدركة)	وافر	يسود
١٣٨:٢	الخليل بن أحمد	بسيط	ميعاد
١١٦:٢	—	وافر	ينادي

ر

٨٥:١	(أبو نواس)	مجزو الوافر	نظرا
٦٦:١	(الرخال بن عزرة)	طويل	الظهر
١٤٤:١	ورقاء بن زهير	—	أبادر
٩٨:٢	ابن هرمة	بسيط	واكتار
٣٣٧:١	محمد بن حازم الباهلي	متقارب	مقاديرها
٢٩٣:٢	قيس بن سعد	طويل	التشاجر

ع

١٩٢:٢	—	بسيط	ينخدع
-------	---	------	-------

ف

٢٥٦:٢	أبو ذؤيب الحنبل	وافر	الألوف
٢٠٢:١	—	طويل	المجفف

ل

٣٤٠:١	—	طويل	لخيلُ
١٧٤:٢	(الفرزدق)	كامل	ما يتحلحلُ
٩٨:١	اللعين المنقرى	وافر	النبالِ

م

٢٢٤:٢	زيد الخيل	طويل	لغارمُ
٣٤٠:١	زهير	بسيط	ولا حرمُ
٣٦:١	—	٥	شومُ
٥٨:١	أبو دواد الإيادى	خفيف	سنامُ

ن

٢٠٤:٢	الطرماح	طويل	المواطنِ
١٠:١	—	سريع	أحرانِه

الفهرس السادس

٦ - فهرس اللغة^(١)

١

أبل	: الأبابيل ١١٩ : ٢
أبى	: تاتى المجرّب ٣١ : ٢ الأتوى ١٨٨ : ٢
أثر	: أفرها ١٥٨ : ٢ المؤثر عنها ٢٣٤ : ١
أثم	: أثاماً ٧ : ١
أجل	: الآلة ٥٩ : ٢
أخر	: آخره ٨ : ٢
أخو	: الأوانى ٢٠١ : ٢
أرم	: الأرومة ٢٠٤ : ٢
أرى	: أواريتها ١٣٧ : ٢
أزد	: مازور ٦ : ١
أزل	: الأزل ٢٦٧ : ١
أسر	: الأسر ٣١٦ : ١ الأسر ٢٧٠ : ٢
أسو	: آسوا فقراءكم ٣٤٢ : ١
أشر	: الأشر ٢٩١ : ٢
أسكر	: الأكرة ١٠٢ : ٢
أكل	: تأكل ثلبيها ١٧ : ١ الأكلة ١١١ : ٢
ألب	: ألب ٧ : ١
ألف	: الإيلاف ٤٧ : ١

(٥) ما وضع من الأرقام بين قوسين فهو من تفسير الملاحظ ، وما وضع من الألفاظ بين قوسين فهو ما لم يرد في المعاجم المتأولة .

آله	: تتأله ١ : ٤٧ إلهيته ١ : ٢٥٣
ألو	: لا يألونهم خبالا ٢ : ٣١٥
أمم	: الأمم ١ : ١٦٦
أنس	: الأنسة ١ : ٢٣٤
أوس	: الآس ١ : ٦٤
أيس	: الإياس ٢ : ٢٢٥
أي	: أييثن ٢ : ١٠٠

ب

بأو	: بأو السلطان ١ : ٣٢٠ بأو القدرة ٢ : ٣٠٢
ببر	: الببر ١ : ٣٢٧
ببت	: الانبتات ١ : ١١٥
بجد	: البجادي ٢ : ٢٦٩
بجح	: تبجح ٢ : ١٨٥
بحن	: البحنة ٢ : ١٤٥
بخس	: مبخوس حظه ٢ : ٢٤٨
بخع	: يبيع له ٢ : ٣٢٣ بخعت ١ : ٢٥٤ - ٢٧٩
بدأ	: البادي ٢ : ١٤٤
بدد	: (يتبدد) ١ : ٢٤٦ الباد ١ : ٥٧ - ١٠٠ البادان ١ :
	١٥٦ البدة ١ : ٢٥٠ - ٣٠٦
بدع	: الابتداع (١ : ٢٩٠) أبدعت ٢ : ٩٠
بدو	: بادوه ١ : ٢٧٤ أبديت ٢ : ١٥٦ تبدى ٢ : ١٧٧ -
	٢٧٢ البادي ٢ : ١١٨ المباداة ١ : ٩٥ - ١٠١ المبني
	١ : ٢٧١ البدوات ١ : ٩٢ - ٢٠٢

بنحوها ١ : ٣١٥	بذخ
بنث ١ : ١٧٩	بذ
الباذق ٢ : ٢٦١	بنق
برأ ١ : ٢٦٣ برئ ١ : ٢٦٣ برئ اللون ١ : ٩١	برأ
البوارج ٢ : ١٠٥	برج
البردية ١ : ٨٤	برد
أبروا على أهل الأرض ٢ : ١٣٣ المير ٢ : ١١٤	برر
أبرخ للفضيلة ٢ : ٢٢٢	برع
البورق ٢ : ١٦١	برق
أصحاب البرانس ٢ : ٢٨	برنس
بز ٢ : ٣٠٥	بزز
البوازي ١ : ٣٣ البزيون ٢ : ٣١٤	بزو
بسوء ١ : ١٩٩	بساء
البساتين ١ : ١٢١	بستن
الميسور ١ : ١١٤	يسر
البشر ١ : ٢٨٠ / ٢ : ٤٨ البشرة ٢ : ٤٨ البشرى ١ : ٢٨٠	بشر
البصراء ٢ : ١٩٨	بصر
البطحاء ٢ : ٣٤ البطيحة ٢ : ١٤٦	بطح
المباطش ٢ : ٣٥	بطش
البطال ٢ : ٤٠	بطل
بطن برقونه ١ : ٢٠٨ تبطن الغوامض ٢ : ٢٥٤	بطن
الباطية ٢ : ٢٦٢	بطى
البعض ٢ : ١٠٣	بعض

بغى	: بغاها الغوائل ١ : ١٩٥ التباعى ٢ : ٢٨٦ - ٢٨٨
بق	: البُقيا ١ : ٩٨ البقية ٢ : ١٢٧ التبقية ٢ : ٣١٩ .
	٣٢٠
بكر	: البكرية ١ : ٣٠٠
بلد	: تبلد ١ : ٢٠ البللة ٢ : ٨٦ البللة ١ : ٢١٢ - ٢١٦ /
	٨٦ : ٢
بلغ	: البلغ ٢ : ٢٣١ التبليغ ٢ : ٢٠٩ ، ٣١٣
بلو	: أبل الله من نفسك علوا ٢ : ٩٨
بند	: البنود ١ : ١٧٨
بنو	: الأبناء ١ : ٢١٠ البنوى ١ : ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨٤ بُنيات
	الطريق ١ : ٩٩
بنت	: مبهوتة ١ : ٨٧
برج	: بهرجنا ٢ : ١٠٠
بر	: البهيم ٢ : ٢٠٣
بوب	: البابة ١ : ٣٤
بور	: البوار ١ : ١١١ ٢١٣٠ البارية ٢ : ١٦٠
بوق	: البائقة ٢ : ٣١٦
بول	: البال ١ : ١٢٧
	ت
تأم	: الإتمام ١ : ١٧٦
تتر	: التتر ١ : ٣٢٧
تخم	: التخم (في ونخم)
ترب	: التربة ٢ : ١٢٨

نرص	: مُتْرَصًا ٢ : ١١٢
توت	: التُّوتيا ١ : ١٠٢
نوى	: التَّوَاء ١ : ٣٤٢
نيع	: تَتَايَعَ ٢ : ١٧٩ تَتَايَعَت ١ : ١١٥ تَتَايَعَهُ ٢ : ٢٩٢

ث

ثأى	: الثَّأَى ٢ : ٢٠٤
ثبت	: لِيُثْبِتَهُمْ ١ : ٢٠١ الثُّبِتَ ٢ : ٢٣١
ثخن	: الثُّخَانَةُ ١ : ١٧٧
ثرب	: التَّثْرِب ٢ : ٢٠١
ثرو	: الثَّرَاءُ ٢ : ٣١٤ أَهْلُ الثَّرَى ٢ : ٣١٤ مُسْتَبِطُ الثَّرَى ٢ : ١٩٩
ثغر	: الثَّغُور ١ : ١٨٨ الثَّغْرِيون ١ : ٢٠٦
ثفل	: الثُّفْل ٢ : ٢٦٩
ثقب	: ثَقَبُوا مِنْهُ ١ : ١٤ أَثَقَبُ ١ : ٧٨
ثقف	: الثَّقَف ١ : ٣٣٥
ثكل	: أَثْكَلْتَنِي ١ : ١١٥
ثلم	: ثَلَمْتُ ١ : ٤٦
ثمر	: ثَمَارُ السَّيَاط ١ : ٢٩٥ الثَّمِيرُ فِي الْأَبْلَدَانِ ٢ : ١٤١
ثنى	: الثَّمَنَى مِنَ الْأَوْتَارِ ٢ : ٢٧٩
ثور	: اسْتَثَارَتْ ٢ : ٣٨
ثول	: انْثَالُوا عَلَيْهِ ١٠ : ٨
ثوى	: مَثَاوِي دَارِ فِرْعَوْنَ ٢ : ١٣٢

ج

جأجأ	: جئ جئ ١ : ٢٠٥
جأش	: جأش رابط ١ : ٦٣
جبر	: يجبرون ٢ : ٣٠٢ الجبرية (الكبير) ١ : ٢٤٥ الجبرية (للطائفة) ١ : ٣٤٥
جبو	: يجبييه ٢ : ١٩١ تجبونه ٢ : ٢٩٣ الاجباء ١ : ١٢٧
جثلق	: الجاثليق ١ : ٣١٨
جثم	: يجثم ٢ : ٢٦٨ الجثوم ١ : ٢١١ المجثمة ١ : ٣٢ ، ١٧٩ . ٢٠٣
جثو	: جاثاه ١ : ٢٣٥ جاثي الأضداد ٢ : ٣٣
جذب	: يتطل جادبه ١ : ٨٢
جدل	: جدل عنان ١ : ٦٤ ، ١٥٥ الجداول ١ : ١٠٠
جدم	: اجدم ١ : ٢٠٥
جلو	: أجلى الأمور ١ : ٣١٩
جدى	: الجداء ١ : ١١٧
جذب	: التجاذب ٢ : ١١١
جلر	: الجئر ٢ : ٥
جدل	: جدلا ١ : ١٢١
جرب	: الجريب ٢ : ٤٥
جرجس	: الجرجس ٢ : ٢٦٣
جرح	: جوارح السادة ٢ : ٣٣
جردق	: الجرادق ٢ : ١٣٠
جرر	: أجثر ١ : ١٢٦ الجر ٢ : ٢٦١ جر السلاح ١ : ١٨٦

جرم	: الجَرْمُ ١ : ١٢١ للتجرُّم ٢ : ٨٩
جرن	: ضرب بجِرانه ١ : ١٨٥
جری	: جاريت ٢ : ٩٠ المُجَارِي ١ : ٨١
جزى	: (الجزاية) ٢ : ٢٨٠
جسس	: التجسس ١ : ٢٩٣
جشر	: نَشَرَأ جَشَرَأ ٢ : ٣٢٢
جمل	: الجُمْل ١ : ١٧ الجُمْل ١ : ٣٠٠
جفر	: الجُفْرَة ١ : ٥٧
جفف	: المَجْفَف ١ : ٢٠٢ التضاف ١ : ١٧٦ التجانيف ١ : ١٧٨
جلج	: المِطْطَع ١ : ٢٩٦
جلل	: جِلَّة السلطان ١ : ٤٥ جِلَّة الشيعة ١ : ١٦٧
جلو	: الجِلِّي ٢ : ٣١٩ / ١٨٠
جمد	: الجمْد ١ : ٣٢٥ الجمود ١ : ١٥٦ عين جاملة ١ : ٨٧
جمر	: التجمير ١ : ١٧٨ الجُمارة ١ : ١٥٧
جمز	: الجَمَز ١ : ٣٣ الجمازات ٢ : ١٠٤
جمع	: جِمَاع ١ : ١٠٥ / ٢ : ١٢١
جمم	: الجَمَام ١ : ٣٠ ، ٤٩ ، ٩٣ ، ٩٥ / ٢ : ٨٤ ، ٢٨١
جنب	: تجنب الخيل ١ : ٢٠٠ الجنبية ١ : ٣١٠
جنس	: المِطَانَس ١ : ٢٧٣
جنن	: الاجتنان ١ : ٢١ الجنان ١ : ١٢١
جنى	: الجنى ٢ : ٢٧٠
جهر	: الجَهر ٢ : (١٧)
جهز	: أَجْهَزَ عليهم ٢ : ٣١٩ أهل الجهاز ٢ : ١٠٠

جوح	: الجوائح ١ : ٤٩
جود	: جادوا ١ : ١٧٠
جور	: جُرْتُ ١ : ٦٩ التجزير ٢ : ٣٣ : ٤٠ : ٤٨ : ٢٤٠ ، ٣٢١ المجور ٢ : ٥
جوز	: جازَه ١ : ٥٠
جوق	: الجَوَقات ١ : ٣١٧
جول	: الجَوْلَة ١ : ١٨٥
جيه	: جاء ١ : ٢٠٥

ح

حبر	: الحَبْرَة ٢ : ٧٢ محبرة ١ : ٢٣٥
حبو	: يَحْبُوهم ١ : ٣١٢
حشف	: حشفها ١ : ١٣
حشث	: أَحْثُ عَلَى البيان ١ : ٢٩
حجر	: يَحْتَجِرُون ٢ : ٣١٨ الحُجُور ١ : ٤٠
حجل	: المحجَّل ٢ : ٢٠٣
حجو	: الحِجَا ١ : ١٧٧
حدث	: أَحْدَثْنَا ١ : ٣٢١
حدر	: الحَدَّر ٢ : ٤٨ الحَنُور ١ : ١٦
حذف	: تَحْذِفُوا ١ : ٣١٧
حلق	: تَحْلِقُهم ١ : ٢٨
حرب	: الحَرْب ٢ : ١٦١
حرج	: تَحْرَجُ فيه ١ : ٤٦
حرش	: يَحْرِشُونَ ٢ : ١١٧

حرف	: حُرُفًا ١ : ٣٦
حرق	: الحَرَاقَةُ ٢ : ١٠٤
حرم	: المحرَّم ٢ : ١٩٩
حزب	: التحزيب ١ : ١٧١
حزز	: تَفَلُّ الحَزَّ ١ : ٦٣ يَفْلُّ الحَزَّ ١ : ١٢٥
حزم	: الحِزَام والحِزَامَةُ ٢ : ٨٩ الحَزْم ٢ : ٢٠٣
حسب	: الحِسْبَةُ ١ : ٩٩
حصد	: حَصَدَ التَّعْمَةَ ١ : ٣٠٩
حس	: التحسُّ ١ : ٢٩٢
حسن	: تُحَاسِنُهُ ١ : ٦٧
حشش	: اسْتَحْشَّ ١ : ٥٨ المَحْشَاش ٢ : ١٦٢
حشو	: حَشَّتْهَا ١ : ٢٠٢ الحَشْو ٢ : ١٣٣ الحُشْوَةُ ٢ : ٢٤٣ الحَشْوِيَّةُ ١ : ٢٨٨
حصير	: الحَصِيرُ ٢ : ١٦٩ الحُصِيرُ ٢ : ٢٧٠ الحَصِيرُ ٢ : ١٩٢
حضر	: حُضِرَ ١ : ١٤٣ المحضَر ١ : ٢٧١
حطط	: حَطَّ الثَّمَن ٢ : ١٤٤
حطى	: يَحْطَى ٢ : ١٩٩
خد	: سُورَةُ الخَدِّ ١ : ٢٢٨ الاحْفَاد ١ : ١٧
خفز	: يُخْفَزُ ٢ : ٢٧٩
حفظ	: يَتَحَفَّظُ ١ : ٤٢
حقب	: المَحْقَبُ لِكُبْرِهِ ٢ : ٢٢١
حقن	: المَحْقُون ١ : ٢٠٨
حكم	: الحُكْمُ ٢ : ١٥١

حل	: حَلِّ وَحَلِّي ٢٠٥ : ١
حلب	: الحَلْبَةُ ٢٥٨ ، ١٧٧ : ١
حلحل	: يتحلحل ٩٢ : ١
حلف	: الأَحْلَاف ٢٥٥ : ١
حلق	: الحَلَقُ ١١٨ : ١
حال	: حَلَّةُ السُّلْطَان ٤٥ : ١ محلّ اللّين ٣٣١ : ١
حلم	: الحُلُمَاءُ ٢٧٦ ، ٢٧٣ : ١
حلى	: يوم الحَلِيَّة ٨٤ : ١ حَلَّى الجيوش ١٨٦ : ١
حمد	: أَحْمَدَت ٢٢٩ : ٢
حمس	: الحُمُس ١١٩ : ٢
حمسن	: أَحْمَشُهُ ٣٨ : ٢
حصص	: الحِصْمَى ٢٦٨ : ٢
حنتم	: الحَنَم ٢٦١ : ٢
حنك	: تُحَنِّكُهَا ٢٣٨ : ١ الحُنْكَة ١٣٤ : ١
حور	: الحَوَارَى ٢٧٦ : ٢ الحَوَارَى ١١٧ : ٢
حول	: لَمْ يُحَلِّ ١٦ : ٢ الحَوْلَةُ ١٨٥ : ١ حِوَالَهُ ٢ : ٢١٩ على
	: حِيَالَهُ ٢ : ٥٢ ، ٥٦ الحَائِل ١٩ : ١
حوم	: رَكِبَ حَوْمَتَهُ ٤٠ : ٢
حير	: التَّحْيِيرُ ٢٦٦ : ١
حيس	: الحَيْسَةُ ١٦ : ٢
حيف	: حَائِفًا ٤٢ : ١

خ

خبيب	: الخَبِيبُ ٢٠٥ ، ١٩٩ : ١
------	---------------------------

خبر	: الخيرة ٢ : ٧١ الأخابير ١ : ١٦٦
مجل	: لا يألونهم غبالا ٢ : ٣١٥
مخل	: مغل اللنب ١ : ٣٣
مخر	: المخابر ٢ : ١٤٥
مخدج	: المذاج ٢ : ٦٥
مخرب	: المخارب ٢ : ٢٨٦
مخرز	: مقلدنا له الخز ١ : ١٠
مخوص	: مخوص الخبر ١ : ٢٤١ - ٢٤٨ - ٢٥٠
مخوف	: المخوفون ٢ : ٢٦٦
مخرق	: مرق ١ : ٦٢ مرق الطريق ٢ : ١٣٦ يخرق في ماله ٢ : ٣٠١ المرق ١ : ٢٤٢ / ٢ : ٨٦ المخرق في الإنفاق ٢ : ٣٤ المخرق ٢ : ١٣٦ المخرق ٢ : ١٩٢
مخشب	: أمخشب ١ : ١٨٨ المخبية ١ : ٢١٨
مخشم	: الأمشم ٢ : ٥١
مخصر	: أمصر ١ : ٢٧٤
مخصم	: أمصاء ١ : ٧
مخطأ	: مخطأ ٢ : ٤١ يخطأ ١ : ١٠١ لم أخطأ ١ : ١٥ المخطأ ١ : ١٣٣ - ٢٦١ - ٢٩٩ / ٢ : ٨٣ - ١٨٥
مخطر	: يخطر ٢ : ٣٢٢ الخطار ٢ : ٣٠٤
مخطط	: مخطأ اللحية ١ : ٨٩
مخطل	: المخطل ١ : ٦٤
مخفف	: الأمخفاف ١ : ١٧٥
مخفق	: إمخفاق القلب ٢ : ٢٦٥

خلد	: ثبت في خَلْطه ٢ : ٦٤ -
خلط	: الخُطْطَاءُ ١ : ١٢٦
خلع	: سورة الخلع ١ : ٢٢٨ التخليع ١ : ٣٣ خلعتان ١ : ٢٢٧
خلف	: الأَخْلَافُ ١ : ٢٧٢ خَلَّافَ الْمَعْجِزَةِ ٢ : ١٧٢
خلق	: الخَلْقُ ١ : ٢٨٧ أصحاب الخُلُقَانِ ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨،
	٢٦٩
خلل	: الخَلَّةُ ١ : ٣٣٩ الخليل (١ : ٣٣٩) المخل (١ : ٣٣٩)
خلو	: خَلُوتِه ٢ : ٩٨ مُخَلَّاةً ١ : ٣٢١
خمر	: الخَمَارُ ١ : ٤٣
خمص	: الخُمْصَانَةُ ١ : ١٥٩
خمم	: يَخْمُ ١ : ٩١
خندق	: الخَنْدِيقَةُ ١ : ١٧٣
خنز	: يَخْنَزُ ١ : ٩١
خنق	: المَخْنَقُ ١ : ٢٩٣
خنو	: الخَنَا ٧ : ٢٢٩
خود	: الخَوْدُ ١ : ٨٥
خوص	: تَخْوَصُ عَيْنَه ١ : ٨
خوط	: خُوِطَ آسَ ١ : ٦٤
خول	: خَالُوا نَبِيِّهِمْ ٢ : ١٩٤ حَوَّلَ النِّقَمَ ٢ : ١٥٧
خير	: الْخَيْرَةُ ١ : ٩٥ / ٢ : ٧١
خيش	: الْخَيْشُ ٢ : ١٠٤
خيف	: أَغْيَافَ الْخَلْقِ ٢ : ٢٣٢
خيل	: لَا يُخَيَّلُ ١ : ٣١٩ . ٢ : ٢١٩ الْخَيَالُ ١ : ٢٠٧

دبيب	: اللبيب ١ : ١٢٠ : اللباء ٢ : ٢٦١
دبق	: اللبوق ١ : ٣٢ : ١٧٩
دثر	: اللثار ٢ : ٨٥
دخل	: اللخل ١ : ٣١٨
دوب	: دربك ٢ : ٩٦
درس	: درسه العلم ١ : ٥٠ : يلترسهم القرآن ١ : ٣٥ : تلريس
	كتب أبي حنيفة ١ : ٤٥
درك	: اللرك ٢ : ١٥٩
دري	: المدارى ١ : ١٥٨
دستن	: اللساتين ٢ : ٢٧٩
دسع	: دسع بطعامه ٢ : ٢٦٦
دغدغ	: يدغدغه ١ : ١٢٤
دقل	: اللقل ١ : ١٠٠
دله	: التلليه ١ : ١٥٦
دمم	: اللميم ٢ : ١٨٢
دنتق	: التلنيق ٢ : ١٣٦
دنو	: أدانى أهله ١ : ٢٦٤ : من رهطه دنيا ٢ : ٣٤
دهر	: يتلهر ١ : ٢٤٦
دهم	: اللهم ٢ : ٢٨١ : ٢٩٢
دهن	: الملنن ٢ : ١٦٣
دوذ	: الداذى ١ : ١٢٤ : ٢ : ٢٦١
دور	: اللار ٢ : ١٤٧
دول	: دُول العلم ١ : ٣٠٠

دير	: الديارات ٣٢٢ : ١
ديص	: الديصانية ٣٢١ : ١
دين	: (الدينونة) ١٦٧ : ١ الديانيون ١١٥ : ٢ الديانون ١١٥ : ٢
ذ	

ذباب	: الذبّ ٣١٤ : ٢
ذرع	: خلى الذرع ١ : ١٢٠ خيق الذرع ١ : ٣٣٢ المذرع ١ : ١٦٩
ذعف	: الذعاف ١ : ١٨٧
ذفر	: الذفر ٢ : ٢٦٨
ذلق	: ذلقه ١ : ١٦ ذليقا ٢ : ٣١
ذمر	: ذمر ١ : ٩٠
ذمم	: تلذمت ١ : ٣١ اللذام ١ : ١٦٦ / ٢ : ٧١
ذود	: اللذاد ١ : ١١٥ اللذادة ١ : ٣١

ر

رأب	: رأب الشئ ٢ : ٢٠٤
ربب	: يرببها ١ : ١١٩ الرباب ١ : ١٩٢
ربث	: ربث ٢ : ٤١
ربح	: التربح ١ : ٤٦
ريد	: تربد ١ : ١٤٧
ربص	: التربص ١ : ٣٢٦
ربط	: جاش رابط ١ : ٦٢
ربع	: الأربعة الذين أحياهم المسيح ١ : ٣٢٥ أصحاب الأرباع
	١٨٨ : ٢
رنع	: مرتع عينك ١ : ١١٩

رتل	: الرتيلات ١ : ٢١٥ الرتبيل ٢ : ٢٧٠
رجل	: الرجل ٢ : ١١٦
رجو	: أرجى ٢ : ٢٦٤
رحل	: رحل نفسه ١ : ٢١٣
ردح	: ردح ٢ : ١١٧
ردد	: الرد ١ : ٢١٢ أرد عليه ١ : ٣٨ أرد في عاجل ١ : ٤٥
ردع	: ركوب رده ٢ : ٢٩٣
ردن	: ردنه ٢ : ٣١٣
ردى	: يردهم ٢ : ٣٠٠
وسب	: الراسي ١ : ٢١٢
رشد	: لرشة ١ : ٣٢٦
رشق	: رشقاً واحداً ١ : ٢٠٣
رعب	: رعبت القلوب ١ : ٢٠٢
رفق	: الإرفاق ١ : ٣٤٤
رقع	: الترقيع ٢ : ١٢٦
ركب	: المركب ٢ : ١٨٣
ركو	: ركايأ النور ٢ : ١٤٤
رمد	: الرميد ١ : ٢٧٩
رمك	: الرمكة ١ : ٢٠٦
رنح	: المترنح ١ : ٣١٥
رهص	: الإرهاص ١ : ٢٤٨
رهف	: أرهفه ٢ : ٢٥٤
روح	: الريح الخفي ٢ : ٢٧٦ : ٢٧٧ الريح العقيم ٢ : ١٥٨

رود	: يرود ٢ : ٢٦٨
روض	: الرِّیض ١ : ٢٨٦٠ ٦٣ : ١ : الرِّاضَة ١ : ٢٠٥ / ٢ : ٣٧
روغ	: روغان الثعلب ١ : ٣٤
روق	: الراووق ٢ : ٢٦١ : المروق ٢ : ٢٦١
روم	: المَرَام ٢ : ١٥٢
روى	: الرویَة ١ : ٣٤ ، ٨٨ ، ١٢١ : الرواءَة ١ : ١٣٣
ربع	: الرِّبع ٢ : ١٤٥

ز

زبل	: : المزيلة ٢ : ١٤٣
زين	: أزاين ٢ : ١٥٧
زجر	: يزجر ١ : ٢٦٢
زجو	: زجیتَ أمرک ٢ : ٧٥
زرق	: الأزرق ٢ : ٢٥٠
زرى	: زرايتهم ١ : ٣٢١ : الزارى ١ : ٢٩٧
زعف	: الزعاف ١ : ١٨٧
زليج	: المزليج ١ : ١٦٩
زلى	: الزلّة ١ : ١٩ : الزلّالة ٢ : ١٠٤
زنج	: الزنج ٢ : ٢٧٩
زند	: التزئيد ٢ : ٢٣٧
زنى	: لا تُزَنّ ١ : ١٤٦
زوج	: المزودج ١ : ٣٤
زود	: الأزواد ١ : ٢٠٠
زوى	: زى حلق ١ : ١١٩ : الزوى ٢ : ٧

زير : الزَّير ٢ : ٢٧٩

زين : الزَّين ١ : ٧٩

س

سير : سَبَرُ الْأُمُور ٢ : ٣١٩

سيط : السَّيْطَانَةُ ١ : ٣٢

سيخ : سَابِقَةُ ١ : ١٤١

سبق : السَّابِقَةُ ١ : ١٠١

سبل : هَذِهِ سَبِيلُهُ ١ : ٧٤ السَّابِلِينَ ١ : ٥٩

سي : السَّيَاءُ ١ : ٤٧ السَّيِّئَةُ ٢ : ١١٥

سبر : السُّبُور ١ : ١٤٢

سجر : الْمَسْجُور ٢ : ٢٦٧

سجع : السَّجَاعُ ١ : ١٨٠

سجل : السَّجَلُ ١ : ٢١١

سجن : تَسْجِينُهُ ١ : ١٢

سحق : السَّحِيقَةُ ٢ : ٢٤٨

سخب : السُّخْبُ ٧ : ١٧٩

سخت : السُّخْتِيَانُ ٢ : ٢٥٨

سخره : سَخَّرَهُ ٢ : ٤١

سخم : الرِّيشُ السُّخَامُ ١ : ١٢١

سخن : سُخْنَةُ عَيْنٍ ١ : ٣٢١

سخو : سَخَاوَةُ النَّفْسِ ٢ : ١٩٣

سد : الْمَعَانِي السُّدَادُ ٢ : ٢٠٤

سرد : الْمُرْدُ ١ : ٣٢ مَسْرُودَةٌ ١ : ٤٢

سرور	: السرار ١ : ٩٠
سرع	: السرعان ٢ : ٢٩١
سروق	: السروق ١ : ٢٩٧
سرو	: السرى ١ : ٣٣١
سفتج	: السفاتج ١ : ٢٤٧
سفل	: السفل ١ : ٣٠ سفلَى عَم ١ : ١٦٩
سقر	: السقر ١ : ٣٣
سقم	: سَقَمَكَ ٢ : ٩٦
سكت	: السكَّت ٢ : ١٥١
سكر	: السكر ١ : ١٢٤ / ٢ : ٢٦٧ سكر السلطان ١ : ٤٩ سلطان
	: السكر ١ : ١٠٨
سكع	: قَتَسَكَم ٢ : ٤٠
سلب	: أنفه فى أسلوب ٢ : ١٨٥
سلخ	: سِلاخ ١ : ٤٨
سلم	: السُّلْع ٢ : ١٦٢
سلف	: السُّلَاف ٢ : ٢٦٩
سمج	: السُّمَجَة ١ : ٢٤٤
سمح	: سَمَاحَه ٢ : ٣١٦
سمر	: السُّمَر ١ : ٨٤
سمك	: الرفيعة السُّمُوك ٢ : ١٠٥
سنخ	: السُّنَخ ١ : ٢ / ٥ : ٢٠٢ من مِنخه ٢ : ٢٧٥
سنن	: السُّنَن ١ : ٢٠٨

سنو	: سنو يوسف ١ : ٢٦٧
سنى	: السِّنِّيات ٢ : ٤٥
سود	: السَّوَاد ١ : ٢٦٧ السَّادَّة ١ : ٧٨
سور	: سُورَةُ النَّصَب ١ : ٢٧ جليلد السُّورَةُ ٢ : ٢٧١ سَوْرَتِه

١ : ١١٤

سوم	: سَوَم طَبِيعَتِه ١ : ٦٥ المَجْسِم ١ : ٤٥ البَوَام ١ : ٤٥
سير	: أَسِيرُ الْعَمَى ١ : ٣٣٦
سيف	: السَّيْفَانَةُ ١ : ١٥٩
سيل	: السَّيْلَان ١ : ٢١٨

ش

شبع	: شَبَعَانَا ١ : ١٣
شتم	: الشُّتَام ٢ : ١٧٢
شجج	: شُجَّ بِالْمَاء ٢ : ١٧١
شجو	: شَجَاهِم ١ : ٢٣٤
شحب	: (يُشْحَب) ١ : ٩١
شخت	: شَحْتًا ١ : ٩٠
شدخ	: شَادَخًا ١ : ٧
شدق	: الْمُتَشَلِّقُونَ ٢ : ١٥١
شبلو	: شَذَاتِه ٢ : ٣٠١
شرب	: شَارِبَا الْقَبِيْعَةِ ١ : ٢١٨
شرد	: تَشْرَد ١ : ١١٨
شرر	: شَرَارَةُ الطَّيَاحِم ١ : ٣٢٣
شدرع	: شَرَعَ سَوَاءً ٢ : ٢٣٢

شرى	: المشتري ١ : ٩٢
شزن	: تشزنت ٢ : ٣٧
شعث	: مشعثة ١ : ٢٩٥
شعر	: استشعر ٢ : ١٩٣ الشعار ٢ : ٨٥ التشاعر ١ : ٢٤٨ ،
	٢٧٠
شعنع	: يشمّع ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٣
شغب	: يشغب شاغب ٢ : ٢١٢ الأغباب ١ : ٧٨
شغل	: أشغله ١ : ٢٦٦
شفق	: الشفقة ١ : ٤٨
شقر	: الشقر ٢ : ٢٧٠
شكر	: الشاكرية ١ : ١٩٠ ، ٣١٧
شكل	: الشكلة ١ : ٦٧ شواكل الفساد ٢ : ٢١٣
شكو	: شكاته ٢ : ٢٩٢
شمع	: شمع باتفه ١ : ٢٩
شمر	: الشمرية ١ : ٣٠٠
شنأ	: الشائ ٢ : ٢٠٣
شنع	: الشنعة ١ : ٣٣٠ شنيعة ١ : ٣٣٠
شهد	: الشاهد ١ : ٢٧ الشهاد ٢ : ١١٧
شهر	: شهر الله المحرم ١ : ٣٤٠ الشهرية ١ : ١٧٨ - ٣١٧
	المشهّرات ١ : ١٨٦
شهرز	: الشهريز ٢ : ١٤٥
شوب	: شاب ، وشيب ١ : ١٠٥
شور	: الشارة ١ : ١٠٠

شول	: المشاولة ١ : ٣٢ ، ١٧٩
شيش	: الشاشية ١ : ١٧٨
ص	
صحر	: أَصْحَرَ للسانه ٢ : ٢٩٥ يُصْحِرُ فم ١ : ٢٦٨
صلق	: الصَّلَقَات ٢ : ١١٦
سلم	: الصُّلَم ٢ : ١٣٧
صرح	: المَصْرَح ١ : ٢٩٦
صرد	: صَرَدَ التُّصَال ١ : ٩٨
صرف	: صَرَفَ ما بينهما ١ : ١٠٦ / ٢ : ٢٤٥
صغر	: صَغَرَ الجزية ١ : ٢١٦ الصَّغَارَة ١ : ٣١٩
صنو	: أَقَامَ صِنْوَهُ ١ : ١٦٥
صفح	: صفحاً ١ : ٩٥ ضرب عنه صفحاً ١ : ٦٥ صفيحة يمان
	: ١ : ٦٤ الصفائح ١ : ١٨٦
صفر	: الصُّفَار ١ : ٩١ / ٢ : ٢٦٣ ، ٢٦٦ الصُّفْر ١ : ١٩٤
	: الصُّفْرِيَّة ١ : ٢٠٩
صفو	: الصَّفَايا ٢ : ١١٤ صفاء ٢ : ٢٦٣
صلج	: الصُّولِجان ١ : ١٧٩
صلح	: الْأَصْلَح ٢ : ٨٩
صلى	: لَا يُصْطَلِي بِنَارِهِمْ ٢ : ٢١٣
صم	: الْأَصَمَّ ٢ : (١٤)
صهل	: بنات صَهَال ١ : ٢٠٠
صيح	: الصِّيَاح ٢ : ١٢٩
ض	
ضبيب	: أَضْبَبَ عليه ١ : ١٣

ضدد	: المضادة ٢ : ١٥٦
ضرب	: ضَرَبَ عَنْهُ صَفْحًا ١ : ٦٥ كَرَّمَ الضَّرْبِيَّةَ ٢ : ٢٢٢
ضرع	: الضَّرْعَ ٢ : ٢٥٤
ضرى	: لَمْ أَضْرِبْكُمْ ٢ : ١٩٨
ضغث	: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ٢ : ٢٦٤
ضمز	: ضَمُوزَاتُ ٢ : ٢٧٢
ضوى	: ضَوَى إِلَيْهِ ٢ : ٢٩١
ضم	: الضَّمِّ ١ : ٥٨
ط	
طبيب	: طَبَّءٌ اسْتَطَبُّ ٢٠ : ٧٤
طبر	: الطَّبْرِزِينَاتُ ١ : ١٧٨
طبيط	: الطَّبْطَابُ ١ : ١٧٩
طبع	: الطَّبَاعُ ١ : ٩١، ٩٢، ٩٥٩، ٢ / ١٩٨ الطَّبَائِعُ ٢ : ١٣٥
طبقي	: الطَّبَقَةُ ١ : ٣١٧
طرد	: الطَّرْدُ ١ : ٢١٠ الطَّارِدُ ١ : ١٨٧
طرر	: طَرَّ شَارِبُهُ ٢ : ١٨٤
طرس	: الطَّرْسَةُ ١ : ١٨٠
طرف	: نَطَرُوا ١ : ٣٣٠، ٣٣٢ طَرَفَتْ ١ : ١٤٥ يَتَطَرَّفُهُمْ ١ : ٢٠١
	: ٢٦١ أَطْرَفَ ١ : ١٢٦ طَرَفَةٌ ١ : ١٠٢ الطَّرَافَةُ ١ : ٢٦١
	: ١٥٨ أَطْرَافُهَا ١
طعم	: الطَّعْمُ ١ : ٢٠٠ الطَّعْمَةُ ١ : ٨، ٢٩٨ / ٢ : ٢٥٤
طنم	: الطَّنَامُ ٢ : ٣٣٠
طفح	: تَطَفَّحَ الْأَثَارُ ٢ : ١٤٢

طلب	: طَلَبَتْهُ ١ : ١٤١
طلس	: الطَّلَسَان ١ : ٢٢٧
طمم	: أَطْمَأ ٢ : ١٢٦
طنب	: يُطَنِّبُ الذَّكْر ١ : ١٢١ طَنَابِك ١ : ١١٣
طوق	: الطَّاقَةُ ١ : ٢٤٠ الْمُطِيق ١ : ٢٢٥
طول	: تُطَوِّلُهُ ١ : ٦٧ الطَّوَائِل ٢ : ٨٤
طوى	: طَاوَى ١ : ١٣
طبيب	: طَبِيبٌ وَطَبِيبَةٌ ٢ : ١٣٠ الطَّيِّبُونَ ١ : ٢٥٥

ط

طبو	: الطُّبَات ٣ : ١٨٦
طبي	: الطُّبَاءُ الْمَكِّيَّة (٣٣ : ١)
ظرف	: تُظَارَفُ ١ : ٦٧ الظَّرَافَةُ ١ : ٢٦١
ظمن	: الظَّمَن ١ : ٢٢٦ - ٢٥٤
ظلف	: ظَلَفَ النَّفْس ٢ : ٢٠٩ - ٣١٣
ظلم	: تَظَلَّمَهُ ١ : ٣٤٥ الظَّلْمَان ٢ : ١٣٨
ظلماً	: الظُّلْمَاءُ ١ : ١٢٧
ظهر	: الظُّهُور ١ : ٢٩٩

ع

عيث	: عَيْثُ (٧٤ : ١)
عبد	: الْعِبَادَةُ ٢ : ١٤٧
عبر	: عِبْرَةٌ عَيْنَ الْعُلُو ١ : ٥١
عبو	: يَعْبِيهِمْ ١ : ٤٦
عتق	: الْعَتِيق (١٢٠ : ٢)

عشر	: تعشر باسمك ١ : ٨٦ الإعتار ١ : ٢٨٨
عجز	: عجز موازن ١ : ١٦٩ المَعْجَزَة ٢ : ١٧٢
عجم	: المعجوم ٢ : ١٣٠
عذى	: أَعْذَى مِنْكُمْ بَرِيَّةٌ ٢ : ١٣٨
عرجل	: العراجلة ٢ : ٢٩٤
عرد	: العرادات ١ : ٢١٥
عرض	: العارضان ١ : ١٢٥ بَعْرَضٌ مَلَكَةٌ ٢ : ٢١١ من عُرُضِ الناس ٢ : ٢٨٥ ذُو عُرْضِيَّةٍ ٢ : ١٧٦ العُرُوضُ ١ : ١٤١ التعريض ١ : ١٣٣ مَعْرُضٌ لِلصَّلَاقِ ١ : ٦
عرف	: تَعْرِفُ قَرِيْشٌ ٢ : ١١٨ عُرُوفَاتُ ٢ : ٢٧٢
عرم	: الثَّرَامَةُ ١ : ٣٥ عُرَامُهُ ٢ : ٩٠ السَّيْلُ الْعَرِمُ ١ : ١٨ الاعتزام ٢ : ٩٥ : ١٥٩
عرو	: العارِيَّةُ ١ : ٩٢
عزد	: التَّعْزِيرُ ١ : ٣١٨
عزز	: عَزَّ ٢ : ٢٦٥ ، ٣٠٥ يَمَازُهُ ٢ : ٢٩٦ المَازَةُ ٢ : ٢٨٦
عشر	: تَعَشَّرُ ١ : ٢٣٧ العِشْرَةُ ١ : ٢٨٠ العَشِيرَةُ ١ : ٢٨٠
عطب	: المِطَاطِبُ ١ : ٤٩ / ٢ : ٧١
عطل	: الْعَطْلَةُ ١ : ٨٧
عطن	: أَعْطَانَهَا ٢ : ١١٤
عقب	: شَرَفَ الْعُقْبُ ١ : ٧٩ الْبِقَابُ ١ : ٢٦٨ الثَّقَابَانِ ١ : ١٨٦ الْيَعْقُوبِيَّةُ ١ : ٣١٠
عقبيل	: الْعَقَابِيلُ ١ : ١٥٥

عقد	: حساب المُقدَّ : ٣٩ - ٩٠ المُقدَّ ٢ : ١٠٠ عَقِيدَه
	١٧٨ : ٢
عقف	: المَقْفَةُ ١ : ١٧٨
عقق	: المَقَّقَ ٢ : ١٨٥
عقل	: تُعَاقِلُه ١ : ٦٧ المُقْلَةُ ١ : ٢١١
عقم	: الريح المقيم ٢ : ١٥٨ ، ١٨٠
عكر	: العَكَّرَ ٢ : ٢٦١
حلل	: يتعلل جادبه ١ : ٨٣ الاعتلال ١ : ٥٩ / ٢ : ١٩١
علم	: العالم الصغير (١ : ٣٣)
علمج	: الملهج ١ : ١٦٩
علمز	: العلمز ١ : ٢٦٧
علو	: يتعالى ٢ : ٢٤ ، ٤٢ ، ٥٩ عليا تميم ١ : ١٦٩
عمى	: العمى الطرف ٢ : ١٦١ العمى ١ : ٣٣٧ الأعْمَى ٢ : (١٤)
عند	: العُنود ١ : ٥٦ ، ١٠٣ ، ٢٩٤ / ٢ : ١٥٩ العاند ٢ : ١٥٩
عنقر	: العُنُقِر ١ : ٢٠٦
عنز	: جَدَل عِزَان ١ : ٦٤ - ١٥٥ ترك العِزَان ١ : ٢٤٠
عنى	: معنياً ٢ : ٦٤
عهر	: العِهَار ٢ : ١٨٤
عود	: العَادِيَّة ٢ : ١٦١ عائدته ٢ : ١٨٨
عور	: تعاوره ٢ : ١١٩ العَوْرَةُ ١ : ٢٠٣
عوض	: عَضَا ٢ : ٢٧٤
عير	: معاذير ١ : ٣٦
عيط	: عَيْطُ الشارب ١ : ٢٣٥

عيل	: ذُو الْعَيْلَةِ ٢ : ٢٤٧
عين	: عَيْنُ الْجَوَادِ ١ : ١١٦ العَاة ١ : ١٥٠ الْمُعَايَنَةُ ٢ : (١٢)
عيى	: الْعَى بِمَعْنَى الْعَيَّ ٢ : ١٩٧
	ع
غيب	: يَغِيبُ فِي قَلْبِهِ ١ : ٤١
غير	: غَيْرَ ٢ : ٢٥٦ غَيْرَتَ ٢ : ٩٥ الغَايِر ١ : ٢٧ غَايِرَ الْآيَامِ
	٢ : ٣٢٣
غبي	: يَغْبِي عَنْهُ ١ : ٣١٩
غشت	: الْغَشْتُ ١ : ١٠٠
غشر	: الْأَغْشَرُ ٢ : ٤٠
غرب	: غَرْبُهُ ٢ : ٩٠ الْغَرْبِيُّ ٢ : ٦١ ، ٢٧٢ الْمُغْرَبُ ٢ : ٢٠٣
غرر	: التَّغْرِيرُ ١ : ٤٨ / ٢ : ١١١ غَارُونُ ١ : ١٩٩ الْأَغْرَ ٢ : ٢٠٣
غرم	: الْغَارِمُ ٢ : ٢٢٤
غزو	: مَغْزَاةُ ٢ : ١٩٧
غشم	: الْغَشْمُ ٢ : ١١٥
غشى	: الْغَاشِيَةُ ٢ : ٢٤٥ مَغْشَى ١ : ٦
غضب	: تَغَضَّبَ عَلَيْهِمْ ١ : ٣٣٢
غضر	: الْغَضَارَةُ ٢ : ٢٦٨
غفر	: قَلَّةُ اغْتِفَارِهِ ٢ : ٢١١
غفل	: أَغْفَلَهَا ١ : ١٠٨ الْغُفْلُ ٢ : ١٩٧ يَدَعُهُ غُفْلًا ٢ : ٦٤
	الْأَغْفَالُ ١ : ٧١
غلب	: الْغَلَبُ وَالْغَلَبَةُ ٢ : ٥٨

غَلَطَ : ١ / ٢١٦	غَلَطَ
غَلَقَ : ١ / ١٩٦	غَلَقَ
غَلَوُ : ٢ / ١٥٠ الغَوَالِي : ٢ / ١٣٠	غَلَوُ
غَمَرَ : ١ / ٩٠ غَمَرُ لَصْرَرِهِ : ٢ / ١٠٢ غَمَارُ الْعَامَةِ : ١ / ٢١٣	غَمَرَ
غَمَزَ فِي قَفَا النَّدِيمِ : ١ / ١٠٣	غَمَزَ
غَمَقَ : ١ / ٢١٦ / ٢ / ١١٠	غَمَقَ
غَفَى : ١ / ٢١٦ / ٢ / ٦٥ ، ٣١١ ، ٣١٣ مَكْرُ الْغَنَاءِ : ٢	غَفَى
٣٠٢ مِنْهَا : ١ / ١٨٨	
غَوَرَ : ١ / ١٦٩	غَوَرَ
غَوَّلَ : ١ / ١٩٥	غَوَّلَ
غَوَى : ١ / ٣١٨ مَغَاوَى النَّاسِ : ٢ / ٢٩٦	غَوَى
غَيْبَ : ٢ / ٢٠٣	غَيْبَ
غَيْرَ : ١ / ١٢٧	غَيْرَ

ف

فَتَرَ : ١ / ٢٥٦	فَتَرَ
فَتَكَ : ١ / ١٠٨	فَتَكَ
فَتَجَّجَ : ١ / ٢٠٨	فَتَجَّجَ
فَجَرَ : ١ / ٢٥٥ / ٢ / ١١٥	فَجَرَ
فُتِّحَ : ١ / ٢٨٠	فُتِّحَ
فَخَّمَ نَبِيلاً : ١ / ٨٣	فَخَّمَ
فَدَخَ : ١ / ٧	فَدَخَ
فَذَذَ : ٢ / ١٢٣	فَذَذَ
فَرَّثَ : ١ / ٨٧	فَرَّثَ

فرج	: فرجاً ١ : ١٣٤ ملاً فروجه ١ : ٢٠٢ الممرج ٢ : ١٨٧
فرش	: الفراشون ١ : ٣١٦
فرع	: فرعت ١ : ١٧٩٠ يفرعون الشجبان ٢ : ١٢٧
فرند	: الفرند ٢ : ٢٧١
فرنق	: الفرانقيون ١ : ٢٠٦
فري	: الفرية ١ : ٢٩١
فزع	: مفزعا ٢ : ٢٦
فسخ	: تفسخ ١ : ٢٠٧
فشو	: فاشيا ١ : ٢٥٤
فصل	: الفصل ١ : ١٠٥ / ٢ : ٣١٨
فضخ	: الفضخ ٢ : ٢٦١ ، ٢٧١
فضل	: الفضل ١ : ٢٣٧ الفضيلة ١ : ٣٠٩
فقم	: تفام التركيب ١ : ٥٩
فلج	: الفلج ٢ : ١٩ ، ٢٩ ، صار فلجاً ٢ : ٢٣١
فلذج	: الفالوذج ٢ : ١١٦
فلز	: الفلز ١ : ١٩٤
فلق	: شاعر مُلق ١ : ١٢٦
فلل	: تغل الحر ١ : ٦٣ يغل الحر ١ : ١٢٥ يغل حد المستطيل ٢ : ٢٨٩
فلن	: الفلانية ١ : ٣٢١
فلو	: الأفلاء ٢ : ١١٤
فند	: الإفناد ٢ : ٢٩٥
فنو	: الأفنية ١ : ١٨٨ أفناء بكر ١ : ٣١٣

فور	: أْفار الماء ١ : ٢٥٧
فوه	: قُود المَصْفَر ٢ : ١٠٥ الأَفْواد ٢ : ١٣٥

ق

قبط	: القُبْطِيَّة ١ : ٨٤
قبع	: القَبِيعة ١ : ٢١٨
قبل	: قَبَلُوا دِينَهُم ١ : ٣٢٨
قبن	: القَبَنَات ١ : ٢١٤
قحل	: القَحْل ٢ : ٢٧١ القُحول ٢ : ١٣٦
قدح	: القِدَح ٢ : ١٤٢
قدد	: القِدْد ١ : ٢٦٧ / ٢ : ٣١٣
قذر	: قوس مَقْتَلرة ١ : ٣٢
قلس	: يَقْلَس ١ : ٢٩٨
قلم	: القَلَام ٢ : ٢٢٣
قرح	: القَرْح ١ : ٢١٤
قرد	: القِرْدَان ١ : ٢١
قرر	: المَقْرور ١ : ١٢١
قرش	: قَرِيش : التَقْرِيش (٢ : ٢٥٦)
قرط	: القِرْطَاط ٢ : ١٤٤
قروغ	: القَرْوِيع ١ : ١٣٣
قرون	: أَقْرَنَ أَهْلَ الإِسْلام ٢ : ٣٥ المَقْرِن ٢ : ٣٥
قري	: اسْتَوَا القُرَى ٢ : ٣٠٥
قشب	: السَّم القَشْب ١ : ١٨

قصر	: قَصْرُ الشَّمْسِ عَنْ مَجْرَاحِهَا ٢ : ٣٢٣ الْقَصْرُ ١ : ١٧٦ قُصْرَةٌ
١ : ١٩٥	
قصف	: الْقَصْفُ ٢ : ٢٦٥
قصو	: مُسْتَقْصِيَا ١ : ١٤٠
قصف	: الْقَضِيفُ ١ : ٦٥ الْقِضَافُ ١ : ١٥٩
قطب	: قُطُوبُهُ ١ : ١٩٧
قطع	: الْقِطْعَةُ ١ : (٢٥٦)
قطم	: الْقَطْمُ الْقَطِيمُ ١ : ١٨
قعد	: الْقِعْدَةُ ١ : ٣٢٦
قفو	: يَقْفُو ٢ : ١٧٧
قلت	: عَلَى قَلَّتْ ١ : (٤٨).
قلد	: الْعَهْدُ الْقَلْدَةُ ١ : ٥
قلع	: الْقِلَاعُ ٢ : ١١١
قما	: أَقْمَا ١ : ٦٩
قنط	: الْقَانِطُ ٢ : ٢٦٤
قنو	: قَنَا الْأَيْنَاءُ ١ : ٢١٠
قور	: الْقَوِيرُ ٢ : ٢٦٢
قوف	: الْقَائِفُ ١ : ٢١٩
قول	: يَسْتَقِيلُ ٢ : ١٥٩ قُلْ فِيهِمْ ٢ : ١١٨
قوم	: لِإِقَامَتِهِ ٢ : ٢٦ الْقِيمُ ٢ : ٦٣٠
قيل	: تَقَبَّلَ أَبَاهُ ٢ : ٢٢٤
ك	
كناس	: الْكَنَاسُ ١ : ٨٩

الكابلة ٢ : ١٨٧	كبد
كبح الشأن ١ : ١٩٤ المحقق لكبره ٢ : ٢٢١ الكبرة	كبر
١٥٣ : ١	
كبحهم ١ : ٢٠١	كبح
الكتاب ١ : ٢٥٠ ٢٢٢	كتب
كاثروا ١ : ١٧٧ المكثرة ٢ : ٣٠٠	كثر
التكذيب ١ : ٢٠٣	كذب
الكيراب ٢ : ١٣٧	كرب
الكردات ٢ : ١٠٥	كرد
الكر ١ : ٢٨٦	كرر
أكرمته ٢ : ١٠٥	كره
المكارون ٢ : ١٠٠	كرى
أكساءهم ١ : ٢٠٤	كسأ
الإكسير ١ : ١٢٧	كسر
يكشفه ١ : ٩١	كسف
المكاشرة ٢ : ٣٠٠	كشر
الكشفة ٢ : ١٦٦	كشف
الكشمش ٢ : ٢٦٢ ، ٢٧١	كشمش
الكاعب ١ : ١٧٢ الكتاب ١ : ١٧٢	كعب
التكفى ١ : ١٨٦	كفا
كفاحاً ٢ : ٣١١	كفج
الكافور ٢ : ١٣٩	كفر
يكفيها ٢ : ٢٦٤	كفى

كلب	: الكلاب ١ : ٣٣٨
كلج	: كلوحه ١ : ٩٧
كلف	: التكليف لفعل الخير ٢ : ٢٩٩ الكلفة ٢ : ٣١٧
كلل	: كل ٢ : ٥٩ الكل ٢ : ١٠٣
كلم	: المتكلم ٢ : (٢٥٠)
كمت	: الكُمت ٢ : ٢٧٠
كمن	: الكُمن ١ : ١٨٧
كمه	: الأكمه ١ : ٢٧٩ . ٣٠٧
كنف	: المكافئة ١ : ١٧٢ مكافئته ٢ : ٣٤
كنن	: الاكتنان ١ : ٢١
كنه	: كنهه . الحاجة ٢ : ٣٢١
كهب	: الكهبة ٢ : ١٤٧
كهم	: غبي كهام ٢ : ٤١
كور	: الكيران ٢ : ١٤٣
كون	: تفادَم كونه ٢ : ٢٦٨ قدم الكون ٢ : ٢٦٣
كيس	: الكيس ١ : ١٨٩

ل

لا	: زيادتها ٢ : (١١٩)
لب	: اللَّب ١ : ٩ اللَّبة ١ : ١٧٢
لبس	: يلبس ٢ : ٢٣ ملابسته ٢ : ١٧٧
لبك	: يُلَبِّك ٢ : ١١٧
لثق	: اللَّثَق ١ : ٢١٦
لجج	: تلجج ٢ : ٧٠ ألج منه ١ : ١٦

لحج	: يلحج ١ : ٨٦
لحج	: ألح منه ١ : ١٦
لحم	: المَلَحَم ١ : ٣١٧
لحو	: لاحاه ٢ : ٤١
لحي	: التَحَى ١ : ٣٥٠
لخص	: التلخيص ١ : ١٠٦
لزق	: التلزيق ١ : ١٥٢
لفظ	: الالافظة ٢ : ١٨٦
لفو	: ألقى ٢ : ٣٦
لقح	: حى لَقَّاح ١ : ٣١١ / ٢ : ١١٩
لوه	: اللادوت ١ : (٣٥٠ : ٣٥١)
ليل	: ليل لائل ٢ : ٣١٤
م	
منت	: منت ٢ : ٧١
متح	: الماتح ١ : ٨١
مثل	: المثالات ٢ : ١٥٨
مجن	: مُجَانِنَا ١ : ٣٢١
محم	: الْمُحَّة ١ : ١٧٢ مُعَّ البِيض ٢ : ١٤١
محص	: مُحَصَّتْكَ الخيرة ٢ : ٧١
محض	: مُحَضَّه مُحَضَّا ٢ : ٧١
محق	: المَحَاق ١ : ٩١
محك	: يَمْحَك ٢ : ٢٦٦
محل	: يَمْحَل ١ : ٢٩٨
مذل	: مَذَلَتْ بِهِ ١ : ٣٥٠

مذى	المذى ٢ : ٢٦٨
مراً	المركى ١ : ١٨١ ، ١٨٢
موج	مويج ٢ : ١٠٠ ، ٣٠٥
مرد	المُردار ١ : ٢٢٨
مروع	مريعاً ١ : ١٢٣
مرق	مرقوا بهم ١ : ١٩٩
مرقن	المرقونية ١ : ٣٢١
مره	المره ١ : ٨٧
مرى	المراء ١ : ٦٨
مزح	مزحت ١ : (٧٤)
مسخ	المساختة ١ : ٣١٦
مشمش	المشمش ٢ : ٢٦٢
مصر	المِصر ١ : ٤٩ المِصران ٢ : ٢٠٢ مَصِر المِصران ١ : ١٠
مصص	مُصاصهم ٢ : ٢٥٤
مطر	المِطران ١ : ٣٢٢
مظل	مِظْله ١ : ٢١٨ المِظال ١ : ٢١٩
معد	المِعد ٢ : ٢٦٧
مكك	الطباء المكّبة ١ : ٣٣
ملاً	مالثوا ١ : ٣٠٩
ملح	المِلح ١ : ١٠٠ ، ٣١٦
ملك	الملكانية ١ : ٣١٠
ملل	يملّونه ٢ : ١١٧ المتلّ ٢ : ٢٦١
ملو	يستمليه ١ : ٢٢٧ المَلأ ١ : ١٢٦ / ٢ : ٩٧

ملى	: ملأ ٢٣ : ١
منن	: المنّة ٨٨ : ١ ممنوناً عليه ٢ : ١٩٨
	: المنانيّة ٢٥٢ : ١ - ٣٢١
مهر	: المِهارة ٢٨ : ١ للمِهيرات ١ : ٢٥٧
مهن	: المَهنة ٢١٦ : ١
موت	: الموتان ٢٧٢ : ١
موه	: تموّه ١ : ١٠٠ موه الوجه ٢ : ٢٦٤
موى	: الماوية ٨٤ : ١
مير	: الميرة ٢ : ١١٨
ميس	: الميساق ٢ : ١٣٠
ميط	: يُمَاط ٢ : ٢٦٩ المِيط ٢ : ٢٠
ميل	: تُعَمِل ٢ : ٩٥ يَمِيل ١ : ١٠٠ التميل ٢ : ٦٤

ن

نبت	: النابتة ١ : ٣٥١
نبد	: النُبذ ١ : ٣١٣
نبل	: التُنيل ٢ : ١٦٩
نبه	: المعنى النبيه ١ : ٢٧١
نتف	: تنتف ١ : ١٠٠
نجم	: أنجَتم ١ : ٣٢٥
نجد	: النجود ١ : ١٦٩ النجلية ١ : ٢٠٩
نجر	: النَّجار ٢ : ١٣٥
نجز	: تناجزوا ١ : ٢٤٣

نجل	: النجل ١ : ١٩١ نجلهم ٢ : ٢٠٢
نحت	: النحِيتة ٢ : ٢٣٩
نحل	: يَنْحَلُ ٢ : ١٩٢
نخس	: النَخَّاسُ ١ : ٢٠٧
ندد	: النَّدَّ ١ : ٨١
نرج	: النيرجات ١ : ٣٢٥
نزر	: النَّزْرُ ٢ : ٢٠٧
نزع	: النَّزْعُ ١ : ٢٠٨ النَّزوع ١ : ٢١١ الْأَنْزَعُ ٢ : ٨٩
نزق	: النَّزَقُ ٢ : ٣٠١
نسج	: نسيج وحده ١ : ٩
نسم	: يَنْسَمُ ٢ : ١٣٦
نشأ	: النَّشَوُ ٢ : ٣٢
نشر	: النَّشْرُ ١ : ١٥٠ / ٢ : ٢١٤ انتشار الأمر ١ : ٣١٨ انتشار مذهبهم ١ : ٣٠٨
نصب	: نَصَبَ لَهُ ١ : ٢٦٤ يَنْصِبُ ١ : ٥٩
نصع	: الظرف الناصع ١ : ٨٧ - ١٢٥ أَنْصَعَ ظَرْفًا ١ : ١٠٠
نضج	: نَاصَحَ عَنْهُ ١ : ٢٦٥ يَنْضَجُ ١ : ٩٦ نَضُوحٌ للكبد ٢ : ٢٧٢ نَضُوحُهَا ٢ : ٢٦٨
نطف	: النَّطْفُ ٢ : ٣٠٧
نطق	: الْمِنْطِيقُ ١ : ٢٢٥
نعل	: نَعْلُ السَّيْفِ ١ : ٢١٨
نفج	: النَّفْجُ ٢ : ١٧٨
نفض	: يَنْفُضُ عَلَيْهِ لَوْنَهُ ٢ : ٢٦٩ لِيَنْفُضُوا ١ : ١٢٧

نقب	: نقبا ١ : ١٨ : النقباء ١ : ١٧
نقح	: نُقِّحَتْ ٢ : ٢٠٢
نقحْ	: نَقَّحَ ١ : ١٢٣
نقر	: النقيِر ٢ : ٢٦٢ : النقيِر ٢ : ٢٨٠
نقش	: المناقشة ١ : ٧٧ : المناقش ١ : ٨٥
نقص	: نَقَصَهُم ١ : ٢٨٠
نقض	: انتقض ١ : ٩٥ : يتنقض ١ : ٢٠٦ : الانتقاض ٢ : ١٨٠ أُنْقِضُ للطبيعة ٢ : ١٧٨
نقل	: المناقلة ١ : ١٢٥ : المناقلات ١ : ٣٥ : مناقل الحلم ٢ : ١٩٤
نقو	: تَنَقَّى ١ : ١٩٥
نكس	: التُّكْس ١ : ١٥٥
نمر	: النمر النَّيِّر ١ : ١٨
نمط	: النُّمَطُ ٢ : ١٦٠
نهب	: (أَنهَجَتِ الجود) ١ : ٧٧
نهر	: انتهره ٢ : ٦٣ : نُهرهم ٢ : ١٤
نَهك	: نَهَكْنَاهُمْ ٢ : ١٦٩
نهم	: منهوماً ١ : ١٢
نهته	: يَنْهَهُهُ ١ : ٨٨
نوا	: المُناوِي ١ : ٧٨ : مُناوياً ٢ : ٢٣٠
نوب	: تَنْيَبُ ٢ : ١٦٦
نور	: مَنار مساجلهم ٢ : ١٤٢
نوك	: النوك ٢ : ١٩٢ : نوك السفهاء ١ : ٢٧

نوّه	: تنوّهها ١ : ١٤٠
نوى	: النّوى ١ : ٥٨
•	
هيو	: الحيوّة ٢ : ١٤٣
هجلّم	: هجلّم ١ : ٢٠٥
هجر	: مهاجرة ٢ : ٢٣٨
هجم	: هجم منزله ٢ : ١١٣
هلب	: هلب الأشفار ١ : ٦٦
همن	: يهمن ألسنتهم ١ : ٣٥ المدان ١ : ٤١
هذذ	: هذذ هذا ذليقا ٢ : ٣١ المذ ١ : ١٢٥
هذر	: الهذار ٢ : ٢٢٩
هذى	: الهذى ٢ : ٢٨٠
هوج	: هرج هرجة ٢ : ٢١٣
هرع	: المرع ٢ : ٢٦٤
هرم	: الهرم ١ : ٢٠
هزأ	: الهزأ ٢ : ٢٨٠
هزج	: الهزج ٢ : ٢٧٩
هزم	: مزمة جبريل ٢ : ١١٨
هضض	: يهضضهم ٢ : ١٧٠
هكل	: الهكل ٢ : ٢٠٣
هكم	: التهكم ١ : ٢٧
هلس	: الهلاس ١ : ٢٧٢
همعج	: الهمعج ٢ : ١١٠ - ٣١٤ الجامع ٢ : ٣١٤

هملج	: المِلاج ١ : ٣٣
هور	: هور الأعمار ٢ : ٩٤ هوراً ١ : ٤٨
وتر	: الأوتار ٢ : ٢١٤
وثق	: الثقافات ١ : ٣٠٩ ، ٣٢٤
وجد	: سلوچلك ١ : ٢٤٨ الجلة ٢ : ٧٠ أوجد منه ٢ : ١٧٥
وجم	: الوجمة ١ : ٨٥
وجه	: أوجهوم ١ : ٤٧ وجه النهر ١ : ١٧
وحد	: واحلة ٢ : ١٧٢ أوحلياً ٢ : ٧٠
وخز	: الوخز ٢ : ٢٧١ وخزة ١ : ١٣
وخم	: التخم ١ : ٢١٧
ودد	: ودّ ١ : ٢٥٤ الأوّد ١ : ٣
ورع	: الرّعة ٢ : ١٧٥ رعته ١ : ٨ سوء رعته ٢ : ٣٢٣
وزر	: موزور ١ : ٦
وسط	: الواسطة ١ : ٨
وسم	: مياسم الشعراء ٢ : ١٩٢ موسومة ١ : ٧٠
وسى	: وساند ١ : ٣٤٤
وصل	: الوصائل ٢ : ١٢٠
وضر	: الأوضار ١ : ١٢٦
وضم	: لحم على وضم ٢ : ٢٠٠
وغد	: الأوغد ٢ : ١٩٣
وفى	: لن تفى به ١ : ٢٣٨
وقح	: القحّة ١ : ٢٩٤

وقى	: التقيّة ١ - ١٠٢ - ٢ : ١٧٧ - ٢٩٨
وكى	: أَوْكْنَا - الْوِكَاء ٢ : ١٦٥
ولد	: الْوِلَاد وَالْوِلَادَة ٢ : ٢٩٨ لِدَاتِكَ ٢ : ٧٠
وله	: التّوْلِيَهُ ١ : ١٥٦
وهق	: الْوَهَق ١ : ٢٠٤
وهم	: وَهْمَهُ ٢ : ١٨٠ يَهْمُ ٢ : ٢٧١ وَهْمَكَ ١ : ١٧ وَهْمَهُ ٢ : ٥٨

ف

يبب	: الْيَبَاب ٢ : ١٤٢
يدى	: الْيَد ١ : ٢٤٩ ، (٣٣٧) الْيَدَيْنِ ١ : (٣٤٥)
يسر	: يَسَارَهُ ٢ : ٢٩٨
يقق	: الْيَقَق ٢ : ٢٦٩
يمن	: صَفِيحَةُ يَمَانٍ ١ : ٥٤
يوم	: الْيَوْم ١ : ١٢٥

كلمات غير عربية

٢٤٦ : ١	إسرائيل :
٢١٥ : ١	الأسطرلاب :
١٧٨ : ١	بازيكنند :
٢٠٣ : ١٧٩ : ١	البرجاس :
٢١٥ : ١	البركار :
٣٢ : ١	بنجكار :
٢٦٧ : ٢٦٢ : ٢	ترش شیرین :
٢٦٩ : ٢	الدقياد :
٢٧٩ : ٢	الدماتين :
٢٧٠ : ٢	الدوشاب :
١٧٣ : ١	زغند :
٢٧٩ : ٢ (آلة موسيقية)	الزنج :
٢٧٢ : ٢	شاهسفرم :
١١٦ : ٢	الفالودج :
٢١٤ : ١	القرسغونيات :
٢٧٠ : ٢	القولنج :
١٧٨ : ١	كافر كوب :
٢١٥ : ١	الكونيا :
٣٣٣ : ١	مازاد :
١٩٤ : ١	مرفشيشا :
١٩٤ : ١	مغناتيس :
٣١٠ : ١	ملكا :

الفهرس السابع

٧- فهرس مسائل العربية

الاقتباس : الاقتباس من القرآن الكريم بترك بعض الحروف ١ : ٣٣٤ /
٢ : ١٣٣

أل : استعمالها مع كل وبعض ٢ : ١٠٣

الجمع : التعبير به عن المثنى ٢ : ٢٩٣

العدد : تأنيثه مع المؤنث ١ : ٢٠٤

لا : زيادتها ٢ : (١١٩)

المجانس : بمعنى الجناس ١ : ٢٧٣

النسب : زيادة النون في النسبة إلى العباد فيقال عباداني ٢ : ١٤٧

النون : حذف إحدى النونين : نون الوقاية ونون الرفع ١ : ٩٧،

٢٧ : ٢ / ١٥٦

الفهرس الثامن

٨- فهرس الأعلام^(١٥)

١

- آدم عليه السلام : ١ : ٦ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ : ٣٠٥ ،
٣٤٢ : ٣٤٣ ، ٢/٣٤٨ : ١٦٠ ، ١٧٩ ، ٢١٤ : ٣١٧
آسية بنت مزاحم ، مؤمن آل فرعون ٢ : ١٣٣
إبراهيم عليه السلام : خليل الله ١ : ٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
٣٣٨ - ٢/٣٤١ : ١١٨ ، ١٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦
إبراهيم بن السندي بن شاهك ١ : (٦٠) : ١٥٥
إبراهيم بن سيار النظام ١ : ٦٧ ، ٢٨٧ ، ٢/٣٣٨ : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥
إبراهيم بن هرمة ٢ : ٩٧
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ٢ : (٢٧٩)
إيليس ١ : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٤ : ٣١٧
أبي بن كعب ١ : ٢٢٨ ، ٢/٢٣٠ : ١٠٨ ، ٢١٠ ، ٣١٢
أحمد بن أبي دواد . أبو عبيد الله ١ : ٢٩٣ ، ٢/٢٩٤ : ٧٢
أحمد بن سلام ١ : ١٣٦
أحمد بن عبد الوهاب ١ : ٦٠
الأخنف بن قيس ١ : ٢/٦٨ : ١٣٨ ، ١٧٤ : ١٨٣ .
إخشيذ الصغددي ١ : ١٩٨
أرسططاليس ١ : ٧٢ ، ٣١٤
أزدشير بن بابك ٢ : ١٠٤ ، ١٨٢
أبو أزيهر النومي ١ : ٢٥٥
أسامة بن زيد : الحب بن الحب ١ : ٢/٨٣ : ٣١٨
أبو إسحاق = إبراهيم بن سيار النظام .
إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ١ : ١٧٠ ، ١٩٣
إسحاق بن إبراهيم الموصلي ١ : ١٣٢

(:) ما وضع من الأرقام بين قوسين فهو موضع الترجمة .

- إسحاق بن حسان : أبو يعقوب الخرمي ١ : ٣٦
 إسحاق بن طالموت ١ : ٢٧٧ — ٢٧٨
 أبو الأسد ٢ : ٤٠
 أسد الله = حزة ١ : ٣٤٠
 إسرائيل (الملك) ٢ : ٢١٤ ، ٣١٧
 إسرائيل = يعقوب بن إسحاق .
 إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١ : ١٧٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٣٣١
 إسماعيل بن جامع بن إسماعيل ٢ : (٧٨)
 إسماعيل بن أبي خالد ٢ : ٩
 إسماعيل بن علي ١ : (٩٨)
 إشعيا ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦
 الإصيفي ٢ : (١٣٥)
 أعوج (فرس) ١ : ٢٠١
 الأعشى ١ : ١٣
 الأغلب العجلي ١ : (٩٩)
 أفلاطون ١ : ٧٢ ، ٣١٥
 إقليدس ١ : ٣١٤
 أكرم بن صفي ١ : ٢١٢
 أمية بن أبي الصلت ٢ : ١١٦ ، ١١٧
 أنس بن مالك ٢ : (١٣٨) ، ١٣٩
 أبو أنسة ١ : (١٨٤)
 أنوشروان = كسرى
 أهبان بن أوس ١ : (١٩٣)
 أوس بن ثعلبة ٢ : (١٣٨)
 أيوب السخيتاني ٢ : (٢٥٨)

ب

- بابك الخرمي ٢ : (١٣٥)
 ابن بادام ١ : (٤٨)

بازام ، أو بازان ، أبو صالح ٢ : (٩) ، ١٠ ،

باقل ١ : ٢٠

بحير الراهب ١ : (٣١١)

بخت نصر ٢ : ١٢٠

بطريق خرشنة ٢ : ١٣٤

بطليموس ١ : ٣١٤

بقراط ١ : ٣١٥

أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ١ : ٢/٢٦٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ،

٣٥ ، ١٢٠ ، ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ،

٣١٤ - ٣١٦ ، ٣١٨

بكر بن عبد الله المزني ١ : (١١٦)

بكر بن أنثت عبد الواحد ٢ : (٣٠٠)

بلال بن رباح ٢ : ٢١٠ ، ٣١٣

بولس الحواري ١ : (٢٥٢)

ت

تثع ٢ : ١٢٠

ث

ثمامة بن الأشرس ١ : ١٩٨ ، (٢٨٧) ، ٢٨٩

ج

جالينوس ١ : ٣١٥

ابن جامع = إسماعيل

جبريل . روح الله ، روح القدس ، سيد الملائكة ١ : ٣٤٨ ، ٢/٣٤٩ ،

١١٨ ، ٢١٤ ، ٣١٧ .

جرير ١ : ٩٩

جمعة السلمي ١ : (٨٨)

أبو جعفر ١ : ٦٧

جعفر بن دينار الخياط ١ : (٩٨)

جعفر بن سليمان ٢ : ١٣٩

جعفر بن أبي طالب ، الطيار ١ : ٢/٣١٨ : ٢٤ ، (٢٩٤) - ٣١٨
أبو جعفر المنصور ١ : ٢٤٧
أبو جهل بن هشام ٢ : ٣٤ ، ١٨٤

ح

حاجب بن زرارة ١ : ٢٦٧
الحب بن الحب = أسامة بن زيد ١ : ١٨٣
الحجاج بن يوسف الثقفي ١ : ٣٧ ، ٩٧ ، ١٤٦
حذيفة بن يثرب ٢ : ١٨٤
أبو الحسن المداقي ٢ : ١٣٩
الحسن بن وهب ١ : ٩٨ ، (١١٣)
الحسن (بن يسار) البصري ١ : ٢/٤ : ١٢٥
الحسين بن علي بن أبي طالب ٢ : ١٢٢ ، ١٢٤
حفص بن سليمان ، أبو سلمة ١ : ١٨٤
أبو الحكم = عيسى بن أعين .
حماد (بن سلمة بن دينار البصري) ٢ : (٢٧٨)
الحمار ١ : ٢٤٥
أبو حمزة = عمرو بن أعين
حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، أبو عمارة ١ : ٢٦٣ ، ٣١٨ ، ٢/٣٤٠ :
٢٤ ، ٣٤ ، ٢٩٤

حميد بن عبد الحميد ١ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢
حنة بنت قنوتيل ١ : (٣٠٦)
أبو حنيفة النعمان ١ : ٤٥
حواء أم البشر ١ : ٢/٣٤٢ : ١٦٠

خ

• خالد ١ : ١٤٤
خالد بن إبراهيم الدهلي ، أبو داود ١ : ١٨١
خالد بن الوليد : سيف الله ١ : ٣٤٠
خباب بن الأرت ٢ : ١٩ : ٢٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٣١٣
خبيب (بن علي) ٢ : ٢٠٨

خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ٢ : ١٣٣

خويم الناعم ١ : (٣٦)

أبو الخطاب = قتادة بن دعامة

الخليل بن أحمد البصري ١ : ٤٠ ، ١٣٢ / ٢ : ١٣٨

خليل الرحمن ، خليل الله = إبراهيم عليه السلام

د

ابن دأب = عيسى بن يزيد

داود عليه السلام ١ : ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ / ٢ : ٢١٥ ، ٣١٨

أبو داود = خالد بن إبراهيم

أبو دجانة ٢ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٣

دحان = عبد الرحمن بن عمرو

أبو اللرداء ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣١٣

دريد بن الصمة ٢ : ١١٧

دغفل بن حنظلة ١ : (١٤٦)

أبو دواد الإيادي ١ : ٥٨

ديصان ١ : (٣٢١)

ديمقراط ١ : ٣١٥

ذ

أبو ذر الغفاري ٢ : ٣١٣

أبو ذؤيب الخثلي ٢ : ٢٥٦

ز

رشيدة مولاة صالح ١ : ١٣٦

رفقي ١ : (٣٠٦)

الروح الأمين = جبريل ١ : ٣٤٩

روح بن زنباع الجلفي ، أبو زرة ٢ : (١٣١)

روح القلم = جبريل ١ : ٣٤٨

روح الله = جبريل ١ : ٣٤٨

= عيسى عليه السلام ١ : ٣٤١ ، ٣٤٨

ز

- زبذب ١ : (٦٧)
الزبير = عبد الله
الزبير بن العوام ١ : ٢٣٢ ، ٢/٢٣٣ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣
زرادشت ١ : ٢٥٢ ، ٣٢٧
الزراذيشي = صالح
أبو زرعة = روح بن زنياع
زكريا عليه السلام ١ : ٥٠
زلزل المغني ١ : (١٢٢)
زهير بن جلدبة العبسي ١ : (١٤٤)
زهير بن أبي سلمى ١ : ٣٤٠
زوزري ابنة مرقس ١ : ٣٣٣
زياد بن أبيه ١ : ٩٧/٢ : ١٣٦ ، ١٤٦
زيد بن ثابت القاري ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢/٢٣٢ : ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
(٢٩٤) ، ٣١٢ ، ٣١٤
زيد بن حارثة ١ : ١٨٣/٢ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٠٨ ، ٣١٢ : ٣١٨
زيد الخليل ٢ : ٢٢٤

س

- سابور ذو الأكثاف ٢ : ١٢٠
سارَى ١ : (٣٠٦)
ابن سامري ١ : ٤٨
ابن سريج = عبد الله
سعد بن عباد ٢ : ٢٩٢ ، ٢٩٣
سعد بن أبي وقاص ١ : ٢٣٢ ، ٢/٢٣٣ : ٣١٨
سعيد بن جبير ١ : ١٣
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٢ : ٣١٨

- سعيد بن المسيب ٢ : ٢٥٧
سفيان (الثوري) ٢ : ٩
أبو سفيان بن حرب ٢ : ١٨٤
سلامة ٢ : ٢٢٣
سلمان الفارسي ١ : (٣١١)
أبو سلمة = حفص بن سليمان
سلمان بن داود عليهما السلام ١ : ١٩٣ ، ٣٣٣
سلمان بن كثير الخزاعي ، أبو محمد ١ : ١٨١
سلمان بن وهب ١ : ٩٨
سلمان بن يسار ، أبو أيوب ، أو أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ٢ : (١٢٥)
أبو سهل = القاسم بن مجاشع
سيد بكر بن وائل = كليب
سيف الله = خالد بن الوليد
سيف بن ذي يزن ١ : ٢٦٩

ش

- شبل بن معبد ٢ : ١٨٤
شبيب بن بخار خدای ، أبو شجاع ١ : ٩٨
أبو شجاع = شبيب
شريك بن عبد الله بن أبي شريك التخفي ٢ : (٢٧٨)
شعيب عليه السلام ١ : ٢/٣٣١ ، ١٠١ ، ١٠٣
شقران ١ : (١٨٤)
شمعون الصفا ١ : ٣٣٣
شيبان (بن عبد العزيز الحروري) ٢ : (١٣٥)
شيبة = عبد المطلب بن هاشم
أبو شيبة = هاشم بن عبد مناف
شيرويه ١ : ٢٦٩
شيطان ، التسمية به ١ : ٢٤٤

ص

- صالح عليه السلام ١ : ٢٣١ - ٢٤٠
أبو صالح = باذام ، أو باذان
صالح بن حجاب ١ : ١٣
صالح مولى رشيدة ١ : ١٣٦
صالح الزرازيرثي ١ : ٤٨
صالح بن أبي صالح ١ : ١٣٦
صالح بن علي ١ : ٩٨

ض

ابن ضبارة = عامر

ط

- أبو طالب بن عبد المطلب ٢ : ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٢
طالبوت ٢ : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٣١٨
طاهر بن الحسين ١ : (٩٩)
الطرماع ٢ : ٢٠٤
طلحة بن عبيد الله ١ : ٢٣٢ ، ٢/٢٣٣ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٠٨ ،
٣٠٦ ، ٣١٢
طليحة (بن خويلد ، المتنبى) ٢ : ٢١٤

ظ

....

ع

- عامر (بن شراحيل) الشعبي ٢ : ٢٥
عامر بن ضبارة ١ : ١٧٦ - ١٨٢
عامر بن الطفيل ٢ : ١٨٤
عائشة ، أم المؤمنين ٢ : ٢٧ : ٣٠٦
العباس بن عبد المطلب ١ : ٢٦٣ - ٣١٨ / ٢ : ٢٤
أبو عبد الحميد = قحطبة بن شبيب
عبد الحميد الكاتب ١ : ٢٨٧ - ٢٨٩

- عبد الرحمن بن عمرو - دحان ٢ : (٧٨)
عبد الرحمن بن عوف ١ : ٢٣٢ - ٢٣٣
عبد الرحمن بن مسلم - أبو مسلم ١ : ١٨٤
عبد الكريم بن أبي العوجاء ١ : (٢٧٧)
أبو عبد الله = أحمد بن أبي دواد
عبد الله بن أبي ١ : ٩
عبد الله بن جلعان ٢ : (١١٦)
عبد الله بن الزبير ١ : ١٢ ، ١٣ ، ٢/٢٤٣ : ١١٠
عبد الله بن عباس ١ : ١٣ ، ٢/١٤ : ١٠
عبد الله بن عمر ٢ : ١٦٤
عبد الله بن عمرو ٢ : ١٣٤
عبد الله بن مسعود ١ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢/٢٣٤ : ٣٥ ، ٢٠٨ ،
٣١٢
عبد الله بن المقفع ، أبو عمرو ١ : ٤٤
عبد الله بن وهب الراسبي ١ : ٢/٢١٢ : ٢٨٠٢٦
عبد المطلب بن هاشم : شبة ، أبو الحارث ٢ : ١٢٢ ، ١٨٣
عبد الملك بن صالح ١ : ١٥٥
عبد الملك - الفريض المقي ١ : (٢٧٨)
عبد الملك بن مروان ١ : ١٤٨ / ٢ : ١٣١
عبد مناف (بن قصي بن كلاب) - المفيرة ٢ : ١٢٢
عبد الله بن زياد ٢ : ١٢٤
عبد الله بن سريج ٢ : (٢٧٨)
أبو عبيدة بن الجراح ٢ : ٢١٣ - ٢٩٣ : ٣١٥
أبو عبيدة (معمّر بن النخعي) ٢ : ١٢٢ : ١٣٩
عتبة بن ربيعة ٢ : (١٨٤)
أبو عتبة = موسى بن كعب
عتيق = أبو بكر بن أبي قحافة ٢ : ١٢٠
عثمان بن عفان ١ : ٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢/٢٣٣ : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠٦

- عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣١٣ ،
 عروة بن الزبير ١ : ١٤٠
 عُزَيْرُ النَّبِيِّ ١ : ٣٠٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ،
 العزيز ، ملك مصر ٢ : ١٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 ابن عفراء ٢ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣
 عقيل بن أبي طالب ٢ : ٢٤
 عكاشة بن محصن ١ : ١٤٤
 علوية = علي بن عبد الله
 علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٢ : ١٢١
 علي بن أبي طالب ١ : ٦٨ ، ٢٩ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٣ ، ٣١٨ / ٢ : ٢٠ - ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ - ٣٠ ،
 : ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٠ ، ٢٠٨ -
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣١١ - ٣١٥
 علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢ : ١٢١
 علي بن بن عبد الله بن العباس ١ : ٢ / ١٨٣ ، ١٢١
 علي بن عبد الله بن يوسف ، علوية ٢ : (٢٧٨)
 عمار بن ياسر ٢ : ٢٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣١٣
 أبو عمار = حمزة بن عبد المطلب ٢ : ٢٩٤
 ابن عمر = عبد الله
 عمر بن الخطاب ١ : ١٤ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٢٣٤ ، ٢٦٣ / ٢ : ٢١ ،
 ٣٥ ، ١١٧ ، ١٦٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٢٩٣ ،
 ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٥ .
 عمران بن إسماعيل ، أبو النجم ١ : ١٨٤
 عمرو = هاشم بن عبد مناف ٢ : ١١٢
 أبو عمرو = لاهز بن قريظ
 عمرو بن أعين : أبو حمزة ١ : ١٨٤
 عمرو بن بحر الجاحظ ١ : ٢ / ٦٧ ، ١٥١
 عمرو بن عبد ود ١ : (٢٥٤) ، ٢٥٥

عمرو بن عبيد : ١ : ٢٩٨

عمرو بن عثمان الشمرى : ١ : (٣٠٠)

أبو عمرو بن العلاء : ٢ : ١٨٣

عمرو بن مسعود : ٢ : ٢١٠

عتيمة بن سعيد بن العاص : ١ : (١٤٦)

ابن أبى العوجاء = عبد الكريم

عون النصراني ، العباداني : ٢ : ١٤٧

عيسى بن أعين ، أبو الحكم : ١ : ١٨٤

عيسى بن مريم عليه السلام ، روح الله : ١ : ١٤٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٠ ،

٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٩ ، ٣٠٣ - ٣٠٤ ،

٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ / ٧ : ٢٧٧ . وانظر : (المسيح)

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب : ١ : (٢٥٥)

عينة بن حصن : ١ : ٢/٧٥ (١٨٤) .

غ

الغريض = عبد الملك .

ف

فاطمة بنت رسول الله : ٢ : ١٣٣

الفتح بن خاقان : ١ : (٨٣) .

فرج : ٢ : ٢٢٣

أبو الفرج الكاتب = محمد بن نجاح

الفرزدق : ١ : ٩٩

فروعون : ١ : ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ / ٢ : ١٠١ ، ١٣٢ ، ٣٣٣ ، ١٨٣ .

فروة بن نوفل : ٢ : (٢٨)

فضل : ٢ : ٢٢٣

أبو الفضل : ٢ : ٢٢٤

الفضل بن عيسى الرقاشي : ١ : ٣٠٠

فيروز الديلمي ١ : (٢٦٩)

فيروز بن يزدجرد ٢ : ١٠٤

ق

القاسم بن سيار ١ : ١٩٨ ، ٢٠٢

القاسم بن مجاشع المَرْقُيَّ . أبو سهل ١ : (١٨٢)

قنادة بن دعامة السدوسي . أبو الخطاب ٢ : (١٣١) ، ١٣٤ .

قنينة بن مسلم ٢ : ١٨٥

قحطان ١ : ١٩٣

قحطبة بن شبيب الطائي ، أبو عبد الحميد ١ : (١٨٦)

قيدار بن إسماعيل ١ : ٣٣٥

قيس بن زهير ١ : ٦٧ ، (٩٩)

قيس بن سعد بن عبادة ٢ : ٢٩٣

قيصر الروم ١ : ٢/٣١٢ : ١٢٧

ك

كاهنة اليمن ٢ : ٢٥٦

كسرى أنوشروان ١ : ١٧٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢/٣١٢ : ١٨٢ : ٢٣٠

أبو كلدة ١ : (٢٨٧) ، ٢٨٩

(كليب بن ربيعة ، سيد بكر بن وائل) ٢ : (١٨٣)

كليم الله = موسى ١ : ٣٤١

ل

لاعاذر : (٣٢٦)

لاهن بن قريظ : أبو عمرو (١٨١) .

ابن لسان الحمرة ١ : (١٤٦)

لوط عليه السلام ٢ : ١٤٨

لوقش (لوقا) ١ : ٣٢٨ ، ٩٢٩

ليلي (في شعر) ١ : ٣٤٠

٢

مارقش (مرقص) ١ : ٣٢٨ ، ٣٣٣

ماعر بن مالك الصحابي ٢ : (١٣٣)

مالك بن الطواف المرقى ١ : ١٨٢

مالك بن الهيثم الخزاعي ، أبو نصر ١ : (١٨١)

المأمون بن هارون الرشيد ١ : ١٩٨

ماني صاحب المانية ١ : ٢٥٢

متى صاحب الإنجيل ١ : ٣٢٨

مجاهد (بن جبر) ٢ : ٩ ، ١٠

ابن محرز = مسلم

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،

٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٤١

أبو محمد = سليمان بن كثير

محمد بن الأشعث ١ : ١٨٢

محمد بن الجهم ١ : ١٩٨

محمد بن خازم ، أبو معاوية ٢ (٩)

محمد بن سيرين ٢ : ٢٥٨

محمد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢ : ١٢١

محمد بن عبد الملك الزيات ١ : ٧٢ / ٢ : ٨٣

محمد بن علي بن الحسين بن علي ٢ : ١٢١

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ١ : ١٧٤ ، ١٨٣ / ٢ : ١٢١

محمد بن مسلمة ٢ : ٢٠٨ ، ٣١٢

محمد نجاح بن سلمة ، أبو الفرج الكاتب ٢ : (١٩١) ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

مخارق (بن يحيى بن نائس الجزار) ١ : ٦٧ ، (١٢٢) / ٢ : (٢٨٧)

مرقس بن شمعون الصفا = مارقش

مرقون ١ : (٣٢١)

مروان بن محمد ١ : ١٧٦ ، ١٨١

مريم بنت عمران (بن ماثان) عليها السلام ١ : ١٤٩ ، ٣٠٦ - ٣٤١ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ / ٢ : ١٣٣

- ابن مسعود = عبد الله
أبو مسلم = عبد الرحمن بن مسلم
مسلم بن عزرز ٢ : (٢٧٨)
مسلم بن يسار ٢ : (٢٥٨)
مسيلة الكذاب ٢ : ٢١٤
معاذ بن جبل ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣
المسيح بن مريم عليهما السلام ١ : ١٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ . وانظر : (عيسى)
أبو معاوية = محمد بن خازم
معاوية بن أبي سفيان ١ : ٢/٢٤٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٥٣ .
معيد (بن وهب) المغني ٢ : (٢٧٧)
المعتصم بالله العباسي ١ : ١٩٦ ، ٢٩٢
معمر بن عباد السامي ١ : (٢٨٧) ، ٢/٢٨٩ : ٥١
المنيرة = عبد مناف
المقتنع الخراساني ١ : (١٣٥)
المقوقس ٢ : ١٢٧
المنصور ، أبو جعفر ١ : ١٨٣ ، ٢٤٧
منصور بن جمهور ١ : (٢٤٧)
أبو منصور مولى خراة ١ : ١٨٤
منصور (بن المعتز) ٢ : ٩
ابن مهدي ٢ : ٩
المهلب بن أبي صفرة ١ : ١٤٨ / ٢ : ١٨٣
موسى بن عمران (بن بصير) عليه السلام : كلام الله ١ : ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ / ٢ : ١٠ ، ١١ .
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٣١ - ١٣٣
موسى بن كعب المزني ، أبو عتيبة ١ : (١٨١ - ١٨٢)
مؤمن آل فرعون = آسية
ميكايل (الملك) ٢ : ٨٧ ، ٢١٤ ، ٣١٧

ن

نباتة بن حنظلة ١ : (١٦٨) : ١٨٢

النجاشي ١ : ٣١٢ / ٢ : ١٢٧

نبحج ٢ : ٢٢٣ .

نجدة بن عامر ١ : (٢٠٩)

أبو النجم = عمران بن إسماعيل

أبو نصر = مالك بن الحيثم

نصر بن الحجاج ١ : (٨٨)

النظام = إبراهيم بن سيار

النعمان بن المنذر ١ : ٢٧٨

نوح عليه السلام ١ : ٢٥٢ . ٢٥٧

■

هارون عليه السلام ١ : ٢٥٧ ، ٣١٣

هاشم بن أشتاخج ١ : ١ : ١٨٨

هاشم بن عبد مناف ، عمرو ٢ : (١٢٢) ، ١٢٥

هاشم بن المغيرة = هاشم بن عبد مناف

هامان ١ : ٣٠٤

ابن هبيرة ١ : ١٧٦ ، ١٨٢

هرثمة بن أعين ١ : ٩٩

هرم بن سنان ١ : ٣٤٠

هرمس ١ : ٧٢

ابن هرمة = إبراهيم

هود عليه السلام ١ : ٣٣١

و

ورقاء بن زهير ١ : ١٤٤

وكيع بن الجراح بن ملبح الرؤاسي ٢ : (٢٧٨)

وكيع بن أبي سود ٢ : ١٨٥

الوليد بن عبد الملك ٢ : ١٨٢

وهب الدلال ١ : (٩٩)

ی

یحیی بن زکریا علیهما السلام ۱ : ۱۹۳ - ۲۴۰ - ۲۵۷ - ۲/۳۰۵ : ۲۴ :

۳۷

یحیی بن معاذ ۱ : ۱۹۸

یعقوب بن إسحاق بن ابراهیم علیهم السلام ، إسرائيل ۱ : ۳۲۹ - ۳۳۱ ، ۳۳۳ ،

۳۳۴ : ۳۴۶ ، ۳۴۷

أبو یعقوب الخریزی = إسحاق بن حسان

یعقوب بن عید ۲ : ۹۹

أبو یکسوم ۲ : ۱۲۰

یوحنا الخواری ۱ : ۳۲۸

یوحنا بن فرج ۱ : ۳۰۵

یوسف علیه السلام ۱ : ۱۵ ، ۲۶۷ ، ۲/۳۳۱ : ۱۰۱ - ۱۳۱ ،

۱۳۲ ، ۱۳۴

أبویوسف ، الفقیه ۲ : ۲۶۲

یوسف بن عمر ۲ : ۱۸۲

یوسف التجار ۱ : ۳۲۶

یوسف بن عید ۲ : (۲۵۸)

الفهرس التاسع

٩ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

أ

الآزاذمردية ١ : ١٧٣

الإباضية ١ : ٢ / ٢٠٩ : ١٢٨

الأبناء ، البنويون ١ : ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢١٠ :

٢١١

الأثاويون ٢ : ١٨٨

الأكراك = القرك

الأحلاف ١ : ٢٥٥

الأردوان ٢ : ١٠٤

الأزارقة ١ : ٢٠٢ ، ٢ / ٢٠٩ : ٢٥٠

الأزد ٢ : ١٨٣

بنو إسحاق ٢ : ٢٣٨

أسد بن عبد العزى ٢ : ٢٣٨

بنو إسرائيل ١ : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ / ٢ : ٢١٥ ،

٣١٨

أصحاب التشبيه = المشبهة

أصحاب الرؤية ٢ : ٨

الأطباء ١ : ١١٤ ، ٣١٦ ، ٢ / ٣٢٠ : ٢٤٧

الأعراب ١ : ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ /

١١٧ : ٢

الأكراد ١ : ٢٦٨

أكراد العرب = هنليل ١ : ٢١٧

الأكررة ٢ : ١٠٢

أمهات المؤمنين ١ : ١٩١

بنو أمية ١ : ٢٣٢

الأنصار ١ : ١٠ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٣٢ ، ٣٠٩ / ٢ : ٢٣٨ ،
٢٧٦ - ٢٩٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٢٠٦
الأوس ١ : ١٧٣ / ٢ : ٢٣٨ ، ٢٩٢
إياد ١ : ٣١٣

ب

باهلة ١ : ١٤٩
البير ١ : ٣٢٧
بحيلة ١ : ٩٨
البحرانيون ٢ : ١٢٨
البدريون ٢ : ٣١٨
أصحاب البرانس ٢ : ٢٨
البصريون ١ : ٢/٢٦٠ : ١٤٤
بكر بن وائل ١ : ٢/١٣ : ١٨٣
البكرية (الفرقة) ١ : ٣٠٠
البلالية (الفرقة) ١ : ١٨٧
البنويون = الأبناء

ت

أهل تبت ١ : ١٧٧
التتر ١ : ٣٢٧ ح
التجار ٢ : ٢٥٣ - ٢٥٦
الترك ١ : ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ، ١٩٤ - ١٩٦ ،
١٩٩ ، ٢٠٠ - ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ / ٢ : ١٢٦
التغزغز ٢ : ١٢٦
تميم ١ : ١٦٩ - ٢ : ١١٨ ، ١٨٣
أصحاب التماسخ ١ : ١٠٢

ث

الثغريون ١ : ٢٠٦

تقيف ١١٥ : ٢

نمود ١ : ٢ / ١٧٧ : ١٥٨

ج

الجزيرة ١ : ٣٠٠ ، ٢٤٥

آل ذي الجدين ١ : ٣١٣

الجزويون ١ : ٢٠٩

الجالون ٢ : ١٠٠

أهل الجهاز ٢ : ١٠٠

أصحاب الجورين ١ : ١٧٣

ح

الحارث بن كعب ١ : ٢ / ٣١٣ : ١١٥ ، ١٢٧

الحاكة ١ : ٢١٠ - ٢ : ١٢٨

الحبش ، الحبشة ١ : ٢ / ١٦٨ : ١٢٧ ، ٤٧

الحجازيون ١ : ١٦٩

الحجاءون ١ : ٢٠٩ ، ٣١٦ / ٢ : ١٢٨

أهل الحرم ١ : ١٤

الحزبية ١ : ١٨٧

الحساب ١ : ٣١ / ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

الحشوية ١ : ٢٨٨ - ٣٥١

الحكام ١ : ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ / ٢ : ٧٧

الحمس ، قریش ١ : ٤٧ / ٢ : ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٧

حمير ١ : ١٦٩ - ١٣

الحواريون ١ : ٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٣٣٣

خ

الخراسانية ١ : ١٦٨ - ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩١

١٩٤ ، ٢٠٤ - ٢١١

خزاعة ١ : ١٨٤ / ٢ : ١١٤ - ١١٥

(٢٦ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

- الخز ١ : ٣٠٧ - ٣٢٥ - ٣٢٧
الخزرج ١ : ٢ / ١٧٣ : ٢٣٨ ، ٢٩٢
الخزرجية ٢ : ١٢٧
الخصيان ١ : ٢٠٦
الخطاطون ١ : ٣١ ، ٣٩
أصحاب الخلقان ١ : ٢ / ٢١٠ : ١٢٨
الخليدية ١ : ١٨٧
أصحاب الخنادق = الخندقية
الخوارج ١ : ١٩٩ - ٢١١ - ٢٣٣ ، ٢٦٨ - ٢ / ٢٩٨ : ٥٤
١٢٧ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢٥٠
الخوز ٢ : ١٢٨

د

- الدالية ١ : ١٧٥
الديباغون ١ : ٣١٦
الدمشقيون ١ : ٨٥
الدهرية ١ : ٢٥٠ : ٣١٤ ، ٣١٥
الديصانية ١ : ٣٢١
الديلم ١ : ٣٢٥ - ٣٢٧

ذ

- الذكوانية ١ : ١٧٥

ر

- الراشدية ١ : ١٧٦
الرافضة ، الروافض ١ : ١٠٢ ، ٢٣٣ - ٢٥٤ : ٢٨٧ ، ٢٩٦ ،
٢٩٨ - ٣٠٠ : ٢ / ٣٥١ : ٢٤ ، ٢٠٧
ربيعة ١ : ٣١٣
أهل الردة ٢ : ٢١٤ ، ٣١٦
الرهبان ١ : ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ / ٢ : ٥٤

الروافض = الرافضة :

الروم ١ : ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٦٨ ، ٣١٢ - ٣١٥ ، ٣٢٣ ،
١٨٢ ، ١٢٧ : ٢ / ٣٤٦

ز

الزغندية ١ : ١٧٣

الزنادقة ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤

الزنج ، الزنوج ١ : ١٦٨ ، ١٩٢ / ٢ : ٢٧٧

الزنج = الزنج

الزهاد ٢ : ٢٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤

بنو زهرة ٢ : ٢٢٨

الزيدية ٢ : ٢٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٧

س

الساسانيون ، آل ساسان ١ : ٢١٤ ، ٢١٨ / ٢ : ١٨٢

السجستانيون ١ : ٢٠٩ / ٢ : ١٢٨

الصحرة ٢ : ٢٢ ، ١٣٣

سعد بن بكر ٢ : ١١٧ ، ١٤٣ ، ٢٣٨

سفل قيس ١ : ١٦٩

بنو سفيان ١ : ١٧٥

بنو سليم ٢ : ١١٤

أصحاب السجاد ٢ : ١٢٨

الساكون ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨

السند ٢ : ١٢٨

ش

الشاكزية ١ : ١٩٠ ، ٣١٧

الشعابون ١ : ٣١٦

الشمزية ١ : ٣٠٠

أهل الشورى ٢ . ٢٥

الشعبة ١ : ١٦٧ . ٢٣٣ . ٢٣٤ / ٢ : ٢٨ : ٢٠٧ . ٢٥٠ .

٣١١

شعبة الأثر الك ١ : ١٧٤ . ١٨٥

ص

الصباينة ١ : ٣٠٦ . ٣٢٠ . ٣٢٣ : ٣٢٤

الصباغون ١ : ٣١٦

الصحصية ١ : ١٧٥

الصفرية ١ : ٢٠٩

الصقالبه ١ : ١٦٨

الصيارفة ١ : ٤٥ : ٤٩ ، ٣١٦

أهل الصين ١ : ٢١٤ — ٢١٦ ، ٢١٨ . ٢١٩

ض

.....

ط

آل أبي طالب ٢ : ١٢٢ — ١٢٤

الطوائف ١ : ٢٦٨ / ٢ : ٣٠٥

الطيلسان ١ : ٣٢٧

طبيء ١ : ٣١٣

ظ

.....

ع

عاد : ١ : ١٧٧

آل أبي العاص ١ : ٢٣٢

عامر بن صعصعة ١ : ١٤٩ / ٢ : ١١٥ : ١١٨ . ١٢٧

العاملية ٢ : ١٠

العباد ١ : ٣١٣

- عباد البلدة ١ : ٣٠٦
عبد شمس ٢ : ١٢٥
عبد القيس ١ : ٣١٣
عبد مناف ١ : ١٧١ / ٢ : ١٢٥ - ٢١٢
عيس ١ : ١٤٩
العنانية ٢ : ١٩ ، ٢٢ : ٢٨
عجز هوازن ١ : ١٦٩
العجم ١ : ١٥٦ - ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ / ٢١٧ : ٢ : ١١٤ ،
٢٠٩ ، ٢٨٥ ، ٣١٣
عدنان ١ : ١٧٠ ، ١٩٣
العدنانية = عدنان
المروضيون ١ : ٣١ - ٢ : ٢٤٦
المطارون ١ : ٣١٦
عليا تميم ١ : ١٦٩
العائلة ١ : ١٧٧
العمانيون ١ : ٢٠٩
عمرو مزيقيا ٢ : ٢٣٨
العمريون ١ : ٢٣٤
العوام ، العامة ١ : ٣٨ ، ٩٥ ، ٢٦٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨
٣٠٩ ، ٣١٦ / ٢ : ٣٦ - ٣٨ ، ٤٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٢ ،
٢٤٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

غ

- غسان ، الغسانيون ١ : ٣١١ - ٢ / ٣١٣ : ١٢٠
غطفان ١ : ١٤٩ / ٢ : ١١٨ - ١٨٤
الغلاة ٢ : ٢٥٠
غنى ١ : ١٤٩

ف

قارس = القرس

فراشو الملوك ١ : ٣١٦

الفرانقيون ١ : ٢٠٦

القرس ١ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٤ / ٢ : ١٠٣ ، ١٨٢

الفرسان ١ : ٣١

القرضيون ١ : ٣١ / ٢ : ٢٤٦

الفضلية ١ : ٣٠٠

الفرهاء ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ / ٢ : ٩ ، ٢٠٨

٣١٢ ، ٣١٤

الفلاسفة ١ : ١٣١

الفلاتية ١ : ٣٢١

ق

القبط ١ : ٢٧٠ - ٢٧٢

قحطان ١ : ١٩٣ ، ٢٢٩

قريش ١ : ٤٥ - ٤٧ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ / ٢ : ٢٤ ، ٢٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، ٢١٠ - ٢١٢ ،

٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

القصابون ١ : ٣١٦

القصاصون ١ : ٢٤٨ ، ٢٩٧

الانضاة ١ : ٣١ / ٢ : ١٨٨ ، ٢٥٠

بنوقيلدار ١ : ٣٣٥

قيس ١ : ١٦٩

ك

أهل الكتاب ١ : ٣٢٩

الكتاب ١ : ٣١ ، ١٨٤ ، ٣١٦ / ٢ : ٢٠٢ ، ٢٤٦

- الكفية ١ : ١٧٣ - ١٨٧
الكفية ١ : ٧٣
كثانة ١ : ٧٣
الكتعانيون ١ : ١٧٧
الكهان ، الكهنة ١ : ٢٦٢ / ٢ : ٢٢ ، ٣١
الكوفيون ١ : ٢٦٠

ل

- أهل الله = أهل مكة
لحم ، الخميون ١ : ٣١١ ، ٢ : ١٢٠
قوم لوط ٢ : ١٥٨

م

- مأجوج ١ : ١٧٧
المكهلون ١ : ٤٤ ، ٢٢٤ ، ٢٩٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ / ٢ : ٢٢
٢٤٣ - ٢٥٠
المتنبئون ٢ : ٣١ ، ٦٠
المخوس ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨
مخزوم ٢ : ١٢٥
المرجئة ١ : ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٣ ، ٢٥٠
المرقونية ١ : ٣٢١
مرة بن عوف ٢ : ١١٥
بنو مروان ١ : ١٧٥
المستجبة ١ : ١٧٣ ، ٣٢٨
المشبة ١ : ٢٥٣ ، ٢٩١ ، ٣٥١ / ٢ : ٥ ، ٧ ، ١٣
أصحاب المشترات ١ : ١٨٦
المصريون ١ : ٣٣٥
مضر ١ : ٢٦٧ ، ٣١٣
المطيون ١ : ٢٥٥

- المعتزلة ١ : ٢٢٣ - ٣٠٠ - ٢ / ٢٢٨ : ٢٥٠
 معد بن عدنان ١ : ٢٢٩
 المعلمون ، المؤدبون ١ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ - ٣٥ ،
 ٩٧ : ٢ / ٤٤
 آل أبي معيط ١ : ١٨٤
 أحسل المغرب ٢ : ١٣٤
 المغريون ١ : ٢٠٩
 المغنئون ١ : ١٣١
 الشكاريون ٢ : ١٠٠
 الملاحون ٢ : ١٢٨
 الملائكة ١ : ٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ /
 ٣١٧ ، ٢٧٧ ، ١٨٠ : ٢
 الملكية ١ : ٣١٠ ، ٣٢٤ / ٢ : ١٤٢
 المنابة ١ : ٢٥٢ ، ٣١١
 المنجمون ١ : ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ -
 ٢ / ٣٢٧ : ٢٢ - ٣١ - ٢٤٧
 بنومقر ١ : ٩٨
 المهاجرون ١ : ١٨٣ ، ٢٣٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ / ٢ : ٢٧٦ ،
 ٣١٨ - ٣١٥ - ٣٠٦
 المؤدبون = المعلمون ١ : ٣٠
 المهندسون ٢ : ٢٤٧ - ٢٤٩

ن

- النابة ١ : ٢٨٨ ، ٢٩٦ - ٣٠٠ - ٣٥١ / ٢ : ١٧٣ ،
 ٢٤٣
 النجباء ١ : ١٧٢ - ١٧٣
 النجديون - النجدات ١ : ٢٠٩
 النحاة ، النحويون ١ : ٣١ - ٣٣٧
 النخاسون ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨

النساء ١ : ١٣٩ - ١٥٩
 النسطورية ١ : ٣٢٢ . ٣٢٤
 التصارى ١ : ٢٥٠ - ٢٥٤ . ٢٧٢ . ٣٠٣ ، ٣٠٧ - ٣٣٦ ،
 ١٢٧ : ٢ / ٣٤١
 النقباء ١ : ١٧٢ - ١٧٣ . ١٨١ : ١٨٢ ، ١٨٤
 نيم خزان ١ : ١٧٣
 النجيمة ١ : ١٧٣

■

بنو هاشم ٢ : ١٢ ، ١٤ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ٢ / ٢٣٢ : ١٢١ ،
 ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٨٣ ، ٢٣٨
 هليل ، أكراد العرب ١ : ٢١٧
 الهند ١ : ٣٩ ، ١٧٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧
 هوازن ١ : ١٦٩ / ٢ : ١٦٣

و

الوراقون ٢ : ٩٧
 الوزراء ١ : ٣١ ، ١٦٤ ، ٨٨ / ٢ : ١٣٤
 الوكلاء ٢ : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢

ى

يأجوج ١ : ١٧٧
 اليهودية ١ : ٣١٠ . ٣٢٢ ، ٣٢٤ / ٢ : ١٢٤
 اليماميون ٢ : ١٢٨
 اليمانية ١ : ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٣١٣
 اليهود ١ : ٢٥٠ - ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٠٤ ،
 ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣٤ - ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٥١
 وانظر : بنو إسرائيل
 اليونانيون ١ : ٢١٤ - ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٣١٥

الفهرس العاشر

١٠ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

I

- الأبلة ١ : ٢ / ٤٦ : ١٢٩
أحد ١ : ٢٨١
الأرض = مصر ٢ : ١٣٢ ، ١٣٤
إفريقية ١ : ١٨٢
الأقاليم السبعة ٢ : ١٢٢
أم القرى = مكة ٢ : ١١٠
الأندلس ٢ : ٤٧
أنطاكية ٢ : ١٣٠
الأهواز ١ : ٤٥ ، ٤٨ - ٢ : ١٣٠ ، ١٣٥ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٦٢ : ٢٦٩

ب

- البحرين ١ : ٢٤٧ ، ٢٤٨
بندر ٢ : ٢٦
البصرة ١ : ٤٥ ، ١٧٥ ، ٢٤٨ / ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٤٠ ، ١٤٣ - ١٤٧ ، ١٨٤
البطحاء ١ : ١٥ / ٢ : ٣٤
البطيحة ٢ : ١٤٠ ، ١٤٦
بغداد ، مدينة السلام ١ : ١٣٤ ، ١٨٥ باسم خراسان العراق ،
١٨٨ / ٢ : ١٠٤ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٣ - ١٤٤
بلد ٢ : ١٣٦
البلد = مكة ٢ : ١١٩
بيت الله ، البيت الحرام ، البيت العتيق ، الكعبة ١ : ١٤٧ ، ٣٤٠ /
١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩

بيت المال ٢ : ٢٠٩

ت

تاهرت ٢ : ١٢٨

تبت ١ : ١٧٧

تهامة ١ : ٣١١

تجاء ١ : ٣١٣

ث

ثهلان ١ : ٩٢ / ٢ : ١٧٤

ج

جبانة البصرة ٢ : ١٣٩

الجزائر ١ : ٢٣٥

الجزيرة ١ : ١٧٥

الجرس ٢ : ١٤١

جلولاء ٢ : ١٦٤

ح

الحبشة ١ : ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣

الحجاز ١ : ٢٧٠ / ٢ : ١١٠ ، ١٣١

الحجر ٢ : ١١٨

الحجر الأسود ٢ : ١١٨

حران ٢ : ١١٩

الحرم ١ : ١٤

حرم المدينة ٢ : ٢٧٦

الحرة ٢ : ٢٥٤

حنين ١ : ٢٨١

الحيرة ، الحيرة البيضاء ١ : ٤٦ ، ٣١٣ / ٢ : ١١٩ ، ١٤٧

خ

خراسان ١ : ١٧٣ / ٢ : ١٢٣ - ١٨٥
خراسان العراق = بغداد ١ : ١٨٥
خرشنة ٢ : ١٣٤

د

دار جعفر بن سليمان ٢ : ١٣٩
دار الخلافة ١ : ١٩٨
دار عون النصراني العباداني ٢ : ١٤٧
دار فرعون ٢ : ١٣٢
دار معبد وجماعة آخرين ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٩
دار النلوة ٢ : ١١٩ ، ١٨٤
دار الهجرة ٢ : ٢٧٦
دجلة ، الدجلة ٢ : ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١
دمشق ١ : ٨٥

ذ

ذات كهف ٢ : ١١٥
ذو الحجاز ٢ : ١١٨

ر

بلاد الروم ١ : ٣٤٦

ز

الزبان ٢ : ١٣٧
الزايح ١ : ١٧٧
زمرم ، هزمة جبريل ٢ : ١١٨

س

سابور ٢ : ١٢٩ ، ١٣٠
السيفة ٢ : ٢٩٣ ، ٣٠٦

السند ١ : ١٨٢

السواد ١ : ٢٦٧ - ٢٧١

السوس الأقصى ٢ : ١١٩

سوق الأهواز ٢ : ٢٦٢

سوق عكاظ ٢ : ٢٥٦

ث

الثام ، الشامات ١ : ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ - ٣١٢ ،

٣١٢ ، ٣٤٦ / ٢ : ١١٠ ، ١٣١ : ١٤٤

الثامات = الثام ٢ : ١٤٤

ص

الصراة ٢ : ١٠٣

صنين ١ : ٢ / ٢٥٨ : ٢٧ ، ٢٩٤

الصين ١ : ٢١٤ - ٢١٦ ، ٢١٦ - ٢ / ٢١٨ : ٤٧

ض

.....

ط

الطائف ١ : ٣١٢ / ٢ : ١١٥

طبية = المدينة ٢ : ١٣٠

ظ

.....

ع

العراق ١ : ٢ / ٢٧٠ : ١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ : ١٣٩ - ١٧٤ - ١٨٢

عرفة ، عرفات ١ : ٢٣٠

العسكر ٢ : ١٤٤

المسكران ٢ : ٢٠٢

عكاظ ٢ : ١١٨ ، ٢٥٦

عمورية ١ : ١٧٤

غ

.....

ف

الفراء ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١

فرغانة ٢ : ٤٧

ق

قصر أنس بن مالك ٢ : ١٣٩

قصر أوس بن ثعلبة ٢ : ١٣٨

القليب : (قليب بدر) ٢ : ٢٩٥

ك

الكعبة . بيت الله ١ : ٤٧ ، ١٤٧ ، ١٤٠/٢ : ١١٦ ، ١١٨ ،

١١٩

الكوفة ١ : ١٧٥ ، ٢٤٨ / ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٤٠ .

١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧

ل

.....

م

مخالف اليمن ١ : ١٦٩

المدينة ، مدينة الرسول ، يثرب ١ : ٩ ، ١٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ :

٣١٣/٢ : ٢٥ ، ١١٠ ، ١٢٨ - ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٢٧٦ ،

٢٧٧ ، ٣١٥

المدينة = مصر ٢ : ١٣٢

مدينة الرسول = المدينة ٢ : ٢٧٦

مدينة السلام ، بغداد ١ : ١٣٤

المنار ٢ : ١٤٠

المريد ٢ : ١٣٩

مسجد دوشق ١ : ٨٥

مسجد الكوفة ٢ : ١٤٣

مصر . الأرض . المدينة ١ : ٢ / ٣٣٥ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٣ .

١٣١ - ١٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٦٩

المصران ٢ : ٢٠٢

مكة : أم القرى : البلد ١ : ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٤٠ ، ٢ : ٢٠ ، ٢١

٢١ - ٢٤ - ١١٠ : ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٨ - ١٣٠ ، ٢٧٧

المصورة ١ : ٢٤٧ ، ٢٤٨

منف ٢ : ١٣٢

مؤنة ١ : ١٨٣ / ٢ : ٢٩٤ ، ٣١٨

ن

نجران ١ : ٣١٣

النهر . التهوان ١ : ٢٥٨ / ٢ : ٢٧

نهر أبي الأسد ٢ : ١٤٠

نهر الكوفة ٢ : ١٤١

التهروانات ٢ : ١٣٧

النيل : نيل الكوفة ٢ : ١٣٦ ، ١٤٢

النيل ، قرية بالكوفة ٢ : ١٤٢

هـ

هزيمة جبريل = زمزم ٢ : ١١٨

و

وادي القرى ١ : ٣١٣

وراء النهر ١ : ١٧٧

ي

يثرب . المدينة ١ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣

اليامة ٢ : ٢١٣

الين ١ : ١٦٩ ، ٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢ / ٣٤٦ : ٢٥٦

الفهرس الحادى عشر

١١- فهرس الكتب^(٥)

- إقليدس ، لإقليدس ١ : ٣١٤
الإنجيل ١ : ٢٧٠ ، ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
إنجيل مرقس ١ : ٣٣٣
التوراة ١ : ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٦
• خصال بنى هاشم ، للجياحظ ٢ : ١٢٥
• الرافضة ، للجياحظ ٢ : ٣١٧
الزبور ١ : ٢٧٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥
• الزرع والنخل ، للجياحظ ٢ : ١٣
المروض ، للخليل بن أحمد ١ : ١٣٢
الملوى ، لأرسططاليس ١ : ٣١٤
كتاب إشعياء ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦
كتب أفلاطون ١ : ٣١٥
كتب بقراط ١ : ٣١٥
كتب أبى حنيفة ١ : ٤٥
كتب ديمقراط ١ : ٣١٥
كتب المنانية ١ : ٣٢١
المجسطى ، لبطليموس ١ : ٣١٤
المنطق والكون والفساد ، لأرسططاليس ١ : ٣١٤
المشامية ، لابن المقفع ١ : ٤٤

(٥) ما قرن بنجم فهو من تأليف الجياحظ .

الفهرس الثاني عشر

١٢ - فهرس النهارس

٣٢٧	...	١ - فهرس القرآن الكريم
٣٣٢	...	٢ - فهرس الحديث
٣٣٣	...	٣ - فهرس النصوص المأثورة
٣٣٦	...	٤ - فهرس الأمثال
٣٣٩	...	٥ - فهرس الأشعار
٣٤١	...	٦ - فهرس اللغة
٣٨٢	...	٧ - فهرس مسائل العربية
٣٨٣	...	٨ - فهرس الأعلام
٣٩٩	...	٩ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها
٤١٠	...	١٠ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها
٤١٦	...	١١ - فهرس الكتب

مراجع الشرح والتحقيق

- الأثار الباقية ، البيروني . ليسك ١٨٧٨ م
 إتقان فضلاء البشر ، السبيل . حتى ١٣٥٩ .
 الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل . المشبه الحقيقى ١٣٨٧
 أدب الكتاب ، لابن تيمية ، تحقيق محمد محيي الدين . السعادة ١٣٨٢
 أدب الكتاب ، للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثرى . السلفية ١٣٤١
 أزهار الأفكار ، للشيخاني ، تحقيق محمد حسن يوسف . الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧ م .
 أساس البلاغة ، للزمخشري . دار الكتب المصرية ١٣٤١
 الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون . السنة ١٣٧٨ .
 الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
 إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٩٧٠ م
 الأصمعيات ، شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٩٦٧ م
 الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني . التقدم ١٣٢٣
 الألف المختارة من صحيح البخاري ، لعبد السلام هارون . المعارف ١٩٦٥ م
 الألفاظ الفارسية للمعربة ، لأبي شير . بيروت ١٩٠٨ م
 أمالي الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون . الملف ١٣٨٢
 أمالي القائل . دار الكتب ١٣٤٤
 أمال المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبي ١٣٧٣
 الأمثال ، للضبي . الجوانب ١٣٠٠
 إنجيل مرقس ، من العهد الجديد .
 إنجيل يوحنا ، من العهد الجديد .
 الأنساب ، للسماقي . ليدن ١٩١٢ م .
 البرهان ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل . عيسى الحلبي ١٣٧٧
 البيان والتبيين ، لمباحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الخانجي ١٣٨٨
 تاريخ ابن الأثير = الكامل
 تاريخ الإسلام ، للذهبي . القدس ١٣٦٧
 تاريخ بغداد ، للطبيب البغدادي . الساعة ١٣٤٩
 تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل . دار المعارف ١٩٦٩ م
 تأويل خطب الخليفة ، لابن تيمية . كردستان ١٣٢٦ م
 تحقيق للنصوص ونشرها . تأليف عبد السلام هارون . الخانجي ١٣٩٧
 تحقیقات وتبلیغات فی مجمع لسان العرب . تأليف عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة ١٣٩٩
 تذكرة أولي الألباب ، لداود الأنطاكي . نشرية ١٣١٧
 تقريب التلخيص ، لابن حجر . لكتو بالمند ١٣٢٠
 التتميل والمخاضة ، للشمالي . تحقيق عبد الفتاح الحلو . عيسى الحلبي ١٣٨١
 التنبية والإشراف ، للمسعودي . الصاوي ١٣٥٧

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٧
ثلاث رسائل الجاحظ ، تحقيق فان فلورن . لندن ١٩٠٣ م
ثمار القلوب ، للشافعي . القاهرة ١٣٢٦ .
الجامع الصغير ، للسيوطي . حجازي ١٣٥٢ .
جمع الجواهر ، المصري ، تحقيق محمد علي الجبوري . عيسى الحلبي ١٣٧٢ .
جمهرة الأمثال ، العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل وقطامش . المؤسسة العربية ١٣٨٤
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، تحقيق عبد السلام حارون . دار المعارف ١٣٩١
جمهرة اللغة ، لابن دريد . حيدر آباد ١٣٥١
جنى المجتبى ، المصري . الفرق يمشق ١٣٤٨
جوامع السيرة ، لابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، وناصر الأسد . المعارف ١٩٥٦ م
حاشية الصبان على الأمثال . عيسى الحلبي ١٣٦٦
الحلمة البصرية ، لعل بن أبي الفرج البصري . تحقيق مختار الدين أحمد ، حيدر آباد ١٣٨٢
حياة الحيوان ، للدميري . صبيح بالقاهرة .
الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام حارون . الحلبي ١٣٨٩
خزانة الأدب ، لبيتاني . يولاق ١٢٩٩
دائرة المعارف الإسلامية (للنسخة العربية) . الاعتماد من سنة ١٣٥٢
الدرة اللعانة ، لمزة بن الحسن الأسفهانى ، تحقيق عبد الحميد قطامش . المعارف ١٩٦٦ م
دلائل الإحجاز ، لمرجاني . المنار ١٣٣١
الديارات ، الشافعي ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٣٧٣
ديوان أمية بن أبي الصلت . بيروت ١٣٥٣
• البحري . حنينة ١٣٢٩
• جبران المود . دار الكتب ١٣٥٠
• جرير ، الصاوي ١٣٥٣
• الخطبة . التتقدم ١٣٢٣
• الحلمة ، لابن الشجري . حيدر آباد ١٣٤٥
• زهير بن أبي سلمى . دار الكتب ١٣٦٣
• الفرزدق . الصاوي ١٣٥٤
• كعب بن زهير . دار الكتب ١٣٦٨
• الملق ، العسكري . القاسم ١٣٥٢
• أبي نواس . المومنية ١٨٩٨ م
رسالة يولي إلى أهل رومية (من أسفار العهد الجديد)
رسائل الجاحظ ، لحسن السنهوري . التجارية ١٣٥٢
زهر الآداب ، المصري ، تحقيق علي الجبوري . الحلبي ١٩٥٣ م
سفر أرميا ، إشعياء ، للتفتية ، التكوين ، الخروج ، صمويل الثاني ، الملوك ، اللاويين ، هوشع
(من أسفار العهد القديم) ..
سميد اللؤلؤ ، البكري ، تحقيق عبد المنير المني . لجنة التأليف ١٣٥٤
السنن الكبرى ، البيهقي . حيدر آباد ١٣٥٥

- السيرة ، لابن هشام . جوتجن ١٨٥٩ م
شرح ديوان الحماسة ، للبريزي ، تحقيق محمد محي الدين . حجازي ١٣٥٨
شرح ديوان الحماسة ، للرزوق ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢
شرح شواهد شروح الألفية ، لمحيي (يمامش خزائن الأدب)
شرح صحيح البخاري ، للتسلافي . بولاق ١٣٥٥
شرح المملكات للبريزي ، تحقيق محمد محي الدين . المنفى ١٣٨٢
شرح المملكات للروزي . السعادة ١٤٤٠
شروح سقط الزند ، تأليف لجنة أبي البلاد . دار الكتب ١٣٦٨
الشراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر . المعارف ١٩٦٦
الصاحبي ، لابن فارس ، تحقيق عبد الله الخليل . المؤيد ١٣٧٨
صحيح البخاري . بولاق ١٣١٣
صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . الحلبي ١٣٧٥
صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦
طبقات القراء ، لابن الجزري ، بناية برجسترأسر . الخاني ١٣٥٢
المنجية ، للباحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي ١٣٧٤
عجائب المخلوقات ، للقرنوبلي . المآخذ بالقاهرة .
المقد القريد ، لابن عديده . لجنة التأليف ١٣٧٠
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٩٤٣
الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبد السلام الطحاوي . عيسى الحلبي ١٣٨٠
فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١
الفرق بين الفرق ، للبهدي . المعارف ١٣٧٨
فرق الشيعة ، للتونجي . الدولة الفلسطينية ١٩٣١ م
الفصل في الملل والنحل ، للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧
الفهرست ، لابن النديم . الرحانية بالقاهرة ١٣٤٨
فوات الوفيات ، لابن شاكر الكشي ، تحقيق محمد محي الدين . السعادة ١٩٥١ م
قاموس الأعلام ، للزركلي . الحرية ١٣٤٥
لقاموس المحيط ، للفيروزبدي . الحسبية ١٣٣٢
تلافة النقيان ، لفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣
الكامل ، لابن الأثير . دار صادر ودار بيروت ١٣٨٧
الكامل ، للبرد ، تحقيق وليم رايت . ليسك وكبرديج ١٨٩٢ م .
كتاب سيوييه ، تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧
الكنائيات ، للبرجاني . السعادة ١٣٢٦ .
لسان العرب ، لابن منظور . بولاق ١٣٠٧
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠
الماني ، لمجهول ، تحقيق آرثر جيمس . الخاني ١٣٩٢
مجالس شطرب ، تحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٩

- جميع الأشغال ، الميدان . الجية ١٣٤٢
- مجموعة رسائل ، الجاحظ ، نشرة الماسي . المصنف ١٣٢٤
- محاضرات الأدباء ، الرأغب الأصفهاني . الشرقية ١٣٢٦
- المحبر ، لابن حبيب ، تحقيق إيلاز ليشتن . حيدر آباد ١٣٦٦
- المخصص ، لابن سيده . يولاق ١٣١٨
- مروج الذهب ، للمسعودي . السادة ١٣٦٧
- الزواجر (من أسفار المهدي القديم)
- الزهر ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل وعمل الجبالي . ميسر الحلبي ١٣٦١
- المستقصى في الأشغال ، لفرغشري . بيروت ١٩٧٧ م
- مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف ١٣٧٥
- المعارف ، لابن قتيبة . الاسلانية ١٤٠٣
- مساعد التنصيص ، للبياسي . الجية ١٣١٦
- المستد في الأدوية المفردة ، لابن رسول الله الفاسي . الميمنية ١٣٢٧
- معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣
- معجم البلدان ، لياقوت . السادة ١٣٢٣
- معجم الحيوان ، للمطوف . المصنف ١٩٢٢ م
- معجم الثراء ، للمروزي . المصنف ١٣٥٤
- معجم العلوم الطبية والطبيعية ، محمد شرف . الأميرية ١٩٢٩ م
- المعجم القاموس الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م
- المعجم الوسيط ، جميع اللغة العربية . دار المعارف ١٣٩٣
- المصريين ، للسجستاني ، السادة ١٣٢٢
- مفاتيح الجيب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين . صبيح ١٣٧٨
- مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢
- المفوضيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٨٣
- المباين = مقدمات في علوم القرآن .
- مقدمتان في علوم القرآن ، تحقيق آرثر جيفري . الملائكي ١٣٩٢
- الملل والنحل ، للشهرستاني . الأديبة ١٣١٧
- المواثيق ، لفضة . العلوم ١٣٥٧
- النجوم الزاهرة ، لابن قنبري . دار الكتب ١٣٤٨
- نخب النخائر ، لابن الأكتفي ، تحقيق الأب أنستاس ماري . الصربية ١٩٢٩ م
- الترجمة المبهجة ، لداود الأتلاكي ، هاشم الفكرة
- التفاضل بين جرير وفرزدق ، تحقيق بيفان . لندن ١٩٠٥ م
- نكت المهيان ، لقصدي . القاهرة ١٩١٠
- نهاية الأرب ، لفريري . دار الكتب ١٣٤٢
- معالم المومع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي . السادة ١٣٢٧
- الموامل والشوامل ، تحقيق السيد مقرر . التأليف ١٣٧٠
- وفيات الأعيان ، لابن حلكان . الميمنية ١٣١٠
- يوسه الدم ، للمالبي . دمشق ١٣٠٣

استدراك وتذييل

القسم الأول

ص	س	
٦٦	١٣	ينقل رقم (٧) المشير للملحقة إلى نهاية البيت .
١٠١	١٤ ح	يضاف إلى نهاية الملحقة (ص ٩٥) .
١٩٢	٦	يلغى رقم (٥) من هذا السطر ويوضع موضع (٦) في ص ٨٠ وتسلل الأرقام بعد ذلك ليكون آخرها رقم (٧) . وكذلك تعدل أرقام الحواشي بعد سلف رقم (٤) وتسلل الأرقام طبقاً لما في السلب

القسم الثاني

٣٠٥	٧	ينقل رقم (٣) ليوضع فوق كلمة « يذ » في نفس السطر .
-----	---	---

صواب أخطاء الطبع

القسم الأول

٧	١٧ ح	يمتفون الخرز	١٨٢	١ ح	أبو صينة
٣٢	٣	يطلعهم الكتاب	٢٠٥	٣ ح	ما مضى في ص ١٩٩
٢٦	٨ ح	والتيير هنا	٢٤٥	١٣ ح	وانظر لفلانها
٦٩	١	لنعد خصبالاً	٣٠٠	٢	والجبرية
٩٩	٥	ولقيس بن زهير	٣٠٤	١	عيسى بن مريم
١٠٠	١٢	والتمثيل بين	٣٠٥	١١	لم نجعل
١٠٧	٧	اعجب	٢٣٠	٦ ح	وأثبت ملكه
١٢٥	٩	والهد	٣٣٤	٢	و (يد الله مقلولة)
١٢٦	٧	وأجتر	٣٤٣	٩	الإباء
١٨١	٣ ح	قطبة	٣٤٧	٢	كل يهودي

القسم الثاني

٧	٥ ح	بالراء المهمة	١٥٥	٤	ومضلات المنى
٢٠	٢	خجائباً وزيداً	١٨٤	٤	عبينة بن حصن
٣٨	٣	ذلك المستنبط	٢١٤	٦	وأسير طليحة
١١٠	١٢	أقنع	٢٦٣	٥ ح	بموض صغار
١١٨	١٠ ح	ب : والباد	٣٠١	١٣	ويدارية
١٢٠	٤	إتاوة قط	٣١٩	٣ ح	الاختبار والامتحان
١٣٠	١٤	وسوء الاستمرار			

فهرس الكتب والرسائل

١١	— الرد على المشبة	٥
١٢	— مقالة العثمانية	١٩
١٣	— المسائل والجوابات فى المعرفة	٤٧
١٤	— المعاد والمعاش	٦٩
١٥	— الجلد والمزل	٨٣
١٦	— الوكلاء	٩٥
١٧	— الأوطان والبلدان	١٠٩
١٨	— البلاغة والإيجاز	١٥١
١٩	— تفضيل البطن على الظهر	١٥٥
٢٠	— التبلد والتبلد وذم الكبر	١٦٩
٢١	— المودة والخلطة	١٩١
٢٢	— استحقاق الإمامة	٢٠٧
٢٣	— استنصار الرعد	٢١٩
٢٤	— تفضيل النطق على الصمت	٢٢٩
٢٥	— صناعة الكلام	٢٤٣
٢٦	— الشارب والمشروب	٢٦١
٢٧	— الجوابات فى الإمامة	٢٨٥
٢٨	— مقالة الزيدية والرافضة	٣١١

رقم الإيداع ١٩٧٩/٤٩٨٤

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعيلبية
التمساحرة — تليفون : ٨٢٦٢٨٠

